www.kotobarabia.com



د. حسن حنفي

من النص إلى الواقع

الجزء الأول

"تكوين النص"

www.kotobarabia.com

من النص إلى الواقع

* الجـــــزء الأول *

تكوين النـــص

د. حسن حنفى

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الورقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

الإهـــداء ...

إلى كل من يعطى الأولوية للمصالح العامة

على النصـوص والحروف

حسن حنفى

مدينة نصر يوليو ٢٠٠٣

فهرس الموضوعات

الفصل الأول

كشف البنية

الفصل الثانى

حجب البنية

الفصل الثالث

اجتزاء البنية

الفصل الرابع

تحريك البنية



الفصل الخامس

تثبيـــت البنيـــة





مقـدمـــــــة

أولا: من "من النقل إلى الإبداع" إلى "من النص إلى الواقع".

١- إعادة بناء علم أصول الفقه.

طالما وجه سؤال: لماذا لا تترجم الرسالة الأولى "مناهج التفسير" من الفرنسية إلى العربية بعد أن ذاعت وأصـبحت موضوعا لعدة رسائل علمية فـى الغـرب؟ وكـان الـرد باستمرار: سيعاد كتابتها من جديد خاصة وقد انقضى عليهـا ما يزيد على ثمان وثلاثين عاما[١]. قدم عليها العهد وإن بقى الروح. كانت مثالية الطابع، تبدأ من الوعى الفردى وتنتهـى إليه. فقد كتبت قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧، وإبان المد القـومى العربى، وفى خضم حركات التحرر الوطنى فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وفرق بين هذا العهد وما حـدث للثـورة المصرية من تقلبات وللقومية العربية من تحولات، وللخيـار الاشتراكى من مراجعات منذ السبعينات حتى الآن .

---

(١) Les Méthodes d'Exégèse, essai sur la science des Fondements de lu Compréhension, Ilm Usual al-Fiqh, Le Caire, ١٩٦٥, (Paris, ١٩٦٦).

وكان قد صدر منها "التراث والتجديد" عام ١٩٨٠ وهو المقدمة الأولى للرسالة، المقدمة المنهجية مثل المقدمات التى غلبت على كتب الأصول الأولى، المنطق فى "المستصـفى"، وفلسفة العمل فى "الموافقات" مثلا. وتتضح فيها التحـولات التى حدثت فى مصر إبان السبعينات، وتحول الثـورة إلـى ثورة مضادة. وفى رأى البعض هذا "المانفستو" الصغير الذى يعتبر مقدمة للمشروع كله هو أفضل ما كتبـت مـن حيـث الأسلوب والتحليل والبرهان بعيدا عن إنشائيات "من العقيـدة إلى الثورة" والتحليلات الكمية فى "من النقل إلـى الإبـداع". أعجب العلمانيين وأغضب السلفيين كما هو الحال فى معظم كتاباتى النظرية. وهو نفس ما حدث عندما صدر "مقدمة فى علم الاستغراب" فأفرح السلفيين وغضب العلمانيون. والفرح والغضب عن هذا الفريق أو ذاك موقفـان غيـر علميـين. فالتحليل العلمى يناقش علميا ولا يرد إلى مواقف أيديولوجية مسبقة تخطئ فى الحكم. فلا "من العقيدة إلى الثورة" نيل من العقيدة وتشكك فيها بل قراءتها كدافع على التقدم بعد اتهامها بأنها سبب التخلف. ولا "مقدمة فى علم الاستغراب" رفـض

للغرب بل هو تحويل الغرب من كونه مصدرا للعلـم كـى يصبح موضوعا للعلم.

وقد تم التنبيه من قبل على أهمية "علم أصـول الفقـه" استئنافا لحركة الإصلاح الحديثة التى كانت وراء تأسيس قسم الفلسفة فى الجامعة المصرية. فقد نبه الشيخ مصطفى عبـد الرازق تلميذ محمد عبده على أهمية علم الأصـول بشـقيه، أصول الفقه وأصول الدين فى كتابه الشهير "التمهيد لتـاريخ الفلسفة فى الإسلام" فى معرض رده على تهمة المستشـرقين بتبعية الفلسفة الإسلامية لليونان ترجمة وشـرحا وتلخيصـا، ومبينا أن إبداع المسلمين يتجلى فى علم الأصول. وقد وجـه تلميذه على سامى النشار لدراسة هذا الموضوع فى رسـالته الشهيرة "مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ونقد المسـلمين للمنطق الأرسطاليسى"[1].

---

(١) على سامى النشار: مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسى، دار الفكر العربى .
وقد تم التنويه من قبل كيف تم اختيار "علم الأصول" موضوعا للدكتوراة فى باريس عام ١٩٥٦. فقد استمعت لنقاش بين المرحوم مصطفى حلمى وطالب هو رشدى راشد، وهو الآن العالم الكبيـر فـى تـاريخ العلـوم بباريس، عن نقد ابن تيمية للمنطق ومحاولته وضع منطق جديـد، نقـد الصورية الأرسطية ووضع منطق حسى مادى تجريبى. وقد كنا ننتسـب للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت، ونقرأ أبا الأعلى المـردودى "منهـاج

الانقلاب الإسلامى" وسيد قطب "خصائص التصور الإسلامى ومقوماته". كان الهاجس التجديد والإبداع والأصالة. وكانت فكرة أن الإسلام منهج، منهج فكر وحياة من الأفكار التى ورثناها من الحركة الإصلاحية كما لاحظ ذلك لاوست وأنا أقدم له خطة رسالة الدكتوراه الأولى عن "المنهج الإسلامى العام" عام ١٩٥٦.

وبعد مغادرتى باريس نفس العام بعد التخرج بأربعة أشهر بين تأميم القناة فى يوليو ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى فى أكتوبر ١٩٥٦ بدأت فكرة "المنهاج الإسلامى العام" وقدمتها كمشروع للدكتوراه تنهل من مصادرها الإصلاحية منذ الأفغانى إلى سيد قطب. وكانت له صورتان، صورة ثابتة Statique وصورة حركية Dynamique. وكان للصورة الثابتة جانبان التصور Concept والنظام Ordre، وهو تعبير لاشعورى نظرى عن العقيدة والشريعة ، وللصورة الحركية جانبان ، الطاقة Energie والحركة Mouvement، وهو تعبير لاشعورى ربما عن الإيمان والجهاد. أراد لاوست إرجاعه إلى مصادره التاريخية وتوجيه دراستى إلى الفكر الإصلاحى التاريخى بينما كنت أريد تجاوزه بمزيد من التنظير. وأراد فال J. Wahl أن أدرس كانط الذى يجمع بين القبلى والبعدى أى بين الوحى والعقل. أما ماسنيون فقد أراد أن أبقى على فكرتى "المنهاج الإسلامى العام" وأؤصلها فى علم أصول الفقه، وهو التفكير المنهجى فى الإسلام واتباعا لنصيحة الشيخ مصطفى عبد الرازق. وعجب كيف أننا لم ندرس فى قسم الفلسفة بجامعة القاهرة هذا العلم. كان اكتشاف الشباب بعد قراءة "المستصفى" و"الموافقات". وكان معروف الدواليبى من سوريا قد درس معه هذا العلم. وطلب من برنشفيج مدير معهد الدراسات الإسلامية بالسربون تسجيل الموضوع معه إداريا لأن ماسنيون كان بالكوليج دى فرانس التى لا تعطى درجات علمية، فالعلم فيها للعلم. وكان برنشفيج فقيها أكثر منه أصوليا، مؤرخا أكثر منه فيلسوفا. وقبل على مضض الرسالة التى تبدأ من علم أصول الفقه وتصب فى الظاهريات. وهو ما قاله اتين جيلسون عندما قرأ الرسالة للمناقشة

وبعد جنوح الحركة الإصلاحية نحو التشـدد والتزمـت والقطعية والاستبعاد والإقصاء بل والتكفير والعنف عاد "علم الأصول" خاصة مقاصد الشريعة، والمصلحة أساس التشريع. وبرزت أسماء الشاطبى والطوفى. ودخل حثيثا فى الجامعات وأعدت على موضوعاته الرسائل العلمية(1).

وكان من ممثلى التوماوية. "هذه أول مرة أرى فيها أحدا يـدرس وحـى إبراهيم بطريقة جان بول سارتر، يدرس القديم بلغة الجديد. وقـد لاحـظ المستشرقون على مدى عشرة أعوام أنه لا يشـرف علـى إلا "رينـان" المستشرق الفيلسوف لأننى "عربى بين ثقافتين". وكلانا إسلامى هيجلى.

Les Méthodes d'Exégèse, pp. V – VI.

=وأيضا "محاولة مبدئية لسيرة ذاتية"، الدين والثورة فـى مصـر ١٩٥٢-١٩٨١ جـ ٦ الأصولية الإسلامية. مدبولى، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٠٧ – ٢٩٢. وأيضا "الحرية والإبداع، شهادة على العصـر، محاولـة ثانية لسيرة ذاتية"، هموم الفكر والوطن جـ ٢ الفكر العربى المعاصـر، قباء، القاهرة، ١٩٩٨ ص ٦٠٩ – ٦٦٧.

(١) أدخل قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة "علم أصول الفقـه" فـى أوائل التسعينات كجزء من مقررات السنة الرابعة حتى تكتمـل العلـوم العقلية النقلية الأربعة، علم الكلام أى أصـول الـدين (السـنة الثانيـة)، والفلسفة أى علوم الحكمة (السنة الثالثة)، والتصوف (السنة الرابعة) حتى يقارن الطالب التأويل والتنزيل، ويعرف دلالة الصـراع بـين الصـوفية والفقهاء، بين الباطن والظاهر. كما أعدت عدة رسائل جامعية فـى علـم أصول الفقه مثل: محمد فهمى علوان: المقاصد فى علم الأصول. سحبان خليفات (أردنى): مبادئ الأخلاق فى علـم الأصـول، رابـح مراجـى (جزائرى): التعليل فى علم أصول الفقه، وأيضا "التعادل والتراجيح فـى

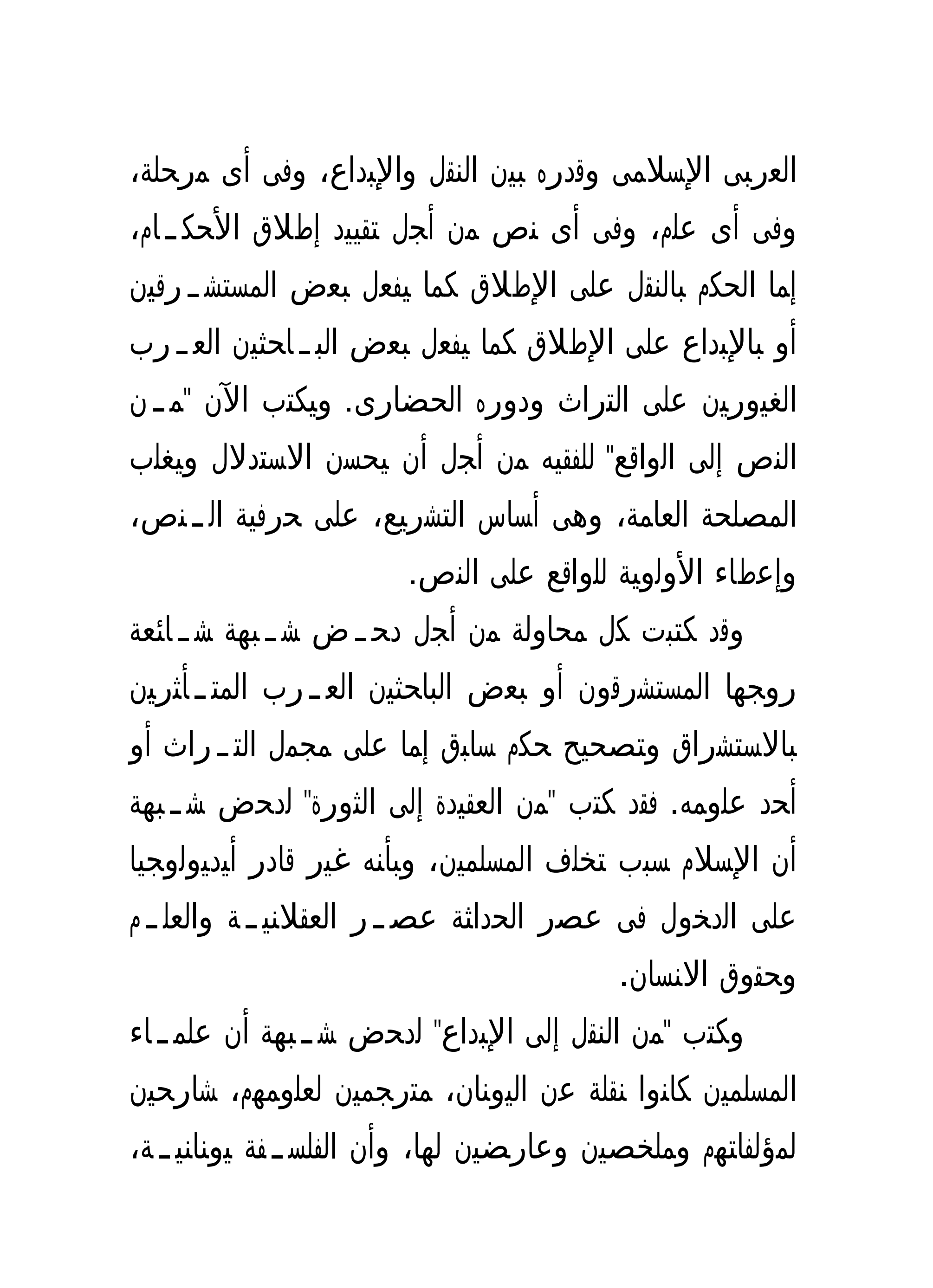
و"من النص إلى الواقع" هو ثالث علم من التراث القـديم يعاد بناؤه بعد "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، و"من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة. كـا بودى أن يأتى بعد "من الفناء إلى البقاء" لإعادة بنـاء علـوم التصوف لأنى كنت أريد أن أختم العلـوم النقليـة العقليـة الأربعة بعلم أصول الفقه باعتباره زبدة العلوم، وأقلها حاجـة إلى إعادة البناء، وأبعدها عن عقائد علم الكلام، وتصـورات الفلسفة، ومقامات الصوفية وأحوالهم بعد أن أبدأ بأخطرهـا على العصر فى العلوم الثلاثة السابقة وكما هو معلن عنه فى الخطة الأولى لمشروع "التراث والتجديد". لولا إلحاح "علـم أصول الفقه" على، ورؤية "من النص إلى الواقع" أمامى وما على إلا التدوين، وكما حدث من قبل فى "مقدمة فـى علـم الاستغراب" عندما رأيته فى شريط سـينمائى أمـامى عـام ١٩٩٠ وأنا فى خضم "من النقل إلى الإبداع" ومـا علـى إلا العرض[١].

علم أصول الفقه". وقد صدر لى مؤخرا "المقاصد، قراءة فى الموافقـات" للشاطبى، المسلم المعاصر.

(١) هذا بالإضافة إلى هموم قصر العمر، وسرعة إنجاز "مـن الـنص إلـى الواقع" بعد أن اختمر فى الذهن عبر أربعـة عقـود مـن الزمان،وأنـه بالإمكان إنجازه فى عام واحد، فى حين أن "من الفناء إلى البقاء" يحتـاج

وإذا كان المتلقى جزءا من الخطاب، فالرسالة خطـاب من كاتب إلى قارئ فقد كتب "من العقيدة إلى الثورة" للثـائر الذى يريد تأصيل ثورته ومد جذورها فى الموروث الثقافى، وللمحافظ ليقال محافظته ويساهم فى مسار التقدم الاجتماعى. وللعلمانى كى يعرف أن التراث الذى يقطع معـه يمكـن أن يجد فيه بغيته، وللسلفى الذى يتصور العقائد غاية فى ذاتها ، عالما مغلقا يحتوى على حقائق فى ذاتها وليست مجرد أدوات لتغيير الواقع وأدوات لتطويره، وللمتكلم أنه لا يوجـد علـم مقدس بل علم اجتماعى أيديولوجى يدخل فى صراع الأفكار كجزء من عملية الصراع الاجتماعى، وللعالم الاجتماعى كى يعلم أن الصراع الأيديولوجى فى المجتمعات التراثـى هـو العامل الأكثر حسما فى عمليات الصراع الاجتماعى فإن "من النقل إلى الإبداع" كتب لكل من يريد الحكـم علـى الـذات

إلى سنوات أطول لم أعد أمتلكها على وجه يقينى. كمـا أن مـادة "علـم أصول الفقه" من حيث المؤلفات أقل من مادة "علم التصوف" مـن حيـث المؤلفين. وربما حاجة طلاب قسم الفلسفة إلى مؤلف معاصر فـى "علـم أصول الفقه" بالإضافة إلى مؤلفات القدماء منذ "الرسـالة" مـرورا بـ ـ "المستصفى" حتى "الموافقات" و"مقاصد الشريعة ومكارمها" لعلال الفاسى و"تجديد علم الأصول" لمحمد باقر الصدر، وكأحد علامات تطور العلـم ضمن اجتهادات المعاصرين.



العربى الإسلامى وقدره بين النقل والإبداع، وفى أى مرحلة، وفى أى علم، وفى أى نص من أجل تقييد إطلاق الأحكام، إما الحكم بالنقل على الإطلاق كما يفعل بعض المستشرقين أو بالإبداع على الإطلاق كما يفعل بعض الباحثين العرب الغيورين على التراث ودوره الحضارى. ويكتب الآن "من النص إلى الواقع" للفقيه من أجل أن يحسن الاستدلال ويغلب المصلحة العامة، وهى أساس التشريع، على حرفية النص، وإعطاء الأولوية للواقع على النص.

وقد كتبت كل محاولة من أجل دحض شبهة شائعة روجها المستشرقون أو بعض الباحثين العرب المتأثرين بالاستشراق وتصحيح حكم سابق إما على مجمل التراث أو أحد علومه. فقد كتب "من العقيدة إلى الثورة" لدحض شبهة أن الإسلام سبب تخلف المسلمين، وبأنه غير قادر أيديولوجيا على الدخول فى عصر الحداثة عصر العقلانية والعلم وحقوق الانسان.

وكتب "من النقل إلى الإبداع" لدحض شبهة أن علماء المسلمين كانوا نقلة عن اليونان، مترجمين لعلومهم، شارحين لمؤلفاتهم وملخصين وعارضين لها، وأن الفلسفة يونانية،

والتصوف مسيحى أو فارسى أو هندى أو يونانى، أفلاطـون أو سقراط أو النحلة الأورفية، وأن علـم الكـلام نصـرانى يهودى، وأن أصول الفقه يونانى فى القياس، وكأن المسلمون لم يبدعوا شيئا، وأنهم مجرد حفظة ونقلـة يسـيئون النقـل، ويلخطون بين أرسطو وأفلوطن، وبين أفلاطون وأرسـطو، وينتحلون نصوصا على لسان الفلاسفة.

ويكتب الآن "من النص إلى الواقـع" ضـد شـبهة أن التشريعات الإسلامية، حرفية فقهية تضحى بالمصالح العامة، قاسية لا تعرف إلا الرجم والقتل والجلد والتعـذيب وقطـع الأيدى، والصلب والتعليق على جذوع النخل وتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف، وتكليف بما لا يطاق. كما أن من ضمن مآسينا خروج بعض الحركات الإسلامية المعاصرة من النص الحرفى وتطبيق شعاراته حول الحاكمية وتطبيق الشريعة الإسلامية والبديل الإسلامى دون رعاية لواقـع متجـدد أو لتدرج فى التغير.

وإذا كان "من النص إلى الواقع" عنوانا مسـتقرا لهـذه المحاولة الثالثة لإعادة بناء العلوم النقلية العقلية بعـد "مـن العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، و"من النقل

إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة، فإن عنوان كل جـزء مازال وضع التساؤل. فإذا كان الجزء الأول هو وصف لنشأة النصوص الأصولية وتطورها لمحاولة التعرف على بنيتهـا كبديل عن الفصول التمهيدية التاريخية التقليدية خارج النص فإن عنوان هذا الجزء يكون "تكوين النص". وإن كان الجزء الثانى يحاول إرجاع بنية النص الثلاثية إلى تجاربها المعاشة وأبعاد الشعور التاريخى والنظرى والعملى فإن عنوانه يكون "بنية النص". والتقابل بين التكوين والبنية قائم. وهو الاختيار الذى تم بعد احتمال كان واردا. وبالرغم أن لفظ النص يتكرر فى الجزأين، إلا أن الجزء الثانى دراسة لواقع الـنص فـى التجربة المعيشة كما يدل على ذلك العنوان، والجـزء الأول "بنية النص" أو "تكوين النص"، وهى حيـرة أخـرى أيهمـا أفضل؟ فالتكوين طريق للبنية، والبنية من خـلال التكـوين. والثانى "واقع النص" وفى هذه الحالة يكون النص أيضا قـد تكرر فى الجزأين الأول والثانى. كما أن تكوين النص إنمـا يقوم على وصف بنيته عبر التاريخ وطبقا للترتيب الزمانى، من السابق إلى اللاحق. فهو تكوين للبنية، وبنيـة للتكـوين. ويراعى فى نفس الوقت البنيات المتشابهة من خلال الترتيب

الزمانى، والترتيب الزمانى داخل البنية الواحدة.

وقد انتهى عصر المجلدات. فلم يعد فى العمـر متسـع لكتابة الموسوعات. ولم يعد لدى القارئ العام أو المتخصص الهمة ولا الوقت ولا الرغبة فى الاطلاع على هذا الكم الكبير والتحقق منه. "من العقيدة إلى الثورة" خمسة مجلدات، و"مـن النقل إلى الإبداع" تسعة مجلدات. كانت النية أن يكون "مـن النص إلى الواقع" مجلدا واحدا لكن عـز الطلـب، وانقسـم الموضوع بطبيعته إلى قسمين، الأول لرصد النص الماضى تكوينا وبنية، والثانى لإعادة قراءته طبقـا لـروح العصـر واكتشاف بنيته فى تحليل الشعور. ومجلدان أفضل من خمسة أو تسعة. ويؤمل من أن يكون "من الفناء إلى البقاء" مجلدين أيضا الأول فى التصوف كتاريخ، والثـانى فـى التصـوف كطريق.

٢- النقد الذاتى لـ "من النقل إلى الإبداع".

بالرغم من عدم وجود مراجعـات دقيقـة ومناقشـات تفصيلية حول "من النقل إلى الإبداع" كى تبرز أوجه القصور فيه اعتمادا على الخبرات المشتركة بين جماعة العلماء إلا أن عيوب أى عمل لا تظهر إلا بعد اكتماله. وهى فى الحقيقـة

رد فعل على انتقادات أخرى لأعمـال أخـرى. فالكمـال لا وجود له فى العمل الانسانى. كماله فى إنجازه، وتحوله مـن النية إلى التحقق، ومن الإمكان إلى الواقع، ومن عالم الأذهان إلى عالم الأعيان بتعبير القدماء[1].

هذا التقليد فى مراجعة النفس المستمرة، وإخضاعها للنقد الذاتى هو نوع من الاستبطان، وكشف المفكر لمساره أمـام نفسه، فكل عمل يعبر عن مرحلة من مراحل تطوره الفكرى منهجا وموضوعا. هو نوع من البحث عن الكمال، والـتعلم من التجارب السابقة، والرقى العلمى، والتعلم من الأخطـاء المرحلية[2].

وأحيانا يأتى هذا النقد الذاتى فى البداية كما هو الحـال فى "من النقل إلى الإبداع" مراجعة لـ "مـن العقيـدة إلـى الثورة" واعتمادا على نقد الآخرين حتى يتم توجيـه العمـل الجديد بناء على التجربة السابقة[3]. واحيانا يأتى فى النهايـة

(١) من النقل إلى الإبداع" مجـ ١ النقل جـ ١ التدوين، ١- النقد الذاتى ص ٧ – ١٤.

(٢) مقدمة فى علم الاستغراب، خاتمة النقد الذاتى وهموم قصر العمـر، ص ٧٧٧ – ٧٩١.

(٣) عقدت ندوة فى قسم الفلسفة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، عن "من العقيدة إلى الثورة" بعد صدوره ١٩٨٨ للتسجيل والنشر فـى إحـدى المجـلات

بعد اكتمال العمل مباشرة دون انتظار للعمل التالى[١].

ويمكن رصد أهم أوجه السلب فى "من النقل إلى الإبداع" على النحو التالى:

أ- نظرا لكثرة ما وجه إلى "من العقيدة إلى الثورة" من أنه أيديولوجى وليس علميا، خطابى وليس برهانيا، يريد تثوير النص أكثر مما يريد تغيير الواقع، قراءة للنص عن

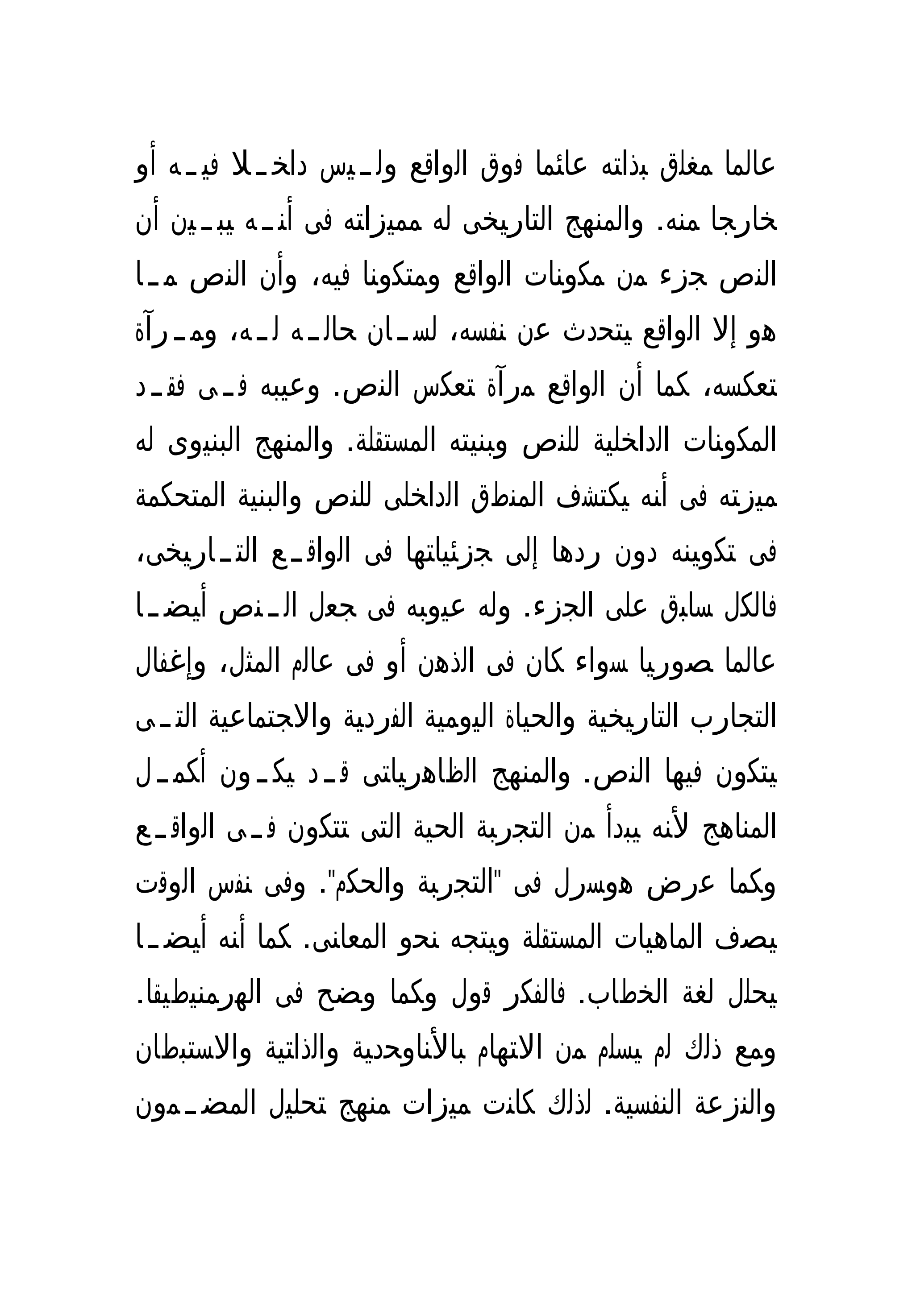
الثقافية التى كان يشرف عليها أ.د. أحمد عثمان ولكنها لم تر النور. وعقدت ندوة يوم كامل بلجنة الفلسفة فى المجلس الأعلى للثقافة يوم ٢٠٠٢/٦/٢٨ شارك فيها عشرات الأساتذة والجمهور المتخصص. وأعطى لكل أستاذ جزء للمراجعة والنقد بالإضافة إلى جلسة أولى عامة عن المنهج والموضوع شارك فيها محمود أمين العالم، محمود إسماعيل، واعتذر جابر عصفور لأمر طارئ. وقدم الأجزاء التسعة على التوالى أميرة حلمى مطر، أحمد عتمان، مصطفى النشار (النقل)، سهير أبو وافية، سعيد مراد، أحمد عبد الحليم (التحول)، مصطفى لبيب، عبد الحميد مدكور، على مبروك (الإبداع). وباستثناء المناقشات المنهجية العامة، غابت المراجعات التفصيلية والدقيقة إما لتضخم المجلدات مما يجعل قراءتها يحتاج إلى وقت طويل أو نقص فى الاهتمام أو لغياب فى الرؤية أو لروح العصر.

(١) هذا ما فعله كيركجارد فى التحول من "الفتات الفلسفى" إلى "شروح على الفتات"

Kierkegaard: Postcriptum aux Miettes Philosophiques, Paris, Gallimard, ١٩٤٩ pp. ١٦٧-٢٠٠, (نظرة على جهد مواز فى الأدب الدانماركى), pp. ٢٤٣-٢٥٩ (من أجل توجيه الذات نحو تخطيط "الفتات").

طريق إعادة التعبير عنه بلغة جديدة أكثر منه تحليل للواقـع الاجتماعى والسياسى الذى نشأ فيه النص ارتد "من النقل إلى الإبداع" إلى النقيض وغلب المعرفـى علـى الأيـديولوجى، والتاريخى على الفكرى. أتى أقرب إلى البحث العلمى منـه إلى الفكر الخالص حتى أنه ليصل إلـى درجـة المدرسـية والتعليمية، وذكر أسماء العلم وأسماء المقالات والمؤلفـات. أتى أقرب إلى الموسوعة أو الملحمة منه إلى التحليـل فـى العمق. جاء أقرب إلى الاتساع عرضا منه إلى العمق طولا.

ب- انتهى منهج تحليل المضمون إلى نوع من الصورية والشكلانية فيما يتعلق برصد أسماء الأعلام، الموروث منهـا والوافد، والإحصائيات لمن لم يتعود عليها بغيـر ذى دلالـة حاسمة، وأن وصف مكونات النص الموروث والوافد والواقع التاريخى لا يكفى فى الحكم على النص. والحقيقة أن هذا هو عيب المنهج وليس عيب التطبيق. ولا يوجد منهج كامل. كل منهج له مميزاته وعيوبه. منهج تحليل المضمون له مميزاته فى أنه قادر على إعطاء حكم دقيق على الـنص ومكوناتـه ومقاصده وبواعثه وتجنب الأحكام المطلقة وتكرار الأخطـاء الشائعة. وله عيوبه مثل الوقوع فى الصورية، واعتبار النص



عالما مغلق بذاته عائما فوق الواقع وليس داخلا فيه أو خارجا منه. والمنهج التاريخى له مميزاته فى أنه يبين أن النص جزء من مكونات الواقع ومتكونا فيه، وأن النص ما هو إلا الواقع يتحدث عن نفسه، لسان حال له، ومرآة تعكسه، كما أن الواقع مرآة تعكس النص. وعيبه فى فقد المكونات الداخلية للنص وبنيته المستقلة. والمنهج البنيوى له ميزته فى أنه يكتشف المنطق الداخلى للنص والبنية المتحكمة فى تكوينه دون ردها إلى جزئياتها فى الواقع التاريخى، فالكل سابق على الجزء. وله عيوبه فى جعل النص أيضا عالما صوريا سواء كان فى الذهن أو فى عالم المثل، وإغفال التجارب التاريخية والحياة اليومية الفردية والاجتماعية التى يتكون فيها النص. والمنهج الظاهرياتى قد يكون أكمل المناهج لأنه يبدأ من التجربة الحية التى تتكون فى الواقع وكما عرض هوسرل فى "التجربة والحكم". وفى نفس الوقت يصف الماهيات المستقلة ويتجه نحو المعانى. كما أنه أيضا يحلل لغة الخطاب. فالفكر قول وكما وضح فى الهرمنيطيقا. ومع ذلك لم يسلم من الاتهام بالأناوحدية والذاتية والاستبطان والنزعة النفسية. لذلك كانت ميزات منهج تحليل المضمون

تفوق عيوبه. وكان هو الأقدر على تحليل نصـوص علـوم الحكمة بعد استعمال منهج القراءة فـى "مـن العقيـدة إلـى الثورة". وهو منهج ذاتى تأويلى تحديثى ينقل الماضى إلـى الحاضر مع تغيير اللغة ومستوى التحليـل وإعـادة توجيـه القصد لما ينقص الواقع الحالى من قـدرة علـى التشـريع وصياغة القانون، وفهم مضمون النص باعتباره تجربة حيـة فى الشعور. وهو منهج يعتمد على تحليل النصوص ولـيس الأفكار، وتحليل اللغة وليس المعانى، والدخول إلى الفكر عن طريق اللغة، والاتجاه إلى المضمون ابتداء من الشكل. واللغة عالم بأكمله عالم الكلام وعالم العقل وعالم الوجود.

جـ – كان معيار الإبداع هو استقلال النص عن مكونيه الرئيسيين ، الوافد والموروث، واعتماده على العقل الخالص وبنيته الداخلية واتساقه المنطقى دون دعامات خارجية مـن الموروث الداخلى أو الوافد الخارجى أو الواقـع التـاريخى. وقد يراه البعض معيارا شكليا. فالإبداع يتجـاوز مكونـات النص إلى مضمونه، معانيه وتصوراته ونظرياته وليس لغته وأسماء أعلامه ومواقعه. وهو نقـد صـحيح علميـا إلا أن الإبداع ليس له معنى واحد. فالإبداع فى أحد مستوياته هـو

الاستقلال عن المكونات، والاستغناء عن الروافد، وإقصـاء الدعامات الداخلية والخارجية من أجل إبداع ذاتى له منطقـه الداخلى. وقد يكون للإبـداع معنـى آخـر وهـو تجـاوز التصورات والنظريات والمناهج والرؤى القديمة إلى أخـرى جديدة، إبداع فى المضمون وليس فى الشكل، فـى الجـوهر وليس فى العرض، فى الشئ وليس فى طرق التعبير عنـه. ولما كان الإبداع بـالمعنى الأول فـى العلـوم الرياضـية والطبيعية فإن الإبداع بالمعنى الثانى لا يقوى عليه إلا مؤرخ العلوم. وهو ما يتجاوز قدرات الباحث وتخصصه[1]. إلا أن تاريخ العلوم الخالص بـلا دلالات حضـارية عامـة ودون ارتباط بالإبداع الحضارى الشامل فى باقى العلـوم العقليـة النقلية بل والنقلية الخالصة يكون أقرب إلى التاريخ الصرف. وإن كان هناك سبق إبداع فإنه يكون فى تاريخ العلوم العـام من اليونان إلى العرب إلى الغرب، وبما من الصين والهنـد وفارس وحضارات ما بين النهرين ومصـر القديمـة إلـى

---

(١) من النقل إلى الإبداع" مجـ ٢ التحول جـ ٣ التراكم، الفصـل الثالـث: الإبداع الخالص. والأقدر على ذلك هم الزملاء والأصدقاء: رشدى راشد، عبد الحميد صبرة، خليل درويش، أحمد جباره، ومعظم أعضاء الجمعيات الدولية والوطنية لتاريخ العلوم ومعاهد تاريخ العلوم مثـل معهـد حلـب بسوريا.

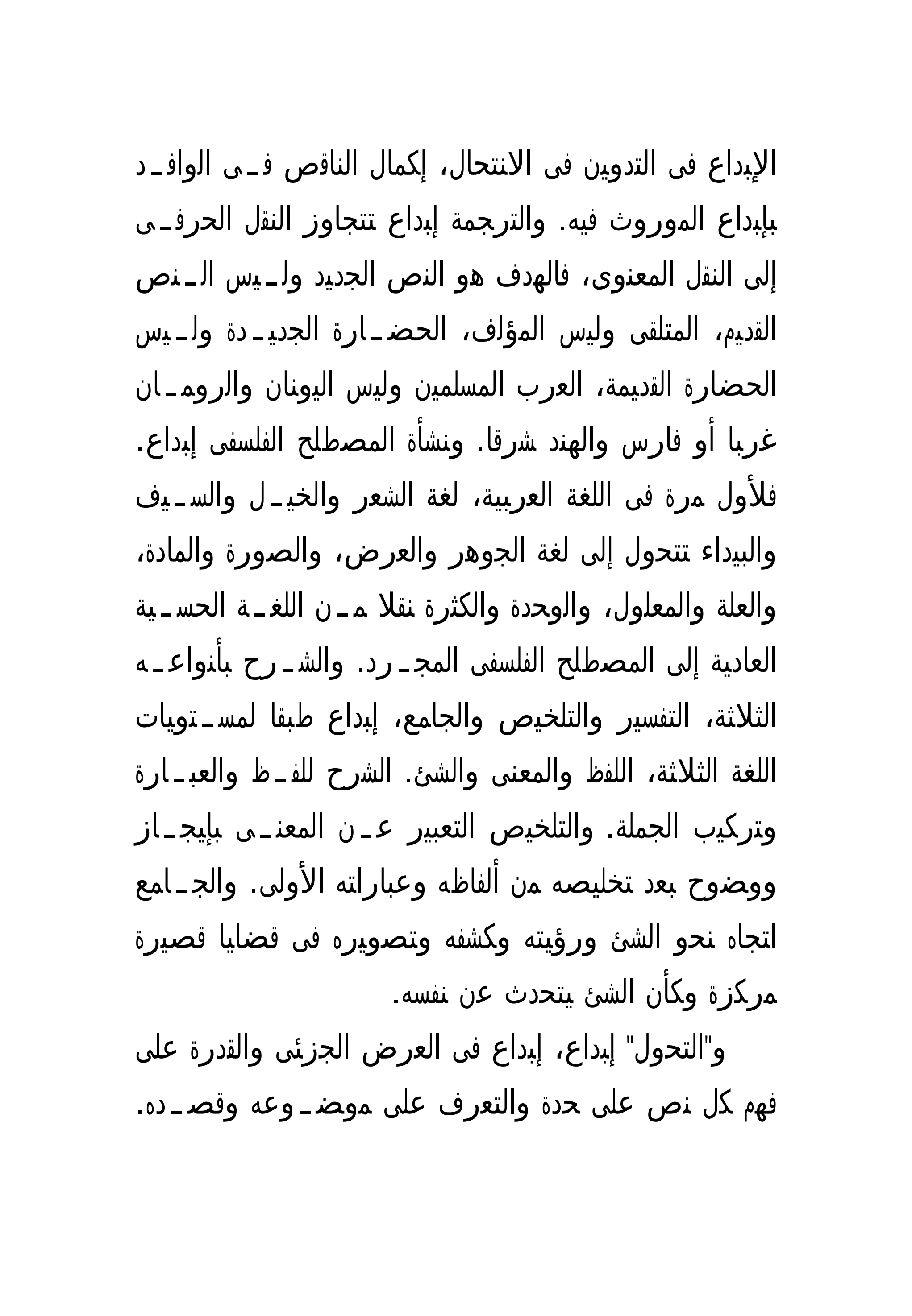
الغرب الحديث مرورا بالشرق المتوسط. وهو بحث علمى خالص لا شأن له بالتغيرات الاجتماعية وأزمات العصر الحالية. النظر نظر، والعمل عمل.

جاء "النقل" بأجزائه الثلاثة أقوى من "التحول" بأجزائه الثلاثة. ففى "التدوين" تم عرض الكتب التى حاولت التأريخ لعلوم الحكمة، كيف تمت قراءته ثم كيف أضيف الانتحال لإكمال التاريخ. وفى "النص" تم التعرف على أنواع الترجمة وكيف نشأ المصطلح الفلسفى وأخيرا كيف تحولت الترجمة إلى تعليق. وفى "الشرح" تم التعرف على أنواع الشروح الثلاثة، التفسير ابتداء من اللفظ، والتلخيص اقتناصا للمعنى، والجامع توجها نحو الشئ.

أما "التحول" فإنه غلب عليه رصد الشكل لمعرفة مراحل التأليف ابتداء من العرض ، الجزئى والكلى، والنسقى المنطقى، والنسقى الشعبى، ثم الأدبى. كما تم وصف مراحل التأليف الست: تمثل الوافد، تمثل الوافد قبل تنظير الموروث، تمثل الوافد مع تنظير الموروث، تنظير الموروث قبل تمثل الوافد، تنظير الموروث، وأخيرا الإبداع الخالص. فلما أتى المجلد الثالث "الإبداع" تم التحول من الشكل إلى المضمون

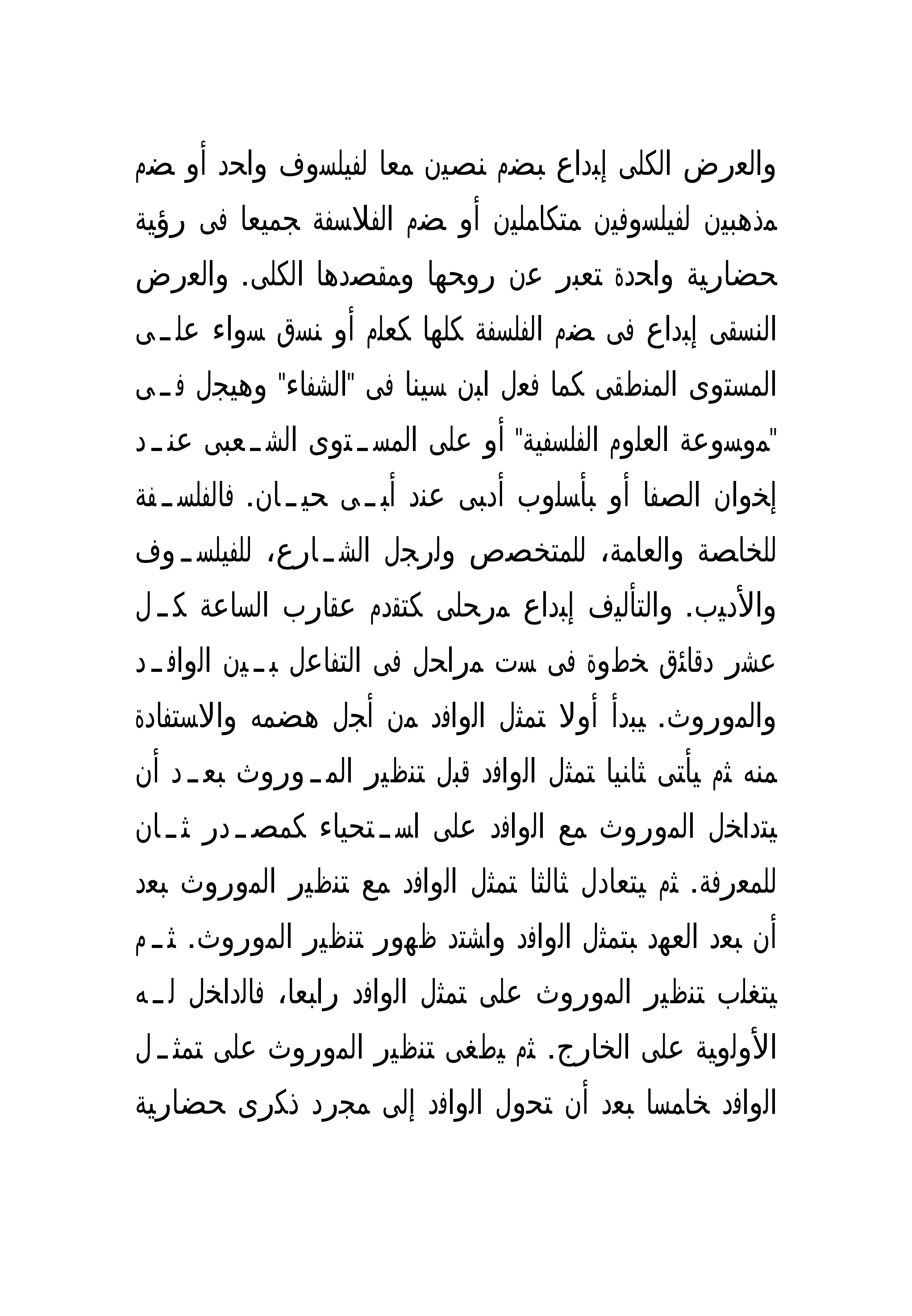
لمعرفة كيف نشأت علوم الحكمة من نقد علم الكلام والتوحيد بين الدين والفلسفة وتصنيف العلـوم ثـم عـرض الحكمـة النظرية: المنطق، والطبيعيات والإلهيات، والنفس ثم الحكمة العملية: الأخلاق، والاجتماع والسياسة، والتاريخ. وكان مـن الضرورى استرجاع كل نصوص "التحول" وإدخالهـا فـى "الإبداع"، والتحول من تحليل الشكل إلى وصف المضـمون. إلا أنه تم الاكتفاء بالنصوص الكبرى فى "الإبـداع" خاصـة وأن مادتها متكررة. ومن ثم كان السؤال عن نص ضرورى فى "الإبداع" سؤالا شرعيا نظرا لأنه استعمل من قبـل فـى "التحول". وبرزت مسألة دائمة أين موقع هـذا الـنص فـى "التحول" من حيث الشـكل أو فـى "الإبـداع" مـن حيـث المضمون؟

د – ظهر الإبداع متشظيا متجزئا متناثرا جزئيا فى كل نص على حدة، ولدى كل فيلسوف كجزيـرة منعزلـة دون نظرية شاملة للإبداع الفلسفى تلم الأجزاء وتستخلص النتائج العامة. صحيح أن الإبداع فى كل مرحلة. "فالنقل" إبداع فـى التدوين، فى تدوين التاريخ وقراءتـه وضـم الوافـد إلـى الموروث فى رؤية فلسفية إنسانية حضارية عامة. وتبلغ قمة



الإبداع فى التدوين فى الانتحال، إكمال الناقص فى الوافد بإبداع الموروث فيه. والترجمة إبداع تتجاوز النقل الحرفى إلى النقل المعنوى، فالهدف هو النص الجديد وليس النص القديم، المتلقى وليس المؤلف، الحضارة الجديدة وليس الحضارة القديمة، العرب المسلمين وليس اليونان والرومان غربا أو فارس والهند شرقا. ونشأة المصطلح الفلسفى إبداع. فلأول مرة فى اللغة العربية، لغة الشعر والخيل والسيف والبيداء تتحول إلى لغة الجوهر والعرض، والصورة والمادة، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة نقلا من اللغة الحسية العادية إلى المصطلح الفلسفى المجرد. والشرح بأنواعه الثلاثة، التفسير والتلخيص والجامع، إبداع طبقا لمستويات اللغة الثلاثة، اللفظ والمعنى والشئ. الشرح للفظ والعبارة وتركيب الجملة. والتلخيص التعبير عن المعنى بإيجاز ووضوح بعد تخليصه من ألفاظه وعباراته الأولى. والجامع اتجاه نحو الشئ ورؤيته وكشفه وتصويره فى قضايا قصيرة مركزة وكأن الشئ يتحدث عن نفسه.

و"التحول" إبداع، إبداع فى العرض الجزئى والقدرة على فهم كل نص على حدة والتعرف على موضوعه وقصده.


والعرض الكلى إبداع بضم نصين معا لفيلسوف واحد أو ضم مذهبين لفيلسوفين متكاملين أو ضم الفلاسفة جميعا فى رؤية حضارية واحدة تعبر عن روحها ومقصدها الكلى. والعرض النسقى إبداع فى ضم الفلسفة كلها كعلم أو نسق سواء على المستوى المنطقى كما فعل ابن سينا فى "الشفاء" وهيجل فى "موسوعة العلوم الفلسفية" أو على المستوى الشعبى عند إخوان الصفا أو بأسلوب أدبى عند أبى حيان. فالفلسفة للخاصة والعامة، للمتخصص ولرجل الشارع، للفيلسوف والأديب. والتأليف إبداع مرحلى كتقدم عقارب الساعة كل عشر دقائق خطوة فى ست مراحل فى التفاعل بين الوافد والموروث. يبدأ أولا تمثل الوافد من أجل هضمه والاستفادة منه ثم يأتى ثانيا تمثل الوافد قبل تنظير الموروث بعد أن يتداخل الموروث مع الوافد على استحياء كمصدر ثان للمعرفة. ثم يتعادل ثالثا تمثل الوافد مع تنظير الموروث بعد أن بعد العهد بتمثل الوافد واشتد ظهور تنظير الموروث. ثم يتغلب تنظير الموروث على تمثل الوافد رابعا، فالداخل له الأولوية على الخارج. ثم يطغى تنظير الموروث على تمثل الوافد خامسا بعد أن تحول الوافد إلى مجرد ذكرى حضارية

قديمة. وأخيرا يظهر الإبداع الخالص عندما يختفى تنظير الموروث أيضا ولا يبقى إلا الإبداع الخالص دون مكونيه الأوليين، اعتمادا على العقل وحده الذى استقل بنفسه ووضع موضوعه دون ما حاجة إلى "عكازين" من الخارج أو الداخل. وهى ليست مراحل تاريخية متوالية فى الزمان، بل مراحل بنيوية خارج الزمان فى بنية الموضوع نفسه[١].

و"الإبداع" إبداع سواء فى تكوين الحكمة وتجاوز علم الكلام بعد نقده والتخلص من موضوعه ومنهجه أو فى التوحيد بين الفلسفة والدين أى بين الحكمة والشريعة فى نسق معرفى واحد أو فى إحصاء العلوم ووضع المعرفة الانسانية كلها فى نسق واحد. والحكمة النظرية إبداع سواء فى المنطق تدرجا من عرض المنطق الصورى القديم إلى نقضه إلى أقيسة الرسول حتى المنطق المتكامل فى الميزان. والطبيعيات والإلهيات علم واحد بالتضايف بين النفى والإثبات على التبادل. والنفس إبداع فى وظيفتها المزوجة بين قوى البدن وقوى الروح. والحكمة العملية إبداع فى الأخلاق الإنسانية العامة وفى الاجتماع السياسى وتكوين

(١) بلغة البنيويين المعاصرين، التوالى فى الزمان Diachronic، والبنية خارج الزمان Synchronic.

المدن الفاضلة أو فى التاريخ وصياغة صور التقدم ابتداء من قصص الأنبياء ودورات التاريخ.

هـ - ومع ذلك جاء المجلد الثالث كله "الإبداع" بأجزائه الثلاثة "تكوين الحكمة"، "الحكمة النظرية"، "الحكمة العمليـة" أقرب إلى النقل منه إلى الإبداع. ففى "تكوين الحكمة" كـان "نقد علم الكلام"، و"الفلسـفة والـدين"، و"إحصـاء العلـوم" موضوعات تقليدية يتم فيها رصـد مواقـف القـدماء دون تجاوزها تجاوزا ملحوظا ملفتا للأنظار. و"الحكمة النظريـة" "المنطق"، و"الطبيعيات والإلهيات" و"النفس" قسـمة تقليديـة موروثة. وقدر تجاوز المنطق القديم إلـى المنطـق الجديـد والانتهاء بالمنطق الشعورى تعرضت إليه كثير من الدراسات المنطقية من قبل. ويخشى أن يكون فيه انتقال من الغزالـى وابن تيمية إلى هوسرل والظاهريات وعلـوم التأويـل فـى الغرب المعاصر. بل إن ضم الطبيعيات والإلهيات فى علـم واحد سبق إليه الفارابى فى "إحصاء العلوم". و"النفس" لـيس به جديد إلا من تجاوز الثنائية القديمة، النفس والبدن. ويغلب على "الحكمة العملية" الأخلاق التقليدية، والاجتماع والسياسة القديمان، وربما الإضافة هى فى إعلان النوايا عن ضـرورة

إضافة التاريخ ورصد اجتهادات القدماء فى فلسـفة التـاريخ انتهاء بتطويره. وكان السبب فى ذلك رغبة التواصـل مـع القدماء فجاء التواصل أكثر من الانقطاع. ولم يستيقظ الكندى والرازى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن باجـه وابـن طفيل وأبو حيان ولم يبعثوا فى هذا العصر. ولم نعـرف إذا استيقظ ابن سينا الآن فكيف يكتب "الشـفاء"، وكيـف يقسـم الحكمة؟ وإذا بعث ابن رشد اليوم فمن يشرح؟ مـن خليفـة أرسطو اليوم؟ هيجل؟ وأى مدينة فاضلة يكتبها الفـارابى أو ابن باجه اليوم؟ هذا ما لم يجب عليه "من النقل إلى الإبـداع" حتى الآن. ربما عرفنا "النقل" فـى المجلـد الأول وعرفنـا "التحول" من المجلد الثانى، ولكننا لم نعرف "الإبداع" الـذى ظل أقرب إلى نقل القدماء من اجتهادات المحـدثين. وهـو اعتراض صحيح. يبدو سببه أن الهم كـان وصـف حكمـة القدماء أكثر من وضع حكمة للمحدثين. مازال الهم هو حسن فهم القدماء درءا لشبهة التقليد والتبعيـة والتحليـل العلمـى الدقيق للقديم أكثر من تطويره على مستوى المحدثين. وربما كان الدافع هو أن هذا المطلب هو وظيفة "الجبهـة الثانيـة" الموقف من التراث الغربى وإعادة استئناف علـوم الحكمـة

القديمة فى لحظة تاريخية ثانية، هى اللحظة الغربية، الفلسفة الحديثة والمعاصرة والتى نحن على اتصال معها منذ فجـر النهضة العربية الحديثة عبر رواد النهضة ثم بعـد تأسـيس أقسام الفلسفة فى الجامعات المصرية[١].

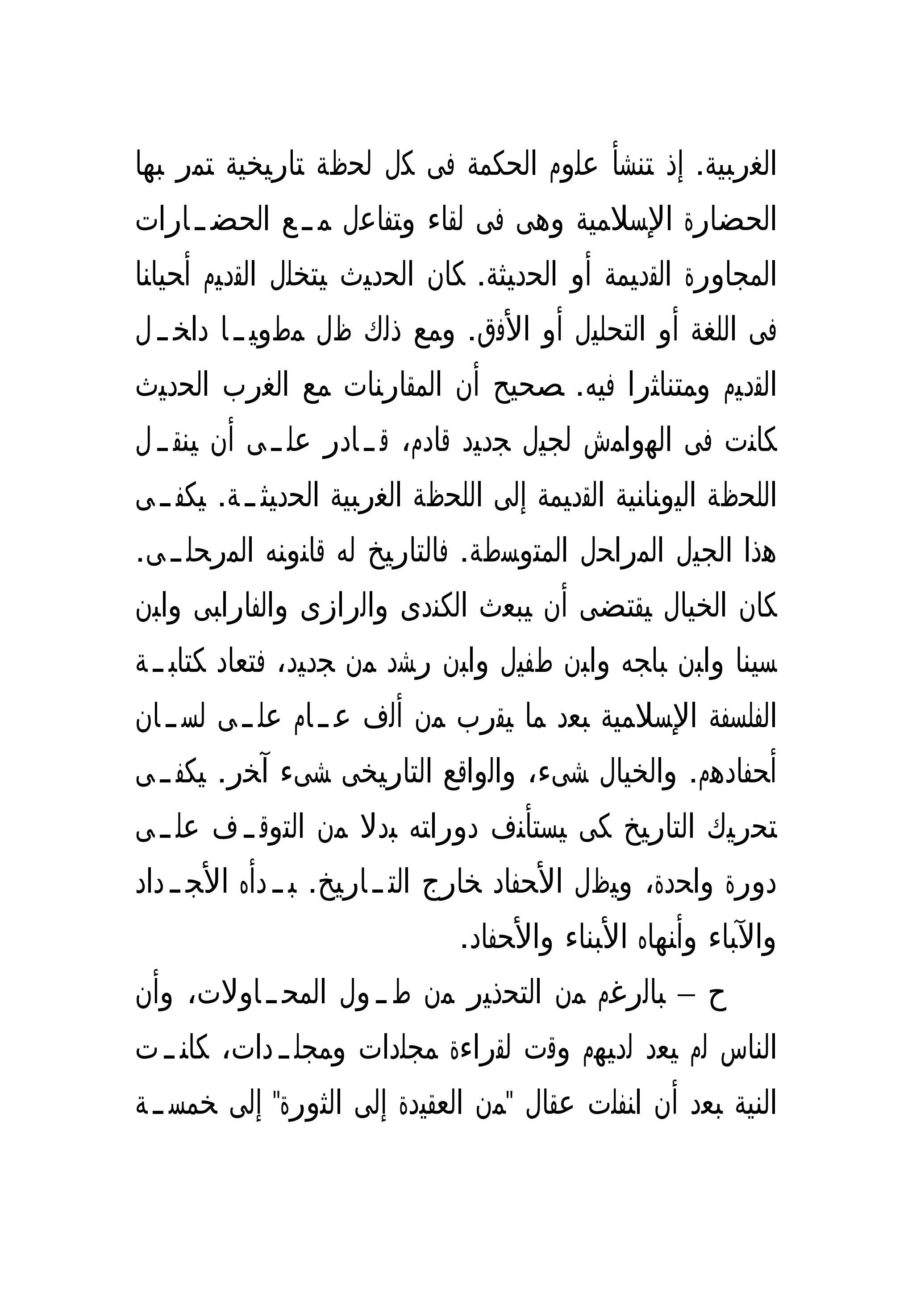
و – توارى تطوير الإبداع القديم إلى الإبـداع الجديـد، فغلب القديم على الجديد. وتم الاكتفاء بالإبـداع القـديم دون تطويره إلى إبداع جديد سواء فى الحكمة النظرية أو الحكمة العملية. جاءت الحكمتان عرضا أكثر منهما تطويرا، ورصدا أكثر منهما قراءة. ربما كان السبب فى ذلك الحرص علـى العلم دون الأيديولوجيا ،وعلى التحليل دون التركيب، وعلـى الموضوع دون الذات. لم يظهر الإبداع الجديد إلا فى الخاتمة فى التساؤل حول إمكانية قيام منطـق جديـد أو طبيعيـات شعورية شعرية جديدة أو رؤية أحادية للإنسان لا تنفصل فيه النفس عن البدن. وفى الحكمة العملية كـان الجديـد أيضـا تساؤلا حول إمكانية رد الأخلاق المثاليـة المعياريـة إلـى

---

(١) تعامل رواد النهضة الأوائل مع المفكرين الغـربيين مثـل الطهطـاوى وفلاسفة التنوير، وشبلى شميل وداروين، والأفغانى ورينان، ومحمد حسين هيكل وروسو، وعثمان أمين وديكارت وكانط ورواد المثالية فى الفلسـفة الغربية.

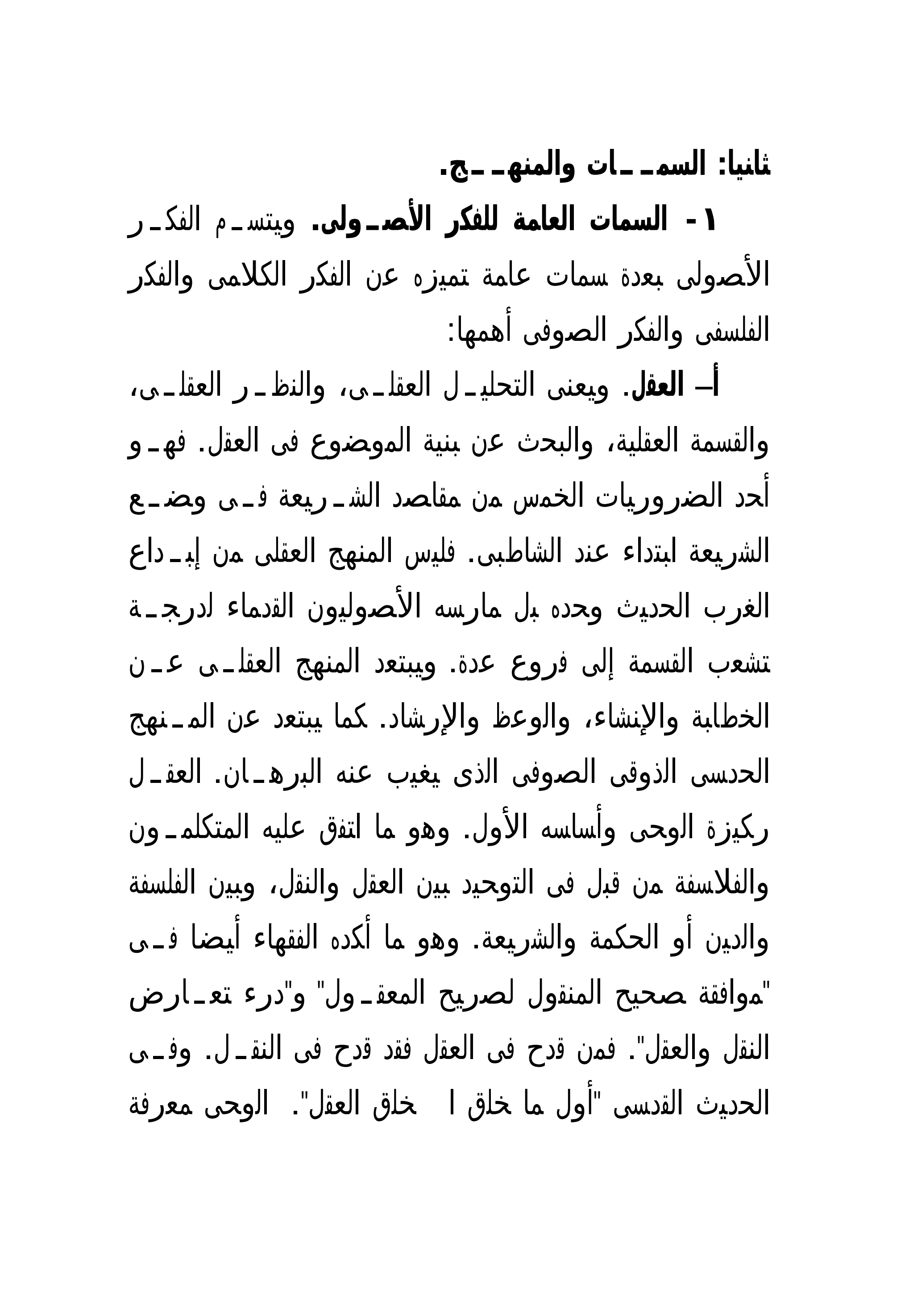
تحليلات طبقية، أخلاق الطبقة العليا فى السيطرة، والطبقة الوسطى فى القانون والنظام، والطبقة الدنيا فى التعايش من أجل البقاء. وربما كان الإبداع فى الاجتماع السياسى هو التساؤل حول الدولة الوطنية والصلة بينها وبين المجتمع. وكان الإبداع فى التاريخ فى محاولة الحفر عن فلسفة فى التاريخ ضمن علوم الحكمة، وتحديد مراحل التقدم، وكيفية قيام الدول وسقوطها، والتصورات المختلفة للتاريخ الخطى أو الدائرى، وجدل الضرورة والحرية، والقانون التاريخى والعمل الانسانى الحر الفردى والجماعى، مع إعادة قراءة لابن خلدون ولو أنه أقرب إلى التاريخ باعتباره مؤرخا وليس إلى الفلسفة باعتبار التاريخ أحد عناصرها. ربما كان الدافع على ذلك أيضا خشية الإطالة. وربما كان من الحكمة ترك ذلك لجيل جديد يعيد بناء الحكمتين النظرية والعملية ابتداء من روح العصر، بحيث يتغلب الإبداع الجديد على الإبداع القديم، وبحيث لا يبقى القديم إلا كذكريات تتوارى فى الوعى الفلسفى التاريخى.

ز – غرق "من النقل إلى الإبداع" فى اللحظة القديمة، اللحظة اليونانية، دون نقلها إلى اللحظة الحديثة، اللحظة


الغربية. إذ تنشأ علوم الحكمة فى كل لحظة تاريخية تمر بها الحضارة الإسلامية وهى فى لقاء وتفاعل مـع الحضـارات المجاورة القديمة أو الحديثة. كان الحديث يتخلل القديم أحيانا فى اللغة أو التحليل أو الأفق. ومع ذلك ظل مطويـا داخـل القديم ومتناثرا فيه. صحيح أن المقارنات مع الغرب الحديث كانت فى الهوامش لجيل جديد قادم، قـادر علـى أن ينقـل اللحظة اليونانية القديمة إلى اللحظة الغربية الحديثـة. يكفـى هذا الجيل المراحل المتوسطة. فالتاريخ له قانونه المرحلـى. كان الخيال يقتضى أن يبعث الكندى والرازى والفارابى وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد من جديد، فتعاد كتابـة الفلسفة الإسلامية بعد ما يقرب من ألف عـام علـى لسـان أحفادهم. والخيال شىء، والواقع التاريخى شىء آخر. يكفـى تحريك التاريخ كى يستأنف دوراته بدلا من التوقـف علـى دورة واحدة، ويظل الأحفاد خارج التـاريخ. بـدأه الأجـداد والآباء وأنهاه الأبناء والأحفاد.

ح – بالرغم من التحذير من طـول المحـاولات، وأن الناس لم يعد لديهم وقت لقراءة مجلدات ومجلـدات، كانـت النية بعد أن انفلت عقال "من العقيدة إلى الثورة" إلى خمسـة

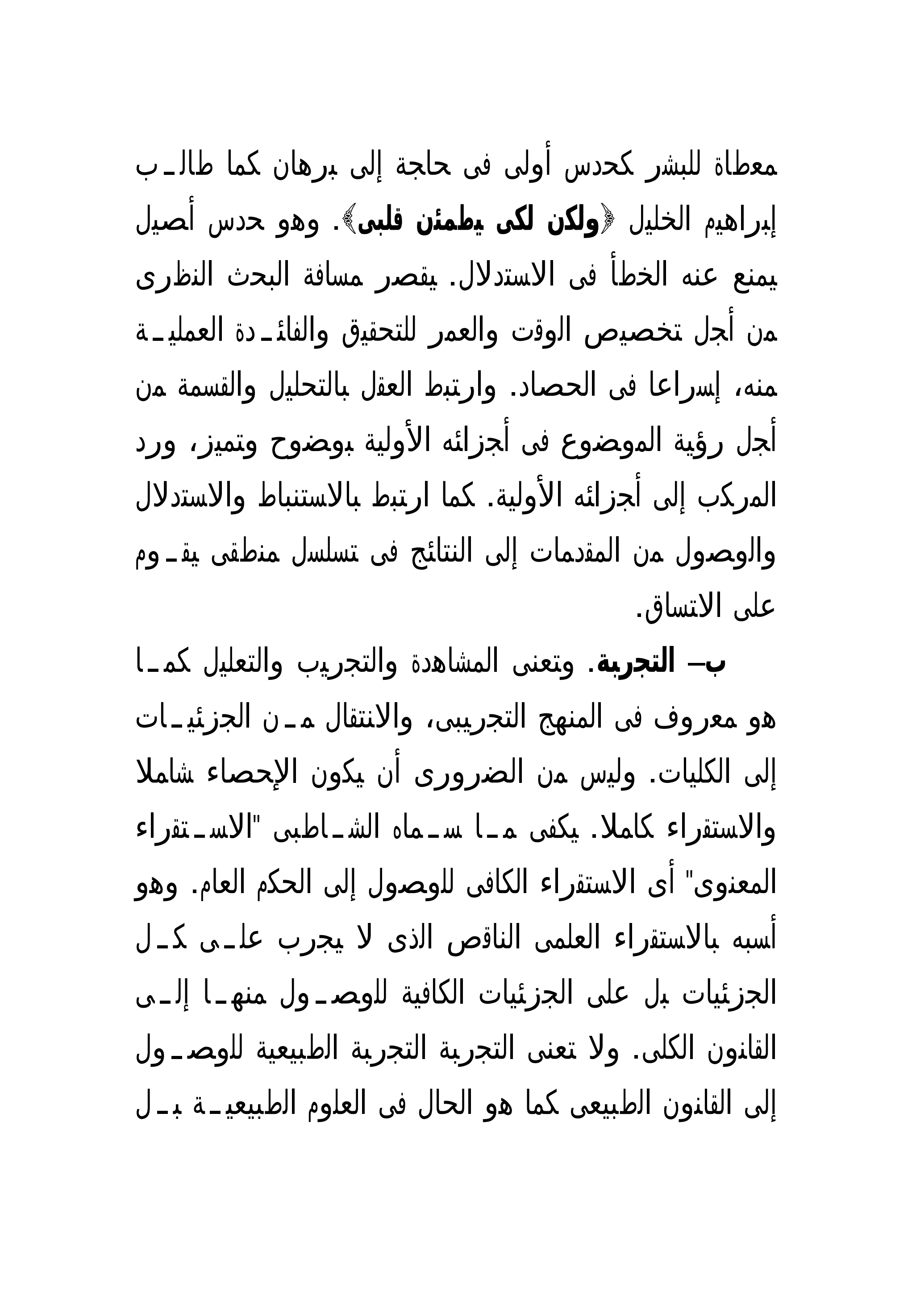
مجلدات تقليص "من النقل إلى الإبداع" إلى اثنين فقط، الأول النقل، والثانى الإبداع. ولما تضخم الإبداع ظهر جزء ثالث، التحول، مرحلة وسطى للعرض والتأليف والتراكم بين النقل والإبداع. ولسهولة النشر والطباعة والحمل تم تفصيل المجلد الأول فى ثلاثة أجزاء، والثانى فى ثلاثة، والثالث فى ثلاثـة مما أدى إلى الارتباك فى عدد الأجزاء من الأول إلى التاسع أو من الأول إلى الثالث لكل مجلد. لذلك تجددت النيـة مـن جديد إلى أن يكون "من النص إلى الواقع" جزءا واحدا ولـن تتعدد الأجزاء بأى حال. وإذا كان "من العقيدة إلى الثورة" قد استغرق ثلاثة عشر عاما (١٩٧١-١٩٨٤) و"من النقل إلـى الإبداع" ستة عشر عاما (١٩٨٤-٢٠٠٠) فكم فى العمر من عشرات الأعوام وأنا فى نهاية العقد السابع؟ والتـأليف الآن فى منتصف الطريق يبدو أيضا أن الجزء الواحد قد يتحـول إلى جزأين، الأول "تكوين النص"، والثانى "بنية النص" وربما الأول "النص، التكوين والبنية"، والثـانى "الـنص، الواقـع والتجربة" ولكنى مازلت إلى الاختيار الأول أقرب.



ثانيا: السمات والمنهج.

١ - السمات العامة للفكر الأصولى. ويتسم الفكر الأصولى بعدة سمات عامة تميزه عن الفكر الكلامى والفكر الفلسفى والفكر الصوفى أهمها:

أ– العقل. ويعنى التحليل العقلى، والنظر العقلى، والقسمة العقلية، والبحث عن بنية الموضوع فى العقل. فهو أحد الضروريات الخمس من مقاصد الشريعة فى وضع الشريعة ابتداء عند الشاطبى. فليس المنهج العقلى من إبداع الغرب الحديث وحده بل مارسه الأصوليون القدماء لدرجة تشعب القسمة إلى فروع عدة. ويبتعد المنهج العقلى عن الخطابة والإنشاء، والوعظ والإرشاد. كما يبتعد عن المنهج الحدسى الذوقى الصوفى الذى يغيب عنه البرهان. العقل ركيزة الوحى وأساسه الأول. وهو ما اتفق عليه المتكلمون والفلاسفة من قبل فى التوحيد بين العقل والنقل، وبين الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة. وهو ما أكده الفقهاء أيضا فى "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول" و"درء تعارض النقل والعقل". فمن قدح فى العقل فقد قدح فى النقل. وفى الحديث القدسى "أول ما خلق ا خلق العقل". الوحى معرفة



معطاة للبشر كحدس أولى فى حاجة إلى برهان كما طالب إبراهيم الخليل ﴿**ولكن لكى يطمئن قلبى**﴾. وهو حدس أصيل يمنع عنه الخطأ فى الاستدلال. يقصر مسافة البحث النظرى من أجل تخصيص الوقت والعمر للتحقيق والفائدة العملية منه، إسراعا فى الحصاد. وارتبط العقل بالتحليل والقسمة من أجل رؤية الموضوع فى أجزائه الأولية بوضوح وتميز، ورد المركب إلى أجزائه الأولية. كما ارتبط بالاستنباط والاستدلال والوصول من المقدمات إلى النتائج فى تسلسل منطقى يقوم على الاتساق.

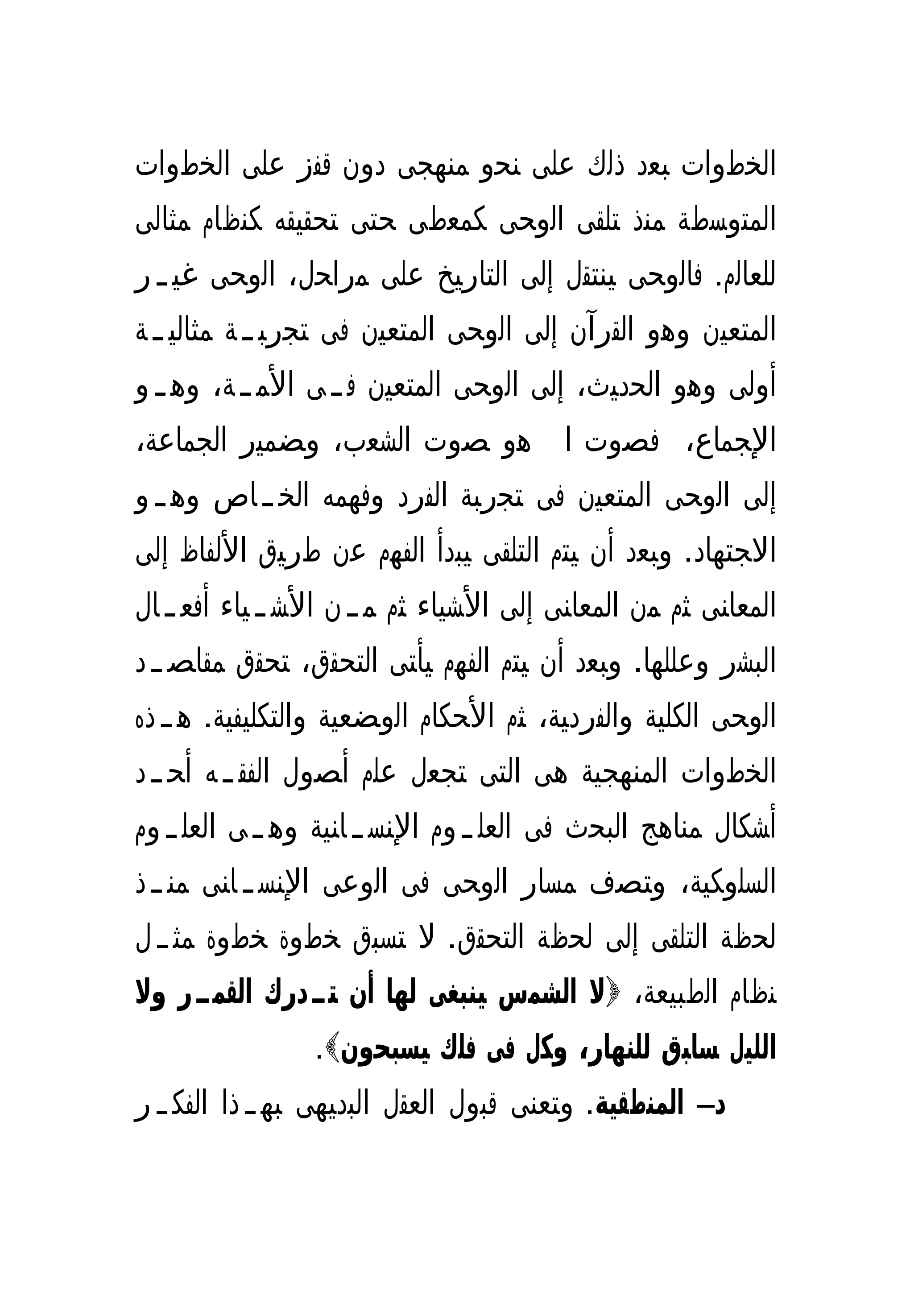
ب- التجربة. وتعنى المشاهدة والتجريب والتعليل كما هو معروف فى المنهج التجريبى، والانتقال من الجزئيات إلى الكليات. وليس من الضرورى أن يكون الإحصاء شاملا والاستقراء كاملا. يكفى ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى" أى الاستقراء الكافى للوصول إلى الحكم العام. وهو أشبه بالاستقراء العلمى الناقص الذى لا يجرب على كل الجزئيات بل على الجزئيات الكافية للوصول منها إلى القانون الكلى. ولا تعنى التجربة التجربة الطبيعية للوصول إلى القانون الطبيعى كما هو الحال فى العلوم الطبيعية بل

التجربة الانسانية واطراد حقائقها للوصـول إلـى جـوهر الطبيعة البشرية. تلك وظيفة مراحل الوحى فـى التـاريخ، ومساهمته فى تطوير الـوعى البشـرى ومسـاعدته علـى الاستقلال، عقلا وإرادة، وتجريب الشـريعة علـى الواقـع الإنسانى حتى تتم صياغتها طبقا لقدرات البشر وإمكانيـات الفعل. الوحى تجريبى بمعنى أنـه يسـاير تطـور الـوعى الانسانى ويدفع على تقدمه. والشريعة تجريبية بمعنى أنها تُقد طبقا للقدرات كما هو معروف فى "الناسخ والمنسوخ" لرفـع الحرج، وعدم تكليف ما لا يطاق، واليسر دون العسر. فـى حين أن التجربة فى الغرب الحديث على نقيض العقل وضده. ولابد من الاختيار بين العقل أو التجربة، بين الاسـتنباط أو الاستقراء، بين الفلسفة أو العلم. وهى الثنائية، ثنائية الـنفس والبدن، التى مزقت الوعى الأوربى فـى بدايـة العصـور الحديثة[1].

جـ- المنهجية. والمنهجية سمة طبيعية للعقل والتجربة وهما المنهجان اللذان بدأ بهما الـوعى الأوربـى الحـديث. وتعنى البحث عن نقطة بداية يقينية يبدأ بها العلم ثم تتـوالى

---

(١) أنظر: مقدمة فى علـم الاسـتغراب، الـدار الفنيـة، القـاهرة ١٩٩٠، ص٢٤٧-٢٤٩.



الخطوات بعد ذلك على نحو منهجى دون قفز على الخطوات المتوسطة منذ تلقى الوحى كمعطى حتى تحقيقه كنظام مثالى للعالم. فالوحى ينتقل إلى التاريخ على مراحل، الوحى غير المتعين وهو القرآن إلى الوحى المتعين فى تجربة مثالية أولى وهو الحديث، إلى الوحى المتعين فى الأمة، وهو الإجماع، فصوت ا   هو صوت الشعب، وضمير الجماعة، إلى الوحى المتعين فى تجربة الفرد وفهمه الخاص وهو الاجتهاد. وبعد أن يتم التلقى يبدأ الفهم عن طريق الألفاظ إلى المعانى ثم من المعانى إلى الأشياء ثم من الأشياء أفعال البشر وعللها. وبعد أن يتم الفهم يأتى التحقق، تحقق مقاصد الوحى الكلية والفردية، ثم الأحكام الوضعية والتكليفية. هذه الخطوات المنهجية هى التى تجعل علم أصول الفقه أحد أشكال مناهج البحث فى العلوم الإنسانية وهى العلوم السلوكية، وتصف مسار الوحى فى الوعى الإنسانى منذ لحظة التلقى إلى لحظة التحقق. لا تسبق خطوة خطوة مثل نظام الطبيعة، ﴿**لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق للنهار، وكل فى فلك يسبحون**﴾.

د- **المنطقية**. وتعنى قبول العقل البديهى بهذا الفكر

المنهجى بلا اعتراض أساسى. فكل تساؤل له إجابة، وكـل اعتراض له رد. ويتخيل الفكر الاعتراض مسبقا للرد عليـه حتى يكفل الاتساق المنطقـى والإحكـام النظـرى ورؤيـة الموضوع من كل جوانبه، والجمع بين "وجهات النظر" كلها فى رؤية متكاملة للموضوع. لا يوجد فى الفكر الأصولى ما يخرج على قواعد المنطق وأصول الفهم السليم. وهو منطق عملى يقوم على الفهم المشترك والخبرة المتبادلة وليس منطقا صوريا يضع القضـايا، ويصـف أشـكالها المتطابقـة أو المتناقضة كألعاب الشطرنج أو الكراسى الموسـيقية. يعنـى المنطق البداهة، والانتقال من بداهة أولى إلى بداهة ثانية كما هو الحال فى علم البـداهات أو المصـادرات أو المبـادئ الأولى[1]. لذلك يمكن ضم المذاهب الفقهية فى نسق أصـولى واحد، والجمع بين القواعد فى نسق منطقى واحـد. جوانبـه اختيارات بشرية محتملة طبقا للظروف والإمكانيات، تتراوح بين المثال والواقع، بين ما يجب أن يكون وما هـو كـائن. وتقوم المنطقية على البداهـة والاتسـاق، البداهـة كبدايـة،

---

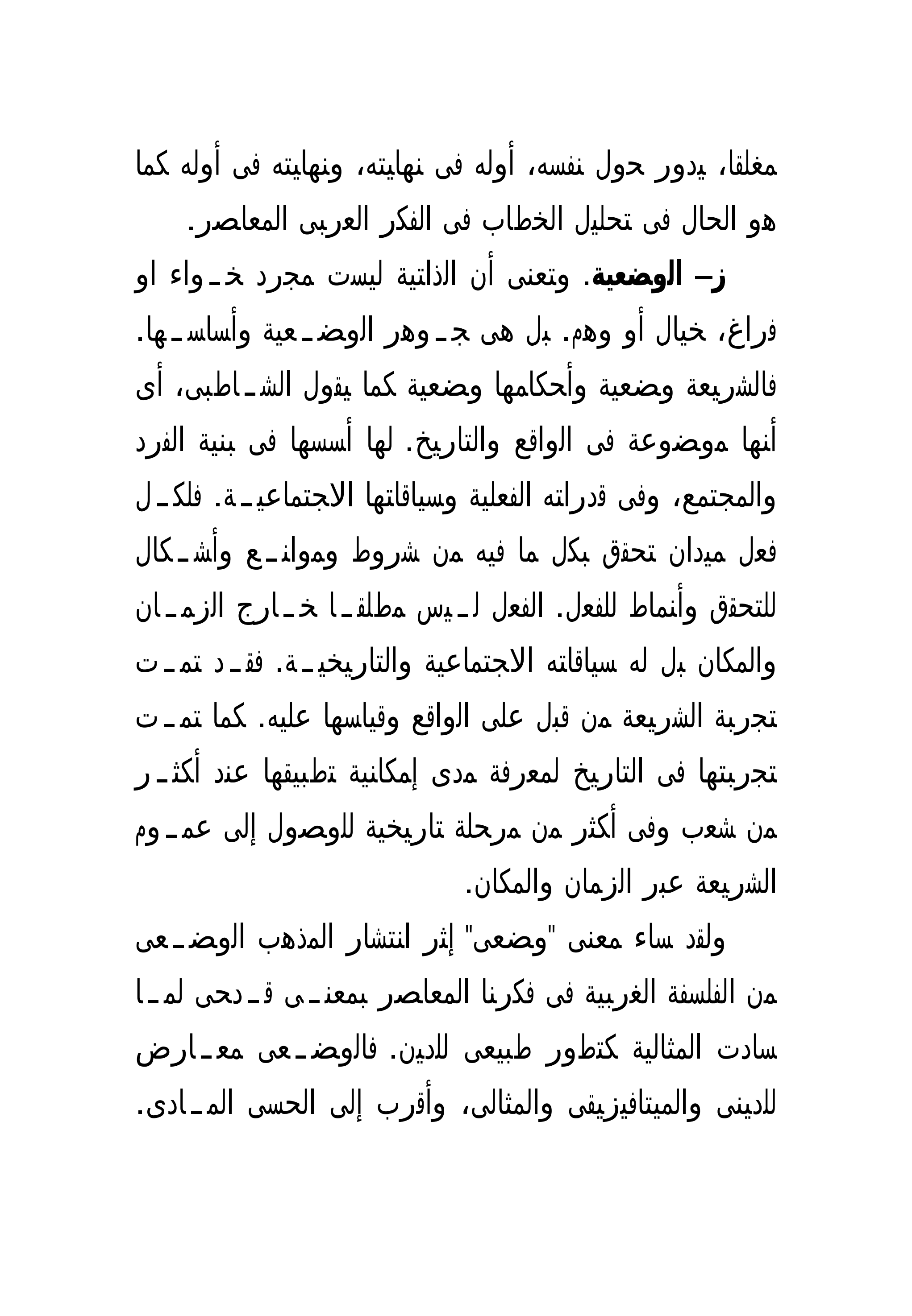
(١) أنظر دراستنا: Hermeneutics as Axiomatics فـى: Religious Dialogue and Revolution, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, ١٩٧٧, pp. ١-٢٠.

والاتساق كمسار، والتحقق كنهاية.

هـ- الفطرة. وهى الطبيعة البشرية الثابتـة المطـردة بصرف النظر عن الدين والفرقة والمذهب والطائفة والجنس والعمر والعصر والمرحلة التاريخية. وهى التى أشار إليهـا القرآن ﴿**فطرة ا التى فطر الناس عليها، لا تبـديل لخلـق ا** ﴾. وقد سماها أيضا "الصبغة" ﴿**صبغة ا ومن أحسن من ا صبغة**﴾. وسماها أيضا "سنة"، ﴿**سنة ا ، ولن تجد لسنة ا تبديلا**﴾. فلا يخص علم أصول الفقه دينا معينا أو شـعبا خاصا أو نحلة أو ملة بل يتجاوز كـل هـذه الفـروق إلـى الطبيعة البشرية الأصلية، الحد الأدنى المشترك بين الشعوب، الجامع بين الناس والثقافات. وهى فطرة الخلق التى لا تتبدل مهما تبدلت العصور والأزمان. هى البراءة الأولى قبـل أن تتبدد فى الأوضاع الاجتماعية، وتتشابك وتتداخل وتتعقد فى السياق البشرى. لذلك يظل علم الأصول ثابتا لا يتغيـر وإن تغيرت مادته. وهو منطق الوحى بعد أن اكتمـل فـى خـتم النبوة، وبعد أن اكتمل الوعى الانسانى عقلا مسـتقلا وإرادة حرة.

و- الذاتيـة. وتعنى أفق التحليل وميدانه. فالوحى عندما

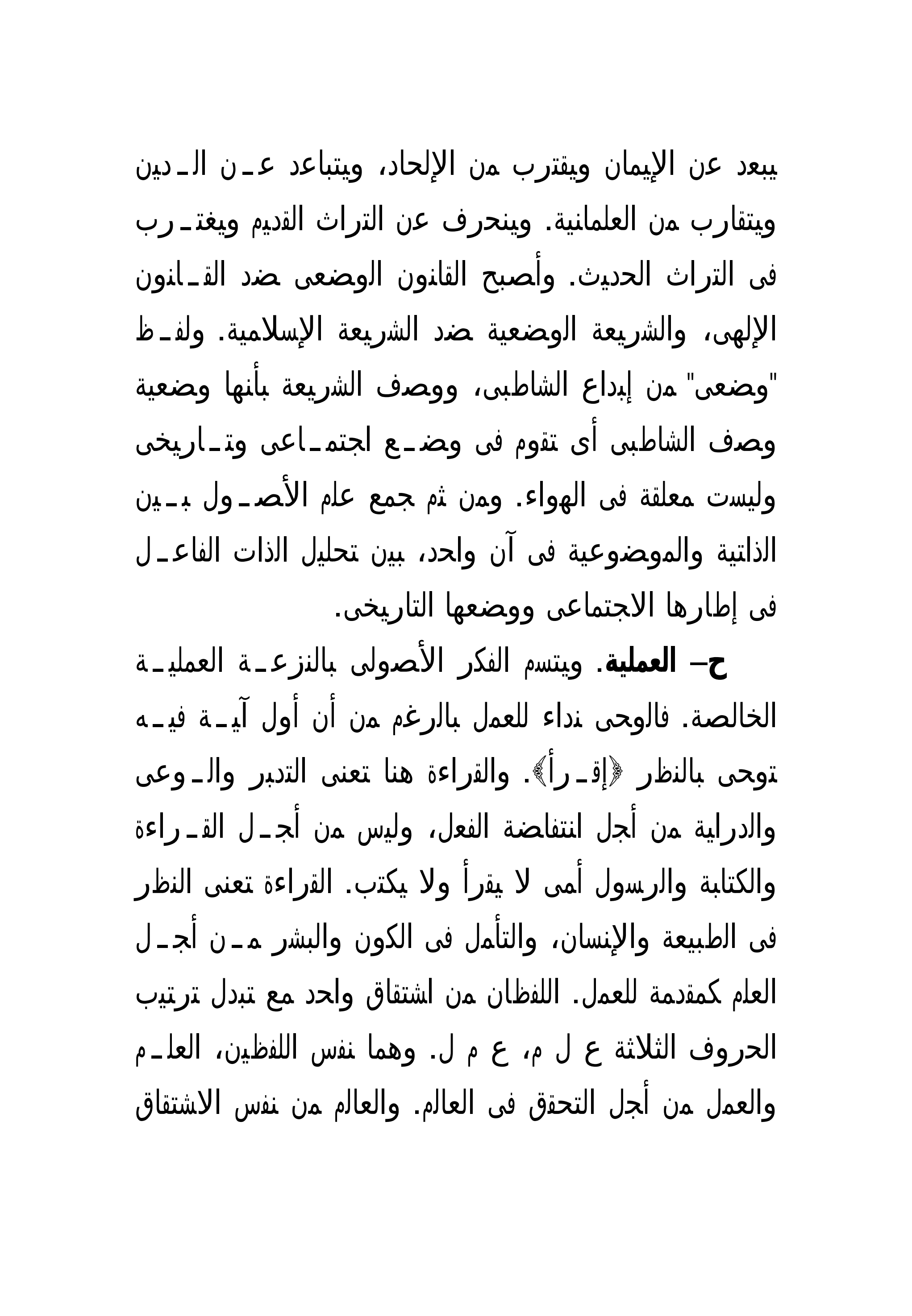
ينتقل إلى التاريخ يمكن وصفه من حيث صحة المسار التاريخى وهو موضوع النقد التاريخى للكتب المقدسة. ويمكن وصفه باعتباره مدرَكا بشريا كما هو الحال فى علوم التأويل أو الهرمنيطيقا. ويمكن تحقيقه باعتباره نظاما مثاليا للعالم كما هو الحال فى العلوم الانسانية، الأخلاق والاجتماع والسياسة. ميدان الوصف إذن هو العالم الانسانى. وجوهر العالم الانسانى وبؤرته هى الذاتية. فتلقى الوحى فى الوعى الانسانى الفردى والجماعى. وفهم الوحى فى الوعى الانسانى باللغة وبالعالم. وتطبيق الوحى بالفعل الانسانى الذى يحقق مقاصده. فالذاتية هى أفق التحليل وميدان الوصف كما لاحظ إقبال وكما هو الحال فى بداية الفلسفة الغربية الحديثة بالكوجيتو الديكارتى "أنا أفكر فأنا إذن موجود"، وتطوره فى المثالية الترنسندنتالية حتى اكتمالها فى الظاهريات، فينومينولوجيا هوسرل. الوحى فى الشعور كقصد بين اللغة والعالم، بين الكلمة والوجود. عالم الذاتية إذن ليس عالما منغلقا على الذات بل هو عالم منفتح على اللغة التى عبر بها الوحى من خلالها ومتجه نحو التحقق فى العالم. فالوحى قصد متجه نحو العالم وليس فقط خطابا  Discours لغويا



مغلقا، يدور حول نفسه، أوله فى نهايته، ونهايته فى أوله كما هو الحال فى تحليل الخطاب فى الفكر العربى المعاصر.

ز- الوضعية. وتعنى أن الذاتية ليست مجرد خـواء او فراغ، خيال أو وهم. بل هى جـوهر الوضـعية وأساسـها. فالشريعة وضعية وأحكامها وضعية كما يقول الشـاطبى، أى أنها موضوعة فى الواقع والتاريخ. لها أسسها فى بنية الفرد والمجتمع، وفى قدراته الفعلية وسياقاتها الاجتماعيـة. فلكـل فعل ميدان تحقق بكل ما فيه من شروط وموانـع وأشـكال للتحقق وأنماط للفعل. الفعل لـيس مطلقـا خـارج الزمـان والمكان بل له سياقاته الاجتماعية والتاريخيـة. فقـد تمـت تجربة الشريعة من قبل على الواقع وقياسها عليه. كما تمـت تجربتها فى التاريخ لمعرفة مدى إمكانية تطبيقها عند أكثـر من شعب وفى أكثر من مرحلة تاريخية للوصول إلى عمـوم الشريعة عبر الزمان والمكان.

ولقد ساء معنى "وضعى" إثر انتشار المذهب الوضـعى من الفلسفة الغربية فى فكرنا المعاصر بمعنـى قـدحى لمـا سادت المثالية كتطور طبيعى للدين. فالوضـعى معـارض للدينى والميتافيزيقى والمثالى، وأقرب إلى الحسى المـادى.



يبعد عن الإيمان ويقترب من الإلحاد، ويتباعد عن الدين ويتقارب من العلمانية. وينحرف عن التراث القديم ويغترب فى التراث الحديث. وأصبح القانون الوضعى ضد القانون الإلهى، والشريعة الوضعية ضد الشريعة الإسلامية. ولفظ "وضعى" من إبداع الشاطبى، ووصف الشريعة بأنها وضعية وصف الشاطبى أى تقوم فى وضع اجتماعى وتاريخى وليست معلقة فى الهواء. ومن ثم جمع علم الأصول بين الذاتية والموضوعية فى آن واحد، بين تحليل الذات الفاعل فى إطارها الاجتماعى ووضعها التاريخى.

ح- العملية. ويتسم الفكر الأصولى بالنزعة العملية الخالصة. فالوحى نداء للعمل بالرغم من أن أول آية فيه توحى بالنظر ﴿إقرأ﴾. والقراءة هنا تعنى التدبر والوعى والدراية من أجل انتفاضة الفعل، وليس من أجل القراءة والكتابة والرسول أمى لا يقرأ ولا يكتب. القراءة تعنى النظر فى الطبيعة والإنسان، والتأمل فى الكون والبشر من أجل العلم كمقدمة للعمل. اللفظان من اشتقاق واحد مع تبدل ترتيب الحروف الثلاثة ع ل م، ع م ل. وهما نفس اللفظين، العلم والعمل من أجل التحقق فى العالم. والعالم من نفس الاشتقاق

وله نفس الترتيب للعلم ع ل م بزيادة حرف المد بعد الحرف الأول إشارة إلى امتداد العـالم وسـعة آفاقـه. فـإذا كـان "الكوجيتو" الغربى "أنا أفكر فأنا إذن موجود" يعطى الأولوية للنظر على العمل وللفكر علـى الوجـود فـإن "الكوجيتـو" الإسلامى ﴿وقل اعملوا﴾، ﴿إنى عامل﴾، يعطـى الأولويـة للعمل على النظر، وللوجود على الفكـر[1]. لـذلك تعـددت القواعد الفقهية العامة مثل "عدم جواز تكليف ما لا يطـاق"، "رفع الحرج"، "الضرورات تبيح المحظورات"، "لا ضرر ولا ضرار" استنباطا من عدة آيات مثل ﴿**لا يكلف ا نفسـا إلا وسعها**﴾، ﴿**يريد ا بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾. وقـد كانت المثالية باستمرار مثالية عمل عنـد فشـتة[2]. وجعـل بلوندل "الفعل" تجل من التجليات الإلهيـة قبـل أن تحولـه البرجماتية والذرائعية إلى مجرد منفعة وتحقق أداتى.

ط – الإنسانية. بالرغم مـن أن الـوحى معطـى مـن الموحِى إلى الموحَى إليه إلا أنه مقصد نحو الإنسان والعالم،

---

(١) أنظر حوارنا مع الأخ أبى يعرب المرزوقى: العمل والنظر، دار فكـر، دمشق ٢٠٠٣.

(٢) أنظر كتابنا عن "فشته، فيلسوف المقاومة"، المجلـس الأعلـى للثقافـة، القاهرة ٢٠٠٣.

وحركة نحو البشر والتاريخ. وكما أن لا يجوز قلب القصد وجعله اتجاها من الموحَى إليه إلى الموحِى، ومن التاريخ إلى ما وراء التاريخ كما حدث فى "علم الكلام" عندما جعل موضوع الوحى "الذات والصفات والأسماء والأفعال" فإن علم أصول الفقه قد صمد ضد هذا القلب وظل علما انسانيا خالصا[1]. لا يتحدث عن الموحِى الا باعتباره الشارع أى الذى وضع الشريعة. ولا يصف الوحى إلا بعد تحققه فى التاريخ. لا يصف الوحى كما يفعل الفلاسفة فى نظرية "النبوة" على نحو رأسى، الوحى خارج التاريخ، بل يصف الوحى على نحو أفقى، الوحى فى التاريخ. لا يهتم بطريق الوحى من الموحِى إلى الموحَى إليه بل بمسار الوحى من الموحَى إليه إلى المتلقين منه، الكلمة فى التاريخ، الوحى أساس لنظام اجتماعى. الوحى قصد من "ا " إلى "الانسان"، يتوجه إليه بالخطاب. ويتحول إلى تجربة مثالية فى أقوال النبى وتجربة جماعية فى إجماع الأمة، وتجربة فردية فى اجتهاد الشخص. ثم يتم فهمه باللغة الانسانية التى من خلالها يفهم "الكلام" ثم يتم تحقيقه كمقاصد انسانية. الحياة (النفس)،

(١) من العقيدة إلى الثورة، جـ ٢ التوحيد، إلهيات أم إنسانيات، مدبولى، القاهرة ١٩٧٨، ص٦٠٠-٦٦٤.

والعقل، والمبدأ العام (الدين)، والكرامة الانسانية (العرض)، والثروة الوطنية والمال العام (المال). ويـتم ذلـك بالفعـل الانسانى كواجب ضرورى أو اختيـارى إيجابـا (الواجـب والمندوب) أو سلبا (المحرم والمكروه) أو كطبيعـة تلقائيـة تعبر عن الفطرة والبراءة الأصلية (المباح).

ومن ثم كانت كل محاولات الدعوة إلى حقوق الإنسـان بناء على الإعلان العالمى لحقوق الانسان فى الغرب الحديث إنما تكتفى بالنقل عن الوافد دون الحفر فى المـوروث فـى مقاصد الشريعة ثم إكمال "الإعلان العالمى لحقوق الانسـان" بإعلان آخر "الإعلان العالمى لحقوق الشعوب" إثر حركـات التحرر الوطنى وحق كل شعب فى تقرير المصير. إنما هـو الاستسهال بالإعلانات الجاهزة دون حفـر فـى المـوروث القديم، والانبهار بالغرب دون تحويل الغرب من مصدر العلم كى يكون موضوعا للعلم[1].

ى – **الأصالة.** وتعنى الإبداع الـذاتى. إذ يعتمـد علـم الأصول على المصدر الداخلى. فى العلوم النقليـة العقليـة المشابهة مثل الكلام والتصوف والحكمة، بعيدا عن المصادر

---

(١) أنظر: مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٩١، ص٥.

الخارجية. فلا يظهر الحكماء المتعاملين مع الخارج مثل الكندى والفاربى وابن سينا وابن رشد. علم أصول الفقه علم أصيل، إبداع ذاتى خالص نشأ مع علم أصول الدين قبل عصر الترجمة فى القرن الثانى الهجرى. وما قيل عن معرفة الشافعى باللغة اليونانية مجرد افتراض. ورد القياس الشرعى إلى القياس الأرسطى أخذ بالشبهات. له مصادره الداخلية فى حديث الرسول الشهير إلى معاذ عن الحكم بكتاب ا ثم بسنة رسول ا ثم الاجتهاد بالرأى دون تردد أو خوف. وتظهر بعض الألفاظ اليونانية المعربة مثل الموسيقى والسفسطة بعد أن تم تعريبها كما تم تعريب بعض الألفاظ الفارسية مثل استبرق، والهندية مثل مشكاة، واليونانية مثل صراط إلى العربية قبل نزول الوحى واستعمال الوحى لها[1]. فعلم الأصول بشقيه، أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم التصوف كلها قامت بدافع داخلى خالص. علوم الحكمة وحدها هى التى نشأت فى القرن الثالث بعد عصر الترجمة فى القرن الثانى من أجل وحدة المعرفة الانسانية بدلا من ازدواجية الموروث والوافد، القديم والجديد الذى

---

(١) ابن الهمام: التحرير جـ ٤٩/١ سفسطة، محب ا عبد الشكور، مسلم الثبوت جـ ٤٠/١.

يهدد وحدة الثقافة[1].

فى "الاحكام فى أصول الأحكام" لا يـذكر الاجـالينوس مرة واحدة للرد عليه فى قوله أن لغة اليونانيين أفضل اللغات وأن سائر اللغات إنما تشـبه إمـا نبـاح الكلـب أو نقيـق الضفادع[2]. وإذا ذكر سقراط أو أبقراط فكأسماء وأعلام مثل زيد وعمر. ويذكر السفسطائيون كنموذج تـاريخى لإنكـار العلم[3]. ويذكر سقراط الشهيد بكل تبجيل واحترام واستشهادا بقول له بعد أن نظر إلى رجـل يحـب الفلسـفة ويسـتحى ويستغرب عن حياته وكيف أنه لا يرضى بأن يكون فى آخر عمره أفضل مما كان فى أوله[4].

٢- كيف يمكن دراسة علم أصول الفقه؟ يمكن دراسـة علم أصول الفقه بعدة طرق تحددها مادة العلم التى توجد فى كتب علم الأصول مما يحتم اتباع منهج تحليـل النصـوص.

---

(١) من النقل إلى الإبداع، جـ ٢ النقل.
(٢) ابن حزم: الاحكام جـ ٣٢/١.
(٣) الباقلانى: التقريب والإرشاد جـ ٣٥٩/١.
(٤) أصول السرخسى جـ ٢٨٣/١، المستصفى جـ ١٠/١، المنخـول ص ٣٤، شـفاء الغليـل ص ٣٥٢، الواضـح جـ ٢٣٥/٢٠٢/١، جـ ١٧٠/٥، الوصول إلى الأصول جـ ١٤٠/١، الأحكام للأمدى، البحر المحيط جـ ٤٢٨/١..الخ.

صحيح أن هناك واقعا خارجيا نشأت النصوص فيه ولكن هذا الواقع يساعد فى شرح تكوين النص وليس فى فهم مكوناتـه الداخلية. لذلك يؤخذ فى الاعتبار تطور النصوص زمانيـا، ومحاولة التعرف على مراحلها فى المسار التـاريخى للعلـم ومنعطفاته. وهذا لا يعنى استعمال المنهج التاريخى بل يعنى فقط ترتيب كتب علم الأصول زمانيا منذ "الرسالة" للشـافعى (٢٠٤هـ) حتى "إرشاد الفحول" للشـوكانى (١٢٥٥هـ ـ). ويبدو أن المنعطفـين الرئيسـين فـى هـذا المسـار همـا "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ ـ) و"الموافقـات" للشـاطبى (٧٩٠هـ). فالتاريخ للنص وليس للواقع الذى نشأ النص فيه. بل إن لكل متن سبب تأليف فى الواقع الذى يصدر فيه[1].

ومن ثم يعرف التاريخ من خلال النص وليس النص من خلال التاريخ. التاريخ يكشف نفسه من خلال النص، والنص مرآة له. ليس النص من صنع التاريخ ومجرد انعكاس لـه. النص هو الذى يحدد التاريخ ويفرض نفسـه عليـه ولـيس التاريخ هو الذى يحدد ا نص ويكون بنيته. النص له استقلاله

---

(١) كتب عبد الرحمن بن مهدى إلى الشافعى وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن، ويجمع قبول الأخبار وحجـة الإجمـاع وبيـان الناسـخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب "الرسالة"، الرسالة ص ٤.

الذاتى عن التاريخ، والتاريخ مجرد حامل له. النص مسـتقل عن التاريخ ويظهر فيه التاريخ. يقدم النص ثم يبتعد عنه.

ويمكن تتبع نشأة النص الأصولى بطريقتين. الأولى تتبع نشأة النص الأصولى المذهبى وتكوينـه، الـنص المـالكى، والنص الحنفى، والنص الشافعى، والـنص الحنبلـى علـى التوالى. وميزة هذه الطريقة أنها تبين نشأة أصول كل مذهب وتطوره من السابق إلى اللاحق، هل استمر علـى أصـوله الأولى أم تحول عنها مقتربا من المذاهب الأخرى خاصة فى العصور المتأخرة التى غلب عليها التجميع[1].

وعيب هذه الطريقة هى الرؤية المذهبية للعلم، وتحويله إلى مذاهب مغلقة، والتضحية بالأصل مـن أجـل الفـرع، وبالعلم من أجل المذهب، وتكريس الفُرقـة المذهبيـة بعـد المحاولات المعاصرة الجادة للتقريب بين المذاهب. كمـا أن المذاهب الفقهية فى الواقع لم تكن مغلقة على ذاتها بل كانت متداخلة ومتفاعلة مع المذاهب الأخرى وفى حـوار مسـتمر وجدل بينهما أشبه بالجدل بين الفرق الكلامية. وقـد تكـون المذاهب الفقهية فى أسسها النظرية تعبيرا عن الفرق الكلامية

---

(١) ومن ثم يمكن عرض نشأة النص الأصولى المالكى والحنفى والشـافعى والحنبلى كل على حدة ووصف تطوره.

مثل الحنفية والمعتزلة، والشافعية والأشعرية. وكانت هنـاك محاولات فى تطور العلم فى مراحله النهائيـة للجمـع بـين المذاهب الفقهية مثل "الموافقات" للشاطبى الذى حاول الجمع بين الشافعية والمالكية[1].

والطريقة الثانية أفضل، تتبع نشـأة الـنص الأصـولى وتطوره بصرف النظر عـن المـذاهب الفقهيـة. فـالنص الأصولى واحد والعلم واحد أسسه الشافعى وإن لم يكـن أول الفقهاء. والخلافات المذهبية قليلة، فى الفروع وليسـت فـى الأصول، باستثناء القول بالإمام المعصـوم كأحـد مصـادر الأصول عند الشيعة، وبإجماع أهل العترة، الإجماع الخاص وليس الإجماع العام. والقول بالإمام المعصوم الذى تفرد بـه الشيعة على نحو ما مثل القول بعمل أهل المدينة الذى تفـرد به مالك. والقول بإجماع أهل العترة عند الشيعة مثل القـول بالإجماع الخاص عند ابن حزم. ومن ثم فإن علم الأصـول علم واحد بصرف النظر عن الفروق المذهبية فى الفقـه، إذ أنها فى الفروع وليست فى الأصول.

وإذا كان علم أصول الفقه القديم قد امـتلأ بالخلافيـات

---

(١) الشاطبى: الموافقات جـ ٢٤/١.

المذهبية فى الكلام والفقه لأنه كان موازيا لنشأتها فإنه يمكن إعادة بناء علم أصول الفقه الجديد حفاظا على الأصول دون الفروع، وبناء على الاتفاق بين المـذاهب بعـد محـاولات التقريب، وتجاوز التاريخ منطق الخلاف والفرقة إلى منطـق الاتفاق والوحدة(١).

وإذا كان أصول الفقه القديم قد وقع فى الحجاج والسجال والجدل بين المذاهب المختلفة بل والمتعارضة، وأن الصواب فى فرقة والخطأ فى الفرق الأخرى طبقـا لحـديث الفرقـة الناجية فإن أصول الفقه الجديد لا يخطؤ ولا يصوب أحـدا، ويعتبر كل الاجتهادات تعبر عن وجهات نظر فى الموضوع تحتمها الظروف الاجتماعية والسياسية وجدل التـاريخ بـين التقدم والتخلف، والتحرر والمحافظـة، والتجديـد والتقليـد، والمحكوم والحاكم. فليس نفى القياس خطأ وإثباتـه صـوابا، وليس إثباته صواب ونفيه خطأ. ونفى القياس يفسح المجـال للعمل الطبيعى دون سؤال التحليل والتحريم. وما سكت عنه فهو عفو أو مباح. وإثبات القياس يفتح المجال فى البحث عن علل الأحكام وأن الشريعة مستمرة عبر التاريخ، إذا حضرت

---

(١) من العقيدة إلى الثورة، جـ ٥ الإيمان والعمل والإمامـة، مـن الفُرقـة العقائدية إلى الوحدة الوطنية ص٣٩٣-٣٩٨.

العلة حضر الحكم، وإذا غابت العلة غاب الحكم. فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما. ونشأة المذاهب الأصولية والفقهية نشأة طبيعية نتيجة لإعمال النظر وإبداء الرأى وممارسة الاجتهاد.

ومن ثم فإن اختلاف الآراء بين الجوانب المختلفة للموضوع وأوجه النظر إليه. لا يوجد صحيح وفاسد، خطأ وصواب. والاعتراف بالتعددية فى وجهات النظر لا يسمح بإصدار الحكم على الصحيح أو الفاسد ولا على "الأصح عندى" دون رفض الرأى المخالف الذى قد يكون صحيحا. الأصح والأصوب هو الأفضل والأصلح فى تغير الواقع وتطويره ودفعه إلى الأمام، وإزالة معوقات تقدمه.

ولم يخل تكوين النص فى علم أصول الفقه من الدوافع السياسية منذ أن وضع الشافعى "الرسالة" لضبط طرق الاستدلال وتثبيت النص[1]. واستمر الأمر حتى الغزالى فى "المنخول" وتشبيه ا بالسلطان، والسلطان با [2]. ومع ذلك يظل أقل توجيها بالسياسة من علم أصول الدين. فالفرق

---

(١) نصر حامد أبو زيد: الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، دار سيناء، القاهرة ١٩٩٢.

(٢) الغزالى: المنخول ص ١٧.

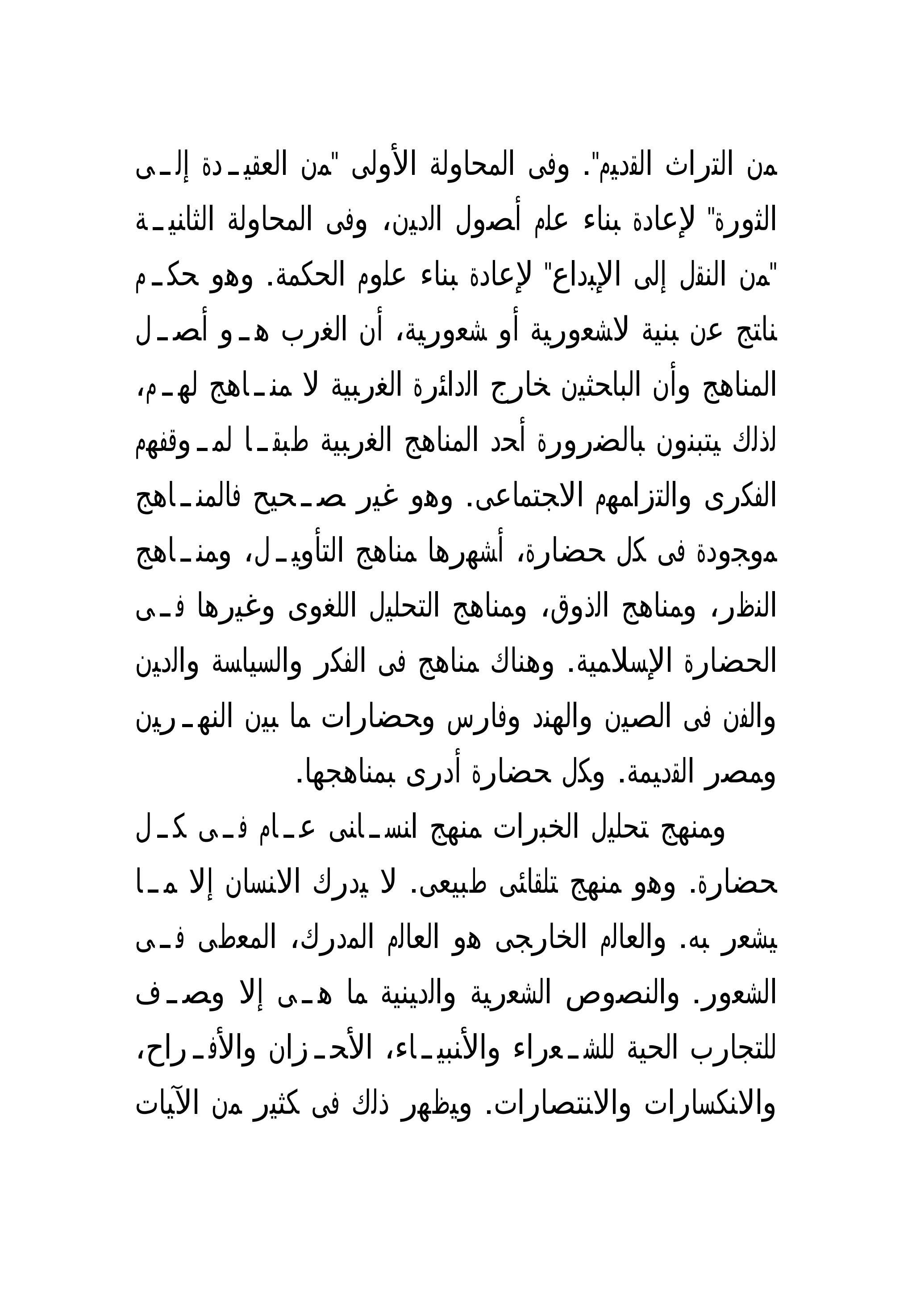
الكلامية أحزاب سياسية. وعقائدها أيديولوجيات سياسية. فى حين أن علم أصول الفقه أقرب إلى التأصيل العقلى، ووضع قواعد للاستدلال لاستنباط الأحكام. إنما يظهر فيـه صـراع القوى الاجتماعية بين قوة تعطى الأولوية للنص على الواقع وهى القوى المحافظة التى فى الغالب ما تكون قريبـة مـن السلطان، وقوة تعطى الأولوية للواقع على النص والتى فـى الغالب ما تكون خارجة عن إطار الحكم. وكثيرا مـا قـاوم الأصوليون الحاكم الظالم أسوة بالفقهاء، وألفـوا مصـنفاتهم والمدن محاصرة، وفى لحظات الانكسار(١).

وقد تم فى الجزء الأول استخدام منهج وصـف تكـوين النص وتتبع مراحله ابتداء من البنية الثلاثية فـى "الرسـالة" عند الشافعى (٢٠٤هـ) إلى البنيـة الرباعيـة ابتـداء مـن "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ) إلى تشتت البنية ابتداء مـن القرن السادس إلى غياب البنية كلية والاكتفاء بالمقال السيال دون بنية.

وقد قيل كثيرا عن المنهج الظاهرياتى "الفينومينولوجى" السارى فى مشروع "التراث والتجديد" منذ بيانه الأول "موقفنا

---

(١) وذلك مثل السرخسى فى أصوله.


من التراث القديم". وفى المحاولة الأولى "من العقيدة إلى الثورة" لإعادة بناء علم أصول الدين، وفى المحاولة الثانية "من النقل إلى الإبداع" لإعادة بناء علوم الحكمة. وهو حكم ناتج عن بنية لاشعورية أو شعورية، أن الغرب هو أصل المناهج وأن الباحثين خارج الدائرة الغربية لا مناهج لهم، لذلك يتبنون بالضرورة أحد المناهج الغربية طبقا لموقفهم الفكرى والتزامهم الاجتماعى. وهو غير صحيح فالمناهج موجودة فى كل حضارة، أشهرها مناهج التأويل، ومناهج النظر، ومناهج الذوق، ومناهج التحليل اللغوى وغيرها فى الحضارة الإسلامية. وهناك مناهج فى الفكر والسياسة والدين والفن فى الصين والهند وفارس وحضارات ما بين النهرين ومصر القديمة. وكل حضارة أدرى بمناهجها.

ومنهج تحليل الخبرات منهج انسانى عام فى كل حضارة. وهو منهج تلقائى طبيعى. لا يدرك الانسان إلا ما يشعر به. والعالم الخارجى هو العالم المدرك، المعطى فى الشعور. والنصوص الشعرية والدينية ما هى إلا وصف للتجارب الحية للشعراء والأنبياء، الأحزان والأفراح، والانكسارات والانتصارات. ويظهر ذلك فى كثير من الآيات

القرآنية ﴿**فأصبح فؤاد أم موسى فارغا**﴾، وفـراغ الشـعور وملء الشعور من التحليلات الفينومينولوجية. وأيضا ﴿**ربنـا واجعل أفئدة الناس تهوى إليهم**﴾، وهى القصدية. وهو منهج يسهل التعبير من خلاله عن الأفكار الواضحة التـى يمكـن إيصالها للقارئ بسهولة ويسر دون فيقهات لفظية وصياغات نظرية مجردة.

أما فى الجزء الثانى فقد استخدم منهج البحث عن بنيـة النص خارج النص فى التجربة الإنسـانية المعيشـة. فبنيـة النص تعبير عن أبعاد الشعور. ومن ثم فإن تحليل النص هو فى نفس الوقت تحليل التجارب الشعورية(١). لا فـرق بـين اللغة والوجود، بين الفكر والواقع، بين التصور والأفق، بين المفهوم وبعد الشعور. يمكن فهم النص برده إلى أصله فـى التجربة الإنسانية. فالنص صياغة لتجربة معيشة ليس فقـط لمؤلف النص بل لقارئه. فقد مات المؤلف وبقى القارئ حيـا متجددا ومتعددا بتعدد القراءات. ولما كانت التجربة البشـرية واحدة فإن تجربة المؤلف هى نفسها تجربة القارئ حتى ولو تغيرت ظروف العصر. القصد واحد، قصد الـنص وقصـد

---

(١) Les Méthodes d’Exégèse, pp. CLXXX-CCLXVIII.

المؤلف وقصد القارئ.

٣- النص وليس المؤلف. ومؤلفات علم الأصول هى وحدات التحليل وليس المؤلفين والإعلام. فالعمل مستقل عن صاحبه كما أن الرسالة مستقلة عن الرسول. النص لا مؤلف له، استقل عنه وأصبح عملا مستقلا بذاته. فالمؤلف يعرض أنماطا مثالية سابقة عليه ولا يخط موقفا خاصا به إلا فى إطار البنية الحضارية العامة. وذلك على عكس الاستشراق الذى أكثر من تحويل الفكر إلى أشخاص، والعلوم إلى العلماء، وكذلك الأمر فى الرسائل الجامعية فى عصور التدهور والانحطاط عن فلان وعلان، حياته وأعماله حتى تشخص الفكر وفى عصر المذاهب الفلسفية الكبرى فى الفلسفة الغربية عندما ارتبط المذهب باسم صاحبه، الديكارتية، الكانطية، الهيجلية، البرجسونية، وكما حدث من قبل فى الفرق الكلامية، الأشعرية، النجادية، الهذيلية، وفى المذاهب الفقهية، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية، وكما يفعل الاستشراق فى حديثه عن السينوية والرشدية[١].

---

(١) "لما نظرت الرسالة للشافعى أذهلتنى لأننى رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح فإنى لأكثر الدعاء له" (عبد الرحمن بن مهدى)، الرسالة (الغلاف الداخلى). "هذا السفر القيم"، "قرأت كتاب "الرسالة" للشافعى خمسمائة

وخطورة أولوية المؤلف على النص هو توارى النص لصالح المؤلف، وتضخيم المؤلف بحيث يحتوى النص. ويتضخم المؤلف بحيث يصبح معصوما من الخطأ ولا عصمة لأحد من المؤلفين، ولا تضخيم ولا تعظيم ولا تمجيد ولا إكبار لأى منهم حتى لا يشعر المحدثون أمامهم بالدونية وبالتالى يقعوا فى التقليد "هم رجال ونحن رجال، نتعلم منهم ولا نقتدى بهم". لذلك يذكر النص بلا تفخيم بأنه أفضل نص وأعظم متن. ويذكر صاحبه بلا ألقاب من أجل إرجاع الشخص إلى حجمه الطبيعى وإبراز النص أمامه.

وتذكر الألقاب مثل "الإمام"، وما أكثر الأئمة مثل الأئمة الأربعة[1]. وقد يقرن بالإمام إمام من أو ماذا مثل "إمام

مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها فى الأخرى"، "أنا أنظر فى كتاب "الرسالة" عن الشافعى منذ خمسين سنة ما أعلم أنى نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن عرفته"، السابق ص ٣-٤.

(١) وبالإضافة إلى الأئمة الأربعة مالك وأبى حنيفة والشافعى (٢٠٤هـ) وأحمد بن حنبل، هناك الإمام الغزالى (٥٠٥هـ)، الإمام أبو بكر الصيرفى (٣٣٠هـ)، الإمام السرخسى (٤٩٠هـ)، الإمام أبو اسحق الشيرازى (٤٧٦هـ)، الإمام أبو عبد ا المازرى المالكى (٥٣٦هـ)، الإمام أبو نصر أحمد بن جعفر ابن الصباغ (٤٧٧هـ)، الإمام فخر الدين الرازى (٦٠٦هـ)، الإمام سيف الدين الأموى (٦٣١هـ)، الإمام سراج الدين الأرموى (٦٧٢هـ)، الإمام تاج الدين الأرموى (٦٥٦هـ)، الإمام شهاب الدين القرافى (٦٨٤هـ)، الإمام جمال الدين الأسنوى (٧٧٢هـ)،

الحرمين" للجوينى (٤٧٨هـ)، وقد يأخذ الأصولى لقبا مزدوجا مثل الإمام فخر الإسلام البزدوى (٤٨٣هـ)، شمس الأئمة السرخسى (٤٩٠هـ).

وهناك ألقاب أخرى مثل "حجة الإسلام"، "القاضى"، "الكبير"، "الشريف"، "العلامة"، "الأستاذ"[1]. ويطلق اللقب على أكثر من واحد بحيث يختلط القاضى فقد كانت شهرة اللقب فى عصره، وانقضت باختلاف العصور، وربما أضعفهم لقب "الشيخ" أو "الأستاذ"[2]،. بل يعطى المحققون أيضا لأنفسهم

الإمام تقى الدين السبكى (٧٥٦هـ)، الإمام تاج الدين السبكى (٧٧١هـ)، الإمام أبو منصور الماتريدى (٣٣٠هـ)، الإمام أحمد بن على الحصاص (٣٧٠هـ)، الإمام الكرخى (٥٤٠هـ)، الإمام محمد بن الحسن البدخشى، الإمام أبو عمر عثمان بن عمرو والمعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ)، الإمام الساعاتى (٦٩٤هـ)، الإمام النسفى (٧١٠هـ)، الإمام المحلى (٨٦٤هـ)، الإمام الزركشى (٧٩٤هـ).

(١) حجة الإسلام الغزالى، القاضى أبو بكر الباقلانى (٤٠٣هـ)، القاضى أبو الطيب الطبرى (٤٥٠هـ)، القاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، القاضى عبد ا بن عمر البيضاوى (٦٨٥هـ). الكبير القفال الشاشى، الشريف الجرجانى، الشريف أبو يحيى زكريا بن يحيى الحسنى المغربى، العلامة الإيجى، العلامة قطب الدين الشيرازى، العلامة شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى (٧٤٩هـ).

(٢) الشيخ شمس الدين عبد الرحيم بن حسين العراقى (٨٠٦هـ). الأستاذ أبو اسحق الاسفرايينى (هـ).

نفس الألقاب مثل أبو الأشبال[١]. وتزداد الألقاب وتتضـاعف وتتكاثر على مر العصور خاصة فى العصـور المتـأخرة. فكلما ضعف العلم قوى العالم[٢]. فتكثر العمائم وتقل العلـوم، وتزداد المناصب وتقل النصوص.

وقد يتجاوز التعظيم الألقاب إلى المدح والتقريظ. وقـد يكون ذذلك من الأئمة الكبار لبعضهم البعض اعتزازا بهـم وليس تملقا لهم ولإعطاء نموذج لاحترام المحـدثين للقـدماء والتراكم المعرفى الضرورى للـوعى التـاريخى. ويكـون التعظيم نثرا وشعرا إذ لا يتجلـى وجـدان العـرب إلا فـى الشعر[٣].

---

(١) تحقيق وشرح أبى الأشبال أحمد محمد شاكر، النص ص ١.

(٢) من العقيدة إلى الثورة جـ ١ المقدمات النظرية، ص ٣٩-٤٤.

(٣) "كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس. فانظر هل للذين من خلف أو منهما عوض" (احمد بن حنبل). "طالت مجالستنا للشافعى فما سـمعت منه لحنة قط ولا كلمة غيرها أحسن منها"، " الشافعى كلامه لغـة يحـتج بها" (ابن هشام النحوى صاحب السيرة)

ألم تر آثار ابن ادريس بعده ∴ ولا ثلها فى المشكلات لوامع
معالم تعنى الدهر وهى خوالد ∴ وتنخفض الأعلام وهى فوارع
مناهج فيها للهدى متصرف ∴ موارد فيها للرشاد شرائع
فمن يك علم الشافعى إمامه ∴ فمرتعه فى باحة العلم واسع

(أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة)

ثالثا: أنـواع المصنفـــات.

ومصنفات الأصول على أنواع عدة:

١- المؤلفات الأصولية ابتداء من "الرسـالة" للشـافعى حتى "إرشاد الفحول" للشوكانى. وهى المؤلفات العمـدة فـى العلم.

٢- المؤلفات الأصولية الجزئية فى بعض الموضوعات الخلافية خاصة الإجماع لابن حزم وابن تيميـة، والقيـاس وملحقاته مثل الشافعى وأبى الحسن البصـرى وابـن حـزم والغزالى وابن تيمية والطـوفى والشـوكانى والطهطـاوى، ومباحث الألفاظ للقرافى. وهى مؤلفات مكملة لبعض أجـزاء العلم.

٣- الشروح والحواشى والملخصات للنصوص الأساسية خاصة فى العصور المتأخرة ابتداء من القرن السـابع مثـل الأسنوى والأرموى والدمياطى والعبادى والبنانى والقرافـى والأنصارى وغيرهم مـن الشـراح وأصـحاب الحواشـى والملخصين. ولها منطقها الخاص عندما توقفـت الحضـارة عن الإبداع، وعاشت على ما أنتجته من قبل واجترت مثـل

"ما أصلى صلاة إلا وأنا أدعو للشافعى فيها" (عبد الرحمن بن مهـدى)، الرسالة ص ٣-٤.

جمل الصحراء ما أنتجته من قبل لتمضغه من جديد.

٤- المؤلفات الأصولية الشيعية التى تمثل وحدة بمفردها وإن كان الخلاف بينها وبين المؤلفات الأصولية السنية ليس كبيرا مثل مؤلفات الطوسى والحلى والخمينى ومحمد باقر الصدر وغيرهم. وهى فى الأغلب لا تضيف جديدا إلا من حيث الإمام المعصوم كمصدر من مصادر العلم كما يصنف مالك عمل أهل المدينة.

٥- الدراسات الثانوية التى قام بها أساتذة الجامعات بغرض تدريس كتب مقررة دون تطوير للأصول القديمة. وهى كثيرة لا تحصى، ضررها أكثر من نفعها.

١- المتون الأصلية. ويقسم بعض القدماء والمحدثين مصنفات الأصول إلى نوعين. الأول طريقة المتكلمين التى تضع الأصول والقواعد كما يفعل الأشاعرة فى كتب قواعد العقائد فى علم أصول الدين. يفعل الشافعية نفس الشئ فى علم أصول الفقه. وتعتمد على الاستدلال العقلى وتجريد المسائل الأصولية عن الأمثلة الفقهية. فالأصول علم مستقل عن الفروع[1].

---

(١) مثل: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "التقريب والإرشاد فى ترتيب طرق الاجتهاد" للباقلانى (٤٠٣هـ)، "القواطع" لابن السمعانى (٤٦٢هـ)،

والثانى طريقة الفقهاء التى تجمع بين الأصول والفروع، بين القواعد الأصولية والأمثلة الفقهية، وتعتمد على الشواهد النقلية أكثر من الاستدلالات العقلية[1].

وهناك كتب جمعت بين الطريقتين، طريقـة المتكلمـين وطريقة الفقهاء من أجل استقلال العلم عن علم أصول الدين وعن علم الفقه[2].

والتقسيم الأفضل هو تقسيم مصـنفات الأصـول، بـين

"اللمع" للشيرازى (٤٧٦هـ)، "البرهان" للجوينى (٤٧٨هـ)، "عدة العـالم والطريق السالم" لابن الصباغ (٤٧٧هـ)، "شرح الكفاية" للقاضى الطبرى (٤٥٠هـ)، "العمد" للقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، "المعتمـد" لأبـى الحسين البصرى (٤٧٣هـ)، "المستصفى"، "شفاء الغليل فى بيان مالـك التعليل"، "المنخول من تعليقات الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)، "المحصول" للـرازى (٦٠٦هـ)، "الاحكـام فـى أصـول الأحكـام" للآمـدى (٦٣١هـ)...الخ.

(١) مثل: "مآخـذ الشـرائع" للماتريـدى (٣٣٠هـ)، "أصـول الكرخـى" (٥٤٠هـ)، "أصـول البـزدوى" (٤٨٣هـ)، "أصـول الجصـاص" (٣٧٠هـ)، "أصول السرخسى" (٤٩٠هـ)، "تقـويم الأدلـة" و"تأسـيس النظر" للدبوسى (٤٣٠هـ)، "المنار" للنسفى (٧١٠هـ)...الخ.

(٢) مثل: "بديع النظام بين أصول البزدوى والأحكام" للساعاتى (٦٩٤هـ)، "التنقيح لصدر الشريعة" (٧٤٧هـ)، "التحرير" لابن الهمام (٨٦١هـ)، "جمع الجوامع" لتاج الدين السبكى (٧٧١هـ)، "مسلم الثبوت" لابن عبـد الشكور (١١١٩هـ)، وربما "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ). الغزالـى: "المنخول"، مقدمة المحقق محمد حسن هيتو ص ٦-١٢.

مصنفات لامذهبية ومصنفات مذهبية. معظم كتب الأصـول لامذهبية، تبنى العلم بناء على العقل الخالص وإن كانت فـى أغلبيتها أشعرية بعد أن أصبحت الأشعرية هى عقيدة الفرقـة الناجية، واختيار الدولة القائمة(1). ترصد اختلافات المـذاهب دون أن تتبناها. والفروق الأصولية طفيفـة بـين المـذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة. وهذا لا يمنع من انتساب عالم الأصول إلى أحد المذاهب الأربعة غير الشافعية مثل الباجى والطوفى والشاطبى من المالكية، وابـن رجـب الحنبلـى، والبزدوى الحنفى...الخ، ولكن هذا الانتساب لا يظهـر فـى

(1) وذلك مثل: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "كتاب الحدود فى الأصـول" لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى الأندلسى (٤٧٤هـ)، "اللمـع فـى أصـول الفقـه" لأبـى اسـحق إبـراهيم بـن علـى بـن يوسـف الشيرازىالفيروزبادى الشافعى (٤٧٦هـ)، "البرهان فى أصـول الفقـه" للجوينى (٤٧٨هـ) (جزءان)، "أصول السرخسى" للسرخسى (٤٩٠هـ) (جزءان)، "كتاب الورقات" للجوينى (٤٧٨هـ)، "المستصفى مـن علـم الأصول" للغزالى (٥٠٥هـ)، "المنخول من تعليقات الأصـول" للغزالـى (٥٠٥هـ)، "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ)، "الاحكام فى أصول الأحكام" للآمدى (٦٣١هـ) (ثلاثة أجزاء)، "منهاج الوصول فـى معرفـة علـم الأصول"، للبيضاوى (٦٨٥هـ)، "المنار" للنسـفى (٧١٠هـ)، "جمـع الجوامع" للسبكى (٧٧١هـ)، "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ) (أربعـة أجزاء فى مجلدين)، "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصـول" للشوكانى (١٢٥٥هـ)، "ألفية الوصول إلى علم الأصول" للشـيخ علـى إبراهيم شقير.

وضع الأصول بل فى التطبيقات الفقهية.

وهناك كتب أصولية مذهبية كاملة تعبر عن اتجاه جذرى معين مثل الظاهرية وإنكار القياس والتعليل[١]. وأصول الفقه الشيعى والقول بتقليد الإمام المعصوم[٢]. وهناك كتب الفرق الكلامية مثل المعتزلة والقول بالحسن والقبح العقليين[٣]. ولم نعتمد عليها كثيرا لأننا نريد تأصيل الأصول وتجريدها كما هو الحال فى علم المصادرات أو علم البديهيات أو علم الأوليات[٤]. كما أن علم الأصول مثل علوم التصوف وعلوم الحكمة أكثر العلوم عمومية وشمولا، والإبقاء عليها خارج

---

(١) يعتبر ابن حزم عادة ممثلا لهذه المدرسة فى كتب الأصولية مثل: "الاحكام فى أصول الأحكام" (ثمانية أجزاء فى مجلدين)، "النبذ فى أصول الفقه الظاهرى".

(٢) كتب أصول الفقه الشيعى كثيرة منها: الحلى: "تهذيب الأصول إلى علم الأصول"، الطوسى: "العدة فى أصول الفقه"، شيخ حسن بن زيد الدين شهيدثانى: معالم الأصول، تحقيق مهدى محقق، شركة انتشارات علمى وفر بنكى، تطهران ١٩٨٥، الشيخ المنيد (٤١٣هـ): أوائل المقالات فى المذاهب المختارات، تقديم وتعليق الزنجانى، القاضى النعمان بن محمد (٣١٥هـ): اختلاف أصول المذاهب...الخ.

(٣) كتب اعتزالية مثل: "العمد" للقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ)، "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٧٣هـ).

(٤) Hermeneutics as Axiomatics, in: Religious Dialogue and Revolution, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, ١٩٧٧, pp. ١-٢٠.

الأطر المذهبية اتجاه إصلاحى أصيل. هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من كتب الأصول خاصة "المستصفى" قد صدر المسائل بمناقشات كلامية أى الأصول النظرية للأصول العملية. ولما كانت المسائل الكلامية مثل الحسن والقبح العقليين، والفلسفية مثل العلية واجب الوجود، والصوفية مثل الأحوال والمقامات مسائل نظرية خالصة فإنها تكون خارج منظور أصول الفقه باعتباره علما يضع القواعد النظرية للعمل وليس للنظر.

وقد عاب علينا الاخوة علماء إيران الأجلاء أننا لم نأخذ بعين الاعتبار فى "من العقيدة إلى الثورة" اعتقادات الشـيعة وهذا تقصير بالفعل. إلا أنه يرجع لعدة أسباب، أننى لسـت على علم به بالقدر الكافى مثل علماء إيران الأجلاء، كما أنه ربما ليس مدركا فى الثقافة الشعبية بالقدر الكافى مثل عقائـد أهل السنة بالرغم من أنهم فى الممارسة العملية من آل البيت كما هو الحال فى مصر، ولأن الثورة الإسلامية فى إيران قد قامت بهذا الدور خاصة فى أعمال الإمـام الخمينـى، الأب والابن، والطالقانى وغيرهم من أئمة الثـورة الإسـلامية، وربما حرصا على تجاوز الخلاف حول الأصول. وقد تفادينا ذلك فى "من النقل إلى الإبداع" ربمـا لأن الفلسـفة بطبيعـة

مصادرها شيعية الأصل. وسنحاول تجاوز ذلك قدر الإمكان فى "من النص إلى الواقع" خاصة بعد تجديد الإمام محمد باقر الصدر لعلم الأصول.

٢- الشروح والحواشى والملخصات. النص هو الأساس، أما الشروح والحواشى والملخصات فلم تبدأ إلا منذ القرن السابع. فقد كان آخر نص هو "الاحكام فى أصول الأحكام" للآمدى (٦٣١هـ)[1]. بعدها بدأت الشروح والحواشى عندما توقفت الحضارة عن إبداع المتون باستثناء "الموافقات" للشاطبى (٧٩٠هـ)، "إرشاد الفحول" للشوكانى(١٢٥٥هـ)[2].

---

(١) ربما يصعب العثور على نصوص أصولية قبل "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، ولكن يمكن العصور على شروح وحواشى وملخصات على متون أصولية وربما على متون بعد "إرشاد الفحول" للشوكانى (١٢٥٠هـ) نثرا أو شعرا مثل "ألفية الوصول إلى علم الأصول" للشيخ على إبراهيم شقير من علماء الأزهر الشريف.

(٢) - أول الشروح هو "شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول" لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن إدريس القراقى (٦٨٤هـ). والمتن هو "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ).

- "نهاية السؤل فى شرح منهاج الأصول" للأسنوى (٧٧٢هـ) مع حواشيه "سلم الوصول لشرح نهاية السؤل" لمحمد المطيعى. والمتن "منهاج الوصول" للبيضاوى (٦٨٥هـ).

وغالبا لا تخرج الشـروح والحواشـى والتخريجـات والتذييلات والتقريرات عن بنية المتن. إنما تعمل من داخلـه على مستوى الخطاب، إما شرحا للفـظ أو بيانـا لمعنـى أو إضافة لشبيه من علم آخر. وهى موضوع لدراسـة خاصـة

- "شرح المنار وحواشيه من علم الأصول". الشرح لعـز الـدين عبـد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الملك، والحاشية الأولى ليحيى الرهاوى المصرى، والتذييل الأول لعزمى زادة (١٠٤٠هـ) والثانى لابن الحلبى (٩٧١هـ). والمتن الأول هو "المنار" للنسفى (٧١٠هـ).
- "حاشية نسمات الأسحار" لمحمد بن عابدين على "شرح إفاضة الأنـوار على متن أصول المنار" لمحمد علاء الـدين الحصـنى، مـع بعـض التغييرات على الحاشية والشرح لمحمد أحمد الطوخى. والمتن هو أيضا "المنار".
- حاشية واحد بن محمد الدمياطى على شرح الورقات فى أصول الفقـه لجلال الدين المحلى.
- شرح أحمد بن قاسم العبادى الشافعى على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى على الورقات.
- "غاية الوصول شرح لب الأصول" وكلاهمـا لأبـى يحيـى زكريـا الأنصارى وعليه حواشى محمد الجوهرى والمتن هو "جمع الجوامـع" للسبكى (٧٧١هـ).
- حاشية البنانى على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلـى على متن "جمع الجوامع" للسبكى أيضا، وبهامشها تعزيز عبد الـرحمن الشربينى. فهناك أربعة نصوص، المتن والحاشية والشرح والتقرير.
- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت" لعبد العلى محمد بن نظام الـدين الأنصارى، والمتن "مسلم الثبـوت" لمحـب ا بـن عبـد الشـكور (١١٢٩هـ) على حاشية "المستصفى" للغزالى.

كيف يكون الفكر ثانيا فى المكار، يدور حول نفسه، ينغلـق حول النص دائرا ومتضخما دون أن يخرج منه كما تخـرج الدودة من الشرنقة إلا فى لحظات التجديد كما فعل الشـاطبى فى "الموافقات". هى موضوع لدراسات خاصة حول الإبداع إلى الوراء وليس الإبداع إلى الأمام. عندما يعيش الفكر على ذاته ويتذكر ماضيه. تسترجع الذاكرة مـا حفظـت دون أن يفكر العقل فيما وصل إليه. عمل الماضـى ولـيس عمـل الحاضر أو المستقبل. جمل الصحراء عندما لا يجد ما يأكله فيجتر ما اختزنه من قبل ويعيد مضغه.

وكما أن هنـاك الشـروح والحواشـى والتخريجـات والتــذييلات والتقريــرات هنــاك أيضــا الملخصــات والمختصرات. فالمتن بين التوسيع والتضييق، بين الإسهاب والاختزال. فإذا كانت الغاية من الإسهاب هو أن يعيش المتن على نفسه، ويكون قناة لتجميع المعلومات اللغوية والفقهيـة والأصولية من مواد أخرى، فإن الغاية من الاختصـار هـو التركيز والحرص على اللب والتمسك بالقلب. وهـو لـيس اختصارا للمتن بل هو اختصار للشروح والحواشى، عمليات كر وفر ذهاب وعودة، وإقدام وإحجام تنتهى فى النهاية إلـى

"محاك سر" فى أصل المتن أو المتن الأصلى[1]. فى الشـرح عندما تعيش الحضارة على ذاتهـا، تتضـخم مـن الـداخل كالبالون الذى يزداد انتفاخا بالهواء فلا يتمدد إلا من الـداخل وفى المختصر يتم الانكماش إلى الداخل عندما يقـل الهـواء تدريجيا حتى الوصول إلى جلد البالون نفسه، الـنص الأول، هيكله الأساسى دون تفريع أو تشعب أو استطراد. وفى كلتـا الحالتين، لا يضاف جديد ولا تبدع بنية. كلاهما حركة فـى المكان، بطيئة فى الشرح أو سريعة فى المختصر.

وتتكرر مادة علم الأصول. كل كتاب لاحق يبنى علـى السابق ويزيد عليه فى التفصيلات، يعـدل بنيتـه أو يغيـر اتجاهه. فالمادة متكررة ومتشابهة أكثر منها متنوعة ومختلفة. وفى ثقافة لا تعرف حق ملكية الأفكار، فإن اقتباس اللاحـق من السابق وارد حتى دون الإحالة إليـه أو ذكـره. فـالفكر جماعى، والبنية موضوعية، والعلم حضارى. لـذلك يكفـى

---

(١) من هذه المختصرات: "مختصر تنقيح الفصول" لشهاب الـدين القرافـى (المالكى) (٦٨٤هـ)، "قواعد الأصول" لصفى الدين البغدادى (الحنبلـى) (٧٣٩هـ) وهو مختصر. "منتهى الوصول والأمل فى علمـى الأصـول والجدل" لابن الحاجب، "مختصر المنار" لزين الدين الحلبـى" (الحنفـى) (٨٠٨هـ). وكلها مع "الورقات" للجوينى مطبوعة تحت عنوان "مجمـوع متون أصولية".

أكبر قدر ممكن من نماذج النصوص الأصولية دون إحصاء كامل شامل لها. المطبوع يغنى عن المخطـوط، والمطبـوع الموجود يغنى عن المطبوع الغائب.

وتتفاوت كتب الأصول فى التحقيق بين المغالاة فيه إلى حد ترقيم العبارات والفقرات وعشـرات الفهـارس للآيـات والأحاديث والأعلام والأمـاكن والاسـتدراكات والمراجـع والمفردات المفسرة والفوائد اللغوية المستنبطة وبين الطبعات الأزهرية غير المحققة والمفهرسة التـى تمـلأ الصـفحات بالمتون والهوامش والحواشى. وما بينهما طبعـات بـولاق القديمة وسط بين الاثنين، دقيقة من حيث التصحيح ولكنهـا ليس مفهرسة أو مخرجة.

وأخيرا تتفاوت عناوين الكتـب القديمـة حـول سـبعة اتجاهات:

١- العناوين المحايدة غير الدالة على خاصية خاصـة مثل "كتاب" أو "رسالة"[١].

٢- العناوين الحذرة التى تفيد الاقتراب من الموضـوع مثل "التقريب" أو الإرشاد إليه مثل "الإرشاد" أو الإعداد لـه

---

(١) مثل "الرسالة" للشافعى.

مثل "العدة والطريق"[1].

٣- العناوين الصوفية الدالة على أن الأصول أيضا وإن كانت برهانية إلا أنها لمحات وومضات وبرقات مثل "اللمع"، "المنار"، "أنوار البروق"،"بديع النظام"[2].

٤- العناوين البرهانية التى تـدل علـى أن الأصـول برهانية مثل "البرهان"، "تقويم الأدلة"، "تأسيس النظر"، "مسلم الثبوت"[3].

٥- عناوين الأصول والقواعد والأحكام والقواطع والعمد والمعتمد والمآخذ[4].

٦-عناوين التلخـيص والتركيـز والزبـدة والمنخـول والتنقيح والمستصفى والمحصول والذخيرة وشـفاء الغليـل

---

(١) مثل "التقريب والإرشاد فى ترتيب طرق الاجتهاد" للباقلانى.

(٢) مثل "اللمع" للشيرازى، "المنار" للنسفى، "أنوار البروق فى نوار الفـروق" للقراقى، "بديع النظام" للساعاتى.

(٣) مثل "البرهان" للجوينى، "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدبوسى، "تقـويم النظر" لابن شعيب، "مسلم الثبوت" لابن عبد الشكور.

(٤) مثل "القواطع" لابن السمعانى، "العمد" للقاضى عبد الجبار، "المعتمد" لأبى الحسين البصرى، "الاحكام فى أصول الأحكام" لابن حـزم، والآمـدى، أصول السرخسى، أصول البزدوى، أصول الجصاص، "مآخذ الشـرائع" للماتريدى.

والتحرير[1].

٧- عنـاوين الجمـع والتوفيـق وتجميـع الأصـول والموافقات بين المذاهب[2].

أما عنوان "من النص إلى الواقع" فإنه يدل على مرحلـة جديدة فى تطور علم الأصول والتحول فيها من النص الواقع، أى من الحرف إلى المصلحة استئنافا للشـاطبى والطـوفى. فسواء كان الأصل عقلا بطريقة المتكلمين أو نصا بطريقـة الفقهاء فإن أصول الفقه الجديدة تبدأ من الواقع ومن مصـالح الناس المتغيرة بتغير العصور. وهو رد فعل على ما يحـدث فى هذا العصر من تضحية بالمصالح العامة باسـم الـنص، وتراكم مآسى الناس باسم الشريعة. صحيح أنه كانت هنـاك محاولات لإصلاح قانون الأحوال الشخصية ولإعادة النظـر فى قضايا الربا والفائدة وعوائد شهادات الاستثمار وصناديق التوفير، ولكنها مازالت محاولات جزئية مترددة، لها مؤيدوها ومعارضوها. إنما الإصلاح الجذرى هو العودة إلى أصـول

---

(١) مثل "المستصفى"، "المنخول"، "شـفاء الغليـل" للغزالـى، "المحصـول" للرازى، "التنقيح" لصدر الشريعة، "التحرير" لابـن الهمـام، "الـذخيرة" للقرافى.

(٢) مثل "جمع الجوامع" للسبكى، "الموافقات" للشاطبى.

التشريع ومناهج الاستدلال وإعادة بناء علم أصول الفقه نفسه استئناف للشاطبى فى "الموافقات" وللطوفى فـى "المصـالح المرسلة" ولعلال الفاسى فى "مقاصد الشـريعة ومكارمهـا" ولجمال الدين عطية فى "تفعيل مقاصد الشريعة".

٣- الدراسات الثانوية. كانت المؤلفات الإصلاحية آخر المحاولات لتجديد علم الأصول عند علال الفاسى، ومحمـد الطاهر بن عاشور، ومحمد باقر الصدر. بعدها تحولت إلـى كتب مدرسية ومؤلفات جامعية تعرض القدماء أو المحـدثين بدعوى الموضوعية والحياد، وكأن العلم أصبح غريبا علـى العلماء، والعلماء غرباء عن العلم. فالأصـول تـراث مـن القدماء ينقل ويعرض ويتاجر به. لا فرق بين حامـل العلـم والعالم استئنافا لعلماء الخلافة العثمانيـة، علمـاء المشـيخة وفقهاء السلطنة.

جاء وقت واعتبر العالم فيه نفسه خارج التراث، متفرجا عليه، إما بدعوى الحياد والموضوعية والتاريخية والبعد عن الأيديولوجيا والمواقف الشخصية أو خوفا من أخذ موقف فى عصر يحاصر فيه العالم بين المطرقة والسندان، بين السلفية التى تكفر وتستبعد وتحاصر وتقصى، والعلمانية التى تـدفع

وتؤيد وتشجع. وفى كلتا الحالتين، يصب الزيت على النـار ويشتعل الحريق[1]. وربما كان الوضع الاقتصـادى للعـالم أيضا مسئولا عن هذا التأليف الجامعى لمزيد من الإثراء عن طريق تأليف كتب مقررة على مستوى الطلاب مـن أجـل الاستذكار والامتحان ثم نسيان كل شئ بعـده. فـلا عـرف الطالب كيف نشأ علم أصول الفقه القديم ولا بنيته. ولا حاول أن يجتهد لتطويره إلى علم أصول فقه جديد، وفاقد الشـئ لا يعطيه. وربما كان تأليف المعارين لجامعات شبه الجزيـرة العربية أحد الأسباب أيضا حتى يطمئن الأستاذ إلـى تجديـد العقد واستقرار الحال والحرص على المال[2].

وقد غذى ذلك الاتجاه المحايـد الاستشـراق والمـنهج التاريخى والخلط بين المعلومات والعلم. فقد بدأ الاستشـراق منذ القرن التاسع عشر هذا النوع مـن التـأليف للعلـم بـه والتعريف بمضمونه. فهو جديد بالنسبة للمستشرق مـع أنـه مألوف لنا. يكفى أن يذكر المستشرق الشافعى واضعا علـم

---

(١) وأشهر مثال على ذلك قضية نصر حامد أبو زيد.

(٢) هناك العشرات من هذا التأليف تزدخر بها المكتبات العامـة والخاصـة يكفى الاطلاع على فهارس المكتبات العامة والمعروض منها فى المكتبات التجارية لمعرفتها.

الأصول فى الرسالة أو "المستصفى" للغزالى أو "المحصول" للرازى حتى يكون عالما معلما. ويغلب عليـه المؤلفـون لا المؤلفات، أسماء الأعلام أكثر من أسماء المصنفات. فالمؤلف لديه علم يتميز به عن مؤلف آخر مع أن العلم يضع نفسه من خلال المؤلفين. ولا يهتم ببنية العلم ولا بروح الحضارة. ولا يهدف إلى تطويره وإعادة بنائه. ولا يبغى مصلحة عامـة أو الدفاع عن قضية. فالحضارة ليست حضارته، والقضية ليست قضيته، والأمة ليست أمته، والمعاناة ليست معاناتـه. يكفيـه التاريخ والتعريف بما أنتجه الأسلاف ومحاولات المصلحين. ينشر المخطوطات نشرا علميا سليما. وفى إطـار الانبهـار بالغرب بدأ أيضا الإعجاب بالاستشراق وتقليده فأصبح تاريخ علم الأصول هو علم الأصول، لا فرق بين مستشرق غربى أو شرقى وباحث وطنى، عربى أو إسلامى.

لـذلك كانت الدراسات الثانويـة موضـوع دراسـة وليست دراسة لموضوع. تكشف دراسات العرب والمسلمين عن حال البحث العلمى والموقف من التراث الإسلامى وحال الأمة وموقف علمائها مـن قضـاياها. وتكشـف دراسـات المستشرقين عن موقف الاستشراق. مناهجه وأهدافه ونتائجه،

وعن موقف الباحث الغربى أو الشرقى من التراث الإسلامى، إيجابا أم سلبا. وهو موضوع يدخل فى "أنثروبولوجيا الثقافة" أكثر مما يدخل فى علم أصول الفقه.

الفصل الأول

كشـــف البنيـــة

<u>أولا: بنية علم الأصول.</u>

وتعنى البنية القواعد والأصول التى يقوم عليهـا العلـم طبقا لتقسيم واضعه. وهى بنية ظاهرية بصرف النظر عـن ما وراءها الميتافيزيقى فى الوجود أو النظرى فى العقل.

ولا يعنى البحث عن القواعد والأصـول الوقـوع فـى التجريد الرياضى أو التحليل المنطقى. فهذه الأصول مستقراه من الشريعة وأحكامها الجزئية. إنما يكون البحث عن أصول الأصول وتعميق الأصول النظريـة العامـة فـى أسسـها الشعورية فى التجربة الإنسانية الحية. وهذا هو الفرق بـين المبادئ وما بعد المبادئ، والمنطـق ومـا بعـد المنطـق، والأصول وما بعد الأصول. وتعنى "ما بعد" هنا "ما قبل" أو "ما تحت"[١].

وتؤخذ البنية هنا بـالمعنى العـادى وهـو القسـمة أو

---

(١) Axiomatics, Meta-axiomatics, Logic, Meta-logic, Mathematics, Meta-mathematics.

"التمفصلات" بلغة المغاربة. وتتجلى القسـمة فـى الأقسـام والأبواب والفصول ليس باعتبارهـا أجـزاء للـنص بـل باعتبارها كاشفة عن وعى المؤلـف بالموضـوع وطريقـة تصوره وقسمته له.

والهدف من هذا التصنيف التاريخى البنيوى لكتب علـم الأصول الكاملة هو بيان كيف تتأسس القواعد والأصول التى ينبنى عليها العلم. كيف بدأت الأصول فى "الرسالة"، وبلغت الذروة فى القسمة الرباعيـة فـى "المستصـفى"، الثمـرة، والمستثمر، وطرق الاستثمار، والمستثمِر، وكيف تحولت هذه القسمة الرباعية فى "الموافقات" إلى قسمة رباعيـة أخـرى، ثنائية مضاعفة، مقاصد الشارع ومقاصد المكلـف، وأحكـام الوضع وأحكام التكليف. وكما لا يمكن القول أن ترتيب كتب الأصول تاريخيا لمعرفة تطورها، نشأة واكتمالا، من البداية إلى النهاية هو المنهج التاريخى لأنه لا يخرج عـن الـنص كوحدة تحليل أولى إلى الواقع الخارجى. كذلك لا يمكن القول إن محاولة الكشف عن القواعد والأصول الثلاثية والرباعية، أقل أو أكثر، للعلم هو منهج بنيوى لأنه لا يتجاوز الوصـف للبنية الداخلية لتطور العلم. فالبنية ليست موضوعا سابقا على

التاريخ، فى الذهن أو فى الواقع بل هى شئ يتخلق عبر العصور، ويتطور بتطور روح الحضارة، قوة وضعفا، بداية ونهاية، نشأة واضمحلالا من أجل العثور على بنية العلم الثابتة وتحريكها من جديد بروح هذا العصر.

وتتدرج البنية من البنية الثنائية ("قواطع الأدلة" للسمعانى، "مفتاح الوصول" للتلمسانى) إلى الثلاثية ("الرسالة" للشافعى، "الإشارات" للباجى، "المذهب" للأخسيكى، "البحر المحيط" للزركشى، "التحرير" لابن الهمام، "مسلم الثبوت" لعبد الشكور) إلى الرباعية ("أصول" ابن فورك، "المستصفى" للغزالى، "الاحكام" للآمدى، "مختصر المنتهى" لابن الحاجب، "منهاج الوصول" للبيضاوى، "أصول المنار" للنسفى، "تنقيح الأصول" للبخارى، "رسالة" السيوطى، "الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشى، "نشر البنود" للشنفيطى، "ألفية الوصول" لإبراهيم شقير، "نظم مختصر المنار" لبسنوى زاده) إلى الخماسية ("ميزان الأصول" للسمرقندى، "الموافقات" للشاطبى)[١]. إلى السباعية ("بذل النظر" للأسمندى، "جمع الجوامع" للسبكى، "إرشاد الفحول" للشوكانى) إلى الثمانية

(١) يقوم "الموافقات" على بنية رباعية فإذا أضيفت إليها المقدمات تصبح خماسية.

("البرهان" للجوينى، "روضة الناظر" لابن قدامة). فالغالب هى البنية الثلاثية والبنية الرباعية. وقد يكون للأصولى الواحد أكثر من متن، تتشابه فى البنية أو تختلف ويكون لكل متن بنية. ولا يعنى ترتيب المصنفات زمانيا أن البنية تتغير بتغير الزمان. فالبنية الثلاثية هى الثابت وما قبلها تجميع فيها، وما بعدها تفريع عليها. البنية الثلاثية فى النص وفى الشعور، فى المتن وفى الواقع. والشعور ثابت والنص متغير طبقا للمادة العلمية، والواقع الشعورى ثابت والمتن المدون متغير طبقا للمعلومات المتوافرة.

<u>**ثانيا: البنية الأحادية.**</u>

١- "المقدمة فى أصول الفقه" للقاضى عبد الوهاب المالكى (٤٢٢هـ)[1]. تدور كلها حول الفرق بين الأحكام التكليفية الخمسة، الواجب والمندوب والمحظور أو المحرم والمكروه والمباح فى الشرع وفى اللغة كمقدمة لأول "التلقين"

---

(١) القاضى عبد الوهاب على بن نصر البغدادى المالكى (٤٢٢هـ): "المقدمة فى أصول الفقه، المقدمة فى الأصول" لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٢٧-٢٣٤.

ثم انفصلت عنه[1]. ففى الشرع الواجب ما حرم تركه أو ما فعله ثواب وفى تركه عقاب والأول أفضل. وهو نوعان ليس فى تركه عقاب إذا كان له بدل والثانى به عقاب لأن لا بدل له. وله ألفاظ أخرى مثل مكتوب، ثابت، مفروض، محتوم، لازم، مستحق، وهى ألفاظ من الكتاب والسنة واللغة. والمندوب ما فعله ثواب وليس فى تركه عقاب. وله ألفاظ أخرى مثل مسنون، نفل، تطوع، فضيلة، مرغوب فيه. والمحظور نقيض الواجب، ما تركه ثواب وفعله عقاب. ويسمى أيضا محرم. والمكروه تركه ثواب وعمله ليس به عقاب. والمباح يستوى فيه أحوال المكلفين، لا ثواب ولا عقاب فى فعله أو عدم فعله.

أما فى اللغة فتختلف معانى الألفاظ الخمسة. فالوجوب فى اللغة السقوط، والفرض إما التقرير أو الثبوت. والسنة الطريقة، والندب الدعاء إلى الشئ، والنفل فعل ما ليس عليه عقاب. والمحظور الممنوع، والكراهة نفور النفس من الشئ. والإباحة التوسعة. وعند الأصوليين يأتى المعنى الشرعى اعتمادا على المعنى اللغوى، ونقله من المعنى الحسى إلى

---

(١) "قال القاضى: وكنت أجعل هذه مقدمة لأول "التلقين" ولكن خرجت منه نسخ فكرهت إفسادها"، السابق ص ٢٣٤.

المعنى الشرعى. وتستشهد المقدمة بعدة آيات وبيـت شـعر واحد لأبى ذؤيب للتأكيد على معنى السنة أى الطريقـة. ولا توجد أسماء أعلام أو فرق. وهنا يتخلق العلم حـول أحكـام التكليف الخمسة. ويتم الانتقال من المصطلح إلى اللغة ثم من اللغة إلى العالم عبر المعنى الاشتقاقى فتظهر أحكام التكليف ليست فقط مستنبطة من النص بل أيضا مستقراه من الواقع. فالنص واقع، والأصل تجربة. وفى الشعور يتفاعل النص مع الواقع من خلال اللغة. وهذا هو الذى جعل معظـم المتـون الأصولية تبدأ بأحكام التكليف باعتباره النواة الأولـى لعلـم الأصول.

<u>**ثالثا: البنية الثنائية.**</u>

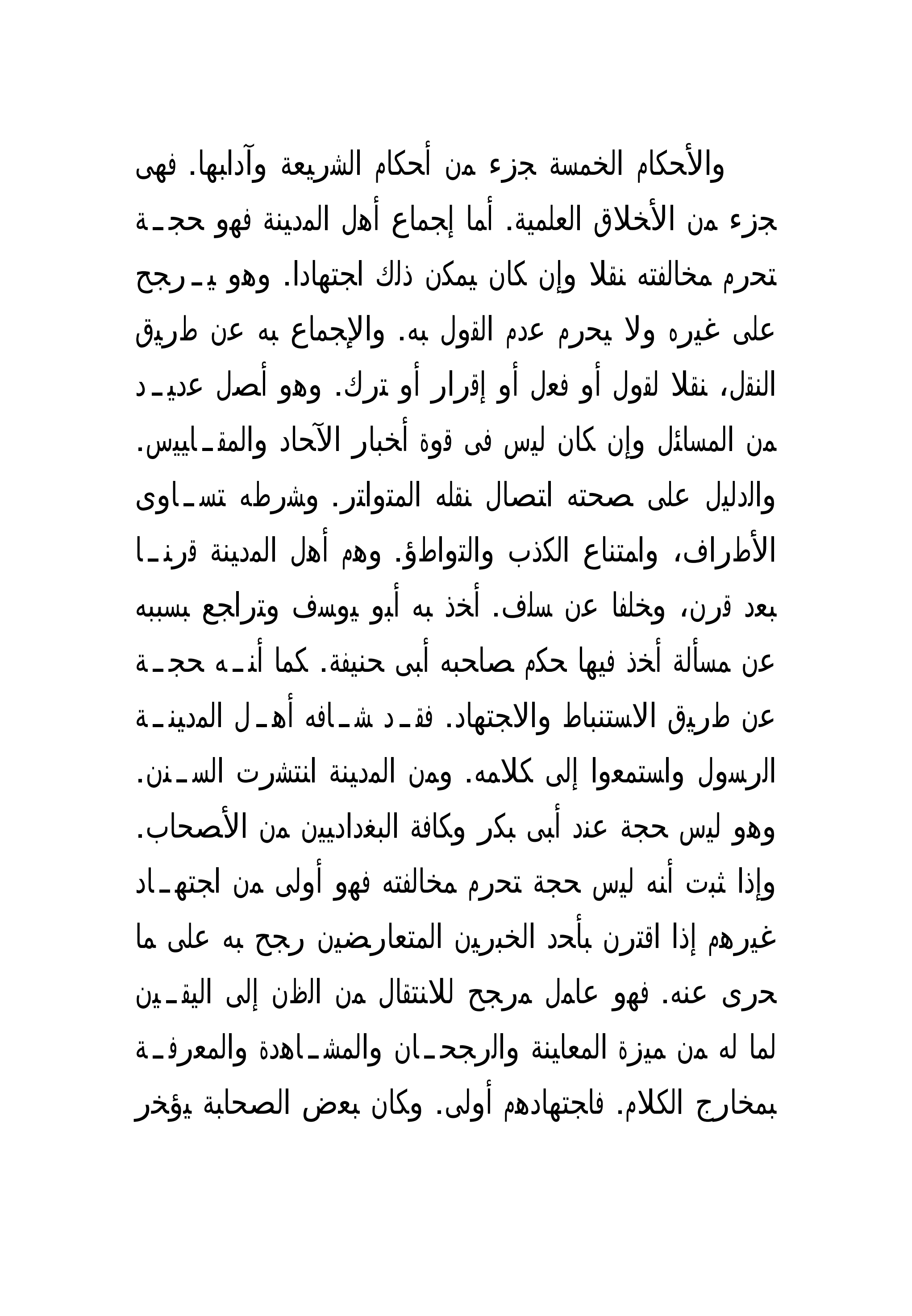
١ - "مسائل فى أصول الفقه" للقاضـى عبـد الوهـاب المالكى (٤٢٢ هـ)[1]. وتدور أيضا حول أحكـام التكليـف الخمسة: الوجوب والندب والحظر والكراهة والإباحة عنـد

(١) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى: مسائل فى أصول الفقه مستخرجة من كتاب "المعونة على مذهب أهل المدينـة"، المقدمـة فـى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السـليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٣٥-٢٥٠.

علماء الأصول وعلماء اللغة وما يتعلق بهـا مـن الطاعـة والصحة والرخصة. والصحة والرخصـة ضـمن أحكـام الوضع، السبب والشـرط والمـانع والعزيمـة والرخصـة والصحة والبطلان. ثم يظهر إجماع أهل المدينـة الخـاص بمالك للدفاع عنه ثم الأدلة الشرعية الخمسة: الكتاب والسـنة والإجماع والقياس والعمل، "واعتقاد ما يؤدى صحيح النظـر فى ذلك فيه". فإذا كانت أفعال التكليف تمثل الثمرة أى الوعى العملى، والأدلة الأربعة أو الخمسة تمثل المثمِر فإن الـوعى النظرى أى مباحث الألفاظ تظل غائبة. من الثمـرة وهـى أحكام التكليف يخلق المثمِر بتعبير "المستصفى" قبـل طـرق الاستثمار أى مباحث الألفاظ. ومن ثم تتحول البنية الأحاديـة إلى بنية ثنائية، الأحكام والأدلة. وقد أراد المؤلف أن يصنف تأليفا فوضع له هذه المقدمة بدلا من الخاتمة ثم انفصالها عنه وإجازتها خوفا من الوقوع فى الاختلاف حولها(١). وهو نفس السبب الذى جعله يكتب "المقدمة فى علـم أصـول الفقـه" كمقدمة للتلقين أى العلم المدون.

---

(١) "وقد كان فى حق التصنيف أن يكون الابتداء أولى من الخاتمـة ولكـن تجدد هذا الرأى بعد خروج نسخ منه كرهنا إفسادها بالاختلاف" السـابق ص ٢٣٧.



والأحكام الخمسة جزء من أحكام الشريعة وآدابها. فهى جزء من الأخلاق العلمية. أما إجماع أهل المدينة فهو حجة تحرم مخالفته نقلا وإن كان يمكن ذلك اجتهادا. وهو يرجح على غيره ولا يحرم عدم القول به. والإجماع به عن طريق النقل، نقلا لقول أو فعل أو إقرار أو ترك. وهو أصل عديد من المسائل وإن كان ليس فى قوة أخبار الآحاد والمقاييس. والدليل على صحته اتصال نقله المتواتر. وشرطه تساوى الأطراف، وامتناع الكذب والتواطؤ. وهم أهل المدينة قرنا بعد قرن، وخلفا عن سلف. أخذ به أبو يوسف وتراجع بسببه عن مسألة أخذ فيها حكم صاحبه أبى حنيفة. كما أنه حجة عن طريق الاستنباط والاجتهاد. فقد شافه أهل المدينة الرسول واستمعوا إلى كلامه. ومن المدينة انتشرت السنن. وهو ليس حجة عند أبى بكر وكافة البغداديين من الأصحاب. وإذا ثبت أنه ليس حجة تحرم مخالفته فهو أولى من اجتهاد غيرهم إذا اقترن بأحد الخبرين المتعارضين رجح به على ما جرى عنه. فهو عامل مرجح للانتقال من الظن إلى اليقين لما له من ميزة المعاينة والرجحان والمشاهدة والمعرفة بمخارج الكلام. فاجتهادهم أولى. وكان بعض الصحابة يؤخر

حكمه وهو خارج المدينة حتى يعود إليها، وهى دار الهجرة وموطن الصحابة. وإذا ما تعارضت الأخبار مع عمل أهـل المدينة تم ترجيح عمل أهل المدينة لأنه أشبه بالنقل المتواتر.

وعمل أهل المدينة هو المصدر الخـامس بعـد الأدلـة الشرعية الأربعة. ومنها تستمد الأحكام بالاجتهـاد والنظـر دون الاعتقاد بالمذاهب الفقهية أو بأقوال المتكلمين دون طلب الدليل. وهذا هو مذهب مالك الذى اعتقده المبتدءون بالـدليل النقلى والعقلى. اعترف به الشافعى ومحمـد بـن إدريـس والأوزاعى والنورى وتأويل الأئمة مثل ابن جـريج وابـن عيينة وعبد الرحمن مهدى. ويظهـر أسـلوب الـرد علـى الاعتراض المسبق من أجل نفى الدليل المعارض[1]. ومـن الأدلة النقلية، يتقدم القرآن الحديث[2]. والقرآن هو المصـدر الأول. ومن أسماء الأعلام يتساوى مالك والشـافعى وابـن جريج. ثم يأتى أبو حنيفة وأبو يوسف والنورى والأوزاعـى وغيرهم[3]. فلم يحن الوقت بعد لتفضيل مذهب على آخـر.

---

(١) السابق ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) القرآن (١١)، الحديث (٤).

(٣) مالك، الشافعى، ابن جريج، عبد الرحمن بن عوف عمر (٢)، الثـورى، أبو يوسف، أبو حنيفة، الأوزاعى، محمد بن إدريس، عبد الرحمن مهـدى، أبو بكر بن حزم، أبو الزناد، ابن مسعود، سعيد بن المسيب، على ربيعة (١).

ومن المجموعات يتقدم بطبيعة الحال أهـل المدينـة علـى البغداديين والتابعين والأصوليين وأهل اللغة[1].

٢- "فصول مختارة فى أصول الفقـه" للقاضـى عبـد الوهاب المالكى (٤٢٢هـ)[2]. وهى كما يدل العنوان فصول مختارة من كتاب المؤلف "الملخص فى أصول الفقه" والـذى يحيل إليه مرات عديدة[3]. ويقوم على فصول خمسة: النظر، والإجماع، والحث على النظر وذم التقليد، وفسـاد التقليـد، والفرق بين الحقيقة والمجاز. ولما كان البعض منها يـدخل فى موضوع واحد مثل النظر، والحـث علـى النظـر وذم التقليد، وفساد التقليد دخلت كلها فـى فصـل واحـد أشـبه بالمقدمات النظرية الأولى حول اللغـة والمنطـق أو أشـبه بالدليل الرابع وهو القياس. ويبقى الإجماع الـدليل الثالـث، والفرق بين الحقيقة والمجاز من مباحث الألفاظ. ومـن ثـم تتشكل بنية ثنائية من الأدلة، الإجماع والقيـاس، ومباحـث

---

(١) أهل المدينة (٤)، البغداديون، الأصوليون، أهل اللغة، التابعون (١).

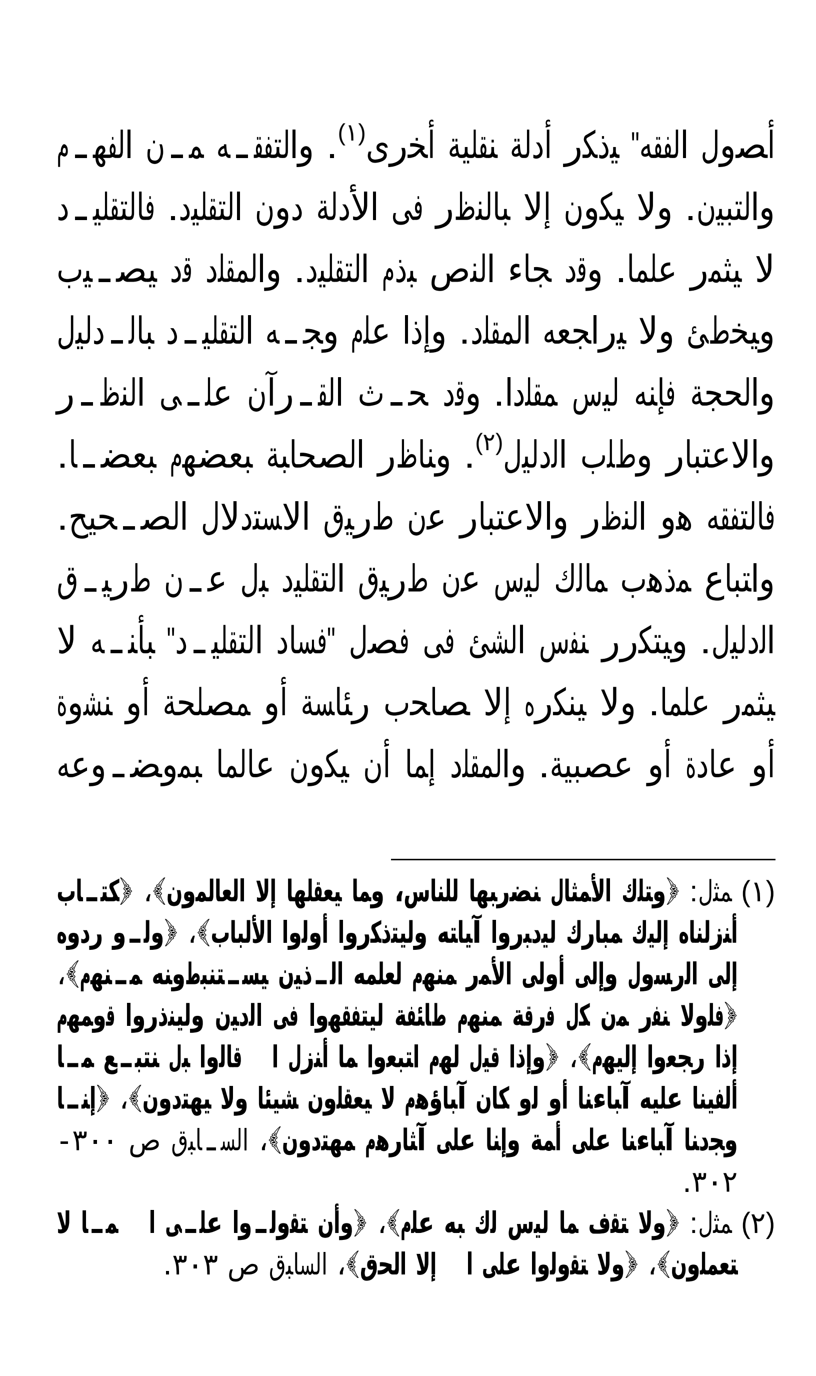
(٢) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر المالكى: فصـول مختـارة فـى أصول الفقه، "مقدمة فى الأصول" لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص ٢٨٩-٣٠٨.

(٣) الملخص (٥).

الألفاظ. ومادة الإجماع مشابهة لكتـاب "الإجمـاع" لـنفس المؤلف. ويتساوى النظر والإجماع كما. وكلاهما أكبر مـن الحقيقة والمجاز[1]. فالخليتان هنا همـا المصـادر الأربعـة ومباحث الألفاظ أى المثمِر وطرق الاستثمار بعد أن أصبحت الثمرة مكتسبا تاريخيا. ويتجلى فيه أيضا أسلوب الرد علـى الاعتراضات مسبقا. ويعتمـد علـى الآيـات أكثـر مـن الأحاديث[2]. وتقل أسماء الأعلام باستثناء القاضى أبى بكر، ومالك بن أنس. كما تقل أسماء الفرق والجماعات إلى الحـد الأدنى تتقدمها المالكية[3].

ويثبت المؤلف صحة النظر وأنه مثمـر للعلـم ومفيـد لحقيقته إذا رتب على سننه بإجماع أهل العلم. لـذلك فإنـه واجب يعرف به الصواب والخطأ فى الاسـتدلال[4]. وفـى الحث على النظر وذم التقليد من أول "المقـدمات فـى علـم

(١) النظر، الإجماع (٨)، الحقيقة والمجاز (٢).
(٢) الآيات (٢٢)، الأحاديث (٧).
(٣) المالكية (٢)، الصحابة، المسلمون (١).
(٤) وتذكر بعض الأدلة النقلية مثل: ﴿**فاعتبروا يا أولى الأبصـار**﴾، ﴿**أفـلا يتدبرون القرآن**﴾، ﴿**وجادلهم بالتى هى أحسـن**﴾، ﴿**ولا تجـادلوا أهـل الكتاب إلا بالتى هى أحسن**﴾، السابق ص ٢٩١-٢٩٢.



أصول الفقه" يذكر أدلة نقلية أخرى[1]. والتفقـه مـن الفهـم والتبين. ولا يكون إلا بالنظر فى الأدلة دون التقليد. فالتقليـد لا يثمر علما. وقد جاء النص بذم التقليد. والمقلد قد يصـيب ويخطئ ولا يراجعه المقلد. وإذا علم وجـه التقليـد بالـدليل والحجة فإنه ليس مقلدا. وقد حـث القـرآن علـى النظـر والاعتبار وطلب الدليل[2]. وناظر الصحابة بعضهم بعضـا. فالتفقه هو النظر والاعتبار عن طريق الاستدلال الصـحيح. واتباع مذهب مالك ليس عن طريق التقليد بل عـن طريـق الدليل. ويتكرر نفس الشئ فى فصل "فساد التقليـد" بأنـه لا يثمر علما. ولا ينكره إلا صاحب رئاسة أو مصلحة أو نشوة أو عادة أو عصبية. والمقلد إما أن يكون عالما بموضـوعه

---

(١) مثل: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون**﴾، ﴿**كتـاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب**﴾، ﴿**ولـو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الـذين يسـتنبطونه مـنهم**﴾، ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم**﴾، ﴿**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل ا قالوا بل نتبـع مـا ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**﴾، ﴿**إنـا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**﴾، السـابق ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) مثل: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم**﴾، ﴿**وأن تقولـوا علـى ا مـا لا تعلمون**﴾، ﴿**ولا تقولوا على ا إلا الحق**﴾، السابق ص ٣٠٣.

فهو عالم وليس مقلدا أو غير عالم فيظل به جاهلا لغياب الدليل.

وفرق بين الاجتهاد والقياس. الاجتهاد أعم من القياس كما أن الاستدلال أعم من القياس لأن كل قياس استدلال، وليس كل استدلال قياسا. والرأى فى اللغة يتعلق بالتدبير والمشاورة والمصالح. وفى الشرع ما يتوصل به إلى الحكم الشرعى من جهة الاستدلال والقياس. وإذا قام على دلالة قاطعة كان إجماعا. الرأى هو المذهب والقول بالحكم فقط. ولا يستعمل إلا ما كان فيه خلاف. وليس من شرطه الصحة[1].

والإجماع حجة فى كل عصر وغير مقيد بوقت ولا حال. وبالرغم من أن الوحى قد انقطع والشريعة محفوظة فإن الأمة وريثة الشرع والمحافظة عليه من الخطأ والضلال. والأمة قادرة على الحكم على الحدث. وإن تولت فإنها أيضا قادرة على نقله. ولا يقع الخطأ منها. ورتبته أقل من السنة قولا وفعلا وإقرارا. ولا يشترط وصول حد الإجماع حد التواتر وإلا شق على الناس. فلا تحديد مطلق له ولا بأقل

---

(١) السابق ص ٣٠٥-٣٠٦.

القليل. ولا يشترط فيهم وجود المعصوم. فالعصمة للجماعـة وليست للآحاد. كلهم من المسلمين. وعصـمتهم أنهـم مـن الأولين. وإذا كان الإجماع أقل من عدد التواتر فإنـه يكـون استدلالا. وإذا قل العدد وامتنع الكذب فـلا يـزول وصـف العدالة عنهم أو الأخذ بشهاداتهم. وإذا استحال الإجماع نظرا لجواز الكذب أو لعدم ظهور المهدى فإن السمع يؤمنـه. وإذا أجمع الصحابة على أحد القولين فإنه يجوز للتابعين إحـداث قول ثالث. وقد يظهر القائم بالحق والداعى إلى الهدى ممـا يجعل الأمة قادرة على معرفة الصواب[1].

و"الحقيقة والمجاز" هو مبحث الألفاظ الوحيد. لا يعرف بالفعل أو بالسمع بل عن طريق اللغة بالرغم من تقدم الفعـل على اللغة. وينقل اللفظ إلى غير معناه بقرينة أو دليـل. ثـم يأتى السمع بعد اللغة وفهم الخطـاب ومعرفـة الاسـتعمال وإقرار وضع الألفاظ لمعانيها أو لغير ما وضعت له. فاللغـة هى القادرة على التمييز بين الحقيقة والمجاز. وصرف الكلمة مثنى وجمعا واشتقاقا وتعلقا بمعلوم واستعمالها فى موضـع غيرها يجعلها مجازا مثل ﴿**وما أمر فرعـون برشـيد**﴾ أى

---

(١) "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضـرهم خـلاف مـن خالفهم حتى يأتى ا   أمرا"، السابق ص ٣٠٠.

جملة أفعاله. واطراد الكلمة فى موضع وعدم اطرادها فـى موضع آخر دون مانع يجعلها مجازا لوجوب اطراد الحقيقـة وإلا كان ذلك نقضا للغة مثل تسمية الجد أبا وابن الابن أبـا وعدم اطرادها. وتقوية الكلام بالتأكيد يجعلـه مجـازا عنـد القاضى أبى بكر (الباقلانى)، يجعله من علامات التمييز بين الحقيقة والمجاز، لا يتضرر بالتأكيد بل يفيد الحقيقـة مثـل ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾[1].

٣- "قواطع الأدلة فى الأصول" لأبى المظفر السـمعانى (٤٨٦هـ)[2]. وفيه تنتظم أصول الفقـه فـى بنيـة ثنائيـة "الأوامر والنواهى" و"العموم والخصوص" وهى أبحـاث أو مباحث الألفاظ. ويشمل العموم والخصوص المطلق والمقيد. وتبقهما مقدمتان. الأولى مقدمات أصول الفقه، وتشمل الأدلة الشرعية الأربعة وهى تتخلق من حيث الألفاظ والترتيب. إذ تتعدد ألفاظ القياس وتتنوع مثل العقل والقياس والنظر والجدل والدليل والحد، ستة ألفاظ استقر منها القياس. كما تتنوع ألفاظ الإجماع بين الملة والإجماع ثم اسـتقر الإجمـاع. ويتغيـر

---

(١) السابق ص ٣٠٦-٣٠٨.

(٢) أبو مظفر السمعانى: قواطع الأدلة فى الأصول، تحقيق د. محمد حسـن هيتو، مؤسسة الرسالة ط١، بيروت ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

الترتيب. إذ يأتى العقل قبل الكتاب[1]. وتشمل المقدمة الثانية "أقسام الكلام ومعانى الحروف" وهى تعادل "المبادئ اللغوية" كمقدمة عامة للعلم فى كثير من مصـنفات الأصـول مثـل "المستصفى". ويتساوى الأصلان تقريبا من حيث الكـم فـى حين أن المقدمتين لا تتعدى ثلث أى من الأصلين. والعنـوان يوحى بالأصول، وبه قدر من الإبداع "قواعد الأدلة". فالثنائية هنا تضم مباحث الألفـاظ والمصـادر الأربعـة أى طـرق الاستثمار والمثمِر، وتختفى أحكام التكليف، الخلية الأولى فى البينة الأحادية. إنما الخوف من القواطع أن تكـون قطعـا. والقواطع نفسها عليها خلاف كما يبدو فى الكتاب.

وتتكون أبحاث "الأوامر والنواهى" من أبـواب وأقـوال وفصول ومسائل. فهناك باب الأوامر وباب النواهى. وبعـد باب الأوامر "القول بالوقف فى الأوامر والنـواهى" و"بـاب القول فى النواهى". ومباحث العموم والخصوص تبدأ بالقول فى العموم والخصوص وتتخلل الأبـواب فصـول وتتخلـل

(١) المقدمتان (٥٤)، الأوامر والنواهى (١٦١)، العموم والخصوص (١٤٥).

الفصول مسائل[1]. بل قد تجتمع بعض المسـائل والفصـول نظرا لأهميتها فى عنوان فرعى خاص مثل "مسائل قصـار وفصول من المذهب تليق بهذا الوضع"[2]. وقد تظهر بعض الموضوعات الفرعية كفروع للمسـائل دون تحديـد لنـوع قسمتها[3]. وطريقة رصد "المسائل" الخلافية قبـل عـرض الأصول هى نفس الطريقـة التـى اتبعهـا الغزالـى فـى "المستصفى".

والأصول مناسبة لرصد خلاف الفرق الكلامية والفقهية. لذلك غلب الجدل والحجاج والسجال لدرجة تخطئـة جميـع الآراء الكلامية والفقهية المخالفة وتصـويب رأى المؤلـف وأصحابه ومذهبه عندما يقول "أصحابنا" و"مذهبنا". يعـرض آراء المخالفين ثم يرد عليها حجة حجة بأسلوب "فإن قيل ... قلنا"، "فإن قالوا ... قلنا" حتى يضيع الأصل وسط الخـلاف

---

(١) فصول الأوامر والنواهى (١٢)، فصـول العمـوم والخصـوص (١٧)، مسائل فصول الأوامر والنواهى (٧)، ومسائل فصول العموم والخصوص (١٠).

(٢) قواطع الأدلة ص ١٨٣-٢٢١.

(٣) مثل: من هم الذين يتناولهم الخطاب، ومن فروع هذه المسألة، تخصيص العموم بالإجماع، التخصيص بالإجمـاع السـكوتى، تخصـيص الخبـر بمذاهب راوية، التخصيص بالقيـاس، السـابق ١٩٨/٢٦٣-٢٦٧/٣٠٧-٣١٤.

حوله تغيب الأصول لصالح الفروع، ويختفى الاتفـاق فـى خضم الاختلاف.

ولما كان المذهب الفقهى أو الكلامى لا يمثـل اتجاهـا واحدا بل به أغلبية وأقلية فكثيرا ما توضع أسماء التبعـيض قبل الفرقة مثل "بعض أصحابنا"، "بعض الأصحاب"، "جماعة من أصحابنا"، "بعض أصحاب الشافعى"، "بعـض الفقهـاء". وينطبق التبعيض أيضا على المتكلمين مثل بعض المتكلمين. وقد يكون التبعيض بألفاظ طائفة أو جماعة أو شرذمة أو قوم أو جماعة أو بعضهم على الإطلاق دون تعيين. وقد يكـون التبعيض بالأغلبية وليس بالأقلية مثل أكثر المعتزلة، "أكثـر أصحابهم من العراقيين"، "سائر الأصحاب"[1].

ويتطور العلم من المتقدمين إلى المتـأخرين وتتغيـر الأصول مما يدل على التـراكم المـذهبى ونشـأة الـوعى

(١) بعض أصحابنا (١٧)، بعض الأصـحاب، بعـض المبتدعـة، بعـض النحويين، بعض المتكلمين، بعض المخالفين، بعض من ينسب إلى الكلام، بعضهم، شرذمة من فقهاء العراقيين (٢)، طائفة من الفقهاء، جماعة مـن أصحابنا، طائفة من المتكلمين، شرذمة من الفقهاء، طائفـة قليلـة مـن أصحابنا، قوم من المتكلمين، جماعة أكثر المتكلمين (٣)، أكثر الفقهـاء، أكثر أصحابنا (١).

التاريخى[١].

وتتقدم المذاهب الفقهية بطبيعـة الحـال علـى الفـرق الكلامية. إذ يتقدم الشافعى وأبـو حنيفـة علـى المعتزلـة والأشاعرة بالرغم من أن المؤلف حنفى إلا أن الشافعى يتقدم فى وعيه الأصولى نظرا لأنه مؤسس علم الأصول. وهو فى النهاية التلميذ الذى فاق الأستاذ ونسق مذهبـه وأعـاد إليـه التوازن بين العقل والواقع، بين النص والمصلحة. ولا يحال إلى مؤسسى المذاهب وحدهم مثل الشافعى وأبى حنيفة بـل أيضا إلى الفرقة الفقهية وأصحاب المذهب مثل أصحاب أبى حنيفة. ويتوحد معهم المؤلف ويقول أصحابنا[٢]. ويشار إلـى الجماعة أو الفرقة على العموم دون تخصيص بالكل والكافة أو تبعيض بالبعض أو الطائفة[٣]. وقد يكون الرأى بالإجماع عند "كافة المسلمين"، "عامة أهل اللغة"[٤].

(١) المتقدمون، بعض أصحابنا من المتأخرين، المتأخرون مـن أصـحابنا، جماعة من متأخريهم (١).

(٢) أصحاب أبى حنيفة (١٦)، المعتزلة (١٢)، أصحابنا ، الأصحاب (١١).

(٣) كافة المسلمين، عامة أهل العلم، جمهور أهل العلم، عامة الفقهاء.

(٤) مثل أهل اللغة (٦)، الفقهاء (٤)، المتكلمون، الواقفية (٢)، أهـل العلـم، العلماء، أهل الكلام، أهل التحقيق من الفقهاء، أهـل الظـاهر، الفقهـاء المتكلمون (١).

ومن أسماء الأعلام يتقدم الشافعى وعيسى ابن أبان والقفال والقاضى أبو يزيد والكرخى على أبى حنيفة، والأصولى على الجماعة، والفرد على المذهب[1]. ومن المتكلمين الأشاعرة يتقدم الباقلانى على الأشعرى[2]. ومن المعتزلة يتقدم أبو هاشم على أبو على والنظام[3]. وتتساوى باقى الفرق مثل الظاهرية لأبى داود الظاهرى. ومن اللغويين يتقدم سيبويه[4]. ثم يتساوى الفقهاء تباعا[5].

ويتم الاستشهاد بالشعر والشعراء مثل النابغة، وكميت ولبيد. فالقرآن وريث الشعر، والشعر أصله الأدبى، والقديم يفسر الجديد، والجديد تطوير للقديم. ويتم اللجوء إلى عادة العرب، وكلام العرب، وأساليب العرب مما يدل على الأصل

(١) الشافعى (١٧)، القاضى أبو يزيد، عيسى بن أبان (٨)، القفال (٥)، أبو حنيفة، الكرخى (٤)، أبو زيد الدبوسى (١)، مالك (٢)، أحمد بن حنبل، أبو عبد ا البصرى (جعل)، أبو العباس بن سريج، المزنى (١).

(٢) الباقلانى (٥)، الأشعرى (٤)، الاسفراينى، القاضى أبو ماجد، ابن الدقاق، داود الظاهرى، أبو بكر الصيرفى، أبو الحسن البصرى (١).

(٣) أبو هاشم (٤)، أبو على (٢)، النظام ، القاضى عبد الجبار (١).

(٤) سيبويه (٣)، المبرد، الخليل، الفراء، ابن فارس، الشماخ، الخطابى (١).

(٥) الماوردى، أبو بكر الرازى، ابن كيسان، محمد بن شجاع، نفطويه، أبو على بن خيران، أبو على بن أبى هريرة، أبو بكر الأشعرى، الحسن، طاووس (١).

العربى لمباحث الألفاظ(١).

ولما كان الكتاب جدليا فقد اعتمد على كثير من الشواهد النقلية، القرآن والحديث، والقرآن أكثـر بأربعـة أضـعاف تقريبا(٢). كما تتم الإحالات إلى بعض المؤلفـات الأصـولية السابقة مثل "الإفصاح" للقفال الشاشـى، و"المعتمـد" لأبـى الحسين البصرى. ويحيل العمل إلى نفسه ممـا يـدل علـى وحدته ورؤيته الكلية(٣).

٤- "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع علـى الأصـول" للتلمسانى (٧٧١هـ)(٤). ويقوم على قسمة ثنائية عقلية تنقسم بدورها إلى أقسام ثنائية من أجل بناء الفروع على الأصـول كما يكشف عن ذلك العنوان. وبـالرغم مـن أن التلمسـانى مالكى المذهب إلا أنه عقلانى القسـمة. لا يبـدأ بالمصـالح

---

(١) الشواهد الشعرية (١١)، العرب (١٠)، كلام العرب (٤)، لسان العـرب (٣)، لبيد، الكميت، النابغة، الحسن بن هانى (١).

(٢) الآيات (٢٠٦)، الأحاديث (٥٧).

(٣) قواطع الأدلة ص ١٤٩/١٣٧.

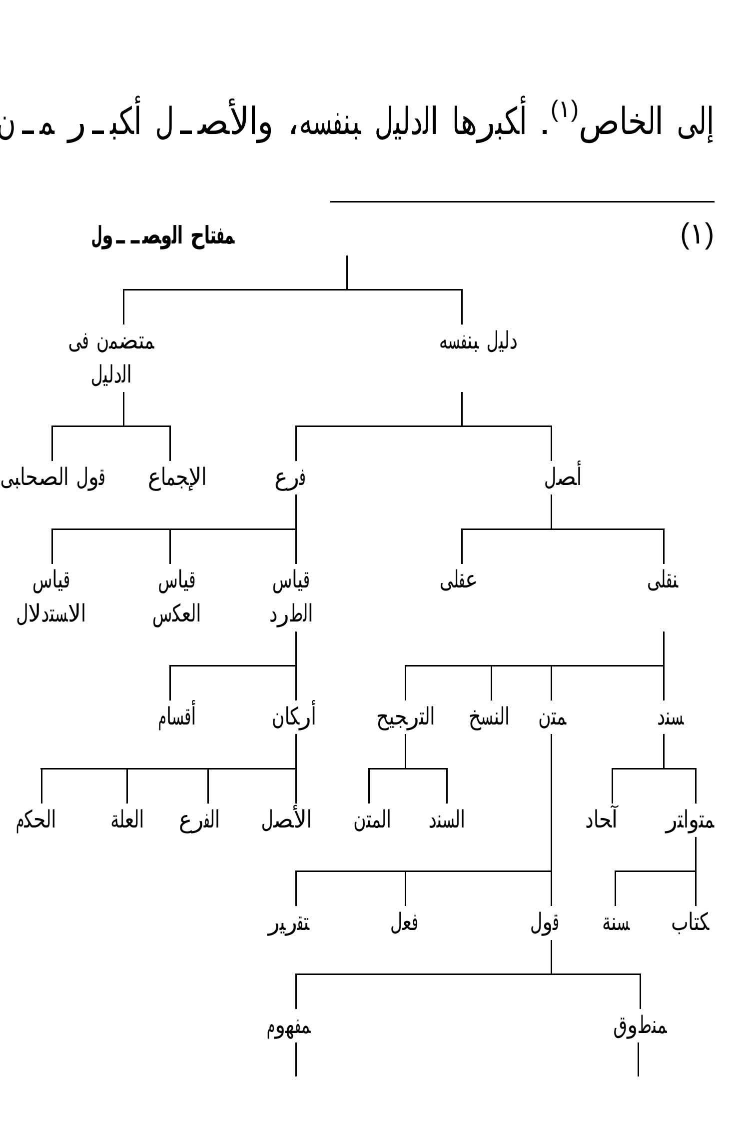
(٤) الإمام أبو عبد ا محمد بن أحمد المالكى التلمسانى: مفتح الوصول إلـى بناء الفروع على الأصول، حققه وخرج أحاديثه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

المرسلة كما هو معروف عند المالكية بل بالبحث عن القسمة العقلية للعلم كله بحيث يصبح النقل جزءاً منهـا. فالأصـول تنقسم إلى جنسين: دليل بنفسه ومتضمن فى الدليل. والـدليل بنفسه ينقسم إلى نوعين: أصل وفرع. والأصل ينقسـم إلـى صـنفين: نقلـى وعقلـى، وهـو الاستصـحاب. والنقلى ينقسم إلى أربعة أبواب: سند ومتن ونسخ وتـرجيح. والسند ينقسم إلى فصلين: متواتر وآحاد. والمتـواتر كتـاب وسنة. والمتن قول وفعل وتقرير. وينقسم القول إلى جهتين: منطوق ومفهوم. وينقسم المنطوق إلى طرفين: الدلالة علـى الحكم، والدلالة على مناط الحكم. وتنقسم الدلالة على الحكم إلى أمر ونهى وتخيير. وتنقسم الدلالة على مناط الحكم إلى نص ومجمل وظاهر ومؤول. والمفهوم موافقة أو مخالفـة. والترجيح فى السند أو فى المتن. والفرع وهو القياس ينقسـم إلى قياس الطرد وقياس العكس وقياس الاسـتدلال. وقيـاس الطرد ينقسم إلى أركانه الأربعة، الأصـل والفـرع والعلـة والحكـم، وأقسـامه. أمـا المتضـمن فـى الـدليل فهمـا الإجماع وقول الصحابى. ومن ثم تتدرج القسمة من الجـنس إلى النوع إلى الصنف إلى الباب إلى الفصل إلى الجهة إلـى

الطرف إلى المسائل، ثمانيـة أقسـام مترابتبـة مـن العـام

إلى الخاص[1]. أكبرها الدليل بنفسه، والأصـل أكبـر مـن

---

(١) 

الفرع، والنقلى أكبر من العقلى، والمتن أكبر من السند، وقد تشفع بخاتمة[1]، والنسخ أكبر من الترجيح[2]. ومع ذلك فهو نص مختصر حظى بشروح كثيرة فيما بعد. وتدخل أفعال التكليف ضمن المنطوق. فالبنية الثنائية هى طرق الاستثمار والمستثمِر وليس الثمرة التى اختفت كخلية أولى.

وبالرغم من أن التلمسانى مالكى المذهب يعتمد على المصالح المرسلة، إلا أنه كثير الاعتماد على الشواهد النقلية. وتتعادل الآيات القرآنية مع الأحاديث النبوية. كما انه يكثر من مراجعة الروايات للتحقق من صدقها بالرغم من بعد العهد بجمع السنة وصحة الأسانيد. لذلك تكثر أسماء الرواة لدرجة أنها تزيد على أسماء الأصوليين. كما يتم الاستشهاد

الدلالة على الحكم — الدلالة على منطق الحكم — موافقة — مخالفة

أمر — نهى — تخيير — نص — مجمل — ظاهر — مؤول

(١) مفتاح الوصول ص ٢٥.

(٢) الدليل بنفسه (١١٩ص)، المتضمن فى الدليل (٣). الأصل (٩١)، الفرع (٢٨). النقلى (٩٠)، العقلى (١). المتن (٧٨)، السند (١٢). النسخ (٨)، الترجيح (٦).

بالشعر[1]. وذلك يدل على أن النص والمصلحة شيء واحد، إذ يمكن استنباط المصلحة من النص كما يمكن استقراؤها من الواقع. والتجربة الشعرية هى نقطة الالتقـاء بـين الـنص والواقع. وفى المقابل تغيب الحجج العقلية، فالمالكية توجيـه للنص نحو الواقع بصرف النظر عن الأساس النظرى كمـا تفعل الحنفية. لذلك اقتربت من الحنبلية فى العودة إلى النص. ومع ذلك لا يخلو من حجاج. وبالرغم من أن الكتاب يهـدف إلى "بناء الفروع على الأصول" إلا أنه استغرق فى الفروع، وفى رصد الاختلافات أكثر من عرض أوجه الاتفـاق بـين المذاهب. والجواب الصحيح عند "أصحابنا". ولا يسـتبعد أن يكون أيضا عند المذاهب الأخرى كالحنفية. ويحكم بالصـحة والبطلان على المواقف بعد التحقيق و"تحقيـق المـذهب"[2]. ومن ثم يخلو الكتاب من الجديد أو اكتشاف مدخل جديد يعاد بناء العلم عليه كما فعل الشاطبى فى "المقاصد". ويحيل إلـى كتب الفقه والأصول الأخرى لمن شاء التوسع فى المسائل[3].

وتتقدم المالكية بلفظ "أصحابنا" ثم أصحاب الشافعى، ثـم

---

(١) القرآن (١٤٦)، الحديث (١٤٥)، الشعر (٥).
(٢) مفتاح الوصول ص ٤١.
(٣) مفتاح الوصول ص ٣٢/٣٠/٢١.

أصحاب أبى حنيفة ثم الحنابلة إشارة إلى مجمـوع الفقهـاء. وأحيانا تكون الإحالة إلى المذهب الفقهى الشافعية والحنفيـة والمالكية والظاهرية. وأحيانا يحال إلـى مؤسـس المـذهب الفقهى مثل أبو حنيفة والشافعى. وأحيانا يذكر مـذهب أبـى حنيفة ومذهب الشافعى. والعجيـب الإحالـة إلـى الحنفيـة والشافعية قبل المالكية مما يدل على أن المالكية فى البداية لم تكن منافسة للحنفية والشافعية وإن ازدهرت فى النهايـة[1]. ويحال إلى أعلام الفقهاء والمتكلمـين[2]. كمـا يحـال إلـى الأصوليين على العموم والى الفقهاء والى الأكثرين وجمهور العلماء والمعتزلة والظاهرية وأصحابنا المشارقة لمـا كـان المؤلف من المغرب، من تلمسان[3]. ويحال إلى عديـد مـن

---

(١) أصحابنا (١٦٣)، أصحاب الشافعى (٢٦)، أصحاب أبى حنيفـة (٢١)، الحنابلة (٣). الشافعية (٦٣)، الحنفية (٦٢)، المالكية (٥)، الظاهرية (١)، أبو حنيفة (٩)، الشافعى (٥)، مالك (١)، مذهب أبو حنيفة (٢)، مـذهب الشافعى (١).

(٢) ابن القاسم، ابن الانبارى (٢)، ابن خويزمنداد، ابن حبيب، أبو يوسـف، أحمد بن حنبل، الجوهرى، الباقلانى، ابن حزم، أبو عبـد ا البصـرى، الدبوسى، أبو موسى الأشعرى (١).

(٣) الأصوليون (١٤)، الجمهور (٦)، الفقهـاء (٥)، الأكثـرون، جمهـور العلماء، المعتزلة، الظاهرية، أصحابنا المشارقة (١).

الصحابة والرواة[1].

٥- "المختصر فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل" لابن اللحام (٨٠٣هـ)[2]. وهو استمرار لهذا اللون من التأليف عن طريق التجميع باسم المختصر. وهى أصول حنبلية تجمع بين الأصول الحنفية والشافعية. فالتجميع سابق على التمذهب. وأقرب إلى الشرح منه إلى التلخيص والمختصر كما يدل العنوان. ويكشف ذلك عن بداية الوعى التاريخى عند المتأخرين عندما يبدأ العلم فى تاريخ ذاته، ورصد مساره من البداية إلى النهاية. لذلك تكثر أسماء الأعلام، فقهاء وأصوليين ومتكلمين ورواة وصحابة وتابعين بحيث يستحيل تحليل المضمون. ومن الواضح أنه تراكم حنبلى من ابن عقيل لرصد أقوال السابقين مع كثير من التكرار دون إضافة جديدة. وأحيانا يذكر الكتاب. ويحرص فى إصدار الأحكام التى تبدأ بالتبعيض والتخصيص بلفظى

---

(١) مثل عائشة، ابن معين، الدارقطنى، الجعفى، أبو ثور، ابن أبى كعب، ابن جريج.

(٢) أبو الحسن علاء الدين على بن محمد بن على بن عباس البعلى المعروف بأبى اللحام: المختصر فى أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

"الأكثر" و"البعض". وكما هو الحال عند الحنابلة تظهر الأدلة النقلية، والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، ويقل الشعر. ففى صحوة التجميع يختفى الوجدان[1].

وربما مال الكتاب إلى اعتبار الصواب دائما من جانب الإمام أحمد وفقهاء الحنابلة بوجه عام. فهى الفرقة الناجية. وهى قريبة من الأشعرية، الفرقة الناجية فى علم أصول الدين. لذلك يقال "عند أصحابنا والأشعرية". وتظل المعتزلة تمثل الخصوم من كثرة الإحالة إليهم أكثر من الأشاعرة بالرغم من سطوة الغزالى فى المشرق والمغرب.

وتغيب البنية المحكمة إذ يضم الكتاب مجموعة من الموضوعات المتفرقة يتم التحقق من الخلاف فيها. ونظرا لغياب البنية فإنها تخلو من الترقيم. كل موضوع مقسم إلى مسائل. والموضوعات نفسها إلى أقسام أبواب أو فصول. ومع ذلك يمكن تلمس بنية ثنائية غير ظاهرة، الأحكام والأدلة بعد مقدمة عن تعريف العلم واللغة. فاللغة وليس المنطق هو مدخل العلم. والأدلة أكبر من المقدمة والأحكام[2]. وتشمل الأحكام مبدأ الحكم "لا حاكم إلا ا " والحكم والمحكوم فيه

(١) القرآن (٦١)، الحديث (١٨)، الشعر (١).
(٢) الأدلة (١٩٣)، المقدمة (٣٢)، الأحكام (٢١).

والمحكوم عليه. والأدلة هى الأدلة الأربعة المعروفة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأكبرها القيـاس بـالرغم مـن الحنبلية[1]. وتظهر مباحث الألفاظ كعنصـر مشـترك بـين الكتاب والسنة والإجماع لضبط فهم النص ووضـع منطـق لغوى له. وهو أكبر من الأدلة مجتمعـة[2]. وهـى الخبـر، والأمر والنهى، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول، ومفهوم المخالفة والموافقة فـى فحوى الخطاب ثم النسخ. وأكبرها العام والخاص ثم الخبر ثم النسخ، وأصغرها المطلق والمقيد. والعجيب أن يدخل الخبر مع مباحث الألفاظ [3]. وهو أقرب إلى السنة. كما أن ثنائيات اللفظ مذكورة كل طرف فيها على حدة دون الجمع بينهمـا. والظاهر مذكور بمفـرده دون المـؤول. ويضـم القيـاس الاستصحاب والاجتهاد والتقليد والترجيح. وأكبرها التـرجيح ثم التقليد ثم الاجتهاد ثم الاستصحاب. فالترتيب الكمى عكس

(١) القياس (٢٥)، الإجماع (٦)، الكتاب (٣)، السنة (٢).
(٢) مباحث الألفاظ (١٢١).
(٣) العام والخاص (٣٣)، الخبر (٢٩)، النسخ (١٩)، المجمل والمبين (١٣)، مفهوم الموافقة والمخالفة (٧)، الظاهر والمؤول (٥)، المطلـق والمقيـد (٢).

الترتيب الكيفى[1].

وتكشف البنية الثنائية عند السمعانى عن أهمية مباحث الألفاظ، الأوامر والنواهى، العموم والخصوص، وعند التلمسانى عن أهمية الاستدلال، الدليل بنفسه، الأصل والفرع، والنقلى والعقلى، والمتضمن فى الدليل مثل الإجماع. فالكتاب والسنة يدخلان ضمن نظرية فى الاستدلال النقلى كما يدخل القياس فى نظرية للاستلال العقلى، وعند ابن اللحام الأحكام والأدلة دون طرق الاستدلال. يركز السمعانى والتلمسانى على الوعى النظرى التأملى وحده، وابن اللحام على الوعى التاريخى والوعى العملى وكأن الوعى النظرى مكتسب حضارى لغوى تكفيه المقدمة وليس فى بنية العلم.

رابعا: البنية الثلاثية.

١ - "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)[2]. بالرغم من أن "الرسالة" للشافعى إملاء وليست تحريرا إلا أنها تكشف ولو شكليا عن بنية ثلاثية من خلال قسمتها إلى أجزاء ثلاثة لا

---

(١) الترجيح (١٢)، التقليد (١١)، الاجتهاد (٧)، الاستصحاب (٦).

(٢) الإملاء ص ٧-٣٦٩، الحوار ص ٣٦٩-٦٠١.

حدود بينها، ومتداخلة فى موضوعاتها[1]. فالجزء الأول عن "البيان" وهو مصطلح أصيل يعنى بيان الأدلة النقلية وأوجـه الاستدلال بها فى حالة تعارض رواياتهـا وظواهرهـا مـن الكتاب والسنة، والعموم والخصوص والناسخ والمنسوخ بـل والفرائض أى الواجب فى أحكام التكليـف وإذا مـا تغيـر أسلوب الإملاء إلى أسلوب الحوار لـم تتغيـر القواعـد أو الأصول[2]. والجزء الثانى استمرار لأحكـام التكليـف فـى المحرم نقيض الفـرض، اسـتمراراً للموضـوع وإن كـان انقطاعاً فى الشكل. وتستعمل صيغة النهى فى المحـرم دون استعمال صيغة الأمر فى الفرض، وهما من مباحث الألفاظ. ويبدو التعليل فى الأحاديث وطرق الاستدلال بها وليس فـى الأفعال، العلل النظرية وليست العلل المادية. لـذلك ينتهـى الجزء الثانى بباب العلم وبباب خبر الواحد هل يورث العلـم أم لا؟ فالجزء الثانى بين الوعى التاريخى فـى العلـل فـى الأحاديث والوعى النظرى فى مباحث الألفاظ والوعى العملى فى المحرم من أحكام التكليف. والجـزء الثالـث اسـتمرار

---

(١) الشافعى: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصطفى البـابى الحلبـى وأولاده بمصر، القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

(٢) لذلك تبدأ بعض الفقرات بصيغة قال الشافعى، وأخرى قال فقط.

لموضوع خبر الواحد آخر الجزء الثانى ومدى حجيته. ثـم يعرض الإجماع، الـدليل الثالـث ثـم القيـاس والاجتهـاد والاستحسان أشكال الدليل الرابع وأخيرا الاختلاف وهو مـا أصبح التعرض والتراجيح.

ويمكن القول أن الأجزاء الثلاثـة التـى تتكـون منهـا الرسالة هى فى الحقيقة عن الأدلة الشرعية فى الجزء الأول "البيان" خاص بالقرآن، والثانى خاص بالحديث "العلـل فـى الأحاديث"، والثالث خاص بالإجماع والقيـاس والتعـارض والتراجيح خاصة إذا ما تعارض خبر الواحد مع القيـاس[1]. وتتساوى الأجزاء الثلاثة فيما بينها كماً تقريبا وإن اختلفـت فى عدد الأبواب[2]. وهى بنية عقلية خالصة لا تعتمد علـى اجتهادات سابقة لأن "الرسالة" أول اجتهاد مؤسس هذا العلم. لا تحيل إلا إلى ذاتها باسم الكتاب أو كتابنا وكتابى. وكثيـر

---

(١) قرأت الرسالة منذ أكثر من خمـس وأربعـين عامـا وكنـت متـأثرا "بالمستصفى" فلما وجدتها أقل منه لم أعطها الاهتمام الكافى. والآن تبـدو أهميتها فى ضبط الخبر والاستدلال فى الرواية مما جعله عنـد القـدماء "ناصر السنة" وعند المحدثين "مقصى العقل" (نصر حامـد أبـو زيـد). وكلاهما صحيح فى عصره.

(٢) الجزء الأول (٢٠٠ ص)، الثـانى (١٨٥)، الثالـث (٢١١). الأول (١٦ بابا)، الثانى (٤)، الثالث (٥).

من الفقرات تنتهى بالعبارة الشهيرة "ا أعلم" وأقـل منهـا "أسأل ا التوفيق إن شاء ا ".

وهنا وعى ضمنى بالقسمة غير المعلنة. وكلها مسـتنبطة من الوعى التاريخى أى الخبر[1]. وهناك أيضا وعى بالأدلـة الشرعية الأربعة، الكتاب والسـنة والإجمـاع والقيـاس[2]. وأحيانا تذكر السنة والإجماع أو الكتـاب والسـنة. وتتفـرق الموضوعات فى أكثر من مكـان مثـل الناسـخ والمنسـوخ والفرائض[3]. وقد توجد بعض المناقشات النظريـة للقواعـد الأصولية قبل أن تتحول إلى علم دقيق[4]. كما يبـدأ تجميـع

(١) فأول ما نبدأ به بعد ذكر سنة رسول ا مع كتاب ا ذكـر الاسـتدلال بسنته على الناسخ والمنسوخ من كتاب ا ، ثم ذكر الفرائض المنصوصة التى سنى رسول ا معها ثم ذكر الفرائض، المجمل التى أبان رسول ا عن ا كيف هى ومواقيتها ثم ذكر العام من أمر ا الذى أراد به العـام والعام الذى أراد به الخاص ثم ذكر سنته فيما ليس فيه نص كتاب، السابق ص ١٠٥.

(٢) "وجهة العلم الخبر فى الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس"، السـابق ص ١٣٧/٣٩، "توسمت قولك فى الإجماع والقياس بعد قولك فـى حكـم كتاب ا وسنة رسوله أرأيت أقاويل أصـحاب رسـول ا إذا تفرقـوا فيها؟"، السابق ص ٥٩٦.

(٣) السابق، الناسخ والمنسوخ ص ١٠٦-١٣٧/١١٧-١٤٧، الفـرائض ص ٧٩-١٠٦/١١٧-١٣٧/١٦١-٢٠٤.

(٤) مثل المناقشات النظرية حول النسخ ص ١٢١-٢٢٢، والفرق بـين خبـر الواحد والشهادة ص ٣٨٠-٣٨٤/٣٩٢-٣٩٤.

بعض الأحاديث فى معانى قبل أن تتحول إلى قاعدة[1].

ويختلط الفقه بالأصول، وتتداخل الأصول مـع الفقـه. فالعلم فى أول نشأته قبل التمييز بـين الأصـول والفـروع. وتظهر بعض القواعد الفقهية قبل أن تتحول إلى علم مسـتقل "علم القواعد الفقهية" مثل "عدم جواز تكليف ما لا يطاق"[2]. وتبدو بعض المناطق الجغرافية مثل الشام التى أثـرت فـى تكوين المدارس الفقهية[3]. وهناك وعى ببداية تخلق المذاهب فى هذه الفترة المبكرة وبداية المذهب الأصولى الأول[4].

والشافعى تلميذ أبى حنيفة تلميذ مالك. لم يكـن لمالـك قصب السبق فى وضع علم الأصول وهو أستاذ أبى حنيفـة أستاذ الشافعى. ربما كانت المصالح المرسلة اتجاهـا نحـو الواقع لا يحتاج إلى تنظير عقلى. وربما كان الوقت مبكـرا فى القرن الأول، ولم يكن التنظير لأى علم قد بدأ بعد. وربما كان الحجاز، أقرب إلى الأثر والنقل من العراق ومصر، من العقل والواقع. ولم يسبق أبو حنيفة فى وضع علم الأصـول

---

(١) السابق ص ٢٣٧.

(٢) السابق ص ١٢٨.

(٣) السابق ص ٢٩٢/١٣٩.

(٤) فقال لى قائل:"قد فهمت مذهبك فى أحكام ا وأحكام رسـوله"، السـابق ص ٤٧١.

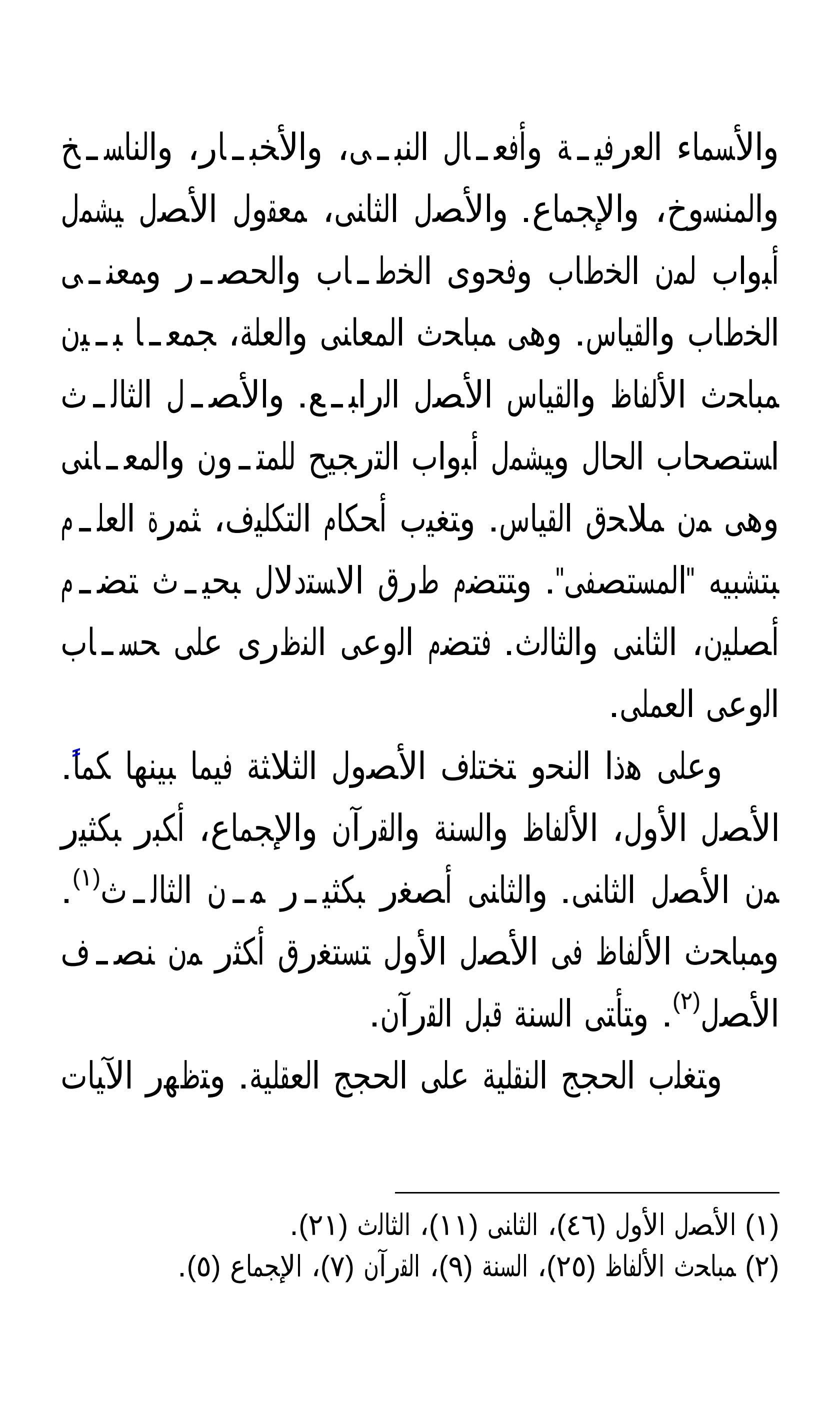
وهو أستاذ الشافعى، ويعتمد على العقـل والـرأى والنظـر والاجتهاد، وكان التنظير قد بدأ عند المعتزلة الأوائل. وهـو من أهل العراق حيث يسود الرأى والنظر وإعمـال العقـل. تأسس العلم عند الشافعى الذى يجمع بين العقل والواقع، بين الرأى والمصلحة، بين العراق ومصر. ولم يتم استئنافه عند أحمد بن حنبل وهو تلميذ الشافعى ربما لأنه عاد إلى الـنص الخام دون تنظير من العقل أو المصلحة أو الجمع بينهما.

٢- "الإشارات فى أصـول الفقـه المـالكى" للبـاجى (٤٧٤هـ)[(١)]. وبالرغم من الإعلان عن بنيـة ثلاثيـة، أن الأدلة الشرعية على ثلاثة أضرب: أصل، ومعقول أصـل، واستصحاب حال. إلا أن تقسيم الكتاب جاء على نحو آخـر، فى ستة عشرة فصلا، النية موجودة ولكنها لم تتحقق. القصد فى الذهن ولكنه لم يتحول إلى فعل.

الأصل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة. هـى الأدلـة الشرعية الثلاثة الأولى. ويتضمن مباحث الألفاظ فى الأبواب العشرة الأولى، أقسام أدلة الشرع، والعمـوم، والاسـتثناء،

---

(١) أبو الوليد بن سليمان بن خلف الباجى: الإشـارات فـى أصـول الفقـه المالكى، تحقيق وتعليق د. نور الدين مختار الخادمى، دار ابـن حـزم، بيروت ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.



والأسماء العرفية وأفعال النبى، والأخبار، والناسخ والمنسوخ، والإجماع. والأصل الثانى، معقول الأصل يشمل أبواب لحن الخطاب وفحوى الخطاب والحصر ومعنى الخطاب والقياس. وهى مباحث المعانى والعلة، جمعا بين مباحث الألفاظ والقياس الأصل الرابع. والأصل الثالث استصحاب الحال ويشمل أبواب الترجيح للمتون والمعانى وهى من ملاحق القياس. وتغيب أحكام التكليف، ثمرة العلم بتشبيه "المستصفى". وتتضم طرق الاستدلال بحيث تضم أصلين، الثانى والثالث. فتضم الوعى النظرى على حساب الوعى العملى.

وعلى هذا النحو تختلف الأصول الثلاثة فيما بينها كماً. الأصل الأول، الألفاظ والسنة والقرآن والإجماع، أكبر بكثير من الأصل الثانى. والثانى أصغر بكثير من الثالث[1]. ومباحث الألفاظ فى الأصل الأول تستغرق أكثر من نصف الأصل[2]. وتأتى السنة قبل القرآن.

وتغلب الحجج النقلية على الحجج العقلية. وتظهر الآيات

---

(١) الأصل الأول (٤٦)، الثانى (١١)، الثالث (٢١).

(٢) مباحث الألفاظ (٢٥)، السنة (٩)، القرآن (٧)، الإجماع (٥).

القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[١]. كما يستشـهد بالشـعر العربى لشرح ألفاظ القرآن. ومن الشعراء يذكر امرؤ القيس والنابغة وأبو تمام[٢]. ومن علماء الأصول يأتى فى المقدمـة الباقلانى والشافعى ثم أبو حنيفة ثم داود الظاهرى، ثم مالـك بن أنس، ثم المزنى ثم الكرخى وآخرون غيرهم[٣].

٣- "المذهب فى أصـول المـذهب علـى المنتخـب" للاخسيكى (٦٤٤هـ)[٤]. وتبرز القسمة الثلاثيـة بوضـوح وهى الأدلة الأربعة والأحكام وحروف المعانى[٥]. وأكبرهـا القسم الأول وأصغرها الثالث. وفى الأدلة الأربعـة الكتـاب

---

(١) القرآن (٦٣)، الأحاديث (١٧).

(٢) الإشارات ص ١٥٥/٦٦.

(٣) الباقلانى، الشافعى (١٠)، أبو حنيفة (٩)، ابن خويزمنداد (٨)، عمر بـن الخطاب (٧)، داود الظاهرى (٦)، مالك بن أنـس (٤)، عائشـة، ابـن عباس، ابن عمر بن الخطاب، ابن المنتاب (٣)، الابهرى، عثمـان، أبـو الفرج المالكى، المزنى، البغدادى عبد الوهاب القاضـى، الكرخـى (٢)، الأسفراينى، إسماعيل القاضى، أبو بكر بن واحد، أبو بكر الصديق، أبـو بكر الصيرفى، ابن جرير الطبرى، خليل اللغوى، أبو عبيدة، فريحة بنت مالك، ابن القصار، ابن المسيب سعيد، النخعى، أبو هريرة (١).

(٤) سلطان الشريعة وبرهان الحقيقة العلامة حسام الدين محمد بـن محمـد الاخسيكى الحنفى: المذهب فى أصول المذهب (جزءان)، دار الفرفـور، دمشق ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٥) الأدلة الأربعة (٩٣٧)، الأحكام (٢٤٨)، حروف المعانى (٧٢).

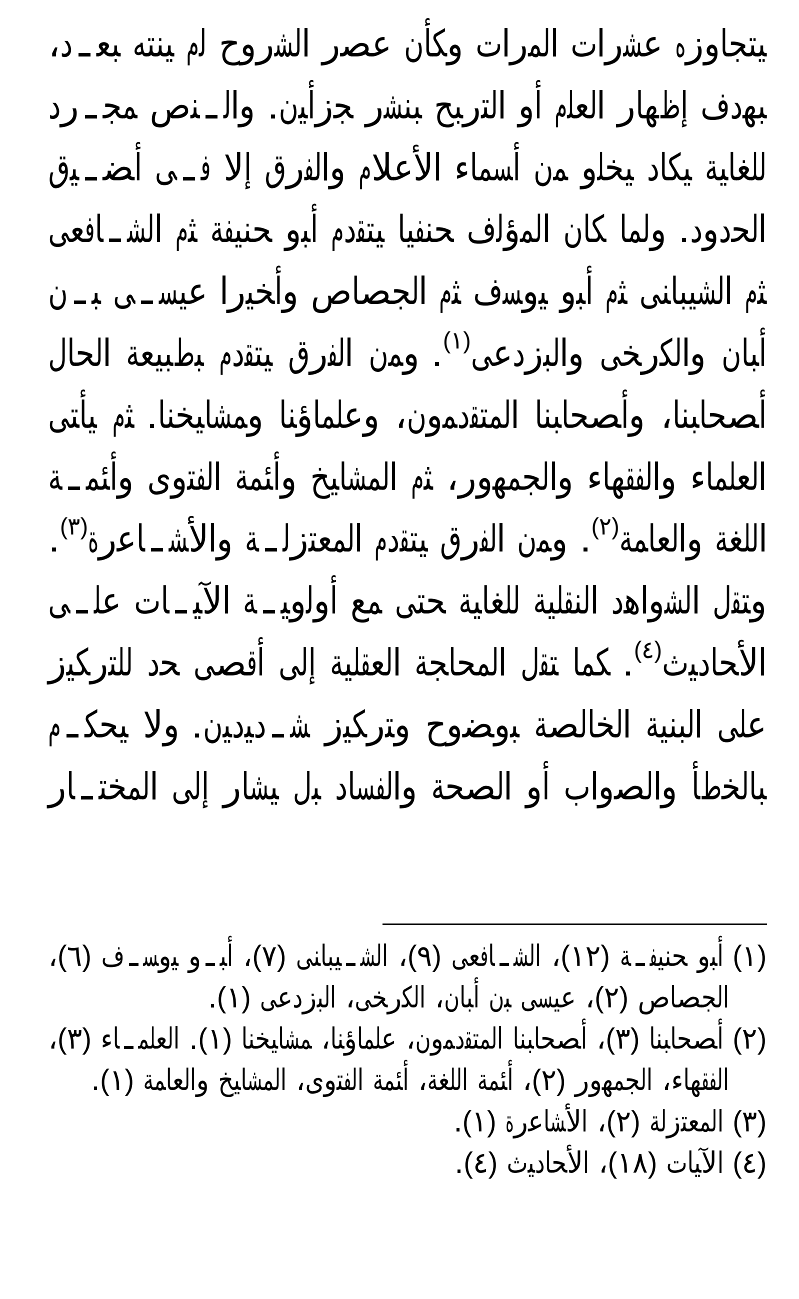
أكبرها ثم السنة ثم القياس ثم الإجماع[1]. والفرق بين الثلاثة الأولى خلاف فى الدرجة فى حين أن الفـرق بـين الثلاثـة الأولى والدليل الرابع فرق فى النوع. لذلك تذكر الأدلة ثلاثة ويضاف إليها الرابع مستنبط منها بدلا من أن تكون الأدلـة أربعة متتالية[2]. ويشمل الكتاب مباحـث الألفـاظ: الـنظم والاستدلالات الفاسدة والأمر والنهى وأضرارهما وأسـباب الشرائع والعزيمـة والرخصـة. وتشـمل السـنة أقسـامها والتعارض والتراجيح والبيان والأفعال وشرع من قبلنا وتقليد الصحابى وتقليد التابعى. ويتناول الإجماع أركانـه وحجيتـه وأهليته وعصره وكثرته ومراتبه ونسـخه وسـنده ووجـوه النقل. أما القياس فيضم شرائطه وأركانه وحكمه ومتى يرفع والترجيح فى العلل. أما القسم الثانى، الأحكام، فهو الثمرة فى "المستصفى" المحكوم به والحكم والمحكوم عليـه، والأهليـة وجودا وعدما. والقسم الثالث حروف الجـر تضـم حـرف العطف والجر والشرط. وهى أقرب إلى المبادئ اللغوية.

وهو نص قصير للغاية وضع له الناشر المعاصر شرحا

---

(١) الكتاب (٣٥٣)، السنة (٢٧١)، القياس (٢٠٠)، الإجماع (١٠٤).

(٢) "إن أصول الشرع ثلاثة: الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والأصل الرابـع القياس المستنبط من هذه الأصول الثلاثة، المذهب جـ ٤٩/١.



يتجاوزه عشرات المرات وكأن عصر الشروح لم ينته بعـد، بهدف إظهار العلم أو التربح بنشر جزأين. والـنص مجـرد للغاية يكاد يخلو من أسماء الأعلام والفرق إلا فـى أضـيق الحدود. ولما كان المؤلف حنفيا يتقدم أبو حنيفة ثم الشـافعى ثم الشيبانى ثم أبو يوسف ثم الجصاص وأخيرا عيسـى بـن أبان والكرخى والبزدعى[1]. ومن الفرق يتقدم بطبيعة الحال أصحابنا، وأصحابنا المتقدمون، وعلماؤنا ومشايخنا. ثم يأتى العلماء والفقهاء والجمهور، ثم المشايخ وأئمة الفتوى وأئمـة اللغة والعامة[2]. ومن الفرق يتقدم المعتزلـة والأشـاعرة[3]. وتقل الشواهد النقلية للغاية حتى مع أولويـة الآيـات علـى الأحاديث[4]. كما تقل المحاجة العقلية إلى أقصى حد للتركيز على البنية الخالصة بوضوح وتركيز شـديدين. ولا يحكـم بالخطأ والصواب أو الصحة والفساد بل يشار إلى المختـار

---

(١) أبو حنيفـة (١٢)، الشـافعى (٩)، الشـيبانى (٧)، أبـو يوسـف (٦)، الجصاص (٢)، عيسى بن أبان، الكرخى، البزدعى (١).

(٢) أصحابنا (٣)، أصحابنا المتقدمون، علماؤنا، مشايخنا (١). العلمـاء (٣)، الفقهاء، الجمهور (٢)، أئمة اللغة، أئمة الفتوى، المشايخ والعامة (١).

(٣) المعتزلة (٢)، الأشاعرة (١).

(٤) الآيات (١٨)، الأحاديث (٤).

فحسب[1].

٤- "تيسير الوصول إلى قواعد الأصول" لعبد المـؤمن بن عبد الحق البغدادى الحنبلى (٧٣٩هـ)[2]. وهو اختصار لعمل المؤلف "تحقيق الأمل" دون الإخلال به بل "مجردة عن الدلائل" أى مع تخفيف الحجج النقلية والعقلية حتـى يسـهل تعلمه[3]. لذلك أتى واضحا قصيرا مركزا. ويقوم على بنيـة ثلاثية الأحكام والأدلة ثم الاجتهاد والتقليد. وأكبرهـا الأدلـة وأصغرها الاجتهاد والتقليد[4]. وتشـمل الأحكـام التكليـف والوضع[5]. وتضم الأدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وأكبرها السنة لأنها تضم مبحث الألفاظ، ثـم القيـاس ثـم الإجماع، وأصغرها الكتاب[6]. كما تضم الأدلـة الأصـول

---

(١) والمذهب المختار جـ ٤٦٦/١.

(٢) الإمام عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى الحنبلى (٧٣٩هـ): تيسـير الوصول إلى قواعد الأصول، شرح عبد ا بـن صـالح الفـوزان، دار الفضيلة، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) "هذه قواعد الأصول ومعاقد الفصول من كتابى المسـمى بـ "تحقيـق الأمل" مجردة عن الدلائل، من غير إخلال بشىء من المسـائل، تـذكرة للطالب المستبين، وتبصرة للراغب المستعين"، السابق ص ١٩-٢٠.

(٤) الأدلة (٥٨٣)، الأحكام (٧٤)، الاجتهاد والتقليد(٤٤).

(٥) الأحكام التكليفية (٣٨)، الأحكام الوضعية (٣٦).

(٦) السنة (٣١٦)، القياس (١٧٢)، الإجماع (٣٠)، الكتاب (١٧).

المختلف فيها مثـل شـرع مـن قبلنـا وقـول الصـحابى والاستحسان والاستصلاح[1]. وفى الباب الثالث الاجتهاد أكبر من التقليد حتى ولو كان بعض الانبعاج الكمى لصالح الأدلة الأربعة أى الوعى التاريخى على حساب الأحكام وهو الوعى العملى، والاجتهاد والتقليد وهو الوعى النظرى[2]. والمؤلف على وعى بهذه البنية الثلاثية الرئيسية فى تقسيم المتن إلـى ثلاثة أبواب ويعلن عنها صراحة[3]. ولا توجد أقسام أخرى، فصول أو أقسام أو فنون حرصا على البنية الأولية باسـتثناء الأدلة الأربعة وتسمية كل دليل أصلا، وتسمية كل من الأمر والنهى والمفهوم بابا، نظرا لطول مباحث الألفاظ وضـرورة قسمتها قسمة فرعية ثانية. ويدل ذلك على أثر "المستصـفى" فى قسمته الرباعية وردها إلى الثلاثية. وقد أفـاض الناشـر الحديث فى الشرح على طريقة القدماء وكأننا مازلنـا فـى العصر المملوكى العثمانى عصر الشروح والملخصات نظرا للبيئة الثقافية التى يعيش فيها فى شبه الجزيرة العربية وتقدمه لدرجة علمية تُـعطى على أكبر قدر ممكن من المعلومـات

(١) تيسير الوصول ص ٤٦٩-٥١٣.
(٢) الاجتهاد (٧١)، التقليد (١٣).
(٣) تيسير الوصول ص٢٨-٣٢.

والشروح حتى ولو تحول العلم إلى تعالم، والعقل إلى نقـل. وهناك تنبيه واحد خلال المتن[1].

ويعتمد على عدد من الشواهد النقلية دون الشـعرية[2]. وبالرغم من أن المؤلف حنبلى إلا أن الثقافة فى عصره كانت شافعية حنفية. لذلك يتقدم أبو الخطاب ثم القاضى ثـم أبـو حنيفة ثم الشافعى ثم مالك، ثم التميمى ثم ابن حامد وأخيـرا أحمد. ثم يتداخل فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنبليـة مثل الجزرى وابن شقلا وعيسى بن أبان والقفال والـرازى وابن عقيل والكرخى والبستى والغزالى والعنبرى والخرقى. ويظهر المتكلمون مثل المعتزلة والنظام والجاحظ. وقد ظـل الأثر قائما حتى هـذا العصـر المتـأخر[3]. ومـن الفـرق والمذاهب يتقدم الشافعية ثم الحنفية ثم المتكلمون ثم الفقهاء ثم المعتزلة ثم الظاهرية وأخيرا "أصحابنا" قبل المالكية قبـل أن

---

(١) السابق ص٢٢٣.

(٢) القرآن (٢٥)، الحديث (١٦).

(٣) أبو الخطاب (٢٤)، القاضى (٢٢)، أبو حنيفة (٢١)، الشافعى (٨)، مالك (٦)، التميمى (٥)، أحمد (٤)، ابن حامد (٣)، الجزرى، ابن شقلا، ابـن داود، أبو بكر عبد العزيز، الجاحظ، عيسى بن أبان (٢). القفال، الرازى، ابن عقيل، الكرخى، البستى، النظام، القاضى يعقوب، العنبرى، الخرقى، الغزالى، أبو ثور (١)، ومن الصحابة والتابعين داود (٢)، عمـر، أبـو بكر، ابن عباس، العطار، الحسن، ابن جرير (١).

تؤكد سلطانها مما يدل على سيادة المذاهب الفقهيـة الثلاثـة الأولى على الحنبلية فى الثقافة الفقهيـة المتـأخرة. وتـذكر المعتزلة فى الغالب أكثر من القدرية[1].

٥- "البحر المحيط فى أصـول الفقـه" لبـدر الـدين الزركشى (٧٩٤هـ)[2]. تبدو نهاية الإبداع فى علم الأصول وبداية تجميع آراء السابقين، وإعمال الذاكرة بدلا من العقل، وتحويل العلم إلى موسوعة ضخمة تنقل كل شئ ولا تقـول شيئا. فالاسم على مسمى "البحر المحيط"، ومع ذلك لا يشرب منه. ويبدو أن "الموافقات" للشاطبى كانت آخر إبداعات علم الأصول. وفى هذه الحالة التلخيص كنوع أدبى أفضـل مـن الشرح لأنه تركيز فى حين أن الشرح إسهاب، ولكن الغالب على هذه الفترة كانت الشروح على المتن والهـوامش علـى

---

(١) الشافعية (٣١)، الحنفية (٢٤)، المتكلمون (١٥)، الفقهاء (٩)، المعتزلـة (٧)، الظاهرية (٦)، أصحابنا (٤)، القدرية، المالكيـة، المحققـون (٢)، أصحاب الحديث، المحدثون، بعض النحاة، متأخروا النحاة، المجتهـدون، التابعون، العلماء المحققون، متأخروا أصحابنا، أهل العربية والكلام، أهل اللغة، أهل الشرع والشرعية (١).

(٢) الإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد ا الزركشى: البحر المحيط فى أصول الفقه، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. محمد محمـد تامر (أربعة مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الشروح والتخريجات على الهوامش[1]. ويصيب الروح بالخواء، ويشعر القارئ بالضياع.

ضاعت الأصول وسط الفروع، واختفت الاتفاقات وسط الاختلافات، وتاهت الكليات وسط الجزئيات. وغابت عن علم أصول الفقه البحث عن معايير للسلوك الانسانى وقواعد له. أصبحت الخلافيات بديلا عن الواقع الذى يحتاج إلى توحيد القوى وهو ما نحن فيه الآن. ومكانها كلها فى الهوامش لإبقاء الأصول فى صلب المتن حتى لا يختلط القش مع التبر. وأحيانا تظهر البنية العقلية وسط الركام الضخم من الروايات والأقوال حتى ولو كانت نقلا عن ابن تيمية[2]. وكل قول تسبقه الرواية كما هو الحال فى علم الحديث، وكل متن يعتمد فى صحة نقله على صحة السند. فطغى السند على المتن. وبرزت الرواية على حساب الموقف والرأى. وإذا كان هناك رد على الاعتراضات فبراوية أخرى. فهل النقل صحيح؟ وهل هو عن مصادر شفاهية يصعب تصديقها نظرا لبعد الزمن الأول أو عن مصادر كتابية؟ والأرجح المصادر

---

(١) انظر كتابنا "من النقل إلى الإبداع"، المجلد الأول النقل، الجزء الثالث: التفسير، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠.

(٢) البحر المحيط جـ ٢١٢/١.

الكتابية نظرا لورود اقتباسات بطريقـة المحـدثين، بدايـة ونهاية. وهى طريقة التـأليف الغالبـة اليـوم[1]. ويشـرح الاقتباسات مع كثير من التكرار.

وإذا كثرت الروايات وتزايد النقل قل الشـعر واختفـى الوجدان. ولما كان العقل لا يعمل، والذاكرة لا تحتوى فإنـه يصعب الدخول فى "البحر المحيط" والخروج منه لأن القارئ سرعان ما يغرق فيه ويغوص فى القاع[2].

وهو مملوء بالشواهد النقلية، والآيات القرآنية أكثر مـن الأحاديث النبوية بنفس المـنهج النقلـى[3]. ونظـرا لكثـرة الإحالات يحيل العمل أيضا إلى نفسه للتذكير بأقسامه. لـذلك يصعب تطبيق منهج تحليل المضمون لكثرة أسماء العلام من الرواة والصحابة والتابعين والفقهاء المعروفين والذين طواهم النسيان، والملوك والخلفاء والأئمة والقضـاه والأصـوليين

---

(١) يتحدث المؤلف نفسه فى المقدمة عن مصادره، السابق جـ ٣/١-٦.

(٢) بدأت قراءته فى منتصف يناير محاولا تطبيق تحليل المضـمون عليـه لمعرفة مكوناته ومصادره وتوجهاته التى استمرت حتى القـرن الثـامن الهجرى. ثم توقفت حتى نهاية أبريل لغرقى فى "البحر المحيط" بالإضافة إلى اجتياح الضفة الغربية. وأعود الآن إليه فى أول مايو بعد انقطاع دام حوالى ثلاثة أشهر ونصف.

(٣) يصعب إحصاء الشواهد النقلية لكثرتها بأسماء الأعلام.

والمتكلمين والصوفية وهى تبلغ الآلاف. لذلك استحال عمل ثبت بأسماء الأعلام فى الطبعات الحديثة. وأحيانا يكتفى بالإشارة إلى مؤلف الكتاب. ولأول مرة يحال إلى ابن تيمية مما يدل على نهاية فترة وبداية أخرى فى مسار الحضارة الإسلامية. وتكثر ألقابهم وتتنوع بين القاضى والأستاذ والشيخ والإمام وهى ألقاب فى أصول الفقه غيرها فى أصول الدين أو علوم الحكمة أو التصوف. وعادة ما يكتفى باللقب دون الاسم. فالقاضى هل هو الباقلانى؟ والأستاذ هل هو ابن فورك؟ والشيخ ابن سينا غير الشيخ فى أصول الفقه. والإمام هل هو الرازى؟

ومع ذلك يمتاز "البحر" بالوضوح وحسن الترتيب والموضوعية والهدوء دون التطرف فى الأحكام من أجل الإقصاء والاستبعاد الذى قد يصل عند البعض إلى حد التكفير. ويكفى الحكم على الرأى المخالف بأنه "فاسد" أو "باطل" أو "غريب". وعندما يذكر رأيه يكتفى بالقول "والمختار عندنا" أو "والتحقيق" وأحيانا "والصحيح". وهو شافعى الاتجاه ولكن لا تبدو الشافعية مذهبا قطعيا يستبعد المذاهب الأخرى. ومع ذلك يبدو الهجوم مازال مستمرا على

المعتزلة فى نظرية الحسن والقبح العقليين تحت أثر الغزالى منذ القرن الخامس عندما طعن فى أصول التوحيـد والعـدل عندهم فى "الاقتصاد فى الاعتقاد". فسـادت عقيـدة الفرقـة الناجية وتوحد بها السلاطين، فنشأ التسلط بـالإرادة ولـيس الحكمة بالعقل كما هو الحال عند ابن رشد.

ولأول مرة يتم الاعتماد على أصول الفقـه "الشـيعى" واستعمال مصادر الشيعة قبل محاولات التقريب الحالية التى بدأها الشيخ شلتوت، واعتبار الفقه الجعفرى المذهب الفقهـى الخامس وهو تلميذ أبى حنيفة. وفى نفس الوقت تم التحـول من نظرية العلم المعروفة فى علم أصول الدين إلى المنطق، واللغة عامل مشترك بينهما[1].

وبالرغم من قسمة الكتاب إلى فصول ومقدمات ومسائل وفروع وضوابط وخواتيم وتنبيهـات وتتمـات وتكـيلات ومباحث إلا أنه يبدو ذو بنية ثلاثية غير معلنة: المقـدمات، والأحكام، والمباحث وهى الأدلة الشرعية الأربعـة دون أن يكون هناك مفهوم جامع بينها. أكبرها المباحث ثم الأحكـام وأصغرها المقدمات مما يدل على انبعاج البنية الثلاثية حول

---

(١) "من العقيدة إلى الثورة"، جـ١ المقدمات النظريـة، مـدبولى، القـاهرة ١٩٨٧ ص ٢٣١-٤٠٩.

الأدلة الأربعة (المباحث) أى الوعى التاريخى على حساب الأحكام، الوعى العملى، والمقدمات بعد أن أصبح الوعى النظرى أى مباحث الألفاظ جزءا من الوعى التاريخى[1]. المقدمات مجرد حديث عن تاريخ العلم ،مما يدل على بداية النهاية عندما يؤرخ العلم لنفسه، وشرفه وغايته ومرتبته ودور العقل فيه، وكما هو الحال فى المقدمات القديمة. إنما تضم الأحكام أساسا أحكام التكليف الخمسة، الواجب والمحرم، والمندوب والمكروه دون المباح مكتفيا بالتضاد المطلق أو النسبى، الضرورى أو الاختيارى، بعد مقدمة عن الأحكام وما يعلم به الخطاب ثم تفصيل أقسام الواجب. ويتحدث عن أحكام الوضع فى الخاتمة تحت عنوان "خلاف الأولى" وهو تعبير جديد. والمباحث تضم الأدلة الشرعية الأربعة أكبرها الكتاب ثم القياس أى النص والواقع ثم السنة ثم الإجماع أى النص الثانى والأمة[2].

وفى الكتاب تدخل مباحث الألفاظ بعد تعريفه وأهمية اللغة والاشتقاق والترادف. وهى الحقيقة والمجاز، الأمر

---

(١) الأدلة الأربعة (عدد الصفحات) (١٩٨٢)، الأحكام (٢٦٥)، المقدمات (٨٧).

(٢) الكتاب (١٠٢٤)، القياس (٦٠٥)، السنة (٢٥٠)، الإجماع (١٠٣).

والنهى، العام والخاص، المطلق والمقيد، الظاهر والمـؤول، المجمل والمبين. بل يدخل أيضا مفهوم المخالفة وهـو عـن فحوى الخطاب وموضوع النسخ. وبين الحقيقـة والمجـاز والأمر والنهى يظهر موضوع أدوات المعانى. وتنقسم السنة إلى قول وفعل وإقرار وسند ومتن وهى أقسام السنة التقليدية فى كتب الأصول السابقة. ويتضمن الإجماع تعريفـه، ومـا ينعقد منه، وما ينقد به، وفيما يستقر بـه، والمجمـع عليـه، وأحكام الإجماع. أما القياس فيبدأ بـالتعريف ثـم بالأركـان الأربعة، الأصل والفرع والعلة والحكم. وتـُلحق به الأدلـة المختلف عليها، والتعادل والتراجيح، والاجتهاد.

٦- "التحرير" لابن الهمام (٨٦١هـ)[١]. وربما يكـون آخر النصوص الأصولية التى ما زالت تحرص على التجريد الأصولى، والتأسيس العقلى الخالص بعيدا عن التجميع الذى طبع المؤلفات الأصولية المتأخرة ابتداء من "البحر المحـيط" للزركشى. وربما يرجع هذا الطابع العقلـى المجـرد إلـى الحنفية التى ينتسب إليها المؤلف بالرغم من محاولات الجمع بينها وبين الشافعية. وكان المؤلف على وعى بذلك إذ تحتكم

---

(١) الإمام الكمال ابن الهمام: التحرير فـى علـم الأصـول، الجـامع بـين اصطلاحى الحنفية والشافعية (ثلاثة أجزاء)، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦.

الحنفية إلى العقل لا إلى النص[1]. لذلك تغيب عنه الأحكـام الاقصائية والمواقف الحديـة، لا يسـتعمل أحكـام الخطـأ والصواب أو الصحيح أو الفاسد بل و"المختـار" أى مجـرد احتمال ضمن احتمالات، ورأى ضمن الآراء. وكان هم الكم هو أحد الدوافع على التركيز فى العرض والتأصيل للقواعـد بالرغم من ظهور السجع كعادة العصور المتأخرة فى الكتابة. وتقل فيه الشواهد النقلية، الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأشعار العربية إلى الحد الأدنى. ويغلـب الحـديث علـى القرآن مما يدل على بداية فترة أهـل الحـديث أو السـلفية المعاصرة. وكلاهما يغلبان الشعر بعد أن توارى الوجدان[2].

وتظهر البنية الثلاثية للعلم، المبادئ اللغويـة، أحـوال الموضوع، والاجتهاد. وهى بنية واعية يعبر عنها المؤلـف كقصد له[3]. أكبرها أحوال الموضوع الأربعة ثـم المبـادئ اللغوية وأصغرها الاجتهاد[4]. وتجمع المقدمة بـين بعـض المبادئ اللغوية والمنطقية فى حين تشمل المبـادئ اللغويـة

---

(١) السابق جـ ١٩٩/١.

(٢) الحديث (٤١)، القرآن (٢٧)، الشعر (١).

(٣) "وسميته بالتحرير بعد ترتيبه على مقدمة هى المقدمات، وثلاث مقـالات فى المبادئ وأحوال الموضوع والاجتهاد، السابق جـ ١٨/١-١٩.

(٤) أحوال الموضوع (٧٠٠)، المبادئ اللغوية (٤٢٢)، الاجتهاد (٨٧).

مباحث الألفاظ. وتضم مسائل الاشتقاق والدلالـة والمقايسـة والكلى والجزئى والمفرد والمركب. فى حين تضم مباحـث الألفاظ الحقيقة والمجاز. وتضم أحـوال الموضـوع أحكـام التكليف وأحكام الوضع بالإضـافة إلـى الأدلـة الشـرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقيـاس. والاجتهـاد لا يحتوى إلا على عدة مسائل دون أبواب أو فصـول. ويـتم انبعاج البنية الثلاثية أيضا لصالح أحوال الموضوع أى الأدلة الأربعة أى الوعى التاريخى على حساب المبادئ اللغوية أى الوعى النظرى والاجتهاد جزء منه. أما أحكام التكليف فإنها تدخل ضمن الوعى التاريخى مما يدل علـى بدايـة اختفـاء العمل لحساب النص واللغة. وبالرغم من هـذه التقسـيمات تتأكد وحدة العمل، بإحالة السابق إلى اللاحق(١).

لذلك تتقدم الحنفية ومشتقاتها، أبو حنيفة وحنفى. تتلوهـا الشافعية والشافعى وشافعى(٢). ويتبعهما فقهاء الحنفية مثـل

---

(١) التحرير جـ ١/١٣٥/١٤٥/٢١٤.

(٢) الحنفية (٢٠٩)، أبو حنيفة (٣٤)، حنفى (٩). الشافعية (٧٣)، الشـافعى (٥٦)، شافعى (٤). فخر الإسلام (٣٨)، أبـو يوسـف (٣٠)، القاضـى (٢١)، الآمــدى (١٧)، الغزالــى، الشــيبانى (١٦)، الكرخــى (١٣). الأشعرى، الجبائى (١٠)، الماتريدى (١١)، القاضى أبـو بكـر، إمـام الحرمين، أبو الحسين (٩)، الحسن، أحمد بن حنبل (٨)، أبـو الحسـن،

فخر الإسلام ثم القاضى ثم أبو يوسف. ثـم يتـداخل فقهـاء الشافعية مثل الآمدى ثم الغزالى. ويعود الأحنـاف للظهـور مثل الكرخى ثم محمد بن الحسن الشيبانى. ويظهر المتكلمون باعتبارهم أصوليين مثل الأشعرى والأشـاعرة المـرتبطين بالشافعية، والجبائى وابنه أبو هاشم المـرتبطين بالأحنـاف. ويظهر أبو منصور الماتريدى باعتباره أول من جمـع بـين الأشاعرة والمعتزلة كما يفعل ابـن الهمـام بـين الشـافعية والحنفية. ويتداخل الأصوليون، حنفية وشافعية مع المتكلمين معتزلة وأشاعرة مما يدل على الرغبـة فـى الجمـع بـين المذهبين فى الأصول بشقيه، أصول الفقه وأصول الدين. بل يتداخل الحنابلة أيضا من خلال أحمد بن حنبل قبل المالكيـة من خلال مالك.

ومن الفرق يتقدم المعتزلة بطبيعة الحال الذين كانوا ولا

السرخسى (٧)، القاضى عبد الجبار، شمس الأئمة (٦)، الإمام، القاضـى أبو زيد (٥)، الرازى (٤)، الدارقطنى، ابن الحاجـب، الصـيرفى، ابـن اللبان، مالك، ابن جريج، الرازى الحنفى، الاسـفراييني (الأسـتاذ) (٣)، الكعبى، الجصاص، الجرجانى، ابن المسيب، ابن معين، الشعبى ، القفـال (٢)، وخمسون آخرين مثل الباقلانى، والنخعى، والسمعانى، والثـورى، واسحق بن راهويه، والبيضاوى، وأبو زيد الدبوسى، وعيسى بن أبـان، والنظام. ومن اللغويين، الخليل وسيبويه وابن جنى.

يزالوا يمثلون التحدى العقلى للأشاعرة والشافعية، ثم بـاقى الجمهور أى غالبية الفقهاء الحنابلة ثم الأشاعرة والأشـعرية وعامة الشافعية. ولا حرج من ذكر الفرق الهالكة مثل الشيعة والخوارج واليهود والنصارى[1]. ويشار إلـى الأصـوليين والفقهاء باعتبارهم فرقا. ويشار إلى الفرق الصـائبة باسـم "المحققون". والظاهرية فرقة أصـولية. ومـنهم المتقـدمون والمتأخرون إحساسا بتطور العلم فى التـاريخ. أو التـابعون الذين ينكرون تغير الزمن[2].

ومن الفرق من يرتبط بالمدن والأمصار. فالجغرافيا أى المكان بعد فقهى فى الأحكام مثل الزمان فـى الفـرق بـين المتقدمين والمتأخرين. فهنـاك أئمـة الكوفـة والكوفيـون، والعراقيون والسمرقنديون، ومشايخ سمرقند، وأهل المدينـة، ومشايخ ما وراء النهر من الحنفية، والبخاريون. ومنها مـا يرتبط بالمعرفة مثل: الإشراقيون، السمنية التى لا تعترف إلا بالحس، والسوفسطائية التى تنكر المعارف بعـد أن تعربـت

---

(١) المعتزلـة (٣٣)، الجمهـور (١٣)، الحنابلـة (١٠)، الأشـاعرة (٩)، الأشعرية، الشيعة، الخوارج، اليهود (٦). الأصـوليون (٥). المحققـون (٤)، النصارى، الظاهريـة (٣). المتكلمـون، الـروافض، العيسـوية، الحشوية، أصحاب الحديث، أهل الحديث، الخطابية، المالكية (١).

(٢) المتأخرون المحدثون، المتقدمون (٢)، قدماؤهم، التابعون (١).

الكلمة على أيدى الفلاسفة. ومنها ما يرتبط بالديانات السابقة مثل الحنيفية والمجوس. ومنها ما يرتبط بالعلوم مثـل علـم اللغة مثل أئمة اللغة، وأهل اللسان. ومنها ما يرتبط بالجماعة مثل: الشيخان، أصحابنا، مشايخهم، المشايخ. ويتم الاعتمـاد على الصحابة والتابعين باعتبارهم فقهاء ورواة للحديث فـى نفس الوقت وكأن الصحابة فرقة. ويتقدمهم ابن عباس حبـر الأمة[1]. بل ويظهر الأنبياء أيضا فـى موضـوع النسـخ، يتقدمهم عيسى وموسى، ثم آدم ونوح وإبراهيم، ثم يعقـوب وإسماعيل محمد[2]. وتذكر التوراة. كما يشار إلى نبختنصر ملك بابل الذى أسر اليهود.

---

(١) الصحابة، ابن عباس (١٢)، فاطمة، على (١٠)، أبـو بكـر (٧)، أبـو هريرة، ابن عمر، عائشة (٦)، أنس، عمر (٥)، عثمان، البخـارى (٤)، الترمذى (٢)، ابن الزبير، معاذ، مجاهد، أبو داود، الضـحاك، ميمونـة، زيد بن ثابت، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن معاذ، ابن العاص، أم سلمة وآخرون (١).

(٢) عيسى، موسى (٤)، آدم، نوح، إبراهيم (٢)، المسيح، يعقوب، إسماعيل، محمد (١). التوراة، نبختنصر (١).

٧- "مسلم الثبـوت" لمحـب ا بـن عبـد الشـكور (١١١٩هـ)[١]. ويجمع بين الحنفية والشافعية "ولا يميل ميلا ما عن الواقعية" وهى المالكية. ومن ثم يعتمد الـنص علـى العقل والوجود كما يتضح فى مبحث "الماهية والوجـود"[٢]. وتظهر مباحث الفلسفة والفلاسفة مثل ابن سينا.

وهو أقرب النصوص إلى "المستصفى" للغزالـى. وقـد طبع النصان معا على صفحة واحدة، قصدا أو مصادفة. يقوم على الحجاج ضد المتكلمين، وهو ما يظهر فى الأسلوب "فإن قيل ... قلنا". ويبحث عن اليقين كما يوحى العنـوان "مسـلم الثبوت". ومع ذلك لا يستبعد رأيا ولا يكفر أحـدا. وإذا أراد الصواب قال "والمختار" أى احتمـال لا ينفـى الاحتمـالات الأخرى. وهو أقرب إلى الماتريدية التى حاولت من قبل فى علم الكلام الجمع بين الأشعرية والاعتزال وبـين الشـافعية والحنفية. ويظهر موضوع "الصلاة فى الـدار المغصـوبة" كنموذج لإصدار حكم شرعى يجمع بين العقل والنقل[٣].

---

(١) الإمام المحقق الشيخ محب ا بن عبد الشكور: مسلم الثبـوت، حاشـية، المستصفى للغزالى (جزءان)، الطبعة الأولى، بالمطبعة الأميرية ببـولاق مصر المحمية سنة ١٣٢٢هـ. جـ١ ص٧.

(٢) السابق ص١٩-٢٤.

(٣) السابق ص١٠٥.

وتكثر الشواهد النقلية، وتتقدم الآيـات القرآنيـة علـى الأحاديث النبوية[1]. وتقل الشواهد الشعرية إلى الحد الأقصى فالمؤلف أقرب إلى العقل منه إلى الوجدان[2]. ويحيل الـنص إلى عدة نصوص سابقة، متـون وملخصـات وشـروح أو نصوص المؤلف نفسه[3].

والبنية ثلاثية تتضمن مقدمة عن حد العلم وموضـوعه وغايته ومقالات ثلاث، كلامية وإحكامية ولغوية، والمقاصـد وهى الأدلة الشرعية الأربعة. المبادئ الكلامية تتضمن مـا يعادل نظرية العلم، والأحكام ما سماه المستصـفى الثمـرة. والمبادئ اللغوية طرق الاستثمار. والمقاصد الأربعـة هـى المثمر. ومن حيث الكم تتعادل تقريبـا المقدمـة والمبـادئ الكلامية والحكمية واللغوية. وهى بمثابة المنهج مع الأصول الأربعة وهى بمثابة الموضوع[4]. والمبادئ اللغوية أكبر من

(١) القرآن (١٣٩)، الحديث (٧٩).
(٢) الشعر (٢).
(٣) وهى: شرح المختصر (٥٨)، التحرير (٥٣)، المنهاج (٨)، شرح الشرح (٧)، المحصول (٥)، التلويح (٢)، المواقف، الشفاء، المعتمـد، الهدايـة، الكشاف، البرهان، الإقرار (١). كتبنا (١).
(٤) المقدمة والمقالات الثلاث (٤٣٥)، الأصول الأربعة (٤٠٦).

الحكمية والكلامية[1]. والقيـاس أكبـر الأصـول الأربعـة والإجماع أصغرها[2]. وتنبعج البنية الثلاثية لصالح الأصول الأربعة أى الوعى التاريخى فى حـين تضـم الأحكـام أى الوعى العملى والمبادئ اللغوية أى الـوعى النظـرى مـع المقدمات.

ولما كان الكتاب يجمع بين الأصول الشافعية والحنفيـة يتصدر الشافعى وأبو حنيفة، ومـا بينهمـا ابـن الحاجـب والباقلانى. ثم يتداخل علماء الأصول مثل إمـام الحـرمين والحنفية مثل الجصاص، الغزالى والآمدى من ناحية وأبـو الحسن البصرى وأبو هاشم الجبائى من ناحية أخـرى. ثـم يتوالى فقهاء الحنفية كالبزدوى والسرخسى وأبـو يوسـف، ومن المتأخرين ابن الهمام. وفى هذا العصر المتأخر الـذى سيطر فيه الفقهاء وسادت فيه الحركة السلفية يتقدم أحمد بـن حنبل والحنابلة على مالك والمالكية[3]. ويظهر أئمة الصحابة

(١) المبادئ اللغوية (٢٥٩)، المبادئ الحكمية (١٥٣)، المبادئ الكلامية (٧).

(٢) القياس (١٦٢)، السنة (١١٥)، الكتاب (٨٩)، الإجماع (٣٥).

(٣) الشافعى (٦٥)، ابن الحاجب (٤٥)، الباقلانى (القاضى) (٤١)، أبو حنيفة (٣٧)، إمام الحرمين، أبو بكر الـرازى (الجصـاص) (٣١)، الغزالـى (٢٤)، الآمدى (٢٣)، أبو الحسين البصرى (١٩)، أحمد بن حنبل (١٧)، البزدوى (فخر الإسلام)، أبو يوسف (١٣)، ابن الهمام (١٢)، الكرخـى،

باعتبارهم أصوليين ويتقدمهم ابن عباس حبر الأمة ثم عمـر منجمها[1].

ومن الفرق يتقدم أيضا الحنفية ثم الشـافعية، وتكييـف الأصول الشافعية طبقا للأصول الحنفية. ثم يظهر المعتزلـة قرائن الأحناف لاشتراكهم فى الفعل. ويتسـاوى الجمهـور والحنابلة بعد أن أصبحت السلفية التيار الغالب فـى الثقافـة الشعبية. لذلك كثيرا ما يحال إلى الصحابة والشيخين. ومـن المتكلمين يظهر الأشاعرة أو الأشعرية والشيعة والظاهريـة، أنصار التأويل وأعداؤه، والزيدية والكرامية. وتظهر فـرق الأقاليم مثل مشايخ سـمرقند مـع العـراقيين والبخـاريين.

الأشعرى (١١)، مالك (١٠)، ابن شريح، الدبوسـى (أبـو زيـد) (٧)، الشيرازى، عبد الجبار (القاضى) (٦)، زفر، ابن أبان، الأستاذ (أبو اسحق الاسفراييني (٥)، البيضاوى، النظام (٤)، الكعبى، السبكى، فخـر الـدين الرازى (الإمام) (٣)، الماتريدى، ابـن سـينا، الصـيرفى، المرتضـى، الأوزاعى، سيبويه، أبو عبد ا البصرى، ابن السمعانى، ابن الصـلاح، القفال، النخعى، أبو ثور، أبو عبد ا البصرى (٢)، أبو على الفارسـى، الأرموى، القرافى، عباد بن سليمان، عبد القاهر، الثورى، الزهرى، ابـن جنى، ابن الراوندى، ابن الجوزى، ابن المبارك، الذهبى، البردعى، داود الظاهرى، القاسانى، النهروانى، البهيقى (١)، وآخرون.

(١) ابن عباس (٣٣)، عمر (٢١)، على (١٦)، أبو بكر (١٥)، ابن مسـعود (١١)، عثمان (٧)، أبو رافع (٥)، معاذ (٤)، البخارى ، العبـاس، أبـو ثور، سلمة، ابن مالك، أبو بكره، طلحة وآخرون.

والحكماء أو الفلاسفة فرقة أيضا. وأهل الحق والجدليون مع الأصوليين فرق. بل تتفرع الفرق الكلاميـة إلـى الجبائيـة والجهمية أو الجبرية والبهشـمية والخـوارج أو الـروافض والجعفرية. كما تظهـر بعـض الفـرق غيـر الإسـلامية كالنصارى واليهود والمجوس والبراهمة والصابئة. ويظهـر أصحاب الرأى كالعقلاء والفضلاء والمحققـون والمصـوبة والمجتهدون والعلماء. ويحال إلى علماء اللغة أو النحـاة أو البلاغة. وفى كل فرقة بها قدماء ومحدثون إذ يتغير مسـار الفرقة واتجاهها عبر الزمان. كما يظهر الأنبياء خاصة فـى موضوع النسخ. ويتقدمهم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ونوح ثم آدم ثم داود وسليمان وهارون ويعقوب واسحق وإسماعيل ومحمد. ولا ينسى أيضا جبريل[1].

---

(١) الحنفية (١٣٧)، الشافعية (٧٣)، المعتزلـة (٤٧)، الحنابلـة، الجمهـور (١٦)، المتكلمون، الأشاعرة (١١)، الصحابة (١٠)، الفقهـاء، المالكيـة (٩)، الشيعة (٨)، الشيخان (٦)، الظاهرية (٥)، الحكماء، مشايخ سمرقند (٤)، أهل الحـق، الجـدليون، الأصـوليون (٣)، الزيديـة، الكراميـة، القاضيان، القدماء، أئمة اللغة، النحاة (٢). الجبائية، الجهمية، البهشـمية والخوارج أو الـروافض والجعفريـة، الإماميـة. النصـارى، اليهـود، الصابئة،= =المجوس، البراهمة. أصحاب الـرأى، العقـلاء، الفضـلاء، المحققون، المصوبة، المجتهدون، العلماء (١). علماء اللغة، النحاة، علماء البلاغة (٢). ومن الأنبياء، موسى (٩)، عيسى، إبراهيم (٤)، نوح (٣)،

وتكشف البنية الثلاثية بطريقة أو بـأخرى عـن أبعـاد الشعور الثلاثية. البعد التاريخى الذى يتلقى الوحى فى تعيناته الأربعة، الكتاب وهى الخبر البشرية العامة الأولى التى تمثل حكمة الشعوب، والسنة التى تمثل التجربة المثاليـة الأولـى والنموذج الأول، والإجماع الذى يمثل التجربـة الجماعيـة للأمة، والقياس تجربة الفرد واجتهاده الخاص. سمى الشافعى هذا البعد خبـر الواحـد والإجمـاع والقيـاس والاجتهـاد والاستحسان والاختلاف. وسماه التلمسانى الأصل، الكتـاب والسنة والإجماع، واستصحاب الحال والقيـاس والتـرجيح. وسماه الأخسيكى الأدلة الأربعة، والزركشـى المباحـث أى الأدلة الشرعية الأربعة، وابن الهمام الاجتهاد، وعبد الشكور المقاصد أى الأدلة الأربعة. وغالبا ما يكون القسـم الثالـث باستثناء الأخسيكى الذى جعله القسم الأول والتلمسانى الـذى جعله الأول والثالث.

والبعد الثانى الشعور التأملى أو النظـرى الـذى يفهـم الوحى المدون فى الكتاب والسـنة أو غيـر المـدون فـى التجربتين الجماعية والفردية. سماه الشافعى البيان وغلبـت

آدم (٢)، داود، سليمان، هارون، يعقوب، اسحق، إسماعيل، محمـد (١).
جبريل (١).

عليه الأدلة النقلية، والتلمسانى معقول الأصل أى مباحث الألفاظ، والأخسيكى حروف المعانى والمبادئ اللغوية، والزركشى المقدمات، وابن الهمام المبادئ اللغوية، وعبد الشكور المقدمة. وهو القسم الأول عند الشافعى والزركشى وابن الهمام وعبد الشكور، والثانى عند التلمسانى، والثالث عند الأخسيكى.

<u>خامسا: البنية الرباعية.</u>

١ - "أصول الفقه" لابن فورك (٤٠٦هـ)[1]. تدور على الأدلة الشرعية الأربعة وحدها، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. وتدخل مباحث الألفاظ مثل النص والظاهر والعموم والمجمل مع الكتاب. ومع السنة يدخل الفعل والإقرار. ويجتمع فى القياس وهو أكبرها معقول الأصل وهو لحن الخطاب وفحوى الخطاب ودليل الخطاب ومعنى الخطاب وهى أقسام القياس. وتلحق به حجيته وكذلك الاستصحاب وأقسامه. ابتلع الوعى التاريخى، المصادر الشرعية الأربعة،

---

(١) الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين ابن فورك الأصبهانى الشافعى عليه رحمة ا والرضوان (المتوفى سنة ٤٠٦هـ): مقدمة فى نكت من أصول الفقه، ص٤-١٤.

كل مسائل الوعى النظرى والوعى العملى. فالنص حوى كل شىء، اللغة فى طرق الاستدلال والفعل فى أحكام التكليـف. ويكثر فيه الاعتماد على الشواهد النقلية. ويتغلـب الحـديث على القرآن[1]. ويغيب الشعر بعد أن تحول الإبداع العربـى إلى العقل. ويتقدم الشافعى وأبو حنيفة على مالـك وأحمـد. والأشعرى وعمر والأصحاب[2].

٢- "المستصــفى مــن علــم الأصــول" للغزالــى (٥٠٥هـ)[3]. وفيه تظهر البنية الرباعية. إذ يـدور العلـم حول أربعة أقطاب، الحكم وهى أحكـام التكليـف، وأدلـة الأحكام وهى الأدلة الشرعية الأربعـة، وكيفيـة اسـتثمار الأحكام وهى مباحث الألفـاظ والمعـانى والعلـل، وحكـم المستثمر الذى يضم الاجتهاد، والتقليد والاستفتاء والترجيح.

ولأول مرة تتحول العلل من الأصل الرابع إلى مباحـث الألفاظ بعد قسمة الخطاب إلى لفظ ومعنى وشئ، إلى منظوم

---

(١) القرآن (٨)، الحديث (١١).

(٢) الشافعى، أبو حنيفة (٢)، مالك، أحمد، الأشعرى، عمر، أصحابنا (١).

(٣) الإمام أبو حامد محمد محمد بن محمد الغزالى: المستصفى من علـم الأصـول (جزءان)، الطبعة الأولى، المطبعة الأميريـة ببـولاق مصـر المحميـة ١٣٢٢هـ، الطبعة الثانية بالأوفست، مؤسسـة الحلبـى وشـركاه للنشـر والتوزيع القاهرة (د.ت).

وفحوى أو إشارة وقياس. ولما كان القطب الرابع أقرب إلى الأصل الرابع، ومن ثم تبرز البنية الثلاثية ضمنيا بداية بأحكام التكليف ثم الأدلة الأربعة ثم مباحث الألفاظ، بداية بالثمرة ثم المثمِر ثم طرق الاستثمار. والأولى البداية بالمثمِر ثم بطريق الاستثمار ثم بالثمرة، البذور قبل الجذوع، والجذوع قبل الثمار. أكبرها القطب الثالث كيفية الاستثمار وأصغرها الثمرة مع أحكام المستثمر[1]. وأحيانا يقول الغزالى إن الأدلة ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع، ودليل رابع هو دليل العقل أو الاستصحاب، أى استصحاب الأصل. ولا يضاف الدليل الرابع إلى باقى الأدلة الثلاثة وبنفس الصيغة ربما لأثر الأشعرية الشافعية، وتقديم النقل على العقل. فيظهر انبعاج البنية الثلاثية نحو الوعى النظرى أى طرق الاستثمار على حساب الوعى التاريخى أى الأدلة الأربعة والوعى العملى أى أحكام التكليف.

ولإحكام البنية تكثر ألفاظها وتتنوع أقسامها. البنية

---

(١) القطب الثالث (٣٥٠)، الثانى (١١٥)، الأول (٤٤)، الرابع (٤٤)، وهو نفس الخلل الكمى فى رسالتنا "مناهج التفسير" وصغر الوعى العملى لحساب الوعى النظرى. الوعى التاريخى (١٣٨)، الوعى التأملى (١٦٠)، الوعى العملى (١٠٤).

الرباعية كل من أقسامها قطب، وهو مصطلح صوفى، القطب وقطب الأقطاب مثل البدل وبدل الأبدال فى مدينة السماء التى يعيش فيها الصوفية. وقد كان ابن عربى قطبا. وينقسم القطب إلى فنون، والفن إلى مسائل. وقد ينقسم القطب إلى أصول، والأصول إلى أقسام أو أبواب، والأصول والأبواب إلى مسائل. وقد ينقسم القطب إلى فنون، والفنون إلى أقسام، والأقسام إلى فصول أو مسائل، والأقسام إلى أنظار، والأنظار إلى مسائل وأبواب. وقد تنقسم الأقسام إلى أبواب. وقد ينقسم الفن إلى أضرب أو أبواب[1].

---

(١) **المستصفى**

- قطب ١
  - فن ١ (مسائل)
  - فن ٢ (مسائل)
  - فن ٣ (مسائل)
  - فن ٤ (مسائل)
- قطب ٢
  - أصل ١ (مسائل) (كتاب)
  - أصل ٢
  - أصل ٣
  - أصل ٤ (مسائل) (خاتمة)
- قطب ٣
- قطب ٤
  - فن ١ (مسائل)
  - فن ٢ (مسائل)
  - فن ٣
    - باب ١ القول
    - باب ٢

وهناك الخطبة والصدر والبيـان والدعامـة والقـانون والامتحان فى أول الكتاب قبل القطب الأول[1]. وهى ألفـاظ صوفية استعملها الفلاسفة مثل ابن سـينا فـى "الإشـارات والتنبيهات" وصدر الدين الشيرازى فى "الأسـفار الأربعـة"

(فعل)

قسم ١ — قسم ٢ — باب ١ (مسائل) — باب ٢ (مسائل) — باب ٣ (مسائل)

باب ١ (مسائل) — باب ٢ (مسائل) — باب٣ (مسائل) — باب ١ (مسائل) — باب ٢ (مسائل) — باب ٣ (مسائل) — باب ٤ (مسائل)

فن — فن — فن

قسم١ (مسائل) — قسم ٢ (مسائل) — قسم ٣ — قسم ٤ — ضرب ١ — ضر ب٢ — ضر ب٣ — ضر ب٤ — ضر ب٥ (مسائل) — باب ١ (مسائل) — باب ٢ (مسائل) — باب ٣ (مسائل) — باب ٤ (مسائل)

نظر ١ (مسائل) — نظر ٢ (مسائل) — نظر ٣ (مسائل) — باب١ (مسائل) — باب٢ (مسائل) — باب٣ (مسائل) — باب٤ (مسائل) — باب٥ (مسائل)

(١) السابق جـ ٢/١-٥٤/٣١٥-٣١٦.

و"شواهد الربوبية"[(١)]. وقد ينقسم الأصل إلى أبواب مثل كتاب النسخ ببابيه فى الأصل الأول[(٢)]. وقد توضع خاتمة فى آخر الكتاب أو الباب أو المسألة[(٣)]. وكما يبرز الكتاب يبرز القول داخل قسم فى فن أو داخل مسألة فى نظر أو بعـد بـاب أو فصل أو ضرب أو مسألة[(٤)]. وقد تسبق مقدمة البـاب. وقـد يتكون الباب كله من مجموعة من المقدمات أولـى وثانيـة وثالثة[(٥)]. ويكون بعد القول بيان[(٦)]. وقد توضع أكثـر مـن مقدمة للفن، مقدمة أولى ومقدمة أخرى[(٧)]. وقد يوضع تنبيـه بعد باب[(٨)]. وتزداد خلال العرض ألفاظ أخرى مثل امتحـان، قانون، رتبة، ضرب، مسلك، تنبيه، نظر، شـبهة، وضـع. وقبل كل قطب أو فن أو أصل أو باب أو قسم يتم تلخـيص

---

(١) من النقل إلى الإبداع، مجلد ٢، جـ ١/
(٢) المستصفى جـ ١/١٠٧-١٢٨.
(٣) السابق جـ ـ ١/١٢٨-١٢٩/١٣٩-١٤٠/١٦١-١٦٢/٢٤٥-٢٧٠/٣٦٠-٣٦٣، جـ ٢/٣٤٧-٣٥٠.
(٤) الســابق جـــ ـ ١/٣٦٤-٣٦٧، جـــ ـ ٢/٢٤/٣٨-٤٨/٥٤-٥٧/١٨٠-١٨٦/٢٠٤-٢١٠/٢١٢-٢٢١/٢٥٦-٢٥٩/٣٠٦-٣٠٩/٣٩٨.
(٥) السابق جـ ٢/٣٢-٣٥/٣٩٢-٣٩٨.
(٦) السابق جـ ٢/٤٨-٥٤.
(٧) السابق جـ ٢/٢٢٨-٢٣٤.
(٨) السابق جـ ٢/٣٢١-٣٢٣.

الموضوع أولا وعرضه فى جوانبه الرئيسية قبل الدخول فى تفصيله جزءا جزءا. فالكل يسبق الجـزء، والبنيـة تسـبق الموضوع[1].

وبما أن "المستصفى" آخر ما كتب الغزالى بعد ان اختار الطريق الصوفى فى مؤلفاته الصوفية خاصة "إحيـاء علـوم الدين" الذى يحيل إليه يظهر الأسلوب الصوفى فـى خطبـة الكتاب وصدره،أسلوب السجع مع الدعوات الصوفية[2]. فهو كتاب بسيط مثل "كيمياء السعادة". ونظرا لأنه آخر ما كتـب الغزالى ففيه جمع العقل والتجربة، العلم والرؤية.

والغزالى على وعى برائعته بنية وكما وقصدا وأسلوبا. ووضع علم أصول الفقه كعلم عقلى نقلى وسط العلوم النقلية

---

(١) السابق جـ ١/٦٧/٣١٥-٣١٧، جـ ٢/٣٨.

(٢) السابق جـ ١/٢-٤، إحياء علوم الدين جـ ٢/٢١٣

"أصرف العناية فيه إلى التلفيق بين الترتيب والتحقيق، والى التوسط بين الإخلال والإملال على وجه يقع فى الفهم دون كتاب "تهذيب الأصـول" ميله إلى الاستقصاء والاستكثار، وفوق كتاب "المنخـول" لميلـه إلـى الإيجاز والاقتصار... وجمعت فيه بين الترتيب والتحقيق لفهم المعانى، فلا مندوحة لأحدهما عن الثانى. فصنفته وأتيت فيـه بترتيـب لطيـف عجيب يطلع فيه الناظر لأول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم ويفيـده الاحتواء على جميع مسارح النظر فيه. فكل علم لا يستوفى الطالب فـى ابتداء نظره على مجامعه ولا مبادّيه فلا مطمع له فى الظفـر بأسـراره ومباغيه".

الخالصة والعلوم العقلية الخالصـة. جمـع بـين "الترتيـب والتحقيق" أى بين البنية العقلية والمادة الأصولية. ويهدف إلى التوسط بين الإخلال والإملال، بين الإيجاز والاختصار مـن جانب مثل "المنخول"، والاستقصاء والإكثار مثـل "تهـذيب الأصول". ويرجع الفضل فى ذلك إلى "الورقـات" للجـوينى أستاذه الذى لا يميل إليه ولا يـذكره. بـل أن "المستصـفى" يعتبره شرحا على "الورقات" وتفصيلا له.

ويجمع الكتاب بين العقل والنقل وهو إلى العقل أقـرب مما أعطاه طابعا منطقيا استدلاليا واضحا فى ترتيب الحجـج والاعتراضات والردود عليها، مرقمة ومرتبة من الكل إلـى الجزء، ومن العام إلى الخاص، والقرآن ضعف الحـديث[1]. ويغيب الشاهد الشعرى ففى الاستبطان غنى عن الشعر. ومع ذلك لم يغب عنه الطابع الجدلى السجالى ضد الفرق الكلامية خاصة المعتزلة أكثر منه ضـد المـذاهب الفقهيـة خاصـة الحنفية. وهو أمر طبيعى. فالحنفية اعتزال، كما أن الشافعية أشعرية. ويتوحد الغزالى مع فرقته الأثيرة، الشافعية فى الفقه والأشعرية فى الكلام. ويتكلم عن "أصحابنا" و"اصـطلاحاتنا"

---

(١) القرآن (٤٧٧)، الحديث (١٩٣).

ويقصد الشافعية والأشعرية.

ومع ذلك هناك صحيح وفاسد وليس صوابا وخطأ حتى يظل للعلم مقاييسه المنطقية الاستدلالية بعيـدا عـن الفرقـة الناجية والفرق الهالكة كما هو الحال فى علم الكلام. لـذلك خلا من الأحكام القطعية الحادة التى عرف بها ابن حزم ومن بعض الألفاظ التى تتجاوز اللياقة العلمية باستثناء القليل مثل هوس[(١)].

ويحيل الكتاب إلى نفسه مما يدل علـى وحـدة العمـل وترابط أجزائه[(٢)]. كما يحيل إلى باقى أعمال المؤلـف ممـا يدل على وحدة المشروع الفكرى[(٣)]. كما يحيل إلـى كتـب الآخرين مما يدل على التراكم العلمى والوعى التاريخى، من المتقدمين إلى المتأخرين[(٤)].

ويتصدر الباقلانى (القاضى) نموذج الأشاعرة فى الكلام

---

(١) المستصفى جـ ١/٢٨١.

(٢) السـابق جـ ١/٣٨/٧٨/١٠٧/٣٢٤/٣٤١/٣٦٣/٣٨٣، جـ ٢/٣٠/١٤١/١٦٤/٢٢٧/٢٤٦/٢٦٦/٣٠٩.

(٣) السابق جـ ١/٤٠، جـ ٢/٢١٣/٢٩٠.
إذ يحيل الغزالى إلى شفاء الغليل (٢) محك النظر، ومعيار العلم (١).

(٤) يحيل الغزالى إلى اختلاف الحديث وأحكام القـرآن للشـافعى. السـابق جـ ١/٢٧١/٤٢٦.

والشافعى وأصحابه مؤسسة الشافعية فى الفقه. ونظر لأهمية الشافعى والباقلانى مع المعتزلة فإنهما يظهران فى الفهـرس التحليلى لبعض الموضوعات فى فصل خاص[1].ثم يأتى أبو حنيفة وأصحابه المقابل للشـافعى والمعتزلـة فـى مقابـل الأشاعرة. ولا يكاد يذكر مالك[2]. ثم يتـداخل الأصـوليون حنفية وشافعية والمتكلمون أشاعرة ومعتزلة[3]. ومن الفـرق تتصدر المعتزلة أو القدرية ثم أهل الظاهر ثم الشيعة[4]. ومن العلماء يتصدر الفقهاء ثم المتكلمون[5]. كما يتصـدر فقهـاء

(١) الشافعى، المستصفى جـ ٢٧١/١-٣١٥، الباقلانى جـ ١٠٥/١-١٠٦، المعتزلة جـ ٥٥/١-٦٥.

(٢) الباقلانى، الشافعى (٤٩)، أصحاب الشـافعى (٧)، أبـو حنيفـة (٣٠)، الحنفية (٦)، أصحاب أبى حنيفة (٢)، مالك (٤).

(٣) النظام (٥)، الكرخى (٤)، الأشعرى، ابن سـريج، العنبـرى (٣)، أبـو هاشم، عيسى بن أبان (٢)، الشيبانى، الصيرفى، بشر المريسى، الكعبى، الكاشانى، الدبوسى، النهروانى، المروزى، وبعض الموحدين قبل الإسلام مثل أويس القرقى، قس بن ساعدة، زيد بن عمر بن نفيل..

(٤) المعتزلة (١٨)، القدرية (٧)، أهل الظاهر (٥)، الشيعة (٢)، الجبريـة، الأشعرية، الفلاسفة، الدهرية، الخوارج، التعليمية، الروافض، الحشـوية. وقد لاحظت وأنا طالب تقدم الشافعى والمعتزلة دون تحليل كمـى دقيـق للمضمون بل بانطباع كيفى خالص مما يدل على صدق الحـدوس عبـر مراحل العمر.

(٥) الفقهاء (٢٤)، المتكلمون (٩).

الأمصار(١). وتتكاثر الطبقات مثل الصـحابة والتـابعين أو الجماعات العامة مثل قوم، طائفة، جماعة(٢).

ومن الفرق غير الإسلامية يتصدر اليهود ثم النصـارى وأنبياؤهم موسى وعيسى، وكتبهم، التوراة والإنجيل. ومـن الشعراء ابن الرومى. ومن النحويين الخليل والمبرد. ولكـل فرقة تبعيضها، كلها أو بعضها أو أكثرها(٣).

ويحيل إلى الشعر العربى لإحكام مباحث الألفاظ ولبيان أوجه استعمال اللغة عند العرب بالمقارنة مع العجم أو الفرس والترك(٤).

---

(١) أهل العرق، أهل الشام، فقهاء الكوفة، فقهاء البصرة.

(٢) وتتكاثر الفرق مثل الصحابة والتابعين، أرباب العموم، أرباب الخصوص الواقفية، بعض الأصحاب، أهل الرأى. كما تتكاثر أسماء الصحابة مثـل على، وابن عباس، وعثمان، وابن مسعود، والعباس، وأبو بكر، وعائشة، وأبى هريرة، والحسن، وابـن سـيرين، وعلقمـة، والشـعبى الأسـود، ومسروق.

(٣) اليهود (١٧)، النصارى (١٣)، المجوسية (١١). موسى (١٢)، عيسـى (٦)، نوح، هارون، إبراهيم (٢)، داود، يوسف، فرعون، العبرانيون (١). التوراة (٥)، الإنجيل (٢).

(٤) الشعر، السابق جـ١/١٠٠/١٠٧/٤١٨، جـ٢/٦٨/١٦٩/١٧٢. كـلام العرب والفرس والترك والعجم. لسان العـرب (١٧)، ألفـاظ العـرب، الفـــــــرس، العجـــــــم (٣)، التركيـــــــة (١) جـ٢/٧/٢٦/٣٨/٤٦/٥٥/٨٠/٩٦/١٦٤/١٦٨-١٦٩/١٧١/١٧٧/٣٥٢.

لذلك يظل "المستصفى" بعد "الرسـالة" علامـة علـى الطريق، ما قبل "المستصفى" وما بعـده. أمـا "المحصـول" للرازى فإنه قراءة للمستصفى. ثم تأتى "الموافقات" للشاطبى علامة ثانية قبل أن يتجدد العلم من جديد فى "من النص إلى الواقع" ابتـداء مـن قـراءة "المستصـفى" وكمـا لخصـه ابن رشد .

٣- "الاحكام فى أصول الأحكام" للأمدى (٦٣١هـ)[١].

ويقوم على أربعة قواعد مثل "المستصفى" للغزالى. الأولـى تعريف علم الأصول وموضوعه وغايته. ويضم المقـدمات الأولى، المبادئ الكلامية واللغوية والفقهية. وتضم المبـادئ الفقهية أحكام الوضع وأحكام التكليف والتى سماها الغزالـى الثمرة. والثانية الأدلة الشرعية الأربعـة: الكتـاب والسـنة والإجماع والقياس. ويظهر فيهـا مباحـث الألفـاظ كقاسـم مشترك بين الكتاب والسنة والإجماع مع أن الكتاب والسـنة نصوص فى حين أن الإجماع تجربة مشتركة قبل أن تكـون رواية عن القدماء. وهناك ما يشترك فيـه الكتـاب والسـنة وحدهما وهما الناسخ والمنسـوخ. والقاعـدة الثالثـة فـى

---

(١) الشيخ الإمام العلامة سيف الدين أبو الحسن على بن أبى على بن محمـد الآمدى: الاحكام فى أصول الأحكام، صبيح، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين. وهى عادة ما تكـون خاتمة الاجتهاد. والقاعدة الرابعة فى الترجيحـات، وتضـم التعارض. وكلاهما فى المنقول والمعقول. أكبرهـا بطبيعـة الحال الثانية ثم الأولى ثم الثالثة وأصغرها الرابعة[1]. وتظهر عدة فقرات تحدد عناصر الموضوع وتكشف عـن البنيـات الجزئية للقواعد الكلية[2]. ويكون انبعاج البنية لصالح الأدلـة الشرعية الأربعة أى الوعى التاريخى على حسـاب الـوعى النظرى وخاصة على حساب الوعى العملى مما يبين تمركز العلم حول النص وليس حول الفهم أو الفعل.

ويستعمل الآمدى أسلوب الحجاج على طريقـى تخيـل الاعتراض مسبقا "فإن قيل... قلنـا" دون اسـتبعاد أحـد[3]. وترقم الحجج العقلية كما هو الحال فى المستصفى حتى يـتم حصرها وترتيبها. كما تكثر الشواهد النقلية، ومـن الآيـات أكثر من الأحاديث كالعادة، ويستشهد بالشـعر خاصـة فـى مباحث الألفاظ. فالشعر العربى هو منطـق اللغـة العربيـة

---

(١) الثانية (٥٣٠)، الأولى (٧٧)، الثالثة (٥٢)، الرابعة (٤٠).

(٢) الاحكام (الآمدى) جـ ١/٨١-٨٢/١٦٠/١٩٠.

(٣) وهذا باطل، السـابق جـ ـ ١٧٥/١٥٥/٢. وقـد أبطلنـاه جـ ـ ٧٤/١، جـ ١٨١/٢٧/٢. وهو فاسد جـ ٩٦/١٥/٢. وقد أبطلناه فى كتبنا الكلامية جـ ٢٢٧/٣. وقد أبطلناه فى موضعه جـ ٢٣٩/٣-٢٤٠.

وكيفية استعمالها. وعليه تفهم الآيات والأحاديـث. وأحيانـا يذكر أسماء كبار الشعراء مثل امرؤ القيس والكميت والنابغة الذبيانى[1].

وتظهر طريقة المستصفى فى التأليف، عرض المسـألة ثم بيان اختلاف المذاهب الكلامية والفقهية فيها ثـم عـرض حجج كل فريق وأخيرا اختيار أحدهما، وهـو "المختـار" أو "المعتمد" دون الحكم المستمر بالصواب والخطـأ، الصـحيح والباطل[2].

ويقدم الشافعى، مذهبا وأصحابا علـى الإطـلاق، ثـم الباقلانى شيخ الأشاعرة، ثم المعتزلة خصومهم مثـل أبـى الحسين البصرى، ثم أبو حنيفة وأصحابه، ثم أحمد بن حنبل الذى بدأ فى الظهور منافسا للشافعى. ثم يتبادل أصحاب كل مذهب الأولية مع أصحاب المذهب الآخر. فمـن الشـافعية والأشاعرة يتقدم الغزالى، والأشعرى، والجوينى، وأبو اسحق الأسفراينى والقفال الشاشى، والكيا الهراسى وغيرهم. ومـن المعتزلة القاضى عبد الجبار، وأبو هاشم الجبائى، وأبو عبـد

---

(١) الآيات (٦٢٥)، الأحاديث (٢٢٠)، الشعر (٣٢).

(٢) الاحكـام (الآمـدى) جـ ـ ١/١٣٩/١٤٤/١٥٣/١٦١/١٨٧/٢٠٠-٢٠١، جـ ٢/٦/١٥/٢١/٣٥/٧٠/١٠٢/١٢٤/١٥٣/ ١٥٦/١٥٧/١٩١-١٩٢.

ا البصرى، وأبو علـى الجبـائى، والنظـام، والجـاحظ، والخياط. ومن الحنفية يتقدم الكرخى، والجصاص، وعيسـى بن أبان، وأبو يوسف، والدبوسى، والكعبى وغيرهم[1]. ومن الأنبياء يذكر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى[2].ومن الكتـب المقدسة التوراة والإنجيل خاصـة فـى موضـوع النسـخ والرواتب[3].

والمعتزلة على الإطلاق، ومعتزلة بغداد على الخصوص

(١) الشافعى (٩٦)، الباقلانى (٦٨)، أبو الحسن البصرى (٦٣)، أبو حنيفـة وأصحابه (٥٥)، أحمد بن حنبل (٤٤)، القاضـى عبـد الجبـار (٣١)، الغزالى، مالك بن أنس، الكرخى (٢٠)، أبو هاشم الجبائى (١٧)، أبو عبد ا البصرى (١٥)، أبو على الجبائى، الأشعرى (١٢)، سـيبويه (١٠)، النظام (٩)، الجصاص، الجوينى، أبو اسحق الأسفراينى (٨)، ابن سريج، الصيرفى (٦)، عيسى بن أبان، الجاحظ، القفال الشاشى، أبو يوسف (٥)، الدبوسى، ابن العنبرى (٤)، أبو موسى الأشعرى، جعفر بن مبشر، عبـد القاسم بن سلام، أبو الهذيل، الكيا الهراسى (٣)، الكعبى، المزنى، جعفـر بن حرب، القاشانى، الشيبانى، أبو ثور (٢)، يحيى الاسكافى، الشيرازى، الأصمعى، الخليل، الأصم، بشر المريسى، ابن علية، موسى بن عمران، ابن جيزان، الاصطخرى، المروزى، أبو حامد الأسفرايتى، الجرجـانى، ابن حديد، ابن أبى يعلى، ابن الراوندى، الليث بن سـعد، الـدقاق، ابـن دستويه، الطبرى، الخياط، أنس بن مالك، الفارض، ابن سيرين، مسروق، الشعبى، البرذعى، البخارى، مسلم، يحيى بن معين، ابن حزم، الانماطى، الحليمى.

(٢) موسى، نوح، إبراهيم (٣)، عيسى (٢)، هارون (١).

(٣) التوراة (٤)، الإنجيل (٢).

هم الخصوم كما هو الحال فى "المستصفى"، والشافعى هـو المصيب وأصحابه من الشافعية هم "أصـحابنا". ثـم يـأتى مجموع الأصوليين والمتكلمين، وأهم الفرق الكلاميـة أهـل الظاهروالأشاعرة والشيعة والخوارج، وآخـرهم الأزارقـة والزيدية والجدليون ثم السمنية والفلاسفة والجبائية والكرامية والبهشمية، والفرقة الناجية أصحاب الحديث وفقهاء الحرمين والمحدثون وأهل السنة. ومن الفرق غير الإسلامية الثنوية ثم المجوس والبراهمة[(١)]. وتسمى الفرق المختارة المحققون[(٢)]. وتكثر الإحالة إلى أهل العلم وأهل العربية على الخصـوص أو أهل اللسان وأرباب اللغات على العموم. كما تكثر الإحالة إلى كلام العرب واستعمالات العرب مما يدل على أن اللغـة

---

(١) المعتزلة (٧٢)، أصـحابنا (٥٦)، الفقهـاء (٣٢)، الأصـوليون (٢٧)، المتكلمون (٢٥)، الجمهور (١٥)، أهل الظاهر (١٢)، الحنابلة، العلمـاء، الأشاعرة (١١)، الحنفية (١٠)، الأكثرون (٩)، الشيعة، الخـوارج (٨)، الشافعية (٧)، العقلاء (٣)، الجدليون، الزيدية، المسلمون (٢)، السـمنية، الفلاسفة، الجبائية، الكرامية، البهشمية، المجوس، البراهمـة، الحشـوية، التعليمية (١).

(٢) المحققون، أهل الحق (٣)، أهل الحق مـن أصـحابنا، المحققـون مـن أصحابنا (١). اليهود (٩)، النصارى (٤).

منطق للحكم على الأشياء[1].

والمذاهب الفقهية ليست مغلقة على نفسها. إذ يروى عن صاحب كل مذهب أكثر من موقف. لذلك يجمعهـا النـافون والمثبتون والواقفية كمواقف أصـولية أو أربـاب العمـوم وأرباب الخصوص[2].

ويقوم الآمدى بشرح أقواله وتعريفاته مما ينبـؤ ببدايـة عصر الشروح والملخصات، شرح الذات قبل شرح الغير[3]. وهو على علم بتطور العصر وتغير الزمان. فيتحـدث عـن "زماننا" مما يدل على نهاية مرحلة تاريخية وبداية أخرى[4].

ولا يحيل الآمدى إلى مصادره ولكنه يذكر فقط "أبكـار الأفكار" له وكذلك "دقائق الحقائق". ويذكر لغيره "الرسـالة" للشافعى و"العمد" لأبى الحسين البصرى[5]. ومع ذلك فالعمل له وحدته. تحيل أجزاؤه إلى بعضها البعض. فوحدة العمـل

(١) أهل اللغة (٨)، أهل العربية (٢)، أرباب اللغات، أهل اللسان، أهل الأدب (١).

(٢) المثبتون، النافون (٥)، الشاذون (٣)، الواقفية (٢). أرباب العموم، أرباب الخصوص (٣).

(٣) الاحكام (الآمدى) جـ ١٠١/٦٧/١.

(٤) وهو مذهب أكثر أبناء أهل زماننا جـ٩١/٣.

(٥) الأحكام (الآمدى) جـ ٢٥٦/١١٧/٧/٦/١، جـ ٨٨/٧٢/٢/٢، جـ ١/٣.

مقدمة لوحدة المشروع الكلى الذى يجمع بـين شـقى علـم الأصول، أصول الدين وأصول الفقه(١).

٤- "مختصـر المنتهـى الأصـولى" لابـن الحاجـب (٦٤٦هـ)(٢). ويسمى "منتهى الوصول والأمل فـى علمـى الأصول والجدل". ويقوم على بنية رباعية: المبادئ، والأدلة السمعية، والترجيح، والاجتهاد. وتشـمل المبـادئ المنطـق واللغة كما هو الحال فى "المستصفى". والأدلة السمعية هـى الأدلة النقلية، الكتاب والسنة والإجماع والترجيح بينهـا فـى حالة التعارض، والدليل الرابع الاجتهاد. أما مباحث الألفـاظ فهى جزء من الأدلة النقلية. وأحكام التكليف هى جزء مـن المبادئ العامة. وهنا تبدو البنية الثلاثية مائلة نحـو الأدلـة الشرعية الأربعة على حساب الـوعى النظـرى والـوعى العملى. وأحيانا تبدو البنية سداسية: المنطق واللغة، والحكـم عامة، والحكم خاصة، والأدلة، والاستدلال والاستصـحاب،

---

(١) السابق جـ١/٦٧/٨٧/١٠٧/١٢٢/١٣٠/١٦٤، جـ٣/١٩٢/٢١٧/٢٨٥.

(٢) الإمام العلامة أبو عمر جمال الدين عثمان بن محمـد بـن أبـى بكـر المعروف بابن الحاجب المالكى: مختصر المنتهى الأصولى، مع "شـرح العضد" للقاضى عضد الملة والدين عبد الـرحمن بـن أحمـد الايجـى (٧٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وله طبعـة أزهرية قديمة بمطبعة السعادة عام ١٣٢٦هـ.

والمصالح المرسلة. الحكم عامة الأحكام الشرعية، والحكـم خاصة مباحث الألفاظ. ويمكن ردها إلى القسـمة الثلاثيـة: الأدلة الشرعية الأربعة وطرق الاستدلال على الأحكام منها. أما المقدمات وأحكام الاستفتاء فهى خارج العلم. ولا توجـد حدود فاصلة، أبواب أو فصول أو أقسام أو مباحث أو أقوال لبيان بنية العلم. فقـد أصـبح سـيلا واحـدا تغيـب عنـه "التمفصلات". أصبح العلم كله مقالا متصلا مما يدعو الناشر إلى تقسيمه إلى كلام ومباحث وكلام. وتظـل المسـائل أى الموضوعات المتفرقة بلا بنية جامعة تدل على رؤية للعلـم. ومبادئ اللغة والمنطق الخالص معروضان كما هو الحال فى "المستصفى" دون توظيف أو توطئة مباشرة لعلم أصول الفقه بعد تكفير الغزالى للفلاسـفة فـى "الإلهيـات والطبيعيـات" واستثناء المنطق باعتباره آلة تخرج عن دائرة الحكم بالكفر. والمنطق عرض مبسط للمنطق القديم دون بيان زيادات ابـن سينا والغزالى والسهرردرى وغيرهم. وأسلوب الكتاب هادئ يخلو من الحدة والتعصب. فهو مالكى المذهب. وإذا انتصـر إلى رأى فهو "المختار"، وليس الصحيح أو الصـواب فـى مقابل الفاسد أو الباطـل. وإذا خطّـأ القاضـى (البـاقلانى)

فبهدوء، وإذا أصدر حكما فهو ضعيف أو أعظم الخطـأ[1]. ويجمع بين النقل والعقل وإن كان للعقل أقرب. يعتمد علـى القرآن أكثر من الحديث، فالأصـول أولـى مـن الفـروع. ويستعمل الشعر مع القرآن كشواهد نقلية. فـالقرآن وريـث الشعر[2]. وإذا كان القول مستبعدا فإن صاحبه زاعـم. وإذا كان مقبولا فهو المختار[3]. ونظرا للمحاجة العقليـة تظهـر صياغة "قيل ... قالوا" والخلاف فى اللغة وليس فى المنطق. ويحيل العمل إلى ذاته مما يبين وحدته.

وبالرغم من أن المؤلف مالكى المذهب إلا أن البـاقلانى متكلم الأشاعرة ثم الشافعى ثم الإمام (الرازى) ثـم الغزالـى يتقدمون أبا الحسين والبصرى. ثم يأتى أبو حنيفة ثم أحمـد. وفى النهاية يذكر مالك مما يـدل علـى تواضـع المؤلـف وسماحته. ويتداخل متكلمـوا الأشـاعرة مثـل الأشـعرى والأسفرائينى مع متكلمى المعتزلة كالجبـائى وأبـى هاشـم والنظام. ويدخل أهل اللغة مثل سيبويه والخليل وأبى عبيد[4].

---

(١) السابق ص ١٠٠/١٠٣/١٢٠.

(٢) الآيات القرآنية (٦٥)، الأحاديث النبوية (٣٥)، الشعر (٥).

(٣) المختار (١٦).

(٤) القاضى (الباقلانى) (٣٧)، الشـافعى (٣٠)، الإمـام (الـرازى) (١٩)، الرازى (٢)، أبو الحسين (١٧)، البصرى (١٠). أبو حنيفة، أحمد (١٥)،

أما على مستوى الفرق فيتقدم المعتزلة مع الجمهور أى العقل مع الطبيعة والفطرة، ثم الحنابلة وكأن النص الخام هو الحامى للمصلحة، ثم الشافعية والأكثرون فالشافعية مـذهب الأمة، ثم الشيعة بعد أن هدأت حدة الخـلاف بـين السـنة والشيعة. ثم تتكاثر الفرق الكلامية كالرافضـة والظاهريـة والجبائية وتتداخل مع الفلاسفة والأئمـة الأربعـة والفقهـاء وعلماء اللغة[1].

٥- "منهاج الوصـول فـى معرفـة علـم الأصـول" للبيضاوى (٦٨٥هـ)[2]. ويقوم على قسـمة رباعيـة هـى

الكرخى، الأشعرى (١٠)، الجبائى (٩)، عبد الجبار (٦)، مالك (٥)، ابن سريج (٤)، أبو هاشم، الأستاذ (الأسـفرائينى)، النظـام، القاشـانى (٣)، الزهرى، القفال، ابن داود، الكعبى، أبو يوسف، العنبرى، بشر المريسى، أبو ثور، الأصم (٢)، الجصاص، ابن سـعيد، البغـوى، ابـن فـورك، الصيرفى، المزنى، الحليمى، البلخى، ابن الراوندى، الأخفش، ابن غيلان، ابن جنى، الدقاق، الأصفهانى، سيبويه، أبو عبيد، الخليل، الأصمعى، ابن أبان، الشيرازى (١).

(١) المعتزلة، الجمهور (١٨)، الحنابلـة (١٠)، الشـافعية (٩)، الأكثـرون، الشيعة (٥)، الـروافض (الخـوارج) (٤)، الظاهريـة (٣)، الجبائيـة، الفلاسفة، الأئمة الأربعة، الفقهاء، المحققون (٢)، الكرامية، المتكلمـون، السمنية، الصحابة، أهل اللغة، أهل العربية، المصوبة (١).

(٢) قاضى القضاة ناصر الدين البيضاوى: منهاج الوصول فى معرفة علـم الأصول، صبيح، القاهرة (د.ت).

الأدلة الشرعية الأربعة فى الكتب الأربعة الأولى ثم الأدلـة المختلف عليها، والتعادل والتراجيح، والاجتهاد والإفتاء فـى الكتب الثلاثة الأخيرة. أما المقدمة فتشمل أولا تعريف العلـم والثانية أحكام التكليف. فالمقدمات والأحكام ليست جزءا من العلم. الكتاب أكبرها، والقياس أوسعها[1]. والكتـاب يضـم مباحث الألفاظ بل ومقدمة عامة عن اللغات قبـل الأوامـر والنواهى والعموم والخصوص، والمجمل والمبين، والناسـخ والمنسوخ. وينقسم الكتاب إلى أبواب، والأبواب إلى فصول، بالإضافة إلى تذنيب أو تنبيه[2]. والكتاب فى غاية التركيـز مما استدعى شرحه من المؤلف نفسه ومن آخرين[3]. وتظل البنية مائلة نحو المصادر الأربعـة أى الـوعى التـاريخى. ودخل الوعى النظرى فى الكتاب أى فى الـنص، وأحكـام التكليف فى المقدمة أى خارج العلم مما يدل على السـيطرة الكاملة للنص على بنية العلم.

ويتقدم الشافعى صاحب المذهب المختار منذ الغزالى ثم

---

(١) الكتاب (٢٥)، القياس وتوابعه (١٧)، المقدمات (٧)، السنة (٦)، الإجماع (٤).

(٢) منهاج الوصول ص ٣٣/٣١.

(٣) شرحه البيضاوى فى "الإبهاج بشرح المنهاج"، والأسـنوى فـى "نهايـة السول شرح منهاج الوصول"وتاج الدين السبكى وابنه.

الباقلانى شيخ الأشاعرة. ثم يأتى أبو هاشم والحسن البصرى من المعتزلة، فالجدل مازال ضد الفرق المخالفة. ثـم يـأتى أصحاب المذاهب الأخرى مثل أبى حنيفة وأصـحابه مثـل الكرخى وابن سريج والكعبى وابن أبان، وأصحاب الشـافعى مثل ابن سريج والغزالى والرازى والجـوينى والصـيرفى وباقى المعتزلة مثل الكعبى وعبد الجبار والجبائى، وابن داود من الظاهرية، والمرتضى من الشـيعة، وابـن سـينا مـن الفلاسفة[1]. ويذكر عديد من رواة الصحابة[2].

ومن الفرق تتقدم المعتزلة، فضدهم يحدث الحجاج، ثـم الحنفية والفقهاء ثم المتكلمون ثم الشيعة. ثم تتداخل المذاهب الفقهية كالحنابلة والمالكية مع الفـرق الكلاميـة كالإماميـة والبصرية والبغدادية والخوارج، والفرق الفلسفية كالسـمنية

---

(١) الشافعى (١٢)، الباقلانى (١١)، أبو هاشم، البصرى (١٠)، أبو حنيفـة (٧)، الكرخى (٥)، ابن سريج (٤)، أبو علـى، النظـام (٣)، الغزالـى، الإمام (الرازى)، الجوينى، أبو الحسين (٢)، الكعبى، الشيخ، الصـيرفى، ابن سينا، ابن داود، المرتضى، عبد الجبار، أبو حازم، مالك، الجبـائى، ابن أبان، القفال الشاشى، أبو اسحق، ابن الزيعرى (١).

(٢) مثل أبى هريرة، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، ابن عباس، على، طلحة، فاطمة، معاذ، أبو موسى، أبو بكر، عمر.

و"أصحابنا" أى الأشاعرة فى الكلام الشافعية فى الفقه[1].

وتكثر الشواهد النقلية، والآيات أكثر مـن الأحاديـث. وتتخللها بعض الشواهد الشعرية[2]. والحجـج العقليـة فـى صيغة "فإن قيل ... قلنا" للرد على الاعتراضات. ومع ذلـك فيمتاز النص بالتركيز علـى الأصـول دون الـدخول فـى الفروع[3]. ويحيل إلى كتابه الآخر "المصباح" مما يدل علـى وحدة المشروع الفكرى.

٦- "أصول الشاشى" (القرن السابع الهجرى)[4]. ويقوم على بنية رباعية، الأدلة الشرعية الأربعة، الكتاب، والسـنة والإجماع والقياس. أكبرها الكتاب لأنه يضم مبحث الألفاظ.

---

(١) المعتزلة (١٢)، الحنفية، الفقهـاء (٦)، المتكلمـون (٥)، الشـيعة (٣)، الحنابلة، المالكية، الإمامية، البصرية، البغداديـة، الخـوارج، السـمنية، أصحابنا (١).

(٢) الآيات (١٣٢)، الأحاديث (٤٠)، الشواهد الشـعرية (٢)، السـابق ص ٤٩/٢٣.

(٣) "وإن كتابنا هذا منهاج الوصول إلى علم الأصول الجامع بـين المعقـول والمشروع، والمتوسط بين الأصول والفروع. وهو وإن صغر حجمه كبر علمه وكثرت فوائده وجلت عوائده"، السابق ص٣.

(٤) الإمام الفقيه نظام الدين الشاشى (من رجال القـرن السـابع الهجـرى): أصول الشاشى (مختصر فى أصول الفقه الإسلامى) مع مقدمة لفضـيلة الشيخ العلامة الفقيه يوسف القرضاوى. حققه وراجع نصوصـه وعلـق عليه الأستاذ محمد أكرم الندوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ٢٠٠٠.

وأصغرها الإجماع[1]. وقد تقلصت البنية الثلاثية إلى مصادر الشرع الأربعة وحدها أى النص بعـد أن تحـول الـوعى النظرى إلى داخل النص، الكتاب، وغاب نهائيـا الفعـل أى الواقع لصالح النص. وبالرغم من الوعى بالبنية الرباعية إلا أن الأصول مقسمة إلى مباحث، وكل مبحـث مقسـم إلـى فصول غير مرقمة[2]. والأسلوب واضح. يغلب عليه القصر والتركيز كما هـو الحـال فـى التعريفـات والمواصـفات والمصطلحات بلا حشو. تكثر الشواهد النقلية، وتتقدم الآيات على الأحاديث، ويقل الشعر[3]. وتقل أسماء الأعلام والفرق والمذاهب. ويتقدمها أبو حنيفة ثم الشيبانى ثم الشـافعى ثـم القاضى أبو زيد وأبو يوسف[4]. ومن الصـحابة والتـابعين يتقدم أبو هريرة وعبد ا بن مسعود ثم زيد بن ثابت ومعاذ وأنس وعلى وغيرهم[5]. ومـن الفـرق والمـذاهب يتقـدم

---

(١) الكتاب (١٧٤)، السنة (١٧)، القياس (١٣)، الإجماع (١٠).

(٢) أصول الشاشى ص١٦.

(٣) القرآن (٤٥)، الحديث (٣٤)، الشعر (١).

(٤) أبو حنيفة (٢٥)، الشيبانى (١٦)، الشافعى (١٥)، القاضى أبو زيد، أبـو يوسف (٢) ، الحماسى، الكرخى، زفر (١).

(٥) أبو هريرة، عبد ا بن مسعود (٣)، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل، أنس، على، عبد ا بن عمير، عائشة، ابن الصباغ، قيس بن حالف، الحس بن زياد (١).

"أصحابنا" ثم "علماؤنا" ثـم "مشـايخنا" والفقهـاء والأئمـة والعلماء. ومنهم المتقدمون والمتأخرون[١]. ومن الأقوام يذكر العرب والفرس. ومن ألـوان البشـرة الأحمـر والزنجـى والأدهم[٢]. ومن المصادر يذكر "الشامل" للجوينى، و"الجامع الكبير" و"السير الكبير" للشيبانى[٣].

٧- المسودة لآل تيميـة. ولأول مـرة يتكـون نـص جماعى من مذهب واحد، الحنبلية، ومن أجيال ثلاثة من نفس العائلة، ابن تيمية الجد والأب والحفيد[٤].

ويقوم على قسمة رباعية طبقا لمصادر الشرع الأربعة.

---

(١) أصحابنا (١٥)، علماؤنا (٣)، مشايخنا، الأئمة، الفقهاء، العلماء، قـدماء أصحابه، المتأخرون (١).

(٢) العرب، الفرس، الأحمر، الزنجى، الأدهم.

(٣) الجامع الكبير (٥)، السير الكبير (٤)، الشامل (١).

(٤) المسودة فى أصول الفقه. تتابع على تصنيفه ثلاثة من أئمة آل تيمية:

١- مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد ا بن الخضر.

٢- شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام.

٣- شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم.

جمعها وبيضها شهاب الدين أبو العباس الفقيه الحنبلى أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغنى الحرانى الدمشقى المتوفى فى سنة ٧٤٥ من الهجرة. حقق أصوله وفصله، وضبط مشكله، وعلّق على حواشيه محمد= =محى الدين عبد الحميد، عفا ا عنه. وجميع حق إعادة الطبع محفوظـة لـه، مطبعة المدنى، ٦٨ شارع العباسية، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

القسم الأول عدة مسائل تتعلق بمباحث الألفاظ مثل: مسـائل الأوامر، مسائل الأفعال، مسـائل العمـوم، مسـائل البيـان والمجمل والمحكم والمتشابه والحقيقة والمجاز ونحو ذلك، ثم مسائل المفهوم وأقسامه مفصولة بكتابى الأخبار والإجمـاع. ويعنى ذلك أن مباحث الألفاظ هـى البـديل عـن الكتـاب، المصدر الأول. ثم تأتى بعد ذلك المصادر الثلاثـة التاليـة، الأخبار أى السنة ثم الإجماع ثم القياس. ويضم كتاب القياس عدة مسائل: مسائل التقليد والاستصحاب ونحوهما، ومسـائل أحكام المجتهد والمقلد. أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثـم الأخبار، وأصغرها الإجماع[1]. ومع ذلك تظل مسائل متفرقة دون بنية واضحة، مجرد لحم فقهى دون هيكل عظمى، مادة هلامية دون عصب.

وتتكون بعض المسائل من عدة فصول. فالمسألة أكبـر من الفصل. هى الأصل وهو الفرع. ولتأكيد وحدة العمل يتم الإحالة إلى أجزائه السابق واللاحق منها[2].

وعلى غير عادة الفقهاء الحنابلة تتسم المسودة بأسـلوب معتدل، ونفس هادئ، وروح موضـوعية، وتحليـل علمـى

---

(١) مباحث الألفاظ (٢٤٧)، القياس (٢١٤)، الأخبار (٨٤)، الإجماع (٣١).
(٢) "وسنذكره"، السابق ص١٨.

دقيق. تخلو من المحاجة والسجال والعنف، والحكم بالكفر أو الشرك أو الضلال أو الهلاك على غير عادتهم فى أصـول الدين. لذلك خلا النص من الحياة واتسم بالبرود على غيـر عادة الحنابلة مثل "اجتماع الجيوش" ترصد الخلافات طبقـا للروايات والمصادر دون أن تحاجج عقلا أو نقلا مع فريـق لصالح فريق آخر. حتى أصبحت المسودة قاموسا للمسـائل الخلافية الفقهية أكثر منها الأصولية. فمادة الفقه واضحة على حين توارت مادة الأصول بالرغم من الاستشهاد بعديد مـن الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث دون الأشـعار، فالتجربـة الشعرية ليست مصدرا للتجربة الأصولية عند الحنابلة مع أن الكثير منهم لهم باع فى النقد الأدبى.

ومع ذلك يتم التحقق من الخلافات المذهبيـة ورصـدها دون الحجاج ضد آراء المخالفين بـل الحكـم عليهـا فقـط بالصواب أو الخطأ، بالصحة أو الفسـاد[1]. رأى المخـالف يتقدمه فعل "زعم" والرأى الصواب يتقدمه فعل "قال". وكـان يمكن تطوير بعض المسائل التقليدية مثل الصلاة فى الـدار المغصوبة، وآل تيمية لهم باع طويل فـى صـد هجمـات

(١) "وهو حسن"، السابق ص٦. "وهو ضعيف"، ص٢٨.

التتار[1]. وهم أصحاب إيمان قوى يتجلى فى اللازمات المعروفة "وا أعلم".

وتحضر الحجة النقلية خاصة الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية وتقل الحجج العقلية إلى الحد الأدنى إن لم تغب كلية[2].

وتكثر أسماء الأعلام، أصوليين وفقهاء ورواه. يتقدمهم جميعا القاضى أبو يعلى الحنبلى ثم ابن عقيل الحنبلى أيضا. ثم يحضر الأشاعرة بقوة عند الجوينى والشافعى والباقلانى والرازى والغزالى والأشعرى والقفال والاسفراييني. ثم يتوالى الحنابلة بداية من أحمد، وأبو الخطاب. ثم يظهر الأحناف بداية بأبى حنيفة والصيرفى والجصاص والمزنى والسرخسى وعيسى بن أبان. ثم يظهر المعتزلة بداية بأبى هاشم وأبى على والقاضى عبد الجبار (صاحب المغنى) وأبى الحسين البصرى، والكعبى، وأبو عبد ا البصرى، والبلخى. ويأتى المالكية أيضا بداية بمالك وأبى نصر المالكى، وأبى

(١) الدار المغصوبة، السابق ص٨٥/٨٣/٥٢.
(٢) الآيات (٣٥٠)، الأحاديث (١٢٥).

الفرج المالكى ، ومن المتكلمين أبو شمر المرجئى[1].

ومن المصنفات يتصدى "الكفاية" للقاضى أبى يعلى ثـم تتعدد المصادر والإحالات بالعشرات دون أن يكون لأحـدها أى صدارة[2]. وذلك يدل على أن الحنابلة يعتمـدون علـى المنقول والروايات والنوازل والأمثلـة الفقهيـة أكثـر مـن اعتمادهم على النصوص الجاهزة.

ومن الفرق والطوائف يتقدم المعتزلة على غيرهم ممـا

---

(١) القاضى (أبو يعلى) (٤٧٥)، ابن عقيل (٢٥٥)، الجوينى، أحمد (١٧٥)، أبو الخطاب، ابن برهان (١٢٥)، الشافعى (١٢٠)، أبو الطيب (٧٥)، أبو حنيفة، الحلوانى (٦٥)، الباقلانى، المقدسـى (٦٠)، أبـو هاشـم (٥٥)، الرازى (٥٠)، الجرجانى، الكرخى (٣٥)، أبو بكر الخلال، أبو الحسـين البصرى (٣٠)، الغزالى، الأشعرى (٢٥)، الميمونى، مالك، أبـو علـى، الصـيرفى، القفـال (٢٠)، الـدقاق، عبـد الجبـار، الأشـعرى (١٥)، الجوزجانى، على بن سعيد، شيخنا، الاسفرايينى، أبـو نصـر المـالكى، الشيخ، الكعبى، ابن خلاد (١٠)، حنبل (إمامنا)، والد شيخنا، أبو عبـد ا بن حامد، الجصاص، أبو محمد البغدادى، شيخنا أبـو العبـاس (حفيـد المصنف)، أبو هاشم، أبو الحارث، أبو الحسـن التميمـى، أبـو الفـرج المالكى، ابن أبى هريرة، الفيروزبادى، المزنى، المروزى، محمـد بـن شجاع، أبو سفيان، ابن وافد، صـاحب المغنـى، ابـن شـاقلا، الفخـر إسماعيل، الأصطخرى، بن خيران، السرخسى، أبو شمر، عيسـى بـن أبان، أبو عبد ا البصرى، البلخى.

(٢) وذلك مثل: الروايتان للقاضى، فى الرد على من اتبع الظاهر وإن خالف السنة والأثر، اللامع، طاعة الرسول، اخـتلاف الـروايتين والـوجهين، مختصر أصول الفقه، المحصول، كتاب المجمل... الخ.

يدل على حضور الاعتزال حتى القرن الثامن بـالرغم مـن محنتهم أيام المتوكل فى القرن الخامس[1]. ثم يظهر الشافعية بعد أن تزحزحوا من مركز الصدارة ثـم الحنفيـة تأكيـدا للمذاهب المهمشة على حقها فى أن تتصدر الوعى الأصولى التاريخى. ثم يأتى مجموع المتكلمين والفقهـاء. ثـم تظهـر الأشعرية وأهل السنة والمرجئـة مـع فـرق أخـرى مـن "أصحابنا" أى الحنابلة والمالكية وأهل الظاهر وأهل العـراق والكرامية.

٨- "أصول المنار" للنسفى (٧١٠هـ)[2]. وتقوم علـى قسمة رباعية هى الأدلة الأربعة التى يسميها أصولا. الأدلـة الثلاثة الأولى نقلية، والرابعة عقلية، فالإجماع عند القـدماء إجماع على تفسير أو تأويل نص أو صحة روايـة أو أثـر وليس خارج النص فى التجربة المشتركة. لـذلك يقـال أن

---

(١) المعتزلة (١٩٠)، الشافعية (١٥٠)، الحنفية (١٤٠)، المتكلمـون (١٣٥)، الفقهاء، أصحابنا (١٢٥)، الأشعرية (١٠٥)، المالكية، الجمهـور (٣٥)، الأصوليون (٢٠)، أهل السنة، أهل الظاهر، العلماء (أهل العلـم) (١٠)، المرجئة، الأصحاب، المتقدمون، أهل العراق، الكرامية.

(٢) أبو البركات حافظ الدين عبد ا بن أحمد بن محمود النسفى: المنار فـى "فتح الغفار بشرح المنار" المعروف بـ "مشكاة الأنوار فى أصول المنار" تأليف الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم الحنفى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الأصول ثلاثة ثم يضاف إليها الأصل الرابع[1]. وهنا يمكـن رد البنية الرباعية إلى ثنائية، النص والعقل أو النقل والعقـل بتعبير المتكلمين بتعبير المتكلمين دون الواقع. بل إن الإجماع ليس تجربة مشتركة بين المجتهدين بل أيضا نص مما يـدل على انبعاج البنية نحو النص الذى يتضمن أيضـا مباحـث الألفاظ أى الوعى النظرى. وأكبرها الكتاب ثم القيـاس ثـم السنة وأصغرها الإجماع[2]. وتدخل مباحث الألفـاظ كلهـا تحت الأصل الأول، الكتاب. ولا تنقسم الأصول إلى فصول أو مباحث أو مسائل. كل أصل يسمى بابا باسـتثناء الأول، الكتاب[3]. فهو أقرب إلى المقال السـيال دون "تمفصـلات" كثيرة، أشبه بمصنفات قواعد العقائـد المتـأخرة فـى علـم الكلام[4]. ويبلغ درجـة عاليـة مـن التجريـد والتركيـز والاختصار وكأن المصنفات المتـأخرة قـد صـارت فـى اتجاهين. الأول التركيز والقالب الواحد مثل "منهاج الوصول" للبيضاوى و"المنار" للنسفى. والثـانى الإسـهاب والتجميـع

(١) السابق ص١٢.

(٢) الكتاب (٢٥٠)، القياس (١٤٥)، السنة (٨٢)، الإجماع (٧).

(٣) هناك أيضا، تنبيه، السابق ص٣٠٤/٣٢٠/٣٤٣/٤٠٧.

(٤) من العقيدة إلى الثورة جـ١ المقدمات النظرية، الفصل الثانى: بناء العلم ص١٤١-٢٢٧.

والتفصيل والقيل والقال مثل "البحـر المحـيط" للزركشـى (٧٩٤هـ). يغلب عليه العرض العقلى أكثر مـن الشـواهد النقلية. والآيات أكثر من الأحاديث[(١)]. ويغيب الشعر بعد أن غابت التجربة الأصولية والواقع المعـيش. وتقـل أسـماء الأعلام. وبالرغم من أن المؤلـف حنفـى المـذهب إلا أن الشافعى هو الأكثر ذكرا إما لأنه المحـاور الرئيسـى ولـه الاحترام الكامل أو لاستقراره مذهبا للأمة منذ الغزالى عندما اختار الأشعرية فى العقيدة، والشافعية فى الفقه، مذهبا للفرقة الناجية. ثم يأتى أبو حنيفة بعد ذلك مع باقى الأحنـاف مثـل الكرخى وعيسى بن أبان. ويحال إلى مالك دون أحمـد بـن حنبل[(٢)]. ومن الفرق يتصدر المعتزلة لأنهم المحاور الرئيسى ولقربهم من الأحناف لاشتراكهم فى النظر والقياس. ثم يأتى الأشعرية والمتكلمون والفقهاء وأهل اللغة[(٣)].

---

(١) الآيات (٢٣)، الأحاديث (٦).

(٢) الشافعى (٢١)، أبو حنيفة (٩)، الكرخى (٤)، عيسى بن أبان (٢)، مالك (١).

(٣) المعتزلة (٢)، الأشعرية، المتكلمون، الفقهاء، أهل اللغة (١).

٩- **"تنقيح الأصـول" للمحبـوبى البخـارى الشـافعى (٧٤٧هـ)**[(١)]. ويقوم على القسمة الرباعية التقليدية بعـد أن أصبحت الأدلة الشرعية الأربعة هى بنية الأصول. والقرآن أكبرها ثم القياس ثم السنة والإجماع أصـغرها[(٢)]. وتـدخل مباحث الألفاظ فى القرآن. أما الأحكـام، أحكـام التكليـف وأحكام الوضع فإنها تأتى فى النهاية بعد القياس. فالثمرة فى النهاية وليست فى البداية كما هو الحال فـى "المستصـفى". وهى ثانى موضوع من حيـث الكـم بعـد القـرآن وقبـل القياس[(٣)]. مالت البنية الرباعية كلها نحو النص أى التـاريخ بما فى ذلك طرق الاستدلال أى الـوعى النظـرى وأحكـام التكليف أى الفعل خارج النص. ويتميز الكتاب بالهدوء وعدم إطلاق الأحكام بالصواب والخطأ والعنف مع المواقف. يكفى أن يقال "والمختار"[(٤)]. وتغيب المسائل الميتافيزيقية الكلاميـة الفلسفية الخالصة. يعتمد على العرض العقلـى مـع بعـض الشواهد النقلية، والآيات أكثر مـن الأحاديـث. وتقـل فـى

---

(١) الإمام القاضى صدر الشريعة عبد ا بن مسعود المحبـوبى البخـارى الشافعى: تنقيح الأصول (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
(٢) القرآن (٣٧٩)، القياس (١٤٩)، السنة (٨٤)، الإجماع (٢٣).
(٣) أحكام التكليف وأحكام الوضع جـ٢ ص٢٥٩-٤٢٧ (١٦٩ص).
(٤) تنقيح الأصول جـ ٩٦/١.

القياس. تخلو من الحياة وروح العصر وتحتمى وراء التجريد والصورية. ومن حيث أسماء الأعلام يتقدم الشافعى على أبى حنيفة وأبى يوسف والشيبانى وباقى الأحناف، نظرا لتصـدر الشافعية على الحنفية فـى الـوعى الأصـولى التـاريخى المتأخر[1]. ومن الفرق يتقدم المعتزلة لقربهم من الحنفيـة أو للجدال معهم باسم الشافعية ثم أصحابنا أو علماؤنا ومشايخنا أى الأحناف ثم الشافعية ثم الصحابة ثم الفقهاء والمحـدثون وعلماء البيان[2].

١٠- "رسالة فى أصول الفقه" للسيوطى (٩١١هـ)[3].

وتخلو من أية دلالة أو زيادة أو أى شاهد نقلـى أو عقلـى. تدور حول موضوع الأدلـة الأربعـة: الكتـاب، والسـنة، والإجماع، والقياس. وتدخل مباحث الألفاظ فى الكتاب. ويتلو القياس الاستصحاب والاسـتدلال والمسـتدل. ويخلـو مـن الشواهد النقلية والعقلية وأسماء الأعلام والفرق، مجرد وضع صورى لبنية العلم التى مالت نحو النص وانحصـرت فيـه

---

(١) الشافعى (٣١)، أبو حنيفة (١٢)، أبو يوسف، الشـيبانى (٥)، الكرخـى (٣)، الأشعرى (٢)، البردعى، أبو الحسين (١).

(٢) المعتزلة (٧)، أصحابنا (٦)، الصحابة، علماؤنا (٣)، المحـدثون، الفقهـاء، الشافعية، علما البيان، مشايخنا (١).

(٣) الحافظ السيوطى: رسالة فى أصول الفقه ص٧٢-٧٧.

وأصبح النص بديلا عن العقل أى الوعى النظرى، والواقـع أى الوعى العملى.

١١- "الوصول إلى قواعد الأصول" للتمرتاشى الغـزى الحنفى (كان حيا عام ١٠٠٧هـ)[1]. ويقوم على التجميـع مثل معظم المؤلفات المتأخرة ابتداء مـن "البحـر المحـيط" للزركشى. لذلك تبدأ كثير من الفقرات بألفاظ "قال"، "يقـول" دون نقد الأقوال أو إبداء الرأى فيها أو إيجاد بديل لها. وهو من نوع تخريج الفروع على الأصول. الفصول فى الأبواب، والفروع فى المسائل. يجمع الجزيئات فى الكليات. والفروع انتقائية نظرا لاستحالة حصرها. فالزمان متجـدد، والوقـائع تتوالى، لذلك لزم الانتقاء. إذ تبدأ كثير من الفقرات بالتبعيض بلفظ "منها". ويحيل اللاحق إلى السابق تأكيدا علـى وحـدة العمل. والأسلوب هادى دون إقصاء أو استبعاد. يجمـع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت، يضم ولا يبعثر.

ويقوم النص على بنية رباعية هـى الأدلـة الشـرعية الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس. ويلحق بالقيـاس

---

(١) الإمام محمد بن عبد ا بن أحمد بن محمد الخطيب التمرتاشى الغـزى: الوصول إلى قواعد الأصول، دراسة وتحقيق د. محمد شريف مصـطفى أحمد سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

باب خامس فى الاجتهاد والإفتاء، وباب آخـر بـلا تـرقيم "الأمور المعترضة على الأهلية" وهى أقرب إلى الموانع فى أحكام الوضع خاصة وان الأحكام غائبة، ودخـول مباحـث الألفاظ فى الدليل الأول الكتاب. وأكبرها الكتاب ثم السنة ثـم القياس وملحقه وأصغرها الإجماع[1]. والمقدمة فى تعريـف علم الأصول وموضوعه وغايته واسـتمداده أى مصـادره والخاتمة "فصل فى المتفرقات" أدخل فى نظرية العلم التـى عادة ما توضع ضمن المقدمات، الإلهام والنظـر والدلالـة والحجة وشهادة العقل والجدل مع الخصـوم. وهنـا أيضـا تنحصر البنية داخل قطب واحد هو النص الذى شـمل كـل شىء خاصة الكتاب والذى ضم العقل أى الوعى النظرى فى غياب تام لأحكام التكليف أى للوعى العملى.

ويعتمد على الشواهد النقلية. تغلب الآيات الأحاديث كما تغلب الآثار الأشعار[2]. وآثار عمر أكثر مـن آثـار علـى وعثمان وابن عباس[3]. وهنا يختلط القول المـأثور بالشـعر

---

(١) الكتاب (١٦٢)، السنة (٢١)، القياس (١٠)، الاجتهـاد والإفتـاء (١٠). الأمور المعترضة على الأهلية (٣٠)، المقدمة (١٥).

(٢) الآيات (١١٠)، الأحاديث (٤٠)، الآثار (٨)، الأشعار (٥).

(٣) عمر (٣)، على (٢)، عثمان، ابن عباس (١).

كنوع من الأمثال العامية والثقافة الشعبية.

أما الأسماء فيتقدم أبو حنيفة، فالمؤلف حنفى، ثم الشافعى المحاور الأول قبل العصر التركى، ثم أصحاب أبى حنيفة مثل الشيبانى، ثم باقى الأصوليين على اختلاف مذاهبهم مثل الأسنوى ثم الرافعى ثم ابن الحاجب مع بعض النحاة مثل سيبويه، والصحابة مثل ابن عباس، والمحدثين مثل البخارى، والمتكلمين مثل الأشعرى، وبعض الشيعة مثل ملا خسرو، وآخرون[1]. ومن المدن تتقدم بغداد ثم مكة ثم بلخ وخواقندة

(١) أبو حنيفة (٤١). الشافعى (٢٤). الأسنوى (٢٣). الشيبانى (٢٢). الرافعى (١٦). ابن الحاجب (١١). الآمدى (٧). ابن الهمام (٦). الجوينى، السرخسى، قاضيجان (٥). الزيلعى، سيبويه، الماوردى، ابن ملك (٤). ابن أبى ليلى، البوشنجى، البيضاوى، الخبازى، الرازى، الرويانى، ابن عباس، الغزالى، القرافى، الكرخى (٣). ابن الصلاح، ابن مالك، أبو جعفر البلخى، أبو سفيان، أبو هريرة، الأشعرى، البخارى، البزازى، البزدوى، الترجمانى، الخصاف، فخر الإسلام الحنفى، القيروانى، الكردرى، الكرمانى، ملا خسرو، النسفى، النووى، هلال البصرى (٢). وهناك ثلاثة وثمانون اسما يذكر كل منها مرة واحدة. ومن الأنبياء إبراهيم، أيوب، نوح. ومن الأصوليين الأبهرى، ابن برهان، ابن البيضاوى، ابن سماعة، ابن غيلان، ابن عيسى، ابن اللحام، الجصاص، الدبوسى، الرازى، زفر، الشيرازى، الكرخى. ومن الفقهاء ابن عبد السلام. ومن المتكلمين الايجى، أبو الحسين البصرى، التفتازانى، الجرجانى، الصيمرى، غيلان، النسفى. ومن المحدثين البخارى. ومن

والديلم والرى. ومن الأمصار الشام[1].

١٢- "نشر البنود على مراقى السعود" للشنقيطى (فى أوائل القرن الثالث عشر)[2]. وفيه تم التعبير عن علم الأصول فى منظومة شعرية. فالشعر ذخيرة العرب ورصيدهم الأول فى لحظات القوة، عصر المتنبى وأبى العلاء أو فى لحظات الضعف فى بداية الأراجيز والمنظومات الشعرية لتدوين العلوم فى عصر التدوين الثانى حفاظا على التراث بوجدان العرب وصياغاتهم الأولى بعد هجمات التتار والمغول من الشرق والصليبيين من الغرب. وهو شعر موزون وإلا لما كان شعرا، وأقرب إلى الشعر العمودى. وأحيانا يأتى نصف بيت كما هو الحال فى الرجز. وفى الغالب تتغير القافية فى كل بيت. ويشارك الشطر الأول الشطر الثانى فى القافية. وبالرغم من صعوبة الشعر التعليمى

الصحابة أبو بكر، أبى بن أبى كعب، عائشة، عمر بن الخطاب. ومن أهل السلف ابن سيرين.

(١) المدن: بغداد (٧). مكة (٢). بلخ، خواقندة، الديلم، الرى، المدينة المنورة (١). الأمصار: الشام (١).

(٢) سيدى عبد ا بن إبراهيم العلوى الشنقيطى: نشر البنود على مراقى السعود (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م. تم تأليفه عام ١٢٠٧ والانتهاء منه عام ١٢١٤.

إلا أنه كان أداة حفظ الذاكرة العربية فـى هـذه العصـور المتأخرة. يضحى بجماليات الشعر لصالح المضمون المجرد بلا خبرات جديدة. هو شعر عقلى وليس شـعرا وجـدانيا. يصوغ فكرا نظريا، ولا يعبر عن تجربة شـعرية. الشـعر وسيلة وليس غاية، كعلم النحو أو الرياضيات. تغيب جماليات الشعر، ويغيب المضمون الأصولى الجديد. لا يتحمل الشعر الاستدلال والمحاجة، والرأى والرأى الآخر.

ولا يتضح للعمل هدف خاص، أخذ موقف أو الجمع بين مذهبين بل يعبر فقط عن خصائص الأقاليم، القدرة الشـعرية فى موريتانيا، صحراؤها وخيمها وبدوها.

وله بنية رباعية طبقا للأدلة الشرعية الأربعة، القـرآن والسنة والإجماع والقياس، بالإضافة إلى المقدمـة. أكبرهـا القياس ثم القرآن ثم السنة وأصـغرها الإجمـاع[1]. تغيـب المقدمات النظرية اللغوية أو المنطقية، وتكتفى بتعريف العلم وتحديد موضوعه. وتدخل مباحث اللغة ضمن الدليل الأول، القرآن، دون أن تكون مبحثا بمفردها كما هـو الحـال فـى "المستصفى" فى "طرق الاستثمار". ويعتمد علـى نصـوص

---

(١) القياس (٢٤٢)، القرآن (٢٢٨)، السنة (٧١)، الإجمـاع (٢٤). المقدمـة (٦٥).

سابقة يورد أسماءها فى بيت شعرى مرة واحدة لجمع المادة منها[1]. وهنا يتقدم العقل على النقل ولكـن يغيـب الواقـع. فالعقل أسلم والواقع مخاطرة.

وتقل الشواهد النقلية، القرآن والحديث، وأسماء الأعلام والفرق والأماكن من المنظومة الشعرية لصعوبة التحكم فيها طبقا لأوزان الشعر. والبعض منهـا يتحـول إلـى صـيغ شعرية[2].

وتقل أسماء الأعلام والفرق لصعوبة وضعها فى الشعر الموزون المقفى. ويتصدر مالك والقرافى والبـاجى فقهـاء المالكية على السبكى وابن الحاجب والغزالـى وغيـرهم[3]. ومن المذاهب يأتى المذهب السنى قبل الشافعى والمعتزلى أو

---

(١) مثل: التاويح، الضياء اللامع، الآيات، الجمع، التنقيح، الشـرح، شـروح الجمع، المختصر جـ ٢/٣٤٧-٣٤٨.

(٢) مثل تحول حديث "فى سائمة الغنم الزكاة" إلى:

معلوفة الغنم أو ما يعلف ∴ الخاف فى النهى لا يعرف

السابق جـ ١/٩٧.

(٣) مالك (٣)، القرافى، القاضى (الباقلانى)، القاضى (عبـد الوهـاب) (٢)، القشيرى، النعمان، ابن الحاجب، حجة الإسلام (الغزالى)، ابـن حلولـو، اللخمى، الطحاوى، ابن دقيق العيد، ابن السبكى، ابن علية (١).

الاعتزالى والحنبلى[1]. ولا يذكر الحنفى. والمؤلف من نسب علوى. ومن الفرق يذكر الصحابى وأهـل السـلف ثـم آل البيت[2]. ومن الرسل يذكر محمد الرسـول أى النبـى ثـم إسماعيل ويوسف[3]. ويذكر العديد من الصـحابة بألقـابهم المثالية مثل الصديق والفاروق والبحر (ابن عباس) والشـيخ ذو الترجيح[4]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر النصـارى. وبطبيعة الحال تظهر الأقاليم والأمصار والبوادى مثل أهـل المغرب وأهل المشرق وفارس والترك والعرب[5].

١٣- "الجواهر الثمينة فى بيان أدلة عـالم المدينـة" للمشاط (١٣٩٩هـ)[6]. وهى إعادة صياغة نثرية لقصـيدة "مراقى السعود" للشنقيطى مع الإكثار من الحجـج النقليـة،

---

(١) المذهب السنى (٢)، الشافعى، المعتزلى، الاعتزالى، الحنبلى، الفاطمى، العلوى، أهل الاجتهاد، الولى، الراوى (١).

(٢) الصحابى (٤)، أهل السلف، الفقيه (٢)، أهل البيت، الأصحاب، التابعين، أهـل الاجتهاد، أصحاب النبى، الأولياء، الجمهور (١).

(٣) محمد، النبى (٢)، أحمد، إمام الأعجمين والعرب، إسماعيل، يوسـف، الرسـل (١).

(٤) الصديق، الفاروق، أنس، جابر، أبو هريرة (صاحب روش)، ابن عمر، المسيب، ابن تغلب، ابن فارس، البخارى، مسلم، الجطفى.

(٥) العرب (٢)، الترك، المغرب، المشرق، فارس، أم قيس (١).

(٦) العلامة الفقيه حسن بن محمد المشاط: الجواهر الثمينة فى بيان أدلة عالم المدينة، دراسة وتحقيق د. عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الغرب الإسـلامى، بيروت، ط ١٤٠٦/١هـ/١٩٨٦م، ط ١٤١١/٢هـ/١٩٩٠م.

الآيات والأحاديث وجمعا بين النثر والشـعر. وهـو غيـر الشرح لأن النص الجديد ليس تقطيعا للنص القديم لفظا، وعبارة عبارة، بل إعادة صياغة للمعـانى. كمـا أن إعـادة التعبير تسبق الأبيات المشروحة ولا تتلوها كما هو الحال فى الشرح. وتأتى الأبيات كشاهد شعر على صدق الشرح. فهو تأليف شارح أو شرح تأليفى. وهو مختلـف عـن "إيضـاح المحصول من برهان الأصول" للمازرى (٥٣٦هـ) الـذى يقوم بإعادة كتابة نص "البرهان" دون التزام به قبل الكتابـة وبعدها. فإذا كانت "الجواهر الثمينة" أشبه بـالتلخيص لأنـه يعتمد على المتن المشروح فإن "إيضاح المحصـول" يكـون أقرب إلى الجوامع الذى لا يشير إلى المتن المشـروح بـل يدخل إلى موضوع مباشرة خارج الألفاظ وخارج عالم اللغة. ولا يعتمد فقط على نظم "مراقى السعود" بـل أيضـا علـى شرحه فى "نشر البنود". لذلك لم يبق شئ للعالم الجليل.

وهو مالكى يعيش فى شبه الجزيـرة العربيـة مـوطن الوهابية والسلفية. يشرح مالكيا موريتانيا مما يدل على وحدة الأمة بالرغم من تنوع فرقها ومذاهبها. وكلاهما ينتسب إلـى مالك "عالم المدينة"، ويحاولان بيان أدلته، الجواهر الثمينـة،

دون نقد للإمام أو تطوير لمذهبه طبقا لظـروف العصـر، القرن الرابع عشر. وقد تم التأليف بناء على أمـر وتكليـف وليس طواعية واختيارا بناء على قصد فى التطوير ونية فى التغيير، وكعادة القدماء يحتقر العالم نفسه ويتهمها بأنها أسيرة المساوئ والشهوات، وأنه كثير الخطايا والـزلات، راجـى الفوز على الصراط[1].

وهو يدل عل نهاية الإبداع فى العصور الحديثة فى علم الأصول، وحاجة التأليف إلى سند جديد يبدأ منه فـى مـتن شعرى سابق وفى الحجج النقلية. فالقرآن والشعر ركيزتـان للتأليف عندما ينتهى الإبداع. وتضاف إليه عدة اقتباسات من أقوال القدماء بين معقوفتين[2] أو علامة "انتهـى" أو يعتمـد على نص من المحدثين كشماعة يعلق عليها اقتباسـات مـن القدماء، ويحمل على نص شعرى حديث نصوصا من القدماء مساهمة من علماء موريتانيـا الصـحراويين فـى التـأليف الأصولى حتى ولو خلا من الإبداع. لا يأخذ النص الجديـد موقفا من المتن الشعرى ولا يغير فيه موقفا ولا ينقـد فيـه

---

(١) السابق ص١١١.

(٢) السـابق ص١٢٥/١٣٠/١٣٨/١٥٢/١٧٢/١٨٣/١٩٢/١٩٧-١٩٩/٢٠٣/٢١٥/٢٦٠/٢٨٢/٢٨٦/٢٨٨/٢٩٣.

رأيا، التأليف لمجرد التأليف كما يفعل علماء النقل. وإذا قارن فلا ينقد. ويكفى الإعلان عن "المختار". ويمكن تقليد القـدماء فى الشكل والأسلوب مثل إضافة "تذنيب" و"تعميم" و"تنبيه"[(١)]. هو نص "قعيد" لأنه له دعامتان وليس فقط نصا "كسـيحا" أو "أعرجا"، يعتمد على دعامة واحدة. وربما لم يعتمد المؤلـف على أبيات القصيدة كلها بل كفاه نماذج منها لعـرض الآراء نثرا. وقد استوفى القـدماء كـل شـئ. والمالكيـة أفضـل المذاهب[(٢)].

ويعتمد على البنية الثلاثية الأولى، الكتاب والسـنة ثـم باقى الأدلة من إجماع وقياس وعمل أهـل المدينـة وقـول الصحابى والاستحسان وسد الذرائع والاستصحاب ومراعـاة الخلاف والاستدلال والمصالح المرسلة وتصديق المعصـوم والبراءة الأصلية والعوائد والأخذ بالأخف. وهى موضوعات متعددة تدخل معظمها فى الأصل الرابع، القياس. وقد كانـت بنية القصيدة الشعرية رباعية ثم تحولت إلى ثلاثية، وهنـاك وعى مبدئى بهذه البنية الثلاثية المختارة. وهى ترد جميعـا

---

(١) السابق ص٢٣٣/٢٣٩/٢٤٩/٢٥٥.

(٢) "وقد تكلم على المسألة الإمام الغزالى فـى كتابـه فاسـتوفى"، السـابق ص٢٥٤.

إلى الكتاب والسنة، عودا بالتجربة المشتركة، الإجماع، والتجربة الفردية، الاجتهاد، إلى بطن النص من جديد. وتضاف مقدمة فى الأدلة إجمالا، وخاتمة عن التمييز بين الحكم والفتوى. وبالرغم من هذه البنية التقليدية ينعى المؤلف حال العلم فى عصره، وامتهان العلماء، والإعراض عنهم، وتشتت أغراض العلم، والتكسب به[1]. كما أنه ينعى الجمود على النصوص لأنه ضلال وإضلال طبقا للقول المأثور.

---

(١) "وهذه الرسالة تشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب وأربعة وعشرين فصلا حسبما اقتضته الأدلة التى بنى عليها إمامنا مالك مذهبه وخاتمة. أما المقدمة ففى سرد الأدلة إجمالا ليتصورها الطالب قبل الشروع فى مباحثها= =والحكم عليها لأن الحكم على شئ فرع من تصوره. وأما الفصول ففى مباحث الأدلة المسرودة فى المقدمة. فخمسة فصول منها تحت الباب الأول، وهو باب أدلة الكتاب، وخمسة أيضا تحت الباب الثانى، وهو باب أدلة السنة، وأربعة عشر فصلا تحت الباب الثالث، وهو باب الأدلة الأربعة عشر الباقية. وهى مفرعة على أدلة الكتاب والسنة ومبنية عليها لأن كل دليل راجع إلى الكتاب والسنة وأميل إليهما فى نفس الأمر. وأما الخاتمة ففى الفرق بين الحكم والفتوى، وبيان أقل الصفات للمفتى فى هذا الزمن الذى قل فيه العلم. وصار كل من ينسب إلى العلم فيه ممتهنا. وقد أعرض الناس عنه كل الأعراض، وكثرت فيه الدعاوى والأغراض، وفى بيان أن من جاز له الإفتاء جاز له القضاء ليكون العالم على بصيرة من ذلك إن ابتلى بأحدهما، وفى ذكر القواعد الخمس التى أسس عليها الفقه"، السابق ص١١٢-١١٣.

فالتجديد أيضا تقليد لقول مأثور[1]. والخاتمة فى علم القواعد الفقهية، أربعة منها[2].

ويتضمن الكتاب كعادة المتـأخرين مباحـث الألفـاظ. وتتكرر نفسها فى السنة دون الجمع بين الـدليلين اللفظـين الأدلين فى نفس المنطق اللغوى[3]. والمعصـوم فـى بـاقى الأدلة ليس ما هو معروف لدى الشيعة الإمام المعصوم بـل النبى باعتباره معصوما[4].

ويتم الاعتماد على العديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر تدعيما للمتن النثـرى الـذى لـم تتحمله القصيدة الشعرية[5].

كما يحال إلى عديد من الأعلام يتقدمهم القرافى ثم مالك ثم لحلو ثم الشافعى ثم الآمدى والسبكى والشاطبى والغزالـى وابن الحاجب وأبو حنيفة والرازى والباقلانى وابن العربـى

---

(١) "والجمود على النصوص أبدا ضلال وإضلال"، السابق ص٢٩٣.

(٢) وهى: ١- أن الضرر يزال ٢- أن المشقة تجلب التيسير ٣- أن اليقـين لا يزال بالشك ٤- أن العادة محكمة، السابق ص٢٩١-٢٩٢.

(٣) وهى: نص الكتاب أو السنة، العموم، مفهوم المخالفة، المفهوم بـالأولى، التنبيه على العلة، السابق ص١٢١-١٥٢/١٥٥-١٨٦.

(٤) السابق ص٢٥٧.

(٥) الآيات (٦٧)، الأحاديث (٤٩).

والجوينى والسيوطى والأسفراييني والأشعرى وعديـد مـن الأصوليين والمتكلمين والنحاة والفقهاء والمتصوفة والمعتزلة والبغداديين...الخ. ويتقدمهم علماء المالكية وباقى المـذاهب الأخرى[1].

كما يذكر عديد من النصوص القديمة فى مقدمتها "نشـر البنود" وهو شرح على "مراقى السعود"، "وجمـع الجوامـع" وشروحه المختلفة "والتنقيح" و"الفروق" للقرافى و"الموافقات" للشاطبى و"الاحكام" للآمدى، و"الإحياء" و"المستصفى" و"شفاء الغليل" و"المنخول" للغزالى، و"الإشارات" للباجى و"التحرير" لابن الهمام، و"نهاية السؤل" للبيضاوى، وغيرها من أمهـات المتون الأصولية جمعا بين المالكية والشافعية وأقلها الحنفيـة

(١) لم يقم الكشاف برصد تردد اسم كل علم بل اكتفى بذكرهم مرة واحـدة، وبلغ عددهم حوالى ١٣١ علما مع سنوات وفاتهم. ومع ذلك يمكن رصـد التردد الآتى: القرافى (٣٧)، مالك (٣٠)، لحلو، الشافعى (١٧)، الآمدى، السبكى، الشاطبى (١٢)، الغزالى (٧)، ابن الحاجب (٦)، أبـو حنيفـة، الرازى، الحلى، الباقلانى (٥)، ابن= =العربى (٤)، الجوينى، السيوطى، الإبيارى، البطليوسى (٣)، وآخـرون مثـل الأبهـرى، الأسـفراييني، الأشعرى، البلقينى، ابن رشد، السمعانى، الصيرفى، القاضـى عيـاض، المزنى، المقرى... الخ.

والحنبلية[1].

١٤- "ألفية الوصول إلى علم الأصول" لعلى إبـراهيم شقير (من علماء الأزهر الشريف)[2]. ومن مظاهر توقـف الإبداع ليس فقط بداية الشروح والملخصات ولكن أيضا بداية صياغة العلم بالشعر. فالشعر هو الإبداع المتواصل الذى لـم يتوقف لأنه هو الذى يعبر عن جوهر الثقافة العربية والـذى ورثه القرآن بنفس الإبداع الشعرى الذى وصـل إلـى حـد الإعجاز. وتقوم على القسمة التقليدية الرباعيـة المتـأخرة، الأدلة الشرعية الأربعة مثل "منهاج الوصـول" للبيضـاوى، ويسميها المؤلف الأركان، بالإضافة إلى مقدمة عن تعريـف الأصول وموضوعه وغايته وأحكام التكليف ومعهـا بعـض

---

(١) بلغت أكثر من ثلاثين نصا قديما. فى مقدمتها نشر البنود (١٣)، شـرح التنقيح للحلو (١٢)، وغيرها مثل محلى جمع الجوامع، جمـع الجوامـع للسبكى (٥)، مراقى السعود للشنقيطى (٣)، الضـوء اللامـع، التنقـيح للقرافى، الاحكام للآمدى، الاحكام لابن عربى، الموافقات للشاطبى (٢) ثم الفروق للقرافى، البرهان للزركشى، الاعتصام للشاطبى، الموطأ، اللامـع على جمع الجوامع، شرح المنهاج للأسنوى، شرح الورقـات للمحلـى، الإشارات للباجى، الإحياء والمنخول وشفاء الغليل والمستصفى للغزالـى، التحرير لابن الهمام، إصلاح المنطق، ونيل السؤل... الخ.

(٢) الشيخ على إبراهيم شقير: ألفية الوصول إلى علم الأصول، غفر ا لـه وللمسلمين، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، شركة مطبعة الرغائب بمصر (د.ت).

مباحث الأمر. وفى الركن الأول، الكتاب تدخل معظم مباحث الألفاظ فى أبواب وفصول مثل المنطوق والمفهوم والمفـاهيم والاشتقاق، والحقيقة والمجاز، والحروف، والأمـر، والعـام والتخصيص، والظاهر والمؤول، والمجمل، والبيان والنسخ. وفى الركن الثانى، كتاب السنة، فالسنة أيضا كتاب وتشـمل الخبر وأنواعه وشروط الراوى وانقطاع الحـديث. والـركن الثالث الإجماع، شروطه ومراتبه. والركن الرابـع القيـاس، أركانه وشروطه ومسالكه وقوادحـه واسـتدلاله والاجتهـاد والتقليد خاصة فى علم أصول الدين مع حديث الفرقة الناجية نظرا للوحدة بين العلمين. وتضاف خاتمة فى علم التصـوف تأكيدا على وحدة العلوم باستثناء الفلسفة بعد أن تم إقصـاؤها منذ ابن خلدون وابن الصلاح. وأطولها الكتاب ثم المقـدمات ثم القياس ثم الخاتمة ثم السنة. وأصغرها الإجماع[1]. وبعض الفصول بلا عناوين[2]. ويحاصر القياس أى العقل والـوعى النظرى بين نص الكتاب ونص السنة والإجماع ويغيب الفعل أى الوعى العملى.

---

(١) الكتاب (٣٧ص)، المقدمات (١٤)، القياس (٩)، الخاتمة (٨)، السنة (٦)، الإجماع (٢).

(٢) ألفية الوصول ص٣٣/٦٦.

وتظهر بعض المواد من العلم الحديث مثل علم الأجنـة كدليل على التعاقب وعدمه[(١)]. وقد دخلت الشـواهد النقليـة، الآيات والأحاديث داخل النظم[(٢)]. وبالرغم من النظم يظهـر أعلام الأصول مثل الرازى والغزالى ثم الشافعى، ثم الإمـام الأعظم النعمان بألقاب التعظيم المتأخرة فى الظهور. ويظهر المتكلمون مثل الجبائى ثم القاضى ثم الآمدى ثـم الجـوينى والشيرازى ومالك والكرخى، وغيـرهم مـن أهـل النحـو ومؤسسى الفرق[(٣)]. كما يحال إلى "المحصول" للرازى. ومن الفرق يظهر المعتزلة (أهل الاعتزال)[(٤)]. ويذكر عديد مـن الصحابة الرواة[(٥)]. والحقيقة فى مذهب دون آخر[(٦)].

---

(١) مثاله بيع الملاقيح ∴ تكون فى البطون من أجنة

(٢) القرآن (٦)، الحديث (٢).

(٣) الرازى، الغزالى (٨)، الشافعى، الإمام (الأعظم) (٧)، أبو هاشم الجبائى (٥)، القاضى (٤)، الآمدى (٣)، الجوينى، أحمد، الشيخ، ابن الحاجـب، الشيرازى، مالك، الكرخى (٢)، أبو عيينة، الأستاذ، الثورى، الأوزاعـى، الأشعرى، اسحق، ابن دقيق العيد، الكيا، البصيرى، القاضيان، الخليـل، عبد الجبار، داود الظاهرى (١).

(٤) المعتزلة (أهل الاعتزال) (٥)، الجمهور (٣)، العرب (٢)، مجوس (١).

(٥) مثل: أبو هريرة، مسلم، الترمذى، البخارى، عمر، خزيمة.

(٦) ألفية الوصول ص٢٦/٢٨.

١٥- "نظام مختصر المنار" للشيخ طه افندى العريف بسنوى زاده (هـ)[1]. لما كان الشعر هو وجدان العرب، ومركز ثقافتهم وحضارتهم قبل أن يرثه القرآن فقد تم نظم علم الأصول شعرا فى الفترة الأخيرة. وبطبيعة الحال لا يتحمل النظم الشواهد النقلية من القرآن والحديث لأنها لها نظمها الخاص. كما يخلو من أسماء الأعلام والفرق[2]. وهو شعر تعليمى ركيك، الغاية منه مساعدة الطلاب الأزهريين على حفظ المادة العلمية حتى ولو بدون فهم كما هو الحال فى حفظ القرآن، ويكون حافظا لا عالما. ولا يتضمن مادة أو رؤية أصولية جديدة بل هو تكرار لما هو معروف سلفا مع اضطراب فى ترتيب الأدلة الأربعة، وتداخل بين الفصل والباب[3]. وهو أقرب إلى التمرينات الإنشائية منه إلى الموضوعات العلمية. تبدأ القصيدة بمدح السلطان "باسمه"،

---

(١) الشيخ طه افندى: مختصر المنار، استانبول ١٣١٦هـ.

(٢) يذكر النعمان "كذا روى القوم عن النعمان، السابق ص١٧.

(٣) فصل فى حكم الأمر، السابق ص١١، فصل فى الحكم التكليفى ص٣٤، فصل ص٣٨/١٣، فصل فى الحكم الوضعى ص٣٥، الباب الثانى فى السنة ص٣٦، فصل فى نفس الخبر ص٣٩، فصل فى تعارض الحجج ص٤٠، فصل فى البيان ص٤١، باب الإجماع ص٤٥، باب القياس ص٤٥، باب الاجتهاد ص٤٦.

وهو الوحيد المذكور[١]. وتنتهى بعض الأشعار باللازمة "ا أعلم"[٢]. وأحيانا تذكر تتمة[٣].

ويركز على الأدلة الأربعة الكتاب والإجمـاع والسـنة والقياس[٤]. وتدخل مباحث الألفاظ فى الكتاب فلم تعد تمثـل طرقا لاستنباط الأحكام. وفى الأمر تدخل الأحكـام، أحكـام التكليف، وأحكام الوضع. ويدخل فى السنة تعارض الحجـج وعادة ما يأتى التعارض والتراجيح فى النهاية. ويضم البيان إلى السنة، والاجتهاد إلى القياس. فالنص قد ابتلع كل شىء، الوعى النظرى والوعى العملى على حد سواء.

وواضح أن النموذج الأمثل للبنية الرباعية هو نمـوذج "المستصفى" للغزالى، الأحكام وهى الثمرة، والأدلة الأربعـة وهى المستثمِر، ومباحث الألفاظ وهـى طـرق الاسـتثمار، والاجتهاد والاستفتاء والترجيح وهو المستثمر.ثم بدأت البنية تنحسر بعده فى "الاحكام" للآمدى بوضـع الأحكـام ضـمن

---

(١) السابق ص٤-٥.
(٢) السابق ص٤٢.
(٣) تتمة، السابق ص٢٠.
(٤) والشرع مبنى على الكتاب والإجماع والسنة قولا وعمل
وهذه الأصول والقياس ∴ رابعها وهى له أساس
السابق ص٧.

المقدمات مع المبادئ الكلامية واللغوية والفقهية وبقاء الأدلـة الأربعة، والمجتهدون والمستفتون، ثم إضـافة الترجيحـات والتعارض واختفاء طرق الاستثمار. وهو ما حدث أيضا فى "مختصر المنتهى" لابن الحاجب. أمـا "منهـاج الوصـول" للبيضاوى فإنه قسم الأدلة إلى متفق عليهـا وهـى الأدلـة الأربعة، وأدلة مختلف عليهـا فـى قسـمين، ثـم التعـادل والتراجيح، والاجتهاد والإفتاء فى قسمين آخرين. واختفـت الأحكام وطرق الاستثمار. ثم أبقى "تنقيح الأصول" للبخارى الأدلة الأربعة بالإضافة إلى الأحكام كخاتمة عرضـية. ثـم أصبحت الأدلة الشرعية الأربعة وحدها هى البنية الرباعيـة فى "أصول الفقه" لابن فورك، و"أصـول المنـار" للنسـفى، و"أصول الفقه" للسيوطى، و"الوصول إلى قواعد الأصـول" للتمرتاشى، و"نشر البنود" للشـنقيطى، و"ألفيـة الوصـول" لإبراهيم شقير، و"نظم مختصر المنار" لبسنوى زاده حتى مع اضطراب فى ترتيب الأدلة.

سادسا: البنية الخماسية.

١ - "تقريب الوصول إلى علم الأصول" لأحمد بن جزى المالكى (٧٤١هـ)[1]. ويقوم على بنية خماسية: المنطق (التعاريف العقلية)، واللغة (التعريفات اللغوية)، والأحكام الشرعية، وأدلة الأحكام، وأخيرا الاجتهاد والتقليد والفتوى والتعارض والتراجيح. أكبرها أدلة الأحكام ثم التعريفات اللغوية ثم الاجتهاد وما يتعلق به ثم التعاريف العقلية. وأصغرها الأحكام الشرعية[2]. ويمكن ردها إلى بنية ثلاثية: الأدلة والأحكام واللغة أى مباحث الألفاظ بالإضافة إلى المقدمة المنطقية. والبنية الخماسية مقسمة إلى فنون، وكل فن مقسم إلى أبواب. وبعض الأبواب فى الفنين الثانى والرابع إلى فصول. ولا ضير من إضافة تنبيه واحد[3]. ويكون للوعى النظرى الأولوية على الوعى العملى والوعى

---

(١) أبو القاسم محمد بن أحمد جزى (٧٤١هـ): تقريب الوصول إلى علم الأصول، دراسة وتحقيق د. عبد ا محمد الجبورى، دار النفائس، عمان، الأردن ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٢) أدلة الأحكام (٤٠)، التعريفات اللغوية (٣٠)، الاجتهاد والتقليد والفتوى والتعارض والتراجيح (٢٤)، التعاريف العقلية (٢٠)، الأحكام الشرعية (١٦).

(٣) تقريب الوصول ص ١٣٧.

التاريخى بينهما. الأولوية للعقل ثم للنقل وأخيرا يأتى الفعل فى ثلاثية العقل والنقل والفعل.

وهو نص قصير وواضح. أقرب إلى التعريفات الأولى لمصطلحات الأصول والمبادئ الأولى والمصادرات والبديهيات الأولية، دون حشو أو شرح يقوم على التشعب النظرى، ودون الدخول فى اختلافات المذاهب والفرق، وأقرب إلى الهيكل العظمى منه إلى المادة العضوية. ويقوم على العد والإحصاء لترقيم الأقسام. فقد كتبه المؤلف لتعليم ابنه. ويقوم على شرح الذات، إيراد التعريف ثم شرحه. ويعتمد على عديد من الأدلة النقلية، تتقدم فيها الآيات على الأحاديث[1]. ويظهر كلام العرب ولغة العرب واللسان العربى والعربية[2].

وبالرغم من أن المؤلف مالكى إلا أن الشافعى يتقدم أسماء الأعلام قبل مالك نظرا لسيادة الشافعية على علم الفقه والأصول بعد أن جعلها الغزالى المذهب الفقهى الرسمى للأمة. ثم يأتى أبو حنيفة. ثم يتداخل المتكلمون والأصوليون، أشاعرة وأحناف ومالكية مثل الباقلانى وفخر الدين الخطيب،

(١) الآيات (٣٨)، الأحاديث (١٣).
(٢) كلام العرب (٢). لغة العرب، اللسان العربى، العربية (١).

والأبهرى والأشعرى. ثم يأتى القرافى والبـاجى والجـوينى وأبو يوسف وابن حنبل وغيرهم مثل الجاحظ والدقاق وأبـو حامد وأبو داود الظاهرى والشيبانى وسفيان الثورى واسحق راهويه[1]. ومن المجموعات والفرق والمذاهب يتقدم العلماء ثم الفقهاء ثم الظاهريـة أو أهـل الظـاهر ثـم المتكلمـون والمعتزلة وأهل المدينة والنصارى. ثـم يـأتى النحويـون والصحابة واليهود. وأخيرا يـأتى المقلـدون والمجتهـدون والمالكيون أو المالكية والحنفية وأهل السنة وأهـل الكوفـة وفقهاء الأمصار وغيرهم[2].

٢- "إحكام الفصـول فـى أحكـام الأصـول" للبـاجى (٤٧٤هـ)[3]. وهو نص واضح هادئ غير سجالى. يرصد

---

(١) الشافعى (١٦)، مالك (١١)، أبو حنيفة (٩)، القاضى أبو بكر (الباقلانى) (٧)، فخر الدين الخطيب (٦)، أبو الفرج الأبهرى (٥)، الأشـعرى (٣)، القرافى، الباجى، الجوينى، أبو يوسف، أحمد بن حنبـل (٢)، العنبـرى، الجاحظ، الدقاق، أبو حامد، موسى بن عمران، أبو داود الظاهرى، اسحق بن راهويه، سفيان الثورى، الشيبانى، أبو بكر، يعقوب، ابن محيص (١).

(٢) العلماء (٨). الفقهاء (٦). الظاهريـة، أهـل الظـاهر (٥). المعتزلـة، المتكلمون، أهل المدينة، النصارى (٣). النحويون، اليهود، الصحابة (٢). الحنفية، المقلدون، المجتهدون، المالكيون، المالكية، فقهاء الأمصار، أهـل الكوفة، المحدثون، أهل السنة، الخلفاء الأربعة، إجماع العشرة (١).

(٣) أبو الوليد الباجى: إحكام الفصول فى أحكام الأصول، حققـه وقـدم لـه ووضع فهارسه عبد المجيد تركى، (جزءان)، دار الغـرب الإسـلامى،

الخلاف بين المذاهب دون استبعاد أحد. والصحيح ما جاء فى "الموطأ". وهو دقيق العرض دون رغبة فى التطويل[(١)].

والبنية خماسية كما هو الحال فى باقى متـون المؤلـف حول الأدلة الأربعة بالإضافة إلى الاستصحاب بعد القياس[(٢)]. وأكبرها القياس ثم السنة ثم الكتاب ثم الاستصحاب وما يتبعه من اجتهاد وتعارض وأصغرها الإجمـاع ثـم المـدخل[(٣)]. وتدخل مباحث الألفاظ كالعادة فى القرآن. وتختفـى أحكـام التكليف. فالأولوية للنقل أى المصادر الأربعة على العقل أى الاجتهاد ويختفى الفعل أى الواقع كلية. ويظهر اتفاق أصول الفقه السنى والشيعى على الاستصحاب وتدعيمه بنفس الأدلة النقلية والعقلية. والتعارض فى السنن أكثر منه فـى الآيـات نظرا لتفاوتها فى الصحة ولتطورها فى الزمان ولاخـتلاف المواقف والأذواق والعادات والأعراف العربية.

بيروت ط ـ ١٤٠٧/١هـ ـ/١٩٨٦م، ط ـ ١٤١٥/٢هـ ـ/١٩٩٥م. (وللمحقق فضل كبير على النشر العلمى الدقيق لمتون المالكية فى المغرب الإسلامى وهو خليفة برنشفيج فى إدارة مجلة دراسات إسلامية)

(١) السابق ص٥٨٥.

(٢) الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، الاستصحاب (بالإضافة إلى الاجتهـاد والتعارض).

(٣) القياس (١٧١)، السنة (١٢٣)، الكتـاب (١١٩)، الاستصـحاب (١٠٥) الإجماع (٧٠)، التعارض (٣٦)، الاجتهاد (٢٤)، المدخل (١٧).

وتكثر فيه الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. والأحاديث أكثر، والأشعار أقل. ويكثر الشـعر فـى فصـل الحروف وفى باب القرآن. ويقل فى باب القياس(١).

ومن أسماء الأعلام يتقدم الباقلانى متكلم الأشاعرة وليس مالك ثم عمر بن الخطاب روح المالكية. ومن الصحابة ابـن عباس وأبو بكر وعائشة. ثم يأتى أبو حنيفة والنظام(٢). ثـم

---

(١) الأحاديث (٣٠١)، الآيات (٢٣١)، الأبيات الشعرية (٢٣).

(٢) الباقلانى (٦٣)، عمر بن الخطاب (٥١)، أبو جعفر (٣٨)، ابـن عبـاس (٣٥)، أبو تمام البصرى (٣٤)، أبو بكر (٣٣)، الشـيرازى، السـمنانى (٢٩)، أبو محمد (والد الجوينى)، الشافعى (٢٤)، عائشة (١٩)، الطبرى، على (١٧)، داود بن على، ابن عمر (١٥)، ابـن القصـار (١٤)، ابـن نصـــر، الصـــيرفى، البـــاجى، ابـــن عفـــان (١٢)، أبو الفرج (القاضى)، ابن مسعود، زيد بن ثابت (١٠)، ابن سـريج (٩)، أبو حنيفة، أنس بن مالك، معاذ، النظام (٨)، الجبائى (أبو على)، القفـال، الأشـعرى (أبـو موسـى) (٧)، الأبهـرى، الخـدرى، الكرخـى (٦)، أبو الحسن (القاضى)، أبو عبيدة، داود، ابن المسيب، طلحة، ابن عـوف (٥)، ابن فورك، بريرة، بلال، جابر، الحسين البصرى، ذو اليدين، ابـن أبى عروة، شعبة (٤)، إبراهيم (النبى)، ابـن المنتـاب، أبـو الـدرداء، أبو سلمة، أحمد بن حنبل، الأزدى، أم سلمة، البخارى، حمـزة، الزبيـر، زياد بن الأرقم، سعد بن أبى وقاص، سلمة بن صخر، سليمان (النبـى)، الطبرى (أبو على)، عروة، بن أبان، القاسانى، ابن مسـلمة، مسـروق، النابغة، معاوية، موسى (٣)، ابن بكير، ابن خيران، أبـو اسـحق، أبـو الفضـــل المـــالكى، المـــزوردى، أبـــو طلحـــة، أبو هريرة، أبى بن كعب، اسحق (النبى)، إسماعيل (النبى)، الأسود بـن

يأتى غيرهم من المتكلمين والفقهـاء والمـؤرخين والنحـاة والشعراء والصـحابة والتـابعين والمحـدثين والمفسـرين وأصحاب المذاهب الفقهية والأنبياء(١).

ومن الطوائف والفرق يتقدم الصحابة بطبيعة الحال وهم أهل الرواية والحديث ثم الحنفى ثم الشافعى قبل المالكى، ثـم أهل اللغة وأهل الأصول والمتكلمون لارتباط اللغة بالأصول، ثم السلف واليهودية لإنكارها النسخ والمعتزلة للقول بالحسن والقبح العقليين فى التكاليف ثم أهل الظاهر والنصرانية. ثـم تتداخل باقى الفرق والطوائف، الإسلامية وغيـر الإسـلامية وفقهاء الأمصار، المتقدمون منهم والمتأخرون(٢).

يزيد، الأصطخرى، الأعشى، امرؤ القيس، بشير بـن نهيـك، الثـورى، جعفر بن أبى طالب، حذيفة بن النعمان، الحسين بن على، الحكم بن أبـى العاص، حمل بن مالك، خالد بن الوليد، رافع بن خديج، الزبرقان، زيد بن حارثة، الشيبانى، سالم بن عبد ا ، ابن معاذ، طاوس، الطبرى (جريـر)، عامر، عكرمة، ابن العاص، عوف بن مالك، قتادة، مالـك بـن نـويرة، المسيح، مصعب (١).

(١) حوالى ١٨٥ علما.

(٢) حوالى ٧٩ فرقة وجماعة أشهرها: الصـحابى (١٠١)، الحنفـى (٦٥)، الشافعى (٥١)، أهل اللغة (٢٥)، أهل الأصول، المتكلمون (١٧)، السلف، اليهودية (١٤)، المعتزلة (١٢)، أهل الظاهر، النصرانية (٩)، أعجمـى، أهل البدع، أهل المدينة (٧)، الأنصار، الخاف (٦)، أصـحاب الحـديث، أهل العراق، الفارسية (٥)، أهل النظر، بنو النضير، النحـاة (٤)، أهـل

ومن الكتب التى يحال إليها "الموطأ" ثم "أصول الديانات" للباجى مع الصحيحين، البخارى ةمسلم، ثم "إحكام الفصـول" نفسه تأكيدا على وحدة العمل و"التقريب" للباقلانى، و"الرسالة" للشافعى[(١)].

ومن أسماء المدن تتقدم المدينة ومكـة بطبيعـة الحـال موطن أهل الأثر ثم بغداد واليمن موطن أهل الرأى، ثم بيت المقدس وبقاع الحجيج مثل الصفا والمـروة، ثـم الغـزوات الأولى كبدر وأحد، ثم باقى المدن الإسـلامية حتـى الهنـد والصين[(٢)].

الرأى والاجتهاد، أهل الكفر والضـلال، الخـوارج، حفـاظ الحـديث، المهاجرون، القرشيون (٣)، الأنبياء، أهل الردة، أهل الكتاب، بنو تمـيم، بنو سليم، بنو عمرو بن عوف، الرافضة، الشـيعة، الصـدر الأول مـن الفقهاء، القدرية، المجوسية، الملحدة (٢)، الإمامية، أهل الاجتهاد، أهـل الأوثان، أهل التفسير، أهل الحجاز، أهل السنة، أهل الشرائع، أهل الفتيا، أهل القدوة، أهل القرآن، أهل النقل والسير، أهل أيلة، أهل قبـاء، أهـل قسطنطينة، البراهمة، البصريون، البغداديون، المعتزلة، بنو أسـد، بنـو إسرائيل، بنو حنيفة، بنو قريظة، تابعوا التابعين، السوفسطائية، السودان، الشاميون، العراقيون، العنانية، الفقهاء السبعة، قوم لـوط، بنـو كليـب، المتأخرون، متفقهة خراسان، المغاربة، المنافقون (١).

(١) الموطأ (٦)، أصول الديانات، صحيح البخارى، صحيح مسلم (٢)، إحكام الفصول، الرسالة، التقريب (١).

(٢) المدينة، مكة (٥)، بغداد، اليمن (٤)، بيت المقدس، خيبر، الشام، الصفا، قباء، مؤته، المروة (٢)، بدر، أحد، البصرة، الحجاز، صفين، صـنعاء،

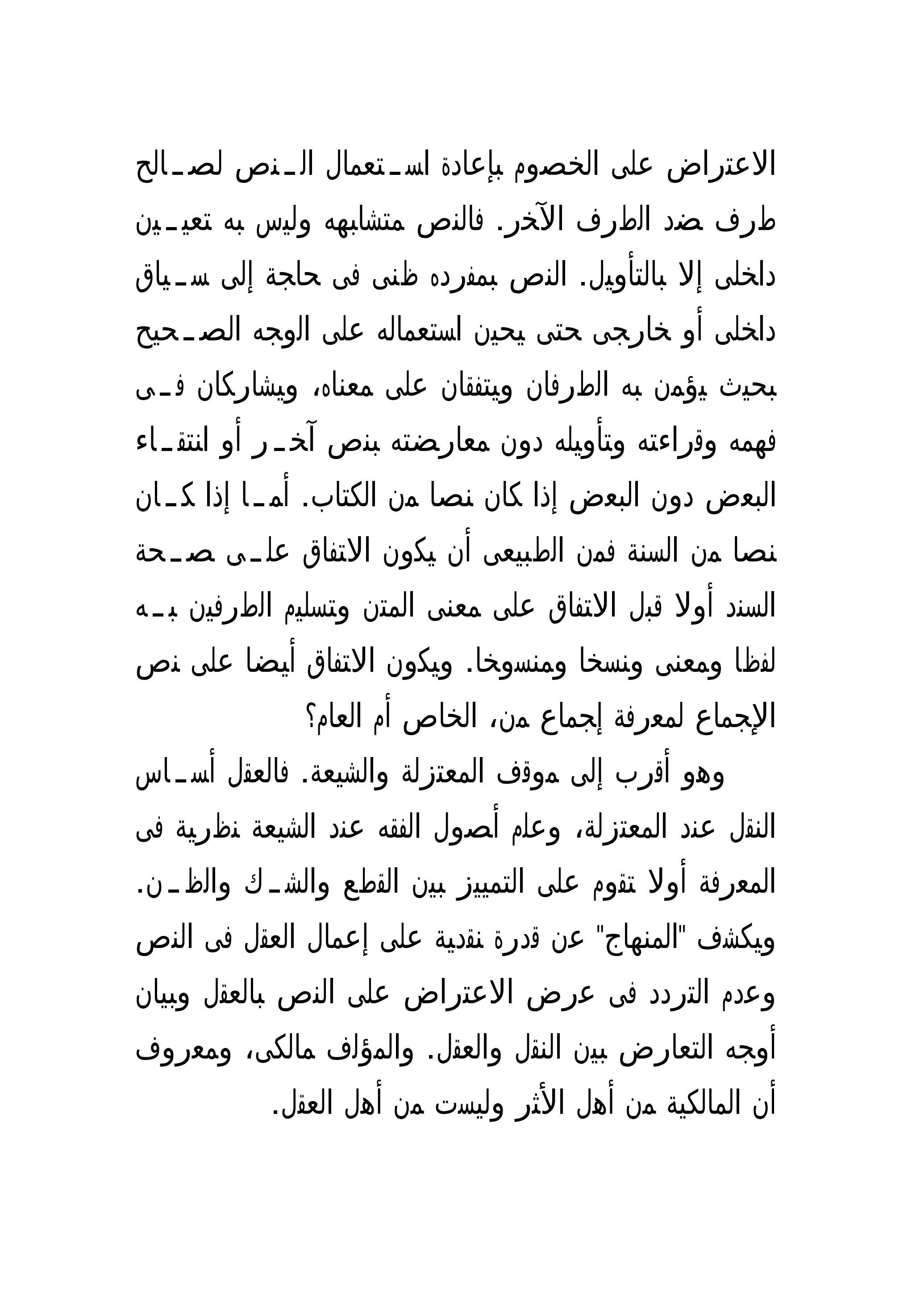
٣- "المنهاج فى ترتيب الحجاج" للباجى (٤٧٤هـ)[1].

وقد يعرض علم الأصول كله فـى إطـار مـنهج الجـدل، والتعارض والتراجيح. فهو منهج علم أصول الـدين الـذى استطاع علم أصول الفقه تجاوزه إلى البرهان. ومع ذلك بقى منهج الجدل أيضا فى علم أصول الفقه فأصبح جزءا من علم الخلافيات. وهو ما يدل عليه عنوان الكتاب. ومستعملا لفظى "المنهاج" و"الحجاج" أى منهج الجدل. والحجاج هنـا يعنـى الاعتراض، اعتراض العقل على النص، والاسـتدلال علـى الكتاب والسنة والإجماع. وهى مشكلة كلامية النقل والعقـل. هنا يأخذ العقل زمام المبادرة ويعتـرض علـى الاسـتدلال بالنقل، كتاباً أم سنة أم إجماعا. أما النص فلا يعترض علـى معقول العقل ولا على الاستصحاب.

ويدخل أيضا ضمن آداب الجـدل والمنـاظرة وكيفيـة

الصين، العراق، عرفة، الكوفة، منى، النهروان، النيل، همـذان، الهنـد، اليمامة (١).

(١) أبو الوليد الباجى: كتاب المنهاج فى ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيـد تركى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، طـ ١٩٨٧/٢، طـ ٢٠٠١/٣. ومن نفس النوع "كتاب الجدل على طريقة الفقهاء لابن عقيل (٥١٥هـ)، تحقيق جورج مقدسى، مجلة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية، جـ ٢٠، ص١١٩-٢٠٦، دمشق ١٩٦٧.



الاعتراض على الخصوم بإعادة استعمال النص لصالح طرف ضد الطرف الآخر. فالنص متشابه وليس به تعيين داخلى إلا بالتأويل. النص بمفرده ظنى فى حاجة إلى سياق داخلى أو خارجى حتى يحين استعماله على الوجه الصحيح بحيث يؤمن به الطرفان ويتفقان على معناه، ويشاركان فى فهمه وقراءته وتأويله دون معارضته بنص آخر أو انتقاء البعض دون البعض إذا كان نصا من الكتاب. أما إذا كان نصا من السنة فمن الطبيعى أن يكون الاتفاق على صحة السند أولا قبل الاتفاق على معنى المتن وتسليم الطرفين به لفظا ومعنى ونسخا ومنسوخا. ويكون الاتفاق أيضا على نص الإجماع لمعرفة إجماع من، الخاص أم العام؟

وهو أقرب إلى موقف المعتزلة والشيعة. فالعقل أساس النقل عند المعتزلة، وعلم أصول الفقه عند الشيعة نظرية فى المعرفة أولا تقوم على التمييز بين القطع والشك والظن. ويكشف "المنهاج" عن قدرة نقدية على إعمال العقل فى النص وعدم التردد فى عرض الاعتراض على النص بالعقل وبيان أوجه التعارض بين النقل والعقل. والمؤلف مالكى، ومعروف أن المالكية من أهل الأثر وليست من أهل العقل.

ولا يكون حل التعارض بين الأدلة فقـط عـن طريـق التأويل أو السياق أو زمن النص فى الناسـخ والمنسـوخ أو مكانه فى أسباب النزول أى عن طريق النص ولكن أيضـا عن طريق المصلحة خارج النص جمعا للزمـان والمكـان والقدرة والأهلية والتغير والتطور وروح العصر حتـى لـو اقتضى ذلك العود إلى المنسوخ. فضبط النص يكون بالسياق اللغوى والزمانى والمكانى والاجتماعى والتاريخى. التعارض قائم بين النصوص للاشـتباه فـى اللغـة. ويحـل بالعقـل والمصلحة نظرا لتطابق الوحى والعقل والواقـع. والـنص تجربة بشرية فردية وجماعية وتاريخية وليس خطابا مغلقا لا يحيل إلى عوالم أخرى خارجه، عالم المعانى وعالم الأشـياء بالإضافة إلى عالم اللغة. ولا يكفـى فـى حـل التعـارض تخصيص العموم أو إحكام المتشابه أو بيان المجمل فهى كلها من مباحث الألفاظ ومن طبيعة اللغة.

والبنية خماسية تدور حول الأدلة الشـرعية: الكتـاب، والسنة، والإجماع، ومعقول الأصل، ثم استصحاب الحـال. فى خمسة أبواب. ثم يسبقها مدخل وباب لإحصاء أقسام أدلة الشرع الخمسة، بعدها باب فى أقسام السؤال والجواب وهـو

الجدل بين الطرفين الذى عادة ما يوضع فى نهاية العلم بعد الاجتهاد مع المفتى والمستفتى كما هو الحال فى "الموافقات" للشاطبى. وبعد عرض الأدلة الخمسة ينهى العلم بباب عن الترجيحات وهو ما يعادل التعارض والتراجيح(1). فالعلم كله محاصر فى البداية بالجدل فى السؤال والجواب وفى النهاية بالترجيحات. وأكبرها معقول الأصل ثم السنة ثم الكتاب ثم الترجيحات ثم أقسام أدلة الشرع ثم السؤال والجواب ثم المدخل ثم الإجماع وأصغرها استصحاب الحال(2). ويتضمن الكتاب مباحث الألفاظ. كما يتضمن معقول الأصل القياس. وتغيب "الثمرة" بتعبير "المستصفى" أى أحكام التكليف. ومن ثم ينبنى العلم على قطبين فحسب العقل والنقل دون الفعل. يسقط الفعل أولا لحساب العقل والنقل، ثم يسقط العقل ثانيا لحساب النقل. ويقترب أصول الفقه عند السنة مع أصول

---

(1) ويكون مجموع الأبواب سبعة: ١- (المدخل) ٢- أقسام أدلة الشرع ٣- أقسام السؤال والجواب ٤- الاعتراض على الاستدلال بالكتاب ٥- الاعتراض على الاستدلال بالسنة ٦- الاعتراض على الاستدلال بالإجماع ٧- معقول الأصل ٨- استصحاب الحال ٩- الترجيحات.

(2) معقول الأصل (٧٤)، السنة (٦٢)، الكتاب (٣٤)، الترجيحات (٢٠)، أدلة الشرع (١٩)، السؤال والجواب، المدخل (٨)، الإجماع (٧) استصحاب الحال (٢).

الفقه عند الشيعة فى الاستصحاب الذى بدأه "المستصفى" من قبل فى جعله معادلا لدليل العقل. ويبـدأ المـدخل بتجديـد مصطلحات العلـم كمـا هـو الحـال عنـد ابـن فـورك والشيرازى(١).

وهناك بنية أخرى ثلاثية فى أول الباب الأول "أقسام أدلة الشرع". فأدلة الشـرع ثلاثـة: أصـل، ومعقـول أصـل، واستصحاب حال. والأصل هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة. ومعقول الأصل لحن الخطاب وفحوى الخطـاب والحصـر ومعنى الخطاب. واستصحاب الحال هى براءة الذمة. ولكـل توابعها. فالأصل هو الـنص ومعقـول الأصـل القيـاس. واستصحاب الحال بتأويل عملى هو الشـىء أو الواقـع أو الطبيعة(٢). وأحيانا تتفرع البنية فى كل موضوع فى قسـمة كل باب إلى فصول بحيث يمكن إقامة منطق دقيـق للجـدل بالنسبة للعلاقة بين الطرفين وتحديد الأهداف والمقاصد لكـل منهما فى علاقتهما بالنص والواقع، واللفظ والمعنى، والمعنى والشئ.

وتكثر الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث، والأحاديـث

---

(١) المنهاج ص١٠-١٤.

(٢) السابق ص١٥.

أكثر. ويدخل الشعر والمثل بدرجة أقل لاحكام معنى النص العربى[1]. بل أنه يتم أحيانا الاستشهاد بالعهد القديم نظرا لوحدة الوحى بالرغم من التحريف الذى أثبته علم أصول الدين خاصة ابن حزم وابن تيمية وغيرهم من مؤسسى علم تاريخ الأديان المقارن وعلم نقد الكتب المقدسة[2]. وتتكرر الآيات والأحاديث أكثر من مرة. ونقد الحديث أكثر تعقيدا من نقد الآيات لمرور الحديث بفترة شفاهية تضع مشكلة الصحة التاريخية، وتجعل النقد للسند والمتن على حد سواء[3]. وتدل الروايات العدة لحديث واحد على تحول القول غير المباشر إلى قول مباشر وبالعكس، كما يتم استعمال ألفاظ الرواية الخمسة المعروفة فى أول باب الأخبار لمعرفة درجة المباشرة. والسنة قول وفعل وإقرار. القول قاطع للتعارض والتراجيح لأنه لغة. والفعل تأسى وقدوة ورؤية، واستصحاب حال للأفعال الطبيعية والعرفية. والنسخ أيضا فى الحديث طبقا لتغير المصالح والأزمان بالرغم مما يبدو فى بعض

---

(١) الأحاديث (١٧٥)، الآيات (٩٦)، الشعر (١٠).

(٢) المنهاج ص٩٨-٩٩.

(٣) انظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس ١٩٩٦، ص١٣١-٢٤٣.

الأحاديث من أذواق ومشاعر انسانية خالصة. وكثيـر منهـا يتناول الحياة البدوية الخالصة.

ومن أسماء الأعلام يتقدم مالك بطبيعة الحال. فـالمؤلف مالكى. ثم عمر بن الخطاب مؤسس الفقه الواقعى المصلحى مثل المالكية، ثم الشيرازى الأصولى الأشعرى، ثم أبو حنيفة تلميذ مالك متحولا من الأثر إلى الرأى، ومن الـنص إلـى العقل مع ابن عباس حبر الأمة. ثم يتوالى الصحابة مثل على وابن مسعود مع أئمة الأشاعرة مثل البـاقلانى. ثـم يـأتى الشافعى وبعده ابـن حنبـل ثـم يتقـدم بعـض الشـعراء والنحويين[1].

---

(١) مالك (٤٣)، عمر بن الخطاب (٢٥)، الشـيرازى (١٧)، أبـو حنيفـة، الداودى، ابن عباس (١٣)، عبد ا بن عمر، أبـو هريـرة (١٢)، ابـن القصار (١١)، على بن أبى طالب (٩)، البـاقلانى، ابـن مسـعود (٨)، الباجى، عثمان بن عفان (٧)، أنس بن مالك، البخارى، أبـو بكـر (٦)، القاضى عبد الوهاب (٥)، أبى بن كعـب، بربـرة، جـابر، الزهـرى، الشافعى، أبو يوسف (القاضى) (٤)، ابن أبى ليلى، ميمونة، أحمـد بـن شاكر، أبو جعفر القاضى، ابن حنبل، يحيى بن معين، طلق بـن علـى، النسائى، ابن معين، أبو موسى الأشعرى (٣)، ابن أبى هريرة، أسامة بن زيد، إسماعيل القاضى، يسرة، بشير بن نهيك، بلال، أبو تمام، أبو حاتم، الحطيئة، ابن خويزمنداد، داود الأصبهانى، الزجاج، أبو زيد (الصحابى)، سعيد بن المسيب، عبادة بن الصامت، عبد ا بن أبى بكر، أبو عبيـدة، أبو على الطبرى، أبو الفرج المالكى، أبو قزازة، العبسى، فضـالة بـن

ومن الفرق والمذاهب يتقدم بطبيعة الحال ومرة أخـرى المالكى ثم الحنفى ثم الشافعى، ولا يأتى الحنبلى إلا متأخرا. ثم يأتى أصحاب كل منهم أصحاب الباجى ثم أصحاب أبـى حنيفة ثم أصحاب الشافعى ثم أصـحاب مالـك. ثـم يـأتى الصحابة وأهل الحديث والتابعون والفقهاء والظاهرية وأهـل اللسان واللغة ثم أصحاب الكلام والأصول[1].

ومن الأماكن تتقدم المدينة فمالك منها، وإجمـاع أهلهـا وعملها دليل شرعى. وتتلوها مكة وبغداد، وأهل الأثر وأهل

عبيد، قتادة، المبرد، الأشعرى، ابن أم مكتوم، المغيـرة، ابـن المنكـدر، موسى بن عقبة، نافع، النضر بن أنس (٢)، ثم يأتى ما يقارب من مائـة وأربعون علما يذكر كل منهم مرة واحدة مثل الأنبياء إبـراهيم وموسـى وعيسى وإسماعيل، وعلماء ومؤرخون ونحاة وشعراء ومتكلمـين مثـل القيروانى وابن الأثير والدؤلى وامرؤ القيس والحسـن البصـرى وابـن سريج والخدرى والمعرى والكرخى والمبرد... الخ.

(١) المالكى (٢٩٠)، الحنفـى (١٨٩)، الشـافعى (٨٥)، الصـحابة (٣٤)، أصحاب الباجى (٢٧)، أصحاب أبى حنيفـة (٢١)، أصـحاب الشـافعى (١٥)، أصحاب مالك (١٣)، أصحاب الحديث، التابعون (٩)، أهل الذمة، الفقهاء، الظاهرية (٨)، الخليفة، الخلفاء (٧)، أصحاب النظر وأهل الجدل (٦)، الحنبلى، أهل اللسان أو أهل اللغة (٥)، أهل الردة، أهـل الكتـاب (٤)، أهل الظاهر، السلف (٣)، أصحاب الكلام، أهـل الأصـول، أهـل الجزية، شيوخ الباجى، القدرى (٢)، أصحاب الصوامع، أهـل الأوثـان، أهل البغى، أهل عصر الصحابة، أهل الفسق، أهـل الكوفـة، الشـيعة، العراقيون، بنو مخزوم (١).

الرأى، ثم العراق ومصر حيث عاش الشافعى، وخيبر[1].

ومن المؤلفات التى يحيل إليها المؤلف مصنفه "احكـام الفصول فى أحكام الأصول" مما يدل على وحدة المشـروع وأن "المنهاج" ما هو إلا قراءة لعلم الأصول من خلال أحـد موضوعاته وهو التعارض والتراجيح[2].

٤ - "إيضاح المحصول من برهان الأصول" للمـازرى (٥٣٦هـ)[3]. وهو كما يبدو من العنوان لا هو شـرح ولا حاشية ولا تقرير ولا تلخيص بل هو "إيضـاح" أى إبـراز المضمون، وتوضيح الفكر ووصف مساره، والـدخول فـى مسائل "البرهان" للجوينى، ربما أسوة بما فعل الغزالى فـى

---

(١) المدينة (١)، مكة، بغداد (٦)، العراق، مصر، خيبر (٣)، بدر، الحديبية، الشام، الطائف، العقبة، اليرموك (٢)، وحوالى سبع عشرة مدينة وموقعـا ومصرا مثل الشام وأفريقية، والجزائر واليمن، والبصرة وتونس ودمشق والكوفة والموصل، وأرض العدو، ودار الحرب، والقادسية... الخ.

(٢) السابق ص٦٦/١٢٤/١٤٢/١٥١/١٥٤/١٥٦ (كشاف الكتب فى فهـارس الكتاب كلها تقريبا من هوامش المحقـق ولـيس مـن المـتن)، السـابق ص٢٦٢-٢٦٣.

(٣) أبو عبد ا محمد بن عمر بـن محمـد التميمـى المـازرى: إيضـاح المحصول من برهان الأصول، دراسة وتحقيق الأستاذ الـدكتور عمـار الطالبى، دار الغرب الإسلامى طـ١، بيروت ٢٠٠١ .

"المنخول" عندما "نخل" "البرهان"[1]. هو أشبه بتقارير الشيعة على محاضرات الحوزة وإن اختلف الأسلوب باستثناء "اعلم" والدعوة لمشاركة القارئ. ولا يبين سبب التلخيص أو هدفه. "الإيضاح" فى العنوان ولكن ضاع فى خضـم التفصـيلات والمقارنات والخلافيات والتحقيقات. أراد التلخيص ولكن أتى الإيضاح مسهبا بالرغم من نقد تطويل البرهان[2]. أسهب فى المسائل النظرية الخالصة التى لا ينتج عنها أثر عملى ممـا يجعل التطوير خارج مقصد العلم. وهى المسـائل الكلاميـة الفلسفية. كثرت التفصيلات المسهبة فأتى أقرب إلى دوائـر المعارف. وفى خضم التفصيلات ضاعت العموميات، ووسط التعريفات اختفت الكليات، وفى المطـبخ الـداخلى تاهـت الحصيلة، وكثير من التفصيلات خـارج الموضـوع مثـل التأويلات مع أنه فى القرن السادس كان "المستصفى" قد كتب من قبل بإحكام أكثر، وتوازن بين الأصول والفروع. لـذلك كان "المستصفى" نصا محكما لجمعه بين الكل والجـزء دون

---

(١) "إن الغزالى نخل هذا الكتاب الذى نحن آخذين فى (شـرحه)"، السـابق ص١٣٨ .

(٢) "هذا باب أطال فيه أبو المعالى القول حتى خرج من فن إلى فن، ولبـاب ما أورد فى هذا الباب سبع نكت"، السابق ص١١٤. "ورأيته أطـال فـى كتابه الكلام على هذا المذهب"، السابق ص٤٤٢.

فقد الكل. وأحيانا يتم اقتباس نص من البرهان قبل شرحه[1]. فى أوله خرم أو سقط وبالتالى غابت البداية التى كان يمكن أن تحدد الهدف أو القصد من "الإيضاح". والأسلوب غير مميز بل متنوع على غير أسلوب تقارير الشيعة المميزة باستثناء "والحق" ومخاطبة القارئ[2].

غاب عليه الأسلوب السجالى وإبراز أوجه الخلاف بين المذاهب والفرق، والرد على الاعتراضات. مازال المعتزلة هم المحاور الرئيسى لكثرة الحوار معهم ورفض نظرياتهم فى الحسن والقبح العقليين والقدرة شرط التكليف وهى مسائل العدل دون التوحيد، العمل وليس النظر. فانتقل الخلاف الكلامى إلى الأصول مع خلط واضح بين العلمين، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه خاصة فى مباحث العلم[3]. بل أحيانا يبدو طغيان علم الكلام على علم الأصول. ويأخذ موقفا من المذاهب الأصولية والكلامية. بل ويفصل الاتجاهات المتعددة داخل المذهب الواحد.

يوضع الجزء فى إطار الكل، علم الأصول بشقيه، علم

(١) الإيضاح ص٢٦٥.
(٢) السابق ص٤٣٢/٤٨٩.
(٣) السابق ص١١٣.

أصول الفقه فى علم أصول الدين، وعلم الأصول داخل علوم الحكمة، والعلوم الإسلامية داخل العلوم اليونانية[1]. وتصحح بعض المصطلحات اليونانية. لفظ "سوفسـطان" لـيس اسـم شخص بل مشتق من المغالطة. كما تستعمل بعض الألفـاظ اليونانية المعربة مثل السقمونيا[2]. ويدخل فى حـوار بـين المتكلمين والفلاسفة، مثل ابن سينا. وينقد الفـريقين وينـوى تأليف كتاب مستقل فى نقدهم. وأحيانا تتم المغالاة والتطرف فى الأحكام والحدة فى الأسلوب كما هو الحال عنـد بعـض الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم حراسا للشريعة لامتلاكهم الحـق ومعرفتهم إياه[3].

والنشر جيد، ومقدمة التحقيق دقيقة تبين أهمية "البرهان" للجوينى وشرحه من المازرى المالكى واتباع منهج التحليـل

---

(١) السابق ص٨٤.

(٢) السابق ص١٢٢/٩٢.

(٣) وهذه الحجة لا تساوى استماعها، السابق ص٢٥٨. "وهذا جرى القوم فى علومهم التى سموها الإلهيات والطبيعيات يستمسـكون فيهـا بخيـالات مضمحلات لكنهم يجنحون فيها إلى المحسوسات فربما اسـتمالت الغـر واستقاوت من لم يعجم حقائق الأدلة. ثم مع هـذا يـزدرون مـع أدلـة المتكلمين، وأن نفس ا فى مدة العمر فلابد أن نورد جميع ما قالوه فـى كتبهم فى الإلهيات حرفا حرفا... وذكر الصحيح من المـذهبين لظهـور ضعف مبانيهم التى بنوا عليها معانيهم"، السابق ص٢٥١.

والنقد مع نظرات أصيلة واجتهادات متميزة وأحكام حرة، مع مناقشة الفلاسفة اليونان والإسلام وحواره مع أساتذته ونقـد جوانب ميتافيزيقية ومنطقية عند القدماء. كما قدم اجتهـادات فى اللغة العربية وفى النقد الأدبى(1).

والمازرى من المالكية يشرح نص "البرهان" للجـوينى من الشافعية مما يدل على الحوار بـين المـذاهب الفقهيـة وبالتالى الفرق الكلامية. يكشف عن روح المناظرة، ودرجة عالية فى السجال ضد التهمة الشائعة ضد المالكية أنهم ليسوا أهل نظر، بل أهل عمل، وبأنهم أهـل أثـر وليسـوا أهـل رأى(2).

يعنى "الإيضاح" ببيان الاتفاق والاختلاف بين المـذاهب. وهو أقرب إلى الشرح منه إلى الاختصار، والإسهاب منـه إلى التركيز، مع إنه جزء واحد فـى حـين أن "البرهـان" جزءان. ويحكم عليها بالصحة أو البطلان. ويختلف مع المتن الأول ويتفق معه(3). ومازال النص هو المحك وليس التجربة

---

(1) والتحية واجبة لدار الغرب الإسلامى التى أسسها الأخ الحبيـب اللمسـى لنشر التراث المالكى فى المغرب العربى، وكذلك لدار الكتب العلمية التى قامت بتوفير عدد من النصوص التراثية.
(2) السابق ص236.
(3) السابق ص264.

البشرية أو المصالح العامة، المفهوم الرئيسى عند المالكيـة. ويكشف عن رغبة فى التجديد سواء فى النص الأول أو فـى النص الثانى[1].

والبنية خماسـية: الأوامـر، والعمـوم والخصـوص، والتأويلات، والأخبار، والإجماع. كل موضوع كتاب. وكـل كتاب ينقسم إلى فصول إلا كتاب التأويلات الذى ينقسم إلـى مسائل. ويضاف إليها مقدمة بلا عنوان تنقسم فى معظمهـا إلى فصول باستثناء "القول فى البيان" و"حد الكلام"[2]. أكبرها العموم والخصوص ثم الأخبار ثم الأوامـر ثـم التـأويلات وأصغرها الإجماع. والغريب أن الإجماع لا يتجاوز صـفحة واحدة![3]. وتبدو مباحث الألفاظ لها الأولوية المطلقة علـى

---

(١) "دعت الضرورة فى هذا الكتاب إلى الخروج عن رسم ما يقتضيه التأليف فى هذا العلم وذلك أن أبا المعالى رمز فيه إلى مذاهب الفلاسفة فى القوة الفكرية والعقلية وخرج عن عاداته القديمة فى إكبـار أئمـة الأشـعرية وتحسين المخارج لهم فيما قد يظن ظان بهم أن يتوجه عليهم فيهم قـدح. وأشار إليهم بأنهم طاشت منهم الأحلام فى أمرهم فى استهانتهم إياه كالنيام استركاكا واستهجانا، ووصفهم بأنهم جهلوا من علم الفلسفة أمرا فاختبطوا لأجله"، السابق ص٢٥٠.

(٢) القول فى البيان، السابق ص١٣٤-١٥٨، حد الكلام وأقسـامه ص١٥٩-١٨٧.

(٣) العموم والخصوص (١٢٤)، الأخبار (١١٥)، الأوامر (٦٢)، التـأويلات (٤٢)، الإجماع (١).

الأخبار والتأويلات[1]. وإذا كانت الأخبار هى السنة المصدر الثانى، والتأويلات القرآن المصدر الأول، والإجماع المصدر الثالث فإن القياس يغيب كلية. والفصول قصيرة، والمسـائل أقصر. ومع ذلك يظل للعقل الأولوية على النقل وغياب الفعل كلية فقد سقط الفعل أولا قبل أن يسقط العقل ثانيا.

ومن ثم ارتدت البنية الثمانية فى "البرهان" إلـى بنيـة خماسية بغاية الإيضاح[2]. فانقسـم البيـان إلـى الأوامـر، والعموم والخصوص، والتأويلات. وتحول الكتاب الواحد إلى ثلاثة كتب مستقلة. وتحول النسخ إلى الأخبار. وبقى الإجماع لم يتغير. ثم حذفت كتب القياس والاسـتدلال والترجيحـات والاجتهاد والفتوى. فصاحب "الإيضاح" مـالكى. الاسـتدلال لديه بالمصالح المرسلة وليس بالقياس.

وهناك وعى بالبنية يظهر فى عد عناصـر الموضـوع التى يمثل جوانبه المختلفة[3]. وأحيانا يتم ذلـك فـى بدايـة

(١) مباحث الألفاظ (١٨٦)، الأخبار (١١٥)، التأويلات (٤٢)، الإجماع (١).

(٢) كانت بنية "البرهان" الثمانية كالآتى: ١- البيان ٢- الإجماع ٣- القيـاس ٤- الاستدلال ٥- الترجيحات ٦- النسخ ٧- الاجتهاد ٨- الفتوى.

(٣) السـابق ص٨٣/١٠٢/١٣٧/١٤٨/١٦٣/١٦٥-١٦٦/١٧٠/١٩٧/٢٠٠/٢٠٥-٢٠٦/٢١٠/٢٤٦/٢٨١/٣٢٥/٣٦٨/٣٧٩-٣٨٠/٣٨٦/٤٤٥-٤٤٦/٥١٥.

الفصل تحديدا لعناصره[1]. هى الفقرات- البرنامج التى تحدد خط السير ونقلات الفكر. وهناك وحدة للعمل تظهر من إحالة اللاحق إلى السابق، والسابق إلى اللاحق[2]. كما تظهر وحدة المشروع الفكرى كله للمازرى بالإحالة إلى أعماله الأخرى التى يحيل "الإيضاح" إليها[3]. كما يحيل إلى مصادر أخرى كما هو الحال فى الدراسات المعاصرة[4].

وتكثر الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر. كما يتم الاستشهاد بالشعر خاصة فى كتاب الحروف[5]. وتظهر اللازمات الدينية مثل "إن شاء ا "، "وبا التوفيق"[6].

وتكثر أسماء الأعلام. ويأتى فى المقدمة بطبيعة الحال أبو المعالى الجوينى صاحب البرهان ثم الشافعى صاحب

---

(١) السابق ص٩٢/١١٤/١٣١-١٣٢/١٥٠/١٨٨/١٩٩/٣٠١/٣١٣/٣٢٨/٣٣٢-٣٣٣/٤٣٢/٤٤١/٤٨٤/٥١٨/٥٣١.

(٢) السابق ص١١٩/٢٧٦/٢٨٠/٣٢١/٣٢٦/٣٣٣/٣٥٣/٤٠٦/٤١١/٤١٤/٤٣٦/٣٩٤/٣٨٢/٤٢٩/٤٤٠/٤٧٠/٤٧٣/٤٩٨/٥٢٢/٥٢٧.

(٣) السابق ص٢٣١/٢٦٢/٢٩٣/٣٦٧/٣٦٩/٣٩٤/٣٩٨-٣٩٩/٥٠٨/٤٣٧/٥١١.

(٤) السابق ص٣٣٦/٣٤٨/٤٢٠-٤٢١/٤٦٥/٤٩٦/٤٨٦.

(٥) الآيات (٣٨٨)، الأحاديث (١٣٧)، الشعر (٢٥).

(٦) إن شاء ا (٦)، وبا التوفيق (٥).

المذهب السائد منذ الغزالى، ثم مالك بن أنس صاحب المذهب الذى ينتمى إليه المازرى ثم أبو حنيفة صاحب المذهب الثالث، ثم الباقلانى، ثم القاضى عبد الوهاب، ثم ابن خويز منداد من أعلام الأشاعرة، مثل الأشعرى مؤسس المذهب والأسفراييني. ثم من الصحابة يتقدم عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم ابن عباس وعائشة وعبد ا بن عمر وأبو بكر وأبو هريرة وعلى وابن مسعود ومعاذ. ومن المحدثين يتقدم البخارى، ومن الفلاسفة ابن سينا. ومن المتكلمين يتقدم الجبائى والنظام والجاحظ والعلاف والحسن البصرى وعبد الجبار وواصل. ومن الشعراء يتقدم امرؤ القيس، ومن المؤرخين الطبرى، ومن الأصوليين الصيرفى وابن القصار وعيسى بن أبان وأبو يوسف والغزالى وابن فورك. ومن النحاة الخليل وابن جنى[١].

---

(١) الجوينى (٣٠٨)، الشافعى (٩٦)، مالك بن أنس (٦٥)، أبو حنيفة (٦٠)، الباقلانى (٥٣)، القاضى عبد الوهاب (٣٢)، ابن خويز منداد (٣٠)، عمر بن الخطاب (٢٢)، الأشعرى (١٩)، الاسفراييني (١٧)، ابن الجبائى، عبد ا بن عمر (١٦)، سيبويه (١٤)، ابن فورك (١١)، عثمان بن عفان (١٠)، ابن بردة، أبو بكر (٩)، آدم، ابن عباس، أبو الفرج الليثى، البخارى (٨)، الدقاق، عائشة، موسى (٧)، إبراهيم، أبو هريرة، امرؤ القيس، الصيرفى، على (٦)، ابن القصار، نوح، ابن مسعود، الأبهرى، الأذرى، المغيرة، النظام (٥)، ابن القاسم، ابن المسيب، أبو موسى

ومن أسماء المذاهب والفرق يتقدم الفقهاء على العموم، ثم الأصوليون على الخصوص، ثم المعتزلـة علـى وجـه أخص. فمازالوا يمثلون الخصم الرئيسى. ثم يظهر العـرب لارتباط الأصول باللغة العربية، ثـم أصـحابنا (المالكيـة) فالمؤلف مالكى، ثم الفقيه علـى الإطـلاق، ثـم المسـلمون والمتعلمون على الإطلاق، ثم صاحب الشـرع والمحـدثون والواقفية، ثم أصحاب أبى حنيفـة والنحـاة، ثـم أصـحاب الشافعى وأهل اللسان، ثم أصحابنا (الأشاعرة) والأشـعرية، ثم الفلاسفة والنصارى والنظار... الـخ. وتتـوالى الفـرق، ويتداخل الأصوليون والفقهاء والمتكلمون والفلاسفة والنحـاة

الأشعرى، البلخى، الخليل بن أحمد، الكعبى، عيسى بن أبـان، سـحنون (٤)، ابليس، ابن جنى، ابن داود، ابن الزبير، أبو ثور، الجـاحظ، حـاتم الطائى، يونس، داود الظاهرى، الزجاج، الطحاوى، العـلاف، فرعـون، القفال، اللخمى، معاذ (٣)، وسبعة وثلاثون علما آخرون منهم: أبو جهل، أبو سنان، أبو يوسف، أسامة بـن زيـد، الإسـكافى، الأصـم، الحسـن البصرى، داود، زفر، زيد بن ثابت، زيد بن حارثـة، الطبـرى، عبـد الجبار، عمرو بن عبيد، الغزالى، القاسانى، الكرخى، لبيـد، الشـيبانى، يحيى بن أكثم... الخ (٢)، كما يذكر أكثر من ثمانين علما، كلا منها مرة واحدة مثل ابن حنبل، ابن الراوندى، ابن الزعبـرى، ابـن سـينا، ابـن سيرين، ابن قتيبة، ابن وهب، الخدرى، الصابونى، الأصمعى، البـاهلى، سفيان الثورى، الشيرازى، المروزى، غيلان، المحاسبى، قس بن ساعة، كعب الأحبار، لوقا، مرقص، واصل، يوحنا... الخ.

والرواة وكأنها موسوعة عامة للفرق والمذاهب الإسلامية[1].

ويحال إلى عديد من المصادر كتاب المازرى نفسه عن فوائد مسلم، ثم كتب علم الكلام مما يبين طغيان علم أصـول

(١) الفقهاء (٦٢)، الأصوليون العلماء (٥٤)، المعتزلة (٥١)، العرب (٤٨)، أصحابنا (المالكية) (٤١)، الفقيه (٣٣)، المسـلمون (٢٧)، المتكلمـون (٢٦)، صـاحب الشرع (٢١)، المحدثون، الواقفية (١٩)، أصحاب أبى حنيفة (١٦)، النحاة (١٥)، أصحاب الشافعى (١٤)، أهل اللسان (١٣) أصحابنا (الأشاعرة) (١١)، الأشعرية (١٠)، الفلاسفة (٩)، النصارى، النظار (٨)، الأصولى، أهل الظاهر، المـالكى (٧)، أهل الأصول، أهل اللغة، الخوارج، الشافعية، اليهود، المالكية، المعتزلـى (٦)، أئمـــة اللغـــة، الأطبـــاء، البغـــداديون، فقهـــاء الأمصـــار (٥)، أئمة الأشعرية، أئمة المتكلمين، أصحاب مالك، أهـل الجنـة، الفلاسـفة، أهـل المنطق، الجاهلية، العجم، بنو إسرائيل (٤)، أئمة النحاة، أصحاب التراخى، أهل التواتر، أهل الصحيح، أهل الكتاب، الإسلاميون، الإمامية، البصريون، بنو آدم، الحنفى، العربى (٣)، أئمة الشافعية، أئمة المحدثين، أئمة المسـلمين، أصـحاب المقالات، أصحاب الوجوب، الأنصار، أهل الأعصار، أهل الشرع، أهل العراق، أهل الكمون والظهور، أهل اللغات، أهل المدينة، أهل بيعة الرضوان، بنو عبـد المطلب، بنو هاشم، الجهمية، السفسطائية، السمنية، صاحب المذهب، المفتـون، المهاجرون (٢)، ثم نذكر حوالى مائة من الفرق والطوائف كل منها مرة واحدة مثل: أئمة الحديث والدين والصحابة والفقهاء والأصوليين والمحققين والمسلمين والأشعرية والمهاجرين والأنصار، وأهل كل من: الإباحة والاصطلاح والجنـة والحديث والخصوص والوقف والصحيح والكسب والكمون والظهـور والنـار والنبى والنصب والأديان والكبائر والأخبار والاعتزال والتأويل والتراخى والحق والخير والردة والسنة والشرائع والصغائر والعربية والعلم والقبلة والقرية والكفر والمصر والنطق والتواتر والعصر واللغة والإمـام المعصـوم، والحجـازيون والخارجى ورؤساء الدين والزندقة والسفسطة والشعراء والصوفية وعلماء الأمة والشرع والقدرية والقدماء والكعبية والكوفيون والمتفلسفون واليونانيون والمجوس وأرباب الأصول والشرائع والملحدون والمهندسون والنحويون واليهودية.

الدين على علم أصول الفقه، ثم كتب الفقه، ثم موطـأ مالـك فالمؤلف مالكى، ثم شرح التلقين، ثم البخارى لكثرة الحجـج النقلية، والبرهان للجوينى المـتن المشـروح، ثـم التلقـين والمدونة، ثم التمهيد للباقلانى متكلم الأشاعرة. ثـم تتـوالى كتب الأصول والفقه وبـاقى مؤلفـات البـاقلانى، والكتـب المقدسة الأخرى، التوراة والإنجيل، والرسالة للشافعى وابـن فورك، وكتب النحاة والديانات والحديث والفلسفة[1].

---

(١) المعلم بفوائد مسلم للمازرى (٢٢)، كتب علم الكلام (١٦)، كتـب الفقـه (١٣)، الموطأ لمالك (١٠)، شـرح التلقـين (٩)، البخـارى، البرهـان للجوينى، التلقين، المدونة (٧)، التمهيد للباقلانى، مسـلم (صـحيح) (٤)، كتب الأصول، كتب الفقهاء، كتبنا الفقهيـة، كتبـه (البـاقلانى)، كتـبهم (الفقهاء) (٣)، الإنجيل، الانتصار لنقل القرآن للباقلانى، التوراة، الرسالة للشافعى، كتاب ابن فورك فى أصول الفقه، كتب أصول الديانات، كتب= =الحديث، كتب النحاة، كتبهم (أهل الحديث)، كتبهم (الفلاسفة) (٢)، ثـم تذكر بعض الكتب كل منها مرة واحدة مثل الأساليب للجوينى، والتلخيص له أيضا، وديوان الاسفراييني، والرسائل للمازرى، والزاهى لابن شعبان، وسر الصناعة لابن جنى، وشرح العمد، وغريب الحديث لابـن قتيبـة، وقطع لسان النابح فى المترجم بالواضح، وكتب الأحاديـث الصـحيحة، وكتب أخرى للجوينى، وكتب أصول الفقه وكتـب الـديانات، والكتـب السماوية السالفة والمنزلة، وكتب العلـل والصـفات، وكتـب الفقهيـات للمازرى، وكتب الكلام، وكتب المالكية، وكتب النحـو، وكتـب متفرقـة للجوينى، وكتب العروض والقوافى، وكتـب أهـل المنطـق والحفـاظ والمتكلمين.

ومن الأماكن تتقدم المدينة مـوطن مالـك ثـم بغـداد والبصرة موطنا العلوم العقلية، ثم الكوفـة ومكـة وبعـض البلدان والأمصار[1].

٥- "ميزان الأصول فى نتـاج العقـول" للسـمرقندى (٥٣٩هـ)[2]. وتحت أثر "المستصفى" للغزالى يقـوم العلـم على خمسة فصول: الأحكام، ما تعرف به الأحكـام وهـى الأدلة الأربعة، والتعارض بين الأدلة، وأهلية الأحكام وهـى أقرب إلى أحكام الوضع، وأخيرا توابع القيـاس أو أحـوال المجتهدين وتعادل أحكام المفتى والمستفتى. وتشمل الأحكـام تفسيرها وأنواعها. والأدلة أربعة، الكتاب والسنة والإجمـاع والقياس. والتعارض يشمل النسخ والتراجيح، فالنسـخ أحـد وسائل حل التعارض[3]. وتدخل معظم مباحث الألفاظ مثـل

---

(١) المدينة (٦)، بغداد (٥)، البصرة (٤)، عرفة، الكوفة، مكة (٣)، الحمام، العراق، الكعبة، مصر (٢)، ثم تذكر بعض الأماكن كل منها مرة واحـدة مثل حنين والشام والصفا والمروة والمزدلفة.

(٢) الشيخ الإمام علاء الدين شمس النظـر أبـى بكـر محمـد بـن أحمـد السمرقندى: ميزان الأصول فى نتاج العقول (المختصر) حققه وقدم عليه وينشره لأول مرة د. محمد زكـى عبـد البـر، دار التـراث، القـاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٣) الفصل الأول فى بيان الأحكام ص١٣-٦٦. الفصل الثانى بيان ما يعرف به الأحكام ص٦٩-٦٨٤. الفصـل الثالـث التعـارض ص٦٨٦-٧٤١.

الأمر والنهى والخبر فى الكتاب. وتضم السنة القول والفعـل والإقرار وشرع من قبلنا وتقليد الصحابى. وأكبر الفصـول الخمسة الثانى عن الأدلة، وأصغرها الأهلية[1]. فمن الواضح تضخم الأدلة أكثر من عشرة أضعاف الأحكـام والتعـارض وأربعة أخماس العلم كله. فالعلم كله هـو المثمِـر بتعبيـر الغزالى وطرق الاستثمار جزء منه. والثمرة والمستثمِر أقل القليل[2]. فالبنية الخماسية منبعجة نحو النص أى الأدلة ثـم العقل أى التعارض وأحوال المجتهدين على حساب الفعل أى الأحكام والأهلية.

والحقيقة أن الكتاب كله كما يبدو فى وعى المؤلف يقدم أصلين فقط: الأحكام، وما تعرف بـه الأحكـام أى الثمـرة والمثمِر بعد أن أدخل طرق الاسـتثمار فـى الـدليل الأول والمستثمِر فى الدليل الرابع[3].فالبنية الخماسـية هـى بنيـة

الفصل الرابع فى أهلية الأحكام ص٧٤٢-٧٥٠. الفصـل الخـامس فـى أحوال المجتهدين ص٧٥١-٧٧٣.

(١) الترتيب الكمى للفصول كالآتى: ١- الأدلة (٦١٨) ٢- التعـارض (٥٦) ٣-الأحكام (٥٤) ٤- أحوال المجتهدين (٢٤) ٥- الأهلية (٩).

(٢) ميزان الأصول، الصفحة الأولى من الكتاب بلا ترقيم (من الناشر).

(٣) "وجعلنا الكتاب المسمى بأصول الفقه فى العرف على فصلين: فصل فى بيان الأحكام المسماة بالفقه، وفصل فى بيان ما يعرف به الأحكام. وبدأنا

ثنائية: الأحكام وما تعرف به الأحكام أى الثمـرة والمثمـر بتعبير "المستصفى". أما طرق الاستثمار أى مباحث الألفـاظ فقد دخلت فى الكتاب، الدليل الأول. وأهلية الأحكـام القسـم الرابع هى أحكام الوضع ترد إلى الأحكـام، القسـم الأول. وتوابع القياس لأحوال المجتهدين وأحكام المفتى والمسـتفتى تدخل ضمن الأدلة الأربعة فى الدليل الرابع. ومع ذلك هناك اضطراب فى القسمة والتأليف. الفصلان الأولان فصـلان، والثالث باب، والرابع والخامس بلا ترقيم. فالفصل الأول فى بيان الأحكام ينقسم إلى فصلين فى تفسـير الحكـم وأنـواع الأحكام[1]. والفصل الثانى "ما يعرف به الأحكام" ينقسم إلـى الكلام فى الكتاب والقول فى السنة، والكلام فـى الإجمـاع، والقول فى القياس، تذبذبا بين الكلام والقول. والكتاب ينقسـم إلى فصول: الأمر والنهى والعـام والخـاص، والمشـترك والمؤول، والظاهر والنص والمفسر والمبين والحكـم ومـا يقابلها من الخفى والمشكل والمجمل والمتشـابه، والحقيقـة والمجاز، والصريح والكناية، والمطلق والمقيد، وما يرجـع

بفصل الأحكام ثم بفصل الدلائل فيتم الكتاب بذكر الفصـلين بتوفيـق ا تعالى وعونه"، السابق ص١١.

(١) ميزان الأصول ص١٥-٦٦.

إلى العبـارة مـن حيـث الإشـارة والدلالـة والإضـمار والاقتضاء[1]. وفى كل فصل بيان. ويتضمن مسائل وفصول بيانية أخرى[2].

ويصنف السمرقندى كتب الأصول فى نوعين. الأول فى غاية الإحكام والإتقان جمعا بين الفروع والأصول، وتبحـرا فى المعقول والمنقـول. ونمـوذج ذلـك "مآخـذ الشـرائع" للماتريدى. والثانى فى نهايـة التحقيـق والمعـانى وحسـن الترتيب والمبانى، واستخراج الفروع من ظواهر المسـموع دون التمهر فى دقائق الأصول فى قضايا العقول ممـا أدى إلى اختلافهم فى بعض الفصول. وقل النوع الأول، وهجـره المؤلفون إما لتوحش الألفاظ والمعـانى أو لقصـور الهمـم والتوانى. وساد النوع الثانى لميل الفقهاء إلى الفقه المحـض مع الوقوع فى المخالفة والنقض دون قصـد. فـالتفريع دون أحكام الأصول، والأمن عن الزلل خارج عن العقل. فأكمـل السمرقندى هذا النقص فى "ميزان الأصول فى نتائج العقول" ليزن العاقل قضايا العقول حتى يظهر الحـق. وقـد كتبهـا

(١) السابق ص٦٧-٦٨٥.

(٢) وقد استدعى ذلك الناشر إلى التدخل لتوضـيح القسـمة وترقيمهـا فـى الفهرس الأول والفهرس الختامى. السابق ص٧٩١-٨٠٢.

المؤلف مرتين، المبسوط والمختصر. وفضل الثـانى علـى الأول[1].

ويعتمد "ميزان الأصول" على شواهد نقلية من الآيـات القرآنية والأحاديث النبوية، والآيـات أكثـر مـن ضـعف الأحاديث[2]. كما يستشهد بالشعر والشعراء.

وبالرغم من أن "ميزان الأصول" هو "المختصر" وليس "المبسوط" إلا أنه مازال ضخما. وقـد حـاول السـمرقندى التخفيف من ذلك بإيراد عناصر الموضوع فى كـل فصـل وكأنه يعطى الهيكل له قبل التفصيل، البنية العقلية قبل المادة الفقهية[3]. كما أن العمل يحيل إلى بعضه البعض من أجـل التأكيد على وحدته[4]. ومع ذلك، الكتاب مرهق فى قراءتـه لإسهابه وكثرة أعلامه وفرقه ومواقفه ولسجاله خاصة ضـد المعتزلة استمرارا لنقد الغزالى بالرغم مـن أن الماتريـدى

---

(١) السابق ص٣-٧.

(٢) الآيات القرآنية (٢٤٦)، الأحاديث النبوية (٩٧)، الشواهد الشـعرية (٨)، من الشعراء: المتنبى، الهزلى، النابغة، زهير (١).

(٣) ميـــــــــــــــزان الأصــــــــــــــول ص١١/١٥/٢٤/٦٩/٧٦-٧٧/٢٢٣/٢٤٩/٢٥٤/٢٩٧/٣٦٧/٤٢٠/٤٨٩/٥٥١/٦١٥/٦٥٦-٦٥٧/ ٦٧٧/٦٨٥-٦٨٦/٦٩٦-٦٩٧/٧٢٩/٧٥١.

(٤) السابق ص٢٦٦/٤٠٥/٧٣٥.

حاول التوسط بين الأشاعرة والمعتزلة فى سمرقند. ويتسـم بطابع المراجعة والتحقق من صحة المواقف الأصولية مثـل الحنابلة وعدم إضافة جديد حتى ضاعت الأصول من كثـرة الآراء وكثرة القيل والقال.

ويتضح من تردد أسماء الأعلام أولويـة الشـافعى ثـم أعلام الحنفية مثل الدبوسى، ثـم الجمـع بـين الأشـعرية والاعتزال عن الماتريدى. ثم يتـوالى أعـلام الحنفيـة ثـم الكرخى والجصاص، ثم أبو هاشم من المعتزلة، ثم أبو حنيفة من أهل النظر، ثم النظام من المعتزلة، ثم الشيبانى وعيسـى بن أبان، والقاشانى وأبو يوسف من أعلام الحنفيـة قبـل أى علم من الأشاعرة أو الشافعية. وذلك لأن السمرقندى يجـادل المعتزلة باسم الأشعرية الضمنية، ويحـاور الحنفيـة باسـم الشافعية. ثم يظهـر علمـاء اللغـة والمتكلمـون كدعامـة للأصوليين نظرا لارتباط مباحث الألفـاظ بمبـادئ اللغـة، وأحكام التكليف بالحسن والقـبح العقليـين[1]. كمـا يحيـل

(١) الشافعى (٤٣). الدبوسـى (٢٤). الماتريـدى (٢١). الكرخـى (١٥). الجصاص (١٠). أبو هاشم (٩). أبو حنيفة (٨). النظام (٥). الشـيبانى، عيسى بن أبان، القاشانى (٤). أبو يوسف، محمد بـن شـجاع الثلجـى، الجبائى (٣). الأسفراييني، الكعبى، الأشعرى، القلانسى، القفال، الشاشى، مالك، عيسى النحوى، ابن الراوندى (٢). عباد الضمرى، الحليمى، أبـو

السمرقندى إلى أهل اللغة وأهل اللسان وأهل الأدب[1]. كمـا يستشهد بالشعر والشعراء. ولا تقل أهمية أقوال العامة عـن أقوال أهل اللسان. فاللغة للاستعمال[2].

ومن الفرق تتقدم المعتزلة على الإطلاق لأنها الخصـم، واستئنافا لدور الغزالى فى نقدهم مع باقى فرق المعارضـة العلنية والسرية. وقـد يخصـص المعتزلـة بالمتقـدمين أو المتأخرين منهم، وبمعتزلة البصرة أو بغداد، من عـامتهم أو من حذاقهم، كلهم أو بعضهم. وأحيانا يذكر الأصولى أنه من المعتزلة أو أهل الاعتزال. ثم يأتى أصحاب الحديث أو أهل الحديث وهو تعبير عام يدل على البداية بالمنقول على عكس المعتزلة التى تبدأ بالمعقول. ثم أهل الأصول أى المختصون بعلم الأصول، ثم أصحاب الشافعى أى الشافعية مشخصة فى الشافعيين، ثم الفقهاء مؤسسى المذاهب الفقهية، ثـم العلمـاء

عبد ا البصرى، مسروق، شريح، الجاحظ، بشر المريسى، ضرار بـن عمرو، أبو على القسوى، محمد بن شبيب، صاحب المعتمد (أبو الحسـين البصرى)، زفر، البزدوى، ابن السراج النحـوى،= =الفـراء، الخليـل، الزجاجى، أبو عبد ا التلجى، عبد القاهر البغدادى، أبـو الثـور، داود الأصفهانى، عبيدة السمانى، أبو موسى الأشعرى، الشطوى (١).

(١) أهل اللغة (٣)، أهل اللسان (٢)، أهل الأدب، أئمة الأدب (١).

(٢) قول العامة (١١).

عامتهم أو أكثرهم لصعوبة الإجماع، ثم الفقهاء المتكلمون أى الأصوليون الذين يجمعون بين أصول الفقه وأصول الـدين، ثم أهل التحقيق أو الحق أى أهل الخبرة والاختصاص، ثـم الأشعرية عامتهم وخاصتهم، أغلبيتهم وأقليتهم، ثم المتكلمون أصوليو الدين فقط دون الفقه، ثـم أصـحاب الظـواهر أى الظاهرية فى الأصول، ثم أهل السنة والجماعة وهم الفرقـة الناجية. وبعدها تأتى الفرق الضالة مثل الملحـدة والإماميـة والروافض والسمنية والدهرية والفلاسفة والجعفرية والمشبهة مما يدل على قوة الرفض فى علم الأصول[1]. كما يحيل إلى مشايخ الأمصار. ويأتى فى المقدمة مشايخ العراق ثم مشايخ سمرقند والتى منها ينتسب الماتريدى الإمام الزاهد، الشـيخ الإمام[2]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود والمجوس.

---

(١) المعتزلة (٨١)، أصحاب الحديث (٥٠)، الفقهاء (٣٠)، أصحاب الشافعى (٢٥)، العلماء (٢١)، أهل الأصول (١٦)، الفقهاء المتكلمون (١٥)، أهل التحقيق (١٤)، الأشعرية (١٢)، المتكلمون (٩)، أصحاب الظواهر (٨)، أهل السنة والجماعة (٤)، الإمامية ، المشبة من الحنابلة (٣)، النجاديـة، المفسرون (أهل التفسير)، أهل السنة، الخوارج، الملحدة (٢)، المرجئـة، أصحاب الحديث من المتكلمين، المشايخ، السمنية من الدهرية، الفلاسـفة، الإمامية، الجعفرية (من الروافض)، قوم من الصوفية، الدهرية، النجدات (١).

(٢) مشايخ العراق (٢٧)، مشايخ سمرقند (٢٢)، مشايخ بخارى (٣).

ومن الأنبياء موسى وعيسـى وإبـراهيم وهـارون ولـوط وزرادشت، ومن الكتب المقدسة التوراة(١).

ويكثر السمرقندى من الإشارة إلى المذهب الذى ينتمـى إليه والفرقة التـى يمثلهـا بألفـاظ "مشـايخنا"،"أصـحابنا"، "علماؤنا"، "مشايخ ديارنا"، "مذهبنا"(٢). وهو المذهب الصحيح وما دونه فاسد، المذهب الحق وما دونـه باطـل(٣). ومـن المؤلفات يحال إلى "مآخذ الشرائع" للماتريـدى، و"المنتقـى" للمروزى، و"الأضداد" لأبى عبيدة، و"الاشتقاق" فى اللغـة(٤). وقد يتم تجاوز المذاهب الفقهية والفرق الكلامية إلى المواقف والمناهج مثل الواقفية التى تقوم بالتوقف عن الحكم فى مقابل

---

(١) اليهود (٥)، المجوس (١). موسى (٥)، عيسى، إبراهيم (٤)، هـارون، لوط، زرادشت (١). التوراة (١).

(٢) مشايخنا (٥١)، أصحابنا (٤٠)، علماؤنا، مشايخ ديارنا (٣). مذهبنا (٢).

(٣) وإنما الصحيح أن يقال، ميـزان الأصـول ص٦١٧، وأمـا الصـحيح ص٧٣٨، وهذا الأخيـر هـو الصـحيح ص٥٧٨، وإنمـا مـا ذكرنـا ص٣١٧/٢٣٩، وهــذا حــد صــحيح ص٤٢١، والحــد الصــحيح ص٥٥٤/٢٥٨، والصحيح قولنا ص١٧١/١٢٦، حجة القـول الصـحيح ص٢٦٥، والصحيح قول العامة ص٧٦٥، والصحيح مذهبنا ص٢١٩.
وما قالوه باطل ص١٦٥، والأول باطل، والثانى باطـل ص٥٢٨، الأول فاسد، والثانى فاسد ص٤٥٤/٤٢٥، وهذه العبارات فاسدة ص٥٨١، وهو حد فاسد ص٦٠١، وهذا فاسد ص٦٧٣.

(٤) مآخذ الشرائع، الجدل (٢)، المنتقى، الأضداد، الاشتقاق (١).

النفى والإثبات. فالموقف أو المنهج هو الذى يحدد الفرقة مثل أنصار القياس أو العموم أو الخصوص[1].

٦- "الموافقـات فـى أصـول الشـريعة" للشـاطبى (٧٩٠هـ)[2]. ويقفز قفزة نوعية لتطوير العلـم كمـا فعـل "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ) من قبـل لاحكـام العلـم. فالشريعة قد وقعت فى أيدى الفقهاء وتحولت إلى حرف دون روح فى وقت تضيع فيه الأندلس وتحتاج إلى شحذ الهمـم. وقد برزت هذه الهمة عند الشاطبى الغرناطى الأندلسى عـن طريق الجمع بين المذاهب جمعا لفرق الأمة، بين مذهبى أبى القاسم وأبى حنيفة. ووجد هذه الروح فى التصوف والأخلاق والتجارب الشعورية التى تجلت فى فكرة "المقاصد"، مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة وليس أحكامها الجزئية، وهى الأسس التى قامت عليها الشـريعة ابتـداء مـن المصـالح الضرورية. وهنا يعاد تأسيس المالكية والمصـالح المرسـلة

---

(١) الواقفية (٦)، أهل الحظر، أصحاب العمـوم، أصـحاب الخصـوص ، القايسون (١).

(٢) أبو اسحق الشاطبى (إبراهيم بن موسى اللحمـى الغرنـاطى المـالكى): الموافقات فى أصول الشريعة، وعليه شرح جليل للشـيخ عبـد ا دراز شيخ علماء دمياط (أربعة أجزاء فى مجلدين)، المكتبة التجارية الكبـرى، القاهرة (د.ت).

على التصوف والتجارب الشعورية. فالواقع فى الشعور. بل تظهر مصطلحات الصوفية، المقامات والأحوال، ولغة الشيخ والمريد، والإلهام والأحلام. فقد تم تأليف الكتاب بناء على حلم أعطى عنوانه. وقد كان العنوان الأول فى اليقظة "التعريف بأسرار التكليف" وهو أيضا عنوان صوفى يجعل للشريعة ظاهرا وباطنا، تكليفا وسرا[1]. ويبرز الغزالى فى "الإحياء" وفى "جواهر القرآن" و"مشكاة الأنوار" باعتباره المنقذ من المذاهب الفقهية عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل، ومن المتكلمين والقضاة مثل الجوينى وابن العربى والرازى، والفلاسفة مثل ابن رشد. ومن الشعراء يظهر ذو الرمة والأصمعى والحطيئة[2]. كما اقتضت العودة إلى النص وتوجيهه نحو الشعور مباشرة ظهور سيبويه،

---

(١) السابق ص ٢٤.

(٢) مالك (٦٧)، الغزالى (٢٦)، الشافعى (٢٣)، أبو حنيفة (١٨)، الجوينى (١٤)، ابن العربى (١٢)، أبو يوسف القاضى (٩)، القرافى (٥)، اللخمى، الباجى (٤)، القشيرى، أحمد بن حنبل، المزنى، ابن رشد، الكتانى، ابن سريج (٣)، أبو هاشم، أبو يزيد البسطامى، ابن عبد السلام، الجوينى، داود، الأصفهانى، ابن قتيبة، الشاشى، الشبلى، الشيرازى، الأوزاعى، محمد بن الحسن، ابن وهب (٢)، ابن عبد البر، الكعبى، إسماعيل القاضى، أبو تراب النخشبى، الطحاوى، المحاسبى، ذو الرمة، الأصمعى، الحطيئة، الشيرازى، بشر الحافى (١).

والخليل، ويستشهد بالشعر[1]. كما يعتمد على لسان العـرب وكلام العرب وقواعد اللغة العربية[2]. وبالرغم من اعتمـاد المقدمة على السجع كما هو الحال فى المؤلفات المتأخرة[3]. ومع ذلك لم تخل "الموافقات" من بعض القضـايا الكلاميـة والفلسفية مثل العلاقة بين السبب والمسبب، وخلـق العـالم ووجود ا .

ويعتمد على المصادر المدونة. ويحيل إلـى الصـوفية والفلاسفة والأصوليين[4]. والاعتماد الأكثـر علـى الآيـات والأحاديث[5]. والآيات أكثر من ضعف الأحاديث. ومع ذلك يعتمد "الموافقات" علـى الترتيـب المنطقـى، والبرهـان، والاستدلال واستنباط كل قاعدة تالية من القاعدة السابقة كمـا هو الحال فى البنيان. وفى نفس الوقت يعتمد على الاستقراء المعنوى، استقراء جزئيات الشريعة بما يكفى للحصول على

---

(١) سيبويه (٨)، الخليل (٥)، الفراء (٢)، المبرد (١).

(٢) جـ ٥٤/١، جـ ٣٩٥/٣٢١/٣، جـ ٢٥٧/٤.

(٣) الموافقات جـ ١٩/١-٢٦.

(٤) الغزالى: الإحياء، جواهر القـرآن، مشـكاة الأنـوار، شـفاء الغليـل، المستظهرى، ابن رشد: فصل المقـال، الكعبـى: الاحكـام، الـرازى: المحصول، الباجى: التبين لسنن المهتدين، الشافعى: الرسالة، ابن حبيب: كتاب الجهاد، الداودى: الأحوال.

(٥) الآيات (١٤٥٠)، الأحاديث (٦٥٠).

القاعدة الكلية. لذلك كان أقرب إلى "علم القواعد الفقهية" عند السيوطى وابن النجيم الذى برع فيه المالكية حرصـا علـى روح العلم ، كلياته وقواعده، أصوله وأسسه. فالأدلة عقليـة وعادية، فى الذهن وفى العالم. ومع ذلك يظهر أسلوب "فـإن قيل ... قيل" ردا على الاعتراضات مسبقا من أجل الإحكـام النظرى والاتساق المنطقى.

ومازال الجدل قائما ضد المعتزلة والأشاعرة والظاهرية والباطنية والمرجئة، ومجموع المتكلمـين، ومـع المـذاهب الفقهية المغلقة، الشافعية والمالكية، استنادا إلى باقى الفقهـاء والعلماء والصوفية والفلاسفة والحكمـاء المتقـدمين مـنهم والمتأخرين، أهل العراق وأهل الشام. المحققون والمصوبون ومجموع الأصوليين[1]. ويظهر الصحابة والتابعون والـرواة الأولون باعتبارهم المصادر الرئيسية لتطوير العلـم الجديـد

---

(١) المعتزلـة (١٣)، الأصـوليون (١١)، الفقهـاء (١٠)، العلمـاء (٦)، المصوبون ، الأشاعرة (٤)، الفلاسفة، الخـوارج (٣)، أهـل العـراق، الظاهرية، الباطنية، الشيوخ، الحنفية، الجمهور، المتـأخرون، المحققـون (٢)، الحكماء، الشافعية، المالكية، علماء الفقـه، المرجئـة، الأقـدمون، الصوفية، أهل الشام المتكلمون، أهل فاس، أهل تـونس، أهـل مصـر، المجتهدون، أصحاب المنطق، السوفسطائية (١).
ومن الفرق غير الإسلامية، النصارى (٧)، اليهود (٥).

حيث كانت الشريعة مازالت حية فى القلوب. بل يفوق عددهم عدد المتكلمين والفقهاء والأصوليين والفلاسـفة والمحـدثين والصوفية والحكماء الذين حاولوا تأسيس العلوم(١).

ويقوم "الموافقات" على بنيـة خماسـية كمـا يصـرح الشاطبى بذلك فى المقدمة: المقدمات، والأحكام، والمقاصـد، والأدلة، والاجتهاد والتقليد. وتبين المقدمات الطابع العملـى الأصولى للعلم ووضع قواعد عامة للسلوك. والأحكام قسمان أحكام التكليف وأحكام الوضع. الأولى قواعد سلوك الانسـان فى العالم، والثانية العالم ميـدان تحقـق الفعـل الانسـانى. والمقاصد نوعان، مقاصد الشارع، وهى مقاصد الشـريعة، الشريعة كقصد وهدف وغاية، ومقاصد المكلـف أى النيـة. وتطبيق الشريعة هو تطابق النية مع مقاصد الشـرع. وقـد لامس القدماء أحكام الوضع ولكن الشاطبى هو الذى أبرزها وفصّلها فى مقابل أحكام التكليف. والأدلة الكتاب والسنة دون

(١) ويتقدمهم أبو بكر، ابن مسعود، عائشة، الحسن، على، الشعبى، يحيى بن معين، الثورى، ابن عيينة، ابن عبد البر، أبو ذر، عمر، ابن حبيب، ابـن عباس، ابن عياض، سمنون، مطرف، ابن الماجشون، أبو هريـرة، ابـن مسعود، عمر بن عبد العزيز، ابن المسيب، عبد الـرحمن بـن عـوف، عثمان، الترمذى، النسائى، عمر بن الخطاب، شريح، حذيفة، سـعيد بـن جبير ...الخ.

الإجماع والرأى نظرا لتعرض السابقين لهما. فالشاطبى يريد التطوير والإكمال على ما ترك السابقون. والاجتهاد والتقليد هى لواحق الدليل الرابع الذى لم يتم التعـرض لـه. ومـن الناحية الكمية تتقدم الأدلة الأربعة كمـا هـو الحـال فـى المصنفات الأصولية المتأخرة ثم المقاصد، القفـزة النوعيـة الجديدة، ثم تتعادل تقريبا الأحكام مع الاجتهاد مما يدل علـى إبراز الاجتهاد ولواحقه وأخيرا تأتى المقـدمات العامـة[1]. والعجيب إسقاط الإجماع ليس فقط لأن القدماء قد تعرضوا له فقد تعرض القدماء لكل موضوعات علـم الأصـول ربمـا لتحجر الفقهاء، ووقوع العلماء فى الحرفية. فأراد الشـاطبى الاعتماد على النص والواقع ، علـى الـوحى والمصـلحة. والعجيب أيضا تسمية الدليل الرابع الرأى، وعدم الحديث عنه لأن القدماء عرضوا له. والقدماء قد تعرضوا لكل شئ. ومع ذلك يجعل الكتاب الخامس فى الاجتهاد ولواحقه. والاجتهـاد هو رعاية المصلحة وقد يؤدى الرأى إلى الفقه الافتراضـى النظرى الخالص.

فالبنية الخماسية فى "الموافقات" للشاطبى فى الحقيقة بنية

---

(١) الأدلة (٥٠٦)، المقاصد (٤١٠)، الأحكـام (٢٥٦)، الاجتهـاد (٢٥٥)، المقدمات العامة (٧٨).

رباعية أيضا باستثناء المقدمات. وهى الأحكام، والمقاصـد، والأدلة، والاجتهاد والتقليد والمفتى والمستفتى. وقـد دخلـت طرق الاستثمار كالعادة فى الكتاب. وتكرر الدليل الرابع فى الاجتهاد والتقليد. والجديد هو المقاصد ومن ثم تصبح بنيـة "الموافقات" الجديدة ثلاثية: الأحكام والمقاصد والأدلة. ولمـا كانت المقدمات الأصولية العملية الأولى خارج عن بنية العلم ولكنها أقرب إلى الفعل لنزعتها العملية، وكان الاجتهاد جزءا من الأدلة الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والرأى، تبقـى القسمة ثلاثية: الأدلة والمقاصد والأحكام. فقد حلت المقاصـد محل مباحث الألفاظ التى دخلت فى الأدلة على الجملة. فـإذا ما دخلت المقاصد مع الأحكام، وأصبحت الأحكـام وسـيلة لتحقيق المقاصد فإن القسمة الثلاثية تظل هى البنية الثلاثيـة للعلم. وتكون الأولوية حينئذ للفعل فى المقاصد والأحكام ثـم النص فى الأدلة وأخيرا العقل فى الاجتهاد[1].

سابعا: البنية السباعية.

١ - "بذل النظر فى الأصول" للأسـمندى (٥٥٢هـ).

---

(١) المقاصد والأحكام (٧٤٤)، الأدلة (٥٠٦)، الاجتهاد (٢٥٥).

ويدور على أصول مشابهة "لميزان الأصول" للسمرقندى مع أنه شافعى والأسمندى حنفى مما يدل على أن العصر وليس المذهب، العقل وليس الفرقة، هو الذى يفرض أصوله[1].

ويقوم على سبعة أقسام تدور كلها حـول الأدلـة الأربعـة وحدها: الكتاب، والأخبار (السنة)، والإجماع، والقياس. وأكبرهـا الكتاب الذى يستغرق بمفرده أكثر من نصف الكتاب، وأصـغرها تقليد الصحابى[2]. ويضم الكتاب كل مباحـث الألفـاظ فـى أبواب: الحقيقة والمجاز، اللغات، الأمر، النواهى، العمـوم، الخصوص، المطلق والمقيد، المجمل والمبين، والنسخ. فقـد ارتبطت مباحث الألفاظ أساسا بالكتـاب. بـل إن المبـادئ اللغوية العامة عن أصل اللغة ومعانى الحروف تـدخل فـى مباحث الألفاظ. وينفصل الأمر عن النهـى، والعمـوم عـن الخصوص، فى حين تجمع الحقيقـة والمجـاز، والمطلـق والمقيد، والمجمل والمبين. وتسمى السنة "الأخبار" لأنها أهم موضوع فيها. وتضم الأقـوال (الأخبـار) والأفعـال. أمـا

---

(١) الشيخ الإمام العلاء العالم محمد بن عبد الحميد الأسمندى: بذل النظر فى الأصول، حققه وعلق عليه ونشره لأول مرة محمد زكى عبد البـر، دار التراث، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) الكتاب (٣٥٥)، الأخبار (٥٢)، الإجماع (٥٤)، تقليـد الصـحابى (٧)، القياس (٦٦)، الاستحسان (٢٦)، استصحاب الحال (٣٦).

الاستحسان واستصحاب الحال وتقليد الصحابى فإنها تـدخل فى موضوع القياس. أكبرها الأمر وأصغرها اللغات(١).

ويبدأ الكتاب بمقدمة عن علم أصـول الفقـه، وجوبـه وماهيته وقسمته(٢). ولفظ الباب كله مفردا إلا فى العموم فهو جمع، وكذلك الإجماع. والقسمان الأولان، الكتاب والإجمـاع بلا لفظ باب مفردا أو جمعا. وفى الحقيقة أن البنية السباعية ترد إلى الرباعية أى إلى الأدلة الأربعة بعد إضافة ملحقـات للدليل الرابع وهو القياس فبعد تسمية السنة الأخبار، ودخول مباحث الألفاظ فى الكتاب يضاف إلى القيـاس الاستحسـان واستصحاب الحال وتقليد الصحابى دليلا أم لا. فالبنية الغالبة الرباعية والثنائية. الثنائية مثل العقل والنقـل. ومـن العقـل تستنبط الحكام، ومن النقل تستنبط الأقوال، الكتـاب والسـنة والإجماع، والأفعال وهو القياس(٣). والعقل هـو الأسـاس.

---

(١) الحقيقة والمجاز (١٩)، اللغـات (٤)، الحـروف (١٣)، الأمـر (٩٧)، النواهى (٩)، العموم (٤٤)، الخصوص (٥٩)، المطلـق والمقيـد (٩)، المجمل والمبين (٣٨)، النسخ (٥٨).

(٢) بذل النظر ص٣-١٠.

(٣) "وطريق المجتهد ضربان: أحدهما الرجوع إلى حكم العقل لأنا متعبـدون بالبقاء على حكم العقل إلى أن يرد الشرع بالنقل عنه. وذلك يوجـب أن نتكلم فى أن الحظر والإباحة ثابتان بقضية العقل ليصح لنا التمسك بهمـا إلى أن يرد الشرع بالنقل عنهما. فلذلك صار الكلام فى الحظر والإباحـة

والنقل هو الفرع. أحكام التكليف الخمسة بالعقل قبل النقل[1]. ومع ذلك تبدو البنية منبعجة نحو النقل أى الأدلة ثـم العقـل ويختفى الفعل كلية بعد أن كان له الأولوية فى "الموافقات"[2]. والكتاب تجربة إنسانية عامة اتفقت عليها كل الشعوب، حكمة البشر. والسنة رواية متواترة، صدقها أيضـا فـى التجربـة الإنسانية الخاصة والعامة. والإجماع تجربة الأمة، والـوعى الجماعى. والاجتهاد عمل ذهنى فردى. وهى مصادر أربعة أيضا تؤكدها التجربة البشرية العامة. وتتضح البنية فى وعى المؤلف فى تعداد عناصر كل موضوع قبل البدء فيـه فـى "الفقرة- البرنامج" أولا[3]. فالأصول تجمع ولا تفرق، تؤسس ولا تفرع، والفروع والفروق فـى علـم آخـر هـو علـم

من أصول الفقه. والآخر ضربان: أفعال وأقوال. فالأقوال ، هـو القـول الصادر: من ا تعالى وهو الكتاب، ووجه الدلالة فيه أنه كلام حكيم غنى لا يجوز عليه الكذب والهذيان والمغالطة، أو من الرسول وهـو الخبـر. ووجه الدلالة فيه أنه كلام مخبر صادق مؤيد بالمعجزة لا يكـذب فيمـا يؤدى عن ا تعالى ولا يقصر فى تبليغ الرسالة، أو مـن الأمـة وهـو الإجماع. ووجه الدلالة فيه أن عقائد قوم لا يجتمعون على ضلال، عرف ذلك بكتاب ا ورسوله. والأفعال الأقيسة والاجتهادات. فهذه جملة أصول الفقه وأقسامها"، السابق ص١٠.

(١) بذل النظر ص٣-١٠.

(٢) الأدلة (٤٦٣)، العقل (١٢٨).

(٣) السابق ص ٣٦٧/٥١٩/٣٦٧.

الخلاف[1].

ويمتاز الكتاب بدرجة عالية من التنظير، ويعتمد على العقل أكثر من النقل. ويستشهد بالآيات أكثر من الأحاديث[2]. ويستشهد بالشعر العربى وبلسان العرب ولغتهم. فالثقافة لغة، واللغة ثقافة فى مقابل الترك والزنج[3]. ومع ذلك فإن الأسمندى حنفى يدافع عن المذهب الصحيح، الحنفية، وهو المذهب المختار. هناك صواب وخطأ، صحة وفساد[4].

وتقل أسماء الأعلام والفرق. ويتقدم الشافعى على الكرخى، والكرخى على أبى حنيفة، وأبو حنيفة على الشيبانى وأبى يوسف. ثم يتساوى الأشعرى وعيسى بن أبان الحنفى. ثم يتعادل الماتريدى ومالك وابن سيرين وغيرهم من الصحابة والتابعين. فالشافعى مذهبا وليس ملة أو دينا هو الحاضر دائما. والمحاور الأول للأحناف. ويذكر للشيبانى

---

(١) السابق ص٣.

(٢) الآيات (٢٩٤)، الحديث (٥٨)، الشعر (٢).

(٣) الشعر، بذل النظر ص٢١٢/٢٠٤، لسان العرب ص٢١٢، الترك والزنج ص٢٩٣/٢٩٠.

(٤) والدلالة على صحة مذهبنا، بذل النظر ص٦٠٤، والمذهب الصحيح ص٢١٨، والمذهب المختار ص٦٩٥/٦٠٦/٤٧٤/٢٦٠.

عدة كتب مثل الناسك والصوم والنكـاح[1]. ومـن الفـرق الإسلامية يتقدم المتكلمون، عـامتهم وخاصـتهم، أصـحاب الشافعى وأصحابنا (أصحاب أبى حنيفة). كما يتقدم الفقهـاء على الإطلاق، الأصوليين وأهل الظاهر والإماميـة وعامـة العلماء وأهل الحق. ولكل فرقة متقدمون ومتأخرون مما يدل على تطور المذهب[2]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر عادة اليهود والنصارى فى موضوعات النسخ والديـة والأخبـار. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى. ومن الكتـب المقدسـة التوراة والإنجيل[3].

٢- "جمع الجوامع" للسبكى (٧٧١هـ)[4]. ويقوم على قسمة سباعية ترد إلى رباعية طبقا للأدلة الشرعية الأربعـة

---

(١) الشافعى (١٩)، الكرخى (١٥)، أبو حنيفة (٧)، الشيبانى، أبو يوسف، أبو موسى الأشعرى (٣)، الأشعرى، عيسى بن أبان (٢)، الماتريـدى، أبـو سعيد الخدرى، مالك، عبيدة السلمانى، ابن سـيرين، أبـو الحسـن (١). الكتب: الناسك، الصوم، النكاح (١).

(٢) المتكلمون (٢٤)، أصحاب الشـافعى، أصـحابنا (١٦)، الفقهـاء (١٣)، أصحاب الظاهر (٦)، أهل الأصول (٥)، الأصوليون (٣)، أصحاب أبى حنيفة، مشايخنا المتأخرون، الإمامية، عامة العلماء، أهل الحق (١).

(٣) اليهود (٣)، النصارى (١). نوح، إبراهيم، موسى (١). التوراة، الإنجيل (١).

(٤) تاج الدين السبكى: جمع الجوامع، فى تشنيف المسـامع (جـزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

نظرا لأن الكتب الثلاثـة الأخيـرة، الاسـتدلال، والتعـادل والتراجيح، والاجتهاد لواحق للقياس. أكبرها القياس ولواحقه ثم الكتاب ثم السنة وأصغرها الإجماع[1]. أما الأحكام ففـى المقدمات[2]. والبنية منبعجة نحو النقل والعقل والفعل غائـب بعد أن كانت له الأولوية فى "الموافقات". وهو نص مركـز يقدم تعريفات قصيرة مما استدعى شرحه عدة مرات. يجمع بين المقال السيال فتغيب التمفصلات مثل "منهاج الوصـول" للبيضاوى و"المنار" للنسفى، وتجميع الآراء الذى سيتضخـم فى "البحر المحيط" للزركشى، وهو أحد شراحه. يبدأ بنظرية العلم كما هو الحال فى علم أصول الدين وينتهـى بنظريـة العلم[3]. لا يفرق بل يجمع، ولا يستبعد بل يضم. والخـلاف بين المذاهب فى معظمه لفظى. والمـذهب الصـحيح هـو المختار وليس الصواب المطلق[4]. وتكثر الألقاب فى المذهب المختار مثل الإمام (الرازى)، وإمام الحـرمين (الجـوينى)،

(١) القياس ولواحقه (٣٩٨)، الكتاب (٢٧٣)، السنة (٨٨)، الإجماع (٢٦).
(٢) السابق جـ ١/٣٠-١٧٢.
(٣) السابق جـ٢/٣٩١-٤٢٦.
(٤) السـابق جـ ١/١١٤/٢٤١/٤١٦/٤٢٠/٤٢٦/٤٢٨/٤٤١/٥١٥، جـ ٢/١٣/٤٤/٤٦/٦٠/٦٦/٦٨/١١٩/١٣٣/٢١٦/٢٢٧/ ٣٨٥/٣٨٧.

والأستاذ (الأسفراييني)، والقاضـى (البـاقلانى)، والشـيخ (الجنيد). والتصوف تضخيم للأشعرية وتكبيـر لهـا. وقـد تتضاعف ألقاب التعظيم مثل الشيخ الإمام.

وبقدر ما تزيد أسماء الأعلام تقل الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث ويغيب الشعر[1]. وهى على الاتساع وليست فـى العمق أى فى كثرتها وليس فى ترددها. ويتقدم الرازى إمـام الأشعرية المتأخر ثم إمـام الحـرمين والقاضـى البـاقلانى والآمدى ثم الشيخ الإمام ثـم الغزالـى. وواضـح أولويـة المتكلمين على الفقهاء، وعلم أصول الدين على علم أصـول الفقه. ثم يأتى بعد ذلك الشافعى ثم أبو حنيفة ثم الشيرازى ثم السمعانى. ويتداخل الشافعية مثل الأستاذ والقاضـى وابـن فورك مع الحنفية مثل الكرخى، والمالكية مثل ابن الحاجـب والقرافى، والحنابلة مثل أحمد. ونظرا لأولوية المتكلمين على الفقهاء يظهر متكلمو المعتزلة مثل أبو هاشم، والجبائى، وأبو على، والقاضى عبد الجبار، والأشاعرة مثل الأشعرى نفسه. كما يظهر الماتريدى الذى جمع بين الأشـعرية والاعتـزال. ومن الصوفية يظهر القشيرى والجنيد والسهروردى. ومـن

---

(١) الآيات (١٨)، الأحاديث (٥).

الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فى شرع من قبلنا[1].

ومن الفرق يتقدم المعتزلة باعتبارهم الخصم الدائم الذى دافع عن الحسن والقبح العقليين فى أحكام التكليف وفى العقل كشريعة من قبلنا. ثم يظهر الجمهور باعتبار الأغلبية السائدة والفرقة الناجية. وتأتى الحنفية قبـل الشـافعية كمـا تـأتى المعتزلة قبل الأشعرية لأنها المخالف أو السائد فى خراسان. ثم تأتى الظاهرية نظرا لسيادة الحرفية والنصية فى العصور المتأخرة مع الحشوية والمرجئة والحنابلة. ونظـرا لسـيادة

---

(١) الرازى (٣٨)، إمام الحرمين (٢٨)، القاضى أبو بكـر، الآمـدى (٢٣)، الشيخ الإمام، الغزالى، الشافعى (٢١)، أبو حنيفـة (١٦)، أبـو اسـحق الشيرازى (١٢)، السمعانى (٩)، أبو الحسين (٨)، الأستاذ (٧)، الكرخى، القاضى، ابن الحاجب (٦)، أحمد، ابن فورك (٥)، أبو هاشم، الإمامـان، الصيرفى (٤)، الباقلانى، أبو حامد، مالك، عبد الجبار، ابن سـريج (٣)، القاضى حسين، ابن دقيق العيد، أبو حيان، القاضى أبو الطيب، الأشعرى، القرافى، الماوردى، ثعلبة، سليم، الخطيـب، العنبـرى، الجبـائى، ابـن عصفور، المروزى، داود، الزمخشرى، ابن سيرين، الشـيخ (٢)، أبـو شامة، البغوى، الدقاق، ابن خويزمداد، الكيا الهراسى، الكعبى، ابن أبـى هريرة، ابن فارس، البيضاوى، الهندى، عياض، الشهرستانى، أبو مسلم، الأخفش، ابن مالك، المبرد، الزجاجى، الأصمعى، العبادى، ابن الصباغ، الماتريدى، القزوينى، الاصطخرى، البصرى، الذهبى، ابن شعبان، أبـو عبد ا الحافظ، الذهبى، البيهقى، الحربى، أبو الشيخ، ابن حـزم، ابـن عبدان، ابن يحيى، القفال، الجاحظ، أبو يوسف، الأوزاعى، الرازى (أبـو بكر) (١).

عقائد الفرقة الناجية، يظهر علماؤنا وأصحابنا، والمحققـون. ونظرا لسيادة التقليد يظهر الشيخان، والخلفاء الأربعة، وأهل الحرمين، وأهل البيت، وأهل المصرين الكوفـة والبصـرة والصحابة. ونظرا لسيادة التصوف وسيطرته علـى الفكـر فيظهر الصوفية باعتبارهم أصحاب عقائد وأصول[1].

والأهم من ذلك كله هى الخاتمـة الكلاميـة الصـوفية الإيمانية العقيدية التى على نقيض علم أصول الفقه مما يؤذن ببداية النهاية. وقد بدأ ذلك من قبل فى أصول "المنار" للنسفى (٧١٠هـ) أى منذ القرن الثامن الهجرى قبل ابـن خلـدون بقرن من الزمان (٨٠٨هـ). فقد تحولت الخاتمة إلـى مـا يشبه "قواعد العقائد" فى علم أصول الدين. لا خلاف عليهـا، بل عقائد مغلقة مصمتة، يجب الإيمان بها والتسليم بصياغاتها حتى ولو كانت تحت باب الاجتهاد[2]. لا يكفر فيهـا أحـد. ومن هنا أتى اسمه "جمع الجوامع". وهـى عقائـد الفرقـة

---

(١) المعتزلة (١٥)، الجمهور (١٢)، الحنفية (١٠)، الظاهرية (٣)، الشافعية، أهل المدينة، علماؤنا (٢)، أصحابنا، المحققـون، الحشـوية، المرجئـة، الحنابلة، الفقهاء، الزيدية، المتأخرون، أهل الحرمين، أهل البيـت، أهـل المصرين الكوفة والبصرة، الشـيخان، الخلفـاء الأربعـة، الصـحابة، الجدليون، الصوفية (١).

(٢) جمع الجوامع جـ٢/٢٣٧-٣٩١.

الناجية، الأشعرية التى يسميها ابن رشـد الأمويـة، عقائـد السلطان التى جعلها الغزالى منذ "الاقتصاد فى الاعتقاد" عقائد الأمة. الاختلاف فيها قليل، وفى الطبيعيات وحدها. والإيمان بها واجب حتى فى الطبيعيات وفى الموضوعات الميتافيزيقية الخالصة. ومن ثم ينتهى علم أصول الفقـه باعتبـاره علمـا عمليا إلى علم نظرى خالص، ومن علم استدلالى إلى علـم إيمانى عقائدى صرف، ومن الاجتهاد كأصل فيه إلى التسليم كواجب منه. ويصبح الأشعرى هو نموذج الأمـة، والشـيخ الجنيد مخلصها. والاجتهاد يتحول إلى جهاد النفس، من العقل إلى الإرادة، ومن الأصول إلى التصوف[1].

٣- "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكانى (١٢٥٥هـ)[2]. ويعود إلى طريقة التجميع ورصد الآراء والمواقف لمختلف المذاهب الأصولية والكلامية، تلك الطريقة التى بلورها "البحر المحيط" للزركشى فـى القـرن الثامن الهجرى. ميزتها أنها دائرة معارف عامة تمتلئ بمئات

---

(١) السابق جـ٢/٢٥٣/٣٥٥/٣٥٧/٤١٠.

(٢) محمد بن على بن محمد الشوكانى: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق مـن علم الأصول، الطبعـة الأولـى، مصـطفى البـابى الحلبـى، القـاهرة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

المتكلمين والأصوليين والـرواة والمصـنفين والمصـنفات. يصعب تحليل مضمون لها لكثرتها وتقتبس نصوصـها مـن المصنفات الأصولية السابقة، والإعلان عن نهاية النص بفعل "انتهى"[1]. يجمع بين الأصول والفروع، وتضـم الخلافـات نحو الأصل الواحد. ويحيل إلى ما يقرب من المائة مصـدر يقتبس منها أقوال السابقين. يتقدمها "المحصول" للرازى ثـم "البحر المحيط" للزركشى ثم "التقريب" للقاضى، ثم "البرهان" للجوينى، ثم "مختصر المنتهى" لابن الحاجـب، ثـم "اللمـع" للشيرازى، ثم "المنخول" و"المستصفى" للغزالى، وعشـرات أخرى من المصنفات، متون أو ملخصات أو شروح[2]. بـل

---

(١) عدد الاقتباسات (١٠١).

(٢) المحصول (٧٥)، البحر المحيط (٣٠)، التقريب (٢٨)، البرهـان (١٩)، مختصر المنتهى (١٢)، اللمع، المنخول (٨)، الوجيز (ابن برهـان) (٦)، المستصفى (٤)، الرسالة، شرح مختصر المنتهى (العضد)، شرح البرهان (الانبارى)، التلويح (الطبرى)، التحرير (ابن الهمام)، جامع بيـان العلـم (القاضى عبد البر)، المعتمد (أبو الحسـين البصـرى)، المرشـد (ابـن القشيرى) (٣)، القواطع (ابن السـمعانى)، الملخـص (القاضـى عبـد الوهاب)، الأحكام (ابن حزم)، شرح المحصول (الأصـفهانى)، النـبلاء (الذهبى)، شرح الكفاية (٢)، المنهاج (البيضاوى)، شرح البرهان (ابـن المنير)، شرح اللمع (الشيرازى)، الخصـائص (ابـن جنـى)، الـدلائل (الصيرفى)، الودائع (ابن سريج)، أحكام القرآن (الشافعى)، العـدة (ابـن الصباغ)، التلخيص (الجوينى)، المسائل (ابن قتيبة)، شرح البزدوى (عبد

تتم العودة إلى النص الأصلى "الرسالة" للشافعى. كما يحـال إلى "المنهاج" للبيضاوى، و"الدلائل" للصيرفى و"الودائع" لابن سريج، و"العدة" لابن الصباغ، و"التلـويح" للطبـرى والـى عشرات نصوص أخرى من اللغـة والأصـول والتفسـير والحديث وعلوم القرآن والمدونات الفقهية. فضاع الأصل من خلال الفروع. وتاه المتن فى تشعب السند.

ومع ذلك، يمتاز بالهدوء وعدم التطرف فى المواقف. بل أنه يرفض التطرف والغلو فى الحكام، وهـى إحـدى شـيم الإصلاح. ومع أنه شافعى المذهب إلا أنه يحـاور الحنفيـة والمالكية والحنبلية. بل ويضم الشيعة أيضـا طبقـا لنوايـا الإصلاح فى توحيد فرق الأمة. والصواب هو "المختار" أى الصحيح والمرجح دون إقصاء أو إبعاد لمذهب أو رأى، مع أن العنوان يوحى باليقين "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول". وقد يكون هذا الاعتدال من آثار الماتريديـة

العزيز)، الافادة (القاضى عبد الوهاب)، التفسير (الرازى)، شرح سيبويه (السيرافى)، مسائل الخلاف (الصيمرى)، الملل والنحل (ابن حزم)، كتاب العلل (ابن الخلال)، شرح مقالات الأشعرى (ابن فورك). الفقيه والمتفقـه (الحافظ البغدادى)، التذكرة فى أصول الدين (التميمى)، شفاء الغليل، الجام العوام، التفرقة بين الإسلام والزندقة (الغزالى)، الروضة (ابـن قدامـة)، المطالب العالية (الرازى)، التبصرة (الشيرازى) ...الخ.

التى حاولت من قبل الجمع بين الأشـاعرة والمعتزلـة فـى

فصول، وكل فصل يتضمن عدة أبحاث أو أبواب، وكل بحث عدة مسائل. ومن ثم تتوارى البنية الثلاثية خاصـة الأحكـام وطرق الاستثمار لصالح المثمر، الأدلة الأربعة. وتنبعج نحو النص على حساب العقل ويغيب الفعل بعـد أن كانـت لـه الأولوية فى "الموافقات".

وبالرغم من قسمة النص إلى سبعة مقاصد إلا أنها تحيل إلى بعضها البعض للتأكيد على وحدة النص[1]. كمـا يحيـل الشوكانى إلى بقية أعماله فى الأصول مثل "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد" والى تفسيره "فتح القدير" والى فقهه فى "أدب الطلب"[2]. ويضع الموضوع كله فـى إطـار العلـوم الإسلامية كلها ومنظورها الحضارى العام[3].

ولما كان الشوكانى من أوائل المصـلحين فـإن بـدايات الإصلاح الحديث تظهر فـى "إرشـاد الفحـول". ويتطلـب الإصلاح التخلى عن التطويل والتفصيل فى كل مـا لا فائـدة منه. والشوكانى نفسه لم يطبق ذلك نظرا لأنه أراد فى نفـس

---

(١) السـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـابق ص٦/١٦/٢٠/٢٩/٣٥/٣٩/٥٥/٦٠/١٦٠/١٦٤/١٧٦/٢١٨/٢٢٠/٢٥٨/٢٦٨/٢٨٦.

(٢) السابق ص٣١/٢٤٥/٢٦٧.

(٣) السابق ص٣٢/٣٥/١٧٧/٢٣٩/٢٦٠.

الوقت الجمع بين التدوين الثانى، والعمل بالذاكرة والإصـلاح والتطوير. بل قد يصل النقد إلى درجة الحـدة فـى التعبيـر والتعجب مـن الموقـف، والانـدهاش مـن الـرأى. فينقـد الاسفراييني لعدم اطلاعه على لغة العرب. وأحيانا يقال "وهذا كلام ساقط جدا"[1]. ويتعجب من مقالة تقشعر لهـا الجلـود[2]. وينقد القدماء. فالتراث الأصولى ليس مقدسا. والأسلاف ليسوا معصومين. كان الهدف من الدخول فى حوار مـع المـذاهب الأصولية تحريك العلم، وإعادة النظر فى مسلماته، والـدخول فى معارك القدماء من أجل تعليم المحدثين[3].

---

(١) السابق ص ٢٣.

(٢) "فيا للعجب من هذه المقالة التى تقشعر لها الجلود، وترجف عند سماعها الأفئدة، فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة. وتكليف لهم بمـا ليس فى وسعهم ولا يطيقونه"، ص٢٦٩ .

(٣) "بل هو محل نزاع وتطويل الكلام فى هذا البحث قليل الجدوى بل مسألة الخلاف فى كلام ا سبحانه وإن طالت ذيولها وتفرق الناس فيهـا فرقـا وامتحن بها من امتحن من أهل العلم، وظن من ظن أنها من أعظم مسائل أصول الدين لها كبير فائدة. بل هى من فضول العلم. ولهـذا صـان ا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من التكلم فيها"، السـابق ص١٢. "ثم أطال الكلام على هذا، ثم عاد إلى التشكيك فى نقلهـا آحـادا وجميع ما جاء به مدفوع مردود. فلا نشتغل بالتطويل بنقله والكلام عليه" ص١٦. "هذا كلام صاحب المحصول. وقد أسقطنا ما فيه من ضعف، وما اشتمل على تعسف" ص٧٦. "وقد أطال أهل الأصول والكلام فـى هـذه المسألة، وليس هناك ما يقتضى التطويل" ص١٣٩. "وقـد أطـال أهـل

والعقل معيار الإصلاح. وهو قصـد خاتمـة الكتـاب. فالعقل حاكم على صفات الكمال والنقص، وملائمة الغـرض ومنافرته وقسمة الأحكام الشرعية إلى خمسة أحكـام قسـمة عقلية[1].

ويظهر ابن رشد فقيها فيلسوفا أو متكلمـا أو طبيبـا أو نحويا وهو أول من حاول إعادة بناء الفقه طبقا للفضائل فـى آخر "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"[2]. ويتوجـه الشـوكانى

الأصول والكلام فى هذه المسألة، وساقوا من أدلة المذاهب ما لا طائـل تحته" ص١٥٢. "وقد طول أهل الأصول والكلام فى هذا المبحث بـإيراد شبه زائفة لا طائل تحتها" ص١٥٩. "والكلام فى هذا يطول لما فيه مـن كثرة النقول عن الفحول" ص١٧٧. "وهو من حشو الكلام لولا أنـه أودع كتابا مستعملا لكان تركه أولى" ص٢٢٥. "وبالجملة فتطويل البحث فـى مثل هذا لا يأتى بكثير فائدة فإن أمره أوضح من كل واضح" ص ٢٥٤. "كلام طويل، وليست محتاجة إلى التطويل فإن القول فيها لا مستند له إلا بعض الرأى" ص٢٦٤.

(١) "قدمنا فى أول هذا الكتاب الخلاف فى كون العقل حاكما أولا. وذكرنا أنه لا خلاف فى أن بعض الأشياء يدركها العقل ويحكم فيها كصفات الكمـال والنقص وملائمة الغرض ومنافرته. وأحكام العقل باعتبار مدركاته تنقسم إلى خمسة أحكام كما انقسمت الأحكام الشرعية إلى خمسة أقسـام. الأول الوجوب كقضاء الدين، والثانى التحريم كالظلم، والثالث الندب كالإحسان. والرابع الكراهة كسوء الأخلاق. والخامس الإباحة كتصرف المالك فـى ملكه"، السابق ص٢٨٤.

(٢) انظر دراستنا: ابن رشد فقيها، مجلة الف للبلاغة المقارنة، العـدد ١٦، القاهرة ١٩٩٦، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ص١١٦-١٤٤.

إلى نقد التقليد[1]. ويكتب فيه رسالة خاصة "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد". فالتقليد قول بلا برهان نقلى أو عقلى[2].

ثامنا: البنية الثمانية.

١ - "البرهان" للجوينى (٤٨٧هـ)[3]. وإذا كان مقال "الورقات" قد رصد أوجه الاتفاق بين الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية حول القواعد والأصول فى صيغة مركزة فإن "البرهان" على عكس من ذلك، مسهب ومطول يرصد الاختلاف أكثر من الاتفاق، ويستعمل الأصل كمناسبة لرصد الاختلاف حولها بين الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية. فالأصل وسيلة للاختلاف، وليس الاختلاف وسيلة إلى تجريد

---

(١) السابق ص٢٤٧/١٧٩.

(٢) "وياللعجب من جرى أقلام أهل العلم بمثل هذه الأقوال التى لا ترجع إلى عقل ولا نقل، ولا يوجد بينها وبين محل النزاع جامع. وإنما ذكرناها ليعتبر بها المعتبر، ويعلم أن القيل والقال قد يكون من أهل العلم فى بعض الأحوال من جنس الهذيان فيأخذ عند ذلك حذره من التقليد، ويبحث عن الأدلة التى هى شرع ا الذى شرعه لعباده"، السابق ص٤٨.

(٣) الجوينى: البرهان فى أصول الفقه (جزءان)، حققه وقدمه ووضع فهارسه د. عبد العظيم الديب، توزيع دار الأنصار، القاهرة جـ١ ١٤٠٠هـ وذلك مثل العلاقة بين "اللمع" للاتفاق، و"التبصرة" للاختلاف للشيرازى.

الأصل. ويبدو الارتباط الوثيق بين علم أصول الفقه وعلـم أصول الدين. ولما كان الجوينى شافعيا أشعريا مثل تلميـذه الغزالى كان الحجاج ضد المعتزلة وتفنيد شبههم ممـا يـدل على انتشارهم قبل محنتهم فى القرن الخامس[1]. يرد علـى الاعتراضات مسبقا. والاعتماد على الحجج العقلية أكثر مـن الاعتماد على الحجج النقلية خاصة فى المقـدمات النظريـة الأولى التى تماثل نظرية العلم فى علم أصول الدين. وفـى الكتب الخمسة الأخيرة عن القياس الآيات القرآنية أكثر مـن الأحاديث النبوية[2]. وتدعمها الشواهد الشعرية ولغة العـرب

---

(١) السابق جـ ١/١٣-٢٥ ويلخص المحقق هذا المنهج فى النقاط الآتية:
أ- تحديد الهدف المطلوب مما يختلط به لمزيد من الوضوح فى التقسيم.
ب-تحديد معانى الألفاظ والمصطلحات المستخدمة فى الجدل والكلام.
جـ-عرض آراء المخالفين وأدلتهم ومناقشتها واختيار أفضلها.
د- التحرر من الأفكار المسبقة وعدم التعصب لمذهب أو رأى.
هـ-إسقاط العنصر الشخصى من أجل البحث عن الحقيقة الموضوعية.
و- الانتباه إلى الأصول دون الفـروع، والتوجـه إلـى الكليـات دون الجزئيات.
ز- الحذر من أساليب الزلل فى البحث والخطأ فى الحكم.
ح- إعطاء القرآن والأدلة والبراهين والحجج فى كل موقـف، السـابق ص٥٧-٥٨

(٢) الآيات القرآنية (١٢٧)، الأحاديث النبوية (٨٨).

وكلامهم[1].

والمقدمات إيمانية بالرغم من العنوان "البرهان". لذلك تأتى الأحكام قطعية، الحق مع الأصحاب، والخطأ مع الفرق المعارضة. وقد يشوب الأسلوب بعض الحدة فى التعبير مثل ابن حزم[2].

وتغيب عن الكتاب القسمة الواضحة إلى كتب وأبواب وفصول. وكلها غير مرقمة. وكل كتاب أو باب أو فصل أو قول أو عنوان منفرد يتكون من عدة مسائل فالمسألة هى الوحدة الصغرى. مجموع المسائل لم يفرض بنيته. وهناك إحساس بالقسمة وترتيب الكلام دون تحولها إلى بنية مستقلة عن الكلام والأقوال[3]. ومع ذلك تغيب الرؤية الكلية والقسمة الشاملة وإن حضرت فى قسمة الموضوعات الجزئية

(١) الشواهد الشعرية (١٢)، كلام العرب جـ ١/٥٤٧، جـ ٢/٨٠٧.

(٢) وتظهر هذه الحدة فى تعبيرات مثل: "شرذمة من الأصحاب"، "بعض المستظرفين فى علم الأصول"، السابق ص٢٤٠/٢٥٥.

(٣) "عود إلى ترتيب الكتاب"، السابق جـ ١/٥٦٢-٥٦٣، "وقد نجز مرادنا فى التأويل تفصيلا تفصيلا. ونحن الآن نجدد العهد بترتيب يشتمل على ما مضى من الكتاب وعلى ما سيأتى منه حتى يتجدد عهد الناظر بترتيب أبواب الكتاب فإن معرفة الترتيب من أظهر الأعوان على درك مضمون العلوم القطعية"، السابق جـ ١/٢٦٢.

كالإجماع أو القياس[1].

ومع ذلك وبجهد الناشر ينقسم "البرهان" إلى ثمانيـة كتب متفاوتة فى الكم[2]. أطولها الأول "البيان"، وأصـغرها السابع "ملحق كتاب البرهان" أو "كتاب الاجتهاد"[3]. وبعـض الأبواب يتكون من فصل واحد والبعض الآخر من أكثر من فصل، والبعض الثالث من باب أو أكثـر. ويضـاف إلـى الفصول والأبواب لفظ "القول". وبعض الفصـول بعنـاوين، والبعض الآخر بلا عناوين[4]. والثانى الإجماع مـن فصـل

---

(١) السابق جـ ١/٦٧٠-٧٥٠.

(٢) الكتاب الأول: البيان (٥١١)، الثانى: الإجماع (٥٥)، الثالـث: القيـاس (٣٧٠)، الرابع: الاستدلال (٢٩)، الخامس: الترجيحات (١٥١)، السادس: النسخ (٢٣)، السابع: ملحق كتاب البرهان "كتاب الاجتهاد" (١٤)، الثامن: الفتوى (٣٧).

(٣) ومن ثم يكون ترتيب الكتب تنازليا كالآتى: ١-البيان (٥١١) ٢-القيـاس (٣٧٠) ٣-الترجيحـــــــــــــــــــــات (١٥١) ٤-الإجماع (٥٥) ٥-الفتوى (٣٧) ٦-الاستدلال (٢٩)، ٧-النسـخ (٢٣) ٨-ملحق كتاب البرهان "كتاب الاجتهاد" (١٤).

(٤) مقدمات الكتاب قبل الكتاب الأول تحتوى على فصـلين وقـول وشـبه المعتزلة لا يسبقها فصل أو باب أو قول. والكتاب الأول "القول فى البيان" يتضمن سبعة أبواب: الأوامر، والنـواهى (يسـبقها القـول)، والعمـوم والخصوص، وأفعال الرسول (يسبقها القول)، والتعلق بشرائع الماضـين (يسبقها القول)، والتأويلات، والأخبار. ويتضمن القول فى البيان فصـلا واحدا، والأوامر ثلاثة فصول، والنواهى فصلين، والعموم والخصـوص

واحد. ثم عنوان مفرد "مسائل متفرقة فى الإجماع". والثالث كتاب القياس. يتضمن خمسة أبواب، الأول بلا عنوان والثانى "القول فى تقاسيم النظر الشرعى"، سبعة فصول بلا عناوين. والثالث "تقسيم العلل والأصول" بلا فصول، والرابع "الاعتراضات" وتقسيمها أربعة فصول. الأول "الاعتراضات الصحيحة"، والثانى "من توابع القول فى النقض"، والثالث والرابع بلا عناوين. وبين الثانى والثالث عنوان مفرد "مسائل فى الفرق". والخامس "القول فى المركبات" فصلان بلا عناوين. والكتاب الرابع "الاستدلال" ثلاثة فصول بلا عناوين. والخامس كتاب "الترجيحات" فصل بلا عنوان، وباب "فى ترجيح الأقيسة"، وعنوان مفرد "مسائل فى سائر أغراض المرجحين". والكتاب السادس "النسخ"، والكتاب السابع "ملحق كتاب البرهان (كتاب الاجتهاد)"، والكتاب الثامن "الفتوى" بلا فصول أو أبواب أو أقوال.

بنية العلم على هذا النحو تبدأ بالبيان تحت أثر

ستة فصول مع عنوانين زائدين، واحد بعد الفصل الثالث، والآخر بعد الفصل الخامس. والفصل السادس يبدأ بالقول. وأفعال الرسول فصل واحد. والتعلق بشرائع الماضين، والتأويلات بلا فصول. والأخبار ستة فصول. وتظهر الحكام الشرعية فى فصل من باب النواهى بعنوان "فى معنى الأحكام الشرعية"، السابق جـ ٢١٧/١-٢٢٥.

"الرسالة" للشافعى والذى يشمل مباحث الألفاظ التى تعادل الدليل الأول القرآن، وتشمل مباحث الدليل الثانى الأخبار والأفعال بل وأحكام التكليف ثمرة العلم بتعبير "المستصفى". ثم يظهر موضوع النسخ فى الكتاب السادس، وهو خاص بالدليل الأول. والكتاب الثانى الدليل الثالث أى الإجماع. والكتب الثالث، كتاب القياس، والرابع كتاب الاستدلال، والخامس كتاب الترجيحات، والسابع ملحق كتاب البرهان أو كتاب الاجتهاد، والثامن كتاب الفتوى، أى خمسة كتب من ثمانية تتعلق بالدليل الرابع وهو القياس. وبهذه القسمة تكون البنية رباعية طبقا للأدلة الشرعية الأربعة. أكبرها القياس ثم القرآن والسنة وأصغرها الإجماع[1]. ومن ثم تتعرج البنية نحو العقل ثم النقل ويكاد يختفى الفعل.

وللبرهان أصوله المكتوبة. فهو لا يحيل فقط إلى ذاته، إحالة إلى الماضى أو بيانا للحاضر أو استباقا لمستقبل بل يحيل إلى باقى أعمال الجوينى مما يدل على وحدة

(١) القياس (٦٠١)، الكتاب والسنة (٥١١)، الإجماع (٥٥).

مشروعه الفكرى[1]. بل يحيل أيضا إلـى التـراث الفقهـى الأصولى السابق، ويصف مسار العلم من المتقـدمين إلـى المتأخرين مما يدل على بداية ظهور الـوعى التـاريخى[2]. ففى كل مذهب هناك متقدمون ومتأخرون. ويحيل الجـوينى إلى مجموعة من الكتب السابقة تدل علـى تـراكم الـوعى التاريخى[3]. وأكثرها أعمـال الجـوينى ذاتـه الأصـولية

---

(١) "وإن ساعف الزمان أملينا مجموعا من الكلام ما فيه شفاء الغليل إن شاء الله تعالى"، السابق ص٢٧٥. وهو ما فعله الغزالى مستعيرا نفس الاسـم فى "شفاء الغليل".
الإحالة إلى النفس، السابق ص١٥٣/١٦٩/٥١٢.
الإعلان عن الحالى، السابق ص٧٤٧/٨٤٠/٩٢٧/٩٥١.
اسـتباق الموضـوع، السـابق جـ١/١٦٩/١٩٨/٢٢٠/٢٣٦/٢٨٢/٣٣٧/٤١١/٥١٠/٥١٢-٥١٣/٥٥٩/٥٦٣/٥٨٦/٥٩٨/ ٦٠٢، جـ٢/٧٥٧/٤٧١/٨٠٢/٨١٢/٨٣٣/٨٧٢/٧٨٣/٩٨٥/١٠٦٩/١٢١٤.
(٢) السابق جـ١/٤١٣/٥٣١، جـ٢/٧٤٧.
(٣) يحيل الجوينى إلى باقى أعماله مثل: "الأساليب" جـ١/٣٧٤، ٩٠/٤٨١، جـ٢/٧٧٩/٧٨٠/٧٨٢/٩٤٤/١٠١٠/ ١١٥١/١٣٦٩/١٣٩٩/١٤٤٦، "الاستقصـاء" جـ٢/٨١٢، "التكفيـر والتبرؤ" جـ١/٦٧٣، "العمد" جـ١/٤٨١، "الغياثى" جـ٢/٩١٦، "النظـر فى الكلام" جـ١/٤٩/٥٥. وإلى أعمال الباقلانى مثل "الانتصار فى علوم القـرآن" جـ١/٦١٦، "التـأويلات" جـ١/١٧٢، "التقريـب" جـ٢/٨٤١/١٥١٢. وللقاضى عبد الجبار "شرح العمـد" جـ١/١٣١، جـ٢/١١٨٦، "المغنى" جـ١/١٣١، جـ٢/١١٨٦. كما يحيل إلى "جواب

والكلامية ثم الباقلانى ثم القاضى عبد الجبار ثـم الأشـعرى والشافعى وابن فورك وابن جنى والجبائى والهذليين[1].

ومما يدل على ارتباط العلمين معا، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه أسماء الأعلام من المتكلمين والفقهاء على التبادل وفى مقدمتهم الباقلانى بأسلوبه وحجاجه، ثم أبو حنيفة إمام الحنفية، ثم الاسفراييني متكلم الأشعرية، ثم مالـك بـن أنس فقيه المالكية، ثم عمر بن الخطاب عودا إلى الصـحابة. ويظل التبادل بين المتكلمين أشاعرة ومعتزلة مثل أبو هاشـم الجبائى والنظام وابن فورك والقاضى عبد الجبار وأبو داود الظاهرى، والفقهاء من المذاهب الأربعة أحمد بـن حنبـل، واللغويين مثل سيبويه والزجاج، والصحابة مثـل الصـديق وعلى ومعاذ وابن عباس وابن مسعود وأبو هريـرة وبـلال وزيد وسعد، والمفسرون مثل الطبرى. هذا بالإضـافة إلـى

المسائل البصرية" للأشعرى جـ ١١٥/١، "دواوين الهذليين" جـ ٣٦٠/١، جـ ١٥٠١/٢، "الرسـالة" للشـافعى جـ ٥٨١/٣٨٠/٣٥٣/٧٢/١، جـ ١٥٠٢/٢، "سر صناعة الاعراب" لابن جنى جـ ٩٠/١، "مجموعـات ابن فورك جـ ٣٥٤/١.

(١) الجوينى (٦)، الباقلانى (٣)، القاضى عبـد الجبـار (٢)، الأشـعرى، الشافعى، ابن فورك، ابن جنى، الجبائى، الهذليين (١).

الأنبياء، إبراهيم وموسى وعيسى والرسول[1].

ومن الفرق والجماعات والطوائف والأصحاب يتقدم الصحابة ثم علماء الشريعة ثم الفقهاء ثم الأصحاب مما يـدل على أن الصحابة كانوا هم العلماء والفقهـاء قبـل صـياغة المذاهب الفقهيـة الأربعـة، والعـرب والعجـم، والـرواة والمحدثون. بل يدخل الأنبياء كمعلمين للبشر كفرقة وجماعة. كما تظهر بعض الفرق الكلامية مثل الواقفيـة. ثـم تتبـادل الفرق الإسلامية مثل الجدليين والتابعين وأهل السلف والكفار وأهل السنة والحشوية والروافض مع الفرق غير الإسـلامية

(١) الباقلانى (١٥٩)، أبو حنيفة (٥٢)، الاسفراينى (٣٥)، مالك ابـن أنـس (٣٢)، عمر بن الخطاب (١٨)، الأشعرى (١٧)، أبـو هاشـم الجبـائى (١٦)، سيبويه، أبو بكر الصديق، على بن أبى طالب (١٣)، معـاذ بـن جبل (١٠)،= =ابن عباس، الكعبى، ابن مسعود، النظام (٩)، ابن فـورك (٨)، ابن سريج، عبد ا بن عمر (٧)، الدقاق، موسـى (٦)، إبـراهيم، عائشة، عثمان (٥)، الحليمى، ابن فوات، زفر، القاضى عبد الجبار، أبـو هريرة (٤)، البخارى، الصيرفى، عبد الرحمن بن عوف، عيسى، غيلان، أحمد بن حنبل (٣)، أسامة بن زيد، الأصمعى، أنس، أبو بـردة، بـلال، جابر، الجبائى، خالد بن الوليد، ابن داود الظاهرى، الزجاج، زيـد بـن ثابت، زيد بن حارثة، سعد بن أبى وقاص، طلحة بن عبيد ا ، عبادة بن الصامت، عمرو بن العاص، القاسانى، الطبرى، القلانسى، ماعز، المغيرة بن شعبه، النهراوانى، يعلى بن أمية (٢)، بالإضافة إلى أسـماء وأعـلام أخرى (٣١) ذكر كل منها مرة واحدة.

مثل اليهود مع الجماعات الفقهية مثل المفتـين والمحـدثين والرواة والظاهرية والمالكية والحنابلة ومنكرى القياس. كما تظهر المدارس الفقهية الجغرافية مثل أهل المدينـة وأهـل الحجاز[1].

٢- "روضة الناظر وجنة المنـاظر" لابـن قدامـة

---

(١) الصحابة (١٠١)، علماء الشريعة (٦٩)، الفقهاء (٦٧)، الأصحاب (٥٢)، الحنفية (٥٠)، المعتزلة (٤٤)، الجدليون (٢٤)، العرب (٢٠)، المفتـون (١٩)، أهل اللسان (أهل العربية)، المحدثون (١٦)، الواقفية (١٤)، الرواة (١٣)، الأنبياء (١٢)، التابعون، السلف، الكفار (المشركون)، المتقـدمون (الأوائل) (١١)، أهل السنة (١٠)، الحشوية، حملة الشريعة، المتكلمـون (٩)، نقلة الشـريعة، اليهـود (٨)، المتـأخرون (٧)، الـروافض (٦)، الجماهير (الجمهور) (٥)، أهل المدينة، العجم، القضاة، الفسقة (٤)، أهل الكتاب، البصريون، الحنابلة، الظاهرية، القـراء، المالكيـة، المشـبهة، المفسرون، منكرو القياس (٣)، المنافقون، الهذليون، أهل بيعة الرضوان، أهل الحجاز، بنو تميم، ذو القربى، السمنية (٢)، بالإضافة إلـى ثلاثـين فرقة يذكر كل منها مرة واحدة مثل الأباضـية والأزارقـة والبراهمـة والخوارج والزنادقة والسوفسـطائية والمجـوس والمعطلـة والعيسـوية والنصارى والنجدات والبهشمية مـن المتكلمـين، وأصـحاب الشـورى ومنكرى البداء ومنكرى النظر من الأصوليين، وأصحاب الهيـولى مـن الفلاسفة، والأعراب وأهل بدر والأنصار وأهـل بيعـة السـقيفة وأهـل الفيافى، والخلفاء الراشدون، وخدمة الحديث، وكتبة الحـديث وقـريش، والكوفيون.

الحنبلى (٦٢٠هـ)[١]. ويتضمن ثمانية أبواب. تدور حـول أربعة أصول، الحكم والأدلة الأربعـة مثـل "بـذل النظـر" للأسمندى، ثم مباحث الألفاظ التى تشمل الكـلام والأسـماء والأمر، والعموم، والفحوى والإشارة، ثم القياس، ثم ترتيـب الأدلة والترجيح. مباحث الألفاظ هنا خارج الكتاب فى أربعة مباحث مستقلة[٢]. أكبرها الأدلة الأربعة ثم القياس ثم العموم ثم الحكم ثم الأمر ثم الكلام والأسماء ثم الفحوى والإشـارة. وأصغرها ترتيب الأدلة والترجيح. ويميز فى الحكـم بـين أحكام التكليف وأحكام الوضع مثل الشاطبى فى "الموافقات". وبتقسيم "المستصفى" يأتى المستثمر أى الأدلة الأربعة أولا ثم طرق الاستثمار ثانيا ثم الثمرة ثالثا وفى النهايـة المسـتثمر

---

(١) موفق الدين عبد ا بن أحمد بن قدامة: روضة الناظر وجنة المنـاظر، قدم له ووضح غوامضه وخرّج شواهده الدكتور شعبان محمد إسـماعيل الأستاذ فى كلية الشـريعة والدراسـات الإسـلامية، جامعـة أم القـرى (جزءان)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبـة التدمريـة، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، طـ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) ١-الحكم (٩٧)، ٢-الأدلة (٢٩١)، ٣-الكلام والأسماء (٥٧)، ٤-الأمر (٧٣)، ٥-العمـوم (١٠٤)، ٦-الفحـوى والإشـارة (٣١)، ٧-القيـاس (٢٤٩)، ٨-ترتيب الأدلة والترجيح (١٤).

رابعا[1]. والقياس جزء من مباحـث الألفـاظ فيمـا يتعلـق بالمعانى كما هو الحال فى "المستصفى". والمقدمة فى المنطق مثل "المستصفى" من أجل توسيعه وجعله نظرية فى الأصول أو "تعقيل" الأصول وجعلها نظرية فى المنطق. قـد يكـون المنطق أعم من الأصول، وأصول أخص منه. وقـد تكـون الأصول أعم من المنطق، والمنطق أخص منها. فلا فرق بين مباحث الألفاظ فى الأصول والمقولات والعبارة فى المنطق، وبين القياس الأصولى والقياس المنطقى. وينقسم كل باب من الأبواب الثمانية إلى فصول، بعنوان أو بغير عنوان. والنهى جزء من الأمر فى حين يشمل العموم الخصوص والاستثناء والشرط والإطلاق والتقيد. وأحيانا يسمى الفصـل كتابـا أو مسألة كما يسمى الباب فصلا[2]. وتتداخل المقدمة المنطقيـة مع نظرية العلم عند المتكلمين والمنطق عند الفلاسفة. فهـى نظرية شاملة تعبر عن وحدة العلم داخل الحضارة الإسلامية. ويحيل الكتاب إلى بعضه البعض مما يدل على وحدة العمـل

---

(١) المستثمر (٥٥٤)، طرق الاستثمار (٢٥١)، الثمرة (٩٧)، المستثمر (١٤).

(٢) السابق جـ ٢/٣٣٣/٣٣٨/٣٨٩.

والرؤية[1]. وتتضح البنية فى الفقـرات - البرنـامج التـى تلخص الموضوع فى عناصـره الأوليـة أولا قبـل بدايـة عرضه[2]. وهى العناصر التى يمكن إعادة بنائها بحيث يمكن من خلالها اكتشاف بنية العلم بدلا من الاكتفاء بالتخريجـات المسهبة للآيات والأحاديث وأسماء الأعلام والفرق والطوائف والإحالة إلى مصادرها الأصلية. وهو نوع من الشروح على المتون، والحواشى علـى الشـروح، والتخريجـات علـى الحواشى استئنافا لعصر الشروح والملخصات الذى لم ينتـه بعد فى الجامعات والمعاهد الدينيـة[3]. والحقيقـة أن البنيـة الثمانية ترد أيضا إلى البنية الرباعية ففى "البرهان" للجوينى يستحوذ الدليل الأول "البيان" وهو الكتاب على كل مباحـث الألفاظ كما هو الحال عند الشافعى بل والدليل الثانى أيضـا وهو السنة. وينضم إليها النسخ الموضوع السادس. ثم يتفرع القياس ويتضمن الاستدلال والترجيحات والاجتهاد والفتـوى أى إلى خمسة أقسام من الثمانية. بل إن تضخم القياس فـى

---

(١) السابق جـ ٣٠٥/٢.

(٢) السابق جـ ٥٢/١.

(٣) ملأ الناشر هوامشه بالشروح والحواشى والتخريجات لدرجـة الإسـهاب وتجاوزها كماً النص الأصلى، وطباعة الحديث بنفس بنط القرآن بالرغم من التمايز النوعى بينهما فى أكثر من ثمانية وعشرين موضعا.

العصور المتأخرة ضد التصور الشعبى الشائع بغلـق بـاب الاجتهاد. وترتد البنية الثمانية إلى بنية رباعية أيضـا. تبـدأ بالحكم وهو الثمرة ثم بالأدلة وهى المثمر ويتفـرد القيـاس بإضافة ترتيب الأدلة والترجيح ثم تستأثر طرق الاسـتثمار بخمسة موضوعات من ثمانية وهى مباحث الألفاظ: الكـلام والأسماء، الأمر، والعموم، والفحوى والإشارة.

ويمتاز الكتاب بدرجة عالية من التنظير والتجريـد. فالقول أهم من القائل، والموقف أهم من الفرقة أو الطائفـة. وما يعتبره الناشر عيبا هو فى الحقيقة ميزة، استقلال الأفكار عن أصحابها[1]. فلا توجد خلافات كبيرة فى المنطق نظـرا لطابعه الصورى الخالص. والخلاف فى المضمون وليس فى الصورة. اتسم الكتاب بدرجة كبيرة من الوضوح، والهـدوء، والشمول والموضوعية دون حدة وانفعال أصحاب المواقـف والأصول المذهبية كالظاهرية. ومع ذلك يعتمد على الشواهد النقلية. ولما كان المؤلف حنبليا فقد تجاوزت الأحاديث النبوية الآيات القرآنية[2]. وفى القياس تقل الشواهد النقلية كما تزداد

(١) روضة الناظر ص٤٢-٤٨.
(٢) الآيات (١٧٥)، الأحاديث (١٩١).

آثار الصحابة والتابعين وأقوالهم[1]. كما يستشـهد بالشـعر، ديوان العرب الذى فيه تفسير الكتاب[2].

وعلى غير العادة من الحنابلة الهجـائيين الشـتامين الذين تصل مواقفهم إلى بعد الاستبعاد والإقصاء إلـى حـد التكفير، ومع ذلك يظهر الأسلوب السجالى "فإن قالوا... قلنا" مع ترقيم الحجج بعد إحصائها.

والحقيقة أن الخلاف بين القواعد الأصولية والمذاهب الأربعة، الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية أقل بكثير من الخلاف بينها وبين القواعد الأصولية عنـد أهـل الظـاهر والإمامية. وذلك راجع أساسا إلى الخلاف بينهما فى قواعـد العقائد. وتتداخل المذاهب فيما بينها دون وجود فواصل حادة بينها مما يدل على وحدة القواعد الأصولية بصرف النظـر عن المذاهب الفقهية والخلافات العقائدية. ومع ذلك يقتـرب الحنابلة من أصحاب الحديث وأهل الظـاهر وأحيانـا مـن

---

(١) مجموع الآثار (٦٢). عمر (١٦)، على، عبد ا بن عباس (٨)، أبو بكر (٧)، عثمان، عائشة (٥)، عبد ا بن مسعود (٣)، البراء بـن عـازب، أنس بن مالك، عبد ا بن عمر (٢)، أبو هريرة، عثمان بـن مظعـون، إبراهيم النخعى، الحسن البصرى (١).

(٢) الأبيات الشعرية (١٩).

الحشوية من المتكلمين[1]. والمذهب الحنبلى هـو المـذهب الصحيح وغيره من المذاهب فاسد ، هو الصـواب وغيـره باطل[2]. وهو مذهب سلفى يرى أن المتقدمين أفضـل مـن المتأخرين، والسلف خير من الخلف[3].

ونظرا للطابع النظرى العام تقـل أسـماء الأعـلام والفرق والطوائف نسبيا. بل يخفى اللقـب عـن الأسـماء. فالقاضى عن الأشاعرة عقيدة الشافعية مذهبا هو أبـو بكـر الباقلانى، وعند الماتريدية الحنفية هو الدبوسى أو الجصاص، وعند الحنابلة هو القاضى أبو يعلى الفراء وهو الذى يتقـدم الجميع مع أبى الخطاب الكلوذانى. ومع ذلك يظل المحـاور

---

(١) "ولا فرق بين الكلامية" جـ ٣٣٤/٢.

(٢) "وهو فاسد" جـ ـ ٥٤٣/٤٧١/٣٧٢/٢٣٨/٢٢٧/٢٢٤/١، "الفاسـد هـذا الضرب" جـ ١١٣/٢، "وما ذكروه باطل" جـ ٤٨٦/١، "دليـل صـحتها انتفاء المفاسد، ودليل الفساد انتفاء المصالح" جـ ٢٣٤/٢، "وهـذا غيـر صـحيح" جـ ـ ـ ٣٧١/١٥٩/١، جـ ـ ـ ٢٩٠/٢٣٦/٢، "والصـحيح" جـ ٥٤٨/٤٨٢/٢١٥/١٧٤/١، جـ ٣١٩/٢، "ولأننا نعلم أن أحد القـولين صواب، والآخر خطأ، ولا نعلم ذلك إلا بالدليل، وإنما يدل اختلافهم على تسويغ الاجتهاد فى كلا القولين. أما على الأخذ به فكلا"، روضة النـاظر جـ ٤٧١/١.

(٣) "الصحابة شاهدوا التنزيل، وهم أعلم بالتأويل، وأعرف بالمقاصد، وقولهم حجة على من بعدهم. فهم من التابعين كالعلماء مع العامة ولـذلك قـدمنا تفسيرهم"، السابق جـ ٤٦٨/٣٩٧/١-٤٦٩.

الرئيسى صاحب المذهب المتكامل هو الشافعى أو أبو حنيفة. فالشافعى فقيه وصاحب مذهب "الشافعية". ثم يأتى أحمد بن حنبل، ثم مالك، ثم باقى الأصوليين الأحناف مثل الجصاص والكرخى، والشافعية مثل الغزالى والقفال الشاشى، وبعض المعتزلة مثل النظام والجاحظ والجبائى. ونظرا للاستشهاد بالشعر واللغة يظهر أسماء الشعراء مثل امرؤ القيس ولبيد والخنساء، ومن النحويين سيبويه وابن جنى والزجاج وابن فصال[1]. ويذكر عديد من الصحابة والتابعين كرواة وأصحاب آثار[2].

ومن الفرق يتقدم أيضا الشافعية أى أصحاب الشافعى ثم الحنفية أهم مذهبين فقهيين. ثم المتكلمون نظرا لأنهم الأصوليون أيضا، ثم المعتزلة، ثم أهل الظاهر، ثم القدرية.

---

(١) أبو يعلى (٣٥)، أبو الخطاب الكلوذانى (٣١)، أبو حنيفة (٢٥)، الشافعى (٢٢)، أحمد بن حنبل (إمامنا) (١٩)، مالك (١٢)، الجصاص، التميمى (٤)، النظام، القاضى يعقوب المرزينى، ابن شقلا (٣)، الكرخى، عبد العزيز جعفر، ابن حامد، أبو الحسن العنبرى، ابن قتيبة، الجزرى (٢)، أبو ثور، القفال الشاشى، الغزالى، أبو الحسن، أبو حفص الجرمكى، ابن عقيل، الجبائى، أبو يوسف، محمد بن شجاع الثلجى (١). ومن الشعراء: لبيد، الخنساء، امرؤ القيس (١). ومن اللغويين: سيبويه، اسحق الزجاج، ابن جنى، ابن فصال النحوى (١).

(٢) مثل: ابن عباس، أبو هريرة، عكرمة، الدارقطنى.

ونظرا لارتباط مباحث الألفاظ بمبادئ اللغة يظهر أهل اللغة وأهل اللسان والنحويون وأهل العربيـة. ونظـرا لانتسـاب المؤلف إلى الحنبلية فإنه يحيل إلى "أصحابنا". وتذكر فرقـة واحدة من المبتدعة[1]. ومن الفرق غير الإسـلامية يظهـر اليهود فى موضوع النسخ ثم النصارى فى موضوع الرواية، والمجوس فى ضمهم إلى أهل الكتاب. ومن الأنبياء يظهـر إبراهيم ثم آدم ويعقوب وسليمان وداود وعيسى ومحمد. ومن الكتب المقدسة تذكر التوراة ثم الإنجيل[2].

والنتيجة النهائية فى كشف البنية وتجليها وظهورهـا وتخلقها أن البنيات الأحادية والثنائية والرباعية والخماسـية والسباعية والثمانية ترد معظمها إلى البنية الثلاثيـة: الأدلـة الأربعة، ومباحث الألفاظ، والأحكام. وهى أبعـاد الشـعور الثلاثة: الوعى التاريخى، والوعى النظرى، والوعى العملى.

---

(١) الشافعية (أصحاب الشافعى) (٢٩)، الحنفيـة (٢٤)، المتكلمـون (٢١)، المعتزلة (١١)، أهل الظاهر (٩)، القدرية، الواقفية (أهل الوقف)، بعـض أصحابنا (٦)، أهل اللغة (٥)، أهل اللسـان (٤)، النحويـون، أصـحاب الحديث، أهل العلم (العلماء) (٢)، أهل العربيـة، الجـدليون، العربـى، التركى، العلماء، السلف، فرقة من المبتدعة (١).

(٢) الفرق غير الإسـلامية: اليهـود (٤)، النصـارى (٢)، المجـوس (١). الأنبياء: إبراهيم (٣)، آدم، يعقوب، سليمان، داود، عيسى، محمـد (١). الكتب المقدسة: التوراة (٥)، الإنجيل (١).

الفصل الثانى

حجـــب البنيــة

أولا: توارى البنية.

وتتوارى البنية كلية، وتتداخل الأصول فى معظم المؤلفات المذهبية التى تعبر عن مواقف الفرق الكلامية سواء داخل أهل السنة مثل المعتزلة فى "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ) أو أهل الظاهر مثل "الاحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ) أو الأشاعرة مثل "اللمع" للشيرازى (٤٧٦هـ). وهى نصوص دون بنية، مجرد كلام فى موضوعات أصولية قبل أن تتقعد القواعد وتؤصل الأصول. وقد تم ذلك مباشرة منذ القرن الثالث بعد أن حاول الشافعى فى "الرسالة" وضع بنية ثلاثية للعلم. يعنى "توارى" البنية وجود مادة أصولية هلامية دون هيكل عظمى، مواد بناء دون رسم هندسى، قماش دون تفصيل. فالهيكل مازال يتخلق، والأطراف مازالت تتجمع، والكثرة مازالت تبحث عن وحدة أولى.

وتكوين البنية من الكشف إلى الحجب لا يعنى تطورا فى

الزمان بل فقط نوعا آخر من المصنفات الأصولية تـوارت فيه البنية حتى بعـد ظهورهـا فـى "الرسـالة" للشـافعى (٢٠٤هـ). فالكشف والستر فى وعى المؤلف ولـيس فـى التاريخ. والوعى التاريخى هو الحامل للكشف والستر علـى حد سواء فى الزمان وخارجه[1].

والصعوبة فى توارى البنية هو عدم تطابق التكوين مع البنية. فتتبع التكوين التاريخى تختفى البنية وتظهر دون نسق طولى من الاختفاء إلى الظهور أو من الظهور والخفاء، مرة تظهر ومرة تختفى. ومن ثم يتردد عرض البنية بين التكوين التاريخى بصرف النظر عن البنية أو بين التكوين البنيـوى بصرف النظر عن التاريخ. وكان من الأفضل الاختيار الأول التكوين التاريخى بصرف النظر عن البنية لمعرفـة جـدل الخفاء والتجلى لتاريخ البنية وبنية التاريخ.

وقد توارت البنية بسبب سيادة الفروع علـى الأصـول (أصول الكرخى ٣٤٠هـ) أو سيطرة الخلافيات الفقهية على قواعدها (تأسيس النظر للدبوسى ٤٣٠هـ).

---

(١) كان ظهور "الرسالة" مبكرا هو الذى جعل الفصل الأول "كشـف البنيـة" والثانى "حجب البنية" بالرغم من احتمال اعتراض البعض بأن الكشف بعد الحجب، والحجب قبل الكشف.

ثم بدأت متناثرة عن بعد قبل أن تتجمـع فـى بنيـات واضحة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية فى أبواب تصل إلى المائة وخمسة بابا (الفصول فى الأصول للجصاص ٣٧٠هـ) وكما يوحى به العنوان، مجرد فصول فى الأصول. ثم تأخذ فـى التناقص إلى ثمانين بابا (أصول البزدوى ٤٨٢هـ) ثم إلـى أربعين بابا (الأحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٤٥٦هـ) إلى سبع وعشرين فصلا (الكافيـة فـى الجـدل للجـوينى ٤٧٨هـ) إلى تسعة عشر بابا (أصول السرخسى ٤٩٠هـ).

ثم بدأت البنية فى التشكل ابتداء من المقال السيال، وحدة واحدة بلا أدنى تقسيم (الورقات للجوينى ٤٧٨هـ ـ) حتـى بدايات بعض المباحث مثل مباحث الألفاظ (التقريب والإرشاد (الصغير) للباقلانى ٤٠٣هـ) حتى تقويم النظر عندما بدأت المقدمات المنطقية اللغوية فى التشكل (تقويم النظـر لابـن البرهان ٥٩٢هـ). ثم تخلقت البنية الثلاثيـة بالفعـل فـى الإجماع والسنة التى تشمل القرآن وإبطال الـرأى والقيـاس والتعليل ودليل الخطاب والمفهوم (النبذ فـى أصـول الفقـه الظاهرى لابن حزم ٤٥٦هـ).

وبعد كشف البنية الثنائية والرباعية والخماسية والسباعية

والثمانية تفرعت البنية من جديد وبدأت تذوب فى تفريعـات أوسع، مجرد أقوال فى موضوعات أصولية تسـعة تتعلـق معظمها بمبحث الألفاظ والنسـخ والقيـاس ولواحقـه مثـل الاجتهاد بلا ترتيب لأدلة أو وعى بأصول (اللمع فى أصول الفقه للشيرازى ٤٧٦هـ). وتصبح الأصـول كلهـا أبوابـا وفصولا وأقوالا فى أنواع الحجج وأنـواع الـتكلم وأسـباب الشرائع، وأسماء الألفاظ. ثم تظهر الموضوعات الأصـولية دون الأصول وترتيبها مثل الخبر الواحد والنسـخ وأفعـال النبى والقياس والعام والخاص والظاهر والمؤول، والمقاصد، والأحكام والأمر والنهى والأدلة الشـرعية الثلاثـة الأولـى والنسخ والأفعال (تقويم الأدلة للدبوسى ٤٣٠هـ).

ثم تتفرع التسعة موضوعات إلى إثنتى عشر موضـوعا دون ترقيم، وكلام فى الأوامر والنواهى والأفعال والناسـخ والمنسوخ والإجماع والأخبار والقياس والاجتهـاد والحظـر والإباحة والمفتى والمستفتى مع فصول فى المجمل والمبـين بلا ترتيب أو نسق أو بنية (المعتمد فى أصول الفقـه لأبـى الحسين البصرى ٤٣٦هـ). ويتشعب نص آخر إلـى اثنـى عشرة موضوعا أيضا بلا ترتيب أو نظام مثل أخلاق الفقيه،

والقياس، والجدل، والسؤال والجواب، والتفقـه فـى الـدين الكتاب، ويشمل مباحث الألفاظ والناسخ والمنسوخ، والسـنة والأفعال والإجماع والفقه وأصوله (الفقيه والمتفقه للبغـدادى ٤٦٣هـ). وتنصب فى مصنف ثالـث إلـى اثنـى عشـرة موضوعا أيضا فى كتب وأبواب وفصول ومسـائل وأقسـام حول البيان، والأوامر والنـواهى، والعمـوم والخصـوص، والتأويل، والمفهوم والأخبار، والنسخ، والإجماع، والقيـاس، والترجيح، والاجتهاد، والفتوى بلا ترتيب أو نسق (المنخول من تعليقات الأصول للغزالى ٥٠٥هـ). ثم تتشعب المسـائل إلى ثلاثة عشرة قسما موزعـة حـول الأمـر، والقيـاس، والأخبار، والعموم، والإجماع، والاجتهاد، والنسخ، والمجمل والمفصل،ودليل الخطاب، والتقليد، والاسـتثناء، والأفعـال، والمطلق والمقيد بلا ترتيب أو نظام (التبصرة فـى أصـول الفقه للشيرازى ٤٧٤هـ).

ثم تتشعب الأصول أكثر من ذلك إلـى ثلاثـة عشـر موضوعا حول اللغـات، والأوامـر والنـواهى، والعمـوم والخصـوص، والمجمـل والمبـين، والأفعـال، والناسـخ والمنسـوخ، والإجمـاع، والأخبـار، والقيـاس، والتعـادل

والتراجيح، والجهاد، والمفتى والمستفتى، وفيما اختلف فيـه المجتهدون أنه من أدلة الشرع بلا نظام أو ترتيب، تختلط فيه مباحث الألفاظ مع الأدلة فى غيـاب الأحكـام (المحصـول للرازى ٦٠٦هـ). ثم تتشعب الأصول أكثر فأكثر إلى أربعة عشر موضوعا تختلط فيما بينها بلا ترتيـب أو نسـق بـين التعارض والسنة والرواية والنسخ والألفاظ والإجماع والتقليد والاستثناء والاجتهاد (أصول الفقه لابن عربى ٦٣٨هـ). ثم تتشعب الموضوعات أكثر إلى خمسة عشر موضـوعا بـلا نسق أو ترتيب مثل التكاليف واللغات والبيان ومباحث الألفاظ والأفعال والنسخ والإجماع والأخبـار والقيـاس والاجتهـاد (الوصول إلى الأصول لابن برهان ٥١٨هـ). ثـم تتشـعب الموضوعات أكثر فأكثر إلى سبع عشرة موضوعا بلا ترتيب أيضا ولا نسق، وهى المقدمات، والنظر والعقل والتكليـف، والحدود والعقود والحروف، والناسخ والمنسـوخ، والجـدل، والحجة والشبهة، والعلة والمعلول، والمعارضة، والقيـاس، والاستدلال والانقطاع (الواضح فى أصول الفقه لابن عقيـل الحنبلى ٥١٣هـ). ثم تتشعب أخيرا فى ثمانية عشر عنوانا، من المقدمة وأحكام الوضع والتكليف والأدلة الأربعة ومباحث

الألفاظ حتى لواحق القياس مثل الاستدلال والتعادل والتراجيح والاجتهاد (سلم الوصول إلى علم الأصول لعبد العلـيم ابـن الشيخ محمد ابن أبى حجاب الشافعى   هـ).

ثانيا: غياب البنية.

١ - "أصول الكرخى" (٣٤٠هـ). هى أقرب إلى الفروع إلى الأصول أو إلى الأصول الجزئية منهـا إلـى الأصـول الكلية[1]. تعطى الأصل الجزئى والمثال الفقهى عليـه. هـى أقرب إلى علم الخلافيات كما هو الحال فى "تأسيس النظـر" للدبوسى. وهو تقليد شائع عند الأحنـاف الـذين يضـعون الأصول قبل الفروع. وعلم الخلافيات لا هو أصول الفقه ولا هو الفقه ولا هو علم القواعد الفقهية. يجمـع بـين الأصـل الجزئى ومثاله الفقهى. فى حين أن علم القواعد الفقهية يضع القواعد الكلية التى تندرج تحتها الأمثلة الفقهية. يعتمد عليـه أصول الفقه فى مناهج الاستدلال. تقل فيها الشواهد العقليـة

(١) الكرخى: الأصول التى عليها مدار كتب أصحابنا من جهة الإمام العلامة أبو الحسن الكرخى وذكر أمثلتها ونظائرها وشواهدها الإمام نجم الـدين أبو حفص عمر بن أحمد النسفى، ص٨٠-٨٧.

لاعتمادها على الأصول وللآيات الأولية على الأحاديـث[1]. وفى نفس الوقت يخلو من الحجاج العقلى لصالح مذهب ضد مذهب آخر. فالغاية الرصد وليس الجدل. لذلك تخلو أحكامه من الحدة والعنف أو الاسـتبعاد والإقصـاء. وهـو تقليـد الأحناف. وفى المقابل يكثر لفظ "أصحابنا". والمقارنـة مـع الشافعى. لذلك يتقدم على الأحناف مثل محمد وأبى يوسـف. ويأتى الصحابة والتابعون بعد ذلك[2].

٢- "تأسيس النظر" للدبوسى (٤٣٠ هـ). وبالرغم من أنه يوحى بأن موضوعه علم أصول الفقه مثل "تقويم الأدلة" له أيضا إلا أنه فى علم الخلافيات[3]. ويعنى الأصـل فيـه الموضوع الفقهى أى الفرع الذى تختلـف عليـه المـذاهب الأربعــة أو الفــروع داخــل المــذهب الواحــد. فعلــم أصول الفقه إذن هو العلم الوسيط بين "علم القوانين الفقهيـة"

---

(١) القرآن (٧)، الحديث (٥).

(٢) أصحابنا (٥)، الشافعى (٣)، النسفى محمد، أبو يوسف، ابن عباس (٢)، عيسى، أنس، ابن مسعود (١).

(٣) الإمام الأجل أبو زيد عبيد ا عمر بن عيسى الدبوسـى الحنفـى عليـه سحائب الرحمة والرضوان: تأسيس النظر، الطبعـة الأولـى، الخـانجى الحلبى، مصر. وكان برنشفيج أول من حدثنى عن هذا الكتاب فى باريس عام ١٩٥٨.

وهو ما سماه القدماء "الأشباه والنظائر" والذى يضع القواعـد العامة للاستدلال بصرف النظر عن الأدلة الأربعة ومباحـث الألفاظ والأحكام الشرعية، آخذا فقط بعين الاعتبار المقاصـد الشرعية وأحكام الوضع، وعلم الخلافيات الذى هو أقرب إلى علم الفروع حتى وإن تفرعت من أصل فقهـى واحـد. ولا يخضع علم الخلافيات لترتيب علم الأصول المعروف وبنيـة العلم الثلاثية: الأدلة الأربعة، مباحث الألفاظ، الأحكام. كمـا أنه لا يخضع لترتيب كتب الفقه بداية بكتـاب العلـم أسـوة بالحديث ثم العبادات ثم المعاملات. كما أن الأصـول وهـى الموضوعات الفقهية أى الفروع لا ترابط بينها ولا ينظمهـا أصل واحد. وهى فى الغالب النوازل القديمة مثـل الطـلاق والزواج، والجوارى والعبيد، والغنائم والأسرى، والمعاملات التجارية البدوية. ويحال إلى كتب الفقه فى المدونات المذهبية مثل كتاب الوقف وغيرها مثل كتب الصلاة والصلح والشفعة والصرف[1]. ويحال إلى "السير الكبير" للشيبانى[2]. وهنـاك متقدمون ومتأخرون مما يدل على تطور الفقه عبر العصور. وتقل الشواهد النقلية إلى أقصى حد، عدد قليل مـن الآيـات

---

(١) كتاب الوقف (٢)، الصلاة، الصلح، الشفعة، الصرف (١).

(٢) السير الكبير (١).

القرآنية والأحاديث النبوية[1].

وتداخل علم الخلافيات مع علم الأصول مثل تداخل علم المناظرة والجدل مع علم الكلام. فالخلافيات جدل حول الفروع، وعلم المناظرة خلاف حول الأصول. ويقتصر "تأسيس النظر" على رصد الخلافيات بين المذاهب حول المسائل الفقهية دون دخول فى الحجج العقلية أو النقلية، وبيان حجاج الفرق فيما بينها. وهو أشبه بما يسمى فى عصرنا "الفقه على المذاهب الأربعة". وكان يمكن للدبوسى خاصة بعد أن عنون كتابه "تأسيس النظر" أن يبين نظريا مكان الخلاف وأوجهه وكيفية تجاوزه والعودة إلى وحدة الأصل. ونادرا ما يكون الخلاف حول أصل مثل الخلاف حول العموم والخصوص، وتعارض القياس مع خبر الآحاد بين الحنفية والمالكية[2]. والأحناف هم الأكثر تأهيلا للكتابة فى علم الخلافيات. فهم أصحاب الأصول العقلية، والقدرة على الاستدلال. والعقل يوحد، والنوازل تفرق. والعجيب ظهور بعض مسائل الفقه الافتراضى وليست النوازل الفعلية.

(١) القرآن (١١)، الحديث (١).
(٢) السابق ص٨/٤٧.

ويتم الخلاف عليها من أجل المران العقلى(١).

ولما كان الدبوسى حنفى المذهب فإنه يبدأ أولا برصد الخلاف بين أئمة المذاهب الثلاثة: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيبانى طبقا لاحتمالات أربعة بين طرفين فى منطق العلاقات على النحو الآتى:

أبو حنيفة	أبو حنيفة، أبو يوسف	أبو حنيفة، محمد	أبو يوسف
أبو يوسف، محمد	محمد	أبو يوسف	محمد

وطبقا لمنطق العلاقات بين المذهب الحنفى والمذاهب الثلاثة الأخرى توجد أربعة احتمالات أخرى هى:

الفقهاء الثلاثة	الفقهاء الثلاثة	الفقهاء الثلاثة	الفقهاء الثلاثة
زفر	مالك	أبو ليلى	الشافعى

وبالإضافة إلى هذه الاحتمالات الثمانية يوجد قول تاسع فى أصل تنبنى عليه مسائل. وتختلف الأقوال الستة فيما بينها

(١) السابق ص١٣.

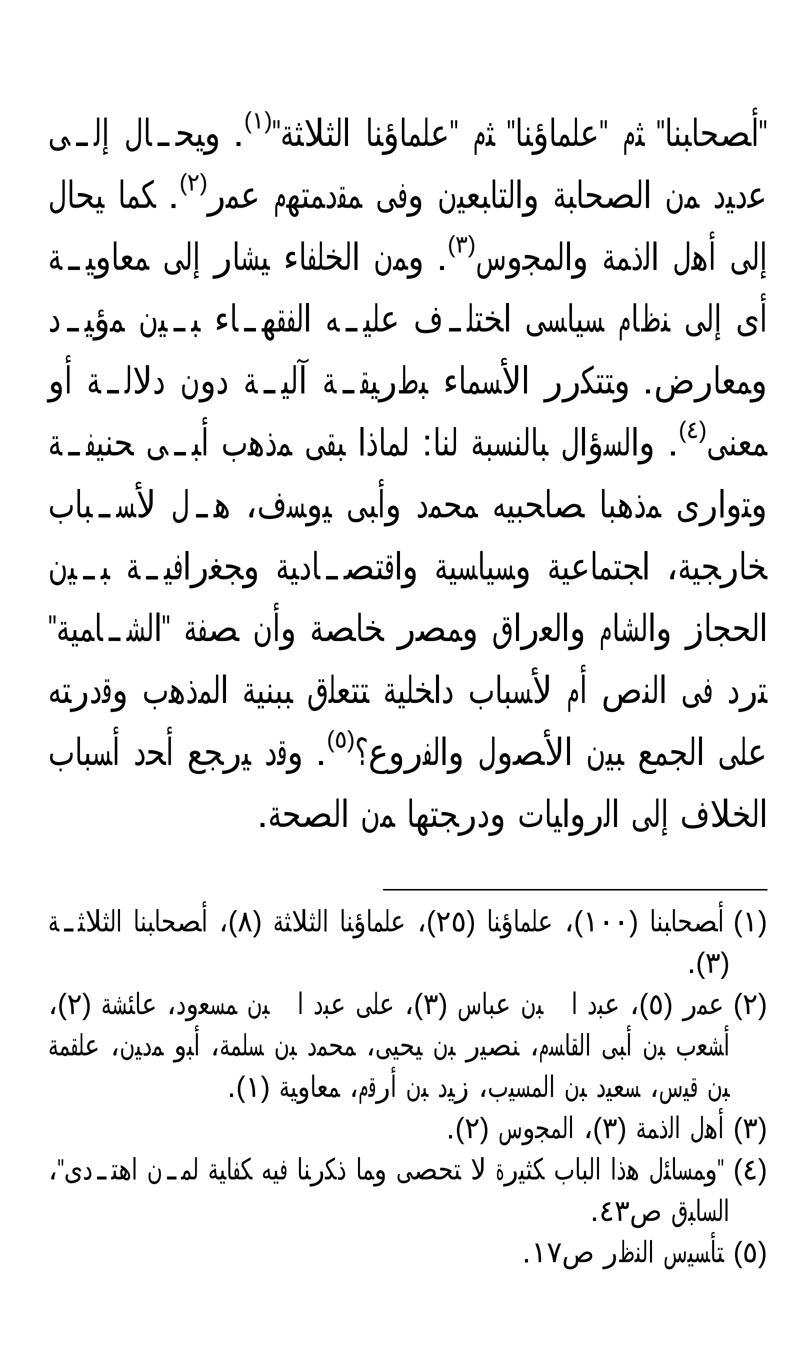
من حيث الكم. أطولها القول الأول الذى يعرض للخلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه[1]. ويحضر أبو حنيفة كطرف أول فـى كل العلاقات داخل المذهب الحنفى أو خارجه مع المـذاهب الأخرى خاصة الشافعية والمالكية. لذلك يتقدم أبو حنيفة أولا، يتلوه الشافعى ثم أبو يوسف ثم محمد الحسن الشيبانى ثم زفر ثم مالك ثم ابن أبى ليلى ثم الحسن بن زياد. ويأتى الآخرون فى درجة أقل من الأهمية كأطراف بعيدة فى الحوار بحيـث بدت المقارنات غير متساوية بين الأطراف، ويسمى الشافعى بعدة أسماء، أبو عبد ا ، والإمام القرشى، والشافعى. وغالبا ما يتم الترحم على أبى حنيفة ويتم تلقيبه باسم الإمام الأعظم بالرغم من عدم استمرار عقلانيته المترسبة فـى المخـزون التراثى القديم[2].

ولما كان المؤلف حنفى المذهب تحدث باسـمه وتقـدم

---

(١) القول الأول (٢٤)، الثامن (١٧)، التاسع (١١)، الخامس (١٠)، الرابـع (٦)، الثالث (٣)، الثانى، السادس، السابع (٢).

(٢) أبو حنيفة (٢٦٢)، الشافعى (٢١٩)، أبو يوسف (١٦١)، محمد (١٢٢)، زفر (١٠٠)، مالك (٢٢)، ابن أبى ليلى (٢١)، الحسن بـن زيـاد (٥)، إبراهيم النخعى، سفيان الثورى، الكرخى، الأوزاعى، الشعبى، البردعى، داود الأصفهانى، البلخى (١).



"أصحابنا" ثم "علماؤنا" ثم "علماؤنا الثلاثة"[1]. ويحـال إلـى عديد من الصحابة والتابعين وفى مقدمتهم عمر[2]. كما يحال إلى أهل الذمة والمجوس[3]. ومن الخلفاء يشار إلى معاويـة أى إلى نظام سياسى اختلـف عليـه الفقهـاء بـين مؤيـد ومعارض. وتتكرر الأسماء بطريقـة آليـة دون دلالـة أو معنى[4]. والسؤال بالنسبة لنا: لماذا بقى مذهب أبـى حنيفـة وتوارى مذهبا صاحبيه محمد وأبى يوسف، هـل لأسـباب خارجية، اجتماعية وسياسية واقتصـادية وجغرافيـة بـين الحجاز والشام والعراق ومصر خاصة وأن صفة "الشـامية" ترد فى النص أم لأسباب داخلية تتعلق ببنية المذهب وقدرته على الجمع بين الأصول والفروع؟[5]. وقد يرجع أحد أسباب الخلاف إلى الروايات ودرجتها من الصحة.

---

(١) أصحابنا (١٠٠)، علماؤنا (٢٥)، علماؤنا الثلاثة (٨)، أصحابنا الثلاثـة (٣).

(٢) عمر (٥)، عبد ا بن عباس (٣)، على عبد ا بن مسعود، عائشة (٢)، أشعب بن أبى القاسم، نصير بن يحيى، محمد بن سلمة، أبو مدين، علقمة بن قيس، سعيد بن المسيب، زيد بن أرقم، معاوية (١).

(٣) أهل الذمة (٣)، المجوس (٢).

(٤) "ومسائل هذا الباب كثيرة لا تحصى وما ذكرنا فيه كفاية لمـن اهتـدى"، السابق ص٤٣.

(٥) تأسيس النظر ص١٧.

ثالثا: تناثر البنية.

١ - "الفصول فى الأصـول" للجصـاص (٣٧٠هـ ـ).

والمعروف باسم "أصول الجصاص"[(١)]. وهو كتـاب كبيـر الحجم، فى أربعة مجلدات، ويتضمن مائة وخمسة بابا غيـر متساوية كما[(٢)]. أكبرها الثانى والثمانون "ذكر الدلالة علـى إثبات الاجتهاد والقياس فى أحكـام الحـوادث"، وأصـغرها التاسع والخمسون "فى القول فى أفعال النبـى"[(٣)]. ويتضـمن

---

(١) الإمام أحمد بن على الرازى: الفصول فى الأصـول (أربعـة أجـزاء)، دراســة وتحقيــق د. عجيــل جاســم النشــمى، الطبعــة الثانيــة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الإدارة العامـة للإفتاء والبحوث الشرعية، دولة الكويت (التراث الإسلامى-١٤)، مطبعة الإرشاد، استانبول، تركيا.

(٢) الجزء الأول (عدد الأبواب) (٢١)، الثانى (٢١)، الثالث (٣٧)، الرابـع (٢٦). بالرغم من النية فى الاختصار "فكرهنا إعادته مخافـة التطويـل" جـ٢/٣١٤.

(٣) ترتيب الأبواب فى تنازل كمى طبقا لعدد الصفحات: ٨٢- ذكر الدلالـة على إثبات الاجتهاد والقياس فى أحكام الحوادث (٧٣) ١٠٣- فى حكـم المجتهدين واختلاف أهل العلم فيه (٦٧) ٨- تخصـيص العمـوم بخبـر الواحد (٥٣) ٤٩- قبول خبر الآحاد فى أمور الديانات (٣٥) ٤٠- فـى الوجوه التى يعلم بها النسخ (٤٨) ٢٠- فى العـام والخـاص والمجمـل

والمفسر (٤٠) ٥- فى إثبات القول بالعموم وذكر الاخـتلاف فيـه (٣٨) ١٤- فى دليل الخطـاب وحكـم المخصـوص بالـذكر (٣٣) ٩- فـى تخصيص العموم بالقياس (٣٢) ٢٦- فى تأخير البيان (٣٠) ٣٣- فـى النهى هل يوجب فساد ما تعلق به من العقود والقـرب أم لا؟ (٢٦) ٤٧- فى ما يقع به البيان (٢٥) ٤٢- فى نسخ القرآن بالسنة (٢٤) ٣٨- فـى نسخ الحكم قبل مجىء وقته (٢١) ٣٢- فى الأمر إذا تناول أحـد أشـياء على جهة التخيير ٨٤- فى ذكر ما يمتنع فيه القيـاس (٢٠) ٤١- فيمـا ينسخ بعضه بعضا وما لا ينسخ (١٩) ١- فى العام ٣٩- فى نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ٨٨- فيما يستدل به على صحة العلة (١٧) ٣- فى معنى المجمل ٢٨- فى لفظ الأمر إذا صدر لمن تمت طاعته على الوجوب هو أم على الندب؟ ٥١- فى اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد (١٦) ٢٩- فى الأمر إذا صدر غير مؤقت هل هو على الفور أم على المهلة؟ (١٥) ٤- فى معانى حروف العطف وغيرها ١٢- فى الاستثناء ولفظ التخصـيص إذا اتصلا بالخطاب ما حكمهما؟ ٢٢- فى صفة البيان ٣٧- فـى نسـخ الحكم بما هو أثقل منه ٥٣- فى الخبرين المتضادين ٦٠- فيما يستدل به على أحكام أفعاله عليه السلام ٧٨- فى وجوب النظر وذم التقليـد (١٤) ٢٥- فى ما يقع به البيان ٥٢- فى الخبر المرسل (١٣) ١٨- فى الحقيقة والمجاز ٣١- فى الأمر المطلق هل يقتضى التكرار؟ ٩٤- فى تعـارض العلل والإلزام وذكر وجوه الترجيح ٩٩- فى الاحتجاج لما تقـدم ذكـره (١٢) ٧- فى الوجوه التى يقع بها التخصيص ١٦- فى الكلام الخـارج عن سبب ٥٠- فى قبول شرائط أخبار الآحاد ٦٤- فـى الإجمـاع ٦٨- فيمن ينعقد بهم الإجماع ٧٩- فى النافى وهل عليه دليل ٨٦- فى وصف العلل الشرعية وكيفية استخراجها ٩٧- فى ماهيـة الاستحسـان وبيـان وجوهه (١١) ١٠- فى اللفظ العام إذا خص منه شىء ما حكـم البـاقى؟ ٤٥- فى لزوم شرائع الأنبياء من كان قبل نبينا من الأنبياء ١٠٥- فـى الكلام على عبيد ا بن الحسن العنبرى (١٠) ٣٠- فى الأمـر المؤقـت ٤٨- فى موجب أخبار الآحاد (٩) ١٥- فى حكم المجمل ٣٥- فى مـا

يجوز نسخه وما لا يجوز ٦٣- فى أحكام الأشياء قبل مجىء السمع فـى الحظر والإباحة ٧٤- فى الإجماع بعد الاختلاف ٨٥- فى ذكر الأصول التى يقاس عليها ٩٦- فى الاستحسان ١٠٤- فى إثبات الأشبه المطلـوب (٨) ٨٠- فى إثبات القياس والاجتهاد ٩٣- فيما يضم إلى غيره فيجعلان بمجموعهما علة الحكم وما لا يضم إليه وما جرى مجرى ذلك؟ (٧) ٣٦- فى الدلالة على جواز النسخ فى الوجوه التى بيننا ٥٨- فى الصحابى إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه ٦٦- فيما يكون عنه الإجماع ٦٧- فى صفة الإجماع الذى هو حجة ا تعالى ٧١- فى إجماع أهل المدينة ٧٧- فـى تقليد الصحابى إذا لم يعلم خلافه ١٠٠- فى صفة من يكـون مـن أهـل الاجتهاد (٦) ٦- فى اللفظ العام المخرج إذا أريد به الخصوص ١١- فى حكم التحليل والتحريم إذا علقا بما لا يصلح أن يتناولاه فى الحقيقة ١٧- فى حرف النفى إذا دخل على الكلام ١٩- فى المحكم والمتشابه ٢٧- فى الأمر ما هو؟ ٦٢- فى أن النبى هل كان يسن عن طريق الاجتهاد؟ ٦٩- فى وقت انعقاد الإجماع ٧٦- فى اعتبار الإجماع فى موضـع الخـلاف ١٠١- فى تقليد= =المجتهد (٥) ٣٤- فى الناسخ والمنسـوخ ٤٣- فـى الناسخ من الأحكام، أمثلة من الكتاب والسنة على ذلك ٥٦- فـى روايـة المدلسين ٥٧- فى قول الصحابى :أمرنا بكذا ونهينا عن كذا والسنة كـذا ٦٥- فى إجماع أهل الأنصار ٧٣- فى التابعى هل يعـد خلافـا علـى الصحابة؟ ٩٥- فى ذكر وجوه الاستدلال بالأصول على أحكام المـوارث (٤) ٢- فى صفة النص ١٣- فى الإجماع والسنة إذا حصلا على معنى يواطئ حكما مذكورا فى الكتاب ٢١- فى الخبرين إذا كان كـل واحـد منهما عاما من وجه وخاصا من وجه آخر ٤٤- فى باب آخر فى النسخ ٥٤- فى اختلاف الرواية فى زيادة ألفاظ الحديث ٥٥- فيمن روى عنـه حديث وهو ينكره ٧٠- فى اختلاف الأقل على الأكثر ٩٢- فى مخالفـة علة الفرع لعلة الأصل ١٠٢- فى القول بالاجتهاد فى حضرة النبـى (٣) ٢٣- فى وجوه البيان ٢٤- فى ما يحتاج إلى البيان وما لا يحتـاج إليـه ٤٦- فى الأخبار واختلاف الناس فى أصول الأخبـار ٦١- فـى سـنن

بعضها عدة فصول متفاوتة من حيث العدد. أكبرهـا الثـانى والثلاثون "الأمر إذا تناول أحد أشياء على جهـة التخييـر" (ثمانية فصول)، وأصغرها فصل واحد[1]. وأحيانـا تسـبق بعض الفصول لفظ باب مما يدل على غموض القسمة وعدم تشكلها على نحو نهـائى واضـح كمـا هـو الحـال فـى

رسول ا ٧٢- فى الخروج عن اختلاف السلف ٧٥- فى وقوع الاتفاق على التسوية بين شيئين فى الحكم ٨٧- فى ذكر الوجوه التى يستدل بهـا على كون الأصل معلولا ٨٩- فى اختلاف الأحكام مع اتفـاق المعنـى واتفاقها مع اختلاف المعنى ٩٠- فى ذكر شروط الحكم مع العلـة ٩١- فى ذكر الأصناف التى تكون علة للحكم ٩٨- فى تخصيص أحكام العلـة الشرعية (٢) ٥٩- فى أفعال النبى (١).

(١) ترتيب الأبواب من حيث عدد الفصول فى تنازل كمى: ٣٢- فى الأمـر إذا تناول أحد الأشياء على التخيير (٨) ١- فى العـام ٣- فـى معنـى المجمل (٣) ٤٠- فى الوجوه التى يعلم بها النسخ ٥١- فى اعتبار أحوال رواة أخبار الآحاد (٢) ٢٦- فى تأخير البيان ٣١- فصل الأمر إذا كـان معالقا أو معلقا بوقت أو شرط أو صفة هل يقتضى التكرار؟ ٣٣- فصل: فى الدلالة على صحة ما قدمنا فى أصل هذا الباب ٣٤- فصل: فى ماهية النسخ ٣٥- فصل: فصل من هذا الباب ٣٨- فصل: فى الدلالـة علـى امتناع جواز نسخ الأمر قبل مجىء وقته ٤١- فصل: الدليل على جـواز نسخ السنة بالقرآن ٨٠- فصل: فى معنى الدليل، العلة، القياس والاجتهاد ٨٢- فصل: فيما احتج به مبطلوا القياس ٨٤- فصل: فيما خص بـالأثر من جملة قياس الأصول لا يقاس عليه ١٠٣- فصل: فى سـؤالات مـن قال: إن الحق واحد احتجاجهم لذلك ١٠٤- آراء العلمـاء فيمـا يوجـب الاجتهاد فى الأحكام.

"المستصفى". وقد يكون الفصل بلا عنوان[1]. وعلاقة الفصول بالأبواب علاقة توضيح وبيان دلالة وماهية ورصد الاحتجاجات والاعتراضات، والأسئلة والآراء. وأكثر من ثلاثة أرباع الكتاب أبواب بلا فصول[2]. تتناثر فيه البنية وتذوب فيه حتى أنه يصعب المسك بها أو تثبيتها أو حتى التعرف عليها.

وهى أشبه بمادة هلامية لم يتخلق فيها هيكلها العظمى بعد. ولا توجد عناوين مستقلة رنانة للأصول الحنفية كما هو الحال فى الأصول الشافعية بل ترتبط أصول الحنفية بأسماء أصحابها مثل "أصول الجصاص"، "أصول البزدوى"، "أصول السرخسى".

ويبدو أثر الشافعى الذى تأثر بسيبويه على كل مؤلفات الأصول حتى الحنفية منها فى البداية بمباحث الألفاظ بداية بالعام والخاص والتى تستغرق أحد عشر بابا متقطعة غير متواصلة بموضوعات أخرى[3].وترتبط بموضوعات شبيهه

---

(١) الباب الأول (الفصول الثلاثة)، الباب الثالث (الفصول الثلاثة).

(٢) هى ٨٧ بابا: ٢/٤- ٢٥/٢٧- ٣٠/٣٦- ٣٧/٣٩/٤٢- ٥٠/٥٢- ٧٩/٨١/٨٣/٨٦- ١٠٢/١٠٥.

(٣) ١- فى العام ٥- إثبات القول بالعموم وذكر الاختلاف فيه ٦- اللفظ العام المخرج إذا أريد به الخصوص ٧- الوجوه التى يقع بها التخصيص ٨-

مثل الاستثناء ودليل الخطاب والمجمل والمفسر بالرغم مـن وجود أبواب فى المجمل[1]. وتظهر علـى اسـتحياء بـاقى مباحث الألفاظ الأخرى مثل الحقيقـة والمجـاز، والمحكـم والمتشابه[2]. ثم تظهر مباحث عامة تتـداخل وسـط العـام والخاص مثل النص وحروف العطف والكلام الخارج عـن السبب وحروف النفى الأقرب إلى مبحث الأمر والنهى. وهى أقرب إلى المبادئ اللغوية العامة قبل أن تنفصل عن مباحث الألفاظ كمقدمة له[3]. ثم يظهر "البيان" متفردا بنفسه ولـيس كطرف للمجمل[4]. ثم يظهـر تباعـا "الأمـر والنهـى"[5].

تخصيص العموم بخبر الواحد ٩- تخصيص العموم بالقياس ١٠- اللفـظ العام إذا خص منه شئ ما حكم الباقى؟ ١٢- الاستثناء ولفظ التخصـيص إذا اتصلا بالخطاب ما حكمهما؟ ١٤- دليل الخطاب وحكم المخصـوص بالذكر ٢٠- العام والخاص والمجمل والمفسر ٢١- الخبران إذا كان كل واحد منهما عاما من وجه وخاصا من وجه آخر.

(١) ٣- معنى المجمل ١٥- حكم المجمل.

(٢) ١٨- الحقيقة والمجاز ١٩- المحكم والمتشابه.

(٣) ٢- صفة النص ٤- معانى حروف العطف وغيرها ١٦- الكلام الخارج عن سبب ١٧- حرف النفى إذا دخل على الكلام.

(٤) ٢٢- صفة البيان ٢٣- وجوه البيان ٢٤- ما يحتاج إليه البيـان ومـا لا يحتاج إليه ٢٥- ما يقع به البيان ٢٦- تأخير البيان.

(٥) ٢٧- الأمر ما هو؟ ٢٨- لفظ الأمر إذا صدر لمن تمت طاعتـه علـى الوجوب هو أم على الندب؟ ٢٩- الأمر إذا صدر غير مؤقت هـل هـو على الفور أو على المهلة؟ ٣٠- الأمر المؤقت ٣١- الأمر المطلق هـل

ومن ثم تكون مباحث الألفاظ أكبر المباحث على الإطلاق[1]. ويبدو أن مباحث الألفاظ قد ارتبطت بالدليل الأول، القـرآن. لـذلك أتـى موضـوع النسـخ لاحقـا بـه[2]. ثـم تـأتى الأخبار، موضوع الدليل الثانى، السنة[3]. ولما كانت الأخبار هى الأقوال تأتى بعد ذلك أفعال النبى[4]. ثـم يـأتى الـدليل

يقتضى التكرار؟ ٣٢- الأمر إذا تناول أحد الأشياء على جهـة التخيـر ٣٣- النهى هل يوجب فساد ما تعلق به من العقود والقرب أم لا؟

(١) مباحث الألفاظ ٣٣ بابا، ٥١٩ص.

(٢) ٣٤- الناسخ والمنسوخ ٣٥- ما يجوز نسخه وما لا يجوز ٣٦- الدلالـة على جواز النسخ فى الوجوه التى بينا ٣٧- نسخ الحكم بما هو أثقل منـه ٣٨- نسخ الحكم قبل مجىء وقته ٣٩- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ٤٠- الوجوه التى يعلم بها النسخ ٤١- فيما ينسخ بعضه بعضا ومـا لا ينسـخ ٤٢- نسخ القرآن بالسنة ٤٣- نسخ الناسخ من الأحكام وأمثلة من الكتاب والسنة على ذلك ٤٤- باب آخر فى النسخ. النسخ ١١ بابا ١٦٨ص.

(٣) ٤٦- الأخبار واختلاف الناس فى أصول الأخبار ٤٧- وجـوه الأخبـار ومراتبها وأحكامها ٤٨- موجب أخبار الآحاد ٤٩- قبول أخبار الآحـاد فى أمور الديانات ٥٠- قبول شرائط أخبار الآحاد ٥١- اعتبار أحـوال رواة أخبار الآحاد ٥٢- الخبر المرسل ٥٣- الخبران المتضـادان ٥٤- اخـــتلاف الروايـــة فـــى زيـــادة ألفـــاظ الحـــديث= =٥٥- فيمن روى عنه حديث وهو ينكره ٥٦- روايـة المدلسـين ٥٧- قول الصحابى: أمرنا بكذا ونهينا عن كذا والسنة كذا ٥٨- الصـحابى إذا روى خبرا ثم عمل بخلافه.

(٤) ٥٩- أفعال النبى ٦٠- فيما يستدل به على أحكـام أفعالـه ٦١- سـنن الرسول ٦٢- النبى هل كان يسن عن طريق الاجتهاد؟ وبالتـالى تكـون السنة ١٧ بابا، ١٤٥ص.

الثالث الإجماع[1]. والدليل الرابـع الاجتهـاد، ويبـدأ بنبـذ التقليد[2]. وتغيب أحكام التكليف وهى ثمـرة العلـم قبـل أن

(١) ٦٤- الإجماع ٦٥- إجماع أهل الاعصار ٦٦- فيما يكون عند الإجماع ٦٧- صفة الإجماع الذى هو حجة ا تعـالى ٦٨- فـيمن ينعقـد بهـم الإجماع ٦٩- وقت انعقاد الإجماع ٧٠- اختلاف الأقل على الأكثر ٧١- إجماع أهل المدينة ٧٢- الخروج عن اختلاف السلف ٧٣- التابعى هـل يعد خلافا على الصحابة؟ ٧٤- الإجماع بعـد الاخـتلاف ٧٥- وقـوع الاتفاق على التسوية بين شيئين فى الحكم ٧٦- اعتبـار الإجمـاع فـى موضع الخلاف. ومن ثم يكون الإجماع ١٣ بابا، ٧٦ص.

(٢) ٧٧- تقليد الصحابى إذا لم يعلم خلافه ٧٨- وجوب النظـر وذم التقليـد ٧٩- النافى هل عليه دليل؟ ٨٠- إثبات القياس والاجتهاد ٨١- الوجـوه التى يوصل بها إلى أحكام الحوادث ٨٢- الدلالة على إثبـات الاجتهـاد والقياس فى أحكام الحوادث ٨٣- وجوه القياس ٨٤- ما يمتنع فيه القياس ٨٥- الأصول التى يقاس عليها ٨٦- وصف العلـل الشـرعية وكيفيـة استخراجها ٨٧- الوجوه التى يستدل بها على كون الأصل معلـولا ٨٨- ما يستدل به على صحة العلة ٨٩- اختلاف الأحكام مع اتفـاق المعنـى واتفاقها مع اختلاف المعنى ٩٠- شروط الحكم مع العلة ٩١- الأصناف التى تكون علة للحكم ٩٢- مخالفة علة الفرع لعلة الأصل ٩٣- ما يضم إلى غيره فيجعلان بمجموعهما علة الحكم وما لا يضم إليه ومـا جـرى مجرى ذلك ٩٤- تعارض العلل والإلزام وذكر وجـوه التـرجيح ٩٥- وجوه الاستدلال بالأصول على أحكام الحوادث ٩٦- الاستحسـان ٩٧- ماهية الاستحسان وبيان وجوهه ٩٨- تخصيص أحكام العلـة الشـرعية ٩٩- الاحتجاج ما تقدم ذكره ١٠٠- صفة من يكون من أهـل الاجتهـاد ١٠١- تقليــد المجتهــد ١٠٢- الاجتهــاد بحضــرة النبــى ١٠٣- حكم المجتهدين واختلاف أهل العلم فيه ١٠٤- إثبات الأشـبه المطلـوب

تتخلق مباحث الألفاظ، الأمر والنهى، مع بـزوغ موضـوع واحد هو "شرع من قبلنا"[1]. مما يدل على انحسـار الفعـل لحساب النقل والعقل منذ بدايات علم الأصول.

وإذا كان علم الأصول عند الشافعى قد نشأ من اللغة فى "الرسالة" من أجل ضبط الأخبار وتقنين السنة فـإن أصـول الفقه الحنفى تخلقت من تفسير القرآن. فأصول الجصاص ما هى إلا منطق "أحكام القرآن" له أيضا. فقد نشأت الحاجة إلى وضع منطق للتفسير خاصة بعد أن تكررت الآيات والأحكام ولزم لفهمها بنيـة. لـذلك أتـت "مباحـث الألفـاظ" أهـم الموضوعات. ويتم وضع الحديث فى نفس منطـق القـرآن وقياسا عليه. لذلك تغلب الشواهد النقلية على العقلية، ويغلب القرآن على الحديث[2]. وتتكرر نفس الآيات ونفس الأحاديث طبقا للمواقف والاستعمال. والآيات قصيرة لتوظيفها كقضايا منطقية دون استشهادات إيمانية طويلة. والأحاديـث أيضـا قصيرة ومتقطعة كمقدمات كبرى أو صـغرى فـى قيـاس.

١٠٥- آراء العلماء فيما يوجبه الاجتهاد من الأحكـام. وبالتـالى يكـون القياس ٢٦ بابا، ٣٤٠ص.

(١) ٦٢- القول فى أحكام الأشياء قبل مجىء السمع فى الحظـر والإباحـة جـ٣/٢٤٧-٢٥٤.

(٢) الآيات (٤٠٥)، الأحاديث (٣٣٥).

وتذكر المتون دون الأسانيد لعدم الحاجة إليها. يكفى العقل لفهم المتن واستنباط الحكم منه. وتظهر الشواهد الشعرية والاحتكام إلى لغة العرب وكلامهم كمنطق للغة لإحكام التفسير[1]. وتذكر أشعار امرؤ القيس، وأمية بن أبى الصلت، وحسان بن ثابت.

ويعتمد الجصاص فى أصوله على مشايخ الحنفية على مدى قرنين من الزمان. ويأتى فى المقدمة شيخه أبو الحسن الكرخى ثم عمر بن الخطاب صاحب الجرأة فى التشريع طبقا للعقل والمصلحة ثم عيسى بن أبان من شيوخ الحنفية، ثم ابن عباس وأبو بكر وعائشة من الصحابة والرواة، ثم محمد بن الحسن الشيبانى فقيه الحنفية فى الشام، ثم أبو هريرة وعبد ا بن عمرو وأبو حنيفة النعمان وعمر بن دينار. فمؤسس المذهب يأتى فى المرتبة الثامنة، ثم الشافعى مؤسس العلم الأول. ثم يأتى أنس بن مالك فى المرتبة الثالثة

(١) الشعر (١٩) جـ ١/٥١/٦٠/٦٧-٦٨/٨٦/٩٠-٩١/١٢٢/٣٥٢/٣٦٢/٣٦٤/٣٧٥/٣٦٥ جـ ٢/ ٧-٨/٨٣/٩٦ جـ ٣/٢٥٧ جـ ٤/٧٦.
لغة العرب (٦) جـ ١/١١٤/٣٥٩/٣٠٨/٣٦٢/٣٦٥ جـ ٢/٨٩.

عشرة[1].

ويرتبط علم أصول الفقه بعلم أصول الدين منذ البدايـة. فعلماء أصول الدين من المعتزلة مثل النظام ومن الأشـاعرة مثل الأشعرى وبشر المريسى. ومن الفرق الكلاميـة تـذكر الخوارج والرافضة والمرجئة من الفرق الإسلامية، واليهـود

---

(١) أبو الحسن الكرخى (٨٩)، عمر بن الخطاب (٧١)، عيسـى بـن أبـان (٦٩)، ابن عباس (٥١)، أبو بكر الصديق، عائشـة (٣٥)، محمـد بـن الحسن الشيبانى (٣٤)، أبو هريرة (٣٣)، عبد ا بن عمر بن الخطـاب، أبو حنيفة النعمان، عمرو بن دينار (٣٠)، الشـافعى (٢٨)، علـى بـن المدينى (٢٧)، إبراهيم الخليل (٢٢)، على بن أبى طالب (٢٠)، أنس بن مالك، أنيس بن الضحاك الأسلمى (١٦)، إبراهيم بن يزيد النخعـى، أبـو يوسف الأنصارى (١٥)، الحسن البصرى، موسى بـن عمـران (١٤)، المسيح، معاذ بن جبل (١٣)، عبد الرحمن بن عوف (١٢)، بريرة (١١)، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعرى (١٠)، ابن شهاب الزهـرى (٩)، ذو اليدين، أبو سعيد الخدرى، عبادة بن الصامت، ميمونة بنت الحارث (٨)، أبو إدريس الخولانى، سليمان بن داود، فاطمة بنت قيس، مالك بن أنـس (٧)، جابر الأنصارى، حمل بن مالك، أم سلمة (٦)، أسامة بن زيد، أبـو سنان الأشجعى، الضحاك بن سفيان، عبد الرحمن بن أبى ليل، عمرو بن العاص، ماعز بن مالك (٥)، بشر المريسى، أحمد بن يحيـى الشـيبانى، الشعبى، أبو العاليا الرفاعى (٤) العباس بن عبد المطلب، عمـران بـن حصين، المغيرة بن شعبة، النظام، أنيس بن الضحاك الأسلمى، محمد بن حزم، ابن سيرين، ابو العاص بن عبد العزى (٣) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، المبرد، محمد بن شجاع الثلجى، محمد بن سلمة الأنصارى بالإضافة إلى مائة من الصحابة والفقهاء مذكورين مرتين أو مرة واحدة.

والنصارى والمجوس مع زرادشت من الفرق غير الإسلامية[1]. فلكل فرقة كلامية أصولها خاصة أصول الخوارج والمعتزلة والأشعرية والشيعة. ولكل مذهب فقهى أصوله. بدأه الشافعى ثم أبو حنيفة ثم مالك ثم أحمد[2].

لقد بدأ أصول الفقه بالرأى والنظر والاستحسان كما هو واضح عند أبى حنيفة (١٥٠هـ). ثم تلته أصول الفقه القائمة على المصالح المرسلة عند مالك (١٧٩هـ). الأولى على العقل والثانية على المصلحة، ركنى الوحى. ثم قام الشافعى (٢٠٤هـ) فتوسط بينهما جاعلا الأصول تقوم على الدعامتين معا. ثم عاد أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) للنص الخام

---

(١) الخوارج (٤)، الرافضة، المرجئة (١)، اليهود (٦)، النصارى (٤)، المجوس، زرادشت (١).

(٢) من الأصول الاعتزالية "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ). ومن الأصول المالكية "الحدود فى الأصول"، "الإشارات" للباجى (٤٧٤هـ). ومن الأصول الحنفية "أصول الجصاص" (٣٧٠هـ)، "أصول البزدوى (٤٨٩هـ)، أصول السرخسى (٤٩٢هـ). ومن أصول الفقه الظاهرى "الإحكام فى أصول الأحكام" و"النبذ" لابن حزم. ومن الأصول الشافعية: "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ)، "الحدود والمواضعات" لابن فورك (٤٠٦هـ)، "اللمع" و"التبصرة" للشيرازى (٤٧٦هـ)، "الورقات" و"البرهان" لإمام الحرمين (٤٧٨هـ)، "المستصفى" للغزالى (٥٠٥هـ). ومن أصول الفقه الحنبلى "مختصر النتهى الأصولى" لابن الحاجب، "الوصول إلى الأصول" للبغدادى.

من جديد دون تشعيب وتفريع وتقنين وتعقيد. توسط الشافعى بين الحنفية فى العراق والمالكية فى مصر. فالأصول تعبـر عن طبائع الأقوام وتوزيعهم الجغرافى بين الحجاز (مالـك) والعراق والشام وتركيا وخراسان ومـا وراء النهـر (أبـو حنيفة)، والشافعى (مصر).

وقد تغلب أصول الفقه الشافعى لقيامه على الأشـعرية، عقائد السلطة فى حين توارى الفقـه الحنفـى القـائم علـى الاعتزال الذى يمثل عقائد المعارضة. فقد ضرب أبو حنيفـة وسجن، وخرج مع آل البيت. كانت المعارضة تتم باسم العقل مثل المعارضة الاعتزالية أو باسم المصلحة ثـم الأصـول المالكية. وقد انقطعت الأصول الكلامية إلا الشافعية لقيامهـا على الأشعرية، عقيدة السلطة.

وبالإضافة إلى الحجج النقلية هناك أيضا الحجج العقليـة التى تتمثل فى الردود على الاعتراضات، ومقابلـة الحجـة بالحجة، والرأى بالرأى، والبرهان بالبرهـان. لـذلك غلـب الأسلوب السجالى الحجاجى على أصول الجصاص. بـل أن

أبوابا وفصولا بأكملها خصصت لذلك[1]. ونظـرا للاعتمـاد على العقل فقد اتسمت الأصول بوضوحها الشـديد. وقامـت على روح التساؤل والبحث وليس على المذاهب المغلقة مثل الظاهرية والتشيع.

وبالرغم من كل هذه التقسيمات والامتداد الكمى الضخم إلا أن العمل لم يفقد وحدته. إذ يحيل بعضه إلـى بعـض[2]. كما أن العمل نفسه يحيل إلى باقى مؤلفات الجصاص داخـل وحدة المشروع الأصولى الكلى.

٢- "أصول البزدوى" (٤٨٢هـ) [3]. وتغيب البنيـة إذ

---

(١) مثلا جـ١/١٦٩-١٨١/٣٨٦-٣٨٨ جـ٢/٩٣-٩٨ جـ٣/٢٢٧/٣٧٢-٣٧٦/٣٨٧ جـ٤/١٢٨/١٦٦-١٦٨/٣٣٥-٣٣٦/٣٥٠-٣٦١. والبـاب ٩٩ كله "الاحتجاج لما تقدم ذكره" جـ٤/٢٥٩-٢٧٢.

(٢) الإحالـة إلـى العمـل نفسـه جـ١/٦٩/٧٥/٢٠٦/٣١٦ جـ٢/٢٨/٣٠٧/٣٤٨/٣٦١ جـ٣/٦٧/٣١١.

(٣) أصول البزدوى فى كشف الأسرار عن أصول فخر الإسـلام البـزدوى للإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخـارى (٧٣٠هـ)، ضـبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم با البغـدادى، دار الكتـاب العربـى، بيروت (الطبعة الثالثة) ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (أربعة أجزاء). وهى الطبعة التى اعتدنا عليها. وله طبعة أخرى فى "الكافى شرح البـزدوى" لحسـام الدين حسين بن على بن حجاج السنغانى (٧١٤هـ)، دارسة وتحقيق فخر الدين سيد محمد قانت، مكتبـة الرشـد، الريـاض ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م (٥أجزاء).

تتوالى الأبواب واحدا تلو الآخر حتى تبلغ الثمانين بابا، أقـل من "أصول الجصاص" التى بلغت مائة وخمسة بابا[1]. وهى غير مرقمة وتظهر بعض الفصول داخل الأبواب على نحـو غير نسقى. ويشمل الموضوع الواحد عدة أبواب. فـالأبواب أقرب إلى الفصول[2]. ويحيل العمل إلى أبوابه ممـا يبـين وحدة الرؤية الكلية للموضوع بالرغم من تناثر أجزائه[3].

ومع ذلك تتكشف البنية الضمنية فى الأدلـة الأربعـة. الدليل الأول الكتاب هو المعلن عنـه دون الأدلـة الثلاثـة الأخرى. وتدخل فيه مباحث الألفاظ، الخاص والعام. والأمر والنهى متداخلان[4]. ثم تظهر باقى مباحث الألفـاظ حـول الظاهر والمؤول، والحقيقة والمجاز، والصـريح والكنايـة، وأحكام النظم وهو ما يقابل فحوى الخطاب، وبعض المبادئ اللغوية عن حروف المعانى أو معانى الحروف، ثـم البيـان

---

(١) جـ ١/ (١٠)، جـ ٢ (١٩)، جـ ٣ (٣١)، جـ ٤ (٢٠).

(٢) مثل فصل فى تعليل الأصول داخل باب تفسير القياس جـ ٥٣١/٣.

(٣) جـ ٧٢/١ جـ ٣٠/٤.

(٤) يشمل الدليل الأول اثنى عشر بابا: ١- أحكام العموم والخصـوص ٢- الأمر ٣- موجب الأمر وحكمه ٤- موجب الأمر فـى معنـى العمـوم والتكرار ٥- صفة حكم الأمر ٦- صفة حسن المـأمور بـه ٧- تقسـيم المأمور فى حكم الوقت ٨- النهى ٩- أحكام العموم ١٠- العام إذا لحقـه الخصوص ١١- ألفاظ العموم ٢١- حكم الأمر والنهى وأضدادهما.

والاستثناء والعود إلى المنطوق، وكلها متداخلة فيما بينها[1]. ثم تأتى بدايات ما سماه الشاطبى أحكام الوضع مثل العزيمة والرخصة مع أسباب الشرائع التى توحى بالمقاصد[2]. ثم يأتى الدليل الثانى دون الإعلان عنه وهو السنة فى أقسام السنة وتضم الأخبار وأنواعها، المتواتر والآحاد، وطرق النقل الكتابى، والتعارض والتراجيح[3]. ثم يظهر النسخ مع السنة كأحد أوجه البيان وليس مع القرآن[4]. ثم تظهر السنة

(١) ويشمل ذلك أحد عشر بابا: ١٢- حكم الظاهر ١٣- أحكام الحقيقة والمجاز والصريح والكناية ١٤- جملة ما تترك به الحقيقة ١٥- حروف المعانى ١٦- حتى ١٧- حروف الجر ١٨- الصريح والكناية ١٩- أحكام النظم ٣٨- البيان ٣٩- بيان التخيير وهو نوعان: التعليق بالشرط والاستثناء ٤٠- بيان الضرورة وهو على أربعة أوجه.

(٢) وذلك فى بابين: ٢٠- العزيمة والرخصة ٢٢- أسباب الشرائع.

(٣) وذلك فى خمسة عشر بابا: ٢٣- أقسام السنة ٢٤- المتواتر ٢٥- المشهور ٢٦- خبر الواحد ٢٧- تقسيم الراوى الذى جعل خبره حجة ٢٨- شرائط الراوى ٢٩- تفسير هذه الشروط وتقسيمها ٣٠- قسم الانقطاع ٣١- محل الخبر ٣٢- القسم الرابع من أقسام السنة وهو الخبر ٣٣- الكتابة والخط ٣٤- تقسيم الخبر عن طريق المعنى وهو خمسة أقسام ٣٥- ما يلحقه النكير من قبل الراوى وهو أربعة أقسام ٣٦- الطعن يلحق الحديث من قبل غير راويه قسمان ٣٧- المعارضة (التعارض) أربعة أقسام.

(٤) وذلك فى خمسة أبواب: ٤١- بيان التبديل وهو النسخ ٤٢- بيان محل النسخ ٤٣- بيان الشرط، شروط النسخ ٤٤- تقسيم الناسخ ٤٥- تفصيل المنسوخ.

الفعلية بعد السنة القولية[1]. ويظهر معها شرع من قبلنا وهى من المصادر المزاحـة جانبـا، الزائـدة علـى المصـادر الأربعة[2]. ثم يأتى الدليل الثالث الإجماع وأهلية المجمعـين وشروطه وحكمه وسببه[3]. ثم يأتى الدليل الرابع، القياس[4]. أكبرها الدليل الرابع ثم الأول والثـانى، ثـم الثالـث وهـو أصغرها[5]. ويبين ذلك أولوية العقل على النقل فى أصـول

---

(١) وذلك فى ثلاثة أبواب: ٤٦- أفعال النبى ٤٧- تقسيم السنة فى حق النبى ٤٩- متابعة أصحاب النبى والاقتداء بهم.

(٢) ٤٨- شرع من قبلنا.

(٣) وذلك فى خمسة أبواب: ٥٠- الإجمـاع ٥١- أهليـة المجمعـين ٥٢- شروط الإجماع ٥٣- حكم الإجماع ٥٤- سبب الإجماع وهـو نوعـان: الداعى والناقل.

(٤) وذلك فى خمسة وعشرين بابا: ٥٦- القياس ٥٧- شروط القياس وهـى أربعة أوجه ٥٨- ركن القياس ٥٩- تقسيم وجوهه وهو الطرد ٦٠- حكم العلة ٦١- القياس والاستحسان ٦٢- أحوال المجتهدين ومنـازلهم فـى الاجتهاد ٦٣- فساد وتخصيص العلل ٦٤- وجوه دفع العلل ٦٥- أوجـه الممانعة فى نفس الحجة ٦٦- المعارضة وهى قسمان ٦٧- بيان وجـوه دفع المعارضة ٦٨- الترجيح ٦٩- وجوه دفع العلل الطردية ٧٠- وجوه الانتقال: أربعة ٧١- معرفة أقسام الأسباب والعلل والشروط ٧٢- تقسيم السبب ٧٣- تقسيم العلة سبعة أقسام ٧٤- تقسيم الشرط خمسـة أقسـام ٧٥- تقسيم العلامة ٧٦- بيان العقل ٧٧- بيان الأهلية ٧٨- أهلية الأداء: قاصر وكامل ٧٩- الأمور المعترضة على الأهلية: سـماوية ومكتسـبة ٨٠- العوارض المكتسبة.

(٥) الرابع (٢٥)، الأول (٢٣)، الثانى (٢٢)، الثالث (٥).

الأحناف.

وتبرز البنية الثلاثية كالبرق وتختفى، كاحتمال لم يتحقق داخل قسمة علم الفروع وهو الفقه. علم المشروع بنفسـه أى الأدلة الأربعة، وإتقان المعرفة به وهى مباحث الألفاظ، ثـم العمل به أى أحكام التكليف[1]. وهى مركزة للغاية، خال من الحشو والاستطراد، مما استدعى شرحها مرتين على الأقـل فى "الكافى" للسنغانى (٧١٤هـ) و"كشف الأسرار" للبخارى (٧٣٠هـ).

ومع ذلك فهو يحاجج الفرق الكلامية خاصـة المعتزلـة لأواصر القربى بين الحنفية والاعتزال فى الاعتمـاد علـى العقل والنظر. كما يشير إلى أصـحاب الـرأى وأصـحاب الحديث والعلماء والفقهاء وأصـحابنا ومشـايخنا، كلهـم أو بعضهم[2]. وتدل التفرقة بين "أصحابنا" و"أصحابنا المتقدمين"

(١) "علم الفروع وهو الفقه، وهو ثلاثة أقسام: علم المشروع بنفسه. والقسـم الثانى إتقان المعرفة به، وهو معرفة النصوص بمعانيها وضبط الأصـول بفروعها. والقسم الثالث هو العمل به حتى لا يصير نفس العلم مقصـودا. فإذا تمت هذه الأوجه كان فقيها"، أصول البزدوى جـ ٤٧/١-٤٨.

(٢) أصحابنا (١٨)، المعتزلة (الاعتزال) (٤)، بعض مشايخنا (٣)، أصحابنا المتقدمين، أهل الكوفة، الأشعرية (٢)، الخطابية، أهـل الفقـه، الفقهـاء، علماء الشريعة، علماؤنا، أهل اللغة، أصحاب ظـاهر الحـديث، بعـض أصحابنا، البصريون، مشايخنا، الجبرية، المقدرية (١).

على تطور المذهب تاريخيا مـن الأوائـل إلـى الأواخـر. فالمذهب قد يكون "مذهبنا". وتبدو التعددية فيه منذ البدايـة. فالمذهب لا يمثل نسقا واحدا متسقا مغلقا بل تتنوع فيه الآراء والاتجاهات. وتظهر الفرق غير الإسلامية كما هو الحال فى علم الكلام مثل اليهود والنصارى والمجـوس مـع بعـض الأنبياء مثل إبراهيم وسليمان والمسيح وبعض أنبياء الفـرق مثل زرادشت[1].

ويعتمد على الحجج النقلية والحجج العقلية، وعلى الحجج العقلية أكثر كما هو الحال فى أصول الحنفية. إذ تقل الأدلـة النقلية تباعا كلما تم الانتقال من الـدليل الأول إلـى الـدليل الرابع. ومن الحجج النقلية يتم الاعتماد على القرآن أكثر من الحديث بحوالى الضعف. فالقرآن يتضمن الأصول، والحديث الفروع. والعقل أقرب إلى الأصول[2].

كما يتم الاستشهاد بالشعر العربى ديوان العرب الذى به تفسير الكتاب كما قال عمر[3]. كما يتم الاستشهاد بالأمثـال

---

(١) النصارى، موسى، المسيح (٢)، اليهود، المجوس، إبـراهيم، سـليمان، زرادشت (١).

(٢) القرآن (١٢٣٠)، الحديث (٩٨٠).

(٣) جـ ١ (٣) ١٦٩/١٢٢/٤٩، جـ ٢٠٧/٣٦٦/٢٤٤/٢٠٧/٢.

العربية وبكلام العرب وعاداتهم فى القول. فالقرآن إنما نزل بلسان عربى مبين[1].

ويحال إلى أسماء المصنفات السابقة كشفا عن المصادر على غير ما هو متبع فى علوم الحكمة. فنـادرا مـا يشـير الحكماء إلى بعضهم البعض. كل حكيم يبنـى الحكمـة مـن الألف إلى الياء كما فعل ابن سينا فى موسـوعاته الأربـع. فيحال إلى الجامع، والجامع الصغير ثم إلى كتـاب إبطـال الاستحسان للشافعى والسير الكبيـر للشـيبانى والمبسـوط للسرخسى، والى كتب فقهية متفرقة مثل الصـلاة والإقـرار والحدود والتركة والعبادات[2].

والسؤال هو: لماذا لم تعش مذاهب الشيبانى وأبى يوسف فى الشام وعاش مذهب أبى حنيفة فى العرق؟ هل لأنهما كانا تنويعين على أبى حنيفة؟ وما هى الفـروق النوعيـة بـين المذهب الأصلى والمذهبين الفرعيين؟

ومن أسماء الأعلام يتقدم أبو حنيفـة علـى الشـافعى،

---

(١) جـ ٣١١/١، جـ ٣١١/٢٩٧/٢٩٤/٢٠٦/٢٠٢/١١٤/٢، جـ ٢١١/٣.

(٢) الجامع (الصغير) (١٢)، الاستحسـان، السـير الكبيـر (٤)، الصـلاة، الإقرار، الحدود، التركة، العبادات، الفقه الأكبر، العالم والمتعلم، الرسـالة (لأبى حنيفة) (١).

الأستاذ على التلميذ، اتفاقا واختلافا وهو إلى الاتفاق أقـرب بعد أن كون التلميذ مذهبا مستقلا. ثم يظهر صاحبا أبى حنيفة أبو يوسف والشيبانى. ثم يأتى مالك وغيره من الفقهاء قبل أن تتحول المالكية إلى مذهب، بالإضـافة إلـى رواة الحـديث. ويحدث التراكم الفلسفى الأصول الحنفى فـى هـذا الوقـت المبكر، فتتم الإحالة إلى أصـول الجصـاص ثـم أصـول الكرخى، وبعض مشايخ الحنفية الأقل شهرة مثل عيسى بـن أبان. ثم يأتى مالك بن أنس فى النهاية لأنه لم يكن صـاحب مذهب نظرى متكامل مع بعض الفقهاء الأقل شهرة[1].

٣- "المقدمة فى الأصـول " لابـن القصـار المـالكى (٣٩٧هـ)[2]. ولم تتناثر البنية فقط فـى أصـول الحنفيـة والشافعية والظاهرية بل تناثرت أيضا أصول المالكية. فقـد توزعت البنية وانتشرت فى واحد وخمسين بابا، كل منها يبدأ

---

(١) أبو حنيفة (٨٤)، الشافعى (٧٨)، أبو يوسـف (٥٦)، الشـيبانى (٤٩)، الجصاص (٧)، الكرخى (٥)، عيسى بن أبان (٢)، مالك، الأقـرع بـن حابس، زفر، الغرر، الفراء (١).

(٢) الإمام أبو الحسن على بن عمر بن القصار المالكى (٣٩٧هـ): المقدمـة فى الأصول، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦.

بلفظ "الكلام فى .." أو "القول فى.." [1]. ثلاثة منها تحتـوى على فصول، الأول "الكلام فى وجوب أدلة السمع" ويحتـوى على خمسة فصول، الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم الاستدلال والقياس ثم القياس مرة أخرى، وهى لب الأدلـة الشـرعية الأربعة[2]. والثانى "القول فيما يخص به العموم". ويضم ستة فصول حول التخصيص، تخصيص القرآن بالقرآن، والكتاب بالسنة، والكتاب بالإجماع، والكتاب بالقياس، والظاهر بقـول الصحابى، وأخيرا السنة بالقرآن، والسنة بالسـنة، والسـنة بالإجماع، والسنة بالقياس[3]. وهى جزء من مباحث الألفاظ. والثالث "الكلام فى العلة والمعلول" ويضم فصلا واحدا "فـى المعلول"[4]. وأكبر الأبواب بطبيعة الحال البابان عـن أدلـة السمع وتخصيص العموم ومعظم باقى الأبواب أقـرب إلـى الصغر[5].

ومع ذلك يمكن تلمس هذه البنية المتناثرة داخـل هـذه الأبواب الواحد وخمسين. فالأبواب الثلاثة عشر الأولى حول

---

(١) "القول فى .." (٣٧)، "الكلام فى .." (١٤).
(٢) السابق ص٤٠-٥٢.
(٣) السابق ص٩٤-١٠٦.
(٤) السابق ص١٦٧-١٧٠.
(٥) تتراوح بين الصفحة الواحدة والسبع صفحات.

اختلاف وجوه الدلائل ووجوب النظر، وإبطال التقليد وما يجوز فيه مثل تقليد العامى للعالم والعامى للعامى، وتقليد من مات من العلماء، وما يوجد فى كتب العلماء، وما يلزم المستفتى العامى، وما يلزم فيه الاجتهاد واستعمال العامى ما يفتى له، والترجمة على المفتى[1]. ثم تبدأ الأدلة الشرعية الأربعة فى باب واحد كأصل بارز وهو الباب الرابع عشر[2]. ثم تتداخل مباحث الألفاظ مثل الخصوص والعموم[3]، والأوامر والنواهى[4]، ودليل الخطاب والبيان والاستثناء[5]، مع موضوعات الدليل الثانى الأخبار والخبر

(١) هذه الأبواب الثلاثة عشر هى: ١- اختلاف وجوه الدلائل ٢- وجوب النظر ٣- إبطال التقليد من العالم إلى العالم ٤- ما يجوز فيه التقليد ٥- تقليد العامى للعالم ٦- تقليد العامى للعامى ٧- ما يلزم المستفتى العامى ٨- ما يلزم فيه الاجتهاد وما لا يلزم ٩- ما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز ١٠- استعمال العامى ما يفتى له ١١- تقليد من مات من العلماء ١٢- ما يوجد فى كتب العلماء ١٣- الترجمة على المفتى، السابق ص٥-٣٩.

(٢) ١٤- فى وجوب أدلة السمع: الكتاب، والسنة، والإجماع، والاستدلال والقياس، والقياس.

(٣) ١٥- الخصوص والعموم ٢٥- ما يخص به العموم ٣٠- خطاب الواحد هل يكون خطابا للجميع؟ ٣١- العموم يخص بعضه.

(٤) ١٦- الأوامر والنواهى ٣٤- الأوامر هل هى على الفور أو على التراخى؟ ٣٥- الأوامر هل تقتضى تكرار المأمور به أم لا؟

(٥) ٢٢- دليل الخطاب ٢٣- الأسباب الوارد عليها الخطاب ٢٩- تأخير البيان ٣٣- الاستثناء عقيب الجملة.

المتواتر وخبر الواحد العدل والخبر المرسل والزائد من الأخبار، وتعارض الأخبار فيما بينها، وتعارضها مع القياس[1]. كما تتداخل مع الدليل الأول فى موضوع النسخ[2]. ثم يأتى الإجماع[3] الدليل الثالث ثم مباحث العلة والقياس، الدليل الرابع[4]. وتاتى بعض الأبواب لملحقات القياس مثل إجماع أهل المدينة، شرع من قبلنا، واستصحاب الحال[5]. ولا تظهر أحكام التكليف إلا فى باب واحد، فى الحظر والإباحة[6]. وعلى هذا النحو يكون القياس أكبرها، ثم مباحث الألفاظ، ثم النظر والتقليد، ثم السنة، ثم الأدلة الأربعة، ثم

---

(١) ١٧- أفعال النبى ١٨- الأخبار وخبر التواتر ١٩- خبر الواحد العدل ٢٠- الخبر المرسل ٢٤- الزائد من الأخبار ٢٦- الأخبار إذا اختلفت ٢٧- خبر الواحد والقياس يجتمعان.

(٢) ٣٦- فى نسخ القرآن بالسنة ٣٧- الزيادة على النص هل تكون نسخا أم لا؟

(٣) ٤١- الإجماع بعد الخلاف ٤٢- إجماع الأمصار.

(٤) ٤٣- العلة والمعلول ٤٤- ما يدل على صحة العلة ٤٥- العلة التى لا تتعدى ٤٦- تخصيص العلة ٤٧- القول بالعلتين ٤٨- العلتان إحداهما أكثر فروعا من الأخرى ٤٩- جواز كون الاسم علة ٥٠- أخذ الأسماء قياسا ٥١- الحدود هل تؤخذ من جهة القياس؟

(٥) ٢١- إجماع أهل المدينة وعلمهم ٣٨- شرائع من كان قبلنا من الأنبياء ٢٨- الحق واحد من أقاويل المجتهدين ٤٠- استصحاب الحال.

(٦) ٣٩- الحظر والإباحة.

الكتاب والإجماع، ثم التكليف وهو أصغرها على الإطلاق[1]. وتكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل كما هـو الحال فى معظم الأصول الحنفيـة. فالمصـلحة فـى قـوة الاستدلال العقلى. ومع ذلك تظهر وحـدة الموضـوع فـى الإحالة إلى السابق واللاحق مما ينبئ بظهور البنية[2].

ويبدأ كل باب بمذهب مالك ما يقره وما لا يقره، ما يقبله وما لا يقبله، ما فيه وما ليس فيه. فأصول الفقه أيضا نشـأت من خلال المالكية وليس فقط من خلال الشافعية أو الحنفيـة. صحيح سبق مالك (١٥٠هـ) الشافعى (٢٠٤هـ) ولكن تلاه الجصاص من الحنفية (٣٧٠هـ) ثم ابن القصار من المالكية (٣٩٧هـ) [3]. ولما كان مذهب مالك هو الحق كثر الـدفاع

---

(١) القياس (٤٨)، مباحث الألفاظ (٤٣)، النظر والتقليد (٣٥)، السـنة (٢١)، الأدلة الأربعة (١٣)، الكتاب، الإجماع (٨)، التكليف (٦).

(٢) المقدمة فى الأصول ص٤٨.

(٣) "سألتمونى أرشدكم ا أن أجمع لكم ما وقع إلى من الأدلة فـى مسـائل الخلاف بين مالك بن أنس، رحمه ا ، وبـين مـن خالفـه مـن فقهـاء الأمصار، رحمة ا عليهم، وأن أبين ما علمته من الحجج فى ذلك. وأنـا أذكر لكم جملة من ذلك بمشيئة ا وعونه لتعلموا أن مالكا، رحمـه ا ، كان موفقا فى مذهبه، متبعا لكتاب ا وسنة نبيه وإجماع الأمة والنظـر الصحيح، وأن ا خصه بحسـن الاختيـار ولطيـف الحكمـة وجـودة الاعتبار... وقد رأيت أن أقدم لكم بين يدى المسائل جملة مـن الأصـول التى وقفت عليها من مذهبه، وما يليق به مذهبه، وأن أذكر لكـل أصـل

عنه يقوم على العقل والنقل. لذلك تكثـر الآيـات القرآنيـة والأحاديث النبوية كما تبرز الأدلـة العقليـة[1]. فالأصـول استقراء للفروع. والعقليات استقراء للنقليات. وبعض الأبواب خالية من الآيات وهى أكثر من النصف، ممـا يـدل علـى إمكانية تأسيس الأصل على العقل وحده[2]. وتصـل الأدلـة العقلية إلى حد قسمة موضوعها قسمة عقلية من أجل تنـاول كل قسم على حدة مثل قسمة شروط العلة إلى أربعة[3]. كمـا يظهر أسلوب الرد مسبقا على الاعتراضات بعد تخيلها مـن أجل الإبقاء على الاتساق المنطقى[4]. وكـان مـن الممكـن الزيادة فى الحجج المنطقية لأسباب الخلاف بين المذاهب. فقد كان القصد الأصول وليس الفـروع[5]. ومـع ذلـك تغلـب

نكتة ليجتمع لكم الأمران جميعا أعنى: علم أصوله ومسائل الخلاف مـن فروعه..."، السابق ص٣-٤.

(١) الآيات (٦٧)، الأحاديث والآثار (٤٥).

(٢) هـى الأبـواب الآتيـة ٤/٦-١٣/١٨/٢٠-٢١/٢٤-٢٧/٣١/٣٩-٤١/٤٣/٤٥/٤٧-٤٩ (٢٨ بابا).

(٣) المقدمة فى الأصول ص١٦٨-١٦٩.

(٤) السابق ص١٣٨.

(٥) "هذه مقدمة عن الأصول فى الفقه ذكرتها فى أول مسائل الخلاف ليفهمها أصحابنا. ولم استقص الحجج عليها لأنه لم يكن مقصودى ذلك"، السـابق ص٢٠٦.

العبارات الإيمانية فى نهاية كل باب تقريبا مثـل "ا   أعلـم" و"وبا   التوفيق" و"إن شاء ا   تعالى"[1]. وبطبيعة الحال يتقدم الرسول، وهو المعلم، على مالك وهو المتعلم، ثم المؤلـف، ابن القصار، ثم أبو الفرج المالكى. وبعد ذلك يأتى الشـافعى والأبهرى من المالكية وعمر بن الخطاب الذى أسـس روح المالكية بأولوية الواقع على النص. ثم يأتى أبو حنيفة النعمان والأوزاعى والتميمى، ومن الصحابة على وغيرهم[2]. ومـن الفرق والجماعات يتقدم الصحابة ثم الفقهاء ثم المالكيـة ثـم أهل المدينة ثم التابعون طبقا لأولويات المالكية. ثم يأتى بعد ذلك أهل العلم وأهل العراق (الحنفية)وأصحاب أبى حنيفـة، وأصحاب مالك، وأهل الاجتهاد. وأخيرا يأتى أهل اللغة وأهل مكة، وأهل عصر مالك، والمتقدمون من أصحاب مالك نظرا لتطور المـذهب، والمتكلمـون، والمجتهـدون، والقائسـون

---

(١) "ا   اعلم" (٣٠)، "وبا   التوفيق" (١٤)، "إن شاء ا   تعالى (١)، فصـول خالية منها (٦) فقط.

(٢) الرسول (٥٧)، مالك (٥٦)، ابن القصار (١٩)، أبو الفرج المالكى (٧)، الشافعى، الأبهرى، عمر بن الخطـاب (٣)، أبـو حنيفـة، الأوزاعـى، التميمى، على، إسماعيل بن اسحق، عبد ا   بن نافع (٢)، أسامة بن زيد، زيد، الليث بن سعد، المدلجى، عائشة، أبو هريرة، العنقى، ابن رواحـة، ابن عباس، سفيان الثورى، سراقة (١).

وغيرهم[١]. ومن المدن تتقدم بطبيعة الحال المدينة ثم مكة[٢]. ويحيل ابن القصار إلى عدة كتب فى مقدمتها "الموطأ" لمالك ثم كتاب الشافعى "الأم" وجامع سفيان الثـورى، ثـم كتـاب "السنن فى الفقه" للأوزاعى[٣].

٤ - "الإشارة فى أصول الفقه" لأبـى الوليـد البـاجى (٤٥٠هـ)[٤]. وتتناثر البنية فيه فى اثنين وستين بابا. ينقسـم البعض منها إلى فصل واحد أو فصلين أو ثلاثة أو أربعة أو

---

(١) الصحابة (١٥)، الفقهاء (١١)، المالكية (٨)، أهل المدينة (٥)، التـابعون (٤)، أهل العلم، بنو تميم، العرب، أهل العراق (٣)، أصحاب أبى حنيفة، أصحاب مالك، أهل الاجتهاد، المشركون، العامة، شيوخ بنى تمـيم (٢)، أهل التوراة، أهل الذكر، أهل الذمة، أهل اللغة، أهل مكة، أهـل عصـر مالك، أهل العهد والذمة، أهل اليمن، بنو إسرائيل، المتكلمون، المتقدمون من أصحاب مالك، المجتهدون، المحدثون، المفسرون، العجم، القائسـون (١).

(٢) المدينة (٥)، مكة (٢)، بيت المقدس، حنين، خراسان، الصـين، الـيمن (١).

(٣) الموطأ (٥)، الأم، جامع سفيان الثورى (٢)، السنن للأوزاعى (١).

(٤) الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف بـن سعد بن أيوب الأندلسى القرطبى الباجى الذهبى (٤٥٠هـ): الإشارة فـى أصول الفقه، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد عوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

تسعة فصول[1]. تتفاوت فيما بينها من حيث الحجم ولو أنهـا جميعا أقرب إلى القصر[2]. وتتكرر معظم الموضوعات فـى

(١) ٤٢- الكلام فى العلة والمعلول ٥٣- أحكام الاسـتثناء ٥٦- الإجمـاع وأحكامه (فصل واحد). ٥٥- أحكام الناسخ والمنسوخ ٥٧- الكـلام فـى معقول الأصل ٥٨- أحكام القيـاس ٥٩- أحكـام استصـحاب الحـال (فصلان). ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخاص (ثلاثـة فصول). ١٣- الكلام فى وجوب أدلة السمع ٢٤- القول فيما يخص بـه العموم ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعـام والخـاص (أربعـة فصول) ٥٢- أبواب العموم وأقسامه (خمسة فصول) ٥١- بـاب أقسـام أدلة الشرع (تسعة فصول).

(٢) ٥١- أقسام أدلة الشرع (٣٣)، ٥٥- أحكام الناسـخ والمنسـوخ (١٥)، ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخـاص (١٣)، ١٣- فـى وجوب أدلة السمع ٢٤- فيما يخص به العموم (١١)، ٢٠- إجماع أهـل المدينة ٥٢- أبواب العموم وأقسامه (١٠)، ٢٨- تأخر البيان (٨)، ٣٠- فيما يجوز فيه التقليد ٢١- دليل الخطاب (٧) ١٨- خبر الواحـد العـدل ١٩- الخبر المرسل ٢٣- الزائد فى الأخبار ٣٦- الزيادة على النص هل يكون نسخا أم لا؟ (٦)، ١٤- فى الخصوص والعموم ١٥- فى الأوامـر والنواهى ٢٧- فى أن الحق واحد مـن أقاويـل المجتهـدين ٣٢- فـى الاستثناء عقب الجملة ٥٠- فى الحدود ٥٧- فى معقول الأصل (٥) ٥- فى تقليد العامى ١٦- أفعال النبى ١٧- الأخبـار والتـواتر ٣٥- نسـخ القرآن بالسنة ٤٦- إجماع الأعصـار ٥٦- الإجمـاع وأحكامـه ٥٩- استصحاب الحال (٤) ٦- ما يلزم المستفتى للعامى ١٠- تقليد من مـات من العلماء ٣٠- العموم يخص بعضه (٣)، ٢- إبطال التقليد من العـالم للعالم ١١- ما يوجد فى كتاب العلماء ٢٩- خطاب الواحد هـل يكـون خطابا للجميع؟ ٣٤- فى الأوامر هل تقضى تكرار المأمور أم لا؟ ٤٢-

أكثر من باب، فى عدد من الأبواب المتفرقة. وتدخل بعـض موضوعات الفقه مع الأصول كأمثلة توضيحية[1]. وتتـرك بعض الفصـول بـلا عنـاوين وأخـرى يضـاف إليهـا "مسائل"[2].وبعض الأبواب تبدأ بـ ـ"القـول فـى" وأخـرى بـ"الكلام فى"، وثالثة "فى" مباشرة فى الموضوع[3]. ويجمع باب "فى أبواب" مرة واحدة[4]. وشرح المحقق مسهب للغاية وكأننا مازلنا فى عصر الشروح والملخصات.

ومع ذلك يمكن تجميع هذه الأبـواب الاثنـين وسـتين والمتشابه منها فى عدة أصول. نظرية العلم، الأدلة الشرعية الأربعة، مباحث الألفاظ، أحكام التكليف وهى البنية الثلاثيـة للعلم بالإضافة إلى المقدمة العامة. وتضم المقدمـة العامـة وجوب النظر وإبطال التقليد وضـرورة الاجتهـاد وأحكـام

العلة والمعلول ٥٣- أحكام الاستثناء (٢) بالإضافة إلى ثمانية عشر بابـا كل منها صفحة واحدة.

(١) الإشارة ص٢٤٦-٢٥٠.

(٢) فصول بلا عنـاوين، السـابق ص٢٤٤-٢٤٦/٣٠٩/٣٥٨/٣٦٣/٣٧١-٣٧٧. إضافة مسائل ص٣٤٣-٣٥٦.

(٣) "القول فى" (٣٧)، "الكلام فى" (١٢)، فى الموضوع مباشرة (١٣).

(٤) أبواب العموم وأقسامه، السابق ص٣٥٦-٣٥٨.

الاستفتاء[1]. وتشمل الأدلة الشرعية الأربعـة موضـوعات متفرقة ومتداخلة[2]. أصغرها الكتاب فى موضوع النسـخ[3]. وأكبرها السنة وتشمل أفعال النبى والأخبار، والتواتر والآحاد والمرسل والزائد والتعارض بينها، والتعارض بينهـا وبـين القياس[4]. ويضم الإجماع أحكامه وتكراره فى كل عصر[5]. أما القياس فيشمل معظم مباحـث العلـة ومعقـول الأصـل

---

(1) نظرية العلم فى الأبواب: ١- وجوب النظر ٢- إبطال التقليد من العـالم للعالم ٣- ما يجوز فيه التقليد ٤- تقليد العامى للعالم ٥- تقليـد العـامى للعامى ٦- ما يلزم المستفتى للعامى ٧- ما يلزم فيه الاجتهاد وما لا يلزم ٨- ما لا يجوز فيه التقليد وما يجوز ٩- استعمال العامى ما يفتـى بـه ١٠- تقليد من مات من العلماء ١١- ما يوجد فى كتاب العلماء ١٢- فى الترجمة على المفتى (اثنا عشر بابا)، السابق ص١٣٢-١٦٤.

(2) ١٣- وجوب أدلة السمع، السابق ص١٦٤-١٨٥.

(3) ٣٥- نسخ القرآن بالسنة ٣٦- الزيادة على النص هل يكون نسخا أم لا؟ ٥٥- أحكام الناسخ والمنسوخ، السابق ص٢٨٧-٢٩٧/٣٨١-٣٩٦.

(4) ١٦- أفعال النبى ١٧- الأخبار والتواتر ١٨- خبر الواحد العـدل ١٩- الخبر المرسل ٢٣- الزائد من الأخبار ٢٥- الأخبار إذا اختلفـت؟ ٢٦- خبـر الواحـد والقيـاس يجتمعـان، السـابق ص١٩٥-٢١٥/٢٣٣-٢٣٩/٢٥٠-٢٥١.

(5) ٤٠- الإجماع بعد الخـلاف ٤١- إجمـاع الأعصـار ٥٦- الإجمـاع وأحكامه ٥٧- إجماع كل عصر حجـة، السـابق ص٣٠١-٣٠٧/٣٩٦-٤٠٠.

واستصحاب الحال والترجيح[1]. وتضم مباحث الألفاظ وهى أوسعها، الخصوص والعموم، الأوامر والنـواهى، المجمـل والمبين، المطلق والمقيد، ودليل الخطاب، والاستثناء[2]. أمـا أحكام التكليف فإنها نادرة للغاية تضـم الحظـر والإباحـة والحدود قياسا أو لا[3]. وهناك أبواب أخرى فى موضوعات إضافية خارج الأدلة الشرعية مثل إجمـاع أهـل المدينـة،

---

(١) ٤٢- العلة والمعلول ٤٣- ما يدل على صحة العلة ٤٤- العلة التـى لا تتعدى ٤٦- القول بعلتين ٤٧- العلتان أحدهما أكثر فروعا من الأخـرى ٤٨- جواز كون الاسم علة ٤٩- أخذ الأسماء قياسا ٥٧- معقول الأصل ٥٨- أحكام القياس ٥٩- استصحاب الحال ٦٠- أحكـام التـرجيح ٦١- ترجيحات المتون ٦٢- ترجيح المعانى، السـابق ص٣٠٧-٣١٨/٤٠٠-٤٢٩.

(٢) ١٤- الخصوص والعموم ١٥- الأوامر والنواهى ٢١- دليل الخطـاب ٢٢- الأسباب الوارد عليها الخطاب ٢٤- ما يخص بـه العمـوم ٢٨- تأخير البيان ٢٩- خطاب الواحد يكون خطابا للجميع ٣٠- العموم يخص بعضه ٣١- القياس على المخصوص ٣٢- الاستثناء عقب الجملـة ٣٣- الأوامر هل هى على الفور أو على التراخى ٣٤- الأوامر هـل تقتضـى تكرار المأمور به أم لا؟ ٥١- أقسام أدلة الشـرع ٥٢- أبـواب العمـوم وأقسامه ٥٣- أحكام الاستثناء ٥٤- حكم المطلق والمقيد وما يتصل بالعام والخـاص، السـابق ص١٨٥-١٩٥/٢٢٥-٢٣٣/٢٣٩-٢٤٣/٢٦٦-٢٨٧/٣٢٣-٣٨١.

(٣) ٣٨- الحظر والإباحة ٥٠- الحـدود، السـابق ص٢٩٨-٣٠٠/٣١٨-٣٢٣.

وشرع من قبلنا، وتعدد الصواب فى أقـوال المجتهـدين[1]. ويدل على نفس النتيجة أولوية العقل على النقل على حسـاب الفعل.

ونظرا لأن المؤلف مالكى المذهب فإنـه يبـدأ البـاب بمذهب مالك، ما يريد وما لا يريد، بالرغم من انتهاء معظـم الفصول باللازمات المعروفـة مثـل "وا   أعلـم"، "وبـا   التوفيق"[2]. ويعتمد على كثير من الحجـج النقليـة وأقلهـا العقلية. والآيات أكثر من الأحاديث، كما يستشهد بالشعر[3]. ويرد على الاعتراضات مسبقا حرصا على اتسـاق الحجـة العقلية. ومن أسماء الأعلام يتقدم مالك بطبيعة الحـال، ثـم الباقلانى مفكر الأشاعرة، ثم الشافعى وأصحابه وأبو حنيفـة وأصحابه، وفقهاء المالكية والشافعية والحنفية مثل محمد بـن جويز منداد، والأبهرى، وإسماعيل بن اسـحق، والثـورى، والأوزاعى، والماوردى، والكرخى وغيرهم. ومن الشـعراء

---

(١) ٢٠- إجماع اهل المدينة، السابق ص٢١٥-٢٢٥. ٣٧- شرائع من قبلنا قبل الأنبياء، السابق ص٢٩٧-٢٩٨. ٢٧- أن الحق واحد مـن أقاويـل المجتهدين، السابق ص٢٥١-٢٦٦.

(٢) "وا   أعلم" (٣٤)، "وبا   التوفيـق" (١٤)، "إن شـاء ا " (١)، وبـدون لازمة (١٤).

(٣) الآيات (١٤٢)، الأحاديث (٢٩)، الشعر (٢).

النابغة. ومن النحويين الخليل وسيبويه[1].

٥- "الإحكام فى أصول الأحكام" لابن حزم (٤٥٦هـ).

وفيها تغيب البنية أيضا. إذ يقسم الكتاب إلى أربعين بابا، وكل باب له فصول. ويختلف عدد الفصول فى كل باب بين أبواب بلا فصول إلى أبواب من عشرين فصلا[2]. وإذا كان لكل باب وفصل عنوان فإن بعض الفصول ليس لها

---

(١) مالك (٥٤)، الباقلانى (٢٤)، الشافعى، أصحاب الشافعى (٥)، أصحاب أبى حنيفة (٥)، أبو حنيفة (٢)، محمد بن جويز منداد (٥)، الأبهرى (٤)، إسماعيل بن اسحق (٣)، الثورى، الأوزاعى، أصحاب مالك، النابغة (٢)، الربيع (كتاب)، الماوردى، ابن القفطان، الليث، ابن العراقى، ابن القاسم، ابن رواحه، الكرخى، الخليل، سيبويه.

(٢) الأبواب بلا فصول (٢٥):
١/٢/٣/٤/٨/٩/١٠/١٦/١٩/٢١/٢٣/٢٤/٢٥/٢٦/٢٧/٢٨/٢٩/٣٠/٣١/
٣٢/٣٣/٣٤/
٣٥/٤٠.
- الأبواب من فصل واحد (٥): ٥/٦/٧/١٤/١٨.
- الأبواب من فصلين (١): ١٥.
- الأبواب من ثلاثة فصول (٣): ١٣/٣٦/٣٨.
- الأبواب من خمسة فصول (٢): ٣٧/٣٩.
- الأبواب من عشرة فصول (١): ١٢.
- الأبواب من خمسة عشر فصلا (١): ٢٢.
- الأبواب من تسعة عشر فصلا (١): ٢٠.
- الأبواب من عشرين فصلا (١): ١١.

عناوين[1]. وأكثر من نصفها يبدأ باللازمـة الشـهيرة فـى التأليف القديم "الكلام فى". وتضم الأبواب الأربعين فى ثمانية أجزاء متداخلة البداية والنهاية دون حد موضوعى بينهـا[2]. وإذا كانت الأجزاء الثمانية متساوية فيما بينها من حيث الكم تقريبا باستثناء الرابع فهو أكبرهـا[3]. الأبـواب الأربعـين والفصول أيضا تختلف فيما بينها كما[4]. ويبدو انتقـالا مـن

---

(١) عناوين الفصول الثانى حتى الخامس من الباب العشرين عن النسخ مـن الناشر جـ٤/٤٤٢-٤٤٤.

(٢) مثل الباب الحادى عشر فى الأخبار موزع بين الجزأين الأول والثـانى جـ١/٨٧-١٣٤، جـ٢/١٣٥-٢٥٨.

(٣) جـ١ (عدد الصفحات) (١٣١)، جـ٢ (١٢٤)، جـ٣ (١٣٢)، جـ٤ (١٩٩)، جـ٥ (١٦٥)، جـ٦ (١٤٢)، جـ٧ (١٦٢)، جـ٨ (١٢٤).

(٤) ٣٨- إبطال القياس فى أحكام الدين (١٨١)، ١١- الأخبار (١٧٢)، ٣- الإجماع (٩٦)، ٤- إبطال التقليد (٩٤)، ٥- الأوامـر والنـواهى (٧٩)، ٦- الأوامر على العموم (٥٣)، ٧- النسخ (٥١)، ٨- إبطال القول بالعلل (٤٥)، ٩- دليل الخطاب (٤٢)، ١٠- استصـحاب الحـال (٤٠)، ١١- إبطال الاستحسان والاستنباط والرأى (٣٦)، ١٢- فى شرائع الأنبياء قبل محمد (٢٣)، ١٣- الاجتهاد (١٨)، ١٤- التفقه فى الدين (١٧)، ١٥- فى أفعال الرسول، النيات فى الأعمال (١٦)، ١٦- الاسـتثناء (١٥)، ١٧- الحق واحد وسائر الأقوال كلها باطـل (١٤)، ١٨- تسـمية الصـحابة، الألفاظ الاصطلاحية (١٣)، ١٩- الحكم بأقل القليـل، الاحتيـاط وقطـع الذرائع، هل الأشياء فى العقل قبل ورود الشرع على الحظـر أم علـى الإباحة، أصول الأحكام فى الديانة وأقسام المعارف (١٢)، ٢٠- الأخـذ بموجب القرآن، تأخير البيان (١٠)، ٢١- فى المجاز والتشبيه (٩)، ٢٢-

الكم إلى الكيف أن أهم الأبواب هو إبطال القياس فى أحكـام الدين ثم الأخبار والإيجاب ثم الإجماع ثم التقليد طبقا لـنفس الجدل المقلوب بين الإثبات والنفى، ثم الأوامر والنواهى، ثم الأوامر على العموم، ثم النسخ من أجل حل التعـارض فـى الأخبار ورد اعتراضات الخصوم، ثم إبطال القول بالعلل، ثم دليل الخطاب، ثـم استصـحاب الحـال، ثـم الاستحسـان والاستنباط والرأى وإبطال كل ذلك للنفى المطلق فى جـدل ذى طرف واحد.

ثم بعد ذلك يتداخل المحايد بين السلب والإيجاب وهـو إلى السلب أقرب مثل شرائع الأنبياء قبل محمد أو شرع من قبلنا، والاجتهاد. وأحيانا يكون إلى الإيجاب أقرب مثل التفقه فى الدين، والنيات فى الأعمال. وأحيانا تكون الموضـوعات أقرب إلى الإعلان عن الموقف المذهبى الظاهرى مثل: الحق واحد وسائر الأقوال كلها باطل، لزوم الشريعة لكل مـؤمن وكافر على الأرض. وأحيانا تكون الموضوعات محايدة تماما

فى أقل الجمع، كيفية ظهور اللغات (٦)، ٢٣- الغرض المقصـود مـن الكتاب، المتشابه فى القرآن والأحكام (٥)، ٢٤- البيان (٤)، ٢٥- الدليل، فهرس الكتاب وأبوابه، الأخذ بموجب القرآن، الشذوذ (٢)، ٢٦- لـزوم الشريعة الإسلامية لكل مؤمن وكافر على الأرض، الكنايـة بالضـمير، الإشارة (١).

مجرد وصف موضوعى له دون إثبات أو نفى أو إعلان موقف مثل الاستثناء والكناية والإشارة، كيفية ظهور اللغات، والغرض من الكتاب وموضوعاته وأقسامه.

وتغيب الأصول والقواعد والأسس والمبادئ التى يقوم عليها علم الأصول وسط هذا الخضم الهائل من الخلاف النظرى حولها. فابن حزم من أصحاب المواقف، يمثل أصول الفقه الظاهرى كما يمثل القاضى النعمان والشيخ المفيد أصول الفقه الشيعى، وأبو الحسين البصرى أصول الفقه الاعتزالى.

ويغلب على الكتاب الطابع الحجاجى، والمنهج السجالى، ليس فقط بين المذاهب الفقهية الأربعة، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية بل أيضا مع الفرق الكلامية من سنة وشيعة، ومعتزلة ومرجئة وخوارج بالرغم من التمييز بين علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. وتذكر المذاهب الفقهية الثلاثة الأولى أكثر مما يذكر المذهب الحنبلى الرابع، فهو آخرها(١).

وتهتم أمثال هذه المؤلفات بالمواقف وليس بالبنية،

---

(١) انظر دراستنا: المذاهب الإسلامية، هموم الفكر والوطن، جـ ١ التراث والغرب والحداثة، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، ص٢٣٩-٢٤٦.

بالحجاج وليس بالقاعدة، بالأسس النظرية التى تنبنى عليهـا القواعد، وليس بالقواعد كأسس نظرية ينبنـى عليهـا علـم الأصول. لذلك تكثر التفصـيلات والجزئيـات والحـوادث وأسماء الإعلام والرواة للنقاش حول الأصل والـدفاع عـن المذهب. فالمذهب أساس القاعدة ولـيس العكـس. وتطـول الحجج والحجج المضادة، ويسهب فى الاعتراضات والردود على الاعتراضات حتى تمحى الغاية من علم الأصول وهـو التجميع، جمع الجزئيات فى الكليات، والفروع فى الأصول.

فى هذا الجو المشحون بالرفض والإقصـاء والجـدال والتعصب والقطعية، وأن الحق مع فرقـة واحـدة والبـاقى هالكة، يعود التحزب الكلامى وينعكس على علـم الأصـول فتضيع الغاية منه. يتحدث ابن حزم باسم ا لأن الآخـرين يتحدثون باسم الشيطان. يعلن عن الحق بينما يعلن الآخرون عن الباطل. وفى هذا التحزب تطلق الأحكام القطعية، وتغيب النسبية، وتضيع القاعدة وسط الإقصـاء المتبـادل. تغيـب الموضوعية والحياد الذى يتسم به "المستصفى" بالرغم مـن أشعريته، مصالح التحزب والتحيز والانزواء. وليس السجال بديلا عن الحوار، ولا الحجاج بديلا عن التعددية المذهبية.

وأحيانا تغلب الأمثلة الفقهية على القواعد الأصولية وتستخدم القاعدة للتحقق من الحكم الفقهى أكثر من استخدام الأمثلة الفقهية الجزئية لاستقراء المبدأ الكلى. كما يراجع ابن حزم صحة الأحكام الشرعية على الأمثلة الفقهية رافضا أحكام المذاهب ناسيا استقراء المبادئ الأصولية العامة بصرف النظر عن الفروق المذهبية واختلاف الأحكام الشرعية. مع أن عنوان الكتاب "الإحكام فى أصول الأحكام" أى إحكام الأصول وليس استخدامها للتحقق من صدق الأحكام على الفروع.

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية الثلاثية وهى تتخلق خلال الأربعين بابا والتسعين فصلا حول الأدلة الأربعة، القرآن فى صيغة البيان، والسنة فى صيغة الخبر[1]. ثم تأتى مباحث الألفاظ الأوامر والنواهى مع النسخ وهو يتعلق بالدليل الأول، القرآن، والإجماع وهو الدليل الثالث[2]. وتظهر مادة أحكام التكليف مثل النية وشرع من قبلنا مع بعض أوجه الاستدلال[3]. وأخيرا يظهر الدليل الرابع نفيا وهو القياس

---

(١) هذا هو الجزء الأول والجزءان الثانى والثالث.

(٢) هذا هو الجزء الرابع.

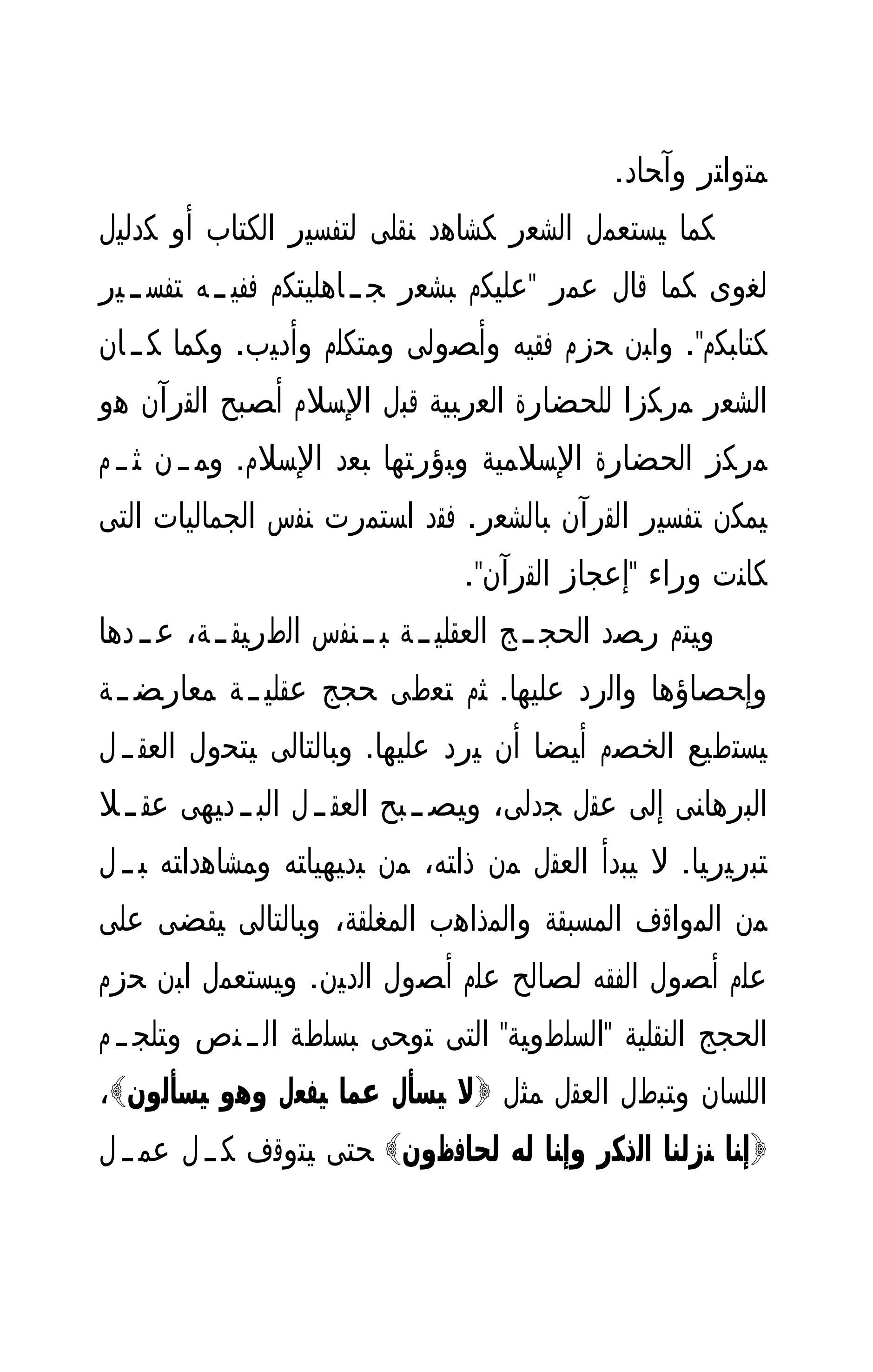
(٣) هذا هو الجزء الخامس.

والاستحسان والاستنباط والرأى والتعليل[1]. وهنا أيضا تكون الأولوية للنقل على العقل كما هـو الحـال فـى الأصـول الظاهرية على حساب الفعل.

وتكثر الشواهد النقلية من القرآن والحديث. وتتكرر نفس الآيات عدة مرات، ونفس الأحاديث فـى عـدة صـياغات وروايات وأسانيد. ويتم إحصاؤها واحدة تلو الأخرى والـرد عليها. ولكل فريق أدلته النقلية الجزئية خارج السياق، أسباب النزول، وخارج المنظور الكلى. يرد ابن حزم علـى حجـج الخصوم ويعيد تأويل شواهدهم النقلية ضدهم. ثـم يسـتعمل نفس المنهج، اجتزاء شواهد نقلية مضادة يستطيع الخصم أن يرد عليها بنفس المنهج، وإعادة تأويلهـا ضـد ابـن حـزم ولصالحهم. وينتهى الفريقان إلى ضـرب الكتـاب بعضـه ببعض، ويضيع الأصل وسط الخصومات المذهبية والتى هى فى الحقيقة مواقف اجتماعية وسياسية ومزاجية فـى الصـلة بين النص والواقع، بين النظر والعمل، بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة. ويستشهد بالآيات القرآنيـة أكثـر ممـا يستشهد بالأحاديث النبوية. فالقرآن أصل الأصول. والحديث

---

(١) هذه هى الأجزاء السادس والسابع والثامن.



متواتر وآحاد.

كما يستعمل الشعر كشاهد نقلى لتفسير الكتاب أو كدليل لغوى كما قال عمر "عليكم بشعر جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم". وابن حزم فقيه وأصولى ومتكلم وأديب. وكما كان الشعر مركزا للحضارة العربية قبل الإسلام أصبح القرآن هو مركز الحضارة الإسلامية وبؤرتها بعد الإسلام. ومن ثم يمكن تفسير القرآن بالشعر. فقد استمرت نفس الجماليات التى كانت وراء "إعجاز القرآن".

ويتم رصد الحجج العقلية بنفس الطريقة، عدها وإحصاؤها والرد عليها. ثم تعطى حجج عقلية معارضة يستطيع الخصم أيضا أن يرد عليها. وبالتالى يتحول العقل البرهانى إلى عقل جدلى، ويصبح العقل البديهى عقلا تبريريا. لا يبدأ العقل من ذاته، من بديهياته ومشاهداته بل من المواقف المسبقة والمذاهب المغلقة، وبالتالى يقضى على علم أصول الفقه لصالح علم أصول الدين. ويستعمل ابن حزم الحجج النقلية "السلطوية" التى توحى بسلطة النص وتلجم اللسان وتبطل العقل مثل ﴿**لا يسأل عما يفعل وهو يسألون**﴾، ﴿**إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ حتى يتوقف كل عمل

عقلى فى النص.

ويقع المذهب، الظاهرية، فى عدة تناقضات. يدافع عـن الظاهر ضد التأويل والرأى والقياس والاستحسان والتعليـل والنظر وفى نفس الوقت ينقد التقليد ويعنى تقليـد المـذاهب الفقهية. وقد يكون التقليد أيضا للحرف. وقد نشأت الظاهرية فى المشرق، فى الكوفة، على يد داود الظـاهرى ربمـا ردا على معتزلة البصرة وبغداد، وأقرب إلى الأثر فى الحجـاز. ثم انتقل المذهب إلى الأندلس بسبب سيطرة الفقهـاء علـى الحياة العقلية والسياسية فيها.

ويحيل "الإحكام" إلى ذاته مما يدل على وحدة عناصـر الكتاب، وضم أجزائه فى كل واحد، وخضوعه لمنطق واحد ورؤية واحدة بالرغم من تناثر الأجزاء. كما يحيل إلى بـاقى مؤلفات ابن حزم الأصولية مثل "النبذ" وهو تلخيص "الإحكام" أو "إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل" وهو ملخص الجزء الثامن والأخير. كما يحيل إلى باقى مؤلفاتـه الفقهية مثل "المحلى" أو الكلامية مثـل "الفصـل فـى أهـل الأهواء والملل والنحل" مما يدل على وحدة المشروع الفكرى لابن حزم.

٦- "الكافية فى الجدل" للجوينى (٤٧٨هـ)[1]. وتبـدو الصلـة بين الجدل فى علم أصول الدين والقياس فـى علـم أصول الفقه. فعلم الأصول واحد وإن اختلف المنهجان. ليس الغرض منه تأسيس علم الأصول بل رصد الخلافيات بـين الأصوليين. فى علم مستقل فرعى هو "علم الجدل" أو "علـم الخلافيات". الجدل شفاهى، والقياس مدون. الأول منـاظرة، والثانى استدلال. موضوع الكتاب هو الخلافيات فى الأقيسة، وإخضاعه لمنطق محكم، والتحول من المعارضة الجدلية إلى الاعتراض القياسى. ومع ذلك يغلب الجدل الكلامـى علـى القياس الأصولى، ويتمتع بدرجة عالية من التنظير، والـرد مسبقا على الاعتراضات فى أسلوب "فإن قيل... قيـل". ولا غرابة على الجوينى فى ذلك وهو أول من وضع نسق العقائد فى علم أصول الدين فى "العقيدة النظامية". وقد انعكست هذه القدرة على تلميذه الغزالى فى "المستصفى".

وتقل الأدلة النقلية، ويغلب التحليل العقلى الخالص. ومع

(١) إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد ا بـن يوسـف الجـوينى الشافعى: الكافية فى الجدل، وضع حواشيه خليل المنصـور، دار الكتـب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ذلك تفوق الآيات القرآنية الأحاديث النبوية [1]. وتبرز البنيـة من إشكال النقل والعقل فى علم أصول الدين. فالدليل إما خبر أو نظر. والخبر إما كتاب أو سنة أو إجماع. والنظـر هـو القياس. ومن ثم تنتظم الأدلة الشرعية الأربعة فى علم أصول الفقه فى موضوع النقل والعقل فى أصول الـدين. يتضـمن النقل الأدلة الثلاثة الأولى فى حين يشير النظر إلـى الـدليل الرابع وحده. والسؤال هو: إذا كان القرآن والحـديث خبـرا فإن الإجماع ليس كـذلك. هـو تجربـة مشـتركة، اتفـاق واختلاف، ووجود أمة خارج الـنص[2]. وإذا كـان الخبـر يحكمه منطق الألفاظ فإن النظـر تحكمـه قواعـد القيـاس. وكلاهما تعبير عن الواقع الجديد الذى يستدعى حكما فى بيئة يصدر سلوك الأفراد والجماعات فيها عن منطق الأحكام.

ومع ذلك يمكن استكشاف البنية الأصولية مـن خـلال الجدل الكلامى. فالكتاب يتكون من سبعة وعشرين فصلا بعد مقدمة عن تحديد أهم المصـطلحات الأصـولية. الفصـلان الأولان فى طريق معرفة الأحكام وكيفيته. والآخـران فـى التعلق بالإجماع والمعانى. وكل الفصول التالية فى القيـاس

---

(١) الآيات (١٢٤)، الأحاديث (٥٨).

(٢) السابق جـ ١/٥٥.

والعلة والقلب والعكس والتأثير واستصحاب الحال والـدليل والتقسيم والمعارضة والترجيح وآداب الجـدل والمنـاظرة. وواضح فى البنية الثلاثية الضمنية أولوية العقل على النقـل وغياب الفعل. والخير فى استعمال القرآن والشـعر كأمثـال وحِكَم حين يتعدى أهل الجدل على بعضهم البعض. فـالقرآن تجربة شعرية، والشعر تجربة دينية. ويتم الاستشهاد بالشعر وبلسان العرب. ومن الشعراء يـذكر المتنبـى والفـرزدق والكميت[1]. وتبين هذه القسمة أن أصول الفقه تطـور لعلـم الجدل والتحول من الخصم إلى النص[2].

---

(١) الشعر (١١)، لسان العرب، المتنبى، الفرزدق، الكميت (١).

(٢) ١- طريق معرفة الأحكام فى الشرع ٢- كيفية الحصول على الحكم ٣- النطق بالإجماع ٤- المعانى والتعلق بها ٥- كيفيـة الاعتـراض علـى القياس ببيان فساد الوضع والجواب عنـه ٦- القـول بموجـب العلـة ومقتضاها ٧- الاعتراض على الأدلة بالمناقضة ٨- القلب والعكـس ٩- بيان ما يدفع به القلب ١٠- بيان عدم التأثير ١١- القياس بوجوه الفـرق ١٢- الجواب عن الفرق ١٣- صحة الاحتياج بالعلة المأخوذة من أصلين بين الخصمين متفقى الحكم مختلفى موجـب الحكـم ١٤- بيـان وجـه التصرف عند التعلـق بالقيـاس ١٥- التعلـق بـالأولى ١٦- التعلـق باستصحاب الحال ١٧- التعلق بعدم الدليل وبأن النافى هل عليه دليـل؟ ١٨- التعلق بالتقسيم ١٩- بيان ما لا يصح من الاعتراضات وما أحـدث من الرسوم الفاسدة ٢٠- المعارضة ٢١- أحكام المعارضة ٢٢- الترجيح وبيان وجوهه وأقسامه ٢٣- ترجيحات المعانى والعلل ٢٤- آداب الجدل ٢٥- بيان حيل المتناظرين ٢٦- وجوه الانتقال والانقطـاع ٢٧- فيمـا

وتقل أسماء الأعلام. ومع ذلك يتقـدم الشـافعى علـى الإطلاق أو "الرسالة". ويتلوه أبو حنيفة والأوزاعى والنخعى وأبو اسحق وأبو الحسن "شيخنا". ومن المعتزلة يحال إلى أبو هاشم والجبائى[1]. ومن الفرق الكلامية يحال إلى المعتزلـة القدرية. المعتزلة فى الحسن والقبح العقليين، والقدرية فـى خلق الأفعال، وهما فرقة واحـدة. والفرقـة الغالبـة هـى "أصحابنا"، "أهل التحقيق" على الكل أو على التبعـيض فـى مقابل "أصحابكم"[2].

وهناك صواب وخطأ كما يظهر مـن عبـارات مثـل: "والصحيح"، "وهذا غلط جدا"، "وقد أخطأ قوم"... الـخ. ولا فرق فى ذلك بين المتقدمين والمتأخرين. ومن الفـرق غيـر الإسلامية يشار إلى أهل الكتاب. ومن فقه المناطق يذكر أهل

يستعمل من ذكر الأمثال والحكم عند تعدى أهل الجـدل بعضـهم علـى بعض.

(١) الشافعى (٩) الرسالة (١)، أبو حنيفة، اسحق، الأوزاعى، النخعى، أبـو الحسن، الأستاذ. أبو هاشم، الجبائى (١).

(٢) أصحابنا (٥)، أهل التحقيق، جمهـور أهـل النظـر (٢)، المتكلمـون، أصحابكم، أهل الكتاب (١).

العراق[1].

٧- "أصول السرخسى" (٤٩٠هـ)[2]. وتغيب البنية فيه مثل باقى أصول الحنفيـة "أصـول الجصـاص" و"أصـول البزدوى"، وربما "أصول الكرخى". يكفى وضـع الأصـول دون تجميعها فى بنية واحدة تنتظمها. لذلك تغيب العنـاوين المميزة لكتب الأصول. وتضم تسعة عشر بابا، وكل باب من عدة فصول، أكبرها اثنا عشر فصـلا، وأصـغرها فصـل واحد[3]. وبعض الفصول بلا عناوين نظرا لأنها لا تدخل فى صلب البنية[4].

---

(١) "والصحيح"، الكافية جـ٣٠٥/٢٥/٢، "وهذا غلط جدا" جـ١١٤/٢، "وقد اخطأ قوم" جـ٣٠٦/٢، "وقد غلط بعض المتأخرين" جـ١١٣/٢، "لـيس من عادة المتقدمين" جـ٢٤٤/٢، أهل العراق جـ٢٩٤/٢.

(٢) الإمام الفقيه الأصولى النظار أبو بكر محمـد بـن أحمـد بـن سـهل السرخسى: أصول السرخسى (جزءان)، دار المعرفة للطباعـة والنشـر، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٣) ١- الأمر (٦)، ٢- النهى (٥)، ٣- صيغة الخطـاب (٤)، ٤- صـيغة الخطاب (٤) ٥- معانى الحروف (١٢)، ٦- الظاهر والـنص (١)، ٧- الحجة الشرعية (٨)، ٨- أخبار الآحاد (٧)، ٩- الشهادة والروايـة (٢)، ١٠- البيان (٢)، ١١- النسخ (٤)، ١٢- أفعال النبى (٧)، ١٣- القياس (٦)، ١٤- الاحتجاج (٤)، ١٥- الاعتراض (٤)، ١٦- التـرجيح (٣)، ١٧- الاعتراض على العلل (٤)، ١٨- أقسام الأحكام (٥)، ١٩- أهليـة الحقوق (١).

(٤) أصول البزدوى جـ٢١٧/١-٢٣٥/٢٥٥-٢٧٧.

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية وهى تتخلق ابتـداء مـن مباحث الألفاظ حتى الأدلة الأربعة. إذ تضم مباحث الألفـاظ معظم أبواب الكتاب[1]. ثم يأتى بعدها القياس ثم السـنة ثـم الكتاب، وأصغرها الإجماع[2]. أما من حيث الفصول فأكثرها الأدلة الشرعية الأربعة ثـم مباحـث الألفـاظ ثـم أحكـام التكليف[3]. ولم تستقر بعـد مباحـث الألفـاظ مـن حيـث مصطلحاتها. إذ يشار إلى صيغة الخطـاب وتعنـى العـام والخاص والمحكم والمتشابه، والظاهر والنص يعنيان الظاهر والمؤول[4]. وتظل أحكام التكليف مطوية داخل مبحث الأمر والنهى قبل أن تستقل وتصبح ثمرة العلم. فالأولويـة للعقـل على النقل وعلى حساب الفعل.

وقد استطاع السرخسى فى أصوله تلمس البنية الثلاثيـة والمرور عليها دون التوقف عندها بأن تمام الفقه لا يكون إلا

---

(١) مباحث الألفاظ (عدد الأبواب) (٧)، الأدلة الشرعية الأربعة (١٠)، أحكام التكليف (٢).

(٢) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٢٩٣)، القياس (١٧١)، السنة (١٢٣)، الكتاب (٣٥)، الإجماع (٢٦).

(٣) الأدلة الشرعية الأربعة (عدد الفصول) (٤٩)، مباحـث الألفـاظ (٣٤)، أحكام التكليف (٦).

(٤) أصول السرخسى جـ ١٢٤/١-١٩٩.

باجتماع ثلاثة أشـياء: المشـروعات أى الأدلـة الأربعـة، والإتقان فى معرفتها من النصوص، ألفاظها ومعانيها وهـى مباحث الألفاظ، ثم العمل بها، فغاية العلـم العمـل، وهـى مباحث المقاصد والأحكام[1]. فحمل المشروعات بـلا علـم يكون رواية، والعالم بالمشروعات دون العمل به فهو فقيـه ناقص وليس فقيها كاملا، والعالم به فقيه نسبى وليس فقيهـا مطلقا وهو يساوى ألف عابد دون علم. فالمتقدم هـو الفقيـه المطلق، وهو خير من ألف عابد يجمع بين العلم والعمل مثل أبو حنيفة وأبى يوسف والشيبانى[2].

ولا يوجد حجاج كلامى أو فقهى بل تأصيل للأصول. إذ يهدف الكتاب إلى بيان أوجه الاتفاق على الأصـول ولـيس الاختلاف فيما بينها إلا بقدر ما يسمح بـه الأصـل. يخلـو الكتاب من الخلافيات والجدليات والسجاليات. وينم عن روح

(١) "غير أن تمام الفقه لا يكون إلا باجتماع ثلاثة أشياء: العلم بالمشروعات، والإتقان فى معرفة ذلك بالوقوف على النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها ثم العمل بذلك، فتمام المقصود لا يكون إلا بعد العمـل بـالعلم. ومن كان حافظا للمشروعات من غير إتقان فى المعرفة فهو مـن جملـة الرواة. وبعد الإتقان إذا لم يكن عاملا بما يعلم فهو فقيه مـن وجـه دون وجه. فأما إذا كان عاملا بما يعلم فهو الفقيه المطلق"، أصول السرخسـى جـ ١/١٠.

(٢) السابق جـ ١/١٣٢/٣٠٢/٣٣٣/٣٦٨، جـ ٢/٢٠١.

صافية هادئة بسيطة تأملية رفيعة. وتذكر الاختلافات الفقهية فحسب وبأدب الاختلاف، رصد دون حجاج بطريقـة "فـإن قيل... قلنا". ويريد التركيز دون الإطالة(1).

و"أصول السرخسى" على وعى بهذا الشـكل الأدبـى، الانتقال من شرح الشيبانى إلى التأليف فى الموضوع، مـن الشرع إلى بنيته، ومن الفروع إلـى الأصـول. والأصـول محدودة والحوادث ممدودة(2). والكتاب على وعـى بتطـور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين، وبالاتباع دون الابتـداع، وأنه أقرب إلى المتقدمين منه إلى المتـأخرين، عـودا إلـى الأصول الأولى.

وبالرغم من أن علم الأصول علم إسلامى خالص إلا أنه علم مقارن بأصول الديانات الأخرى، اليهودية والنصـرانية والمجوسية والزرادشتية كما هو الحـال فـى علـم الكـلام

---

(1) السابق جـ ٢/١١.

(2) "ولما انتهى المقصود من ذلك رأيت من الصـواب أن أبـين للمقتبسـين أصول ما بنيت عليها شرح الكتب ليكون الوقوف على الأصول معينا لهم على فهم ما هو الحقيقة فى الفروع، ومرشدا لهم إلى ما وقع فى الإخلال به فى بيان الفروع. فالأصول محدودة والحوادث ممدودة. والمجموعـات فى هذا الباب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين. وأنا فيما قصـدته بهـم مـن المقتدين. رجاء أن أكون من الأشياع. فخير الأمـور الاتبـاع، وشـرها الابتداع"، أصول السرخسى جـ ١/١٠.

والحديث عن الفرق غير الإسلامية والمقارنات فـى النسـخ اليهودية. فيذكر زرادشت(١).

ونظرا لأنها أصول حنفية، تغلب الأدلة العقليـة علـى الأدلة النقلية. وتغلب الآيات القرآنية على الأحاديث النبويـة. وبطبيعة الحال تقل فى القياس(٢). ويتم اللجوء إلـى الشـعر الربى، فهو ديوان الجاهلية الذى به تفسير الكتاب كمـا قـال عمر(٣). ويذكر زهير من الشعراء. كما يتم الاعتمـاد علـى كلام العرب وعاداتهم فى الاستعمالات اللغوية(٤).

ومن حيث أسماء الأعلام يتصدر الشافعى على الإطلاق بالرغم من أن الأصول حنفية لأنه واضع علم الأصول، ثـم أبو حنيفة، ثم صاحبه الشيبانى، ثم صاحبه الثانى أبو يوسف. ويتلوهما من الصحابة عمر، ثم عبد ا بن مسعود. ثم على وابن عباس حبر الأمة. ثم يأتى الكرخى فى أصوله الحنفيـة وزفر صاحب أبى حنيفة. ومن أصحاب أبى حنيفـة يـذكر عيسى بن أبان. ومن أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة يذكر

---

(١) السابق جـ ٣٧٤/٢٨٧/٢٨٢/١، جـ ٣٢٨/١٠٢/٢٢/٢.
(٢) الآيات (٧١٩)، الأحاديث (٣٦٨)، الشعر (١٣).
(٣) السابق جـ ٢٧٦/٢٣٢/٢٣٠/٢١٦/٢٠١/٣٩٨/١٩٠/١٦٥/١١٢/١٥/١-٢٧٧، جـ ٣٤٦/٣٠١/٢.
(٤) السابق جـ ٢٢٧/٢٠٠/١٧٨/١٢٥/١.

مالك بن أنس، وعشرات آخرين مـن الصـحابة والـرواة والفقهاء[1].

ويحيل السرخسى إلى باقى أجزاء العمل مما يدل علـى وحدته[2]. كما يحيل إلى باقى مؤلفاته مما يدل علـى وحـدة فكره ومشروعه[3].

---

(١) الشافعى (١٣٦)، أبو حنيفة (١٣٢)، الشيبانى (١١٤)، أبو يوسف (٧٨)، عمر (٥١)، ابن مسعود (٢٨)، على، ابن عباس، أبو بكر الصديق (٢٦)، الكرخى، زفر (١٩)، الجصاص (١٦)، ابن عمر (١٢)، عائشة، عيسـى ابن أبان، معاذ، عثمان (١٠)، إبراهيم، موسى (٩)، أنس بن مالك، مالك بن أنس، محمد الرسول (٨)، المسيح، أبو سنان (٧)، أبو هريرة، بريرة، أبى بن كعب (٦)، زيد بن ثابت، هاشم بن عبد مناف، محمـد الرسـول (٥)، إبراهيم النخعى، الحسن البصرى، الشعبى، سعيد بن المسـيب، آدم، جبريل (٤)، بلال، سلمان الفارسى، فاطمة بنت قيس، معاذ، الحسن بـن زياد، الكوفى، سعيد بن المسيب، الشعبى، ابن سيرين، بلال، أبـى بـن= =كعب، نوح، الفراء (٣)، ذو اليدين، النظام، مسروق، قتادة، الزهـرى، عمرو بن العاص، سلمة بن المحرق (٢)، الفضل بن عباس، المغيرة بن شعبة، ابن سيرين، الأعمش، قتادة، محمد بن شجاع، مسيلمة، يزيـد بـن الأصم، عمار بن ياسر، عبد الرحمن بن عوف، زينب، زيد بـن ثابـت، حبير بن عاصم، جابر الأنصارى (١).

(٢) السابق جـ ١/١٢٨/١٦٦/٢٢٣، جـ ٢/٣٠٣.

(٣) السابق جـ ١/٢٢٧.

رابعا: تشكّل البنية.

١ - "مقدمة فى الأصول" للجبيرى المالكى (٣٧٨هـ)[1]. وكما نشأ علم الأصول عند الشافعى (٢٠٤هـ) لتقنين الشافعية كذلك نشأ علم الأصول عند المالكية لتقنين المالكية.

وقد تشكلات البنية حول النص والاستدلال والمصلحة وهى الوحدة الثلاثية بين الوحى والعقل والواقع. وكان الدافع هو أن فى الأوامر والنواهى الجلى والخفى، والظاهر والباطن. فلو كانت كلها جلية لارتفع الخلاف بين الفقهاء والأصوليين، ولما احتاجوا إلى تفكر وتدبير ونظر واستدلال، لا فرق بين علم وجهل، ولكان العلم كله طباعا. والخفى لا يعلم بنفسه وإلا كان جليا. والنص الخفى غير مكتف بذاته ولا يستغنى عن جلى يدل عليه. ومن ثم وجب الاستنباط والخلاف بين المستنبطين فى النظر المؤدى إليه. وهنا لزم

---

(١) الفقيه أبو عبيد القاسم بن خلاف الجبيرى المالكى (٣٧٨هـ): مقدمة فى الأصول، مسئلة من كتاب "التوسط بين مالك وابن القاسم فى المسائل التى اختلفا فيها من مسائل المدونة"، المقدمة فى الأصول، قراءة وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٢٠٧-٢١٥.

أن يسلم النظر من الآفات حتى يصيب مطلوبه، وصدقه عن طريق إجماع أهل العلم واتفاقهم على الحكـم فـى الحادثـة موضوع النظر. وإذا كان فى الاختلاف نـص، فالأولويـة للنص. وإن غاب النص فالأولوية لمـذهب مالـك لأن لـه منزلتين: ضبط الآثار وحسن الاختيار، ظاهر النص واتفـاق الأمة وإجماع أهل المدينة. وهو إما استنباط وإمـا توقيـف. والأول يتفق عليه أهل الأمصار. والثانى معترض على خبر الواحد به مثل الحكم على السنة التى لا نص فيها اسـتدلالا على السنة التى بها نص. ولا مدخل للعقل فى التوقيف. فإذا انعدم الكتاب والسنة واتفاق الأمة وإجماع أهل المدينة "فـزع إلى العبرة" أى إلى النظر للحكم على الفرع بحكم الأصـل. فالأصول الشرعية إذن خمسة: الكتاب والسنة واتفاق الأمـة وإجماع أهل المدينة والعبرة. وربما عدل مالـك عـن هـذه الأصول إما لخفاء العلة أو لضرب من المصلحة طبقا للحكم بالأصلح فيما لا نص فيه ما لم تعارض نصا أو دليلا. فلربما للحكم غاية أخرى وهو نادر. لذلك كان التمسـك بالأصـول الخمسة لأنها أولى بالاتباع من احتمال يجوز عليـه السـهو والخطأ. وهذا هو سبب مخالفة بعض أصحاب مالك له نظرا

لحكمه على الحادثة خارج الأصول. وقد يختلف الحكم فـى المسألة الواحدة بحيث لا يمكن الجمع بينهما وذلك لاخـتلاف الأدلة والشبهات، والفرق بين العلم والعمل. وهذا هو سـبب خلاف أصدق أصدقائه عبد الرحمن القاسم له. وكانت الغاية من وضع هذه المقدمة ضبط المسائل المختلف عليهـا فـى المدونة، وتوسط القول العدل بينها مع تأييد كل حكم بالأدلـة الشرعية والعقلية، من الكتاب والسنة واتفاق الأمة أو إجماع أهل المدينة أو العبرة. و"مفتاح معالم التنزيل ومستقر دلائـل التأويل" علم لا ينتهى(1). ومن ثم تتشكل بنية خماسية، إضافة لعمل أهل المدينة على الأدلة الشرعية الأربعة. ولأهمية مـا تفرد به مالك يسمى الإجماع اتفاق الأمة، ويسمى عمل أهـل المدينة "إجماع أهل المدينة" أشبه بالإجمـاع الخـاص عنـد الشيعة إجماع "العترة" أى أئمة آل البيت. والحجـج النقليـة وأسماء الأعلام قليلة للغاية(2). وواضح هنا أولوية النقل على العقل وغياب الفعل.

---

(١) وكان الدافع أيضا الامتثال لأمر الإمام الحاكم المستنصـر بـا أميـر المؤمنين المؤتمر بأمر ا الذى تفرد بـالعلم والفضـل ووصـل خيـره للقاضى والدانى، السابق ص٢١٤-٢١٥.

(٢) الآيات (٣)، مالك (١).

٢- "الورقات" للجوينى (٤٧٨هـ)[1]. مقال سيال صغير بلا أبواب أو فصول يعطى مادة علم أصول الفقه مرة واحدة فى عبارات بسيطة مجملة دون سجال أو جدل مع الآراء المخالفة والمذاهب المعارضة. هو أقرب إلى التعريفات والحدود، الحد الأدنى من الاتفاق على قواعد العلم وأصوله، الهيكل العام قبل أن يضيعه الجوينى فى "البرهان" مطولا، والغزالى تلميذه فى "المستصفى" مبرهنا عليه.

تغلب عليه التحديدات العقلية اللغوية وتعريف المصطلحات، وتغيب منه الحجج النقلية إلا فى أقل الحدود[2]. والقرآن أكثر من الحديث. ويخلو من أسماء

---

(١) إمام الحرمين: الورقات، مجموع متون أصولية، طبع على ذمة محمد هاشم الكتبى وأخيه. يباع بالمكتبة الهاشمية بدمشق مع تعليقات مقتبسة من الشروح والحواشى فى العشر الأخير من رمضان بدمشق على يد جمال الدين القاسمى سنة ١٣٢٤ ص٢٧-٣٩. وله طبعة أخرى فى حاشية الدمياطى على شرح الورقات للعالم العلامة والحبر الفهامة وحيد عصره وفريد دهره الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى على شرح الورقات فى أصول الفقه للإمام جلال الدين المحلى رحمهما الله آمين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة (د.ت). ولا يتجاوز إثنى عشرة صفحة.

(٢) أربع آيات، ثلاث منها لضرب المثل بالمجاز، زيادة فى ﴿ليس كمثله شىء﴾، ونقصانا فى ﴿واسأل القرية﴾ واستعارة فى ﴿جدرا يريد أن ينقض﴾، ورابعة لدخول الكفار فى المخاطبين بفروع الشرائع فى ﴿قالوا

الأعلام والكتب. وهو النص الذى تحول فيما بعد بعد مزيـد من الإسهاب وإبراز البنية فى "المستصفى" للغزالى.

فبعد تعريف العلم " أصول الفقه" تبرز أحكام التكليـف لأول مرة قبل "المستصفى". وهى خمسة لا سبعة، الواجـب والمندوب والمباح، والمكروه والمحظور، وإضافة الصـحيح والفاسد اللذين سيصبحان خمسة فى "الموافقات" للشاطبى فى أحكام الوضع. ثم يتم تحديد الفقه والعلـم والجهـل والنظـر والدليل وكأن أحكام التكليف جزءا من حدود العلـم الأولـى وأحد مداخله. ثم تبدو أبواب أصول الفقه من خـلال أقسـام الكلام، وهى مباحث الألفـاظ، طـرق الاسـتثمار بتعبيـر "المستصفى"، الأمر والنهى، الخاص والعام، المجمل والمبين، الظاهر (دون المؤول). وتدخل معها الأفعال، وهـو الـدليل الثانى، السنة، والناسخ والمنسوخ، وهو الدليل الأول، القرآن، ثم الإجماع، الدليل الثالث. ثم تظهر الأخبار، عودا إلى الدليل الثانى ثم القياس. ثم تظهر حدود أحكام التكليف من البدايـة

لم تك من المصلين﴾، وخامسة فى الأفعال ﴿لقد كان لكم فى رسـول ا أسوة حسنة﴾، السابق ص٢٩-٣٠ . والأحاديث الأول فـى الإجمـاع "لا تجتمع أمتى على ضلالة"، والثانى فى الاجتهاد "من اجتهد وأصاب فلـه أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد"، السابق ص٣٤/٣٩.

فى النهاية مثل الحظر والإباحة. وتنتهى الموضوعات بملحق القياس مثل ترتيب الأدلة، وصفة المفتى والمستفتى وأحكـام المجتهدين.

وتبدأ مباحث الألفاظ بما سـماه "المستصـفى" المبـادئ اللغوية، الاسم والفعل والحرف، وقسمة الكلام إلى أمر ونهى وخبر واستخبار، وتمن وعرض وقسـم، وحقيقـة ومجـاز، وقسمة الحقيقة إلى لغوية وشرعية وعرفية. ثم يظهر الأمـر والنهى، والعام والخاص، ومعه الاستثناء والشـرط والمقيـد (دون المطلق) والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول. ثم تعود الأفعال. ثم يظهر النسخ ثم الإجماع ثـم الأخبـار وأخيـرا القياس وأنواعه، قياس العلة وقياس الدلالة وقيـاس الشـبه، وشروط العلة والحكم. وتعـود أحكـام التكليـف، الحظـر والإباحة، للظهور داخـل الـدليل الرابـع قبـل الانتهـاء باستصحاب الحال والأدلة وشرط المفتى والمسـتفتى، ونقـد التقليد وإثبات الاجتهاد. وهنا يتقدم الفعل لأول مـرة علـى العقل والنقل وكما سيتضح فى "المستصفى" للغزالى وربمـا لأولوية العمل على النظر فى التصوف.

٣- "التقريـــب والإرشـــاد" (الصـــغير) للبـــاقلانى (٤٠٣هـ)[١]. وتغيب البنية فيه بالرغم من أنه شافعى ينتسب إلى "الرسالة" ويطورها. تغيب عنها القسمة الواضحة إلا من قسمة ثلاثية طبقا للأجزاء الثلاثة. الأول فى مباحث الألفاظ، والثانى فى الأمر والنهى، والثالث فى العموم والخصـوص، وهى أيضا من مباحث الألفـاظ. وبالتـالى تغلـب طـرق الاستثمار على المستثمِر وهى الأدلة الشرعية الأربعة وعلى أحكام التكليف وهى الثمرة. أكبرها الثالث ثـم الثـانى ثـم الأول[٢]. ومن ثم تكون الأولوية للعقل على النقل على حساب الفعل. وتتضمن بعض الأبواب فصولا بعنـاوين أو بـدون عناوين. وقد يظهر لفظ "القول" أو "الكلام" قبل الباب مما يدل على قسمة أكبر[٣]. وأحيانا تتفرد بعض العناوين بين الفصول

---

(١) الباقلانى: التقريب والإرشاد (الصغير)، قدم له، وحققه وعلـق عليـه د. عبد الحميد بن على أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ثلاثة أجزاء).

(٢) الثالـث (عـدد الفصـول) (٦٢)، الثـانى (٥٢)، الأول (٤٥). (عـدد الصفحات): الثالث (٤٢٧)، الثانى (٣٦٤)، الأول (٢٨١).

(٣) مثل: القول فى حقيقة الفقه وأصوله جـ١٧١/١، القول فى حـد العلـم وحقيقته جـ١٧٤/١، القول فى حد الحد جـ١٩٩/١، القول فى الفصـل بين الدليل والدال والمدلول له جـ٢٠٧/١، القول فى أن النظر الصـحيح لا يولد العلم جـ٢١١/١، القول فى الوجوه التى من قبلها يخطئ النـاظر

والأبواب والقول والكلام[1].

وتتفاوت الأبواب من حيث الكم. أكبرهـا بـاب إثبـات الأسماء العرفية فـى الجـزء الأول. وكلهـا أقـرب إلـى الصغر[2]. وأكبرها فى الجزء الثانى "أدلة من حمل "افعـل" على الوجوب والرد عليهم"[3]. وأكبرها فى الجـزء الثالـث "شبه القائلين بالعموم ورد الباقلانى عليها"[4]. والكتاب وجيز فى مقابل الوسيط والكبير. فأنواع الشروح الثلاثة الأصـغر والأوسط والأكبر التى عرف بها ابن رشد فى شروحه مـع أرسطو معروفـة عنـد الأصـوليين مـن أجـل التركيـز والإسهاب[5].

ومع ذلك يمكن الكشف عن بنية تتخلق، تبدأ بتحديد العلم

فى نظره جـ ٢١٩/١، القول فى الأمر ما هو؟ جـ٥/٢، القول فى العموم والخصوص جـ ٥/١، الكلام على القدرية فى حـد العلـم جـ ـ ١٧٨/١، الكلام فى أقسام العلوم جـ ١٨٣/١، الكلام فى الأوامر جـ٥/٢، الكـلام فى دليل الخطاب وأقوال العلماء فيه جـ٢٣١/٣.

(١) السابق جـ ٣٦٧/١-٣٨٧، جـ١٢٤/٢-١٢٩.

(٢) أصغرها صفحة واحدة.

(٣) السابق جـ٥٠/٢-٧٢.

(٤) السابق جـ٢١/٣-٥٠.

(٥) من النقل إلى الإبداع مجـ١ النقل جـ٣ الشرح.

والنظر كما هو الحال فى علم أصول الدين[1]. ثـم تظهـر أحكام التكليف[2]. ثم يعود تحديد علم أصول الفقه ووجوبـه وترتيبه وأقسامه ومباحثه قبل أن تبدأ مباحـث الألفـاظ[3]. وتضم الحقيقة والمجاز. وتحليل الأوامر أكثر من النهـى[4]. والأوامر جمع والنهى مفرد. ويشمل العموم والخصـوص، الاستثناء والمطلق والمقيد والبيان وبعض المفاهيم الأخـرى مثل الشرط التى ستصبح فى "الموافقات" جزءا من "أحكـام الوضع". هناك إحساس بالبنيـة لا يتجـاوز ترتيـب العلـم وأقسامه ومباحثه، مادة دون صورة[5]. ولما كان العلم مازال فى طور التشكل تغلبت عليه التعريفات والحدود بالرغم مـن أن الأبواب والفصول. تعطى عبارات شـارحة أكثـر ممـا تعطى تصورات وحدود. وتغيب الأدلة الأربعة كبنية متميزة. وتنضم كلها تحت مبحث الألفاظ. فـالقرآن والسـنة كمـتن تخضع للمبادئ اللغوية. وباب "طريق معرفة مراده تعـالى" أقرب إلى السنة كمتن، والرسـول ومعجزاتـه وكـلام ا

(١) السابق جـ ١/١٧١-٢٣١.
(٢) السابق جـ ١/٢٣٢-٣٠٢.
(٣) السابق جـ ١/٣٠٣-٣١٥.
(٤) الأوامر (٣١٢)، النهى (٥١) أى حوالى السدس.
(٥) السابق جـ ١/٣١٠-٣١٥.

المخلوق، وهى موضوعات كلامية وفلسفية وليست أصولية[1]. والقياس ممنوع فى الأسماء[2]. والإجماع غائب تماما.

والكتاب سجالى حجاجى. يعتمد منهج الجدل والكلام. فالعلم واحد هو علم الأصول بشقيه، أصول الدين وأصول الفقه. لذلك يرصد الباقلانى آراء المتكلمين والفقهاء معا. ويظهر أسلوب الردود على الشبهات، ورصد الأدلة وتفنيد أدلة الخصوم، وتخيل الاعتراض مسبقا والرد عليه. "فإن قيل... قيل". والأسلوب قطعى. يعرف الباقلانى الحق وهو فرقته الكلامية، الأشعرية، ومذهبه الفقهى، الشافعية. وبطبيعة الحال يتصدر المعتزلة فى الردود عليهم ثم الخوارج. الأصحاب والمشايخ هم أهل الحق، الفرقة الناجية وغيرها من الفرق الهالكة[3]. الأولى تقرر وتصحح، والثانية تزعم.

---

(١) السابق جـ ١/٤٢٩-٤٤٤.

(٢) السابق جـ ١/٣٦١-٣٦٣.

(٣) فى الجزء الأول: المعتزلة (القدرية) (٢٤)، الفقهاء (١٠)، المتكلمون (٨)، الخوارج (٧)، أصحابنا، الأشاعرة، شيوخنا أهل الحق (٦)، أصحاب أبى حنيفة، أهل العراق (٤)، البراهمة، المجوس (٣)، الدهرية، أهل الدهر (٢)، نوابت القدرية (١). الجزء الثانى: المعتزلة (القدرية) (٢٧)، الفقهاء (١٠)، المتكلمون (٧)، أهل العراق (٥)، أهل الظاهر (٤)، أصحاب الشافعى (٢)، أصحاب أبى حنيفة، أصحاب مالك، أصحابنا، أهل

الحق مع الأولى، أهل الحق، أهل السلف، والثانية الشذوذ من الفقهاء. والحق معروف سلفا كما تدل على ذلـك المقـدمات الإيمانية واللوازم مثل "إن شاء ا "، "ا أعلـم"[1]. وتـذكر بعض الفرق غير الإسـلامية مثـل البراهمـة والمجـوس، والثنوية، والوثنيون والدهرية امتدادا لتاريخ الأديان من علـم أصول الدين إلى علم أصول الفقه[2]. ولا يذكر أحمـد بـن حنبل ربما لعدم حضوره فى هذا الوقت المبكر مثل حضوره فى القرون المتأخرة. ويـذكر مـن كـل فرقـة المتقـدمين والمتأخرين بداية بلورة الوعى التاريخى[3].

ويجمع بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية. تكثـر الأدلـة العقلية فى البداية حيث تعرض الأمور حول تحديـد العلـم

الإثبات، أهل المدينة، أهل اللغة، البراهمة، الثنوية، المجوس، الوثنيـون (١). الجزء الثالث: أهل اللغة (٣٤)، أهل العراق (١٤)، الشافعية (١٠)، المتكلمون (٩)، أهل الوقف، الحنفية، الفقهاء، القدريـة (المعتزلـة) (٨)، أصحاب العموم (٦)، المالكية (٥)، الأشاعرة (٢)، وستة فرق أخرى من بطون قريش.

(١) السابق جـ ٢٤٢/١.

(٢) هناك إمكانية دراسة الصلة بين العلمين عنـد المتكلمـين الفقهـاء مثـل الجوينى فى "الإرشاد" و"البرهان"، الغزالى فى "الاقتصاد" و"المستصفى"، ابن حزم فى "الفصل" و"الأحكام"، القاضى عبـد الجبـار فـى "المغنـى" و"العمد".

(٣) جـ ٣١٠/٣٠١/١١٨/٣.

والنظر، عرضا عقليا خالصا. وهنا يظهر الحجـاج وتكثـر ألفاظ الأدلة والبراهين والحجج والشبه. وكثيرا مـا تنتهـى الفقرات بلازمة "فصح بذلك ما قلناه" أو "فبطل ما قـالوه" أو "فسقط ما قالوه". فالحجاج كله لإثبـات صـحة رأى الـنفس وإبطال الرأى الآخر[1]. وتوجد عنـاوين بأكملهـا للإبطـال والرد. فهناك صواب وخطأ، حق وباطل، صحيح وفاسد مع أنها كلها مواقف اجتماعية وسياسية تبحث عن شرعيتها فـى الفكر[2]. وهناك الدهماء أو الجمهور، فكر الأغلبية فى كـل فرقة. فالفرقة ليست على رأى واحد. ويظهر فقه الأمصـار والمناطق الجغرافية خاصة أهل العراق. وفى الأدلة النقليـة

---

(١) السابق جـ٢، مثلا "فبطل ما قالوه" جـ٢/٢٩٢/٢٩٥/٢٩٦، "فلم يلزم ما قالوه" جـ٢/٢٩٩، فلنثبت ما قلنـاه" جـ ـ٢/٣٠٠، "فصـح مـا قلنـاه" جـ١/٣٠.

(٢) إبطال الباقلانى لقول الجمهور أن "افعل" تكون أمرا لصيغتها جـ٢/١٢، ذكــر الأدلــة جـــ ـ٢/٥٠-٨٢/١٩٢-١٩٨/٢٠٢/٢١٦-٢٣١/٢٩٠-٢٩٢/٢٩٩-٣٠٧، أدلة المعتزلة جـ٢/١٦٠-١٦٣/٢٧٧-٢٨٢، ذكـر الشـبه جـ ـ٢/١٢٤-١٣٠/٢٠٤-٢٠٨، إبطـال أدلـة جـ ـ٢/٣٤١-٣٤٦/٣٥٩-٣٦٤، حجة جـ٢/٢٣٥، شبه جـ٣/٢١، إبطال جـ٣/٤٣-٥٠، أدلـ ــة جـ ـــ ـ٣/٥٥-٦٣/١٤٨-١٥٧/١٧٢-١٧٣/٢٠٠/٢٩٤-٣٠١/٣١٢-٣١٨/٣٢٨-٢٣١/٢٣٨، حجيــة جـــ ـ٣/٧٣-٧٦، الــرد جـ٣/٢٣٧-٢٤٢.

تزيد الآيات القرآنية على الأحاديث النبوية وتتكرر كأدلة[1]. وهى قصيرة كقضايا منطقية وليسـت طويلـة تعبـر عـن تصورات إيمانية[2]. ويستشهد بكثير من الأشعار فى مباحث الألفاظ[3]. ويجمع بين القرآن والشعر[4]. كما تكثر الإحالـة إلى لغة العرب وكلام العرب[5].

ومن أسـماء الأعـلام يتصـدر المتكلمـون والفقهـاء واللغويون والشعراء والصحابة والسياسيون[6]. فالشعر بـه

---

(١) فى الجزء الأول: الآيات (٩١)، الأحاديث (١٩). فـى الجـزء الثـانى: الآيات (١١١)، الأحاديث (٣٦). فى الجـزء الثالـث: الآيـات (١٧٤)، الأحاديث (١٢٥)

(٢) السابق جـ١٢٨/٣.

(٣) فـــــى الجــــــزء الأول (١٤) جــــــــ١/٣١٧/٣٣٣-٤٠٦/٣٩٨/٣٩٦/٣٧٩/٣٤١/٣٣٤، فى الجزء الثانى (١) جـ٣٣/٢، فى الجـــــــــــــزء الثالـــــــــــــــــث (١٢) جـ٣١٣/١٤٤/٣١٣/١٣٩/١٣٤/٣٨١/٣١٣/١٣٨/١٣٤/١٣٩/٣.

(٤) السابق جـ١٤٣/٣.

(٥) كلام العرب، السابق جـ٤٠٤/٣٩٩/٣٩٨/٣٨٧/١٧١/١، جـ ـ١٣٣/٣، لغة العرب جـ٣٤٢/٣.

(٦) فى الجزء الأول: الأعشى (٢)، امرؤ القيس، ذو الرمة، الأسود بن يعفر، ابن الجبائى،أبو الهذيل، الحرث بن ظالم، سحبان وائل، سلمان الفارسـى، سيبويه، على بن أبى طالب، المزنى، معاوية، وابصة، يزيد بن حجيـة= =(١). وفى الجزء الثانى: أبو شمر المرجئى الحنفى، الشافعى الكرخـى (٤)، ابن الجبائى (٣)، أبو سعيد بن المعلى، البلخـى، الجبـائى، عبـد الرحمن بن عوف (٢)، أبو عمر، أبو الحسـن الأشـعرى، أبـو بـرده،

تفسير القرآن. واللغة تقدم منطقـه. والمتكلمـون والفقهـاء ينظرون عقيدته وشريعته. ورجال السياسة يعطون الخلفيـة السياسية للمذاهب والفرق. ويحيل الباقلانى إلى باقى أجـزاء العمل مما يدل على وحدته الداخلية، ما سبق، وما يـأتى[1]. كما يحيل إلى باقى أعماله مما يدل على وحـدة مشـروعه الفكرى. ثم يحال إلى أعمال الآخرين السابقين عليه بلـورة للوعى التاريخى مثل "أحكام القرآن" للشافعى والـذى كانـت "الرسالة" مقدمة له[2].

الأقرع، أم سلمة، يروع بنت داشق، بريرة، الجاحظ، حمل بـن مالـك، سراقة، ابن عباس، العنبرى ، عيسى بن أبان الحنفى، ماعز بـن مالـك، مسيلمة (١). وفى الجزء الثالث: الشافعى (١٠)، عمر بن الخطـاب (٨)، ابن سريج، عبد ا بن عباس، على بن أبى طالب، عيسى بن أبـان (٥)، على بن إسماعيل الأشعرى (٤)، أبو بكر الصديق، عبد ا بـن عمـر، عبد ا بن قيس، الجبائى، النعمان بن ثابـت (٣)، عائشـة، عبـاد بـن الصامت، عبد الرحمن بن صخر، فاطمة بنت قيس، ماعز بن مالك (٢). وهناك عشرات أخرى ذكرت مرة أخرى مثل أبو بكر الصيرفى، أنس بن مالك، أويس القرنى، النابغة الذبيانى، زيد بن ثابت، أبو سعيد الخـدرى، سعد بن أبى وقاص، عمر بن عبد العزيز، القفال الشاشى.. الخ.

(١) السـابق جـ٢/١٧٥/١٨٥/٢٦٠/٣٥٣، جـ٣/٥٦/٦٣/٨٢/٨٥/٨٨/١٥٥/١٣١/١٨١/٢٢٠/٢٣٥/٢٥٨/٣٥٧/ ٣٧٧.

(٢) من كتب الباقلانى يحيل فى الجزء الأول إلى: الأصول الكبير، الأصول الأوسط، الفرق بين معجزات الرسل وكرامات الأولياء، تعريـف عجـز

٤- "تقويم النظر" لابن البرهان (٥٩٢هـ)[١]. وهو عنوان مشابه لعنوان الدبوسى"تأسيس النظر" فليس الغاية منه تأسيس الأصول وإيجاد بنية لعلم أصول الفقه بعد أن أحكمها "المستصفى" بل الغاية إدخال الأصول فى علم المنطق لتعميق مباحث القياس فى علم الأصول باعتباره نظرية فى الاستدلال، وإدخال المنطق فى علم الأصول لتوسيع مفهوم المنطق بحيث يشمل الأدلة الثلاثة الأخرى. وهذا ما سمى "تقويم النظر" أى تعميقه من ناحية الاستدلال، وتوسيعه من ناحية الأدلة. ولما كان علم الأصول يجمع بين اللغة فى مباحث الألفاظ والمنطق فى القياس فقد غلب على الكتاب المنطق واللغة. كما أن المنطق يجمع بين اللغة فى المقولات والعبارة وأشكال القضايا فى التحليلات الأولى والتحليلات الثانية لدرجة أنه يصعب الحكم على المنطق هل هو منطق لغة أم منطق تصورات؟ ويتسم بالاختصار الشديد وكأنه

المعتزلة عن إثبات دلائل النبوة وصحتها على مذاهب المثبتة (١)، السابق جـ١/٤٢٠/٤٣٩/٤٠٧. وفى الجزء الثانى: التقريب والإرشاد الكبير، الأوسط، إعجاز القرآن، الأمالى، الإمامة ثم أحكام القرآن للشافعى. وفى الجزء الثالث يحيل إلى الكتاب الكبير له (٥).

(١) محمد بن على بن شعيب ابن البرهان: تقويم النظر، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الفتاح أحمد الفاوى، القاهرة ١٩٩٢.

أقرب إلى رسائل التعريفات وتحديد معانى الألفاظ. ولا غرابة فى الجمع بين تحليل مخارج الحروف كما هو معروف فى علم الأصوات وحساب الجمل ومعرفة تاريخ مولد الشافعى ووفاته وبعض الصحابة عن طريق حساب الحروف[١].

لذلك تقل الشواهد النقلية، وتكثر التعريفات العقلية. ومع ذلك يكثر الاستشهاد بالشعر فهو الرصيد الثانى لمباحث الألفاظ بعد اللغة[٢]. ويتقدم الشافعى على أبى حنيفة وما سواه، الشعراء أو أحد الصحابة[٣].

وفى نفس الوقت هو محاولة للجمع بين المذاهب الفقهية الأربعة فى نظرية لغوية واحدة تتجاوز الخلافات المذهبية بالرغم من تقديم الشافعى عليها، فالمؤلف شافعى وليس "شفعويا"[٤].

---

(١) السابق ص١٨٩.

(٢) القرآن (٣)، الحديث (٢)، الشعر (١٣).

(٣) الشافعى (٣)، أبو حنيفة (١)، خالد الهذيلى، على بن أبى الغدير القنوى (١)، ابن مسعود (١).

(٤) "ثم جمعت هذه الأوراق ووسمتها "بتقويم النظر". يشتمل على مسائل خلافية ذائعة ونبذ مذهبية ناقصة بعد مقدمات تعين على النظر فى ذلك، وجعلته يشتمل على المذاهب الأربعة مقدما مذهب الشافعى..".

لم يحص أصولا أو قواعدا بل وضع عدة فقـرات فـى موضوعات متفرقة مرتبطة فيما بينها بموضـوعات اللغـة والمنطق[1]. وتظهر بين الحين والآخر ألفاظ مثـل "تفهـيم"، وهو الأغلب، أو فصل أو إشارة أو مقدمة وهـو الأقـل[2]. وتتداخل الموضوعات، تحضر وتغيب. إذ تبدأ اللغة بـاللفظ والمعنى وعيوب اللسان وأقسام الكلام، ثم تتحول إلى منطق التصورات مثل الكلى والجزئى، والقوة والفعل، والموضوع والمحمول. والأسماء الخمسة هـى الجـامع بـين الألفـاظ

---

(١) وهى واحد وأربعون عنوانا على النحو الآتى: ١- االلفـظ والمعنـى ٢- عيوب اللسان ٣- أقسام الكلمة ٤- أقسام الكلم ٥- الجزئى والكلـى ٦- الاسم المحصل والمعدول ٧- أقسام الاسم من حيث المعنـى ٨- القـوة والفعل ٩- الموضوع والمحمول ١٠- الكليـات الخمـس ١١- أنـواع الدلالات ١٢- القياس وأنواعه ١٣- الصفقة المحصلة والمعدلة ١٤- الكم والكيف ١٥- أجزاء القضية ١٦- جهة القضية ١٧- تقابل القضايا ١٨- عكس القضايا ١٩- استعمال الحروف ٢٠- أجزاء القياس ٢١- أشـكال القياس ٢٢- القياس الشرطى ٢٣- مقدمات القيـاس ٢٤- الفـرق بـين برهانى العلة والدلالة ٢٥- أمهات المطالـب ٢٦- وجـه الـدليل ٢٧- المقصود بالأمر ٢٨- المقصود بالعـام ٢٩- المقصـود بـالمطلق ٣٠- المقصود بالنص ٣١- المقصود بالظاهر ٣٢- المقصود بالتأويـل ٣٣- المقصود بالمجمل ٣٤- المقصود بالمنطوق ٣٥- المقصـود بـالمفهوم ٣٦- مفهوم بالخطاب ٣٧- تنقيح المناط ٣٨- تأثير العلـة ٣٩- تقـويم العلة وتوابعها ٤٠- المنقول ٤١- النسخ.

(٢) تفهيم (١٩)، فصل، مقدمة، إشارة (١).

والتصورات. ثم تظهر أنواع القضايا وأشكال القياس وترتبط به بعض مباحث العلة والدلالة من القياس الفقهى. ثم تـأتى مباحث الألفاظ من علم الأصول مثل الخاص والعام والأمـر والنهى والظاهر والمؤول، والمنطـق والمفهـوم. وينتهـى بالمنقول والنسخ.

٥- "النبذ فى أصول الفقـه الظـاهرى" لابـن حـزم (٤٥٦هـ)[١]. للتخلص من الإسهاب والتطويـل والتفريـغ والجزئيات قرر ابن حزم نفسه تلخيصه. فالإحكـام كتـاب تقص لا كتاب إيجاز. ويعتبر أن الخصوم قد شغبوا وأطالوا، فشغب بشغب، وإطالة بإطالة[٢]. بل أنه أقرب إلى التفصـيل والشرح منه إلى التلخيص بمقارنة الأبواب فـى "الإحكـام"،

---

(١) الإمام الحافظ على بن أحمد بن حزم الأندلسى القرطبى الظاهرى: النبـذ فى أصول الفقه الظاهرى، عرف الكتاب وعلق علـى حواشـيه أسـتاذ المحققين العلامة المحدث الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بـن الحسن الكوثرى، وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانيـة سـابقا. وقف على طبعه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى مؤسس ومدير مكتبة نشر الثقافة الإسلامية من أقدم عصورها حتى الآن، الخانجى، القاهرة ١٩٤٠.

(٢) "لكن شغبوا وأطالوا، فوجب تقصى شغبهم. إذ كتابنا هذا كتاب تقصى لا كتاب إيجاز"، الإحكام جـ٧٩٤/٥، "ويكون إن شاء ا عز وجل درجـة إلى الإشراق على ما فى كتابنا الكبير فى ذلك"، النبذ ص٦.

والفصل فى "النبذ". أما بمقارنة الفصول فإن "النبـذ" تعتبـر اختصارا للإحكام. وربما لا يكون ملخصـا أو تلخيصـا أو تفصيلا بل هو تأليف جديد لأن الفصول بين "الإحكام" و"النبذ" غير متطابقة. والترتيب مختلف. فالبداية فى "النبذ" بالإجماع، وفى "الإحكام" بالبيان أى مباحث الألفاظ بعد المقدمة اللغويـة التى أصبحت فى "النبذ" مقدمة إيمانية خالصة[1]. أراد ابـن حزم أن يكون تمهيدا ومدخلا "للإحكام" والإلمـام بأصـول المذهب بأسرع طريق، ولكـن أتـى بموضـوعات جديـدة للاستدلال على المذهب ليست فى "الإحكـام"، وتكثـر فيـه الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية. فـالقرآن أصـل والحديث فرع. والقرآن متواتر، والحديث متواتر وآحاد.

وكما تغيب البنية فى "الإحكام" تغيب أيضا فى "النبـذ"، وتستعمل الأصول والمبادئ، للإعلان عن الموقف المـذهبى لأهل الظاهر. ومع ذلك تتخلق البنية جزئيا بداية بالإجمـاع، الدليل الثالث، ثم الأخبار أى السنة، الدليل الثانى، ثم بإبطـال الرأى والقياس والتعليل ودليل الخطاب والمفهوم. أما القرآن، وهو الدليل الأول، فيعرض من خلال الأخبار، الدليل الثانى،

---

(١) النبذ ص٦-٧.

في موضوع التشابه[1].

خامسا: تفريع البنية.

١ - "اللمع في أصول الفقه" للشيرازي (٤٧٦هـ)[2].

وقد تم تأليف "اللمع" اختصارا لكتاب "التبصرة" بناء على سؤال[3]. وتبين خطة الكتاب بيان العلم والظن وما يتعلق بهما من النظر والدليل[4]. "اللمع" في الاتفاق، و"التبصرة" في الاختلاف. اللمع في الأصول والقواعد، و"التبصرة" في اختلاف المذاهب حولها.

وتتفرع البنية فيه. إذ ينقسم الكتاب إلى سبعة أقسام غير مرقمة بداية بلازمة "الكلام في" أو "القول في" ودون نسق

---

(١) السابق ص٢٣٨.

(٢) الإمام أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزبادي الشافعي: اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣) "سألني بعض إخواني أن أصنف له مختصرا في المذهب في أصول الفقه ليكون ذلك مضافا إلى ما عملت من "التبصرة" في الخلاف. فأجبته إلى ذلك إيجابا لمسألته وقضاء لحقه. وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف وما لابد منه من الدليل. فربما وقع ذلك إلى ما ليس عنده ما عملت من الخلاف"، اللمع ص٣.

(٤) السابق ص٣.

عقلى واضح[1]. يبدأ بمباحث الألفاظ، الأمر والنهى، والمجمل والمبين، ثم الكلام فى النسخ، وهو موضوع يتعلق بالمصدر الأول، القرآن، ثم القول فى الإجماع المصدر الثالث، ثم الكلام فى القياس المصدر الرابع، ثم القول فى التقليد والقول فى الاجتهاد، الأصل الرابع. وتتقدم مباحث الألفاظ من حيث الكم ثم القياس ثم النسخ وأقلهم الإجماع[2]. ويغيب المصدر الثانى السنة. كما تغيب أحكام التكليف الخمسة، ثمرة العلم بتعبير "المستصفى". ومن ثم يكون للعقل الأولوية على النقل ويغيب الفعل.

ويتكون كل كلام أو قول من الأقوال السبعة من عدة أبواب[3]. وتكثر الأبواب لدرجة أن تصبح كل فقرة بابا. وقد تتخلل الأبواب عبارات أخرى مثل "ذكر" أو "بيان"[4]. ويتكون كل باب من عدة فصول مختلفة عددا. وبعضها بلا

---

(١) الكلام فى الأمر والنهى، الكلام فى المجمل والمبين، الكلام فى النسخ، الكلام فى القياس، القول فى الإجماع، القول فى التقليد، القول فى الاجتهاد.

(٢) الألفاظ (٤٣)، القياس (٣٩)، النسخ (٣٢)، الإجماع (٩).

(٣) عدد الأبواب: المقدمة (٦)، الأمر والنهى (١٧)، المجمل والمبين (٤)، النسخ (١٩)، الإجماع (٧)، القياس (١٣)، التقليد (٢)، الاجتهاد (٣).

(٤) اللمع ص٣١-٣٤.

فصول[١]. وغالبيتها بلا عنوان. وبعض الأبواب من فصل واحد. وبعضها بلا فصول على الإطلاق. وبعض الموضوعات خارجة عن الأبواب والفصول[٢].

الأدلة النقلية أكثر من العقلية، والقرآن أكثر من الحديث، ما يقرب من الضعف[٣]. ويستعمل الشعر كدليل على تفسير ألفاظ القرآن[٤]. ويتقدم أبو حنيفة والمعتزلة على غيرهم للجدال معهم باسم الأشعرية[٥].

٢- "تقويم الأدلة" للدبوسى (٤٣٠هـ)[٦]. وتتفرع البنية أيضا فيه. إذ ينقسم إلى أبواب وفصول وأقوال دون

---

(١) عدد الفصول بالنسبة لعدد الأبواب: ١٨ فصل=باب واحد، ١٦=١، ١٤=١، ١٢=١، ١٠=١، ٩=٢، ٨=٢، ٧=٥، ٦=٢، ٥=٣، ٤=١٠، ٣=٩، ٢=١٣، ١=١٣، أبواب دون فصول ٨.

(٢) مثل بيان الخبر وصحته، اللمع ص٧١.

(٣) الآيات (٩٨)، الأحاديث (٤٤)، (بما فى ذلك التكرار)، الشعر (٢).

(٤) اللمع ص٥٦/٤٦.

(٥) أبو حنيفة (٥)، المعتزلة (٤)، الأشعرية (٢)، الأشعرى (٢)، أبو اسحق المروزى (٣)، أبو بكر الصيرفى، سفيان الثورى (٢)، الباقلانى، الكرخى، الدقاق، الشافعى، الحسن، عطاء الشعبى، النخعى، مالك، أحمد، محمد بن الحسن (١).

(٦) الإمام أبو زيد عبد ا بن عمر بن عيسى الدبوسى الحنفى: تقويم الأدلة فى أصول الفقه، قدم له وصححه الشيخ خليل محيى الدين الميسى، مفتى زحلة والبقاع، مدير أزهر لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١.

معرفة أيهما الأصل وأيهما الفرع[1]. ويغيب الترقيم كلية مما يدل على غياب "التمفصلات".

والعنوان يدل على الهدف "تقويم الأدلة" أى البحث عـن الأسس النظرية للاستدلال، ووضع فلسفة للأصول، وتأسيس للنظر وكما يتضح ذلك فى كتابه الثانى "تأسيس النظر". يعنى "تقويم" الضبط والتصحيح والتأسيس. يعتمد علـى التنظيـر المباشر لاعتماد الأحناف على العقل. لذلك يغلب عليه التأمل النظرى، والانعكاف على الذات، والنظر إلى الداخل. ويبعـد عن السجال ضد الفرق بالرغم من ظهور أسلوب "فإن قيل... قلنا". ومع ذلك يعتمد على الأدلة النقليـة، الآيـات القرآنيـة والأحاديث النبوية، والقـرآن أكثـر مـن الحـديث أربعـة أضعافه[2].ويستشهد بالشعر العربى وبكلام العرب ولسـانهم وعاداتهم واستعمالاتهم اللغوية[3]. والبداية بتحديد مصطلحات العلم، مما يبين أن العلم مازال فى مرحلة التكوين من حيـث البنية والمصطلح.

---

(١) باب القول (٨٢)، القول (٢٥)، الأصل (١٣)، "بدون عنوان (٧)، بعنوان (٦)".

(٢) الآيات (٤٥٩)، الأحاديث (١٢٣).

(٣) الشواهد الشعرية (١٠)، العرب (٢)، لسان العرب، اللسان (١).

ومع ذلك تبرز بدايات البنية فى بعض عناوين الأبـواب – البرنامج التى تفصل بنية موضوع جزئى داخل العلم الكلى مثل أنواع الحجج الشرعية، والحجج العقلية، والكلام، وأسماء الشرائع، والألفاظ، والحجج المحجوزة مـن الشـرعيات[1]. ومنها يمكن رصد تشكل بنية غير معلن عنها تقوم على تسعة موضوعات، الأدلة الثلاثة الأولى، ثم الأمـر والنهـى مـن مباحث الألفاظ، ثم ما يعادل أحكام التكليف وأحكام الوضـع، ثم العودة إلى العام والخاص، والظاهر والمؤول من مباحـث الألفاظ، ثم خبر الواحد المرتبط بالدليل الثـانى، ثـم النسـخ المرتبط بالدليل الأول، ثم أفعال النبـى المرتبطـة بالـدليل الثانى، فالسنة قول وفعل وإقرار، ثم القياس الدليل الرابع، ثم الأهلية أى الحقوق والواجبات التى تدخل فى مقاصد الشارع مثل العقل والتكليف[2]. وأكبرها القياس، وأصـغرها أفعـال

---

(١) القول فى أسماء أنواع الحجج، السابق ص١٣، القول فى أنـواع الـتكلم ص٣٤، القول فى الحجج المحجوزة من الشرعيات ص١٦٨.

(٢) ١- القول فى أسماء أنواع الحجج ص١٣-٣٣، ٢- القول فـى أنـواع التكلم وضعا وتفسيرها حقا ص٣٤-٦٠، ٣- القول فـى بيـان أسـباب الشرائع ص٦١-٩٣، ٤- القول فى أسماء الألفاظ فى حق قـدر تناولهـا المسميات وحكمها فيما تناوله ص٩٤-١٦٩، ٥- باب القول فـى الخبـر الواحد ص١٧٠-٢٢٧، ٦- باب القول فـى النسـخ تفسـيرا وجـوازا ص٢٢٨-٢٤٦، ٧- باب القول فى أفعال النبى ص٢٤٧-٢٥٩، ٨- باب

النبى[1]. وهنا تكون الأولوية للنقل على العقل على حساب الفعل.

وبالرغم من أن المؤلف حنفى إلا أن الشافعى هو الأكثر ذكرا. فقد فاق التلميذ الأستاذ، وفرض نفسه على العلم فى "الرسالة"[2]. ثم يأتى أبو حنيفة مؤسس المذهب ثم محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة، ثم أبو يوسف، ثم الكرخى، ثم الجصاص، ثم زفر وعيسى بن أبان، وإبراهيم النخعى من أعلام الحنفية، والفراء من النحويين.

وبالرغم من الطابع النظرى التأملى الخالص إلا أنه يحاور المذاهب. والمذهب الصحيح "مذهبنا" ضد الخصوم. ويتحدث عن "علماؤنا" وأصحابنا فى مقابل العلماء والفقهاء

القول فى القياس ص٢٦٠-٤١٦، ٩- باب القول فى حين أهلية الآدمى لوجوب الحقوق المشروعة عليه، وهى الأمانة التى حملها الانسان ص٤١٧-٤٦٨.

(١) القياس (١٥٧)، العام والخاص، والظاهر والمؤول (٧٦)، خبر الواحد (٥٩)، مقاصد الشارع (٥١)، أحكام التكليف والوضع (٣٣)، الأمر والنهى (٢٧)، الأدلة الشرعية الثلاثة الأولى (٢١)، النسخ (١٩)، أفعال النبى (١٣).

(٢) الشافعى (٤٤)، أصحاب الشافعى، مشايخ الشافعى (١)، أبو حنيفة (٢٥)، الشيبانى (١٩)، أبو يوسف (١٣)، الكرخى (٧)، الجصاص، أبو الحسن (٢)، الفراء، زفر، عيسى بن أبان، إبراهيم النخعى (١).

والعقلاء وأهل الحديث وأهل العلم وأهل النظر والصـحابة. ويكون أحيانا على التبعيض مثل جمهور العلمـاء، جماعـة العلماء، بعض أهل الحديث نظرا للفروع داخل كل طائفة[1]. فهناك صحيح وفاسد، صواب وخطأ[2]. ومازال الجدل مـع المتكلمين خاصة الحشوية والخوارج. ويذكر النظام لإنكـاره الإجماع[3]. بل تذكر الفرق غيـر الإسـلامية كالنصـارى واليهود والمجوس وأنبياؤهم عيسى وزرادشت مع المسلمين كفرقة وأنبياؤهم نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط[4]. بـل وتذكر بعض الفرق الأصولية مثل الطردية[5].

وتبرز وحدة العمل فى إحالته إلى نفسه تذكيرا بالسـابق وإنباء باللاحق[6]. كما يوضع العمل فـى إطـار المشـروع الفكرى للمؤلف عندما يحيل إلى باقى أعمالـه مثـل "الأمـد

---

(١) علماؤنا (٤٦)، أصحابنا (٢)، مذهبنا، خصمنا (١)، الفقهـاء، جمهـور العلماء (٤)، العلماء، العقلاء (٢)، بعض أهل الحديث، بعـض العلمـاء، أهل العلم، جماعة العلماء، أهل النظر، الصحابة (١).

(٢) الصحيح (٣).

(٣) الحشوية (٣)، المتكلمون، الخوارج، النظام (١).

(٤) اليهود (٢)، المجوس، عيسى، زرادشت (١).

(٥) تقويم الأدلة ص٣١٢.

(٦) تقويم الأدلة ص٣٠٢/٣٠٦.

الأقصى" و"خزانة الهدى" و"الهداية"[١]. وتوضع مساهمته فى إطار العلم والسابقين عليه مثل "الرسالة" للشـافعى و"كتـاب الإكراه" و"الاستحسان" للشيبانى[٢]. ويتبلور الوعى التاريخى بالعلم والخلاف بين المتقدمين والمتأخرين، والتحـول مـن اللابنية إلى البنية، والانتقال من النظرية الجزئية إلى المذهب المتكامل[٣].

٣- "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصـرى (٤٣٦هـ)[٤]. ويتفرع إلى اثنى عشر قسما دون ترقيم ودون مفهوم ودون تصور مثل "أصل" أو "دليل"، بل مجرد "الكلام فى" دون اطراد، وفى تسعة أقسام فقـط[٥]. ومـرة أخـرى يستبدل "الكلام فى" بلفـظ "أبـواب" مثـل "أبـواب العمـوم

---

(١) الأمد الأقصى (٣)، خزانة الهدى، الهداية (١)، السابق ص٤٥٩/١١/٩.

(٢) السابق ص ٢٣٩/٢١٩/٨٦.

(٣) "وليس عن أصحابنا المتقدمين مذهب ثابت" السابق ص٢٥٦.

(٤) أبو الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلى: كتاب المعتمـد فى أصول الفقه، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد ا بتعـاون محمـد بكير وحسن حنفى (جزءان)، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات العربيـة، دمشق ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٥) الكلام فى الأوامر، الكلام فى النواهى، الكلام فى الأفعال، الكـلام فـى الناسخ والمنسوخ، الكلام فى الإجماع، الكلام فى الأخبـار، الكـلام فـى القياس والاجتهاد، الكلام فى الحظـر والإباحـة، الكـلام فـى المفتـى والمستفتى.

والخصوص". ومرة أخرى دون "الكلام فى" أو "أبواب" ذكرا للموضوع مباشرة "المجمل والمبين"[1]. وأحيانا تظهر كلمـة "فصول" دون أى دلالة. وهى القسمة الشائعة فى الزيـادات وفى كتاب القياس الشرعى. وهناك "باب" كمقدمة و"كتـاب" لوضع الزيادات ويلحق به "كتاب القياس الشرعى" وهو كتاب مستقل[2]. أكبرها "القياس والاجتهاد"، فالكتاب معتزلـى ثـم "الأخبار" نظرا لإشكال العلاقة بين القياس وخبر الواحد حين التعارض ثم "الأوامر" أهم مبحث من مباحـث الألفـاظ دون "النواهى"، ثم العموم والخصوص معا، ثم الإجماع المصـدر الثالث للتشريع ثم "المفتى والمستفتى" الذى يوضع عادة مـن لواحق الاجتهاد، ثم "الناسخ والمنسوخ" الذى يذكر عادة مـع المصدر الأول، الكتاب، ثم "الحظر والإباحـة" مـن أحكـام التكليف، ثم "المجمل والمبين" عودا إلى مباحث الألفاظ، ثـم "الأفعال" دون الأقوال وهو من موضوعات المصدر الثـانى

(١) أبواب العموم والخصـوص السـابق جـ ١ ص٢٠٣-٣١٥، المجمـل والمبين جـ ١ ص٣١٦-٣٦٢ ومرة فصول الأمر السابق ص٤٣، فصول الناسخ والمنسوخ ص٣٩٣، فى فصـول الإجمـاع ص٤٥٧، زيـادات المعتمد ص٦٩٣-٩٩٩، القياس الشرعى ص١٠٣١-١٠٤٦.

(٢) باب جـ ١ ص٦-٤٢، كتاب زيادات المعتمـد جـ ٢ ص٩٩٣-١٠٣٠، كتاب القياس الشرعى جـ ٢ ص١٠٣١-١٠٥٠.

السنة، السنة الفعلية، وأخيرا "النواهى" أصغرها منفصلة عن "الأوامر"[1].

وتتشكل بنية العلم خلال هذه الأقسام يبدو أن الأولوية مازالت لمباحث الألفاظ، الأوامر والنواهى، العموم والخصوص والمجمل والمبين، وهى الأقسام الأربعة الأولى. ثم تظهر الأدلة الأربعة بعد ذلك فى الأقسام السبعة الباقية دون ترتيب. الدليل الثانى وهو السنة فى الأفعال، القسم الخامس، والأخبار، القسم الثامن. والدليل الأول، الكتاب فى الناسخ والمنسوخ، القسم السادس. والدليل الثالث الإجماع فى القسم السابع، والدليل الرابع، القياس أو الاجتهاد فى القسم التاسع، والمفتى والمستفتى فى القسم الحادى عشر ثم القياس الشرعى، الكتاب المستقل. أما أحكام التكليف، وهى الثمرة فتظهر داخل الدليل الرابع بعنوان الحظر والإباحة، القسم العاشر. فمن حيث الأولوية تأتى مباحث الألفاظ أولا قبل الأدلة الشرعية أى طرق الاستثمار قبل المستثمر أما الثمرة

---

(١) القياس والاجتهاد (١٧٨ص)، الأخبار (١٤٩)، الأوامر (١٣٨)، العموم والخصوص (١١٥)، الإجماع (٨٤)، المفتى والمستفتى (٦٤)، الناسخ والمنسوخ (٦٣)، الحظر والإباحة (٦١)، المجمل والمبين (٤٧)، الأفعال (٣٠)، النواهى (٢٠)، القياس الشرعى (٢٠)، الزيادات (٣٥).

فأقلها وهى أحكام التكليف بتشبيه "المستصفى". ومن حيث الكم أيضا تأتى مباحث الألفاظ أولا، القياس ثانيا، والسنة ثالثا، والإجماع رابعا، والقرآن خامسا، وأحكام التكليف سادسا[1]. فالأولوية للنقل على العقل على حساب الفعل أيضا.

ونظرا لعدم استقرار العلم بعد فقد تميز الأسلوب بالإسهاب بالرغم من قصر الأبواب، وعدم التركيز. مازال الفكر يدور حول نفسه باحثا عن أصل أو قاعدة أو ركن حتى تتخلق البنية. وإذا ظهرت القواعد فلتأسيسها وإخضاعها لنقاش نظرى قبل البناء عليها[2]. لذلك يتم تفصيل المسائل إلى درجة المتناهى فى الصغر، فتضيع القاعدة الكلية فى زمام التفصيلات قبل أن تخرج القاعدة من شرنقتها. لذلك أتى أقرب إلى "الأمالى" مثل "المغنى فى أبواب التوحيد والعدل" لأستاذه القاضى عبد الجبار. ويبحث الفكر عن الاتساق، وتطابق المقدمات مع النتائج. ويرد على

---

(١) الأوامر والنواهى، العموم والخصوص، المجمل والمبين (٣٢٠)، القياس والاجتهاد، المفتى والمستفتى، كتاب القياس الشرعى (٢٦٢)، الأفعال، الأخبار (١٧٩)، الإجماع (٨٤)، الناسخ والمنسوخ (٦٣)، الحظر والإباحة (٦١).

(٢) وهو ما يمكن تسميته Meta-axiomatics.

الاعتراضات مسبقا فى صيغة "فإن قيل... قلنا"، وذكر الرأى والرأى الآخر. فهو كتاب حجاجى مازال خاضعا لمنهج الجدل الكلامى. وترصد الأدلة تباعا، وتحصر حجج المعارضين. وهناك أكثر من طريقة فى الاستدلال فى صيغة "طريقة أخرى". وأحيانا تكون صيغة السؤال والجواب، والاعتراضات والردود. ومن ثم طغى أسلوب الحجاج الكلامى والسجال مع الفرق خاصة الشافعية التى ترتكن إلى الأشعرية أكثر من السجال مع الحنفية لأنها من نفس الاتجاه العقلى أو المالكية لأن المصالح العامة متوارية وراء الاتساق النظرى. فى حين أن "المستصفى" هو الذى أبرز القاعدة أولا ثم قدم لها بالخلافات النظرية حولها من آراء الفرق الكلامية.

ولما كان الاتساق النظرى هو السمة الغالبة على الخطاب الأصولى ظهرت الأدلة النقلية إلى أقل حد ممكن، آيات قصيرة، داخل الخطاب النظرى كسند فرعى وليس كدليل نظرى. فالعقل أساس النقل كما هو معروف فى الاعتزال. ويظهر القرآن أكثر من الحديث بحثا عن الأصول النظرية والقواعد العامة. ويغيب الشعر. فالعقل يكفى دون الخيال.

ويقل المضمون لصالح الشكل، ويغيب المحتوى لصالح صورة الفكر. على عكس "الموافقات" للشاطبى فيما بعد التى غلّبت المضمون على الشكل، والموضوع على الصياغة. فقد اكتفى "المعتمد" بتحليل صيغ القول أكثر من مضمون القول. وللتخفيف من حدة هذا العرض النظرى المجـرد ضـربت الأمثال بالعبارات كما هو الحال فى مدارس تحليـل اللغـة المعاصرة حتى ولو كان ضربا للأمثال للخطاب القرآنـى أو الحديث النبوى. ونظرا لغياب القواعد والأصول تـم ربـط الفقرات آليا بطريقة مصطنعة للإعلان عن القادم.

ومازال "ا " باديا فى الخطاب الأصولى، ولو أن لفـظ "الحكيم" يجاوره. فلغة أصول الدين لم تختف بعد فـى علـم أصول الفقه بالرغم من التمييز بين العلمين، وتسمية الشاطبى "ا " "الشارع" أى واضع الشريعة نظرا لأنها شريعة وضعية لها أسسها فى العالم وليست فقط تعبيرا عن الإرادة الإلهيـة كما هو الحال فى علم الكلام(١).

(١) وهذا هو نفس الانطباع القديم الذى أخذته من "المعتمد" وأنا بصدد نشـره فى أوائل الستينات فى باريس بالاشتراك مع برنشفيج الذى تنـازل إلـى "حميد ا "، وكان قد قطع شوطا أكبر فى التحقيق، ومحمـد بكيـر مـن تونس. وقد طبع من جديد فى المكتبة العلمية فى بيـروت دون أخـذ إذن المحققين الأوائل.

ومن حيث أسماء الأعلام يأتى قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى أستاذ أبى الحسين البصرى فى المقدمة، ثم أبو عبيد ا وأبو على وأبو هاشم وكلهم من المعتزلة مما يدل علـى المصدر الاعتزالى[1]. ثم يأتى أئمة المذاهب الشافعى وأبـو حنيفة دون مالك وابن حنبل أى دون المصلحة والنص، ثـم الصحابة. ويذكر بعض متكلمى المعتزلة مثل النظـام وأبـو الهذيل والجاحظ والخياط. ومن الحنفية أبو الحسن الكرخـى وعيسى بن أبان[2].

ومن الفرق والمذاهب والأصحاب يـأتى أولا الفقهـاء ونظرا لأن الأصول هو تجريد للفقه، ثم أصـحاب الشـافعى وأصحاب أبى حنيفة وأهـل اللغـة الـذين يعتمـد علـيهم الأصوليون فى مباحث اللغة كمدخل للعلم، ثم أصحابنا مـن المعتزلة، وشيوخنا المعتزلة، وشـيوخنا البغـداديون وأهـل

---

(١) قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى (٢٤٠)، أبـو عبيـد ا المعتزلـى (٥١)، أبو على المعتزلى (٤٩)، أبو هاشم المعتزلى (٤٧)، أبو الحسـن الكرخى (٤٤)، عمر بن الخطاب (٤٣)، الإمام الشافعى (٤١)، ابن عباس (٢٣)، أبو بكر الصديق (٢٠)، أبو حنيفة النعمان (١٩)، على بـن أبـى طالب، معاذ بن جبل (١٥)، عيسى بن أبان (١١).

(٢) النظام (٦)، أبو الهذيل (٣)، ابن علية المعتزلى، الجاحظ (٢)، جعفر بن حرب المعتزلى، جعفر بن مبشر المعتزلى، أبو الحسين الخياط (١).

العراق، ثم أهل الظاهر وأهل القبلة، والحنفية[1].

ومن أسماء الكتب كمصادر للمعتمد يذكر بطبيعة الحال كتاب الشرح ثم كتاب الدرس ثم كتاب العمد والنهاية للقاضى عبد الجبار ثم شرح العمد وكتاب القياس الشرعى لأبى الحسين البصرى ثم كتاب مختصر المعتمد لسليمان بن ناصر، والرسالة للشافعى وكتب أصول أخرى مفقودة مثل إثبات القياس لعيسى بن أبان، والاجتهاد لأبى على الجبائى، والأصول للإمام محمد، و"جوامع الأدلة" لأبى طالب الزيدى[2]. وهناك كتب أخرى فى التاريخ والتفسير والحديث والكتب المقدسة مثل التوراة والإنجيل خاصة إنجيل يوحنا. وهناك وثائق تاريخية معروفة كمصادر لعلم الأصول مثل كتاب عمر لأبى موسى الأشعرى[3].

---

(١) الفقهاء (٣٣)، أصحاب الشافعى (٢٣)، أصحاب أبى حنيفة (٢٠)، أصحابنا المعتزلة (١٦)، شيوخنا المعتزلة (٩)، شيوخنا المتكلمون (٧)، أهل العراق (العراقيون) (٦)، شيوخنا البغداديون (٢)، البغداديون (١)، أهل الظاهر (١٢)، أصحاب الحديث (٦)، أهل القبلة (٥).

(٢) كتاب الشرح (٣٨)، كتاب الدرس (١٣)، كتاب العمد (١٠)، كتاب شرح العمد (٨)، كتاب القياس الشرعى (٣)، كتاب مختصر المعتمد، الرسالة (٣).

(٣) التوراة (١٠)، اللاويون (٢)، التثنية، الخروج، الإنجيل، إنجيل يوحنا (١). الاستيعاب لابن عبد البر، أنساب الأشراف للبلاذرى، التفسير لابن

٤- "الفقيه والمتفقه" للبغدادى (٤٦٣هـ)[١]. وتتفـرع البنية أيضا إذ ينقسم إلى إثنى عشر جزءا بإعلان رسمى عن نهاية جزء وبداية آخر بشرط الإجازة والمناولـة والكتابـة كالوثائق الشرعية، دون منطق واضح[٢]. فقد ينقسم موضوع واحد بين جزأين مثل التفقه فى الدين، والناسخ والمنسـوخ، والمجمل والمبين، والإجماع، والقياس، والسؤال والجواب[٣]. وقد يمتد موضوع واحد فى أكثر من جزء مثل آداب الجـدل كملحق لكتاب القياس[٤]. وأكبرها القياس وملحقاته مثل الجدل

كثير، صحيح البخارى (٢)، سنن ابن ماجة، كتاب الكوفـة لعمـر بـن شبة(١).

(١) الحافظ المؤرخ أبو بكر الصيرفى أحمد بن على بن ثابت الطيب البغـدادى: كتاب الفقيه والمتفقه (جزءان فى مجلد واحد)، قام بتصحيحه والتعليق عليـه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى، عضو دار الإفتاء، المكتبة العلمية، بيـروت (د.ت).

(٢) السابق جـ ١/٣٩-٤٠/٧٧-٧٨/١١٦/١٥٦-١٥٨/١٩٦-١٩٧/٢٣٥-٢٣٦، جـ٢/٣٨/٧٤/١١٤/١٤٦/١٧٥/٢٠٥.

(٣) الناسـخ والمنسـوخ جـ ١/٨٠-٨٦/١٢٢-١٣٠، المجمـل والمبـين جـ ١/١١٤-١٢٢، الإجمـاع جـ ١/١٥٤-١٧٧، القياس جـ١/١٧٨-٢١٠، جـ٢/٧-٥٣.

(٤) جـ٢/٢٥-٢٠٤.

والسؤال والجواب، وأخلاق الفقيه أكبرها. إذ يشمل الجـزء الثانى كله تقريبا. ويبدو أن علم الأصول هو انتقال من الجدل الكلامى إلى القياس الأصولى، وأن القياس ما هو إلا تطوير للجدل. ويشمل الكتاب مباحث الألفاظ مثل المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والأمر والنهى، والعمـوم والخصـوص، والمجمل والمبين، ثم يعود العام والخاص من جديـد. كمـا يضم الناسخ والمنسوخ. ثم تأتى السنة، الأقـوال والأفعـال، والأفعال أكبر. ثم يأتى الإجماع. وأصغرها تعريـف الفقـه وأصوله[1]. وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل على حساب الفعل.

وبالرغم من جمال العنوان "الفقيه والمتفقه" وهـو مـن حديث للرسول أى العاقل والمتعقل، إلا أنـه يغلـب عليـه الرواية، وأقرب إلى الحديث منه إلى الفقـه أو الأصـول[2].

---

(١) أخلاق الفقيه (١١٧)، القياس (٥١)، الجـدل (٣٩)، السـؤال والجـواب (٣٠)، مجموع الأصل الرابع (٢٣٧)، التفقه فى الـدين (٥٢)، الكتـاب ويشمل مباحث الألفاظ (٤٩)، الناسـخ والمنسـوخ (١٤)، السـنة (٢٠)، الأفعال (٢٤)، الإجماع (٢٤)، الفقه وأصوله (٢).

(٢) السابق جـ ٥/١ وتغلب هذه الثنائيات على باقى مؤلفاته كما تغلب علـى مؤلفات الآمدى مثل آداب السامع، المتفق والمفترق، السـابق واللاحـق، الفصل والوصل... الخ جـ ١/ى.

السند لا يقل أهمية فيه عن المتن. ويتحدث الراوى عن نفسه بصيغة المتكلم المفرد "أنا" بطرق الرواية القديمة محددا مذهبه وهو فى الغالب شافعى. فالكتاب أقرب إلى بدايات تنظير الآيات والحديث ووضعها فى أصول دون تجميع هذه الأصول فى بنية للعلم. وقد وضع الشافعى "الرسالة" بهذه الطريقة، البحث عن المعانى التى تجمع الأحاديث أو "أحكام القرآن"[1]. لا شأن له بالمذاهب الفقهية أو الكلامية أو السجال بينها. فالمؤلف مؤرخ ومحدث يعتمد على الرواية وليس على الدراية، وعلى النقل أكثر من العقل. بل وتتكرر الأحاديث طبقا لاختلاف رواتها. فصحة المتن من صحة السند[2]. والزيادة والنقصان فى المتن تؤثر فى منطق الاستدلال حتى تتم طبعات متقابلة للإصحاحات الخمسة لوضع منطق محكم للزيادة والنقصان فى المتن وتبريره بمنطق الإبداع وليس بصحة السند. فالكتاب أقرب إلى المادة منه إلى الصورة، إلى الفقه منه إلى الأصول، إلى الأدلة النقلية منه إلى "تقويم الأدلة" و"تأسيس النظر" للدبوسى. صحيح أن الأدلة النقلية

---

(١) أنظر دراستنا: من نقد السند إلى نقد المتن، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الخامس ١٩٩٦، ص١٣١-٢٤٣.

(٢) السابق جـ ١٢٩/١.

تقل فى الجزء الثانى المخصـص للقيـاس نظـرا لطبيعـة الموضوع ولكن دون أن يزيد الجانب النظرى الخالص. ويتم الاستشهاد بالشعر علـى أوسـع نطـاق وبكـلام العـرب ولسانهم[1].

وتختلط أسماء الرواة بالصحابة والتابعين والفقهاء لدرجة أنه يصعب معرفة المحاورين. ومع ذلك يتقدم الشافعى، ليس كأصوليا أو حتى فقهيا بل راويا. يتلوه أبو حنيفة. ويقل مالك وأحمد بن حنبل. ويظهر أصحاب أبى حنيفة مثل الأوزاعـى وليس الشيبانى. ولا يظهر اسم المذهب "الشافعية" بـل اسـم الصفة "شافعى"، وليس الحنفية بل "أصحاب أبى حنيفة" ممـا يدل على أن المؤلف لا يهتم بالمذهب وبنيته وطرق استدلاله. ويكثر الشافعى فى القياس وأشكاله المختلفة مثل الاستحسان. ويذكرون فى قصص وروايات كأصـحاب أقـوال ولـيس كأصحاب مذاهب وآراء[2]. ويذكر المتكلمون والفرق غيـر الإسلامية كاليهود والنصارى خاصة فى النسخ مع الاستشهاد

---

(١) الشعر (٣٠)، لغة العرب، كلام العرب (٦).

(٢) الشافعى (٤٣)، شافعى (١)، أبو حنيفة (١٠)، أصحاب أبى حنيفـة (٣)، الحنفيون (١)، مالك (٢)، أحمد بن حنبل، الأوزاعى (١).

بآية من التوراة عن ضرب أيوب لزوجته[1]. ويتحدث عـن المحدثين من المتكلمين مما يدل على بلورة الوعى التاريخى، وتقدمه من القدماء إلى المحدثين. ونادرا مـا يتحـدث عـن الفقهاء.

٥- "المنخـول مـن تعليقـات الأصـول" للغزالـى (٥٠٥هـ)[2]. وفيه تتفرع البنية أيضا. وهو مـن تعليقـات الجوينى ومن أوائل أعمال الغزالى وقبل "المستصفى" آخـر أعماله. ويتكون من إثنى عشر كتابا[3]. وينقسم الكتاب إلـى أبواب أو أبواب وفصول وقول أو فصول وقول أو مسـائل وقول أو فصل أو فصول أو أقسام[4]. وينقسم البـاب إلـى فصول أو مسائل أو أقسام، والفصول إلى مسائل، والقول إلى

---

(١) المتكلمون (٢)، الفقهاء (١)، اليهود والنصارى (١١).

(٢) الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى: المنخول من تعليقات الأصول، حققه وخرج نصه وعلق عليه محمد حسن هيتـو، دار الفكـر، بيروت (د.ت).

(٣) وهى: ١- البيان ٢- الأوامر (والنواهى) ٣- العموم والخصـوص ٤- التأويل ٥- المفهوم ٦- الأخبار ٧- النسخ ٨- الإجماع ٩- القياس ١٠- الترجيح ١١- الاجتهاد ١٢- الفتوى.

(٤) تنقسم الكتب الأولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة إلى فصول وقول وأبواب، والكتاب الثانى إلى فصول وقـول، والثالـث والخامس إلى مسائل وقول، والسادس إلى أقسام.

مسائل أو فصول. وتتفاوت الكتب كمـا. أكبرهـا القيـاس وأصغرها الاجتهاد، بالرغم مـن حرصـه علـى "القـول الوجيز"[1]. وتبدأ الكتب بكتاب البيان تحت تأثير الشافعى أى بمباحث الألفاظ وأسوة بباقى كتب الأصـول السـابقة. وقـد تكون الأبواب والفصول والمسائل مرقمة أو غير مرقمة مما يدل على غياب الحصر العقلى. تغلب عليها طابع الأمالى أو المدونات أو المذكرات لقصر الفقرات وجمع الأقوال ورصد الآراء. لم تكتمل الثنائيات بعد مثل عقد كتاب "الأوامر" دون النواهى، وجعلها مجرد قول. وربما لأن النواهى أوامر سلبية والإيجاب يسبق السلب. ويمكن رؤية تخلق البنية ابتداء مـن مباحث الألفاظ ثم الأدلـة الأربعـة أى طـرق الاسـتثمار والمستثمِر بلغة "المستصفى". وفى الأدلـة الأربعـة تكـون الأولوية للقياس ثم للسنة نظرا للأخبار ثم للإجماع ثم للكتاب فى موضوع النسخ[2]. وعلى هذا النحو تكون الأولوية للعقل

(١) الكتب مرتبة من حيث الكم تنازليا: ١- القياس (١٠٣) ٢- الأخبار (٥٣) ٣- التأويل (٤٤) ٤- الفتوى (٤٣) ٥- الأوامر (٤٠) ٦- البيـان (٣٥) ٧- المفهوم (٢٧) ٨- العموم والخصـوص (٢٦) ٩- التـرجيح (٢٥) ١٠- الإجماع (٢٠) ١١- النسخ (١٥) ١٢- الاجتهـاد (١١)، السـابق ص٢٨٥/٢٨٧.

(٢) مباحث الألفاظ (١٧٢)، الأدلة الأربعة (٢٩٠): الرابـع (٢٠٢)، الثـانى

على النقل والغياب شبه الكلى للفعل.

ونظرا لكثرة الأبواب والفصـول والأقسـام والأقـوال والمسائل يحيل العمل إلى بعضه البعض لبيان وحدته[1]. كما يعلن الجزء الحاضر عن الجزء القـادم أو يسـتعيد الجـزء الماضى[2]. كما يحيل العمل إلى أعمال أخرى سـابقة مثـل "المختصر" للشافعى[3]. ويتبلور الوعى التاريخى فى التمييـز بين المحدثين والقدماء، والحديث عن المحدثين.

ويجمع الكتاب بين الاتفاق والاختلاف، بـين الأصـول والفروع. ففى كل أصل يرصد المذاهب الكلاميـة والفقهيـة فيه. ويحاجج ويساجل، ويرصد المذاهب ويصنفها بين مغالية ووسطية، وهو أقرب إلى التوسط كما هـو معـروف عنـد الأشعرية فى الكلام والشافعية فى الفقه. وهو سجال أصولى استدلالى منطقى لا يحتد ولا ينفعل ضد أحد إلا نادرا عندما يصف المواقف المغالية بالهوس أو المعتزلة بالجهالـة[4]. لا يصدر أحكاما بالحق والباطل بل بالصحيح والفاسد أى أنـه

---

(٥٣)، الثالث (٢٠)، الأول (١٥).

(١) السابق ص٧٣/٢٩٩/٤٦٥/٤٧٥.

(٢) السابق ص٢٧٦.

(٣) السابق ص٢٥٢/٢٦٠/٢٧٠/٢٧٨.

(٤) السابق ص٧٧/١١١/٤٢٢/٤٥٣.

خطأ الاجتهاد والاستدلال. لذلك يرصد الحجـج والمسـالك والطرق العقلية المنطقية. ولهذا ظهر أسلوب "فـإن قيـل... يقال" ردا على الاعتراضات مسبقا. لا يقطع بحكم إلا فيمـا ندر[1]. لذلك يقول "المختار عندنا" أو "الأصح عندنا". بل إنه يعقد فصلا خاصا بعنوان "فصل فى بيان المختـار عنـدنا". وأحيانا يقول: "الضابط عندنا" أى الأصح والأقرب إلى العقل والمنطق[2]. يرصد وجهات النظر المختلفة ثم إثبات خطئهـا إلا واحدا بطريقة السبر والتقسيم. وهذا لا يمنع من الانتساب إلى فرقة كلامية، الأشعرية، والى مذهب فقهـى، الشـافعية. لذلك يقول "شيخنا أبو الحسن" يقصد الأشعرى[3]. كما يتحدث باسم الفرقة، الفرقة الناجية فى الغالب بلفـظ "أصـحابنا"[4]. ويقول "المحققون" وهم الذين على صواب، الفرقة الناجية.

ومازالت الأصول واحدة، أصول الدين وأصول الفقـه، أصول النظر وأصول العمل. لذلك يستشهد بآراء المتكلمـين بل والفلاسفة والصوفية. بل لقد خصص فصلا عن "مراسـم

(١) مثل "ونحن نقطع بوقوع النسخ"، السابق ص٢٩٥.
(٢) ذكـر لفـظ المختـار حـوالى ٧٢ مـرة، والأصـح (٧)، السـابق ص٢٥٩/٣٢٤-٣٦٣/٣٨٥.
(٣) المنخول ص٢٢-٢٣/٣٦/١٠٥/١٢٤/١٣٩.
(٤) السابق ص٦٤/١٧٧/٢٢١/٢٣٩-٢٤٠/٣٠٢.

المتكلمين"[1]. كما يـرتبط العلمـان معـا بأصـول الجـدل والمناظرة وقواعد الاستدلال المنطقى. والخلاف فقط فى مادة التطبيق العقليات أم الشرعيات، الاعتقـادات أم العمليـات. وربما كان الخلاف فى أصول الدين هو أساس الخلاف فـى أصول الفقه مثل قول المعتزلة بالحسن والقبح العقليـين فـى أصول الدين، وأن الأوامر والنواهى فى ذاتهما[2]. ويعتمـد على الحجج العقلية والنقلية ولكن على العقلية أكثر. والقرآن أكثر من الحديث[3]. ووسط هذا الجدل يغيب الشـعر، ومـن خضم السجال لا يأتى خيال.

وواضح من تحليل أسماء الأعلام أن البـاقلانى مـتكلم الأشعرية هو عمدته الأولى، ثم الشافعى. فالأشـعرية هـى الأساس النظرى للشافعية، والشافعية هى التطبيـق العملـى للأشعرية. ثم يأتى أبو حنيفة المقابل للشافعى، ومالك الفقيـه الثالث، وأخيرا أحمد بن حنبل[4]. ثم يعود متكلمو الأشـاعرة الأسفراييني والأشعرى والكعبى، ثم الجوينى أستاذ الغزالى،

---

(١) السابق ص٤٥.

(٢) السابق ص٥٢-٨٢.

(٣) القرآن (١٠٢)، الحديث (٧٦).

(٤) الباقلانى (٩٨)، الشافعى (٧٠)، أبو حنيفة (٤٧)، مالك (١٦)، أحمد بـن حنبل، الحنبلية، أبو يوسف (١).

والقلانسى، وابن فورك، وابن سريج[1]. ثم يـأتى متكلمـو المعتزلة أبو هاشم الجبائى، وأبو على الجبائى، ثـم فقهـاء الحنفية مثل الشيبانى[2]. ومن الصوفية الحسن البصرى ثـم المحاسبى[3]. ومن الصحابة يتقدم أبو بكر وعمر وابن عباس وعلى وسعيد بن المسيب والزبير وخالد وأبو هريرة[4]. ومن اللغويين سيبويه، والزجاج[5]. ومن الشعراء الأخطل[6]. ويتم اللجوء إلى اللغة العربية ولسان العـرب وكـلام العـرب، والألفاظ العربية وعادات العرب فى الكـلام لضـبط فهـم النصوص[7].

---

(١) الأسفراييني (١٥)، الأشعرى (٨)، الكعبى (٧)، الجوينى، القلانسى، ابن فورك، الدقاق، ابـن سـريج، الكرخـى (٢)، المـروزى، الأوزاعـى، الصيرفى، العنبرى، القاشانى، القفال (١).

(٢) أبو هاشم الجبائى (١٠)، النظام (٤)، أبو على الجبائى، الشـيبانى (٣)، أبو الحسين البصرى، واصل بن عطاء (١).

(٣) الحسن البصرى (٢)، المحاسبى (١).

(٤) أبو بكر (١٥)، عمر بن الخطاب (٨)، ابن عباس (٦)، ابن مسعود (٤)، على (٣)، طلحة، معاذ، عثمان، سعيد بن المسيب، الزبير، خالـد، أبـو هريرة (٢)، بلال، زيد بن ثابت، سعد بن أبى وقاص، سفيان بن عيينـة، ابن سيرين، عمرو بن العاص (١).

(٥) سيبويه، الزجاج ، أبو الأسود الدؤمى.

(٦) الأخطل، امرؤ القيس.

(٧) المنخول ص١٥٨/١٦٦/١٧٠/٤٦٣.

ومن الفرق يتصدر المعتزلة باعتبارهم المقابل للأشعرية كما أن الحنفية هى المقابل للشافعية. ثم يأتى الروافض نظرا لغلو فقه الخوارج، ثم الحشوية نظرا لارتباط الفرق الكلامية بالمذاهب الفقهية. ثم تأتى الفرق الكلامية، الخوارج والداودية (الظاهرية)، والسمنية التى تنكر ما يتجاوز الحس. ثم تـأتى باقى الفرق مثل الاباضية والأزارقـة والجهميـة، والذميـة والزيدية والشيعة والفلاسفة والكرامية والمرجئة والنجـدات والوعيدية ومعظمها فرق كلامية. والفلاسفة فرقة ضمن باقى الفرق[1]. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر اليهود، ويحال إلى التوراة، ثم النصارى، ثم البراهمـة والسوفسـطائية التـى أصبحت عنوانا على إنكار العلم اليقينى[2]. ويتوزع الفقهـاء على المناطق كما تتوزع اللهجات بـين بنـى تمـيم وأهـل الحجاز[3]. وأحيانا يتم الحديث عن جماعات غير معنية مثل:

---

(١) المعتزلة (١٩)، الروافض (٤)، الحشـوية (٣)، الخـوارج، الداوديـة، السمنية (٢)، الاباضية، الأزارقة، الجهمية، الذميـة، الزيديـة، الشـيعة، الفلاسفة، الكرامية، المرجئة، النجدات، الوعيدية (١).

(٢) اليهود (٤)، النصـارى (٢)، البراهمـة، السوفسـطائية (١)، التـوراة، المنخول ص١٧٠.

(٣) المنخول ص١٥٦.

آخرون، قائلون[1].

٦- "التبصـــرة فـــى أصـــول الفقـــه" للشـــيرازى (٤٧٤هـ)[2]. وتتفرع البنية أكثـر إذ أنـه مجموعـة مـن المسائل موزعة دون تساوى على ثلاثة عشر قسما: الأمـر (مع النهى)، والعموم، والاسـتثناء، والمجمـل والمفصـل، والمطلق والمقيد، ودليـل الخطـاب، والأفعـال، والنسـخ، والأخبار، والإجماع، والتقليد، والقياس، والاجتهاد. أكبرهـا من حيث الكم الأمر ثم القياس ثم الأخبار ثـم العمـوم ثـم الإجماع ثم الاجتهاد ثم النسخ ثم المجمل والمفصل ثم دليـل الخطاب ثم التقليد ثم الاسـتثناء ثـم الأفعـال ثـم المطلـق والمقيد[3]. كما تتفاوت كميا فى المسائل. أكبرها القياس ثـم

---

(١) الســـــابق ص٢٤١/٢٦٣/٢٧٣/٣٣٥/٣٨٤/٣٨٧/٤٠٣/٤١١/٤٢٣/٤٥٨/٤٤٦/٤٧٢/٤٨٣.

(٢) الشيخ الإمام أبو اسحق إبراهيم بن علـى بـن يوسـف الفيروزابـادى الشيرازى: التبصرة فى أصول الفقه، شرحه وحققه د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٣م.

(٣) الأمر (٨٨)، القياس (٨٠)، الأخبـار (٦٠)، العمـوم (٥٧)، الإجمـاع (٥٢)، الاجتهاد (٤٢)، النسخ (٣٨)، المجمـل والمفصـل (٣٥)، دليـل الخطاب (٢٢)، التقليد (١٥)، الاستثناء (١٢)، الأفعـال (١١)، المطلـق والمقيد (٦).

الأمر ثم الأخبار ثم العموم ثم الإجماع ثم النسخ ثم الاجتهـاد ثم المجمل والمفصل ثم دليل الخطاب ثم التقليد ثم الاسـتثناء مع الأفعال، ثم المطلق والمقيد[1]. وكأن التأليف قد تم بنـاء على طلب السائل فأتى متوسطا بين المبسوط الكبير، بالرغم من كبر حجمه، والمختصر اللطيـف، تبصـرة للمبـدئين، وتذكرة للمنتهين، مع تقريب الألفاظ، وتحرير الدلائل ليسهل تعلمه وتيسير حفظه[2].

ومع ذلك يمكن رؤية بنية خماسية تتخلق وتتداخل فيمـا بينها. تبدأ بمباحث الألفاظ وهى أكبرها ثم السنة ثم القياس ثم الإجماع ثم القرآن من حيث الكم[3]. ومباحث الألفاظ والسنة والقرآن والإجماع والقياس من حيث الكيف. وتغيب أحكـام التكليف والمقاصد. وعلى هذا النحو يكون للعقـل الأولويـة على النقل مع غياب كلى للفعل فى العالم.

---

(١) القياس (٣٣)، الأمر (٢٨)، الأخبـار (٢٧)، العمـوم (١٧)، الإجمـاع (١٥)، النسخ (١٣)، الاجتهاد (١٢)، المجمـل والمفصـل (١١)، دليـل الخطاب (٧)، التقليد (٥)، الاستثناء، الأفعال (٤)، المطلق والمقيد (٢).

(٢) التبصرة ص١٦.

(٣) عدد الصفحات: مباحث الألفاظ (١٢٠)، السـنة (٧١)، القيـاس (٦٥)، الإجماع (٥٢)، القرآن (٣٨).

عدد المسائل: مباحث الألفاظ (٦٩)، القياس (٥٠)، السنة (٣١)، الإجماع (١٥)، القرآن (١٣).

ويعتمد على الحجج النقلية والعقليـة، وعلـى الآيـات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، أكثر من الضعف[1]. كما يعتمد على الشعر العربى كشواهد على مباحـث الألفـاظ[2]. ومن أسماء الأعلام يتصدر أصحاب أبى حنيفة ثـم بعـض المتكلمين ثم المعتزلة ثم أبو الحسن الكرخى ثم الشافعى ثـم أبو بكر الصيرفى ثم القاضى أبو حامد المرورزى وأبو بكر القفال الشاسى وأبو حنيفة والنظام ثم عيسى بن أبان وغيرهم من الأصوليين، متكلمين وفقهاء[3]. ونظرا لاتصـال علمـى الأصول، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، ظهرت الفرق الإسلامية كالرافضة والمعتزلة والأشعرية والإمامية وأهـل

---

(١) الآيات القرآنية (٢١٢)، الأحاديث (٩١)، الشعر (٩).

(٢) التبصرة ص١٠٧/١٦٦/١٦٩/٢١٣/٢٣٢/٢٣٥-٢٣٦/٢٣٩/٣٥٤.

(٣) أصحاب أبى حنيفة (٤٧)، بعض المتكلمين (٢٠)، المعتزلة (١٧)، أبـو الحسين الكرخى (١١)، الشافعى (١٠)، أبو بكر الصيرفى (٩)، القاضـى أبو حامد المرورزى، القفال الشاشى، أبو حنيفة، الأشعرية، النظـام (٧)، عيسى بن أبان (٦)، أبو على الدقاق، أهل الظاهر، أبو العباس سريج، أبو هاشم الجبائى، أبو على الجبائى (٤)، أبو بكر الأشـعرى، أبـو الحسـن البصرى، القاسانى، أبو يحيى الجبـائى، أبـو ثـور، داود الأصـبهانى، أصحاب الحديث، الإمامية، محمد بن جرير (٣)، ابن داود، أبو عبـد ا البصرى، على بن حيوان، ابن سيرين، ابن عباس (٢)، وعشرات آخرون مثل نفطويه، ابن درستويه، العنبرى، البلخى، الأشـعرى، ثعلـب، ابـن الراوندى، الدارقطنى، الاسفراييني الطبرى... الخ (١).

الظاهر وأهل الحديث، وأهل العراق، والبغداديون والبصريون، وغير الإسلامية مثل اليهود والنصارى والبراهمة والسوفسطائية.

والكتاب حجاجى سجالى، يضع الاعتراضات ويرد عليها فهو كتاب فى الخلاف وليس فى الاتفاق، تكشف عن آراء المتكلمين فى علم أصول الفقه أكثر مما تكشف عن آراء علماء أصول الفقه فى العقائد[1]. ترصد الخلافات فى كل مسألة. ويكون الحجاج مع أبى حنيفة ثم مالك وهما خصما الأشعرى الشافعى أى ضد العقل والمصلحة. والخلاف ليس فقط بين المذاهب بل أيضا بين المواقف التى قد يلتقى عليها مذهبان. ولا فرق بين الظاهرية والإمامية فى رفض الإجماع، الأولى لحساب النص الحرفى والثانية لحساب الإمام والتأويل.

سادسا: تشعيب البنية.

١ - "كتاب التلخيص فى أصول الفقه" للجوينى

---

(١) يمكن إعداد رسالة جامعية عن آراء الأصوليين فى العقائد وآراء المتكلمين فى الأصول.

(٤٧٨هـ)[(١)]. وهو تلخيص لكتـاب "التقريـب والإرشـاد" للقاضى الباقلانى (٤٠٣هـ). وكلاهما من أعلام الأشـاعرة فى أصول الدين والشافعية فى أصول الفقه. فالأشعرية هـى الأصول النظرية التى تقوم عليها الشافعية كأصول علميـة، وكلاهما من أصول "الأموية" كما يقول ابن رشـد، أى مـن نظّر الحكم ضد المعارضة خاصة الاعتزالية والحنفية. ولـم يعلن الجوينى ذلك. بل قام بتمرينات عقلية حول المتن فـى إسهاب وتطويل دون أى قصد أو معنى أو دلالة. فقد تحـول الجزء فى المتن إلى ثلاثة أجزاء فى التلخيص! وماذا لو كان شرحا! ربما كتبه فى أول حياته وهو مازال يتمـرن علـى ممارسة العلم. وربما كتبه فى آخر حياته وهو يفيض علمـا كما فعل ابن رشد فى الشروح الكبـرى. والاحتمـال الأول أقرب، وكانت عادته فى التركيز مرة والإسهاب مرة أخـرى كما فعل فى "الورقات" ثم فى "البرهان". والغريب أن يتم ذلك فى ذروة الإبداع الحضارى فى القرن الخامس الهجرى وقبل

---

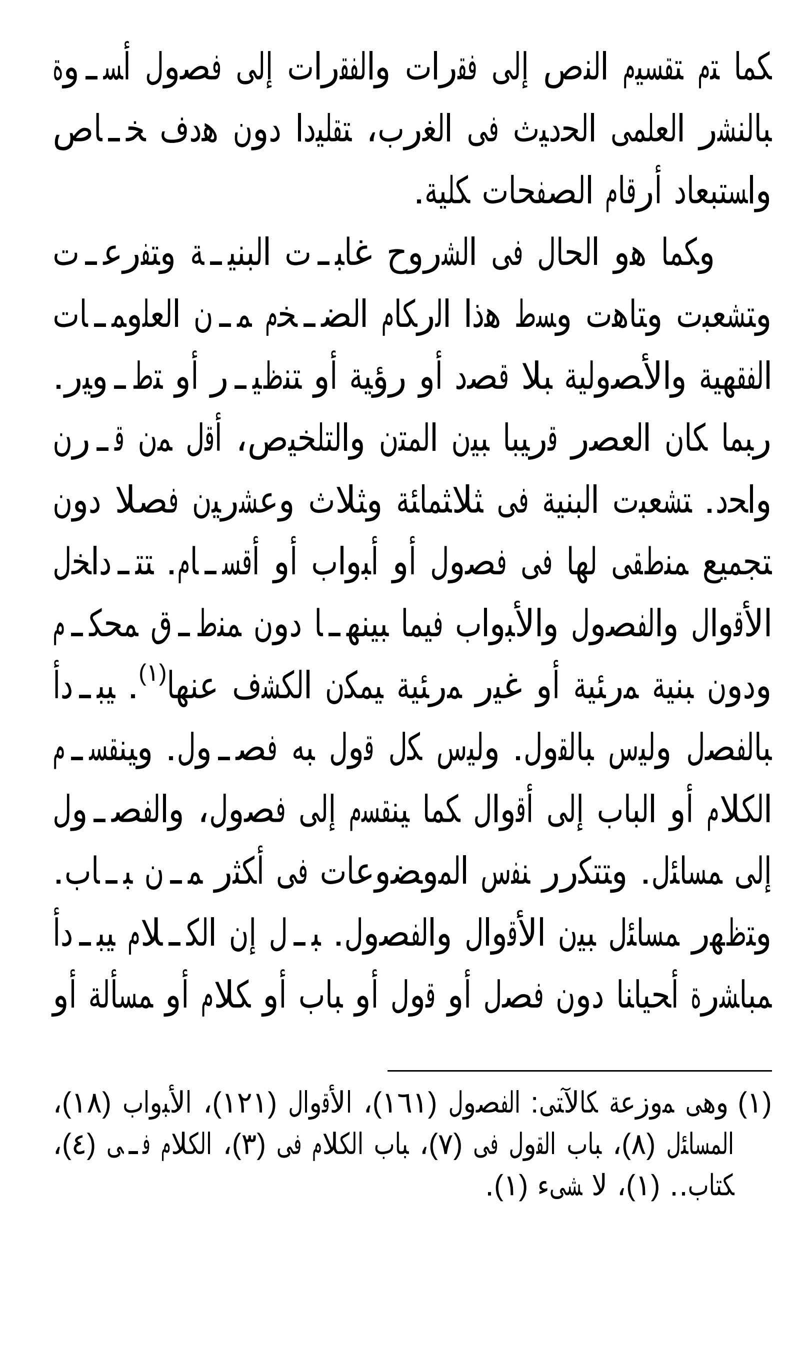
(١) إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد ا يوسف الجوينى: كتـاب التلخيص فى أصول الفقه (ثلاثة أجزاء) تحقيق د. عبد ا جولم النيبالى، شبير أحمد العمرى، دار النشر الإسلامية، مكتبـة دار البـاز، بيـروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

أن يقضى الغزالى على العلوم النظرية، ويدعو إلى العلـوم الذوقية. تحول العلم إلى معلومات، والإبـداع إلـى حشـو، والعقل إلى ذاكرة. والمؤلف على وعـى بقضـية التركيـز والإطناب[1].

ثم جاء الناشر الحديث وزاد فى الإسـهاب والتطويـل، مضيفا معلومات تاريخية على المعلومات الأصولية إظهـارا للعلم أو نيلا للدرجة العلمية فى الجامعات التقليديـة، وناقـل العلم ليس بعالم، وكأننا مازلنا نعيش فى العصـر المملـوكى العثمانى عصر الشروح والملخصات لحفـظ التـراث مـن الضياع بعد أن توالت الغـارات والغـزوات علـى العـالم الإسلامى من الغرب ومن الشرق على التوالى. ولـم تشـهد العلوم إبداعا جديدا أو على الأقل إعادة بناء مواكبة لحركات التحرر الوطنى الحديثة أو على أكثر تقدير تالية لها. وجاءت هذه الهوامش القاموسية المطولة رمية بغير رام لأن النشـر نفسه خال من الفهارس حول تخـريج الآيـات والأحاديـث والشواهد الشعرية وأسماء الأعلام والفرق والمذاهب والمدن والبلدان والأمصار كما هو الحال فى النشر العلمى الحديث.

---

(١) "فلا فائدة فى الإطناب" جـ٣٦١/٣.



كما تم تقسيم النص إلى فقرات والفقرات إلى فصول أسوة بالنشر العلمى الحديث فى الغرب، تقليدا دون هدف خاص واستبعاد أرقام الصفحات كلية.

وكما هو الحال فى الشروح غابت البنية وتفرعت وتشعبت وتاهت وسط هذا الركام الضخم من العلومات الفقهية والأصولية بلا قصد أو رؤية أو تنظير أو تطوير. ربما كان العصر قريبا بين المتن والتلخيص، أقل من قرن واحد. تشعبت البنية فى ثلاثمائة وثلاث وعشرين فصلا دون تجميع منطقى لها فى فصول أو أبواب أو أقسام. تتداخل الأقوال والفصول والأبواب فيما بينها دون منطق محكم ودون بنية مرئية أو غير مرئية يمكن الكشف عنها[1]. يبدأ بالفصل وليس بالقول. وليس كل قول به فصول. وينقسم الكلام أو الباب إلى أقوال كما ينقسم إلى فصول، والفصول إلى مسائل. وتتكرر نفس الموضوعات فى أكثر من باب. وتظهر مسائل بين الأقوال والفصول. بل إن الكلام يبدأ مباشرة أحيانا دون فصل أو قول أو باب أو كلام أو مسألة أو

(١) وهى موزعة كالآتى: الفصول (١٦١)، الأقوال (١٢١)، الأبواب (١٨)، المسائل (٨)، باب القول فى (٧)، باب الكلام فى (٣)، الكلام فى (٤)، كتاب.. (١)، لا شىء (١).

كتاب. ولا تتناسب أحجام الكتب والأبواب والأقوال والفصول. ويمكن ضم عدة أبواب أو أقوال أو فصول في موضوع واحد. بل إن الحديث فى معانى الحروف، كل حرف فى قول مع أن الحروف كلها تدخل فى قول واحد. ولا يكون بالضرورة الكتاب أكبر من الباب ، والباب أكبر من القول، والقول أكبر من الفصل، والفصل أكبر من المسألة.

وإذا كانت الأبواب هى أساس القسمة فإن مباحث الألفاظ أكبرها ثم القياس ثم السنة ثم الإجماع ثم الكتاب[1]. وتشمل مباحث الألفاظ الأوامر والنواهى والعموم والخصوص والاستثناء ودليل الخطاب. أما القياس فإنه يعرض لحقيقته والتعليل والتعبدية وتخريج المسألة على قولين والتقليد والاجتهاد. وتضم مباحث السنة أفعال الرسول وشريعة من قبلنا، وخبر الواحد والمرسل والجرح والتعديل والسماع وألفاظ الرواية وترجيح الألفاظ. أما الإجماع فإنه يشمل وجه ثبوته وأحكامه وإجماع أهل المدينة واستصحاب الحال بين الإجماع والقياس. وأخيرا يتناول القرآن موضوع النسخ،

---

(١) مباحث الألفاظ (عدد الصفحات) (٤٧٤)، القياس (٣٣٨)، السنة (٢٠٥)، الإجماع (١٣٩)، القرآن (٩٧).

مقدماته وجوازه ووقوعه[1]. ومن ثم تظهر قسـمة خماسـية حول الأدلة الأربعة ثم مباحث الألفاظ. وتغيب الأحكـام ولا تظهر إلا فى الأوامر والنواهى من مباحث الألفاظ. وهنـاك وعى بالبنية الخماسية القائمة على الأدلة الشرعية الأربعـة والإعلان عنها ومباحث الألفاظ استنادا إلى القاضى[2]. وعلى هذا النحو يكون للعقل الأولوية على النقل وغياب الفعـل أى التحقق فى العالم.

والأسلوب تعليمى ابتدائى يقوم على الشرح أكثـر ممـا يقوم على التلخيص. يكثر من الأسئلة والأجوبـة المتتاليـة بطريقة القيل والقال: "فإن قيل... قيل". ويتجـزأ الموضـوع الواحد إلى عدة أجزاء متناثرة فيضيع الأصل، وتتوه البنيـة وسط هذا الكم الهائل من المعلومات، ويتوه القارئ. ويفضل المتن الأول على التلخيص الثانى. ضاعت الأصول لصـالح الفروع. وغاب الكل لصالح الأجزاء. وتحول التلخيص إلـى

---

(١) مباحث الألفاظ (عدد الأبواب) (٧)، القياس (٦)، السـنة (٩)، الإجمـاع (٤)، النسخ (٤).

(٢) "أولها الخطاب الوارد فى الكتاب والسنة وما يتعلـق بـه مـن ترتيـب مقتضيات الخطاب. والثانى معرفة أفعال رسول ا الواقعة موقع البيان. وثالثها الأخبار ومراتبها ومنها أخبار الآحاد. ورابعها الإجماع. وخامسها القياس، التلخيص جـ ١٧٣/١.

مجموعة من النصوص المتفرقة المشوهة المضطربة المفككة التجزيئية المتناثرة. فتناثرت البنية معها وتشرذمت.

ويغلب على التلخيص الطابع السجالى مـع الخصـوم، والردود مسبقا على الاعتراضات وشبهات الخصوم. وهـى طريقة الحجاج الكلامى ومـنهج الجـدل عنـد المتكلمـين، وإرجاع أصول الفقه إلى أصول الدين. فالجوينى والبـاقلانى هما من أئمة الأشاعرة فى أصول الدين وليسا فقط من أئمـة الشافعية فى أصول الفقه وكما هو الحال فى الجدل الحق مع المتكلم الأصولى، والخطأ من جانب الخصم وهم فى الغالب المعتزلة. وبالتالى يتحول الخصام الكلام إلى خصام أصولى مع أن العلمين مختلفان. الأول جدلى والثانى برهانى. المتكلم هو "شيخنا" وهو الباقلانى، والخصم هم الأغيار، المخـالف، عدو المذهب. الأول كل شئ، والثانى يجهل كل شئ. ومـع المعتزلة يوضع أبو حنيفة وينالـه ما ينال المعتزلة من وصف مثل "شرذمة من أصحاب بنى حنيفة"[1]. وتشمل المعارضـة ليس فقط المعتزلة والخـوارج والشـيعة أى كـل صـنوف المعارضة العلنية الفكرية مثل المعتزلـة والمسـلحة مثـل

(١) السابق جـ ٢٣٣/١.

الخوارج، والسرية مثل الشيعة دفاعا عن فرقـة السـلطان، الأشعرية فى الكلام والشافعية فى الفقه، الأموية كما سـماها ابن رشد. لم يعد علم الأصول علما بل أصبح محاجة، هدفه الدعوة للفرقة الناجية واستبعاد الفرق الهالكة. فسادت الأحكام القطعية بالحق والباطـل وبالصـواب والخطـأ. وضـاعت التعددية الفكرية التى هى أهم ما يتصف به علـم الأصـول بشقيه، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه. ومن الخصـوم أيضا الفلاسفة والمناطقة وآرائهم فى القياس(1).

وبالرغم من أن الاعتدال يبدو أحيانـا إيثـارا للمـذهب المختار إلا أن الحق والباطل والصواب والخطأ هى القسـمة الجدلية الأثيرة(2). وبالرغم من الحديث عن بعض المخـالفين دون تسمية إلا أنهم يوصفون بصفات التهكم والسخرية إلـى حد القذف والسب وهو الأسلوب الحاد المعروف عنـد ابـن حزم (٤٥٦هـ)، ومن نفس العصـر، فهـم "شـرذمة مـن الفقهاء"، "ممن يعتزى إلى الأصول"، "ومن ينتسـبون إلـى الكلام"، "ومن المنتمين إلى العلم"، "بعض من لا معرفة لـه بالحقائق"، "بعض من ينتمى إلى أصل الحق"، "طائفة ممـن

(١) السابق جـ٣/١٥١.
(٢) السابق جـ١/١٧٤-١٧٥.

تتعاطى اللغة"، والراوندى "لعنة ا "، "وهذا كلام ركيك جدا"، "كلام لا طائل تحته"[1]. وتوصف الآراء المعارضة بأن "هذا تلبيس"، "من عجيب المذاهب"[2]. أقـوال الخصـوم شـبهات ضرورى الرد عليها، وآراؤه مزاعم ضرورى تفنيدها[3]. فى مقابل المحققون، أرباب الحق، أهل الحق، عصبة أهل الحق.

ومن أجل لم الشتات المبعثر يتم التذكير بالسابق والتنبيه على اللاحق حتى تظهر وحدة العمل[4]. كما يحيل إلى بعض

---

(١) الســابق جـــ ١/١٩٤/٢٠٣/٢٠٨/٢١٧/٢٢٠/٢٨٣/٣٠٨/٣٦٠/٤٢٢/٤٤٣/٤٦٠.

(٢) السابق ص٣٧١-٣٨٥.

(٣) الســابق جـــ ١/٢٧٠-٢٧٣/٤١٧/٤٥٥/٤٥٧/٤٨٤، جـــ ٢/٢٦-٣٢/١١٢/١٢٣/١٥٨-٢٦٠/١٦٥/١٦٩/١٧٢/١٩٦/١٩٨/٢١١-٢١٨/٢٣٧/٢٥٩.

(٤) الســابق جـ ١/١٥٦/١٦٤/١٧١/١٧٤/١٨٤/٢٠٨/٢٣٨/٢٤٢/٢٤٥/٢٤٧-٢٤٨/٢٥٣/٢٧٣/٢٨٢/٢٩١/٢٩٨/٣٠٢-٣٠٣/٣٠٨/٣١٢-٣٢٥/٣٣٦-٣٣٧/٣٥١-٣٥٣/٣٥٥-٣٥٨/٣٧٨-٣٧٩/٤٢١/٤٣٦/٤٤٨/٤٥٥/٤٦٥-٤٦٦/٤٨٢/٤٨٧/٥٠٣، جـ ٢/١٢/٣٤-٣٥/٣٨-٣٩/٤٨-٤٩/٥٣/٥٥/٥٩/١٠٦/١٠٩/١٣٥/١٤٢/١٤٥/١٤٩/١٥٣-١٥٤/١٦٤/١٦٩/١٧٧/١٧٨/١٨٢/١٩٥/٢٠٠/٢٠٨/٢٢٥/٢٢٩/٢٣٣-٢٣٤/٢٣٨/٢٥٠/٢٧٥/٢٧٧/٢٨١/٢٩٣/٣٠٠/٣١٠/٣١٤-٣١٥/٣٢١-٣٣٢/٣٤٦/٣٤٩/٣٥٥/٣٦٢/٣٦٤/٣٦٩-٣٧٠/٣٨٠/٣٩١-٣٩٢/٤١١/٤٦٦/٤٨٨/٤٩٤/٥١١.

المصادر مثل "الرسالة" للشافعى بالإضافة إلى كتاب القاضى نفسه.

كما ركز على وحدة العلمين، علم أصول الـدين وعلـم أصول الفقه. فحل الخـلاف الأصـولى فـى علـم الفـرق والديانات. فالخلاف دينى، والعقل غير قادر علـى مسـائل الخلاف حتى يسهل الاستبعاد والتكفير باسم الدين[1].

لذلك يتقدم القاضى أسماء الأعلام ثـم بـاقى رؤسـاء المذاهب، الشافعى ثم أبو حنيفة ثم مالك ثم يتداخل المعتزلـة مثل النظام والجبائى، وأبو هاشم، وابـن الجبـائى وهشـام والفوطى وضرار بن عمر والجاحظ مع الأحناف مثل عيسى بن أبان والعنبرى، والقفال الشاشى، والمروزى، والمزنـى. ويظهر المتكلمون، معتزلة وأشاعرة مثل البلخى وأبو موسى الأشعرى ليكشف أصول الخلاف. كما يظهر باقى المتكلمين من ظاهرية مثل أبى داود الأصفهانى، ومرجئة مثـل أبـى شمر المرجئى[2].

---

(١) السابق جـ ٤٨١/٤٥٥/٤١٥/٢٦١/٢٣٥/١.

(٢) القاضى (١٤٥)، الشافعى (٦٢)، أبو حنيفة (٣٨)، مالك (٢١)، النظـام (٢٠)، الطبرى (١٠)، الجبائى (٨)، الصيرفى، ابن سريج (٧)، الكرخى، الكعبى (٦)، أبو هاشم، عيسى بن أبان (٥)، العنبرى، داود الأصـفهانى، القفال الشاشى، أبو اسحق (الأستاذ)، الكاشـانى (٤)، المـروزى، ابـن

ومن الفرق يتقدم المعتزلة الخصم الأول للأشاعرة ثم الشيعة والأمامية والخوارج (الرافضة، الأباضية) وهم الخصوم الذين يمثلون مع المعتزلة المعارضة للسلطان، ثم الحشوية والظاهرية لمعارضتهم للتأويل ثم الفرق غير الإسلامية مثل الدهرية والبراهمة[١]. ومن الطوائف والجماعات يتقدم الفقهاء ثم العلماء ثم "أصحابنا" ثم الأصوليون ثم المتكلمون ثم الجمهور[٢].

وتقل الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار[٣]. ففى خضم الجدل العقلى وأسلوب القيل والقال، وفى منطق

الجبائى، المزنى (٣)، البلخى، أبو شمر المرجئى، أبو موسى الأشعرى، النهروانى (٢)، ابن داود، الاصطخرى، هشام، الفوطى، ضرار بن عمر، القلانسى، عبد الجبار، الجاحظ، عبد ا بن سعيد، ابن الزعبرى، أبو الحسن الأشعرى (شيخنا)، الكميت، النابغة، ابن أبى يعلى، ابن فورك (١).

(١) المعتزلة (٣٨)، القدرية (١٠)، معتزلة بغداد (١)، الظاهرية (أهل الظاهر) (٥)، الشيعة (٤)، السمنية (٤)، الروافض (٣)، الاباضية، الإمامية (٢)، الحشوية، الدهرية، البراهمة (١) .

(٢) الفقهاء (٥٥)، العلماء (٤٥)، أصحابنا (٢٢)، الأصوليون، أرباب الأصول (١٨)، المتكلمون، أهل الحق، المحققون، أرباب التحقيق (٧)، الجمهور (١٥)، أهل المدينة، الفلاسفة (٢)، أهل الحديث، الخلفاء الراشدون، المناطقة (١).

(٣) الآيات (٣٢٨)، الأحاديث (٩٦)، الأشعار (الكميت والنابغة) (٨).

الحجاج تتوارى الحجة النقلية التى تعطى الخصم قـدر مـا تعطى المتكلم لأنها سلاح ذو حدين. والمتكلم لا يريد إعطاء الخصم أى شئ، يريد الإقصاء والاستبعاد والتكفير.

وتكثر المقدمات والخـواتم الإيمانيـة فـى اللازمـات المعروفة فى التراث القديم. ففى البداية "اعلم وفقك ا " كمـا هو الحال فى أسلوب إخوان الصفا ودعـوة إلـى مشـاركة القارئ فى هذه التجربة الإيمانية لتحريضه ضـد الخصـوم. وأحيانا أخرى "اعلم" دون "وفقك ا " من أجل إيهام القـارئ بجهل الخصم، وضمه إلى المتكلم. وتتعدد لازمـات أخـرى مثل "إن شاء ا "، "إن شاء ا تعـالى"، "إن شـاء ا عـز وجل"، "وبا التوفيق"[1].

٢- "التمهيد فى أصـول الفقـه" للكلـوذانى الحنبلـى (٥١٠هـ)[2]. وهو مؤلف تعليمـى واضـح يقـوم علـى

---

(١) إن شاء ا (٥٠)، ا أعلم (٨)، وفقك ا (٤٨).

(٢) أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذانى الحنبلى: التمهيد فـى أصول الفقه، جزء ١، ٢ دراسة وتحقيق د. مفيد محمد أبو عمشة، جـزء ٣، ٤ د. محمد بن على بن إبراهيم، مؤسسة الريـان، المكتبـة المكيـة، بيروت، مكة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. وقد تقاسمه ناشران للحصـول علـى درجتين علميتين من جامعة تتبنى المذهب الحنبلى ويقـوم عليـه نظـام الدولة.

التعريفات اللغوية والحدود المنطقية. يخضع المؤلف المـتن للشرح والتقسيم. فالتراث يشرح ذاته فى هذا الوقت المبكـر. ويراجع تعريفات القدماء ويتحقق من صدقها. الجمل قصيرة، أشبه بالقضايا المنطقية. لا يدخل فى المنازعات والخلافات. ويبتعد عن السجال والمحاجة بالرغم مـن اتبـاع أسـلوب "القيل.. والقال"، والرد على الاعتراضـات مسـبقا، وجمـع الأدلة ورصدها. يغلب على المؤلف هدوء الطبع دون إصدار أحكام قطعية بالصواب والخطأ أو بالحق والباطل مـع أنـه حنبلى المذهب. يعرض موضوعيا آراء المـذاهب الأخـرى دون تجريح أو إقصاء. ويتم حوار بين المعترض والمسـتدل أو بين الخصم أو المخالف والمستدل مثل الاعتراضات حول القياس بين الحنبلى من ناحية والحنفى من ناحية أخرى[1].

ويضم تحليلات جزئية مسهبة تضيع فيها الأصول وسط الفروع، وتتشعب فيها البنية بالرغم مـن إمكانيـة رؤيتهـا والعثور عليها عن طريق ضم الموضوعات المتشابهة إلـى موضوع واحد. ينقسم إلى أبـواب، والبـاب إلـى مسـائل، ويتكرر الموضوع الواحد فى عـدة أبـواب[2]. وقـد تـأتى

---

(١) جـ٤/١٠٨-١٣٧/١٤٠-١٤٦/٩٩-١٦٨.

(٢) يضم اثنين وعشرين بابا هى: ١- الحدود ٢- الحـروف ٣- حـروف

موضوعات بلا أبواب ولا مسائل مثل "شرع مـن قبلنـا"[1]. وكلها بلا ترقيم، بلا عد ولا إحصاء بعـد اختفـاء الهيكـل العظمى وراء الكم الهائل من المعلومات كما هو الحال فـى "التلخيص" للجوينى (٤٧٨هـ). وتضـاف مقدمـة خـارج الأبواب والمسائل عن تعريف العلـم وموضـوعاته أشـبه بتلخيص شامل للعلم قبل تفصيله[2]. وأحيانا يأتى "الكلام فى" بعد الباب[3]. ويظل الغالب على القسمة الأبواب دون تفريعها إلى مسائل باستثناء ثلاثة أبواب فى مبحث الألفاظ وباب فـى ترجيح المعانى[4]. ومسائل العموم ليست فـى بـاب مثـل

الصفات التى يقوم بعضها مقام بعـض ٤- ترتيـب أصـول الفقـه ٥- الخصوص ٦- تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة ٧- المجمل والمبـين ٨- الحقيقة والمجاز ٩- المحكم والمتشابه ١٠- البيـان ١١- الأفعـال ١٢- النسخ ١٣- الأخبار ١٤- فيما يرد به الخبر ١٥- الإجمـاع ١٦- القياس ١٧- شروط القياس وما يصححه وما يفسده ١٨- حكـم الأصـل ١٩- الاعتراضات على القياس ٢٠- ترجيح المعـانى ٢١- الاجتهـاد ومسائله وصفة المجتهد ٢٢- التقليد وما يجوز أن يقلد فيه وما لا يجوز.

(١) "شرع من قبلنا"، التمهيد جـ٢/٤١١-٤٢٥.

(٢) السابق جـ١/٢-٩٨.

(٣) (ست مرات) السابق ٧-باب الكلام فى المجمل والمبين ١١- باب الكلام فى الأفعال ١٣- باب الكلام فى الأخبار ٢٥- باب الكلام فـى الإجمـاع ٢٦- باب الكلام فى القياس ١٨- باب الكلام فى حكم الأصل.

(٤) أربعة أبواب فقط تتفرع إلى مسائل هى: ٤- باب ترتيب أصول الفقـه: مسائل الأمر، مسائل النهى، مسائل العموم ٥- باب الخصوص: مسـائل

الخصوص، وتدخل مع الأمر والنهى[1]. تكثـر التحلـيلات اللغوية لأن مباحث الألفاظ هو المبحث الرئيسى الذى يتصدر الأدلة الشرعية الأربعة مع أن الحقيقة ليست فـى اللفـظ أو حتى فى المعنى، فحوى الخطاب، بل فى التوجه نحو العـالم والفعل فيه.

ومع ذلك يمكن ضم الأبواب المتشابهة حول موضـوع واحد، واكتشاف بنية خماسية، بالإضافة إلى المقدمة اللغويـة المنطقية. تقوم على مباحث الألفاظ والنسخ (الكتاب) والسنة، والإجماع والقياس. وترد إلى بنية ثنائية، الأدلـة الأربعـة، ومباحث الألفاظ وغياب الأحكام الشرعية، أحكـام التكليـف وأحكام الوضع، طرق الاسـتثمار، والمثمـر دون الثمـرة بتعبيرات "المستصفى". ويغيب لفظ الكتاب ولكن النسخ يشير إليه بالرغم من أن النسخ فى الكتـاب والسـنة علـى حـد سواء[2]. ومن حيث الكم أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم

الاستثناء ٦- باب تخصيص العموم بالأدلة المنفصلة: مسـائل المطلـق والمقيد، مسائل دليل الخطاب وفحواه ٢٠- باب ترجيح المعانى: مسـائل فى استصحاب الحال.

(١) التمهيد جـ٢/٥-٧٠.

(٢) أولا: المقدمة الأولى: ١- الحدود ٢- الحروف ٣- حروف الصـفات. ثانيـا: مباحث الألفاظ: ٤- ترتيب الأصول (الأمر، والنهى، والعموم) ٥- الخصـوص

السنة ثم المقدمة اللغوية المنطقيـة ثـم النسـخ وأصـغرها الإجماع[1]. والمؤلف على وعى بالبنية. ويفرد لهـا عنـوان خاصا "فى ترتيب علم الأصول". وإن كان مضمونه بعـض مباحث الألفاظ. فإذا كان علم الأصول هو علـم الاسـتدلال يتقدم الخطاب أى مباحث الألفاظ. والخطاب حـروف قبـل الألفاظ. والأمر والنهى أعلى حالات الخطاب يحتـاج إلـى الأمر والنهى، فمعرفة الشئ بنفسـه تسـبق معرفـة الشـئ بالآخر. ويقدم الأمر على النهى كما يقدم الإثبات على النفى، والإيجاب على السلب ويتقدم الخاص والعام علـى المجمـل والمفسر لأن الأول جلى والثانى خفى. ثم تأتى الأفعال بعـد الخطاب لأن الخطاب مقدم على الأفعال. وتتقدم الأفعال على الناسخ والمنسوخ لأن الأفعال إثبات والنسخ نفـى. والنسـخ

٦- تخصيص العموم بالأدلة التفصيلية (المطلـق والمقيـد، دليـل الخطـاب= =وفحواه) ٧- المجمل والمبين ٨- الحقيقة والمجاز ٩- المحكم والمتشابه ١٠- البيان. ثالثا: الكتاب: ١٢- النسخ. رابعا: السنة: ١١- الأفعـال ١٣- الأخبـار ١٤- فيما يرد به الخبر. خامسا: الإجماع: ١٥- الإجماع. سادسا: القياس: ١٦- القياس ١٧- شروط القياس ١٨- حكم الأصل ١٩- الاعتراضات على القيـاس ٢٠- ترجيح المعانى (استصحاب الحال) ٢١- الاجتهاد ومسائله وصفة المجتهد ٢٢- التقليد، ما يجوز وما لا يجوز.

(١) مباحث الألفاظ (٥٦٦)، القياس (٤٧١)، السنة (٣٥١)، المقدمة اللغوية المنطقيـة (١١٦)، النسخ (القرآن) (٧٦)، الإجماع (٣٤).

مقدم على الإجماع لأن النسخ يدخل على الخطاب والأفعـال وليس على الإجماع. ويتقدم الإجماع على القياس لأن شرعية القياس من ممارسته فى إجماع الصحابة. ويتقدم القياس على الإفتاء لأن الإفتاء يقوم على القياس(١). وعلى هـذا النحـو

---

(١) "وأصول الفقه طريق توصل إلى معرفة الفقه ينبغى أن يعرف مراتبهـا وطرقها وكيفية الاستدلال بها. وإنما ذكرنا ذلك لأنها متعلقة بالخطـاب. فأول ما ينبغى أن يعلم حدود الخطاب (وحقيقته)، ومجـازه والحـروف الداخلة عليه والمغيرة له. ولهذا المعنى بدأنا بذكرها وسنذكر الخطـاب. وأول ما ينبغى أن نبدأ به من الخطاب الأمر والنهى لأنه أعلـى حـالات الخطاب لأن به يثبت الإيجاب (ويتمتم) الإلزام. وإنما قدمنا الأمر والنهى على الخاص والعام لأن الخاص والعام من فوائد الأمر والنهى. والأولـى أن يعرف الشئ نفسه ثم يعرف بعد ذلك فوائده. وإنما يقدم الأمـر علـى النهى لأن الأمر مثبت والنهى منفى، والإثبات مقدم على النفى. ونـذكر بعد ذلك الخاص والعام. وإنما نقدمه على المجمل والمفسر لأنه خطـاب مفهوم جلى، والمجمل والمفسر خطاب خفى. والجلى مقدم على الخفـى. ونذكر بعد ذلك المجمل والمفسر ونقدمه على الأفعال. وإنما كـان كـذلك لأنه وإن كان مجملا فهو من الخطاب. والخطاب مقدم علـى الأفعـال. ونذكر بعد ذلك الأفعال ونقدمها على الناسخ والمنسوخ وإنما كان كـذلك لأن الأفعال موجبة ومثبتة ويدخل عليها النسخ. فلهذا المعنـى ألحقناهـا بالخطاب. ونذكر بعد ذلك الناسخ والمنسوخ ونقدمه على الإجماع لأجـل أنه يدخل على الخطاب والأفعال (ويثير) الأحكام فيها فلا يـدخل علـى الإجماع. فلهذا قدمناه. ونذكر بعد ذلك الإجماع ونقدمه على القياس. وإنما كان كذلك لأنه دليل مقطوع وبه نستدل على جواز الاستدلال بالقياس لأن الصحابة اجتمعت على الاستدلال بالقياس فكأنه أصل للقياس، والأصـل مقدم على الفرع. ونذكر بعد ذلك القياس ونقدمه على الحظـر والإباحـة

للعقل الأولوية على النقل أو النص على حساب الواقع أى الفعل فى العالم.

ويعتمد على كثير من الأدلة النقلية والعقلية والأقوال المأثورة والشعرية. الأحاديث أكثر من الآيات. وكلاهما أكثر من الشعر(1). كما تذكر بعض الفرق وكلها من المعارضة مثل الرافضة (الخوارج) والمعتزلة (القدرية) والإمامية والفلاسفة بالإضافة إلى فرق السلطان مثل الأشعرية والجهمية، وبعض الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة(2). وتتوالى الأدلة النقلية، دليلا وراء آخر مع عدها والرد عليها أيضا(3). فالمقصود هو المحاجة الداخلية النظرية وليس

وعلى المفتى. وإنما كان كذلك لأنه دليل من أدلة الشرع مثبت. وإنما يكون الحظر والإباحة بينهما. والمفتى إنما يفتى إذا عرف ما القياس وما الدليل. ولا يجوز له أن يفتى حتى توجد فى حقه. والمستفتى لا يجوز أن يستفتى حتى يعدم فى حقه. فلهذا قدمناه. ونذكر بعد ذلك المجتهد وهل كل مجتهد مصيب؟ والحظر والإباحة وما نبينه بعد ذلك إن شاء ا تعالى"، التمهيد جـ ١٢١/١-١٢٣.

(١) الأحاديث (١٣٦)، الآيات (٩٠)، الأثار (٦١)، الأشعار (٣) (دون التكرار).

(٢) الرافضة (٢)، الإمامية، الخوارج، الفلاسفة، القدرية، المعتزلة، الأشعرية، الجهمية، البراهمة (١).

(٣) التمهيد جـ ٢٢٢/١-٢٢٦/٢٢٧-٢٤٢/٢٤٤-٢٥٤/٢٥٦-٢٧٢/٢٧٤-٢٨٣/٢٨٦-٢٩٤/٢٩٧-٣٠٦/٣١٠-٣١٨/٣١٩-٣٢٧/٣٣٤-٣٣٨/٣٤٢-٣٥٢-

الهيكل الخارجى. ومن ثم حفـر الحفـر دون البنـاء. ولـه مصادر يحيل إليها، ومشايخ يجل لهـم المؤلـف الاحتـرام والتبجيل.

ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبـل وعمر بن الخطاب أى النص والمصلحة، ثم الشافعى باعتبار الشافعية هى المذهب السائد بعد تقنين الغزالى له. ثم يتقـدم الصحابة لاعتماد المذهب الحنبلى عليهم مثل على بـن أبـى طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود قبل بـاقى المذاهب الفقهية مثل أبى حنيفة. ثم يتقدم الصحابة من جديـد مثل أبى بكر وعائشة قبل الفقهاء مثل المروزى. ثم يتقدم من جديد أبو الحسن الكرخى فقيه الحنفية على بعض الصـحابة مثل أبى هريرة. ثم يتداخل الفقهاء مثل الجصـاص ومالـك والسرخسى وأبى يوسف وشريح والقاشانى والصيرفى وابن

٣٥٨/٣٧٤-٣٧٦. جـ ٢/٧-٤٠/٦١-٦٤/٧٤-٧٩/٨٦-٨٨/٩٤-٩٥/١٢٣-١٢٦/١٥٢-١٥٤/١٦٣-١٦٦/١٨٢-١٨٨/١٩٤-٢١٤/٢٤٢-٢٤٦/٢٩٤-٣٠٦/٣٣٢-٣٣٨/٣٤٩-٣٤٤/٣٦٠-٣٧٠/

٤١٦-٤١٨. جـ ٣/٢٤-٣٠/٣٦-٣٨/٦٣/١٥٧-١٥٨/١٦٤-١٦٥/١٧٨-١٨٩/٢٦٤-٢٦٥/٢٨٧-٢٨٩/٢٩٤/٣٠٢/

٢٩٤/٣٦١-٣٦٣/٣٦٩/٤٤٢. جـ ٤/٣٣/٤٤/٥٧/٦٥/٧٢-٧٦/١٥٤/٢٥٧/٢٦٤/٢٣٨/٣٠٩/٣٢٠-٣٢١/٣٧٩/٤٠١/٤١١-٤١٢.

شقلا مع المتكلمين أشاعرة ومعتزلة مثل الأشعرى والمريسى والقاضى عبد الجبار والنظام والجبائى والاسفراينى والخياط وأبى الحسين البصرى وابن الراوندى وغيرهم[(1)].

ويحيل العمل إلى ذاته بحثا عن وحدته، يحيل السابق إلى اللاحق، ويذكر اللاحق بالسابق[(2)].

---

(١) أحمد بن حنبل، عمر بن الخطاب (٢٥)، الشافعى (٢٠)، على بـن أبـى طالب (١٨)، عبد ا بن عباس (١٧)، أبو حنيفة، عبد ا بـن مسـعود (١٥)، أبو بكر، عائشة (١٣)، المـروزى (١١)، الكرخـى (٩)، أبـو هريرة، عثمان بن عفان (٨)، أبو هاشم، أبو الحارث، عبد ا بن عمـر (٧)، أبو سعيد الخدرى، أبو بكر الرازى الجصاص، عبد الـرحمن بـن عوف، الميمونى، المغيرة بن شعبة، مالك بن أنس (٦)، الأشرم، أبو على الجبائى، الحسن البصرى، داود الظاهرى، أبو موسـى الأشـعرى (٥)، السرخسى، أبو داود السجستانى، أبو يوسف، أبو الحسن= =الأشـعرى، بشر المريسى، بكر بن محمد، زيد بن ثابت، شريح، عصـمة بـن أبـى عصمة، عبد الجبار الهمذانى، محمد بن سيرين، محمد بن سلمة، النظـام (٤). أبو يعلى، الأصم، التميمى، الجرجانى، سعيد بن المسـيب، عبيـدة السليمانى، محمد بن الحسم (٣)، أبو عبـد ا البصـرى، أبـو اسـحق الاسفراييني، الخزرى، ابن سلام، القاشانى، جعفر بن مبشر، عبد ا بن حنبل، الصيرفى، الطبرى، موسى بن عمران وآخرون من الصحابة (٢)، الخياط، أبو الحسين البصرى، الاسكافى، الأخفش، ابن شاقلا، أبو الهذيل، ابن سريج، ابن الراوندى، البغوى، البخارى، سفيان الثورى، وعشـرات من الصحابة (١).

(٢) التمهيــد جـــ ١/٢٣/٣١، جـــ ٢/٢١٣/٣٣٤، جـــ ٣/٧٥، جـ ٤/١٢٥/٢١٧/٣١٧.

وبالرغم من الحكم الشائع بأن الحنبلية قطعية الحكـم إلا أن اللازمات الدينية مثل "الله أعلم"، "والله أعلم بالصـواب"، "إن شاء الله تعالى" تجعل العلم أقرب إلى الاحتمال الأقوى[(1)]. ومع ذلك يصدر أحيانا أحكاما بالقطع "وهذا غلط"[(2)].

٣- "المحصول" للرازى (٦٠٦هـ)[(3)]. وفيه تنفك بنيـة الغزالى. وتعود الأصول إلى الامتداد إلى ثلاثة عشر أصـلا يمكن ضمها إلى أصول أصغر وكمـا كـان الحـال قبـل "المستصفى"[(4)]. وكل أصل يبدأ بلفظ "الكلام فى..". أكبرهـا القياس ثم الأوامـر والنـواهى ثـم اللغـات ثـم العمـوم والخصوص. وأصغرها المفتـى والمسـتفتى[(5)]. وتتـداخل

---

(١) السـابق جـ٢/٥٨/٦٥/١١٨/١٧٦/٣٥٢/٤١٣/٤٢٥، جـ٣/٢٢/٢٤٩/٢٥٥/٢٧٧/٢٨٧، جـ٤/٨٧/٢١٢/٢١٧/٢٤٩/٣٢٠.

(٢) السابق جـ٣/١٠٩/٢٩٨/٣٦٩/٣٨٢، جـ٤/١٧.

(٣) فخر الدين محمد بن عمر الرازى: المحصول فى علـم أصـول الفقـه، (أربعة مجلدات)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معـوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٤) وهى: ١- اللغات ٢- الأوامر والنواهى ٣- العمـوم والخصـوص ٤- المجمل والمبين ٥- الأفعال ٦- الناسـخ والمنسـوخ ٧- الإجمـاع ٨- الأخبار ٩- القياس ١٠- التعادل والتراجيح ١١- الاجتهاد ١٢- المفتـى والمستفتى ١٣- فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشرع.

(٥) الترتيب الكمى على النحو الآتـى: ١- القيـاس (٢٣٧)، ٢- الأوامـر

مباحث الألفاظ مع الأدلة الشرعية الأربعة. ويبـدأ الكتـاب بمقدمة عن تعريف العلم وبعـض مصـطلحاته وضـوابطه وموضوع الحسن والقبح عقليان أم شـرعيان وفيـه تظهـر أحكام التكليف[1]. ويمكن ضم الموضوعات المتشـابهة فـى أصل واحد وبالتالى تتقدم مباحث الألفاظ ثم الأدلة الشـرعية الأربعة ابتداء من القياس ثم الإجماع ثم السـنة وأصـغرها الكتاب[2]. ومن ثم تكون الأولوية للعقل علـى النقـل علـى حساب الفعل فى العالم وتحقيقه فى الواقع.

وينقسم كل كلام إما إلى أبواب أو أقسـام أو أركـان أو مسائل. والقسمة إلى الأقسام هى الغالبة. والمقدمة تنقسم إلى فصول[3]. ثم ينقسم القسم إلى مسائل أو أنظار تنقسم بدورها

والنواهى (٢١٦)، ٣- اللغات (١٦١)، ٤- العموم والخصوص (١٥٩)، ٥- الإجماع (١٢٤)، ٦- الأخبار (٧٦)، ٧- الناسخ والمنسـوخ (٦٨)، ٨- فيما اختلف فيه المجتهدون أنه من أدلة الشـرع (٦١)، ٩- المجمـل والمبين (٥٧)، ١٠- التعادل والتـراجيح (٥٥)، ١١- الاجتهـاد (٣٦)، ١٢- الأفعال (٣٢)، ١٣- المفتى والمستفتى (٢٥).

(١) المحصول جـ ١/٥-٨١.

(٢) مباحث الألفاظ (٦١٠)، القياس (٤١٤)، الإجماع (١٢٤)، السنة (١٠٠)، الكتاب (٦٨).

(٣) الأوامر والنواهى (أقسام) (٣)، العموم والخصوص (٤)، المجمل والمبين (٤)، الأفعال (٣)، الناسخ والمنسوخ (٤)، الإجماع (٧)، الأخبـار (٢)، القياس (٣)، التعادل والتراجيح (٤)، المفتـى والمسـتفتى (٣). اللغـات

إلى مسائل. وقد ينقسم القسم إلى شطور أو أشطار، والشطر إلى مسائل، والمسائل إلى فصول. وقد ينقسـم القسـم إلـى أبواب، والباب إلى مسائل أو فصول. كما ينقسم إلى أبحـاث أو مسالك أو إلى أقوال أو إلى أنواع. كل ذلك يـدل علـى غياب البنية المحكمة[1]. أما الباب كوحدة أولى فقد تنقسم إلى أنظار، والنظر إلى مسائل[2]. ولا تغيب البنية الواعية بل يتم الإعلان عنها فى أسس كل موضوع بتوضيح أولى خطوات البنية[3]. وقد يدخل القول فى الباب أو فى الفصـل أو فـى المسألة. ويستعمل لفظ "تنبيه" للتركيز على جزئية خاصة فى مسألة أو قول[4]. كما يستعمل لفظ "فرع" لجزء فى مسألة[5].

وللرازى فضل كبير على علـم أصـول الـدين فـى "المحصل" و"أساس التقديس" و"محصـل عقائـد المتقـدمين والمتأخرين" و"معالم أصول الدين" و"المسائل الخمسون". وفى

(أبواب) (٩). الاجتهاد (أركان) (٤). فيما اختلف فيه المجتهدون أنه مـن أدلة الشرع (مسائل) (١١). المقدمة (فصول) (١٠).

(١) المحصول ص٢٤٣-١٠٧١/٨٩١-١٣٦٢.

(٢) السابق ص٨٢-٢٤٢.

(٣) السابق ص٥٧١-٥٩٢/٥٧٢-٦٢٣/٥٩٨-٦٢٦.

(٤) تنبيه ص٥٩٠/٥٩٨/٦٩٢.

(٥) فرع ص٦٨٩/١٢١٢.

أصول الفقه فى "المحصول"، وفى الفلسـفة فـى "المباحـث المشرقية". مما يدل على إمكانية التأليف فى العلوم. فالقسمة بالعلم وليست بالعالم. وواضح شيوع مشتقات فعل "حصـل" فى "المحصول" و"المحصل". ويبـدأ "المحصـول" بمشـكلة الحسن والقبح العقليين التى تربط بين شقى علـم الأصـول. ويتسم بدرجة عالية من التنظير مما يدل على قلـة أسـماء الأعلام والمذاهب والفرق نسبيا بالمقارنة بالمؤلفات الأصولية الأخرى. وتأتى الأعلام كلها فى فقرة واحدة أو فى موضوع واحد فى رأسى المسألة لبيان أوجه الاختلاف نحوها. ومـع ذلك تكثر التفريعات النظرية فى القواعد والأصـول. ويـتم ترقيم الأدلة، فالدليل هو وحدة التحليل. كما يتم الـرد علـى الاعتراض واحتجاجات المخـالفين، اعتراضـا اعتراضـا، وحجة حجة. كما يتم تقطيع التعريف لفظا لفظا وشرح كـل جزء على حدة، وكأن الرازى يشرح نصه، ويفسـر متنـه حتى يصبح كل جزء واضحا بنفسه. وهى بدايـة عصـر الشروح والملخصات والتخريجات[1]. وكثيرا ما يتم التحليـل على مستوى الشعور مثل البحث عـن "الطلـب النفسـانى"

(١) السابق ص٨٣-٨٧/٥٨٥-٥٨٩/٦٤٦/٧٥٧/١٠٨٨.

و"المعنى النفسانى" و"زورت فى نفسى كلاماً" و"الوجدانى"[١].

ويستشهد الرازى بعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآيات أكثر[٢]. كما يستشهد بالشعر العربى ولغة العرب فى مباحث الألفاظ[٣]. ومن النحاة يذكر سيبويه وابن جنى والمبرد[٤].ويستشهد بشعر الفرزدق. ومن كتب النقد يذكر الجرجانى فى الوساطة بين المتنبى وخصومه. ويتميز كلام العرب عن كلام الزنجى. فاللغة قوم، والشعوب لغات[٥]. ومن الكتب يحال إلى كتاب سيبويه "العين"، والخصائص لابن جنى، والصحاح للجوهرى. ومن كتب النقد يذكر الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى[٦].

ويذكر الرازى عددا من الأعلام والفرق والمذاهب[٧].

---

(١) السابق ص٢٥٥/٢٥٨/٧٧١.

(٢) الآيات (٦٢٠)، الأحاديث (٢٢٠).

(٣) الشعر (١٩)، لغة العرب (٧)، الفرزدق (٣)، لبيد (٢)، الأخطل، طرفة، النابغة، الكميت، الطرماح، ذو الرمة (١).

(٤) سيبويه (٣)، ابن جنى (٤)، المبرد (٢).

(٥) السابق ص٦٦١-٦٦٤/٦٦٧.

(٦) العين (٦)، الخصائص، الوساطة (١).

(٧) للأسف لا توجد فى هذه الطبعة كما هو الحال فى طبعات المؤلفات الأصولية الأخرى على فهارس للأعلام أو الآيات أو الأحاديث أو الأشعار أو الفرق والمذاهب أو الأماكن.

يتقدمهم الشافعى لأنه شافعى ثم أبو الحسين البصـرى شـيخ المعتزلة للحوار معه، ثم البـاقلانى شـيخ الأشـاعرة بعـد الأشعرى، ثم أبو حنيفة من أهل النظر، ثم أبو هاشم من أئمة المعتزلة، ثم الغزالى الذى جعـل الأشـعرية المـذهب فـى العقيدة، والشافعية المذهب فى الفقه، ثم النظام.. الـخ، مـرة أشعرى مثل الجوينى والاسفراييني والـرازى (أبـو بكـر) والأشعرى، ومرة معتزلى مثل أبى على، والجبـائى، وأبـى الهذيل، وأبى على بن خـلاد، وأبـى اسـحق الشـيرازى والطبرى، ومرة شافعى مثل ابن سريج والأصفهانى، ومـرة حنفى مثل الجصاص والكرخى والشيبانى. ويـدخل فقهـاء الشيعة مع فقهاء أهل السنة مثل الشريف المرتضى[1]. ويذكر

---

(١) الشافعى (٦٦)، أبو الحسين البصرى (٤٥)، الباقلانى (٢٢)، أبو حنيفة، أبو هاشم (١٣)، الغزالى (١٢)، النظام، القاضى عبد الجبار، ابن سـريج (١٠)، الكرخى، أبو مسلم الأصفهانى (٩)، مالـك (٨) أبـو علـى (٧)، عيسى بن أبان (٦)، الجبائى، المرتضى مـن الشـيعة (٥)، الجـوينى، الأصمعى، الصيرفى، الشريف المرتضى (٤)، سـيبويه، الاسـفراييني، الرازى (أبو بكر)، الشيبانى، الأشعرى، أبو الهذيل، أبو عبد ا البصرى، أبو على بن خلاد، أبو اسحق الشيرازى، ابن العارض، الأشـعرى (٣)، الأصطخرى، القفال، أبو على الفارسى، بشر المريسـى، المـازنى (٢)، عبد الجبار، ابن فورك، المزنى، المروزى، الدقاق، ابن الزيعرى، علـى بن حيزان، عبد ا بن سلام، ابن سيرين، الخياط، أبـو زيـد، المزنـى الباهلى (١) .

الصحابة والتابعون وغيرهم مثل ابن عباس وأبو سعيد وأبو هريرة وغيرهم. ومن آل البيت الحسـن وعلـى وفاطمـة والحسين[1].

ومن الفرق يتقدم "المعتزلة" ثم "الفقهاء" ثم "أصحابنا" ثم "المتكلمون" مما يدل على صلة العلمين، الفقهاء علماء أصول الفقه، والمتكلمون علماء أصول الدين[2]. كما تظهر المذاهب الفقهية مثل الحنفية والشافعية، ويتقدم الحنفية لأنهم الخصـوم ثم الشيعة[3]. كما تظهر بعض الفرق غير الإسـلامية مثـل المجوس واليهود والنصارى والمانوية[4]. وقـد يعبـر عـن المذهب بلفظ "أصحاب" مثل أصحاب بنى حنيفة وأصـحاب الشافعى[5]. وتكثر الفرق الكلامية مثـل الخـوارج ومـنهم الفضيلية والميمونية والحشوية. وتتحدد المذاهب بالأمصـار

(١) ابن عباس (٣)، أبو سعيد، أبو هريرة، ابن هريرة، كعب، عمر، الصديق (٢).
(٢) المعتزلة (٢٣)، الفقهاء (١٩)، أصحابنا (٢١)، المتكلمون (٩)، الإمامية (٣)، السمنية، أهل الظاهر (١).
(٣) الحنفية (١٢)، الشيعة (٩)، الشافعية (٤)، الأصوليون (٢)، الاخباريون، الصحابة، التابعون (١).
(٤) اليهود (٥)، النصارى (٤)، المجوس (٣)، المانوية، البراهمة (١).
(٥) العلماء، أصحاب الحديث (المحدثون) (٤)، المحققون، أصـحاب النظـر (١) .

وفقهائهم مثل الكوفيين[1]. ومن الأنبياء يذكر موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم ومحمد ثم إسماعيل. ومن الكتب المقدسة يحال إلى التوراة. ومن ملوك بابل نبختنصر[2].

وبالرغم من العقلانية والتحليل النظرى والاعتدال فى المواقف إلا أن الرازى يتحدث عن "مذهبنا" و"أصحابنا" و"مشايخنا" معلنا انتسابه لموقف دون آخر، موقفه هو الصحيح والمواقف الأخرى هى الفاسدة[3]. فالدليل هو وحدة التحليل[4]. والمواقف نفى وإثبات وتوقف أو طرف وطرف

---

(١) الخوارج (٢)، الفضيلية، الميمونية، قدماء الروافض، الخطابية، الحشوية (١). الكوفيون (٤)، اهل العراق ، فقهاء الأمصار، البصريون، نحاة الكوفة، نحاة البصرة (١).

(٢) موسى (٦)، عيسى (٥)، إبراهيم (٤)، آدم، محمد (٢)، إسماعيل (١). التوراة (٥). نبختنصر (١).

(٣) وهذا باطل ص٦٥١/٥٢٦، وهذه الثلاثة باطلة ص٥٧٤، هذا التعريف فاسد، المحصول ص٦٥/٤٠/١٩، الأول باطل والثانى باطل ص٩٧، فهذا برهان قاطع على فساد قولهم ص٤٤٣، هذا تلبيس ص٧١٤، هذا ضعيف ص٨٥٧/٧٦٧/١٥٩٧، والصحيح أن يقال ص٢٥١، الأول باطل والثانى حق ص٩١٣، الطرق الفاسدة ص٩٣٥،= =والإنصاف أن ص٥٥٨، وهو المختار ص١٤٣٥/١٠٣٦/٦١٤، والمعتمد ص٩٩٧.

(٤) واحتج المخالف ص٤١٤، احتج الخصم والجواب ص٤٣٤، حجة المنكرين، حجة المجوزين ص٤٣٥، وأما المعارضة التى ذكروها ص٤٤٥.

نقيض وواسطة[1]. وتكثر مصطلحات مثل "مسلم" و"ممنـوع" أى مقبول ومرفوض أو صحيح وفاسد[2].

ويحيل العمل إلى بعضه البعض ضـما لأجزائـه ممـا يكشف عن وحدة الرؤية. كما يحيل إلى بعض كتبه الأخرى مثل "عصمة الأنبياء" مع الوعى بتمايز العلمين، علم أصـول الدين وعلم أصول الفقه. كما يحيـل إلـى كتـاب "النهايـة" و"الخلق والبعث"[3]. ومن كتب المتكلمين يحال إلـى كتـاب الغيث للجاحظ و"اختلاف الحديث" للشافعى[4].

٤- "أصول الفقه" لابن عربى (٦٣٨هـ)[5]. ويدخل مع أصول الفقه الظاهرى مثل ابن حزم، جامعا بـين الظـاهر والباطن، فى الأصول والتصوف. تكثر فيه الشواهد النقليـة،

---

(١) الأطراف والوسط ص٦٠٦-٦٠٧.

(٢) هذا مسلم وهذا ممنـوع ص٨٣٤/٩٣٣/١٠٩٣/١١٠٠/١١١٧، والـدليل على صحة هذا التعريف ص٥٤٠.

(٣) السـابق ص٤٤/١٥٠/٢٨٧/٣٤٠/٣٩٢/٦٧٠/٧٦٩/٨١٩/٧٩٧/٨٢٤/٨٨٢/٨٩٧/٩٠٥/١٠١٧/٢٩٠/١٤٢٤/١٣٧١/١٤٣٦.

(٤) المحصول ص٩٥٦/١٤٥٣.

(٥) العالم الراسخ الكامل الشيخ محى الدين محمد بن عربى الأندلسـى عليـه الرحمة: رسالة فى أصول الفقه ص١٨-٣٥.

والقرآن أكثر من الحديث[1]. وتقل فيه أسماء الأعلام باستثناء مالك من الفقهاء والجنيد من الصوفية[2]. ولا يخلو من حـدة الأحكام التى عرف بها أصول الفقه الظاهرى عن ابن حـزم والحكم بالضلال والخروج عن دين ا   عند المخالفين. وتبدو الظاهرية بوضوح فى عد أصول الأحكام المتفق عليها فـى ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع. وأما الرابع وهـو القيـاس فعليه خلاف. وتنقسم الرسالة إلى أربعة عشـر فصـلا دون رابط بينها[3]. قبلها يظهر الاستحسان وهو أدخل فى القيـاس ثم خبر العدل وهو أدخل فى السنة. وتغلب مباحـث السـنة على مباحث الكتاب، رواية الحديث باللفظ والمعنى ثم العـود إلى أفعال النبى. وتتأرجح مباحث الألفاظ والأمر والنهى بين الكتاب والسنة. ويضم القياس عددا من الموضـوعات مثـل شرع من قبلنا، والتقليد، والاستفتاء والاجتهاد. وتختفى أحكام

---

(١) القرآن (٧)، الحديث (٢).

(٢) الجنيد، مالك بن أنس (١).

(٣) وهى: ١- التعارض ٢- السنة ٣- وجوب الأخذ برواية الرؤى مـا لـم يجرح بجرح يؤثر فى نقله، رواية الحديث بالمعنى ٣- النسخ ٤- فيمـا تحمل عليه الألفاظ الواردة فى الشرع ٥- الأمر والنهى ٦- الإجماع ٧- لا يجوز القول بغير حجة ٨- أفعال النبى ٩- شرع من قبلنا ١٠- التقليد ١١- الاستفتاء ١٢- الأصل المسكوت عنه الإباحة ١٣- خطاب الشـرع ١٤- الاجتهاد، أن كل مجتهد مصيب.

التكليف فيه فى خطاب الشرع. وبالرغم من انتهاء ابن عربى إلى التصوف مثل الغزالى إلا أن رسالته فى أصـول الفقـه تميل إلى النقل قبل العقل، ويكاد يختفى الفعـل فـى العـالم بالرغم من أهمية الرياضات والمجاهدات فى التصوف.

٥- "الوصول إلى الأصول " لابـن برهـان البغـدادى الشافعى (٥١٨هـ)[١]. وتتشعب إلى خمسة عشر كتابا، كما هو الحال فى "المستصفى"[٢]. لكل كتاب عنوان قصير، كلمة واحدة، والمسائل بلا عناوين إلا فيما ندر[٣]. وتظهـر مـرة واحدة كلمة فصل عرضيا[٤]. تختلف الكتب فيما بينها طـولا

---

(١) شرف الإسلام أبو الفتح أحمد بن على بن برهان البغدادى: الوصول إلى الأصول (جزءان)، تحقيق د. عبد الحميد على أبو زيد، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) هذه الكتب الخمسة عشر هى: ١- التكاليف ٢- اللغات ٣- البيـان ٤- الأوامر ٥- النهى ٦- العموم ٧- الخصوص ٨- المفهوم ٩- الأفعـال ١٠- التأويلات ١١- النسخ ١٢- الإجماع ١٣- الأخبار ١٤- القيـاس ١٥- الاجتهاد.

(٣) مثل الصلاة فى الدار المغصـوبة جـ١/١٨٩-١٩٦، العمـوم علـى عـوارض الألفـاظ جـ١/٢٠٣-٢٠٦، الاسـتثناء المنفصـل باطـل جـ١/٢٤٠-٢٤٣، الاستثناء من غير الجنس باطل جـ١/٢٤٣-٢٤٨، الزيادة على النص ليسـت نسـخا جـ٢/٣٢-٣٤، فـى علـة الربـا جـ٢/٢٢٥-٢٢٨.

(٤) جـ٢/٢٢٥.

وقصرا. كما تختلف المسائل فى كل كتاب من حيث العـدد. أكبرها القياس الدليل الرابع ثم الخصـوص منفصـلا عـن العموم من مباحث الألفاظ ثم الأخبار وهو الدليل الثانى، ثـم النسخ من الدليل الأول، ثم الإجماع الدليل الثالث، ثم الأوامر من مباحث الألفاظ، ثم الاجتهاد من لواحق القياس. ثم يظهر البيان لفظ الشافعى الذى صدر به مباحث الألفاظ، ثم اللغات المقدمة العامة لمباحث الألفاظ، ثم التكـاليف وهـى أحكـام التكليف الثمرة التى صدر بها الغزالـى "المستصـفى"، ثـم المفهوم عودا إلى مباحث الألفاظ من حيـث معانيهـا، ثـم الأفعال التى تنطوى تحت الدليل الثانى، ثم التأويلات التـى تضم الظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ، ثم العموم الشـق الثانى من مبحث العموم والخصوص من مباحـث الألفـاظ، وأخيرا النهى بالمفرد الشق الثانى من الأوامر مـن مباحـث الألفاظ[1].

---

(١) الترتيب الكمى التنازلى (الصفحات أولا والمسـائل ثانيـا) ١- القيـاس (١٢٧-٣٣) ٢- الخصـوص (١١٤-٣٦) ٣- الأخبـار (٧٨-٢٢) ٤- النسخ (٦٦-٢٤) ٥- الإجمـاع (٦٤-٢٤) ٦- الأوامـر (٥٩-٢٢) ٧- الاجتهاد (٤٦-١١) ٨- البيان (٢٧-١٠) ٩- اللغـات (٢٤-١٠) ١٠- التكاليف (٢٢-٩) ١١- المفهوم (٢٠-٥) ١٢- الأفعـال (٢٠-٥) ١٣- العموم (١٩-٧) ١٤- التأويلات (١٧-٣) ١٥- النهى (١٦-٤).

وتتكشف البنية بطريقة "المستصفى"، وتكـون الأولويـة للمستثمر أى الأدلة الأربعة وأولوية القياس ثم السـنة علـى الكتاب ثم الإجماع. ثم تأتى مباحث الألفاظ، وأخيرا أحكـام التكليف أصغرها قبل أن تتضخم فى "الموافقات" للشاطبى[1]. ويبدأ الكتاب بتعريف العلم[2]. وبالتالى تكون الأولوية للنقـل على العقل وعلى حساب الفعل فى الواقع والتحقق فى العالم.

وبالرغم من أن المؤلف شافعى، فقد كان حنبليا ثم ترك الحنبلية لحشويتها، إلا أن روح الكتاب حنفية مثـل أصـول السرخسى وأصول الجصاص وأصول البزدوى، مجرد رصد للأصول بصرف النظر عن تجميعها فى بنية مركبة كما فعل الجوينى والغزالى[3]. ونظرا لأنه تلميذ لهمـا فقـد ظهـرت روحهما فى مؤلفه، التحليل العقلى الهادئ، وضوح الأفكـار، الجدل الصافى، رصد المسائل وهى الأصول الأولى، القواعد النظرية قبل أن تنتظم فى البنية، الخلو من الحشو والمغالاة، والحمية المذهبية بالاستبعاد. صحيح أنه سجالى، ولكنه سجال

---

(١) الأدلة الأربعة (٤٠١)، القيـاس (١٧٣)، السـنة (٩٨)، الكتـاب (٦٦)، الإجماع (٦٤)، مباحث الألفاظ (٢٩٦)، التكاليف (٢٢).

(٢) جـ ١/٤٧-٧٤.

(٣) جـ ١/١٥-١٨.

راق بأسلوب "فإن قالوا... قلنا" دون الهجوم على الأشخاص، تجريح أشخاصهم وتسفيه آرائهم كما يفعل ابن حزم وبعض الفقهاء[1]. صحيح أنه يحكم بالصحة والبطلان أو الصحة والفساد ولكن للأقوال والاستدلالات والكلام[2]. ويختار الصواب والصحيح والحق وهو مذهبه الشافعية[3]. ويتوحد مع المذهب ويتكلم عن "مذهبنا"، ويناصر أصحابه فيتكلم عن "أصحابنا"، "علماؤنا". وينصر شيخه فى "شيخنا" وإمامه فى "إمامنا"[4]. ويعتمد على الحجة والبرهان والرد على حجج

---

(١) مثلا جـ ٥٦/١، جـ ٦٢/٢/١٥٨-١٥٩/١٦٤-١٦٥.

(٢) هذا الاستدلال باطل جـ ٦٨/١/١٣٨/١٤٧/٢٤٠/٢٤٣/٢٥٣/٢٩٠/٣٢٦، جـ ٢٣٢/٢. هذا قول باطل جـ ٣٦١/٢. هذا باطل جـ ٣٩/٢/٤٠/٣١٩. هذا الكلام فاسد جـ ١٨٠/١/٢٦٥/٢٦٩/٢٨٨. هذا فاسد جـ ١٣٤/٢. وهذا الجواب ليس بسديد جـ ٣٨/٢. هذا غير صحيح جـ ٥٩/٢/١٢٦/١٨٦. وليس هذا بصحيح جـ ١٤٦/٢.

(٣) والجواب الصحيح جـ ٣٨/٢/٧٢/١٢٠. مذهب أهل الحق جـ ١٢٨/١. والحق جـ ٢٥٥/١. والحق عندنا أن جـ ١٣٠/٢. صحة مذهبنا جـ ١٨٢/٢.

(٤) مذهبنا جـ ١٣٥/١. صحة مذهبنا جـ ١٨٢/٢. أصحابنا جـ ٩٤/١/١٧٥/١٧٨/٢٣٥/٢٨٦ جـ ٥٨/٢/١١٩. علماؤنا جـ ٥٨/١/٦١/٨٧/١٢٥/١٢٧/١٥٣/١٦٣/١٧٠/١٧٦/١٧٨/١٩٥/٢٠٨/٢١٣/٢٢٧/٢٦٢/٢٦٨/٢٧٨/٢٨٣/٢٨٨/٢٩٠/٢٩٣/٣١٦/٣٤١/٣٤٩/٣٦١/٣٨٣/٣٩٠،
جـ ٣٩/٢/٦٦/٧٢/٧٨/٩٩/١٥٩/١٦٣/١٦٥/٢٠٥/٢٨٤/٣٢١. شيخنا

الخصوم. ويسمى الدليل "العمدة"، "عمدتنا" و"عمدة الخصم" أو "عمدة هؤلاء" أو "عمـدتهم" أو "العمـدة" دون الضـمير[1]. ويتطور المذهب تاريخيا بـين الأولـين والآخـرين، بـين المتقدمين والمتأخرين . ولكل فريق عمدته[2].

ويحيل العمل إلى بعضه البعض تأكيدا لوحدتـه. كمـا

(أبو الحسن الأشعرى) جـ ١/٦٥-٦٦. شيخنا الإمام جـ ٥٦/٢. شـيخنا جـ ٨٨/٢. إمامنا (الشافعى) جـ ٦٦/١.

(١) عمـ ـ ـدتنا جـ ـ ـ ـ ١/١٠٦/١٠٩/١١٨/١٥٢/١٥٤/١٧١/١٧٩/١٨١/١٩٧/٢١٧/٢٢٠/٢٢٤/٢٢٨/٢٥٦/٢٩٦/٣٦٢، جـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ٣/٣٣/٣٧/٥٠/٥٣/٦١/٦٤/٨٥-٨٦/٩٢/١٠٩/١١٥/١١٩/١٢٢/١٢٥-١٢٦/١٣٢/١٣٩/١٤٢/١٥٥/١٥٧/١٨١/١٨٣/١٨٦/١٩٣/١٩٥-١٩٦/٣٣٧. عمـدة الخصـم جـ ـ ١/١٠٧/١١٣-١١٤/١١٨/١٤٠/١٦٠/١٦٢/١٧٩/١٨١/٢٠٤/٢١٤/٢٢٢/٢٢٤/٢٤٢/٢٥٨/٢٩٤/٣١٦/٣٢٠، جـ ـ ـ ٢/٤٣/٥٣/٥٥-٥٩/٦١/٦٣/٨٦/٩٣/١٠٦/١١١/١١٥/١٢٢/١٢٥-١٢٦/١٢٨-١٢٩/١٣٢/١٥١/١٧٠/١٨٩/١٩٦-١٩٧/٢٠١/٢٠٦/٢٨٨/٣٢٥. عمـدة هـؤلاء جـ ـ ـ ١/١٦٥/١٨٨/٢٠٠/٢٠٤/٢١٨/٢٢٠/٢٣٩/٢٤٩/٢٥٨/٢٩٨/٣٠٦. عمـ ـ ـ ـ ـدتهم جـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ٢/٣٣/٣٧/١٠٩/١١٨/١٢٩/١٥٤-١٥٥/١٨٣/١٩٢. والعمـدة جـ ـ ٢/٤٤/٨٩/١١١/١١٣/١٤٢/١٤٤-١٤٥/١٧٤-١٧٥/١٧٨/١٨٦/٢٠٣/٢٣٣/٢٦٥/٣٠٤/٣١٠/٣٢٨/٣٣١/٣٧٩. عمدة الإمام جـ ١٠٤/٢. والمعتمد جـ ٤٣/٢.

(٢) عمدة الأولين جـ ـ ٢/٣٥/٥١/٥٦/١١٧/٢٣١/٣١٦. عمـدة الآخـرين جـ ـ ـ ٢/٣٥/٢٨٥/٣٠٧. الأولـ ـون جـ ـ ـ ٣٧٨/٢. المتـ ـأخرون جـ ٢/٢٠١/٣٥٢.

يحيل إلى باقى الأعمال الأخرى تأكيدا على وحدة الرؤية واختلاف الشكل الأدبى بين الإطناب والتركيز، الإسهاب والاختصار. إذ يحيل ابن برهان البغدادى إلى كتابه "اللغات"[١].

ونظرا للطابع العقلى التحليلى العام فإن الحجج العقلية تفوق النقلية. ونظرا للتركيز على الأصول فإن الآيات تفوق الأحاديث[٢]. وفى الأثار المروية عن الصحابة يتقدم عمر ثم على ثم ابن عباس ثم أبو بكر على عثمان وابن مسعود وعائشة والبراء[٣]. ويكثر الاستشهاد بالشعر ولغة العرب وكلامهم[٤]. ومن الصحابة يتقدم عمر ثم أبو بكر ثم ابن عباس ثم على ثم عائشة وغيرهم من رواة الأحكام

---

(١) جـ ٣٨٠/٣٥٤/١.

(٢) الآيات (١٥٦)، الأحاديث (١١٤).

(٣) عمر (٥)، على (٤)، ابن عباس (٣)، أبو بكر (٢)، عثمان، ابن مسعود، عائشة، البراء (١).

(٤) الشعر (١٦) جـ ٢٤٦-٢٤٥/٢١٦/١٣٠/١٠٢/٩٨/٥٩/٤٨/٨/١، جـ ١١/٢. اللغة العربية جـ ١٠٣/١٠٠-٩٩/٩٧/٥٤-٥٣/١-٢١٤/٢١٢/٢٠٧/١٦٥/١٤٠/١١١/١٠٤-٣٠٢-٣٠١/٢٨٥/٢٥٨-٢٥٧/٢٥٤/٢٥١/٢٤٤/٢١٨/٢١٦، جـ ٣٣/١٢/٥/٢.

الشرعية[1]. ومن المؤرخين السيوطى والصفدى وابن كثير، ومن المحـدثين البخـارى وداود، ومـن الزهـاد الحسـن البصرى[2].

ومن الأصوليين والفقهاء يتقدم الشافعى مؤسس المذهب وأول الأصوليين ثم الباقلانى مفكر الأشاعرة وأبو حنيفة ثـم المؤلف ذاته، ثم الجوينى والجبائى (أبو على) مناظرة بينهما، ثم الجبائى (أبو هاشم)، ثم الاسفراييني علم أصول الدين، ثم القاضى عبد الجبار، ثم أبو الحسن البصرى والغزالى وابـن السبكى، ثم الاسنوى وابن عقيل الحنبلى، ثم الشاشـى وأبـو زيد وابن العماد، ثم ابن حنبل والزركلـى القـديم، ثـم داود الظاهرى، ثم القلانسى وابن سريج والكرخى ومالك ابن أنس وغيرهم[3].

---

(١) عمر (٢١)، أبو بكر (١٤)، ابن عباس (١٠)، على (٩)، عائشـة (٧)، معاذ (٣)، عبد الرحمن بن عوف، عثمان، أبو هريرة... (٢)، المغيرة بن شعبة... (١).

(٢) السـيوطى، الصـفدى، ابـن كثيـر (٥)، البخـارى، داود، الحسـن البصرى (٢).

(٣) الشافعى (٤٧)، الباقلانى، أبو حنيفة (٤٠)، ابن برهان (٣١)، الجـوينى، الجبائى (أبو على) (١٨)، الجبائى (أبو هاشم) (١٣)، الاسفراييني (١١)، القاضى عبد الجبار (١٠)، أبو الحسين البصرى، ابن السبكى، الغزالـى (٨)، الإسنوى، ابن عقيل (٧)، الشاشى، أبو زيد، ابن العمـاد (٦)، ابـن

ومن الفرق يتقدم المعتزلة، فالكتاب كله جدل معهم وإن وافقهم أحيانا مثل حدهم للنسخ ، ثم الروافض لتميز أصـول الشيعة وفقهم ثم أهل الظاهر الذين يتمـاهون مـع الحنبليـة والحشوية والمشبهة. ثم السمنية التى تنكر المعارف خـارج الحس، والعيسوية من فرق اليهود[1]. ومـن الفـرق غيـر الإسلامية يتقدم اليهود ثم النصـارى ثـم المجـوس. ويـتم الاستشهاد بالتوراة التـى كانـت مقـروءة عنـد العـرب والمسلمين[2].

٦- "الواضح فى أصول الفقه" لابـن عقيـل الحنبلـى (٥١٣هـ)[3]. ولأول مرة يدخل الحنابلة ويدونون أصـولهم

حنبل، الزركلى (٤)، داود الظاهرى، سعيد بن المسيب، الكعبـى، الكيـا الهراسى، النظام، اليافعى (٣)، الجاحظ، الحسن البصرى، الكرخى، ابـن سريج، القلانسى، مالك ابن أنس (٢)، أبو الحسـن الأشـعرى، القفـال، الشيبانى... (١).

(١) المعتزلة (٤٥)، معتزلة بغـداد (٢)، الـروافض (٣)، أهـل الظـاهر، الحشوية، الدهرية، المشبهة (٢)، السمنية، العيسوية (١)، وحد المعتزلـة أقرب إلى الصواب جـ ٩/١.

(٢) اليهود (١٠)، النصارى (٧)، المجوس (٣).

(٣) أبو الوفا على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادى الحنبلى (٥١٣هـ): الواضح فى أصول الفقه (خمسة أجزاء)، تحقيق د. عبـد ا بـن عبـد المحسن التركى، وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشـاد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

بعد أن بدأ الشافعية ثم الحنفية وقبل أن يدون المالكية أصولهم فى النهاية. لم يكن قصد الحنابلة إعطاء بنيـة ولا المالكيـة، فالحنبلية عود إلى النص، المنبع الأول للعلوم، ومراجعة كل الأصول الخارجة من الشافعية والحنفية فى الفقه، والأشعرية والاعتزالية فى الكلام. وتتم المراجعة من أجل إنقاذ الـنص من التنظير العقلى الحنفى، والتوفيق الشـافعى، والتخـريج المالكى. ويدل العنوان على الغاية منه "الواضح" أى توضيح غموض الأصول فى المذاهب الفقهية والكلامية.

ويعنى تشعب البنية أيضا غياب التصورات، والتنسـيق، والعرض النظرى، والإحكام المنطقى، عودا إلـى الأصـل. فالنص فى حد ذاته منطق، يكفى بذاتـه، ومهمـة الأصـول تخليصه من علم الأصول الذى يتجاوز منطق النص، لغتـه وروايته.

غاب عليه الطابع السجالى بطريقة "فإن قيـل... قيـل"، "فإن قلتم... قلنا"، "فإن قالوا... قلنا"[1]. وقد يكـون السـجال متخيلا مثل السجال بين الشـيعى والعثمـانى أى الأمـوى، والسنى والمعتزلى، والمعتزلى والجبرى[2]. بـل أن الجـدل

---

(١) السابق جـ ١/٣٩٠-٣٩٣، جـ ٢/٥٧٠-٥٧٧.
(٢) السابق جـ ١/٥٠٧-٥٣٠.

أصبح موضوعا رئيسيا فى علم الأصول تحولا من الجدل إلى القياس[1]. وهو موضوع كلامى، ونظرا لارتباط العلمين معا، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين. لذلك تكثر الشبهة والأدلة والحجج والاعتراضات والردود والأسئلة والأجوبة. ويخصص فصل بأكمله للرد على شبه المعتزلة[2]. والمجموعة الرابعة من الفصول فى الجزء الثالث للرد على شبهات المخالف[3]. ويكون السجال بين الحنابلة "أصحابنا" والشافعية، أو بين الحنابلة والشافعية فى مقابل الحنفية[4].

يجمع الأسئلة والأجوبة على الآية، فالآية هى الأصل وليس عقلها أو تخريجها[5]. والجديد هو المستوى النفسى للتحليل[6]. وبالرغم من أن ابن عقيل أول الحنابلة إلا أنه

---

(١) السابق جـ٣/٧٨-٤٩٩.

(٢) السابق جـ٣/٢٢٧-٢٤٩.

(٣) السابق جـ٤/٢٣٢-٢٣٢.

(٤) الحنابلة والشافعية جـ٢/٧٥/٨٤/٩٧/١٥٣/١٥٥-١٥٦/١٦٢/١٦٤/١٧٤-١٧٧/٢٠٣/٢٦٢/٢٦٩/٢٧٣/٢٧٥. الحنابلة وأبو حنيفة جـ٢/٢٣٧/٢٥٧/٢٦٣. الحنابلة والشافعية فى مقابل الحنفية جـ٢/١٨٦-١٨٧/١٥٣/١٩٩/٢٠٤/٢١٠/٢٤١/٢٦٥/٢٦٨/٢٨٢-٢٨٣/٢٩١/٢٩٥/٣٠٤/٣١٣/٣٠٨/٣١١.

(٥) السابق جـ٢/٤٦٣-٤٦٦.

(٦) السابق جـ١/١٢/١٩-٢٠.

يميز بين المتقدمين والمتأخرين[١]. ويشعر بتميـزه بمـذهب مستقل فيقول "مذهبنا"، "أصحابنا". فهناك صواب وخطأ. أهل التحصيل وأهل العلم والمحققون من العلماء هـم الحنابلـة، الفرقة الناجية. ويدعو المؤلـف القـارئ بالهدايـة ويطلـب مشاركته[٢]. وحيل العمل إلى ذاته من أجل ضـمان وحـدة الرؤية فى هذا العمل الضخم[٣]. كما يحيل إلى غيره نظـرا لوحدة علم الأصول[٤].

ومع ذلك توجد بنية خارجيـة عـن طريـق القسـمة العضوية، ووضع مجموعة من الفصول أولا حول موضوع واحد قبل عرضها فصلا فصلا ودون تـرقيم للمجموعـة أو للفصل. وأحيانا توجد فصول فى موضوع واحد دون ضمها فى مجموعة واحدة[٥]. وأحيانا توضع فصول بلا عناوين[١].

---

(١) السابق جـ ١٢/١-١٣.

(٢) السابق جـ ٤٥٨/١، جـ ٥٧/٢.

(٣) السابق جـ ٤٢٥/٢٦٠/٦٣/١، جـ ٣٢٠/١٧٩/١٧٠/٢، جـ ٣١٣/٣، جـ ١١٧/٤.

(٤) يحيل إلى كتاب الإقرار للخرقى، وجوابات المسائل للقتيبى، والجامع فى النحو لابن قتيبة، وكتاب العدة= =جـ ٢٩٧/٤٨٨/٤٧٢/٤٧٠/٣، وكتـاب التفسير جـ ٣١٩/٥٣/٤، وكتاب الفتيا للجاحظ، والأصـول للجرجـانى جـ ٢١٧/١٩٤/١٠١/٣٣١/٥.

(٥) السابق جـ ٤٥-٧/١، جـ ٦٨-٥/٢، جـ ٩٦-٥/٥.

وبعد بعض الفصول يأتى لفظ الكـلام[2]. وتقصـر بعـض العناوين وتطول. والبعض منها يبدأ البدايـة التقليديـة "فـى كذا...". والبعض الآخر بمجرد عبـارة تعزيزيـة توضـع كعنوان أو تترك فى أول الكلام. وقد تقصر بعض الفصول، وهو الغالب أو تطول وهو الأقل لدرجة أن عدد الفصول فى مجموعة قد يفوق عدد صفحاتها أو يعادلها[3]. وقد تغيب هذه

---

(1) الســـابق جـــ ١/١٧-٤٥/٤٦-٥٦/٦٠-٦٤/٧٣-٨٥/٨٨/٩٠-١٠٣/١٢٥-١٢٧/١٣١/١٣٢-١٣٤/٢٤٥-٢٥٧/٢٦٢-٢٦٨/٢٩٧/٢٩٨--٣٠٠/٣٣٤-٣٣٩/٤٠٢-٤٠٩/٤١٤-٤١٦، جـــــ ٢/١٢-٤٣/٦١-٦٧/٧٠-٨٢/٩٧--١٠٠/١١٤-١١٩/١٤٩-١٥٤/١٥٨-١٦٨/١٦٩-١٨٣/١٩٢-٢٣٦/٢٧١-٢٩٠/٢٩٤-٣١٠/٣١٤/٣١٧-٣٢٥/٣٣٩/٣٥٠-٣٥٧/ ٣٦٠-٣٨٤/٣٨٧-٣٩٥/٤١٠-٤٢٢/٤٢٨-٤٤٨/٤٥٧-٤٦٣/٤٧٣/٤٧٦-٤٨٤/٤٨٨-٤٨٩/٤٩٣/٥١١/٥١٨/٥٢٢-٥٤٦/٥٤٨-٥٥٤/٥٦٥-٥٦٧/٥٧٠-٥٧٢/٥٧٤-٥٧٧.

(2) السابق جـ ١/٩٠/٣٥٠، جـ ٢/٤٥٠.

(3) جـ ١ (الرقم الأول للفصول والثانى للصفحات) (المقـدمات التمهيديـة) (٢٣-٣٩)، النظـر والعقـل والتكليـف (٣١-٤٤)، الحـدود والعقـول والحروف (٢٩-١٩)، حروف المعانى (١٤٥-١١٣)، الناسخ والمنسوخ (٣-٣)، شروط النسخ (١٤-٧)، التعبد بالنسخ (٨-١١)، وجـوه النسـخ (٦٢-٥٣)، صناعة الجدل (٣٠-٣٢)، الحجة والشبهة (٢٢-٢٢)، العلـة والمعلول (١٠-٢٩)، العقلية والشرعية (١٠-٨)، المعارضـة (٤-١٤)، المعارضة كاشفة للمعنى (٢١-٣٢)، القياس (١٠-١٤)، الاستدلال (١٩-٣٦)، الانقطاع (١٢-٤٨)، الجدل (١٠-٢٢).

القسمة العفوية لأنها تصدر عن بنية، فيضيفها الناشـر مـن عنده دون الإعلان عن ذلك أو وضعها بين معقوفتين. ومـن الصعب تجميع مجموعة الفصول فى بنية أصـولية واحـدة نظرا لأنها قد تجمع موضوعات متفرقة، تتكرر باستمرار فى عدة مجموعات أخرى. وقد تتكون مجموعة من الفصول من فصل واحد[1]. وقد يتم الإعلان عن موضوع مثـل العمـوم

جـ٢ الأدلة الشـرعية (٤٤-٦٤)، الأقيسـة (٣٨-٥٨)، الاعتراضـات بالكتاب (١-١١)، الاعتراضات بالسنة (٣١-٤٣)، الاعتراض على قول الواحـد (١١-٢)، الاعتراضـات علـى فحـوى الخطـاب (٥-١)، الاعتراضات على دليل الخطاب (٤-٤)، معنى الخطاب وهـو القيـاس (٢٨-٢٧)، الممانعة (٢٧-٣٤)، النقض (١٤-١٩)، القلب (٧-٨)، فساد الاعتبار (٣-١٥)، المعارضة (١٨-١٦)، استصحاب الحال (١٥-٣٣)، الأسئلة الفاسدة (٦-٧)، التراجيح (٤-١٢)، الخطاب (٣٨-٩٠)، الأوامر (٦٦-١١٢)، نفى التكرار (١٢-١٢).
جـ٣ الشروط والصفات للأمر والنهـى (٣٥-٥٤)، القضـاء والإعـادة والفوات (١٤١-١٧١)، المناهى (٢٩-٢٨)، فحـوى الخطـاب ودليلـه (٢٧-٥٥)، العموم والخصوص (١٠٣-١٤٧)، الاستثناء (٢٠-٤٠).
جـ٤ المجمل والمبين والمحكم والمتشابه والمجـاز والاسـتعارة (٤٣-١٢١)، أفعال النبى (٢٧-٧١)، النسخ (١٤-٣٥)، شبه المخـالف (٥٠-٩١)، الأخبار وما فيها من خلاف (٥٨-١١٢).
جـ٥ الراوى (١٠١-٩٢)، التـراجيح (٩-٧)، الإجمـاع (٩٢-١٣٣)، التقليد (٢٥-٣٣)، القياس (٢٨-٨١)، الاجتهاد (١٠٠-١٥٤).

(١) السابق جـ١٢٧/٢-١٣٧.

دون وضع فصوله فى مجموعة خاصة به[1]. وقـد تتخلـل الفصول مسألة أو شبهة[2].

المصطلحات قرآنية مثل القياس والاستنباط ولحن القول والبيان، موروث من الداخل وليست وافدة من الخارج مثـل مصطلحات الفلاسفة[3]. ويتعرض للعقائد بالرغم من الفصل بين العلمين، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين مثل النظـر والعلم والتوليد، والسمع والعقل، والحسن والقبح العقليين[4].

ومع ذلك يمكن اكتشاف البنية الأصـولية الشـافعية أو الحنفية. ففى الجزء الأول بعد البداية بنظرية العلم أسوة بعلم أصول الدين وأحكام التكليف أسوة بالغزالى فى "المستصفى" وذكر الأدلة الثلاثة الأولى فقط يعرض فى مجموعة الفصول الأولى قضية العقل والسمع من علم أصول الدين، وفى الثانية والثالثة لمبادئ اللغة أو لمباحث الألفاظ من علم أصول الفقه، وفى الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة النسخ، والثامنـة والتاسعة الجدل والحجة والشبه، ومن العاشرة حتى السـابعة

---

(١) السابق جـ ٣/٣١٣-٤٦٠.

(٢) السابق جـ ٤/٤٢١-٤٢٢.

(٣) السابق جـ ١/٣٢/٨٥.

(٤) السابق جـ ١/٢٦-٢٧/٧٦/٢٠٢-٢٠٤.

عشرة لموضوعات القياس مثل العلة والمعلول، العقلية والشرعية، والمعارضة، والقياس والاستدلال والانقطاع والجدل، مما يدل على ارتباط العلمين معا، الجدل فى أصول الدين والقياس فى أصول الفقه[1].

والجزء الثانى كله مخصص للقياس بمجموعات فصوله الثمانية عشرة مستنبطا من فحوى الخطاب. فالقياس من مباحث اللغة، الصلة بين المعنى والشئ كما حدد الغزالى فى "المستصفى". والاعتراضات عليه بالممانعة والنقض والأسئلة الفاسدة، ومن الكتاب والسنة وفحوى الخطاب ودليله أكثر من الأدلة عليه[2].

---

(١) السابق جـ ١ ١- العقل والسمع ٢- مبادئ اللغة ٣- حروف المعانى ٤- شروط الناسخ والمنسوخ ٥- ما ليس من شروطهما ٦- ما يثبت بالتعبد وما يزول بالنسخ ٧- وجوه النسخ ٨- صناعة الجدل ٩- الحجة والشبهة ١٠- العلة والمعلول ١١- العلة العقلية والعلة الشرعية ١٢- المعارضة ١٣- المعارضة الكاشفة للمعنى ١٤- القياس ١٥- الاستدلال ١٦- الانقطاع ١٧- الجدل.

(٢) ١- القياس ٢- الاعتراضات بالكتاب ٣- الاعتراضات بالسنة ٤- الاعتراضات بالصحابى ٥- الاعتراضات على فحوى الخطاب ٦- الاعتراضات على دليل الخطاب ٧- معنى الخطاب (القياس) ٨- الممانعة ٩- النقض ١٠- القلي ١١- فساد الاعتبار ١٢- المعارضة ١٣- استصحاب الحال ١٤- الأسئلة الفاسدة ١٥- التراجيح ١٦- الخطاب ١٧- الأوامر ١٨- نفى التكرار.

والجزء الثالث يتعرض لمباحث الألفاظ، الأمر والنهى، والقضاء والإعادة والفوات، وفحـوى الخطـاب، والعمـوم والخصوص، والاستثناء[1]. والجزء الرابع يستكمل مباحـث الألفاظ، المحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز. ثـم يتطـرق لأفعال النبى، السنة الفعلية فى الدليل الثانى. ثم يعود النسـخ من جديد بعد أن تم عرضه فى الجزء الأول. ثم تـُخصص المجموعة الرابعة من الفصول للرد على شبهات المخـالفين والخامسة لما فى الأخبار من خلاف[2].

والجزء الخامس يعرض فى الفصول الأولـى لشـروط الراوى كى تقبل روايته، استكمالا للدليل الثـانى فـى خبـر الواحد، ثم التراجيح ابتداء من السند والمتن، ثم الإجماع، ثم التقليد، ثم القياس ثم الاجتهاد، تكرارا لموضوعات الأجـزاء السابقة. فلا تهم البنية بقدر ما تهـم المراجعـة وتصـحيح المذاهب الأصولية[3]. ومع ذلك للعقل الأولوية على النقل فى

(١) ١- معنى الشروط والصفات التى تتعلق بـالأمر والنهـى ٢- القضـاء والإعادة والفوات ٣- المناهى ٤- فحوى الخطاب ودليلـه ٥- العمـوم والخصوص ٦- الاستثناء.

(٢) ١- المجمل والمبين، والمحكم والمتشابه، والمجاز والاستعارة ٢- أفعال النبى ٣- النسخ ٤- شبهات المخالف ٥- الأخبار وما فيها من الخلاف.

(٣) ١- صفات الراوى ٢- التراجيح فى الإسناد والمـتن ٣- الإجمـاع ٤-

الأصول الحنبلية وعلى حساب الفعل أيضـا والتحقـق فـى العالم.

وبطبيعة الحال يتم الاعتماد على الحجج النقلية أكثر من الحجج العقلية، وعلى الآيات القرآنية أكثر مـن الأحاديـث النبوية[1].ويستشهد بالشعر العربى من أجل إحكـام منطـق التفسير للآيات والأحاديث. بـل أن النبـى أيضـا يقـرض الشعر[2]. ومن أسماء الأعلام يتصدر موسـى الأنبيـاء ثـم عيسى ثم إبراهيم ثم آدم لغلبة التشريع عليهم[3]. ومن الفقهاء يتصدر بطبيعة الحال ابن حنبل، فالمؤلف حنبلى، ثم الشافعى مؤسس العلم، ثم أبو حنيفة أول فقيه أصولى واضع لمذهب،

التقليد ٥- القياس ٦- الاجتهاد.

(١) الآيات (٩٥٤)، الأحاديث (٦٤٧). فالأحاديث حوالى ثلثى الآيات، الشعر (٤٩)

(٢) جـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ١/٣٠/٩١/٩٦-٩٨/١١٨/١٢١/١٢٦/٢٠٧، جـ ـ ـ ـ ٢/١٥٦/١٧٧/٣٨٩/٤١٥-٤١٦/٤٢٧/٤٣٩/٤٥٢/٤٥٣/٤٥٥-٤٥٦/٤٦٠/٤٦٣/٤٨٤/٥١٩، جـ٣/٢٤٤/٣٠٠/٣٠٢/٣١٠/٣١٥/٤١٠/٤٦٩/٤٧٤/٤٧٥/٤٨٤-٤٨٥، جـ ـ ـ ـ ـ ـ ٤/٣٨/٤٣/٥٨/١٠٦/١٩٩/٢٣٤/٣٠٨/٣٣٠/٣٤٨/٣٩٢، جـ٥/١٠٦.

(٣) موسى (٦٠)، عيسى (٣٩)، إبراهيم (٣٥)، آدم (٢٥)، نـوح، هـارون، لوط (٨)، اسحق، سليمان، إسماعيل، داود، والعدو فرعون (٦)، الخضر (٤)، يعقوب، زكريا، يوسف (٣).

ثم الكرخى ثم السرخسى من فقهاء الأحناف، ثم التميمى، ثم مالك ابن أنس[1]. ومن المتكلمين يتقدم الباقلانى مفكر الأشاعرة، ثم الحسن البصرى مفكر المعتزلة، ثم الأشعرى والجبائى (أبو على) وداود الظاهرى، ثم النظام وأبو بكر الصيرفى وغيرهم حتى الجاحظ[2].

ومن الصحابة يتقدم عمر ثم على ثم أبو بكر ثم ابن عباس ثم عائشة ثم عثمان ثم معاذ ثم ابن مسعود ثم أبو هريرة وكل من لهم صلة بالتشريع وفاطمة وأم سلمة لا فرق بين رجال ونساء، وقس بن ساعدة لا فرق بين مسلمين ونصارى[3]. ومن اللغويين الفراء والخليل والزجاج[1]. ومن

---

(١) ابن حنبل (١٣٤)، الشافعى (٣٥)، أبو حنيفة (٣٢)، الكرخى (٢٩)، السرخسى (٢٦)، التميمى (١٧)، مالك (١٦)، ابن سريج (١١)، عيسى بن أبان (١٠)، أبو الحسين البصرى (٩)، النخعى (٧)، شريح (٦)، داود الظاهرى، المروزى (٥)، الشيبانى، الشعبى (٤)، ابن شجاع، إبن زفر، المزنى، أنس بن مالك (٣).

(٢) الباقلانى (٣٢)، الحسن البصرى (١٣)، الأشعرى، الجبائى (أبو على)، داود الظاهرى (١٠)، أبو بكر الصيرفى، النظام (٨)، الجبائى (أبو هاشم)، البلخى، الكعبى، أبو بكر الدقاق (٥)، بشر المريسى، أبو ثور، أبو سعيد الخدرى (٤)، الأصم (٣)، الجاحظ، ذو النون (٢).

(٣) عمر (١٠٧)، على (٨٣)، أبو بكر (٦٧)، ابن عباس (٥٣)، عائشة (٣٨)، عثمان (٢٧)، معاذ (٢٦)، ابن مسعود (٢٠)، أبو هريرة (١٩)، زيد بن ثابت (١٨)، عبد ا بن عمر (١٥)، عبد الرحمن بن عوف (٩)،

المؤرخين الطبرى، ومن المحدثين البخارى[2].

ومن الفرق يتصدر أصحاب الشافعى فهم الذين وضعوا العلم ثم أصحاب أبى حنيفة أول من وضعوا العلم ثم أصحاب أبى حنيفة أول من وضعوا مذهبا فقهيا. وتتضـح الحنبليـة، العودة إلى الأصول فى الاعتماد على الصـحابة وأصـحاب الرسول والتابعين وأصحاب الحديث وأهل السـنة. ويجـادل الفقيه الحنبلى المعتزلة أنصار التأويل والأشاعرة والرافضـة والشيعة وأهل الجدل وأهل الوقف والإمامية وأهـل الطبـع، وأهل الاعتزال والحنفية ويعتمد على أهل الظاهر والأنصار واهل المدينة وأنصار أحمـد واهـل اللغـة وأهـل مكـة والمهاجرين، وأهل الحديث[3]. ويـذكر عديـد مـن أقـوال

ابن سيرين (٨)، فاطمة وأم سلمة (٧)، أبو بكره، قس بن ساعدة (٦)، أبو موسى الأشعرى، المغيرة بن شعبة (٥)، معاوية، عمر بن العاص، ابـن الزيد العباسى (٤)، ابن حامد، بلال، طلحة، عمر بن عبد العزيـز (٣)، عمار بن ياسر، كعب الأحبار (١).

(١) الفراء (٩)، الخليل (٤)، الزجاج (٢).

(٢) الطبرى (٦)، البخارى (٣).

(٣) أصحاب الشافعى (٢٠٤)، أصحاب أبى حنيفة (١٣٧)، الصحابة (١٣٠)، المعتزلة (٧٤)، أصحاب رسول ا (٦٠)، التـابعون (٣٠)، أصـحاب الحديث (٢٣)، أهل السنة (٢٢)، الأشعرية (٢١)، أهـل الظـاهر (١٨)، الأشاعرة (١٤)، أصحاب مالك بن أنس (١٣)، الرافضة (١٢)، الأنصار (١١)، أهل الجدل، الشيعة (٩)، أهل الوقف (٨)، الإمامية، أهل الطبـع،

الصحابة ومآثرهم. وتتقدم أقوال عمر ثم على المشرعين ثـم ابن عباس حبر الأمة ثم أبى بكر ثم عائشة مصدر العلم ثـم ابن مسعود[1].

ومن الفرق غير الإسلامية يتقدم اليهود ثم النصارى ثـم البراهمة، ثم المجوس ثم السوفسطائية وأصحاب سوفسطا[2]. وتختلط الفرق بالأقوام. وبطبيعة الحال يتقدم العـرب، لغـة العرب، لسان العرب، وكلام العرب ثم الروم أى اليونان ثـم قريش زبدة العرب ثم الترك والهند، ثم الزنج ثـم الزنـوج والعجم[3]. وهى الأقوام التى دخلت الإسلام وشـاركت فـى

بنو تميم (٧)، القدرية (٦)، أهل الرأى، أهـل المدينـة (٥)، أصـحاب= =أحمد، أهل اللغة، أهل مكة، المهاجرون (٤)، أهل الاعتزال، أهل بغداد (٣)، أهل الحديث، أهل الكهف، الحنفية (٢).

(١) عمر (٦٠)، على (٥٢)، ابن عباس (٤٢)، أبو بكر (٢٦)، عائشة (١٥)، ابن مسعود (٩)، ابن عمر (٧)، أبو هريرة (٦)، عبد الرحمن بن عـوف (٤)، يعلى بن أمية، شفيق بن سلمة، أبو موسى الأشعرى (٣)، ذو اليدين، معاذ بن جبل، عمار بن ياسر، البراء بن عازب (٢) وغيرهم.

(٢) اليهـود (٢٠)، النصـارى (١١)، البراهمـة (٥)، المجـوس (٤)، السوفسطائية (٣)، أصحاب سوفسطا (٢).

(٣) العرب (١٠٨)، الروم (٧)، قريش (٦)، الفرس، النبط (٥)، الهند، الترك (٣)، الـزنج (٢)، الزنـوج، العجـم (١). لغـة العـرب جـ ٢/١٢٨/٣٩٨/٤١٢/٤١٥/٤١٩/٤٢١/٤٣٧/٤٥٥/٤٦٢. جـ ٣/٧٩/١٢٥-١٢٧/١٣٧/٢٧٢-٢٧٣/٢٨٩/٣٠٦/٣٢٨/٣٣٦/٣٥٣/٤٣١/٤٤٨/٤٦٨/٤٧١-

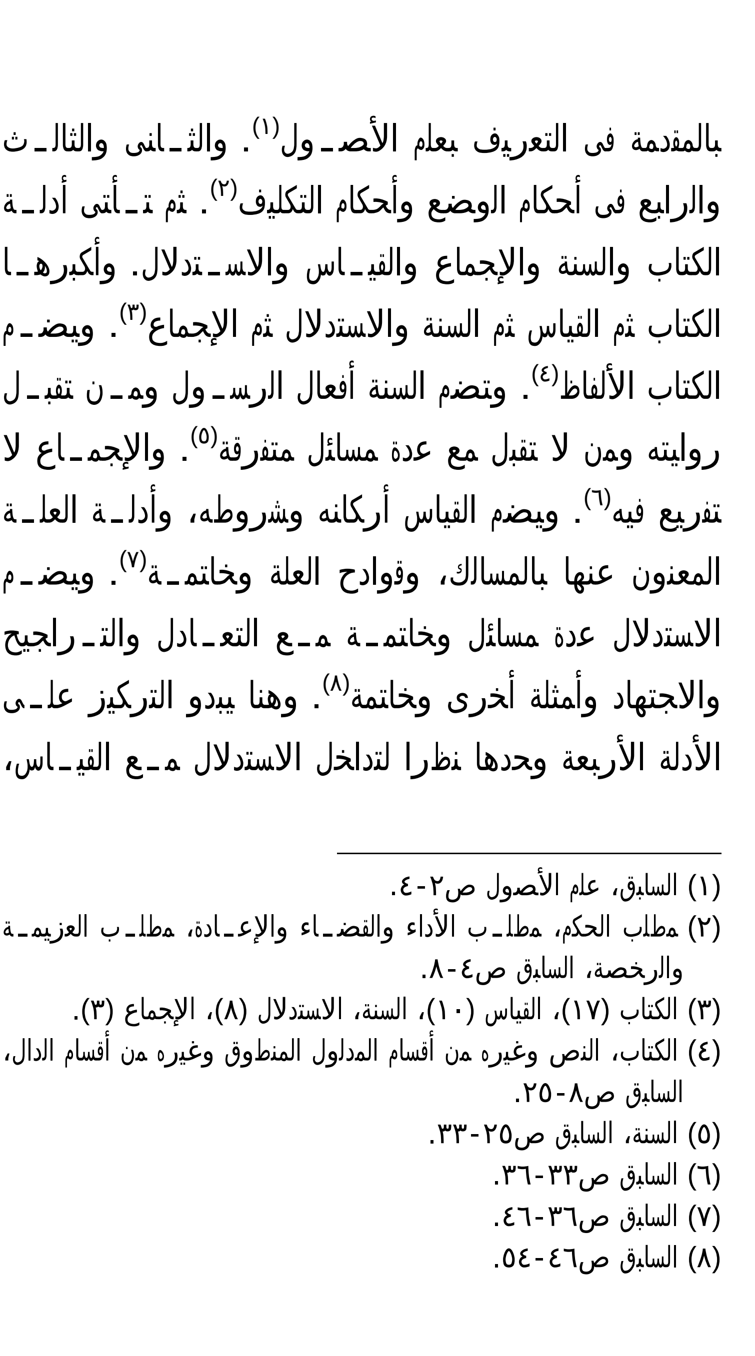
حضارته. ولما ارتبط الفقه بالمناطق قدر ارتباطه بالـديانات والمال فيتقدم بيت المقدس ثم الكعبة ثم مكة ثم اليمن بسـبب معاذ ثم المدينة وقباء مسجد الرسول ثـم البيـت الحـرام. وتختلط الأماكن المقدسة مثل بيت المقدس، والمسجد الحـرام والكعبة وقباء بالمناطق مثل اليمن والعراق بالمـدن، مكـة، والمدينة، وبغداد والبصرة والكوفة[1].

٧- "سلم الوصول إلى علم الأصول" لعبد العلـيم ابـن الشيخ محمد بن أبى حجـاب الشـافعى[2]. ويبـدأ التـأليف الأزهرى مكررا المادة القديمة دون أى رؤية خاصة أو دلالة جديدة. يختفى العد والإحصاء. فالمادة لا بنية لهـا إلا مـن ثمانيـــة عشـــر عنوانـــا. الأول أشـــبه

٤٧٢/٤٧٥/٤٨٢. جـــــــــــ٤/٣٤/٤٢/٥٠/٥٩/٦٠/٢٦٩. جـ٥/٣٦٠/٤٥٦/٤٨٢.

(١) بيت المقدس (٢٣)، الكعبة (٢١)، مكة (١٣)، اليمن (١١)، المدينة، قباء (٩)، بغداد، عرفة (٤)، حراء، بدر، الحرم، المروة، غدير قم، العـراق، الصفا (٣)، البصرة، الكوفة، المسجد الحرام (٢).

(٢) المفتقر إلى رحمة الكريم التواب عبد العليم ابن الشيخ محمد أبى حجـاب الشافعى مذهبا، الحدادى بلدا ومولدا، أحد علماء الأزهر الشريف عفى ا عنه آمين: سلم الوصول إلى علم الأصـول، حقـوق الطبـع محفوظـة للمؤلف، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٨.



بالمقدمة فى التعريف بعلم الأصول(١). والثانى والثالث والرابع فى أحكام الوضع وأحكام التكليف(٢). ثم تأتى أدلة الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستدلال. وأكبرها الكتاب ثم القياس ثم السنة والاستدلال ثم الإجماع(٣). ويضم الكتاب الألفاظ(٤). وتضم السنة أفعال الرسول ومن تقبل روايته ومن لا تقبل مع عدة مسائل متفرقة(٥). والإجماع لا تفريع فيه(٦). ويضم القياس أركانه وشروطه، وأدلة العلة المعنون عنها بالمسالك، وقوادح العلة وخاتمة(٧). ويضم الاستدلال عدة مسائل وخاتمة مع التعادل والتراجيح والاجتهاد وأمثلة أخرى وخاتمة(٨). وهنا يبدو التركيز على الأدلة الأربعة وحدها نظرا لتداخل الاستدلال مع القياس،

---

(١) السابق، علم الأصول ص٢-٤.

(٢) مطلب الحكم، مطلب الأداء والقضاء والإعادة، مطلب العزيمة والرخصة، السابق ص٤-٨.

(٣) الكتاب (١٧)، القياس (١٠)، السنة، الاستدلال (٨)، الإجماع (٣).

(٤) الكتاب، النص وغيره من أقسام المدلول المنطوق وغيره من أقسام الدال، السابق ص٨-٢٥.

(٥) السنة، السابق ص٢٥-٣٣.

(٦) السابق ص٣٣-٣٦.

(٧) السابق ص٣٦-٤٦.

(٨) السابق ص٤٦-٥٤.

دخول مباحث الألفاظ مع الكتاب، وغيـاب النسـخ. بعـض الموضوعات بها مسائل والبعض بها خاتمة[1]. ومازال بـه أسلوب التأليف القديم فى إيراد الاعتراض من المسبق والرد عليه دون فقد وحدة الموضوع وإحالة السابق إلـى اللاحـق واللاحق إلى السابق[2]. ومازال تحريم الفلسفة قائما. إذ يشار إلى أهل الشرع دون الفلاسفة[3]. وهنا يكون للنقل الأولويـة على العقل ويختفى الفعل كلية وهو السائد حتى الآن، أولوية النص على الواقع.

ومن الشواهد النقلية يتقدم القرآن على الحديث ويتوارى الشعر تقريبا[4]. ويتقدم الشافعى بعد أن استقر مذهبه مـذهبا رسميا منذ القرن الخامس الهجرى على يد الغزالى ثم يتلـوه أبو حنيفة. ثم يأتى مالك مع تقى الدين السبكى وابنه حصارا للواقع بين نصوص الشافعية والأشعرية والظاهرية. ثم يذكر الفخر دون الرازى تعظيما لأعلام الأشعرية الشافعية[5]. ثـم

---

(١) السابق، الخاتمة ص٥٣/٤٩/٤٥، المسائل ص٥٢/٤٧/٣١.
(٢) السابق ص٩.
(٣) السابق ص٢٩/١٥.
(٤) الآيات (٥٨)، الحديث (٢٧)، الشعر (٢).
(٥) الشافعى (١٤)، أبو حنيفة (٧)، مالك، التقى السبكى، العلامـة العطـار (٣)، ابن السبكى، الباقلانى، داود الظاهرى (٢)، الفخر الـرازى، ابـن

يزداد الواقع حصارا بأعلام الحنابلة. ويحال إلى نصوصهم مثل "مناقب الشافعى" و"جمع الجوامع"[1]. ومن الفرق والمذاهب يتقدم الحنفية والحنفى على الشافعية والمعتزلة. ويشار إلى المحققين والأصوليين والأئمة الأربعة والشيعة[2].

وتظهر خصائص التأليف المتأخر فى السجع منذ العنوان، وتقريظ الكتاب شعرا فى البداية ونثرا فى النهاية من عديد من العلماء[3]. كما تبدأ الإلهامات والمواجيد الصوفية فى بداية الكتاب. ونظرا للطابع التعليمى فإنه يبدو مختصرا واضحا تقل فيه خلافات الفرق، ولكن تكثر فيه الشواهد

الحاجب، العضد، إمام الحرمين، ابن حجر، ابن قاسم، الزهرى، عبد ا بن سليمان، ابن أكثمة الليسى، الطبرى، ابن حزم، أبو بكر، عمر، شيخنا (١).

(١) مناقب الشافعى للفخر، جمع الجوامع للتقى السبكى (٢)، حاشية العطار على جمع الجوامع (١).

(٢) الحنفية (٦)، الحنفى (٢)، الشافعية، المعتزلة، المحققون، الأصوليون، الأئمة الأربعة، الشيعة (١).

(٣) على صفحة العنوان الأولى يذكر هذا البيت من الشعر وينتهى بقصيدة أخرى من الشعر، السابق ص٥٦.

وما الكتاب إلا الضيوف وحقها ∴ بأن تتلقى بالقبول وتقرى

وفى النهاية تقريظ الشيخ محمد موسى البحيرى شيخ السادة الشافعية، والشيخ سالم عطا ا البولاقى الشافعى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى، والشيخ محمد أبو عليان، والشيخ سعيد مرجى الشافعى. وكلهم من كبار علماء الأزهر الشريف، السابق ص٥٤-٥٦.

النقلية نظرا لتوارى العقل أمام النقل فى التأليف المتأخر. كما تظهر اللازمة الشهيرة "وا   أعلم" فى آخر بعض الأقسام[1].

وفى النهاية، وبالرغم من حجب البنيـة تظهـر البنيـة الثلاثية على استحياء فى أصول البزدوى وأصول السرخسى فى البنية المتناثرة. فهى فى أصول البزدوى، علم المشـروع بنفسه أى الأدلة الأربعة، وإتقان المعرفة به، وهى مباحـث الألفاظ ثم العمل به أى أحكام التكليف. وهى نفسها فى أصول السرخسى المشروعات أى الأدلة الأربعة، ومعانيهـا وهـى مباحث الألفاظ، ثم العمل بها وهى المقاصـد والأحكـام[2]. وهذا يكشف عن أن بنية العلم الثلاثية حاضرة فـى كشـف البنية وفى حجبها على حد سواء. وهى التى تم تأويلها علـى أنها أبعاد الشعور الثلاثة: الشعور التاريخى (الأدلة الأربعة)، والشعور النظرى (مباحـث الألفـاظ)، والشـعور العملـى (المقاصد والأحكام).

(١) السابق ص٣٩/٤١.
(٢) أصول البزدوى جـ١/٤٧-٤٨، أصول السرخسى جـ١/١٠.

الفصل الثالث

اجــتزاء البنيـــة

أولا: المصنفات الجزئية.

ومن الصعب التفرقة بين اجتزاء البنية فى موضـوعات مستقلة كالإجماع والقياس وبين الموضوعات المستقلة الوافدة من القرآن والحديث التى دخلت على علم أصول الفقه وهـو فى طور النشأة والتكوين مثل الناسخ والمنسـوخ وأسـباب النزول المستمدة من علوم القرآن، والتواتر والآحاد المستمدة من علم مصطلح الحديث.

ولا يكفى فى "اجتزاء البنية" عرض الشكل فقط أى بنية الموضوع الجزئى بل يتم تحليل المضمون لمعرفـة أوجـه الخلاف حولها. ويتفاوت حجم تحليـل المضـمون. يكـون تفصيليا إذا كان النص صغيرا ويكون مجملا إذا كان الـنص طويلا لأنه يستعمل أيضا مع المصنفات الكاملة لمزيـد مـن التفصيل.

ولا تعنى المصنفات الجزئية اجتزاء فقرات أصولية من مصنفات غير أصولية كلامية أو فلسفية أو صـوفية. فهـذه

الفقرات الأصولية تدخل ضمن وحدة العلوم التى تظهر فى المصنفات غير الأصولية، كما تظهر فقرات كلامية وفلسفية وصوفية داخل المصنفات الأصولية دون أن تكون مصنفات كلامية أو فلسفية أو صوفية[1]. فابن تيمية مثلا لم يدون مصنفا فى علم أصول الفقه. وربما استعمل فى مؤلفاته الكلامية والفلسفية المنهج الأصولى باعتباره منهجا إسلاميا من أجل نقد الكلام والفلسفة والمنطق والتصوف، وربما لأن علم الأصول أقل العلوم عرضة للنقد فى حين أن النقد كله قد تم توجيهه إلى الكلام فى "منهاج السنة" والفلسفة والمنطق فى "الرد على المنطقيين" و"نقض المنطق". كما أن التجميع لفقرات فى الأصول فى أربعة قواعد، الأولى المصالح والمفاسد، وتدخل فى موضوع القياس، والثانى التفاضل والأفضلية وهو ليس موضوعا أصوليا خالصا بل هو موضوع كلامى فى المفضول والأفضل. والموضوع الأصولى هو التعارض والتراجيح كأحد ملحقات القياس. والثالثة، العقل والنقل وهو موضوع كلامى خالص عرضه

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية: فصول فى أصول الفقه، الجمع والترتيب والعناية لأبى الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، المكتبة الإسلامية، القاهرة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

ابن تيمية فى "درء تعارض النقل والعقل" و"موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول". والرابعة الأصول والفروع وهى مقدمة عامة فى تصنيف العلوم الفقهية. وهذه القواعد الأربعة أقرب إلى علم القواعد الفقهية منها إلى علم الأصول. وتجمع هذه الاقتباسات بين المتن والشرح، بين النص والدراسة، مما يجعل المحاولة كلها أقرب إلى الدراسة الثانوية فى علم الأصول عند ابن تيمية مستشهدة ببعض فقرات أصولية من خلال بعض مؤلفاته. كما أنها تهدف إلى تبجيل ابن تيمية باعتباره أحد مصادر التيار السلفى المعاصر، وأقرب إلى التقريظ والمدح منه إلى التحليل والوصف، ترويجا لابن تيمية من السلفيين المحدثين.

تعنى اجتزاء البنية إذن المصنفات الأصولية التى تناولت أحد الموضوعات الجزئية فى علم الأصول إما بالعرض والتعميق أو بالجدل والرفض والإبطال والتفنيد[1]. وقد كان

---

(١) من النوع الأول:

i- ابن فورك: الحدود فى الأصول (٤٠٦هـ).

ii- الباجى: الحدود فى الأصول (٤٧٤هـ).

iii- أبو الحسين البصرى: القياس فى الشرع الإسلامى (٤٣٦هـ).

iv- الغزالى: شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل (٥٠٥هـ).

الدافع على ذلك الاختلاف حولها. وقد كان الاختلاف حول شرعية القياس أولا ثم الإجماع ثم السنة خاصة خبر الواحد. ولم يقع الخلاف حول القرآن.

ويمكن عرضها بعدة طرق:

أ- الترتيب التاريخى لمعرفة متى تنشأ الحاجة إلى هذه الموضوعات الجزئية والجدال حولها فى عصرها.

ب- الترتيب الموضوعى من أجل معرفة الجدال حولها عبر العصور مثل الجدال حول مراتب الإجماع بين ابن حزم وابن تيمية.

ج- الترتيب الأصولى فى نسق الأدلة فى علم الأصول بداية بالمصطلحات الأصولية التى تدخل فى المقدمات

---

v- القرافى: العقد المنظوم فى الخصوص والعموم (٦٨٤هـ).
vi- الطوخى: المصالح المرسلة (٧١٦هـ).
vii- الشوكانى: القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد (١٢٥٥هـ).
viii- الطهطاوى: القول السديد فى الاجتهاد والتجديد (١٢٧٣م).

ومن النوع الثانى:
i- الشافعى: إبطال الاستحسان (٢٠٤هـ).
ii- ابن حزم: ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل (٤٥٦هـ).
iii- ابن حزم: مراتب الإجماع (٤٥٦هـ).
iv- ابن تيمية: نقد مراتب الإجماع (٧٢٨هـ).

ثم الأدلة الأربعة والخلاف حول الإجماع والقياس ثم مباحث الألفاظ، طرق الاستثمار مثل مباحث العمـوم والخصوص.

ثانيا: المؤلفات الاصطلاحية.

وهناك مجموعة مـن المؤلفـات الأصـولية خاصـة بالمصطلحات وحدها. فكل علم يضع مصـطلحاته. وضـع الفلاسفة مصطلحاتهم مثل الكندى والرازى وابن سينا وابـن حيان والخوارزمى والآمدى والجرجانى[1]. ووضع الصوفية مصطلحاتهم مثل القشيرى. بل وضعت مصطلحات خاصـة ببعض الكتب الرئيسية مثل وضع الجرجـانى لمصـطلحات "الفتوحات المكية" لابن عربى ووضع ابن فورك "ملحق" فى شرح بعض المفردات والمصطلحات الشرعية المسـتخرجة من "تفسير القرآن" له.

١ - "الحدود فى الأصول" أو "الحدود والمواصفات" لابن

(١) من النقل إلى الإبداع، مجلد ١ النقل، جـ٢ النص، الفصل ٢ المصـطلح الفلسفى ص١٨١-٢٥٠.

فورك (٤٠٦هـ)[١]. وتضم المصطلحات علم أصول الدين وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الدين أكثر. وهى حدود عقلية خالصة لا تعتمد على أية أدلة نقلية من قرآن أو حديث. ولا تتضمن أسماء أعلام أو أصحاب فرق ومذاهب. بل تضم أحيانا بعض مصطلحات الفقه والحديث والتصوف.

ويسبق لفظ الحد قبل المحدود فى كل الحدود باستثناء حدين يسبقان بلفظ "معنى"، وحدين بلا لفظ "حد" أو "معنى"[٢]. ولا تخضع لترتيب أبجدى فى حين تخضع مصطلحات "تفسير القرآن" لترتيب أبجدى. وقد ألف الكتاب بناء على سؤال وطلب، مما يدل على مدى الحاجة إلى معرفة المصطلحات التى يقوم عليها كل علم[٣].

---

(١) ابن فورك: الحدود فى الأصول، قرأه وقدم له وعلق عليه محمد السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٩، ص١٦٣-١٩٤.

(٢) يسبق لفظ حد المحدود فى ٢٠٠ حدا، ومعنى مرتان، وبلا حد أو معنى مرتان.

(٣) "سألتم أدام اله توفيقكم أن أملى عليكم حدد ومواصفات ومعانى ومعانى عبارات دائرة بين العلماء بأصول الدين وفروعه مما ارتضاها شيوخنا رحمهم ا وقام الدليل عندى بصحتها وأوجزها ليقرب تناولها ويسهل حفظها فأجبتكم إلى ذلك رغبة فى الثواب، وجزيل الأجر عند المآب فأقول وا الهادى للصواب"، الحدود فى الأصول ص٧٥.

٢- "كتاب الحدود فى الأصول الفقه" للباجى الأندلسـى (٤٧٤ هـ)[١]. وهو مقال سيال، بلا تقسيم لأبواب أو فصول ودون ترتيب أبجدى. كل الألفاظ المتقاربة حـول موضـوع واحد تجمع تباعا. وتضم علم أصول الفقه وعلم أصول الدين والفقه والحديث والمنطق. فهى مصطلحات مستعملة فى أكثر من علم. وعددها ليس كبيرا[٢]. وتذكر بعض الاختلافات فى الحدود مما يدل على تباين المـذاهب والاتجاهـات. ويقـوم الباجى بذكر الحد ثم شـرحه. فهـو المشـروح والشـارح. وتختلف الحدود فيما بينها كما. أطولها الاستحسان لأنه حـد مالكى مثل المؤلف[٣].

ويعتمد على عديد من الآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية[٤]. ويعتمد على لغة العرب وكلام العرب كمعيار لفهم

---

(١) الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى الأندلسى: كتاب الحدود فى الأصول، تحقيق د. نزيه حماد، مؤسسة الزعبى للطباعـة والنشـر، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

(٢) الحدود (٧٣).

(٣) الحدود فى الأصول ص٦٥-٦٨.

(٤) الآيات (١٠)، الآحاديث (٢).

النص الدينى[1]. والمصدر الرئيسى له من المتكلمين هو أبو بكر الباقلانى. ومن الفقهاء مالك وأنصاره، ثم أبـو حنيفـة والشافعى. ولا يذكر أحمد بن حنبل[2].

ثالثا: مباحث الألفاظ.

١ - "العقد المنظوم فى الخصوص والعمـوم" للقرافـى (٦٨٤هـ)[3]. فقط فى أحد مباحـث الألفـاظ "الخصـوص والعموم" كمبحث جامع لمباحث الشرط والشرط، والمسـتثنى منه والمستثنى، والمطلق والمقيد، دون الحقيقـة والمجـاز، والظاهر والمؤول، والمحكم والمتشابه والمجمـل والمبـين. يتضمن خمسة وعشرين بابا. بعضها ينقسم إلى فصول فقط، والبعض الآخر إلى فصول وأقسام، وثالثة إلى فصول وأقسام

(١) لغة العرب، كلام العرب (١).

(٢) الباقلانى (١١)، مالك (٣)، مالكى (٦)، مالكيون (١)، أبو حنيفـة (٣)، الحنفى (٢)، محمد بن خويز منداد (٢)، الشـافعى، ابـن عبـد الحكـم، القاضى أبو محمد، أشهب (١).

(٣) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الـرحمن الصـنهاجى المصرى المعروف بالقرافى: العقد المنظوم فى الخصـوص والعمـوم، تحقيق الشيخ على محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجـود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. (وهى طبعة تخلـو مـن أى فهارس)

ومسائل، ورابعة إلى فصول ومخصصات ومسائل، وخامسة إلى مسائل فقط[1]. وأكبرها الرابع عشر "الدليل على أن هذه الصيغ للعموم"، وأصغرها الثانى "فى بيان أنهم يطلقون لفـظ العام والأعم" والسابع "فى الفرق بين العموم اللفظى والعموم المعنوى"[2]. وتبدأ بعض الأبواب بلفظ "بيان" والبعض الآخر

---

(١) باب فقط (١٩)، باب وفصول فقط (١)، باب وفصول وأقسام (١)، بـاب وفصول وأقسام ومسائل (١)، باب وفصول ومخصصات ومسـائل (١)، باب ومسائل فقط (٢).

(٢) الترتيب الكمى للأبواب (رقم الباب بين قوسين ثم عدد الصـفحات) ١-(١٤) الدليل على أن هذه الصيغ للعموم (١٥٥). ٢-(٢٠) المخصصـات المتصـلة (١٠٨). ٣-(٢١) المخصصـات المنفصـلة (٤٤). ٤-(٩) الأسباب المقيدة للعموم (٤٢). ٥-(٥) حقيقة مسمى العلوم وحـده (٣٩). ٦-(١٠) الفرق بين ثبوت الحكم فى الكلى وبين نفى الكلى والنهى عنـه، (١٩) فى جواز التخصيص ومسائله (٣٨). ٧-(١٠) الفرق بـين العـام والمطلق (٢٨). ٨-(٢٣) ما ظن أنه من مخصصات العمـوم (٢٧). ٩-(٨) خواص العموم اللفظى (٢٣). ١٠-(١٧) الفـرق بـين المخصـص والمؤكد (١٨). ١١-(١٦) حد التخصيص وتمييزه وقبول اللفـظ العـام (١٧)، (٢٢) بناء العام على الخاص (١١). ١٢-(١٣) صـيغ العمـوم المستفادة من النقل العرفى (١١). ١٣-(٤) فى الفرق بين الكلى والكليـة والكل، (٢٤) فى حمل المطلق الكلى على المقيد (١٠). ١٤-(١٥) تقرير الجمع بين أقوال العلماء (٨). ١٥-(٢٥) تحقيق الفرق بين حمل المطلـق (٧). ١٦-(١١) الفرق بين نفى المشترك أو النهى عنه مطابقـة وبـين النفى أو النهى عنه التزاما، (١٢) سـرد صـيغ العمـوم (٥). ١٧-(١) إطلاقات العلماء العام والأعم، (٣) بيان أن العموم من عوارض الألفـاظ والعانى (٤). ١٨-(١٨) ما يصير به العـام مخصوصـا (٣). ١٩-(٢)

بلفظ "الفرق" وهو الأعم. بينما تبدأ بعض الأبـواب بألفـاظ أخرى مثل "حقيقة"، "حد"، "دليل"، "تقرير". فـالغرض مـن الكتاب هو الإيضاح والتمييز والتحديد[1]. وخـلال الأبـواب والمسائل تظهر ألفاظ "تنبيه" و"فائدة" و"سؤال"[2].

وبالرغم من أن المؤلف مالكى المذهب إلا أنـه عقلـى لغوى منطقى الاتجاه يحال فى العمق وليس على الاتسـاع. اختار اللغة كمدخل لعلم الأصول كما هو الحال فى المنطـق القديم. فلا فرق بين مباحث الألفاظ فى علم الأصول وبـين أول مبحثين فى المنطق القديم، المقولات والعبارة، قبـل أن يتحول إلى منطق شكلى فى القياس والبرهان كى يعود مـن جديد إلى منطق المضمون فى الجدل والسفسطة والخطابـة والشعر. لا يقطع بشئ بل يضع احتمالات عدة. لا يكفر ولا يستبعد، ولا يصدر أحكاما بالصـواب والخطـأ أو الصـحة والفساد. وقد يكون المختار مذهب آخـر[3]. والغايـة مـن

بيان أنهم يطلقون لفظ العام والأعم، (٧) الفـرق بـين العمـوم اللفظـى والعموم المعنوى (٢).

(١) الفرق (٥)، بيان (٢)، حقيقة، أسباب، سرد، حد، دليل، تقرير (١).

(٢) تنبيـه (٢)، فائـدة، سـؤال (١)، العقـد المنظـوم ص٣٥-٣٦/١٠٦/٢١٧/٧٢٦/٧٢٩.

(٣) السابق ص٤٤-٥٠. "والمختار قول أبى الحسين البصرى"، ص٥٤٢.

التأليف التوضيح والبيان والتمييز. فقد وقع خلط فـى فهـم العموم لفظا ومعنى فى اللغـة والاصـطلاح، بـين العـام والمطلق. واحتار الناس فـى عـدد صـيغه ومخصصـاته ودرجات العموم والكل والكلى. لذلك سمى الكتـاب "العقـد المنظوم" أى التوضيح والجلاء عن طريق إعـادة التنظـيم والترتيب والتمييز بين حبات العقد[1].

---

(١) "فقد رأيت كثيرا من الفقهاء النبلاء الـذين يشـتغلون بأصـول الفقـه، ويزعمون أنهم حازوا قصب السبق لا يحقق معنى العموم والخصـوص فى موارده حيث وجده، ويلتبس عليه العام والمطلق إذا انتقده. ولم أجـد فى كتب= =الأصوليين وغيرها من صيغ العموم إلا نحو عشرين صـيغة ومقتضى ذلك ألا يكون ما عداها صيغة فى لسان العرب، والعموم أكثـر من ذلك يعضدها النقل والاستدلال... ووجدت مسمى العموم فـى اللغـة خفيا جدا على الفضلاء حتى أنى حاولت تحريره مـع مـن تيسـر لـى الاجتماع به منهم فلم أجده يجد لتحر ذلك سبيلا بل يدور عنده اللفظ العام بين أن يكون موضوعا لقدر مشترك بين أفرده فيكون مطلقا لا عاما وبين أن يكون قد تعرض الواضع فيه لخصوصيات تلك المحال فيكون اللفـظ مشتركا مع أن صيغ العموم ليست مشتركة على الصحيح مـن المـذاهب ومجملا مع أنها غير مجملة عند مثبتيها وبـين أن يكـون اللفـظ العـام موضوعا لمجموع الأفراد من حيث هو مجموع فيتعذر الاستدلال به فـى حالة النفى والنهى... والحق فى صيغ العموم وراء ذلك كله. ووجـدتهم يعدون المخصصات المتصلة أربعة فى لغة العرب ووجدتها نحو العشرة. ووجدتهم يسوون بين استعمال العام والأعم، وبين النية المؤكـدة والنيـة المخصصة وهو خطأ. ووجدتهم فى حمل المطلق على المقيد يسوون بين الكلى والكلى، والأمر والنهى، والنفى والثبوت، وهو لا يصح إلى غيـر

وبالرغم من هذه الدرجة العاليـة مـن التنظيـر إلا أن التحليل يعتمد على عديد من الشواهد النقليـة مـن الآيـات والأحاديث التى غالبا ما تتكرر فى عديد من الاستعمالات[1]. والآيات أكثر، نظرا لأنها تتعلق بالأصول أكثر من الفروع. كما يستشهد بالشعر العربى وتحديـد بحـوره، الطويـل أو الرجز... الخ. وهو الذخيرة الأولى للمبادئ اللغوية والـذى على أساسه يتم تفسير الآيات[2]. الشواهد من القرآن والشعر والمعقول، كما يتم الاستشهاد بلسان العرب وقـول العـرب ولغة العرب والقبائل العربية وباللغويين والنحـاة اللغـويين وأئمة اللغة والنحاة الأصوليين. لذلك كانت هناك صلة بـين علم الأصول وعلم التفسير عن طريق مباحـث الألفـاظ[3].

ذلك من المباحث المتعلقة بالعموم والإطلاق مما يتعين تمييزه وتحريـره. فأردت أن أجمع فى ذلك كتابا يقع التنبيه فيه على غوامض هذه المواضع واستنارة فوائدها وضبط فرائدها بحيث يصير للواقف على هذا الكتـاب ملكة جديدة فى تحرير هذه القواعد وضبط هذه المعاقد... وسميته "العقـد المنظوم فى الخصوص والعموم"، السابق ص١٩-٢٣.

(١) الآيات (٣٤٨)، الأحاديث (٧٧).

(٢) الشواهد الشعرية (٣٤).

(٣) العرب (١٥)، لسان العرب (١١)، قول العرب (٣)، القبائل العربية (٢)، لغة العرب (١)، اللغويون (٣)، النحاة اللغويون (٢)، جماهير النحـويين، أئمة اللغة، النحاة الأصوليون (١)، العقد المنظوم ص٥٩٢.

ويستعمل المحاجة العقلية، ويرد على الاعتراضات، ويسـرد الحجج والحجج المضادة حتى ينتهى إلى الاسـتدلال السـليم والبرهان. جمع بين التنظير المغربى والوضوح المصرى(١). يحصى الأفكار لدرجة ذكر مائتى وخمسين صيغة للعمـوم، مالكى يقول بالمصالح العامة ويدرك منطق الألفاظ(٢).

ويتقدم فخر الدين الرازى كعلم من أعـلام الأشـاعرة الشافعية، ثم الرازى فى "المحصول" علـى وجـه التحديـد، الأصـولى الأشـعرى الشـافعى أو الـرازى بمفـرده أو "المحصول" بمفرده. يتلوه الحنفيـة وعظمـاؤهم. والقرافـى مالكى، تعظيما وإجلالا للمذهبين الرائدين التاليين للمالكيـة، الحنفية والشافعية. يتلوه الشافعى أصوليا ومذهبا والشـافعية، ثم الباقلانى، ثم الغزالى من الأشعرية الشافعية، ثم الغزالـى فى "المستصفى" مثل الرازى فى "المحصول"، ثم أبو الحسين البصرى ثم على التخصيص فى "المعتمد"، ثم سـيف الـدين الأمدى ثم على التخصيص فى "الاحكام"، ثم ابـن عصـفور على التخصيص فى "المقرب"، وأحيانا "صاحب المقرب"، ثم

---

(١) يتحدث المؤلف عن حياته فى صنهاجه قبل قدومه إلى القاهرة، السـابق ص٣١٩.

(٢) العقد المنظوم ص١١١-١١٣/٢٢١-٣١٦.

الكرخى إمام الحنفية وصاحب الأصول وحججه، ثـم مالـك ومذهب مالك والمالكية التى ينتسب إليها القرافـى. وينضـم المفسرون كالزمخشرى ثم على التخصيص فى "الفصل". ثم ينضم اللغويون والنحاة مثـل سـيبويه وابـن جنـى فـى "الخصائص". ويظهر أبو هاشم ثم الجبـائى مـن المعتزلـة كمنظرين لأصول الفقه الاعتزالى. ثم يتداخل الأصوليون من المذاهب الأربعة مما يدل على وحدة العلم، وعموم الأصـل مثل الشريف المرتضى من الشـيعة، وعيسـى بـن أبـان والصيرفى من الحنفية، وأحمد رائد الحنابلة، ويحـال إلـى "الملخص" لعبد الوهاب المالكى(١). ومن اللغويين والشـعراء

---

(١) فخر الدين الرازى (٥٧)، الحنفية (٢٦)، الغزالى (٢٥)، الشافعى (٢٣)، أبو حنيفة (١٩)، الباقلانى (١٨)، الشافعية (١٤)، إمام الحـرمين (١٢)، سيف الدين الآمدى (٩)، أبو الحسين البصرى، الكرخـى، الزمخشـرى، المازرى، المالكية (٨)، ابن عصفور، سيف الدين الإبيارى، أبـو بكـر الصيرفى (٧)، سيبويه، أبو هاشم (٦)، الجبائى (٥)، الشريف المرتضى (٤)، النقشوانى، ابن القاصرى، أحمد بن حنبل، ابن العربى، العز بن عبد السلام، ابن سريج، الحزفى، مذهب الحنفية (٣)، ابن جنى، مالك، مذهب مالك (٢)، عبد الوهاب المالكى، ابن السكيت، الكراع، أبو ثور، تاج الدين الأرموى، الجرجانى، القفال الشاشى، أبو على الفارسى، التبريزى، ابـن عطية، ابن الزعبرى، عيسى ابن أبان، ابن برهـان، عبـد الملـك بـن الماجشون المالكى، الجرجانى، الأبهرى، القاضى عبد الجبار، أبو عبد ا البصرى، النفرى، ابن الشميل، الكسائى، الجوهرى، أبان بن عثمان، ابن

يظهر ابن دريد ومن النحاة يونس والخليل والمبرد[١].

ومن الفرق والطوائف والملل يظهر العلماء أولا على الإطلاق، ثم الأصوليون على التخصيص، ثم الفقهاء، ثم النحاة مما يدل على أن الأصوليين هم الصلة بين الفقهاء والنحاة[٢]. وتقل الفرق الأخرى كالظاهرية والمعتزلة والدهرية. ثم تظهر مدارس الفقه والنحو والمنطق فى الكوفة والبصرة[٣]. ويبرز المذهب الذى ينتمى إليه المؤلف فى "الفضلاء منا"، "أصحابنا"، "مذهب القاضى منا" فى مقابل مذهب الجمهور[٤]. وتقل الإشارات على أن مذهبه هو

يعيش، الشيرازى، التبريزى، التبريزى، قاضى القضاة صدر الدين، القاضى أبو ليلى، شرف الدين التلمسانى، شمس الدين الإبيارى، المدخل لابن طلحة الأندلسى، المحصول، أبو سعيد الأصطخرى، الشيرازى، ابن يونس الموصلى، ابن الفارض، مهب المرتضى من الشيعة (١).

(١) ابن دريد، النابغة (٢)، يونس النحوى، صاحب الصحاح، الخليل، المبرد، لبيد، عثمان بن مظعون، البطليوسى، ابن الانبارى، أبو اسحق، المغنى (١).

(٢) العلماء (١٢)، الأصوليون (١١)، الفقهاء (٨)، النحاة (٥)، الرافضة (٢)، أهل الظاهر، الدهرية، المعتزلة، النحاة والأصوليون، أئمة اللغة، أهل طبرستان (١).

(٣) الكوفيون، البصريون، المنطقيون، المفسرون، النحاة، الحنبلية (١).

(٤) الفضلاء منا، الأصحاب، أصحابنا (٣)، مذهب القاضى منا (١)، مذهب الجمهور (٢).

المذهب الصحيح[1]. ومن الفرق غير الإسلامية يحـال إلـى اليهودية والنصرانية. ومن الأنبياء اسحق والمسيح[2].

ويحال إلى عديد من مؤلفات الأصول السابقة للمؤلـف ولغيره مما يدل على بداية التراكم الفلسفى وعصر الشـروح والملخصات. وأكثر المؤلفات ذكرا هى "المحصول" للرازى وشروحه المختلفة، ثم "المستصفى" للغزالى، ثـم "المقـرب" لابن عصفور، ثم "الاحكام" للآمدى، و"البرهان" للجوينى ثـم مشاهير كتب النحاة[3]. ويذكر القرافى خمسة مـن مؤلفاتـه

---

(١) مثل "وقد بينا فساد هذا الطريق" السابق ص٣٦٥، "فالصواب فـى هـذه المسألة ما حددته بها" ص٥٥٥.

(٢) النصارى، اليهود (٢)، النصرانية، المجوس (١)، المسيح، اسحق (١).

(٣) المحصول للرازى (٢٤)، المستصفى للغزالـى (١٠)، المقـرب لابـن عصفور (٧)، الاحكام لسيف الدين الأمدى، البرهان لإمام الحرمين (٥)، شرح البرهان للمازرى (٤)، الملخص لعبد الوهاب المـالكى، إصـلاح المنطق لابن السكيت، المنتخب للكراع، شـرح الإيضـاح للجرجـانى، المعتمد لأبى الحسين البصرى، شرح المحصول للنغشوانى، الإقرار فـى الفروع للخرفى (٣)، الفصل للزمخشرى (٢)، الخصائص والجامع لابـن جنى، الأوسط لابن برهان، شرح المفصـل لابن يعيش، اللمع للشيرازى، اختصار المحصول للتبريزى، العمدة للقاضى أبو يعلى، شرح المحصـل لشرف الدين التلمسانى، شرح البرهان لشمس الدين الإبيـارى، المـدخل لابن طلحة الأندلسى، طبقات الأطباء للشيرازى، تعليق على المحصـول لابن يونس الموصلى، إصلاح الخلل فى شرح الجمل للبطليوسى، النحـو لابن الانبارى، المغنى، المعالم لفخر الدين الرازى، الشـيرازيات لأبـى

السابقة[1]. أما الناشر الحديث فإنه يسـهب فـى التعليقـات والتخريجات مما يوحى بأن عصر الشروح والملخصات قـد بدأ ولم ينته بعد[2].

رابعا: الإجماع.

١ - "الإجمـاع" للقاضـى عبـد الوهـاب المـالكى (٤٢٢هـ)[3]. وهو دفاع عـن حجيـة الإجمـاع، إجمـاع الصحابة، ضد منكريه من المعتزلة والرافضة. لذلك امـتلأ بأسماء الفرق، وفى مقدمتهم الصحابة ثم المعتزلة والرافضة

على الفارسى، الأوسط لابن برهان، والمفتاح وأدب القضاء والمواقيـت والتلخيص لابن القاضى (١).

(١) وهى: شرح المحصول، التنقيح، شرح التنقيح، الاسـتغناء فـى أحكـام الاستثناء، السابق ص٤٧٦/٥٤٥/٦٠٦.

(٢) السـابق ص٣٠-٣١/٥١-٧١/٧٤-٧٥/٩٧-٩٨/١٢٦-١٢٨/١٤٢-١٤٧/١٩٩-٢٠٠/٢٠٣-٢١٢/٢٢١-٢٢٢/٢٥٧-٢٧٨/٢٩٤-٣١٤/٣٨٣-٣٨٤/٣٩٢-٣٩٩/٤١٤-٤٢٠/٤٨٩-٤٩٧/٥٢٦-٥٣٤/٥٧٣-٥٧٧/٥٨٣-٥٨٤/٦٤١-٦٤٣/٦٨٨-٦٩١/٦٩٨-٧٠١/٧٢٠-٧٢٥.

(٣) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر المالكى: الإجماع، المقدمـة فـى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السـليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ص٢٥٩-٢٨٧.

والشيعة واليهود والنصارى والكفار والروم والهند[1]. ويعتمد على الأحاديث أكثر مما يعتمد على الآيات[2]. ويحيـل إلـى "شرح كتاب اللمع" لأبى الفرج[3]. وبطبيعة الحال يذكر النظام نموذج منكرى الإجماع والشافعى وأبو بكر للمثبتـين. كمـا يذكر صلب المسيح وشجاعة على وسخاء حاتم وحلم معاوية على حقائق معروفة بالإجماع. وهو كتاب سجالى حجـاجى نظرا لطبيعة الموضوع. ويقوم على تخيل الاعتراض مسبقا والرد عليه. ويعتمد على جدل النفى والإثبات، أولا بـإيراد حجج النفى وهى سبع والرد عليها. ثم إيراد حجج الإثبـات وهى ثلاثة والرد على الاعتراضات عليها مسبقا. وقـد يـتم الجواب على الاعتراض، ثم الاعتراض على الجـواب، ثـم الجواب على الاعتراض عدة مرات فـى حجـج متداخلـة ومتشابكة بحثا عن اتساق الفكر وسلامة المنطق.

ولا خلاف فى الصدر الأول وفقهاء الأمصـار وأئمـة العلم من سائر الأعصار على حجية الإجماع واتباع السـلف

---

(١) الصحابة (٧)، أصحابنا (٣)، اليهود، النصارى، الكفـار (٢)، الـروم، الهند، المعتزلة، الرافضة، الشيعة، فقهاء الأمصار، أئمـة العلـم، أهـل الاجتهاد، الفقهاء الأصوليون، أهل الردة، الأنبياء (١).

(٢) الآيات (٨)، الأحاديث (١٦).

(٣) الإجماع ص٢٨٦.

الصالح لقدرتهم على التأويل والاستنباط حتى ولـو اختلفـوا فيما بينهم. إنما وقع الخلاف بين المعتزلة والرافضة والنظام فى أربعة طرق: الأول استحالة وقوعه ومنع وجوده أصـلا. والثانى منع الشريعة الإجماع على حادثة نظـرا لاخـتلاف الرؤى والتأويلات بين البشر وإن أمكن ذلك عقلا. والثالـث جواز وقوعه ولكن ليس حجة لقدحه فى الصـحابة ونسـبة الشبه إليهم، وترك العمل بالصواب طلبـا للرئاسـة ومحبـة للسيادة، وهو موقف النظام. والرابع استحالة نقله إن وقـع. وحجج النفى سبع:

أ- استحالة القطع على أن الجماعة الكبيرة تتفق علـى اختيار الحق والصواب والعدول عن الباطل فى كل الأوقات، واستحالة الاتفاق على الصدق فى الاخبـار عـن الغيـوب، واستحالة الصدق فى كل الأقوال والأفعال.

ب- إن جاز الخطأ على الواحد جاز علـى الجماعـة، فالجماعة مجموع الآحاد. ويستحيل القول بـأن الجماعـة لا تخطئ مع خطأ الآحاد. كما يستحيل الإجماع بالأغلبيـة دون الأقلية ولو كان واحدا. فالحق كيف وليس كما.

جـ- تجرى العادة على استحالة اتفاق الجماعـة علـى

أمر واحد من أمور الدنيا، والأولى ألا تتفق فى أمور الدين. فأمور الدنيا تحكمها المصالح فى حين أن أمور الدين يختلف فيها الناس على الشئ الواحد مصلحة أو مفسدة.

د- تعذر دخول أية جماعة تحت العد والحصر، واعتبار قولهم حجة مبنى على وجوده، ووجوده مشروط بـالعلم بـه وهو أمر متعذر. ونظرا لتكاثر الأمة وزيادة آحادهـا فمـن الصعب القول بأن هذا القول يمثل جميع الأمة فيجوز وجود آحاد من المجتهدين لم يدخل فى الحصر.

هـ- لم يكن إجماع الأمم السالفة حجة، فالظن واحـد، فى الأمم السابقة وفى هذه الأمة.

و- لا يجوز أن يكون الإجماع تخمينا أو حدسا حجـة. وإن كان الإجماع عن دليل أو أمارة فالحجية فيهما وليس فى الإجماع. وإن كان خبرا واحدا أو اجتهادا أو عمومـا قـابلا للخصوص أو مجملا فى حاجة إلى بيان فالإجماع لا يصح.

ز- إجماع الأمة على أمور الدنيا ليس حجة على مـن بعدهم نظرا لتغير المصالح طبقا لتغير الزمان. والأولـى أن يكون ذلك فى أمور الدين. والدليل على ذلك إجمـاع الأمـة السابقة على القتال والجهاد والأمـة الحاليـة علـى الهدنـة

والمصالحة[1].

أما حجج الإثبات فإنها حجج نقلية خمسة، تـرد علـى الاعتراضات العقلية مسبقا مثل:

أ- ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾. إذ تتوعد الآية من يتبع غيـر سـبيل المؤمنين ومن يشاقق الرسول، وبالتالى فإن اتباعهم وطاعته واجبة. واعتراضات النفاة على هذه الحجة كثيرة منها الآيـة تدل على المنع وليس على الفرض أى أنهـا حجـة سـلبية وليست حجة إيجابية، استدلال يقوم علـى برهـان الخلـف. ويمكن اتباع سبيلهم دون الموافقة على أحكامهم. والجواب أن قبول حكم من أحكامهم هو اتباع للسـبيل. كمـا أن الاتبـاع يقتضى صفة الإيمان وهو شرط الموافقة. وإذا عُلق الوعيـد على اتباع السبيل بشرط بيان الهدى فإن القرينة فى الـدليل وليس فى الإجماع. والجواب أن الشرط عائد إلـى مشـاقة الرسول بعد رؤية المعجزة. كما أن الآية جملة مستقلة غيـر مشروطة. ولا يتطلب الاتباع معرفة صحة السبيل. فالإجماع لا يكون إلا عن صواب. وإذا كان الوعيد معلقا على مشـاقة

(١) السابق ص٢٦٠-٢٦٤.

الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فإنه يكون فى الأمـرين معا ولا ينتج عن ذلك مفسدة. ولا يقال ولـو كانـت الآيـة تقتضى الاتباع لوجبت حين توفر شرط الإيمان لأن الإيمـان لا يكون إلا بالدليل. ولا يقال إن الاتباع فى الصلاح بل فـى كل شئ. ولا يقال إن الاتباع ندب لأن الاتباع فـى الشـكل وليس فى المضمون. والصيغة تدل على الاستغراق لجميـع المؤمنين حتى يوم الدين وليس بعد انقراض الأمة وإلا كـان متعذرا. والاتباع يكون لسبيل المؤمنين دون غيرهم، وعـن يقين وليس عن ظن. ولا يخلو عصر من المؤمنين. والاتباع للجماعة وليس للآحاد، للاتفاق وليس للاختلاف[1].

ب- يدل الحديث المشهور "لا تجتمع أمتى على خطـأ" وصياغاته المتعددة "لا تجتمع أمتى على ضلال" أو "ضلالة". على انه إذا انتفى الخطأ أو الضلال وقع الإجماع. ومع أنـه خبر آحاد إلا أن الصحابة قبلوه. يوجب العمل وإن لم يوجب العلم. والإجماع على خبر آحاد بمثابة حجة للخبر، يتحول به من الظن اليقين. ولا يحتج بإجماع اليهود والنصارى علـى صلب المسيح وهو باطل. فلكل أمة طرق نقلها والتحقق مـن

---

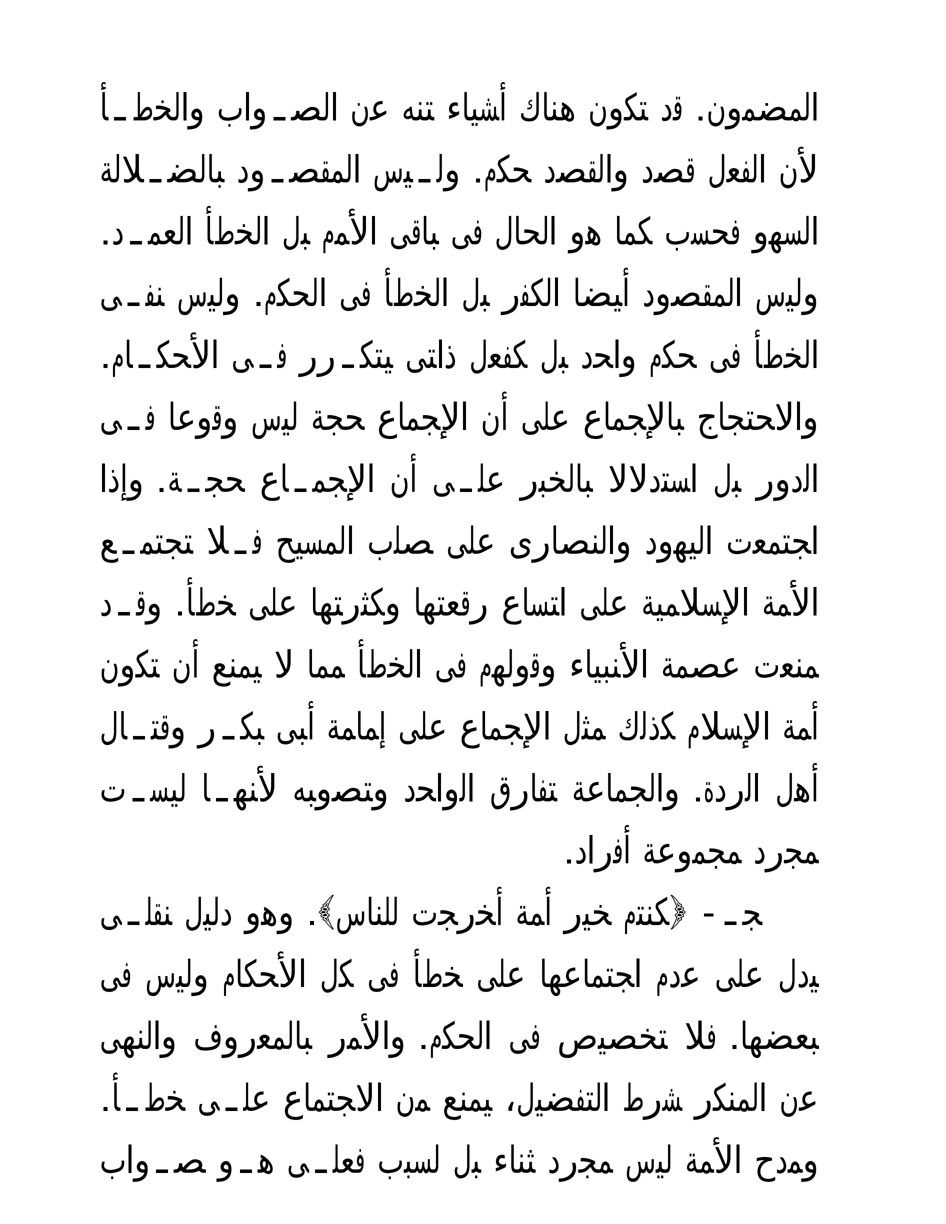
(١) السابق ص٢٦٤-٢٧٠.

صدقه دون السؤال حوله بالرغم مـن تشـكك علـم النقـد التاريخى للكتب المقدسة فيه، والسؤال حوله، وحجة الخبـر مستمدة من حجة الآية. ولا مانع من قطع تواتر الخبر. يكفى إجماع الأمة على العمل به دون أن يقتضى ذلك تحويل تواتر خبر الآحاد إلى تواتر على العموم وعلـى نحـو إلزامـى. وجواز الإجماع على رأى لم ينقل مع جواز نقل إجماع لـم يتم ينافى إجماع الأمة على أخبار مثـل "لا ميـراث لقاتـل عمد"[1]. كما لا يجوز على الأمة التواطؤ والكتمـان، وقـد أجمع الصحابة عليه. وكان إجماعهم بمثابة السنة المقطوعـة ونص الكتاب. وهى أمة عظيمة كبيرة يستحيل عليها التواطؤ والكتمان. وقد وردت أحاديث أخرى بهذا الصدد[2]. وتجمـع الأمة على شجاعة على وسخاء حاتم وحلم معاويـة بأخبـار متصلة أصلها خبر آحاد مع اتفاق معانيها. ولم يعترض أحد من الصحابة وإلا كان تم نقله بالرغم من توفر الدواعى على إظهار غيره. ولا يقال إن الإجماع فى الشـكل ولكـن فـى

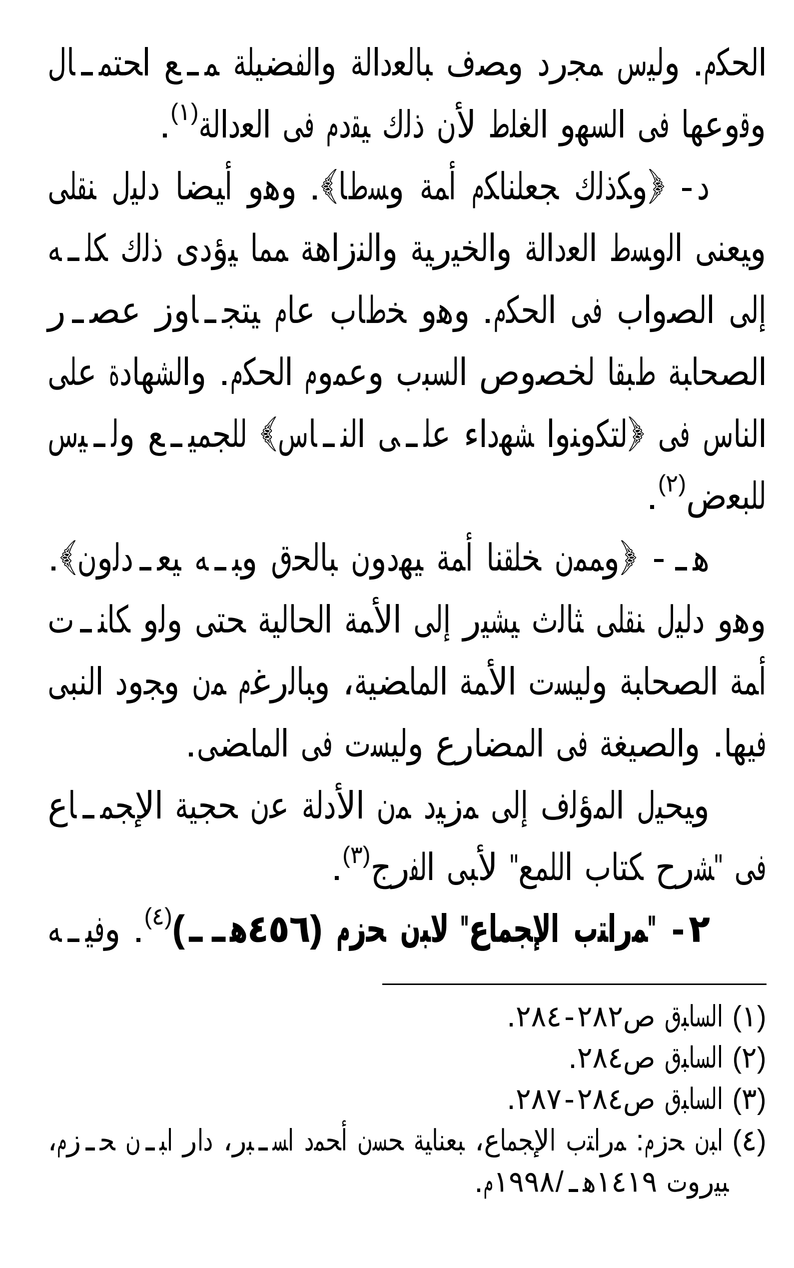
---

(١) السابق ص٢٧١-٢٨٢.

(٢) مثل: "من سرته بحبوحة الجنة فليزم صلاة الجماعة"، "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"، "عليكم بالسواد الأعظم"، "مـن فارق الجماعة مات ميته جاهلية"، "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق" ... الخ.


المضمون. قد تكون هناك أشياء تنه عن الصواب والخطأ لأن الفعل قصد والقصد حكم. وليس المقصود بالضلالة السهو فحسب كما هو الحال فى باقى الأمم بل الخطأ العمد. وليس المقصود أيضا الكفر بل الخطأ فى الحكم. وليس نفى الخطأ فى حكم واحد بل كفعل ذاتى يتكرر فى الأحكام. والاحتجاج بالإجماع على أن الإجماع حجة ليس وقوعا فى الدور بل استدلالا بالخبر على أن الإجماع حجة. وإذا اجتمعت اليهود والنصارى على صلب المسيح فلا تجتمع الأمة الإسلامية على اتساع رقعتها وكثرتها على خطأ. وقد منعت عصمة الأنبياء وقولهم فى الخطأ مما لا يمنع أن تكون أمة الإسلام كذلك مثل الإجماع على إمامة أبى بكر وقتال أهل الردة. والجماعة تفارق الواحد وتصوبه لأنها ليست مجرد مجموعة أفراد.

جـ - ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. وهو دليل نقلى يدل على عدم اجتماعها على خطأ فى كل الأحكام وليس فى بعضها. فلا تخصيص فى الحكم. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شرط التفضيل، يمنع من الاجتماع على خطأ. ومدح الأمة ليس مجرد ثناء بل لسبب فعلى هو صواب



الحكم. وليس مجرد وصف بالعدالة والفضيلة مـع احتمـال وقوعها فى السهو الغلط لأن ذلك يقدم فى العدالة[1].

د- ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾. وهو أيضا دليل نقلى ويعنى الوسط العدالة والخيرية والنزاهة مما يؤدى ذلك كلـه إلى الصواب فى الحكم. وهو خطاب عام يتجـاوز عصـر الصحابة طبقا لخصوص السبب وعموم الحكم. والشهادة على الناس فى ﴿لتكونوا شهداء علـى النـاس﴾ للجميـع ولـيس للبعض[2].

هـ- ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبـه يعـدلون﴾. وهو دليل نقلى ثالث يشير إلى الأمة الحالية حتى ولو كانـت أمة الصحابة وليست الأمة الماضية، وبالرغم من وجود النبى فيها. والصيغة فى المضارع وليست فى الماضى.

ويحيل المؤلف إلى مزيد من الأدلة عن حجية الإجمـاع فى "شرح كتاب اللمع" لأبى الفرج[3].

٢- "مراتب الإجماع" لابن حزم (٤٥٦هـ)[4]. وفيـه

---

(١) السابق ص٢٨٢-٢٨٤.

(٢) السابق ص٢٨٤.

(٣) السابق ص٢٨٤-٢٨٧.

(٤) ابن حزم: مراتب الإجماع، بعناية حسن أحمد اسـبر، دار ابـن حـزم، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

عرض الموقف الظاهرى من الإجماع، وهو الإجماع الخاص وليس الإجماع العام، إجماع الصحابة ولـيس إجمـاع كـل عصر، مثل إجماع أهل "القرة"، إجماع آل البيت عند الشيعة. وهو مقال سيال مثل "الملخص" يقسم لكتـب وأبـواب دون ترقيم[1]. وهو أقرب إلى الفقه منه إلى الأصول. هـو فقـه تطبيقى. يعرض لموضوع الإجماع أولا ثم يبين الموضوعات التى تم فيها الاتفاق أو الاختلاف ثانيا بين المذاهب الفقهيـة والكلامية مما يدل على ارتباط العلمين، أصول الفقه وأصـول الدين[2]. بل إن الباب الأخير فى الإجماع فى العقائد[3]. لـذلك كانت موضوعات الكتـب والأبـواب موضـوعات فقهيـة خالصة[4].

ويكاد يخلو من الأدلة النقلية والعقلية باسـتثناء أربعـة

---

(١) عدد الكتب (١٧)، الأبواب (٢).

(٢) يذكر من الفرق الكلامية القدرى والشيعى والاباضى والمرجئى، مراتـب الإجماع ص٣٢.

(٣) ابن حزم: مراتب الإجماع، ص٢٦٧-٢٧٤.

(٤) أسماء الكتب: الصلاة، الطهارة، الجنـائز، الزكـاة، الصـيام، الحـج، الأقضية، التفليس، الحجر، القضب، الرهن، النكاح، الرضـاع والنفقـات والحضانة، البيوع، الفرائض، الوصايا والأوصياء، الحدود. والبابان باب الاعتكاف بين كتابى الصيام والحج وباب من الإجماع فـى الاعتقـادات يكفر من خالفه بإجماع.

آيات، كما يخلو من المحاجة. إنما يرصد فقط موضـوعات الاتفاق والاختلاف بين المذاهب الفقهيـة. ويسـبق الاتفـاق والاختلاف. فالاتفاق هو الأصل، والاختلاف هو الفـرع[1]. وصيغ الاتفاق هى: اتفقوا، أجمعـوا. وصـيغ الاخـتلاف: اختلفوا، لم يتفقوا، اختلف القائلون، اختلـف الموجبـون، لا إجماع. ليت الاتفاق أو الاختلاف كان على الأصول ولـيس على الفروع، على الكليات وليس على الجزئيات. كما يخلـو من الشواهد الشعرية التى تفسر ألفـاظ القـرآن والحـديث. والهدف من ذلك كله إبطال الإجماع بسبب الاختلاف حولـه وكأن الاتفاق لا وجود له مع أنه أكثر من الاختلاف، وكـأن الاختلاف يطعن فى مبدأ الإجماع وليس أحد نتائجه الطبيعية. بل إن الاختلاف حول فهم القرآن وحجية السنة خاصة خبـر الواحد لم يطعن فيهما كدليلين شرعيين[2].

٣- "نقد مراتب الإجماع" لابن تيميـة (٧٢٨هـ ـ)[3].

(١) اتفقوا (٩٦٣)، أجمعوا (٣٢)، اختلفوا (٣٧٠)، لم يتفقوا (٦)، لا إجمـاع (٤)، اختلف القائلون، اختلف الموجبون (١).

(٢) "فهذه مسائل من الأحكام والعبادات، لا سبيل إلى وجود مسمى الإجمـاع لا فى جوامعها ولا فى أفرادها"، مراتب الإجماع ص٢٤.

(٣) الإمام الحافظ ابن تيمية حفظه ا تعال: نقد مراتب الإجماع، بعناية حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت، ط ـ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

وهو موضوع جزئى ردا على موضوع جزئى مما يدل على التراكم فى كل علم[(١)]. وهو أيضا مقال سيال، يخلو مـن أى تقسيم أو ترقيم لأبواب أو فصول. ويكاد يخلـو أيضـا مـن الأدلة النقلية والعقلية باستثناء أربع آيات وحـديثين. وتـذكر أسماء بعض مؤسسى المذاهب والفرق. ويذكر اسم ابن حزم فى أول المقال[(٢)]. ويعتمد الرد على اقتباس النصوص للـرد عليه كما فعل الغزالى فى "تهافت الفلاسفة"، وابن رشد فـى "تهافت التهافت". وهو أصغر حجما من "مراتـب الإجمـاع" بأقل من العشر[(٣)].

٤ - "الانتصار لأهل المدينة" لابن الفخار (٤١٩هـ)[(٤)].

ومن "إجماع أهل المدينة" أو عمل أهل المدينة" يمكن اعتباره إحدى صور الإجماع، الإجماع الخاص المحدد بالمكـان أو

---

(١) مثل الرد على ابن الراوندى الملحد للخياط فى علم الكلام، ورد "تهافـت التهافت" الشهير لابن رشد على "تهافت الفلاسفة" للغزالى.

(٢) ابن حزم (٣)، أبو حنيفة (٥)، الشـافعى (٤)، أحمـد بـن حنبـل (٣)، البخارى (٢)، مسلم، مالك، القدرية (١).

(٣) مراتب الإجماع (٢٥٢)، نقد مراتب الإجماع (٢٣).

(٤) أبو عبد ا محمد بن عمر الأندلسى المعروف بابن الفخار (٤١٩هـ ـ): كتاب الانتصار لأهل المدينة، فى "المقدمة فى علم الأصول" لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغـرب الإسـلامى، بيروت ١٩٩٦.

اعتباره من المصادر التى لم يجمع عليهـا المسـلمون بعـد القياس. ولما كان الشائع هو لفظ "إجماع" فإنه اعتبر إحـدى صور الإجماع. وهو عمل أهل المدينة عند مالـك والـدفاع عنه[1]. وهو أيضا رد على ما صـنفه "بعـض المتعسـفين والمتفيقهين" من الشافعية بانتقاصهم مالـك وأهـل المدينـة وتجهيلهم، وجعل المدينة كسائر الأمصار، وأنهـم يخـالفون أحاديث الرسول، طعنا على أهل المدينـة واتباعـا لأهـواء الناس، وحسدا لأئمة المسلمين. فالجهلاء أعداء العلماء. وكل ما نُـسب إلى أهل المدينة غير صحيح. مذهب أهل المدينـة هو مذهب المالكية والشافعى الذى نصح يونس بتقسيم ما جاء من أهل المدينة قسمين. الأول ما نقل عنهم وقفا عن النبـى، والثانى ما ينتشر فيهم من عمل. وهو حجة على كل النـاس. فهى مدينة الرسول وحرمه ومهاجره. بها أحكمت الأحكـام واستقرت، ومنها انتشرت الشرائع، ومنها أخت السنن. فتحت سلما. وبها عاش الصحابة المهاجرون والأنصار. وفيها خيار التابعين وأزواج الرسول. لم تضل بعد الهداية ولم تنشأ فيهـا غواية ولا ظهرت فيها بدعة. رأى فيها كل النـاس أفعـال

---

(١) السابق ص٢١٩-٢٢٦.

الرسول وسمعوا أقواله. ونقل أهلها ذلك خلفا عن سلف. ألقى فيها عمر خطبه.

هذا هو مذهب مالك وصحبه. دون الإجماع عن طريق الاجتهاد والاستنباط والاستدلال، فليس لأهل المدينة على غيرهم من علماء الأمصار فضل فيه لأن الاستدلال لكل العلماء بالرغم من تفضيل بعضهم على بعض فى الفهم. أما الرواية عن الرسول فأهل المدينة حجة على غيرهم ومصدر للمسلمين فيها. وهو ليس مذهب مالك وحده بل أيضا مذهب أبى حنيفة. وقد رجع إليه صاحبه أبو يوسف بعد مناظرته لهارون. كما احتج مالك على مذهب أهل الكوفة بمذهب أهل المدينة فى الآذان والإقامة وزكاة الخضر وغير ذلك ما ثبت بالنقل. وما نقله غير أهل المدينة ليس نقلا متواترا باستثناء نقل الشاهد العدل. وفى قبول خبر الواحد العادل يتساوى أهل المدينة وأهل سائر الأمصار.

ويعتمد النص على عدد من الآيات دون الأحاديث[1]. وبطبيعة الحال يتقدم مالك، ومالك وأصحابه على أبى يوسف

(١) الآيات (٩).

والشافعى وهارون وأبى حنيفة[1]. كما يتقدم أهل المدينة على أهل الكوفة وأهل مكة[2]. ومن الجماعـات والفـرق يتقـدم الصحابة والتابعون على الأئمة والمجتهدين والخوارج[3].

٥- "إجماع أهل المدينة" للقاضى عبد الوهاب بن نصر البغدادى (٤٢٢هـ)[4]. وهو مقتبس من كتاب "الملخص" كما أن "إبطال الاستحسان" للشافعى ملحق لكتاب "الأم". فقد نشـأ علم الأصول من رحم الفقه. وهو دفاع عـن إجمـاع أهـل المدينة عن طريق عرضه عرضا عقليا خالصا وعلى نحـو استدلالى منطقى. وهو على ضـربين: نقلـى واسـتدلالى. والنقلى على ثلاثة أضرب. الأول نقل شرع من النبى قولا أو فعلا أو إقرارا. وهو حجة تجب الأخبار والمقاييس. والثـانى إجماع عن طريق الاستدلال، وهو ليس بحجة عند ابن بكير وأبى يعقوب الرازى والقاضى أبى بكـر وابـن السـمعانى

---

(١) مالك (٧)، مالك وأصحابه (٢)، أبو يوسف (٣)، الشافعى، هارون (٢)، أبو حنيفة، عمر، عبد الرحمن بن عوف (١).

(٢) أهل المدينة (١٢)، أهل مكة، أهل الكوفة (١).

(٣) الصحابة، التابعون (٣)، الأئمة، المجتهدون، الخوارج (١).

(٤) القاضى عبد الوهاب بن على بن نصر البغدادى (٤٢٢هـ): إجماع أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بـن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسـلامى، بيـروت ١٩٩٦، ص٢٥٣-٢٥٥.

والطيالسى وأبى الفرج والأبهرى لأنه ليس مذهب مالك. وهو ليس بحجة عند فريق آخر ولكن يرجح به أحد الاجتهادين. ورضى بذلك بعض الشافعية. وهو عند فريق ثالث حجة لا يحرم خلافه مثل أحمد بن المعدل وأبى مصعب والحسن بن أبى عمر من البغداديين وجماعة من المغاربة المالكية. وهو مقدم على خبر الواحد والقياس. ويُعزى إلى مالك. وهو غير صحيح. وهى بنية ثنائية أو ثلاثية محكمة[1]. ولا يعتمد على أى دليل نقلى من قرآن أو حديث أو أثر. ومن الأعلام لا يذكر إلا ممثلوا القسمة. ومن الفرق يذكر البغداديون والمغاربة و"أصحابنا" أى المالكية.

٦- "إجماع أهل المدينة" للإمام على بن إسماعيل

---

(١)

- **عمل أهل المدينة**
  - نقلى
    - قول
    - فعل
    - إقرار
  - استدلالى
    - ليس بحجة ولا مرجح
    - ليس بحجة ولكن مرجح أحد الاجتهادين
    - حجة لا يحرم خلافه

الإبيارى (٦١٨هـ)[1]. وقد ظل السجال حول حجية عمـل أهل المدينة إلى عصر متأخر، القرن السـابع وإثباتـه مـن المالكية ضد الشافعية. وهو ما فعله الإبيارى معلقا على قول إمام الحرمين فى "البرهان". والقول باتفـاق أهـل المدينـة مشهور عن مالك وهو "إجماع أهل المدينة" وهـو لا ينـزل منزلة إجماع الأمة حتى يفسق المخالف. هـو أقـرب إلـى القياس وخبر الواحد. وله خمس صور:

أ- نقل عمل مستفيض كابرا عن كـابر مثـل مسـألة الأحباس التى أنكرها شريح وهو لم يقم فى المدينة. وأقرهـا الصحابة والتابعون وأصبحت سنة حية فى الممارسة اليومية التاريخية.

ب- سماع أخبارها ومخالفتها يسـقط حجـة الروايـة. فالأولى بقاء عمل أهل المدينة ونسخه للأخبار المخالفة التـى لم تعش فى الممارسة نقلت أم لم تنقل. وهو بمثابة خبر تـم الاتفاق عليه.

جـ- نقل خبر يناقض حكما ولكن غلبة الظن تقضـى

---

(١) الإمام على بن إسماعيل الإبيارى (٦١٨هـ): إجمـاع أهـل المدينـة، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسـين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٣٠٩-٣١٤.

بأن الخبر لا يخفى عن الجميع لنزول الوحى بالمدينة ومعرفة أهلها بالسنة. لذلك كان الناس إذا اختلفوا فى شئ احتكموا إلى أهل المدينة.

د- نقل خبر على خلاف القضاء والقياس على غير ذلك يوقع النفس فى التردد بين الخبر والقياس مثل القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم "يجرى فى النفوس من أحد الجانبين". فى حين لا يجرى القصاص بينهما فى الأطـراف إذا وقعت فيها الجراح. فالنفس مقدمة على الأطراف، تقـديم الكل على الجزء. وهو قول جمهور الفقهاء، الفقهاء السـبعة، وإن كان القياس يقضى إلحاقها بالنفوس. ولمالك قول مشـابه ولكن الأشهر الأول بناء على خبر. وقد أقر الشافعى بإقراره خبرا عن علىّ لأنه لا يفعل إلا عن توقيف. فما أنكر علـى مالك هو عين مذهب الشافعى وطريقته فى تغليب جهة الظن.

هـ- أن يصادف القضاء لا على خلاف خبر منقول أو قياس يدعو إلى التمسك بـالخبر لأجـل مخالفـة القيـاس. والصواب عدم ترجيح العمل المنقول وترجيح النظر سـواء كان موافقا أو مختلفا معه. وقول أحد الناظرين أنه أعلم مـن الغير جنوح إلى التقليد من غير دليل وهو مناقض للاجتهاد.

والمقال يخلو من الأدلة النقلية لأنه تنظير عقلى خالص أشبه بالإبداع الخالص فى علوم الحكمة، ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال مالك ثم الشـافعى والجـوينى وشـريح وعلى[(١)]. ومن الفرق والجماعات يتقدم بطبيعة الحـال أهـل المدينة ثم الصحابة والتابعون ثـم الأصـحاب والفقهـاء[(٢)]. ويحال إلى "البرهان" للجوينى[(٣)]. كما يحيل العمل إلى ذاتـه تأكيدا لوحدة الرؤية[(٤)].

٧- "مسألة مرسومة فى إجماع أهل المدينة" للقاضـى الربعى المالكى (٦٣٢هـ)[(٥)]. وهو دفاع عن مالك. فقد نسب الغزالى وغيره من الشافعية إلى مالك أنه يقول بأنه لا حجـة إلا فى إجماع أهل المدينة عن رأى واجتهاد. وطعنـوا فـى مقاله وازدروا مذهبه. وهو جهل ونقل غير صـحيح عـن مالك. يقصد مالك النقل الصحيح عن الرسول طبقا لما كـان

---

(١) السابق مالك (٧)، الشافعى (٣)، إمام الحرمين، شريح، على (٢).

(٢) أهل المدينة (٤)، الصحابة، التابعون (٢)، الأصحاب، الفقهاء (١).

(٣) البرهان (١).

(٤) السابق ص٣١٢-٣١٣.

(٥) القاضى أبو على الحسين ابن عتيـق ابـن رشـيق الربعـى المـالكى (٦٣٢هـ): مسألة مرسومة فى إجماع أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأها وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٦، ملحق ص٣١٥-٣١٩.

ساريا من عمل فى المدينة. وهو ما نقله أئمة المالكية مثـل الأبهرى، والقاضى البغـدادى، والقاضـى عبـد الوهـاب، والطرطوشى. وهو ما أثبته أيضا إسماعيل بن أبـى أويـس حين سأل مالك واستفسر عما قاله فى "الموطأ". فإجماع أهل المدينة ليس إجماعا عن رأى واجتهـاد وهـو يفيـد العلـم الضرورى مثل التواتر. والنص خال من الأدلـة النقليـة أو العقلية بل مجرد تنبيه على عدم تشويه مذهب مالك فى عمل أهل المدينة[1].

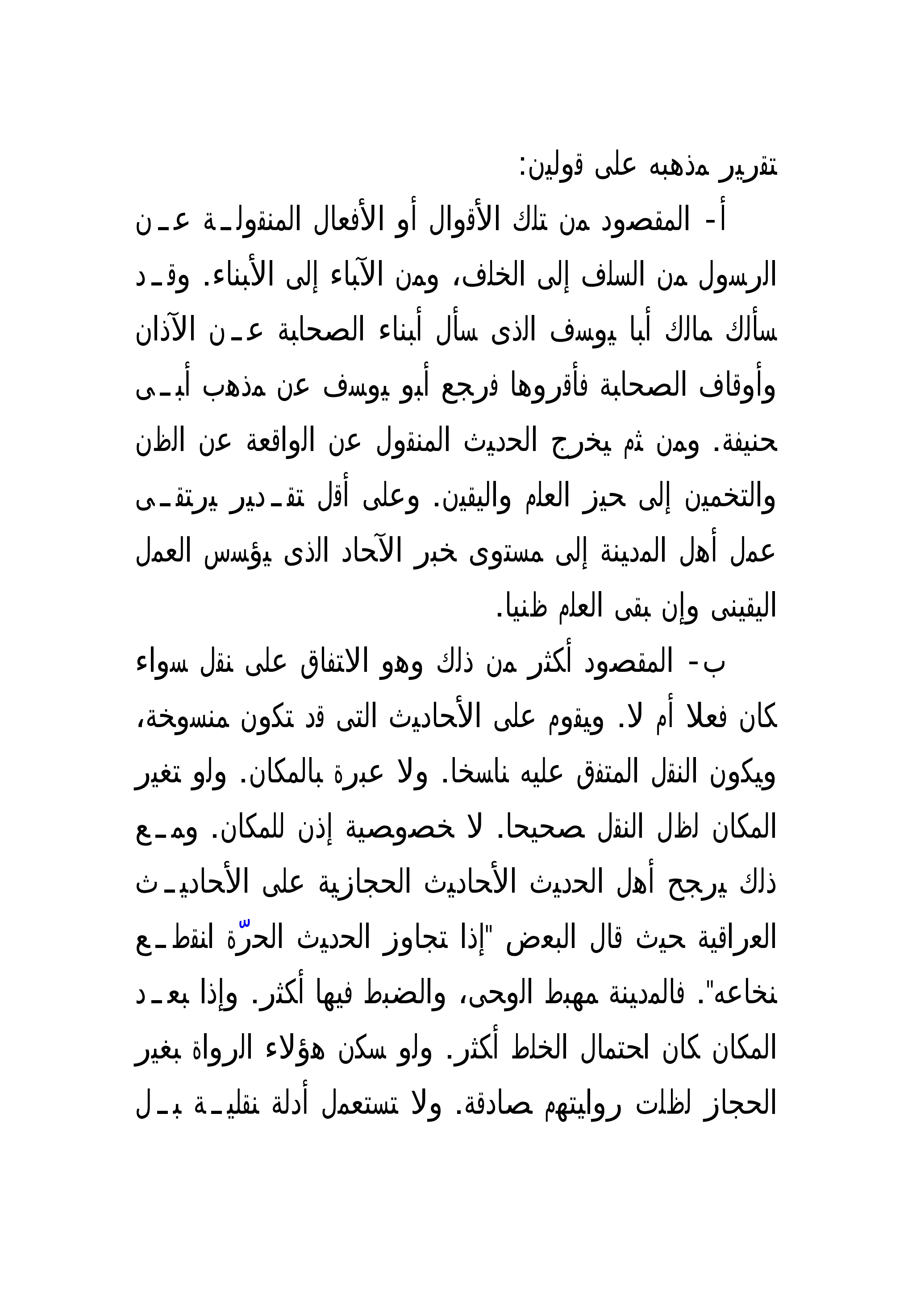
٨- "عمل أهل المدينة" للإمام القرافى (٦٨٤هـ)[2].

ويسمى "إجماع أهل المدينة" وأيضا "عمل أهل المدينة" وهـو الأغلب. والهدف من هذه الرسالة تصـحيح المفهـوم لـدى الرازى وهو من الشافعية لقوله "الأماكن لا تؤثر فـى كـون الأقوال حجة". وهو ما لم يقله مالك. إذ اختلف أصحابه فـى

---

(١) من أسماء الأعلام: مالك (٥)، القاضى عبد الوهاب (٢)، أبـو حامـد، الأبهرى، القاضى البغدادى، الطرطوشى، إسماعيل بن أويـس، عائشـة، حفصة (١). ومن الفرق والجماعات: أهل المدينـة (٣)، الشـافعية (١). ومن أسماء الكتب: الموطأ (٢).

(٢) الإمام أبو العباس أحمد بن إدريـس الصـنهاجى المعـروف بـالقرافى (٦٨٤هـ): عمل أهل المدينة، المقدمة فى الأصول لابن القصار، قرأهـا وعلق عليها محمد بن الحسين السليمانى، دار الغرب الإسلامى، بيـروت ١٩٩٦، ملحق ص٣٢١-٣٢٥.



تقرير مذهبه على قولين:

أ- المقصود من تلك الأقوال أو الأفعال المنقولة عن الرسول من السلف إلى الخلف، ومن الآباء إلى الأبناء. وقد سأل مالك أبا يوسف الذى سأل أبناء الصحابة عن الآذان وأوقاف الصحابة فأقروها فرجع أبو يوسف عن مذهب أبى حنيفة. ومن ثم يخرج الحديث المنقول عن الواقعة عن الظن والتخمين إلى حيز العلم واليقين. وعلى أقل تقدير يرتقى عمل أهل المدينة إلى مستوى خبر الآحاد الذى يؤسس العمل اليقينى وإن بقى العلم ظنيا.

ب- المقصود أكثر من ذلك وهو الاتفاق على نقل سواء كان فعلا أم لا. ويقوم على الأحاديث التى قد تكون منسوخة، ويكون النقل المتفق عليه ناسخا. ولا عبرة بالمكان. ولو تغير المكان لظل النقل صحيحا. لا خصوصية إذن للمكان. ومع ذلك يرجح أهل الحديث الأحاديث الحجازية على الأحاديث العراقية حيث قال البعض "إذا تجاوز الحديث الحرّة انقطع نخاعه". فالمدينة مهبط الوحى، والضبط فيها أكثر. وإذا بعد المكان كان احتمال الخلط أكثر. ولو سكن هؤلاء الرواة بغير الحجاز لظلت روايتهم صادقة. ولا تستعمل أدلة نقلية بل

الاعتماد على العقل وحده فى هذا العصر المتـأخر. ومـن الأعلام يتقدم مالك على أبى يوسف الذى يتقدم علـى أبـى حنيفة[(١)]. ومن الفرق يذكر أهل الحديث والمحدّثون والعلماء وأبناء الصحابة وأوقافهم[(٢)]. ومن الأماكن الحرّة والحجاز[(٣)].

خامسا: القيــاس.

١ - "إبطال الاستحسان" للشافعى (٢٠٤هـ)[(٤)]. وقد بدأ الجدال حول القياس الشافعى نظرا لموقفه من تثبيت الأدلـة النقلية، الكتاب والسنة على حساب الأدلة العقلية مثل القيـاس خاصة إذا كان فى شكله الحر وهو الاستحسـان فـى قولـه الشهير "من استحسن فقد شرع" وهو فى العادة ملحق لكتـاب "الأم" فى الفقه. وهو كتاب صغير يضم عنوانين "كتاب إبطال الاستحسان" و"باب إبطال الاستحسان". وهـو متقطـع إلـى فقرات يفصلها (قال الشافعى) وكأن شخصا آخر هـو الـذى

(١) مالك (٣)، أبو يوسف (٢)، أبو حنيفة (١).
(٢) أهل الحديث، المحدّثون، العلماء، أبناء الصحابة، أوقاف الصحابة (١).
(٣) الحجاز، الحرّة، الأحاديث الحجازية، الأحاديث العراقية (١).
(٤) الشافعى: كتاب إبطال الاستحسان، كتاب الأم جـ٧ (طبعـة الشـعب)، ص٢٦٧-٢٧٧= (١٠) صفحات.

روى عن الشافعى. فهو جزء من "الأم" وليس كتابا مسـتقلا، وكأن أصول الفقه قد تولد من رحم الفقه، ومجموعـة مـن المبادئ الكلية لتنتظم الأفعال الجزئية. لذلك تظهر فيه بعض الأمثلة الفقهية. يقيم تعارضا بين القرآن وما دونه. ويجعـل الاستحسان تعبيرا عن الأهواء البشرية اعتمادا على تفرقـة القرآن بين "الحق" و"الهوى". وهو فى النهاية لفـظ قرآنـى يصعب شكلا وموضوعا، لفظا ومعنى، أصلا وفرعا. يعتمد على القيل والقال والرد مسبقا على الاعتراضات مـن أجـل قدر ولو بسيط من الاتساق العقلى. ينقد المشرقيين من أهالى خراسان لأنهم يعتمدون على العقل أكثر من النقل ويقصد بهم الفقهاء الأحناف.

وهو مملوء بالآيات والأحاديث، والآيات أكثر[1]. يعتمد على النقل أكثر من العقل. وهو ضعيف نظريـا، والحجـج العقلية لصالح الحجج النقلية. فقط كتب فى عصـر تـدوين الحديث، وغاب الحرص عليه. لذلك يبدو خارج الموضـوع وبعيدا عن العنوان. ومع ذلك يقوم على الاستبعاد والإقصاء، ضد أستاذه مالك الذى كان يقـول بالاستحسـان، "مـا رآه

---

(١) الآيات (٥٠)، الحديث (١٨).

المسلمون حسن فهو عند ا حسن". لم تذكر كلمة "الاستحسان" إلا نادرا. والقياس دونه مع أن الاستحسان فرع منه وأحد أشكاله الحرة. والقرآن خطاب من ا إلى النبى وليس إجابة على سؤال فى الواقع، وما الرسول إلا المبلغ والأداة.

ولا تذكر أسماء أعلام من الفقهاء أو المتكلمين باستثناء الرواة لإثبات صحة السند. فالحديث حجة قطعية مثل القرآن. وما دون النص وخارجه يبطل.

٢- "القياس الشرعى" لأبى الحسين البصرى (٤٣٦هـ)[١]. وهو ملحق للمعتمد فى أصول الفقه له أيضا. وهو كتاب صغير مستقل عن "المعتمد"، مع زياداته[٢]. ويضم ستة فصول تشمل موضوعات القياس مثل: حد القياس، الحكم، العلة، صحة العلة، ما يخص العلة من الوجوه المفسدة لها، ترجيح علة الأصل على علة أخرى، وترجيح قياس على قياس، وضميمة فى القلب أى نقيض العلة. وأكبرها مباحث

---

(١) أبو الحسن البصرى: كتاب المعتمد فى أصول الفقه، ويليه "زيادات المعتمد" و"القياس الشرعى"، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه محمد حميد ا ، بتعاون أحمد بكير وحسن حنفى، المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية جـ٢، دمشق ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٢) السابق جـ١٠٣١/٢-١٠٥٠= (١٠) صفحات.

العلة، وتشمل ثلثى الكتاب[1]. وهو كتاب نظـرى خـالص. تغلب عليه الحجج العقلية أكثر من الحجج النقلية. تقـل فيـه الشواهد النقلية، ولا يظهر من أسماء الأعلام إلا الشافعى[2]. ويقوم على القسمة والعد والإحصاء خاصة لشـروط صـحة العلة ووجوه فسادها. هدفه نقل سجال الفقهاء ومناظراتهم إلى تحليل نظرى محكم يتجاوز الخلاف المـذهبى إلـى البنيـة النظرية، والمؤلف على وعى بها[3]. وتوضع التعريفات بين قوسين قبل شرحها. والأسلوب هادئ بلا استبعاد أو إقصـاء أو تكفير.

٣- "ملخص إبطـال القيـاس والـرأى والاستحسـان والتقليد والتعليل" لابن حزم (٤٥٦هـ)[4]. ونظرا لأهميـة إبطال القياس فى المذهب الظاهرى عند ابن حزم فإنه لخص

(١) مباحث العلة (١٦)، حد القياس، الحكم (٢).

(٢) القرآن،الحديث، الشافعى (١).

(٣) "اعلم أن الغرض من هذه المسألة أن نورد الوجوه التى يتكلم بهـا فـى القياس الشرعى على قسمة ملخصة، ونذكر ما يدور بـين الفقهـاء فـى مناظرة الفقه دون ما يختص أصول الفقه نحو الدلالة علـى المنـع مـن تخصيص العلة وما أشبه ذلك..."، القياس الشرعى جـ١٠٣١/٢.

(٤) ابن حزم: ملخص القياس والرأى والاستحسان والتقليد والتعليل، للإمـام الحافظ ابن حزم الأندلسى، بتحقيق سعيد الأفغانى، ط ـ ٢ ومنقحـة، دار الفكر، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

باب "إبطال القياس" من "الاحكام" فى هذا الكتيب الجزئى الخاص. وهو فى الحقيقة موضوع واحد، هو الدليل الرابع فى علم الأصول الاجتهاد فى صيغة القياس الذى يقوم على التعليل عند الشافعية وكل أشكال الاجتهاد الأخرى مثل الرأى عند الحنفية والاستحسان عند المالكية.

والتلخيص هنا، وهو نوع أدبى، ابتدعه الفلاسفة أولا، وسار فيه المتكلمون والأصوليون والصوفية بعد ذلك. وهو ليس مجرد اختزال لباب "القياس" فى "الاحكام" كما فعل ابن سينا فى تلخيص "الشفاء" فى "النجاة" وانتقاء فقرات دون أخرى بل هو إعادة كتابة النص مع التركيز على الحجج دون إسهاب وتطويل.

ويتبع فيه ابن حزم نفس الأسلوب الحجاجى إذ تبدأ معظم الفقرات بأفعال القول مثل قال، قلنا، قالوا، قلت، نقول، قولهم. وقد تكون الأفعال مركبة مثل، قال: فإن قالوا. وتختفى فى الآثار المروية فى إبطال الرأى والقياس والتقليد[1]. ثم تأتى بعدها أفعال السؤال والذكر والدعوى[2].

---

(١) قالوا (٩)، قلنا (٥)، قولهم، قال (٤)، نقول (٣)، فإن قالوا (٢)، فإن قيل، قلت، يقال (١).

(٢) نسألهم، وذكروا، دعواهم (١).

ويختلف تبويب التلخيص عن العنـوان. فبينمـا يبـدأ العنوان بإبطال القياس وهو الدليل الرابع والموضوع الأصلى الذى يتفرع منه الرأى والاستحسان والتعليل يبـدأ الكتـاب بإبطال التعليل والعلة أصل القياس وركنه، الركن مع الأصل والفرع والحكم، ثم إبطال الاستحسان والتقليد والرأى، ثم ذكر الآثار فى القياس والتقليد مع قول جامع أخير. فالمهم لـيس فى بنية الدليل الرابع بل إبراز الموقف المذهبى. ويضاف فى البداية مقدمة عامة للتعريف بالمصطلحات الخمسـة تبـرز الموقف والمذهب أكثر مما تعرف وتحـدد. وتختلـف هـذه الأقسام فيما بينها كما. أطولها المقدمة الأولى التى لا عنوان لها، ثم الآثار فى إبطال الرأى. ثم تتعادل تقريبا موضوعات إبطال التقليد وإبطال الاستحسان والآثار فى القياس والتقليد. وأصغرها القول الجامع فى النهاية الذى يعتبر القياس تكليف ما لا يطاق[1].

وهو أقرب إلى المقال السيال دون تقسيم أو ترقيم إعلانا عن موقف، ودفاعا عن مذهب، ورفضا للمـذاهب الأخـرى

---

(١) المقدمة الأولى (٤٤)، الآثار فى إبطال القيـاس (١٣)، إبطـال التقليـد، الآثار فى القياس (٣)، إبطال الاستحسان، الآثار فى التقليـد (٢)، قـول جامع (١).

كما هو الحال فى الفرق الكلاميـة، فرقـة واحـدة ناجيـة والأخرى هالكة. وقد يتناقض المذهب بـين إبطـال الـرأى والقياس والاستحسان والتعليل مـع إبطـال التقليـد، تقليـد المذاهب الفقهية لأن الظاهرية تقليد للنص وتبعية مطلقة لـه وتضحية بالعقل والمصلحة وهما بُعدا النص وركنا الـوحى. وقد قاسى الرسول كما هو معروف فى "أقيسة المصطفى"[1].

ويجمع "الملخص" بين الحجج النقلية والحجـج العقليـة. والآيات القرآنية أكثر من الأحاديث النبوية، ضعفها تقريبا[2]. وهو منهج ضعيف يقوم على الانتقاء. ويمكن إعادة تأويلـه النقل بحيث يُرد على صاحبه. فهو سـلاح مـزدوج ضـد الخصم وضد النفس. والحجج العقلية وحدها لا تكفى لأنهـا حجج صورية منطقية خالصة مقطوعة الصـلة بالمصـلحة. فالمنطق صورة ومضمون.

والأهم هو استعمال ابن حزم المنهج التاريخى فى مقدمة الملخص لبيان كيفية الانحراف عن النص الدينى فى الـرأى والقياس فى اتجاه العقل أو فى الاستحسان والقياس فى اتجاه المصلحة أو فى التقليد فى اتجاه المذهب المغلـق. فالتـاريخ

---

(١) : أقيسة المصطفى.
(٢) الآيات (٥٤)، الأحاديث (٣٣).

انحراف فى حاجة إلى تصحيح بالعودة من جديد إلى الـنص الخام. الظاهرية بهذا المعنى حركة سلفية. فالتـاريخ سـلب، والتقدم انحراف، والتطور اغتراب. كان النص سـائدا فـى القرن الأول ثم حدس القياس فى القرن الثانى، والاستحسـان فى القرن الثالث، والتعليل والتقليد فى القرن الرابع. لم يقـل أحد بالاستحسان قبل أبى حنيفة. ثـم حـدث التعليـل عنـد أصحاب الشافعى ثم أصحاب أبى حنيفة. وحدث التقليد عنـد أصحاب الشافعى بالرغم من تضارب أقواله[1]. لـذلك فـإن أكثر الأسماء ذكرا هو الرسول ثم البخارى ثم أحمد بن حنبل وعمر بن الخطاب ثم الذهبى ثم الشعبى ثم أبو بكر الصديق ثم الدارمى ومالك بن أنس ثم أبو حنيفة والشافعى[2]. وحوالى ستون آخرون من أهل السلف[3]. وكانت أكثر المجموعـات

---

(١) الملخص ص٣-٤٦.

(٢) الرسول (٤٧)، البخارى، أحمد بن حنبل، عمـر بـن الخطـاب (١٤)، الذهبى (١١)، الشعبى (١٠)، أبو بكر الصديق (٩)، الدارمى، مالك بـن أنس (٨)، أبو حنيفة، الشافعى (٧)، ابن عباس، الزهرى، شعبة، عبد ا بن عمر (٦)، الأعمشى، سفيان الثورى، على بن أبى طالب (٥).

(٣) مثل: أبو اسحق الشيبانى، حماد بن زيد، ابن سعد، سعيد بـن المسـيب، مجالد بن سعيد الهمدانى (٤)، حماد بن سلمة، الخزرجى، أبو داود، داود بن أبى هند، ابن سيرين، عبد ا بن أبى الزبير، عمر بن الحارث، الليث

ذكرا هم الصحابة ثم العلماء ثـم التـابعون ثـم الحنفيـون والشافعيون ثم القياسيون ثم المالكيون ثم أصحاب أبى حنيفة وأصحاب الرأى، والفقهاء والعرب[1].

والنص رواية حتى وصلت إلى ابن عربى. فلا فرق بين الظاهر والباطن، بين التنزيل والتأويل[2].

٤- "شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيـل ومسـالك التعليل" للغزالى (٥٠٥هـ)[3]. وهو مثل كتاب ابن حزم مـع اختلاف المواقف، الأول يثبته والثانى ينفيه. ويقوم على بينة خماسية طبقا للتعريف التقليدى للقياس، تعديـة الحكـم مـن

بن سعد، ابن ماجه (٣)، وحوالى أربعون علما (٢)، وحوالى مائة وستون علما (١).

(١) الصحابة (٢٢)، العلماء (٨)، التابعون (٦)، الحنفيون، الشـافعيون (٥)، المالكيون (٤)، القياسيون (٣)، أصحاب أبى حنيفة، أصـحاب الـرأى، العرب، الفقهاء (٢).

(٢) "رواية أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عنه كتابة. أنبأنى به أبو محمد عبد ا بن هرون الطائى من تونس عن أبى القاسم أحمد بن زيد بن عبد الرحمن البقوى عن شريح اذنا، محى الدين بن عربى"، "علق من خط محى الدين بن عربى محمد بن الذهبى وردت عليه فـى أمـاكن يسيرة"، السابق ص١.

(٣) الشيخ الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى محمد بن محمد بـن محمـد الطوسى: شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق د. حمد الكبيسى، ديوان الأوقاف، بغداد ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

الأصل إلى الفرع لتشابه بينهما فى العلة، كل ركن لتحديـد معنى لفظ من الألفاظ الخمسة الواردة فى التعريف[1]. الركن الأول "فى طريق معرفة كون الوصف الجامع علـة لحكـم الأصل حتى يترتب عليه وجودها الحكم فى الفـرع". وهـو معنى لفظ "التعدية". والثانى العلة، والثالث الحكـم، الرابـع الأصل، والخامس الفرع. أكبرها الأول وأصغرها الخـامس. لذلك يتكون الركن الأول من خمسة مسالك، والمسلك الثـانى من خمسة أنواع، والركن الثالث من أربعة مسائل. ويتخلـل الأركان والمسالك والأنواع والمسائل "مقال وتنبيـه". وهـى ألفاظ ابن سينا فى "الإشارات والتنبيهات". والكتاب يستقصى "الشبه والمخيل" فى مسالك التعليل أى أوجه التعليل الفاسـدة بسبب الشبه المخيل فى الذهن، وهو تحليل نفسـى منطقـى للمعرفة[2]. وهو ما يدل أيضا على جمال العنوان، لما فيهـا من ألفاظ السلوك عند الصوفية. كما يتضح الأسلوب الصوفى فى المقدمة، فى الابتهـالات والـدعوات وأسـاليب البيـان

---

(١) التعدية (٤٣٣)، العلة (٤٤)، الأصل (٣٨)، الحكم (٣٥)، الفرع (٨).

(٢) "خيـــــال وتنبيـــــه" (١٦). شـــــفاء الغليـــــل ص٦١/٩٧/١٠٠/١٠٢/١١٤/١١٨/١٢٦/٥٧٣/٥٧٧/٥٧٨/٥٨١/٥٨٥/ ٦٢٢/٦٦٦/٦٦٨/٦٧٦.

والبديع. ثم يتضح تأسيس العلم وشرط المعرفة مثل كمال آلة الإدراك واستكداد الفهم، والانفكاك عـن داعيـة العنـاد اى التخلى عن الأحكام المسبقة[1]. والغالب على الأسلوب هـو الإسهاب والاستطراد وكثرة الكلام كما هو الحال فى أصول الحنفية للجصاص والبزدوى والسرخسى بالرغم من الحرص على اصطلاحات الفقهاء. وقد كتب بعد "المنخول" الذى كتب بطريقة الجوينى ومن تعليقاته. واستعمل فيه الغزالى أسلوب الجدال والرد على الخصوم اعتمادا على مؤلفات الدبوسـى. وهو على وعى بالكم. لا يريد التطويل والحشو بما لا فائـدة فيه[2]. ويحال إلى كتاب "مآخذ الخلاف" ثم "تحصين المآخـذ" و"المنخول" للغزالى، ثم إلى كتاب "البيوع القديم" و"الرسـالة" للشافعى، وكتاب "التقويم" للدبوسى، وكتاب "التقريب"، ربمـا للقفال الشاشى أو لأبى لفتح سليم بن أيوب الرازى[3].

وبالإضافة إلى وحدة العمل والإحالـة إلـى أجزائـه، والتذكير بالسابق، وعرض "التمفصلات" وبيان خطة الكتاب

---

(١) السابق ص٥-٨.

(٢) السابق ص١٨/٩.

(٣) مآخذ الخلاف (٤)، تحصين المآخـذ، المنخـول (٣)، البيـوع القـديم، الرسالة، التقويم، التقريب (١).

وسط عرض الموضوع إعدادا له يحال إلى وحدة المشـروع الأصـولى للغزالـى ولغيـره مـن الأصـوليين الحنفيـة والشافعية[1].

وهو ذو طابع سجالى بين الشافعية والحنفيـة وكـأن الشافعى وأبا حنيفة خصيمان[2]. ويظهر ذلك فى أسلوب "فإن قيل... قلنا". وقد يتجاوز الجدال إلى المذاهب الفقهية الأربعة كلها، الشافعية والحنفية والمالكية والحنبليـة، بـالرغم مـن صدارة المذهبين الأولين على المذهبين الآخرين. لذلك يظهر لفظ الجدال والجدليين[3]. ونظرا للطابع الحجاجى تكثر الأدلة النقلية والعقلية. وتشمل الأدلة النقلية القرآن والحديث. ولأول مرة تزيد الأحاديث النبوية على الآيات القرآنية، ربما لدخول الغزالى فـى الفـروع والتفصـيلات والجزيئـات وطـرق الاستدلال[4]. وتقل الأدلة النقلية تدريجيا حتى تختفى كلية فى نهاية الكتاب اعتمادا على العقل الخالص. كما تظهـر بعـد

(١) شفاء الغليل ص٥٤٧/٢٧٧/٨٢/١٦/٩.
(٢) السـابق ص١١١-١٢٢/١١٤-٣١٧/١٢٦/٣٢٨/٣٣١/٣٦٢/٤١٧-٤١٩/٤٢٥-٤٣٤.
(٣) السابق ص٣١١/٣٠٤. جـدل المتكلمـين ص٤٨٣، للجـدليين خـلاف ص٥٠٥، طريقة المآخذ كافية فى الجدال ص٥٦٤.
(٤) الأحاديث (٩٤)، الآيات (٤٤).

الشواهد الشعرية واللغوية[1].

ويتوحد الغزالى مع فرقة بعينها هى الأشعرية فى الكلام، الشافعية فى الأصول، ويتكلم عن أصحابنا[2]. وتظهر أمثلته الأثيرة وتشبيهاته المعضلة، السلطان[3].

ومن الفرق يتقدم الحشوية ثم المراوزة ثم المعتزلة والسوفسطائية والطردية[4]. ومن فقهاء المناطق يظهر أهل بغداد وسمرقند والعراقيون، وصنعاء والعراق، ومكة ونيسابور، بين الأمصار والمدن[5]. كما تظهر مجموعات غير محددة مثل "آخرون"[6]. ومن الفرق غير الإسلامية يظهر اليهود والنصارى[7]. والسؤال هو: إذا كانت الشافعية أشعرية، والحنفية اعتزالية فهل الحنبلية حشوية، والمالكية مرجئة؟

---

(١) الشعر، شفاء الغليل ص١٠/٨/٧، قول العرب ص١٩، كلام العرب ص٤٢.

(٢) السابق ص٥٠٦/٤٠٣/٥٦.

(٣) السابق ص٢٠١.

(٤) الحشوية (٣)، المراوزة (٢)، السوفسطائية، الطردية (١).

(٥) أهل بغداد، أهل سمرقند، العراقيون، المعتزلة، صنعاء، العراق، مكة، نيسابور (١).

(٦) شفاء الغليل ص٤٥٩.

(٧) السابق ص٢٢٢.

ومن تحليل أسماء الأعلام يبدو سجال الشافعى ضد أبى حنيفة وأبى زيد الدبوسى ثم مالك بن أنس. ومـن الصـحابة يتصدى عمر بن الخطاب ثم ماعز ثم البـاقلانى متصـدرا المتكلمين والفقهاء الأشاعرة مثل الأسفراينى والجوينى ثـم ابن سريج. ومن المعتزلة أبو هاشم. ثم يتـداخل المتكلمـون والفقهاء والصحابة الصوفية على التوالى[1].

ويتضح من "شفاء الغليل" أن علم أصول الفقه قـد نشـأ ليس فقط لضبط أحكام القرآن كما هو الحال عنـد الشـافعى والجصاص بل أيضا من أجل ضبط الخلافات الفقهيـة عنـد المجتهدين وإيجاد منطق مشترك للفقهاء، منطق لغـة مثـل الشافعى أو منطق استدلال مثل الجصاص أو جمعـا بينهمـا مثل الغزالى.

---

(١) الشافعى (٨٩)، أبو حنيفة (٦١)، أبو زيد الدبوسى (٢٤)، مالك بن أنس (٢١)، عمر بن الخطاب (١٢)، الباقلانى (٦)، الأسـفراينى، الجـوينى، ماعز (٤)، ابن المسيب، معاذ (٣)، ابن سريج، بشر المريسى، سلمة ، أم سلمى، عائشة، عبادة، عثمان العتبى، أبو حنيفة العراقى (٢)، أبو بـردة، أبو بكر الصديق، أبو بكرة، أبو بكر الفارسى، أبو سعيد الخـدرى، أبـو سفيان ، أبو قتادة، أبو هريرة، أبو يوسف، ابن عباس، ابن عمـر، ابـن الماجشون، أسامة بن زيد، بربرة، حمنة، الحنفى، خالد ، خزيمة، سـالم، عروة، على، فاطمة بنت أبى حبيش، قاسم بن محمد، الكعبى، الشـيبانى، المزنى، المغيرة، هند (١).

٥- "رسالة المصالح المرسلة" لنجم الـدين الطـوفى (٧١٦هـ)[١]. وتعرض موضوعا جزئيـا هـو المصـالح المرسلة وهى أحد أبواب القياس وأحـد أشـكال الاسـتدلال الحر. تكثر من الاعتماد على الشواهد النقليـة دون العقليـة وكأن النص والمصلحة شئ واحد النص بالاستنباط، والواقع بالاستقراء. ويتقدم القرآن الحديث. ويذكر حديث "لا ضـرر ولا ضرار"[٢]. ولا يذكر من الأصوليين والفقهاء أحـد. ولا يذكر من الصحابة إلا عمر وأبو هريرة، ومـن الفـرق إلا الشيعة والفلاسفة[٣]. وتتوارى الأدلة العقليـة أمـام الأدلـة النقلية. ويتهم الفلاسفة بأنهم تعبـدوا بالعقـل الخـالص دون الشريعة.

وتقسم الأدلة بالاستقراء إلى تسعة عشر: الكتاب والسـنة وإجماع الأمة ويزاد عليه إجماع أهل المدينة وإجماع أهـل

---

(١) الشيخ نجم الدين الطوفى الحنبلـى: رسـالة فـى المصـالح المرسـلة، ص٣٩-٦٩.

(٢) القرآن (٢٢)، الحديث (٨).

(٣) عمر، أبو هريرة، الشيعة، الفلاسفة (١).

الكوفة، وإجماع أهل العترة عند الشيعة، وإجمـاع الخلفـاء الأربعة. ومن ثم يصبح المصدر الثالث وهو الإجماع خمسة مصـادر. أمـا القيـاس فيشـمل المصـلحة المرسـلة، والاستصحاب، والبراءة الأصلية، والعادات، والاستقرار وسد الذرائع، والاستدلال، والاستحسان، والأخذ بالأخف أى عشرة مصادر. ويضم إليه قول الصحابى عند السنة والعصمة عند الشيعة[1]. ومعظمها مستمد من المالكيـة. فالحنبليـة تمثـل النص، والمالكية تمثل المصالح المرسلة. وإن خالف الـنص الواقع المصلحى وجب تخصيص النص. تفرض المصـلحة نفسها على النفس كما تفرض الرحمة نفسها على ا ﴿كتـب ربكم على نفسه الرحمة﴾.

٦- "القياس فـى الشـرع الإسـلامى" لابـن تيميـة (٧٢٨هـ)[2]. وهى فتوى فقهية مثل فتوى ابن رشـد عـن

---

(١) وهى: الكتاب، السنة، إجماع الأمة، إجماع أهل المدينة، القيـاس، قـول الصحابى، المصلحة المرسلة، الاستصحاب، البراءة الأصلية، العـادات، الاستقراء، سد الذرائع، الاستدلال، الاستحسان، الأخذ بالأخف، العصمة، إجماع أهل الكوفة، إجماع أهل العترة عنـد الشـيعة، إجمـاع الخلفـاء الأربعة.

(٢) ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية): القياس فـى الشـرع الإسلامى، وإثبات أنه لم يرد فى الإسلام نص يخالف القياس الصـحيح،

النظر وحكمه الشرعى فى "فصل المقال" بناء على سؤال مشابه وهو حكم القياس فى الشرع الإسلامى بعد ترد قول الفقهاء "هذا خلاف القياس"، وهو ما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بالإجماع[1]. والأمثلة على ذلك كثيرة[2]. فهل يعارض القياس الصحيح النص الصحيح؟ وهو نفس موقف ابن تيمية السابق فى "درأ تعارض النقل والعقل" و"موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول". فالقياس الصحيح لا يعارض النص الصحيح نظرا لتطابق النص والعقل أو الوحى والعقل وكما قال المعتزلة والشيعة من قبل فى الحسن والقبح العقليين[3].

المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٥هـ. وقد تم استبعاد نص ابن القيم لأنه مقتبس من "إعلام الموقعين".

(١) "سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضى ا عنه عما يقع فى كلام كثير من الفقهاء عن قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان حكما مجمعا عليه"، السابق ص٦.

(٢) "فمن ذلك قولهم: تطهير الماء إذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس، بل وتطهير النجاسة خلاف القياس، والتوضؤ من لحوم الإبل على خلاف القياس، والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المفطر ناسيا والمعنى فى الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الأحكام"، السابق ص٦.

(٣) "فهل هذا القول صواب أم لا؟ وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا؟"، السابق ص٦.

الغرض من الفتوى إذن الدفاع عن اتفاق القيـاس مـع النص، والنص مع القياس، وإزالة التعارض الظاهر بينهمـا، والاتفاق بين الحجة النقلية والحجة العقلية بالرغم من غلبـة الحجة النقلية عليها من أجل إثبات الاتفاق بين النقل والعقل. وتغلب الآيات على الأحاديث[1]. ويغيب الشعر. ويتم الـرد على الاعتراضات مسبقا بطريقة القيل والقال تأكيـدا علـى الاتساق العقلى والبداهة النظرية. ويُستعمل أسلوب المـتكلم التزاما بالقضية بطريقة الفقهاء وليس عرضا وتأسيسـا لهـا كموضوع مستقل.

وجاءت الفتوى طبقا للمسائل الفقهية وليس طبقا للقياس وأركانه الأربعة. وتعددت المسائل دون عـد أو إحصـاء أو ترقيم أو ترتيب أو تبويب طبقا لأركـان القيـاس الأربعـة: الأصل والفرع والعلة والحكم[2]. وأكبرها الاجـارة. وهـى

---

(١) الآيات (٣٢)، الأحاديث (٢٤).

(٢) بلغت ٢١ مسألة هى: ١- المضاربة والمساقة والمزارعـة ٢- الحوالـة ٣- القرض ٤- إزالة النجاسة، النكاح ٥- تطهير الماء ٦- التوضؤ مـن لحوم الإبل ٧- الوضوء من النجاسة الخارجة مـن غيـر السـبيلين ٨- الفطر من الحجاجة ٩- فصل فى التيمم ١٠- السلم ١١- مكاتبة الرقيـق ١٢- الاجارة ١٣- العقل والدية ١٤- ما عدوه علـى خـلاف القيـاس نوعان ١٥- إعادة المصلى وحده خلـف الصـف ١٦- نفقـة الـرهن المركوب والمحلوب ١٧- الحكم فيمن وقع علـى جاريـة امرأتـه ١٨-

أقرب إلى الفقه التطبيقى باستثناء تصنيف ما عده المسـلمون مخالفا للقياس فى نوعين[1]. ويتنوع الفقه وتتعد أحكامه طبقا للأمصار. فهناك فقه العراق وفقه الحجاز وكما فعل الشافعى بين العراق ومصر[2]. ونظرا لارتباط القياس بمباحث الألفاظ فإنه تتم المقارنة بين الألفاظ الفارسية والرومية والعربية[3].

والقياس به خطأ وصواب بالرغم من وقوع ابن تيميـة أحيانا فى التعليلات الأسطورية للظواهر الدينية الاجتماعية. فالوضوء يدرأ الغضب. ومن مس الذكر أو النساء لما فيـه من الشهوة. فالغضب من الشيطان، والشيطان من النـار[4]. وقد يكون هناك تفسير علمى بأثر البرودة على الحرارة كما هو الحال فى وضع الثلج على رأسى المصـاب بـالحمى أو فوق الورم.

ويحيل إلى المذاهب الأربعة على عكس الصورة الشائعة عن السلفية أو الحنبلية المعاصرة المتزمتة الحرفية النصـية

المضى فى الحج الفاسد ١٩- الأكل ناسيا ٢٠- أقوال الصحابة والقيـاس ٢١- الحكم فى امرأة المفقود.

(١) القياس فى الشرع الإسلامى، ص٣٥-٣٧.

(٢) السابق ص١٣-١٤.

(٣) السابق ص٢٤.

(٤) السابق ص١٧.

التى ترفض الحوار، وتقوم على الاستبعاد والإقصاء، وتعتبر نفسها الفرقة الناجية. صحيح أن أحمد هو أكثر الفقهاء إحالة له، مذهبا، وأصحابا، وأصولا ونصوصا، وظاهرا، وراويـا وممثلا لأهل الحديث. يتلوه الشافعى قولا ومذهبا، ثم مالـك مذهبا، ثم أبو حنيفة أصحابا، ومع أهـل الظـاهر مـذهبا. ولأحمد أكثر من رواية، ولمذهبه أكثر من وجه، وله أكثـر من قول فى الموضوع الواحد. وبطبيعة الحال تتم الإحالة إلى مشاهير الحنابلة مثل ابـن عقيـل والقاضـى وأبـو يعلـى والزهرى[1]. ولما كان الحنابلة متمسكين بالسنة وأهل السلف تكثر الإحالة إلى الصحابة. وهو مذهب جمهـور العلمـاء، وجمهور الأمة، وعامة الفقهاء[2]. ومن الصحابة عمر وأبـو بكر وعثمان وابن مسعود وأبو سفيان. ومن الخلفاء عمر بن عبد العزيز[3]. ومـن الـرواة الشـاليخى، ومـن الشـراح

(١) مذهب أحمد (١٣)، أصحاب أحمد (٧)، رواية أحمد (٣)، أصول أحمد، نصوص أحمد (٢)، مذهب أهل الحديث وأحمد، رواة أحمد فـى مسـائل ابنه صالح، ظاهر مذهب أحمد (١). الشافعى (١٠)، أصحاب الشـافعى (٣). مالك (٥)، أبو حنيفة (٣)، أبو حنيفة وأصحابه، أبو حنيفـة وأهـل الظاهر (١)، ابن عقيل، القاضى أبو يعلى (٧)، الزهرى (٣).

(٢) بعض الصحابة (٦)، مذهب جمهور العلماء (٤)، الجمهور (٢).

(٣) عمر (١٠)، أسيد بن حضير، أبو بكر (٢)، ابن مسعود، العبـاس، أبـو سفيان، ابن عباس، ابن عمر، سعد، أبو هريرة، ابن الخطاب (١).

الجوزجانى وآخرون[١]. ومن الأنبياء داود وسليمان[٢].

والحنابلة لا يمثلون فرقة ناجية أو مذهبا مغلقا بل يتفق معهم فى الآراء أبو حنيفة والشافعى وأحمد، ومالك والشافعى وأحمد، وأبو حنيفة ومالك، ومالك وأحمد، ومذهب أهل الحديث ومالك[٣]. فالنص والمصلحة شئ واحد كما وضح فى رسالة "الطوفى" الحنبلى. فأحمد يدخل فى علاقات مع مالك والشافعى، وأبو حنيفة والشافعى، وأبى حنيفة ومالك. كما يدخل فى علاقة مع كل من الفقهاء الأربعة، مالك وأبو حنيفة والشافعى. كما يضم إلى أحمد الثورى أو أبو عبيد.

ومن مجموع الفرق والطوائف والجماعات يحال إلى الصحابة ومتأخريهم ثم الفقهاء، ثم الخلفاء الراشدون، ثم فقهاء الحديث وأهل العلم[٤]. كما ينقد الفلاسفة والمتكلمون

---

(١) أبو الزنا، ربيعة، أبو عبد ا بن حامد، الخرقى (١)، ومن المحدثين البخارى والترمذى وأبو أحمد بن المنى.

(٢) داود، سليمان (٢).

(٣) مالك والشافعى وأحمد، أبو حنيفة والشافعى وأحمد، أحمد والثورى وأبو عبيد (١)، أبو حنيفة ومالك، مالك وأحمد (٥)، مذهب أهل الحديث ومالك، أبو حنيفة والشافعى، الشافعى وأحمد (٢).

(٤) الصحابة (٨)، الفقهاء (٧)، الخلفاء الراشدون (٣)، فقهاء الحديث، أهل العلم، الفلاسفة، المتكلمون (١).

لقياساتهم الفاسدة فى الإلهيات والعقليات[١].

٧- "القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد" للشوكانى (١٢٥٥هـ)[٢]. وهو من لواحق القياس، لنقد التقليد وإثبات الاجتهاد، مما يدل على أن الاجتهاد، الأصل الرابع، يمكن أن يكون مصدرا من مصادر الحركة الإصلاحية. وهو ما يتفق مع الحكم الشائع فى العصور المتأخرة بغلبة التقليد و"قفل باب" الاجتهاد. والشوكانى يمنى يكتب فى بيئة جعلت تقليد الإمام أحد مصادر التشريع بدلا من الدليل الرابع. ولما كان التقليد للمذاهب والأئمة فإنه تم الاحتماء بالنص ضد التقليد فشاعت السلفية وارتبط الإصلاح بالمدرسة السلفية كما عبر عنها ابن القيم، والتقليد آفة كل عصر، "وهكذا حال سائر الديار فى جميع الأمصار"[٣]. وتكثر الشواهد النقلية، والقرآن أكثر من الحديث[٤].

---

(١) القياس الشرعى ص٢٨.

(٢) إمام الأصوليين، وحافظ المحدثين، وقدوة المجتهدين محمد بن على الشوكانى صاحب "نيل الأوطار": القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد. وعليه تعليقات مفيدة لرئيس التصحيح الشيخ إبراهيم حسن الانبابى الشافعى، خادم العلم بالأزهر الشريف، البابى الحلبى، القاهرة (د.ت).

(٣) القول المفيد ص١٢/٢٠.

(٤) القرآن (٦٠)، الحديث (٣٩).

ويقوم الكتاب على تفنيد حجج أنصار التقليد "على نمـط علم المناظرة". لذلك غلبت صياغة السؤال والجواب، وصيغ القول. وطبقا لعلم الجدل فإن الكتـاب يبـدأ بتفنيـد حجـج الخصوم، أنصار التقليد، ثم يعطى حجج الاجتهاد، ثم يـذكر حججا ضد التقليد، ويدافع عن الحجج ضد الاجتهاد فى جدل رباعى. ويوضع كل ذلك فى وحدة العمل ووحدة العلم[1].

وتكثر الإحالة إلى الشافعى بعد أن أصـبحت الشـافعية المذهب المختار، ثم مالك وأحمد بن حنبل احتماء بالنص، ثم أبو حنيفة والأوزاعى كمصادر للحجج العقلية[2]. ثـم يـذكر باقى الأصوليين والمتكلمين[3]. كما يذكر أعـلام المدرسـة السـلفية وكثـرة مـن الصـحابة والتـابعين والرواة[4]. ويحال إلى زيد بن على والزيدية والهادى يحيـى بن الحسين من أئمة الزيدية فى اليمن[5]. وقد أجمـع أهـل

(١) السابق ص٦/٢٩/٤٨.

(٢) الشافعى (١٤)، مالك (١١)، أحمد بن حنبل (٦)، أبو حنيفة، ابن القـيم، الأوزاعى (٥).

(٣) ابن خويز منداد، أبو يوسف، ابن دقيـق العيـد، المزنـى، الجـوينى، الشعرانى، الثورى (١).

(٤) سحنون، الخطيب الذهبى، ابن الجوزى، أبو داود، ابن سيرين.

(٥) الهادى بن الحسين (٢)، الزيدية، زيد بن على (١).

المذاهب على تقديم النص على آرائهم[1]. ويتم الاعتماد على الشعر خاصة المتنبى. ويحال إلى "القواعد" لابـن الـوزير، و"تهذيب الآثار" للطبرى[2].

٨- "القول السديد فى الاجتهاد والتجديد" لرفاعة رافـع الطهطاوى (١٨٧٣م)[3]. وهى رسالة فى موضوع جزئـى هو الأصل الرابع المنوط به الاجتهاد والتجديد عكس التقليـد مثل رسالة الشوكانى. تمتلئ بالشواهد الشعرية أكثـر مـن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وتكثر أسماء الأعلام من فقهاء ومتكلمين ومؤرخين وصوفية وصحابة وتـابعين مـا يقرب من المائتين كما هو الحـال فـى "البحـر المحـيط" للزركشى وكما يفعل ناظر المدرسة[4]. كما تكثر الاقتباسات وعلامات الانتهاء. ويتقدم الشافعى الجميـع، فهـو نمـوذج المجدد المصلح وكأن علم الأصول يبدأ من جديـد. ويتلـوه باقى الفقهاء مثل السيوطى، ثم أبو حنيفة، ثم سفيان الثورى، ثم ابن حنبل، ثم الغزالى، ثم السبكى، ثم ابـن دقيـق العيـد

---

(١) القول المفيد ص٢٣.

(٢) الشعر (٣)، المتنبى (١).

(٣) حضرة رفاعة بك ناظر قلم الترجمة وروضة المدارس: القول السديد فى الاجتهاد والتجديد، مطبعة وادى النيل، القاهرة ١٢٨٧هـ.

(٤) الشعر (١٧)، الحديث (٧)، القرآن (٥).

والمزنى وأبو يوسف ومحمد، ثم القفال، ثم إمام الحرمين، ثم الأوزاعـى وابـن حـزم والكرخـى والـرازى والحنفـى وآخرون[1]. ومن الفرق يتقدم الأحناف، ثـم الفقهـاء، ثـم المتكلمون والصوفية[2]. ومنهم متقدمون ومتأخرون، محدثون وقدماء. وتحيل الرسالة إلى عديد من النصوص[3]. والرسالة تاريخية تقليدية لا جديد فيها إلا العنوان.

---

(١) الشافعى (٣٦)، السيوطى (١٩)، أبو حنيفة (١٨)، مالك (١٤)، سـفيان الثورى (١٢)، ابن حنبل (١٠)، الغزالى (٨)، تقى الدين السبكى، عمـر بن عبد العزيز (٧)، تاج الدين السبكى، ابن دقيق العيد، الزملى، المزنى، أبو يوسف، محمد (٥)، القفال، الرافعى، النووى (٤)، محمد (الرسـول)، ابن سريج، ابن حجر، زفر، عمر، عبد ا بن عباس، علـى، السـراج البلقينى، إمام الحرمين، ابن الأثير (٣)، الطبرى، الحفيد، سـفيان بـن= =عنينة، الأوزاعى، ابن حزم، الكرخى، الرازى الحنفى، ابن كمال باشا، البويطى، ابن عمر، الباقلانى، زكريا الأنصارى، ابن سـيرين، المقتـدر (٢)، الشعرانى، الصفدى، ابن جريج، البكرى، ابن عبد السلام، البيهقى، أبو تمام، الشعبى، ابن علقمة، الليث بن سعد، ابن السـبكى، الأشـعرى، الحسن البصرى، ابن فورك وعشرات آخرون (١).

(٢) الحنفية (٧)، الفقهاء (٤)، الشافعية (٢).

(٣) تبلغ حوالى خمسة عشر نصا مثل: طبقات الشافعية (تاج الدين)، حسـن المحاضرة، الرد على من أخلد إلى الأرض ويجهل أن الاجتهاد فى كـل عصر فرض (السيوطى، شرح الرملى (الشـوبرى)، مختصـر الكفايـة (النقيب)، جمع الجوامع (السـبكى)، الاقتصـاد فـى مراتـب الاجتهـاد (البكرى)، الهداية (المقدورى)، جامع الأصول (ابـن كثيـر)، المناقـب (البيهقى)، ونصوص أخرى مثل: الكنز، الفتوحات، الدار المختار... الخ.

الفصل الرابـــع

تحريـــك البنيـــــة

<u>**أولا: السمات العامة لأصول الفقه الشيعى.**</u>

١ - البداية المتأخرة والازدهار المتأخر. وضع السـنة "علم الأصول" بفضل "الرسالة" للشافعى (٢٠٤هـ) واضـع العلم بحق. وتأخر الشيعة فى المساهمة فى صـياغة العلـم. فأول مصنف شيعى كامل فى علم الأصـول هـو "التـذكرة بأصول الفقه" للشيخ المفيد (٤١٣ق)، ثم "الذريعة إلى أصول الشريعة" للشريف المرتضـى (٤٣٦هـ ـ) أى فـى القـرن الخامس الهجرى والذى كاد أن يقترب فيه أصول الفقه السنى من الذروة فى "المستصفى" عند الغزالى (٥٠٥هـ) وبعد أن وضعت أصول الجصاص والكرخى والبزدوى من قبل.

وبعد أن انتهى أصول الفقه السنى أو كاد فى "الموافقات" للشاطبى، وبدأ عصر الشروح والملخصات ازدهر أصـول الفقه الشيعى فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر حتـى ليكاد يسمى القرن الرابع عشر الهجرى بحق قـرن أصـول الفقه الشيعى. بدأ أصول الفقه السنى مبكرا فى القرن الثـانى

وانتهى مبكرا فى القرن السابع فى حين بـدأ أصـول الفقـه الشيعى متأخرا فى القرن الخامس ولم ينته بعد بل ازدهر فى القرن الرابع عشر ومازال مزدهرا فـى القـرن الخـامس عشر[1].

وقد نشأت نفس الظاهرة فى علوم الحكمة عندما توقفت عند ابن رشد (٥٩٥هـ) عند أهل السـنة واسـتمرت عنـد الشيعة حتى صدر الدين الشيرازى (١٠٥٠هـ) على مـدى أربعة قرون حيث ازدهرت العلوم الرياضية خاصـة مثـل الطوسى وغيره من أعلام العلوم الرياضية والمنطقية.

وكون أصول الفقه الشيعى قد تأخر فى الظهـور عـن أصول الفقه السنى بقرنين من الزمان لا يحتاج إلـى دفـاع لارتباط أصول الفقه السنى بالسلطان وأصول الفقه الشـيعى بالمعارضة، ولاستمرار أصول الفقه الشيعى وازدهاره فـى القرنين الثالث عشر والرابع عشر فى حين توقـف أصـول الفقه السنى باستثناء بعض الشروح والملخصات والحواشى.

---

(١) ويدل على ذلك عدد المصنفات الأصولية عند الشيعة وهى على النحـو التالى: القرن الخامس (٣)، السادس (١)، السابع (٢)، الثامن (٥)، التاسع (لاشىء)، العاشر (٣)، الحادى عشر (١٢)، الثانى عشـر (٤)، الثالـث عشر (٤١)، الرابع عشر (١٢٠)، الخامس عشر (٧٤). مهدى مهريزى: أصول فقه شيعة، بائيز ١٣٧٣.

والموضوعات الجزئية لا تكون علما خاصة وأن علم أصول الفقه اعتمد على علوم اللغة والحديث والقرآن. صـحيح أن هناك "الألفاظ ومباحثها" لهشام بن الحكم، ولكنها أقرب إلـى علم اللغة، و"اختلاف الحديث ومسائله" ليـونس بـن عبـد الرحمن، ولكنها أقرب إلى علم الحديث. ولـم يصـعد علـم الأصول ثم ينزل فى هذه الفترة المبكرة قبل الشـيخ المفيـد بجيلين، الشيخ الخليل حسن بن على بن أبى عقيل، وجعفـر بن محمد بن قولويـه صـاحب كتـاب "كامـل الزيـارات" و"المتمسك بحبل آل الرسول" وأحد مشايخ الشـيخ المفيـد. وصحيح أيضا وجود "تهذيب الشـريعة لأحكـام الشـريعة" للإسكافى ولكن ذلك كله أقرب إلى الفقه منـه إلـى أصـول الفقه. إنما البداية لعلم أصول الفقه الشيعى هو الشيخ المفيـد الذى يعادل الشافعى عند أهل السنة، ثم السيد المرتضى ثـم الطوسى[1].

ويمكن افتراض عدة أسباب وراء هذه الظاهرة العكسية فى تاريخ أصول الفقه السنى الذى بدأ مبكرا وانتهى مبكـرا، وأصول الفقه الشيعى الذى بدأ متأخرا ولم ينته بعد فى الآتى:

---

(١) الخمينى: مناهج الوصول إلى علم الوصـول، مقدمـة محمـد الفاضـل النكرانى، جـ ١٣/١-١٤.

١- إسراع أهل السنة فى التشريع من أجل تثبيت الأمر الواقع وتثبيت الفكر الأصولى لصالح السلطة القائمة، كما فعل الشافعى فى "الرسالة" بعد سقوط الأمويين وتدعيم الدولة، وتقنين الفكر، ووضع الأصول، وتثبيت القواعد فى حين انشغل الشيعة بمعارضة آل البيت للسلطة القائمة من أجل تغييرها. انشغل السنة بالتقنين وإيجاد شرعية للسلطة بينما انشغل الشيعة بالتغيير وزعزعة السلطة القائمة من أجل العودة إلى الشرعية المغتصبة.

٢- السلطة فى موقع الدولة تكون أحوج إلى وضع الشرائع والقوانين وتنظيم المجتمع فى حين أن السلطة فى المعارضة تحافظ على وجودها كأقلية سرية تعصى القانون وتعتبره ظالما. فالموقفان مختلفان بين القانون وعصيانه، بين فرض القانون والثورة عليه.

٣- انشغال الشيعة بتثوير العقائد أكثر من تثوير الشرائع خاصة الإمامة أى السلطة السياسية التى أصبحت فى قريش بيعة خاصة ثم عامة وليست نصا أو تعيينا بالاسم أو بالرسم، بالشخص أو بالوصف. ووضعوا عقائد الغيبة والعصمة والتقية. وغالت بعض الفرق بوضع عقائد الألوهية والحلولية

فى الأئمة. وتثوير العقائد أولى من تثوير الشرائع. فالعقائد تصورات للعالم، والشرائع قواعد للسلوك.

٤- بروز "التأويل" فى مقابل "التنزيل"، والصعود إلى أعلى فى مقابل النزول إلى أسفل، والتوجه إلى ا كرد فعل على التكالب على العالم، والرغبة فى الشهادة ضد التمسك بالحياة، وعشق الآخرة ضد شبق الدنيا، وتكوين مجتمع مثالى "مدينة ا " يقوم على الأبدال والأقطاب بدلا من الدولة الظالمة "مدينة الأرض" التى تقوم على الجند والشرطة.

٥- وربما ازدهر علم الأصول فى القرن الرابع عشر، قرن العلم نظرا لبداية تحرك المجتمع الإيرانى فى العصر الحديث ضد نظام التسلط والقهر الذى مثله الحكم الشاهنشاهى من أجل الثورة عليه. ثم ازدهر هذا العلم من جديد فى القرن الخامس عشر بعد نجاح الثورة والرغبة فى إعادة بناء العلم بحيث يكون مواكبا للثورة وبحيث لا يكون علم أصول الفقه أقل ارتباطا بالثورة من علم أصول الدين سواء فى البداية أو فى النهاية حتى بعد ظهور "ولاية الفقيه" التى هى جمع بين أصول الدين والفقه. ومع ذلك، مازال تثوير "أصول الفقه" بعيد المنال.

٢- أصول الفقه الشيعى. ولأول مرة يتم دراسة أصول الفقه الشيعى داخل علم الأصول، ليس بقصد الحجاج ولا حتى المقارنات بل من أجل إكمال المادة العلمية ورؤية الصورة الكلية، ومعرفة البدائل فى تأسيس العلم والخروج على النمطية المذهبية وأحادية النظرة، والاقتراب من باقى المذاهب والفرق استمرارا فى اتجاه التقريب الذى بدا فى الجيل السابق ومازال مستمرا فى هذا الجيل(١).

وأصول الفقه الشيعى هى الأصول الإمامية. فلم ترد مصنفات شيعية أخرى غير الإمامية. ولا تُعرف مصنفات فى أصول الفقه الإسماعيلى. والزيدية بين الإمامية والمعتزلة. ويصرح كل مصنف شيعى بأنه مصنف على مذهب الإمامية(٢).

---

(١) وقد عيب علينا من علماء إيران خاصة علماء الحوزة العلمية فى قم نسيان علم العقائد الشيعى فى "من العقيدة إلى الثورة"، محاولتنا لإعادة بناء علم أصول الدين. ولم يشفع الرد من التقليل من قوة الاعتراض. كان الرد هو دراسة العقائد الموروثة فى الثقافة الشعبية وهو ما يكشف عن حب آل البيت والتشيع الطبيعى فى الممارسات الشعبية. وقد تلافينا هذا النسيان من قبل فى "من النقل إلى الإبداع"، محاولتنا لإعادة بناء علوم الحكمة لأن الفلسفة فى تكوينها الرئيسى شيعية خاصة عند إخوان الصفا والسجستانى وابن سينا.

(٢) الطوسى: العدة، جـ ١٧٢/٨/١-١٨٢.

وكما أن أصول الفقه قد يكون نقلا لقواعد العقائـد فـى علم أصول الدين، وهى طريقة الأصوليين المتكلمـين فإنـه يكون أيضا استقراء للكليات من الجزئيـات وهـى طريقـة الأصوليين الفقهاء. وإذا كان السؤال حول الطريقة الأولـى: هل هناك صلة بين أصول الفقه وقواعد العقائد عند كل مـن المذهبين، السنة والشيعة؟ فإن السؤال يتكرر: هل هناك صلة بين أصول الفقه والفقه السنى أو بين أصول الفقـه الشـيعى والفقه الشيعى؟ والحقيقة أن علم أصول الفقه فى الحالتين قـد وصل إلى حد من التجريد المنطقى بحيث أصبحت الأمثلـة الفقهية فيه قليلة للغاية. بل لقد حاول علم أصول الفقه الشيعى الانتقال إلى علم القواعد الفقهية أو إدخالها ضمن العلم مثـل قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" أو "نفـى الضـرر" أو "قاعـدة الميسور" والتى سماها أهل السنة "عدم جواز تكليـف مـا لا يطاق" أو قاعدة "الفراغ والتجاوز" ...الخ، ومع ذلك تظهـر بعض الأمثلة الفقهية كما تبدو فى أصول الفقه السـنى مثـل الماء المضاف، والمتعة، ومعنى اللبـاس، وفقـه الرضـا، ومسألة الكر، والخلل الواقع فى الصـلاة، ومنـابع الفقـه، والصلاة فى المكان المغصوب، وهو ما سماه أهـل السـنة

الصلاة فى الدار المغصوبة.

وتظهر بعض عقائد الشيعة على استحياء فى علم الأصول الشيعى. وأحيانا يعلن صراحة عن "وجوب التمسك بمذهب الإمامية" وضرورة "اتباع الأئمة"، وأخذ "الأصول عن الأئمة"، و"صدور العبادة من النبى والأئمة"، وحجية فتوى الأئمة. كما يتم التركيز خاصة على دور الإمام المعصوم فى الأصول، وذكر "الآيات والأخبار على انحصار الأدلة فى السماع عن المعصوم"، كما يعتبر "عمل المعصوم" أحد مصادر التشريع. ويمكن استنباط الأحكام بطريقة "الحمل على التقية". كما يمكن "إخبار الأئمة فى زمن الغيبة"[(١)]. وقد خفت هذه العقائد فى تطور علم الأصول من البداية إلى النهاية. ولم تعد إلى الظهور إلا عند الإمام الخمينى[(٢)]. ومع

---

(١) ذكرى الشيعة، مكتبة يصبرتى، قم. "وجوب التمسك بالإمامية"، محمد محسن الفيض الكاشانى: الأصول الأصلية،"أخبار الأئمة فى زمن الغيبة"، الأصول من الأئمة، ص٥٠-٦٥. محمد رضا تغرشى: سفينة النجاة: الآيات والأخبار على انحصار الأدلة فى السماع عن المعصوم ص٣٦-٥٢. محمد بن الحسن المر العاملى: فصول مهمة ص٦٦-٦٨. يوسف البحرانى: الحدائق الناضرة، الحمل على التقية ص٤-١٤. السيد عبد ا الشبرم: الأصول الأصلية والقواعد الشرعية. التقية ص٣١٧.

(٢) الإمام روح ا الموسوى الخمينى: الرسائل جـ١ التقية ص١٧٤. الحسين الفريد الكلبايكانى: ملاحظات الفريد على فوائد التوحيد، عمل

ذلك توجد مصنفات قليلة فى أصول الإمامية[1].

وتنقسم مصنفات الشيعة إلى نـوعين: كليـة وجزئيـة، والجزئية الأقل كما هو الحال فى مصنفات السـنة. ويغلـب التصنيف الجزئى فى الموضوعات التى تحركت نحوها البنية مثل الاستصحاب، والتسامح فى أدلة السنن، ومباحث الألفاظ، والأمر والنهى، والمشـتق، وطـرق الاسـتنباط والتعـادل والتراجيح[2].

المعصـوم ص١٩٥-٢٠٠. مهـدى مهريـزى: أصـول فقـه شـيعة ص٧٩/٨٥/٨٦/٨٧/١٥٦/ ١٨٣.

(١) حسين الإمامى الكاشانى: أصول الإمامية فى الأصول الفقهيـة، مطبعـة الرباتى، أصفهان. حسين بن شهاب الدين الكركى العاملى: هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار، تصحيح رؤوف جمال الدين، بغداد ١٣٩٦ق.

(٢) كتب كل من: محمد شفيع البروجردى وعلم المهدى التبريـزى ومحمـد صالح المازندرانى الحائرى "رسالة فى الاستصحاب". وكتب كـل مـن مرتضى الأنصارى ومحمد مهدى الحسينى آل حكيم وميرزا أبو القاسـم "رسالة فى التسامح فى أدلة السنن". وكتب كل من محمد كـاظم اليـزدى النجفى ومحمد حسين النائينى وموسى زنجانى فى "جواز اجتماع الأمـر والنهى". وألف كل من مرتضى الأنصارى وأبو القاسم الطهرانى والسيد محمد حسن الشيرازى "رسالة فى المشتق". ودون كل من محمد الموسوى الزنجانى ومحمد كاظم اليزدى النجفى ومحمـد= =صـالح المازنـدرانى الحائرى "فى التعادل والتراجيح". وصنف السيد علـى نقـى الحيـدرى "أصول الاستنباط"، وكل من السيد القاسم الخوئى وضيائى بكدللى " مبانى الاستنباط"، والسيد حسين يوسف الملكى العاملى "قواعد استنباط الأحكام". ولكل من السيد على آقا البهبهانى والسيد على الفـانى الأصـفهانى آراء

ومصنفات الشيعة مثل مصنفات السنة متـون وشـروح وحواشى والشروح والحواشى أقل[1]. وتعدد الأشكال الأدبية بين أشهرها مثل الشروح والحواشى وما يتميز بـه التـأليف الشيعى مثل التحرير والتقرير. ويشترك السنة والشيعة فـى "التعليق". وقد يجتمع نوعان أدبيان مثل التوضيح والتعليق[2].

وكما أن التقليد هو السائد فى أصول الفقـه السـنى وأن الخلاف فى الأصول بين الأصوليين قليل كذلك فإن التقليد هو السائد فى أصول الفقه الشيعى. فالخلاف بين المصنفات فـى أصول الفقه الشيعى قليلة. يكرر الكل بعضه بعضا. ويكـون

ومقالات "حول مباحث الألفاظ". ولشعبانى الكيلانى النجفى "أحكام القطـع والظن" ولمحمد مهدى الحسينى آل حكيم "النهى فى العبادات"، ولمصطفى الحسينى الكاشانى "رسالة فى التجرى"، ولميزرا محمد حسن الاشـتيانى "الأجزاء" و"قاعدة نفى العسر والحرج"، ولمحمود عرب الأراكى رسـالة فى "العلم الإجمالى"، ولمحمد تقى الحكيم "السنة"، ولحمد تقى الصـديقين الأصفهانى "الأخبار والإجماع". وهى حوالى ٣٠ مصنفا مـن مجمـوع ٢٦٦ أى بنسبة ١١%. ولم نشأ تحليلها فى فصل "اجتزاء البنية" اكتفـاء بمؤلفات أهل السنة الجزئية ولأن الغاية من هذا الفصل هو بيان تحريـك البنية الكلية وليس اجتزاء البنية.

(١) من حوالى ٢٦٦ مصنفا ٧٥ متون، والباقى شروح وحواشى أى بنسـبة ٢٨%. الشروح (١٨)، الحواشـى (١٤)، التحريـر (٨)، التعليـق (٧)، التقرير (٣).

(٢) حبيب ا رفيعان نيشابورى: توضيحات وتعليقات علـى كتـاب معـالم الأصول.

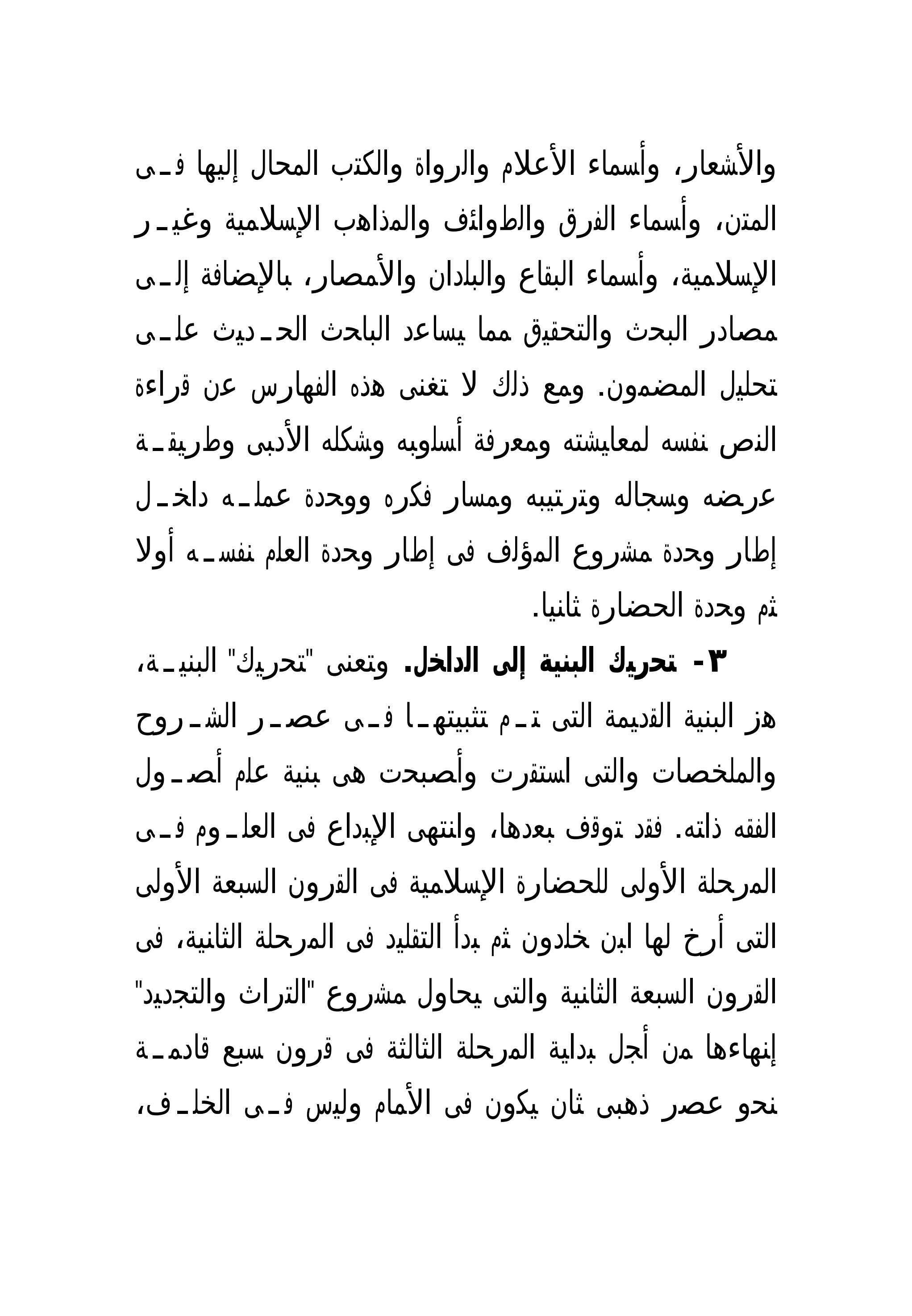
الفضل فى واضع العلم الأول الشافعى عند أهل السنة (٢٠٤هـ)، والشيخ المفيد عند الشيعة (٤١٣ق). وقد لا تكون لهذه الفروق الصغيرة أية دلالات أصولية عند الأصولى بل عند المؤرخ الذى يرصد بنية الأصول وتطورها من داخلها فى بنية العقل ذاته أو من خارجها بالعودة إلى مصادرها التاريخية وإطارها الاجتماعى والسياسى.

وقد كتبت معظم مصنفات أصول الفقه الشيعى بالعربية باستثناء بعض المصنفات فى القرن الخامس عشر التى كتبت بالفارسية بعد تأسيس الدولة الوطنية وظهور الفكر القومى. وإن كانت النسبة مازالت ضعيفة[1]. ومع ذلك ظلت مصطلحات العلم كلها عربية. وربما كان أحد الأسباب هو التأليف المدرسى لمقتضيات التعليم فى الحوزات العلمية حيث الفارسية هى اللغة الوطنية، لغة التأليف والتعليم.

وقد تميزت المصنفات الأصولية الشيعية بحسن التحقيق وإعداد الفهارس الكاملة للآيات والأحاديث والأقوال المأثورة

---

(١) من مجموع ٢٦٦ مصنفا شيعيا فى أصول الفقه هناك ٣٤ مصنفا فقط بالفارسية أى بنسبة ١٣%، وكان أول مصنف "رسالة أصول فقه" لأبى الفتح شريف كركانى (٩٧٦ق).


والأشعار، وأسماء الأعلام والرواة والكتب المحال إليها فـى المتن، وأسماء الفرق والطوائف والمذاهب الإسلامية وغيـر الإسلامية، وأسماء البقاع والبلدان والأمصار، بالإضافة إلـى مصادر البحث والتحقيق مما يساعد الباحث الحـديث علـى تحليل المضمون. ومع ذلك لا تغنى هذه الفهارس عن قراءة النص نفسه لمعايشته ومعرفة أسلوبه وشكله الأدبى وطريقـة عرضه وسجاله وترتيبه ومسار فكره ووحدة عملـه داخـل إطار وحدة مشروع المؤلف فى إطار وحدة العلم نفسـه أولا ثم وحدة الحضارة ثانيا.

٣- تحريك البنية إلى الداخل. وتعنى "تحريك" البنيـة، هز البنية القديمة التى تـم تثبيتهـا فـى عصـر الشـروح والملخصات والتى استقرت وأصبحت هى بنية علم أصـول الفقه ذاته. فقد توقف بعدها، وانتهى الإبداع فى العلـوم فـى المرحلة الأولى للحضارة الإسلامية فى القرون السبعة الأولى التى أرخ لها ابن خلدون ثم بدأ التقليد فى المرحلة الثانية، فى القرون السبعة الثانية والتى يحاول مشروع "التراث والتجديد" إنهاءها من أجل بداية المرحلة الثالثة فى قرون سبع قادمـة نحو عصر ذهبى ثان يكون فى الأمام وليس فـى الخلـف،

متجها نحو المستقبل وليس عائدا إلى الماضى.

وكانت هناك عدة مصطلحات مطروحة مثل "تبديل" البنية أو "البنية البديلة". والحقيقة أن بنية أصول الفقه الشيعى ليست بنية بديلة لأنها مازالت تقوم على البنية القديمة مع تحريك لها وإعادة تأسيسها طبقا لأولويات جديدة بناء على عقائد الشيعة. فالصلة بين علم أصول الدين وعلم أصول الفقه عند السنة والشيعة قائمة، وأن أصول التشريع إنما تستمد من قواعد العقائد. ولما كانت العقائد أيضا توظيفا سياسيا للدين، وكان للسنة والشيعة موقفان سياسيان مختلفان، موقع السلطة وموقع المعارضة أتت قواعد العقائد ومن ثم أصول التشريع تعبيرا عن الموقف السياسى لكل فريق. ومن ثم كان لفظ "تعديل" البنية أقرب إلى الواقع منه إلى "تبديل البنية".

وهو أفضل أيضا من لفظ "تجديد" البنية. فاللفظ ينطبق على "الموافقات" للشاطبى الذى أعاد بناء علم أصول الفقه بناء على مفهوم جديد، هو "المقاصد"، مقاصد الشارع ومقاصد المكلف. لم يجدد أصول الفقه الشيعى بنية العلم الذى وضعه السنة بل حاول فقط تعديلها أو تغييرها أو العمل فى

إطارها، والتحرك فى ميدانها، وإعادة النظر فى أولوياتها.

أما ألفاظ الإثارة مثل "هز" أو "تغييـر" أو "رفـض" أو "تفكيك" البنية فإنها غير مطابقة لواقع أصول الفقـه الشـيعى التى تقدم مجرد تغيير نسبى فى نظام الأولويات لأصول الفقه السنى على عكس الفروق بين العقائد خاصة حول الإمامة.

أما "تمييع" البنية وطمس معالمها فإنه حكم قيمة وإن كان أيضا وصفا لواقع. فقد وضع أهل السنة أصولا جامدة ممثلة فى الأدلة الشرعية الأربعة ومنطق محكم للألفاظ بالإضـافة إلى تقنين خماسى محكم لأحكـام التكليـف. وأراد الشـيعة التخفف من هذه الحدة والأحكام فى التشريع من أجل مرونة أكثر فى ترتيب الأدلة ومنطق اللغة، ومعايير السلوك.

وقد تم هذا "التحريك" إلى الداخل، إلى الأسس المعرفيـة للعلم بحيث تحول أصول الفقه الشيعى إلى فلسفة نظرية فـى الأصول تبحث عن اليقين النظرى وليس عن التوجه العلمى كما هو الحال فى أصول الفقه السنى. لذلك كان الأدق هـو "تحريك البنية إلى الداخل" أى "استبطان البنية" والبحث عـن يقينها المعرفى الخالص. لذلك أيضا كانت مقولاتها الرئيسية القطع والظن والشك، والأدلة النظريـة والأصـول العمليـة

بمعنى الأدلة أيضا.

والحقيقة أنه لا يوجد خلاف جوهرى بين أصول الفقـه السنى وأصول الفقه الشيعى. فقد حاول كل فريـق تأصـيل الأصول بصرف النظر عن قواعد العقائـد. فأهـل السـنة يتحدثون عن "الشارع" أو "واضع الشريعة" كى لا يدخلوا فى الإلهيات كما فعل الشاطبى. وكان الشيعة أيضـا حريصـين على ذلك بالرغم من تسرب بعض العقائد مثل العصمة للإمام والتقية وبعض مسائل التوحيد.

وتربط المعتزلة بين العلمين. فقد ساهم المعتزلـة فـى وضع أصول الفقه مثـل "العمـد" للقاضـى عبـد الجبـار، و"المعتمد" لأبى الحسن البصرى، وأقـاموا مباحـث الأمـر والنهى على أصل التحسين والتقبيح العقلى. وتستمد الشـيعة بل والخوارج أصول التوحيد والعدل من المعتزلـة، وتقـيم أيضا مباحث الأمر والنهى على قاعدة التحسـين والتقبـيح العقليين. فالأمر يقتضى المصلحة، والنهى يقتضى الفساد.

البنية فى العلمين واحدة، وإنمـا التغيـر فـى أهميـة الموضوع ونظام الأولويات، مباحث الألفـاظ عنـد الشـيعة والأدلة الأربعة عند السنة، الإجمـاع والاستصـحاب عنـد

الشيعة والكتاب والسنة عند السنة.

وبتحليل مضمون معظم مصنفات أصول الفقه الشـيعى يمكن رصد تحريك البنية نحو مباحث الألفاظ بعيدا عن الأدلة الشرعية الأربعة أى نحو طرق الاسـتثمار ولـيس المثمـر بمصطلحات "المستصفى". فلا يوجد خـلاف كبيـر حـول مصادر التشريع بل الخلاف فى تأويلها وكيفية اسـتخدامها. ليس الخلاف فى الأدلة، أربعة أم ثلاثة، ولو أن أصول الفقه الشيعى أحيانا يعتبر الأدلة ثلاثة باعتبار أن دليـل العقـل أو الاستصحاب ليس دليلا بل هو أساس الاجتهاد الأول وكمـا فعل الغزالى من قبل فى "المستصفى".

أ- مباحث الألفاظ[1]. وتبدأ مباحـث الألفـاظ بوضـع المفاهيم والمقدمات والكليات قبل الدخول فى التفصيلات مما يدل على أهمية التصورات أو الصياغات النظرية[2]. ويـأتى الأمر والنهى أولا من حيث الأولوية والأهميـة. إذا يجتمـع الأمر والنهى فى صيغ واحدة، "افعل" و"لا تفعـل"، الإثبـات

---

(١) هذا التحليل للمضمون يقوم على تحليل ٢٦٦ مصـنفا أصـوليا شـيعيا وصفها مهدى مهريزى فى "كتابشناى أصول فقه شـيعة" والـذى نشـره الشيخ مرتضارى الأنصارر، بائيز ١٣٧٣.

(٢) المفاهيم (١١٥)، المقدمات (المقدمة) (٨٦)، الكليات (٣٦)، متمم المقولات العشر، التعريفات، المفهوم البسيط (١).

والنفى[1]. ثم يتلو الأمر النهى جمعا ومفردا، معناه ودوامه وأقسامه[2].

ثم يتقدم النهى الأمر جمعا "النواهى" أكثر منه مفردا. ويتم إبراز دلالة النهى على الفساد أو اقتضاء النهى الفساد بناء على قاعدة الحسن والقبح العقليين عند المعتزلة مثل النهى عن إتباع الرأى والتى تذكر صراحة باعتبارها أساس الأمر والنهى[3]. ويكون النهى فى العبادات وفى المعاملات، وفى العبادات أكثر. وهى فى النهاية ألفاظ وأحكام[4].

وتبدأ مباحث الألفاظ بالعموم والخصوص ومشتقاتها مثل الصحيح والأعم وهو الأغلب، وتعارض العموم والخصوص والجمع بينهما[5]. ومنهما يتولد المطلق والمقيد ومشتقاتهما

---

(١) اجتماع الأمر والنهى (١٠٣)، الأمر والنهى (١٠)، امتناع الأمر والنهى، صنع الأمر والنهى (١).

(٢) الأوامر (٧٢)، الأمر (٣٦)، معنى الأمر، إدامة الأمر، أقسام الأمر ( ).

(٣) النواهى (٥٨)، النهى (٣٢)، اقتضاء النهى الفساد (٤٧)، دلالة النهى على الفساد (٤٦)، الفساد (١١)، النهى فى العبادات (٧)، النهى فى العبادات والمعاملات (٥)، النهى فى المعاملات، النهى فى العبادة، أحكام النهى (١).

(٤) الحسن والقبح العقلى (٨)، الحسن والقبح العقليان، الحسن والقبح (١).

(٥) الصحيح والأعم (٩٦)، العموم والخصوص (٤٠)، العموم (٦)، إفادة مطلق العموم، حمل المطلق على العموم، تعارض العام والخاص، إمكان الوضع الخاص والموضوع العام، العام (١).

كمفاهيم وعمليات مثل الإطلاق والتقييد[1]. ومنهمـا يتولـد المجمل والمبين، وتأخر البيان عن وقت الحاجة[2]. ثم يـأتى الظاهر والمؤول بمفهومى الظواهر، والظهور وحجية كـل منهما. وهى ظواهر الكتاب أى القرآن فى مقابـل التأويـل والواقع. فالنص مشدود بين العقل والواقـع، بـين التأويـل والتنزيل[3]. ثم يأتى مفهوما الحقيقة والمجـاز كاسـتعمالين للنص ودورانه بينهمـا[4]. ويكـاد المحكـم والمتشـابه لا يذكران[5]. ثم يتحول المفهوم المزدوج إلى مفهوم مفرد مثل الاشتراك والاستثناء[6]. ويضاف إليهما المشتق والوضـع[7].

---

(١) المطلق والمقيد (١٠٧)، الإطلاق (٣)، المطلق (٢)، التقابل بين المطلـق والمقيد (١).

(٢) المجمل والمبين (٦٥)، تأخير البيان (عن وقت الحاجـة) (٣)، المجمـل (١).

(٣) الظواهر (٥٢)، الظهور (٧)، حجية الظـواهر (٥)، حجيـة الظهـور، ظواهر القرآن (٣)، ظواهر الكتاب، الظاهر، اتبـاع الظهـور، الظـاهر والمؤول، الحكم الواقعى والحكم الظاهرى (١).

(٤) الحقيقة والمجاز (٣٣)، استعمال حقيقى واستعمال مجـازى (٣)، دوران الأمر بين الحقيقة والمجاز (١).

(٥) المتشابه ومحكمه (١).

(٦) الاشتراك (١٦)، المشترك (٣)، الاشتراك اللفظى، الاستثناء من الجمـل (١).

(٧) المشتق (١٠٧)، الأوصاف والأسـماء المشـتقة، المصـدر ومصـدر الاشتقاق، الوضع (١٠٢).

ويضاف إليهما أيضا مفهوما الشرط والوصف[1].

وقد تم الوصول لهذه المفـاهيم مـن تحليـل خطـاب الشارع[2]. والخطاب لغة وربمـا عـدة لغـات تتعـارض أحوالها[3]. يحكمه منطق القول اللغوى أى قول أهل اللغة[4]. وقد استمد منهم الأصوليون نحوهم مثل أقسام الكلمة، الفعل، الجملة[5]. ويتكون الخطاب من ألفاظ[6]. وكل لفظ له حالات، معانى وسياقات. وقد تتعارض أحـوال الألفـاظ[7]. وهـذه الأحوال تنتظمها أصول أى مبادئ عامة[8]. وكل لفـظ لـه معنى كما أن لكل منطوق مفهوم[9]. ويستعمل اللفظ فى أكثر من معنى واحـد. فالألفـاظ للاسـتعمال. وتتحـد معانيهـا

---

(١) مفهوم الشرط (٣)، شرائط الأصول، شرائط العمـل بالأصـول، تقـدم الشرط على المشروط، كل شرط موضوع وبالعكس، الشـرط المتـأخر، أصالة عدم الجزئية والشرطية (١). مفهوم الوصف (١).

(٢) الخطاب الشارع، الخطاب (١).

(٣) اللغة (٥)، اللغات (٢)، تعارض أحوال اللغة (١).

(٤) قول اللغوى (١٩)، قول أهل اللغة (١).

(٥) نحو الأصوليين، أقسام الكلمة، الفعل، الجملة (١).

(٦) الألفاظ (٦)، اللفظ (٢).

(٧) حالات اللفظ، تعارض أحوال اللفظ (١).

(٨) الأصول اللفظية (٧)، تعارض أصول اللفظ (١).

(٩) المنطوق والمفهوم (٤)، اللفظ والمعنى (١).

بالاستعمال فى الأكثر[١]. ويتحدد الاستعمال بالعرف والعادة، بعرف المجتمع، وعرف الشارع أو اصطلاحه[٢]. ولكل لفظ معنيان، معنى حرفى ومعنى دلالى مثـل الـواو[٣]. العلـم بمدلول الألفاظ وباقتناص الدلالة[٤]. لذلك كانت الأدلة علـى أنواع: الدليل اللفظى، والدليل البرهانى، والدليل الاسـتقرائى والدليل المحرز. الأول دليل اللغة، والثـانى دليـل العقـل، والثالث دليل الواقع، والرابع هو اجتماع الأدلة الثلاثـة فـى دليل لغوى وعقلى وواقعى أى هو الدليل النافع[٥]. والـدليل الاستقرائى هو الذى سماه الشاطبى فى الموافقات "الاستقراء المعنوى". وقد تم تفصيله ابتداء من نقد الاستقراء التجريبـى الساذج فى "الأسس المنطقية الاستقراء"[٦]. وقـد تتعـرض

---

(١) استعمال اللفظ فى أكثر من معنـى (واحـد) (٦١)، الاسـتعمال (٥٢)، الاستعمال فى الأكثر (١٠)، استعمال اللفظ فى الأكثر (٤).

(٢) العرف والعادة (٣)، العرف (٢)، عرف الشارع (١).

(٣) المعنى الحرفى (٢)، الحرف والمعنى الحرفى، الحروف، معانى بعـض الحروف، المعانى الحرفية (١).

(٤) الدلالة، العلم بمدلول الألفاظ (٢).

(٥) الدليل اللفظى، الأدلة المحرزة (٢)، الدليل البرهانى، الدليل الاسـتقرائى (١). الاستقراء (٣).

(٦) محمد باقر الصدر: الأسس المنطقية للاستقراء، دراسة جديدة للاسـتقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقى المشترك للعلوم الطبيعيـة وللإيمـان بالله. دار التعاون للمطبوعات، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م. وهو ما قام به

الأدلة كما تتعارض الأحوال، وقد يدور الأمر بين المحذورين ولكن عدم الدليل لا يعنى دليل العدم[1]. وأخيرا يتم الانتقـال من المبادئ اللغوية إلى المبـادئ المنطقيـة إلـى المبـادئ الإحكامية أو الحكمية. ولما كان الحكم تصورا وتصديقا يـتم وضع المبادئ التصورية الإحكاميـة والمبـادئ التصـديقية الإحكامية[2].

ب- القطع والظن. ويتأسس العلم على نمطين من أنماط الاعتقاد والقطع والظن. والقطع هو اليقـين. والظـن مثـل الشك. القطع حجة حتى ولو كانت غير متعارف عليها. وهو على أنواع[3]. وفى مقابل القطع أو العلم الظـن المطلـق أو الظن. وهو خارج ميدان أصول الدين. إذ لا يجـوز التعبـد بالظن أو إمكانية التعبد به أو الإفتاء على أساسه مطلق الظن موجود. وهو حجة ودليل ولكن فى الأمور المعتبرة ولـيس

لاشـيلييه أيضـا فـى "أسـس الاسـتقراء" Les Fondements de l'Induction.

(١) تعارض الأدلـة (١٦)، تعـارض الأحـوال (٥)، دوران الأمـر بـين المحذورين، عدم الدليل دليل العدم (١).

(٢) المبادئ اللغوية (٤)، المبادئ المنطقية (٢)، المبادئ الإحكامية، المبـادئ الحكمية، المبادئ التصورية الإحكامية، المبادئ التصديقية الإحكامية (١).

(٣) القطع (٨٢)، الحجة القاطعة، حجية القطع، حجية قطع غير المتعـارف، أقسام القطع (١).

فى القرآن. فالظن على أقسام[1]. والشك قرين الظن. ويكون فى القضايا الجزئية والشرطية وليس فـى القضـايا الكليـة المطلقة ولا يكون فى التكليف بل فى المكلف به. وهو لـيس فى النظر بل فى أوجه العمل[2]. ويقوم الشك على شـبهات محصورة وغير محصورة. ويذهب الشك بالتمسك بالعـام أو بالمصلحة، بالعقل أو بالواقع[3]. كما يضيع الشـك بحجيـة الامارات وهى الأسباب أو المعرفات. وتقوم مقام القطع مثل الأصل، وتتأسس عليها الأمور العملية. لذلك يجـوز التعبـد بها[4]. وهذا هو التجرى[1]. وهو مفهوم رئيسى فـى طـرق

(١) الظن المطلق (٤٥)، الظن (١٢)، الظن فى أصول الـدين (٨)، التعبـد بالظن (٧)، إمكان التعبد بالظن (٢)، عدم حجية الظن فى العقائد والإفتاء، حرمة العمل بالظن، عدم جواز العمل بالظن الخـاص، الظـن بـالأمور الاعتقادية، مطلق الظن، الظن والقرآن، الظنون المعتبرة، الأدلة الظنيـة، عدم حجية الظن المطلق، أقسام الظن، العلم والظن (١). حجية الظن (٤)

(٢) الشك (٢)، الشك فى الجزئية والشرطية، الشك فى المكلف به، الفرق بين الشك فى التكليف والشك فى المكلف به، كون الشك موضوعا فى الحكـم الواقعى (١).

(٣) الشبهات المحصورة وغير المحصورة، الشـبهات غيـر المحصـورة، الشبهات المحصورة، المحصور وغير المحصور، تلاقى الشبهة، التمسك بالعام فى الشبهة المصداقية.

(٤) حجية الامارات (٤٩)، إمارات (٣)، إمكـان التعبـد بالامـارات (٢)، الامارات أسباب أو معرفات، مجارى الأصـول والامـارات، مجـارى الأصول، تقدم الامارة على الأصل، قيام الامارات والأصول مقام القطع،

الاستنباط فى أصول الفقه الشيعى بالرغم من استعمال مفهوم تنقيح المناط[٢]. وتتفرع هذه الطرق اعتمادا على الأصل فى الأفعال. فقد يتنافى الأصلان أو يتعارضان أو يتزاحمـان[٣]. وقد تتفرع إلى درجة التجريد وكأن أصول الفقه قد تحول إلى منطق صورى خالص[٤]. كما يظهر مفهوم جديد آخـر فـى أصول الفقه الشيعى هو متمم الجعل. ويعنى ما يتم به إجراء الفعل[٥]. كل ذلك هو العلم الإجمـالى، إنجازاتـه وفروعـه وحججه على العالم ووجوب العمل بالعلم. ومع ذلك يجـوز التعبد بغيره[٦].

قيام الطرق والامارات مقام القطع، الامارات والأصول العملية، القلبيـة (١).

(١) التجرى (٥٦).

(٢) طرق الاستنباط، تنقيح المناط.

(٣) الأصل، الأصل فـى الأفعـال، الأصـلان المتنافيـان، المتعارضـان، المتزاحمان، التعارض والتزاحم (١).

(٤) وذلك مثل: التركيب الاتحادى الانضمامى، الأقل والأكثـر الارتبـاطى، القاعدة الفعلية فى المقدمات المفوتة (١).

(٥) متمم الجعل.

(٦) العلم الإجمالى (٦٣)، منجزية العلم الإجمالى (٢)، العلم، فـروع العلـم الإجمالى، إطلاق الحجة على العالم، وجوب العمل بالعلم، التعبـد بغيـر العلم (١).

جـ - الأدلة الشرعية. وفى الأدلة الشـرعية الأربعـة هناك أولوية مطلقة للاستصحاب وللإجمـاع علـى الكتـاب والسنة[1]. فقد أصبح "الاستصحاب" عنوانا لأصـول الفقـه الشيعى وإن كان المصطلح قد ظهر من قبل فى "المستصفى" فى الأصل الرابع، دليل العقل أو الاستصحاب[2]. فهو قاعدة وأصل، قاعدة للاستدلال وأصل ودليل. هو استصحاب الكلى فى حالة غياب حكـم للجزئـى. لـذلك يوصـف بأصـالة الاستصحاب أى أنه أصل مستقل وليس مجرد فـرع. هـو استصحاب للحال فى حالة النفى، استصحاب للعدم الأزلـى. وهو لا يتعارض مع الدليل ولكنه يفى بغرضـه فـى حالـة غيابه. وفى الاستصحاب يبقى الموضوع ولا يتم التضـحية به. هو مصاحبة الأشياء وصحبتها، والإبقاء علـى وحـدتها دون تجزئتها. وهو يقوم بدور القياس والبراءة الأصلية. وقد

(١) ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة طبقا للأهمية فى أصول الفقه الشيعى.

(٢) الاستصحاب (١٥٠): استصحاب الكلى (٢)، قاعدة الاستصحاب، النافى والاستصحاب للحال، استصحاب الحال، أصالة الاستصحاب، استصحاب العدم الأزلى، عدم تعارض الاستصحاب مع الدليل، بقاء الموضوع فـى الاستصحاب، وحدة الموضوع فى الاستصحاب، تعارض الاستصحاب، تعارض اليد والاستصحاب، تعارض الاستصحاب وأهل الصحة، أقسـام الاستصحاب، الاستصحاب فى الفرد المبرود، البـراءة والاستصـحاب والقياس، الاستصحاب التعليقى (١).

يتعارض الاستصحاب مع اليد أو مع الصحة. وللاستصحاب أشكال عدة: استصحاب تعليقى بعد تعليق الحكم واستصحاب فى الفرد المبرود أى مصاحبة الموضوع بعد انتفاء الحكـم، وأقسام الاستصحاب. وأحيانا يستبدل بالاستصـحاب دليـل العقل أو الـدليل العقلـى، فـردا أو جمعـا أو الملازمـات العقلية[1].

وقد تم تقنـين المصـحف بالإجمـاع، وجمـع السـنة بالإجماع، والاتفاق على الشهرة بالإجماع. فالإجمـاع هـو المصدر الأول وراء المصدرين الأولين، الكتاب والسنة. ثـم تصبح القضية إجماع من؟ الإجماع العام أم الإجماع الخاص؟ إجماع الأمة أم إجماع أهل العترة؟ إجماع أهل الحل والعقـد أم الإجماع الذى يشارك فيه المعصوم؟[2].

ثم يظهر الاجتهاد والتقليد، وتصالح من يكون الترجيح، وشرائط الاجتهاد وتاريخه والفرق بينه وبين الإفتاء، وتقليـد الحى وجواز تقليد الميت بالرغم من تغير العصر، وجـواز

---

(١) العقل (١٨)، الأدلة العقلية (١٥)، الدليل العقلـى، الملازمـات العقليـة (١٠)، دليل العقل (٥).

(٢) الإجماع (١٣٢)، الإجماع والشهرة (٢)، الكتب الأربعة (١).

التقليد فى العبادات دون المعاملات نظرا لتغير المصالح[1]، والتعادل والتراجيح والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ومذهب الصحابى وشرع من قبلنا، وكل ما يتعلق بالمصدر الرابع. فالقضية ليست فى الأدلة بل فى تعارض الأدلة مما يستلزم الترجيح بينها[2].

وقد حدث الإجماع والاجتهاد ويتحد والحوادث وتغير الأزمان وفضل آخرون التمسك بالنصوص وعدم تجاوزها إلى غيرها[3]. ومع ذلك فقد ذم بعض القدماء الاجتهاد اعتمادا على الآيات والأخبار وعلى أقوال إخوان الصفا وعلى خطورة نتائجه[4].

ثم تأتى بعد ذلك فى الأهمية صور الاجتهاد المختلفة

---

(١) الاجتهاد والتقليد (٩٠):(٥٣)، الاجتهاد (٢١)، التقليد (١٣)، شرائط الاجتهاد، تاريخ الاجتهاد، الاجتهاد والإفتاء (١). تقليد الحى (٢)، البقاء على تقليد الميت، البقاء على الميت، التقليد فى موضوع العبادات (١).

(٢) التعادل والتراجيح (٧٥):(٦٨)، الترجيح، المرجحات (٢)، الترجيحات، التعارض والتعادل والتراجيح، رسالة فى التعارض والتراجيح، الترجيح بلا مرجح (١).

(٣) سبب حدوث الإجماع والاجتهاد، أجوبة شبهات القائلين بالإجماع والاجتهاد (١).

(٤) كلام القدماء فى ذم الاجتهاد، الآيات والأخبار فى ذم الاجتهاد، كلام صاحب كتاب إخوان الصفا، ما يترتب على الاجتهاد (١).

مثل القياس وأشكاله الحـرة مثـل الاستحسـان والمصـالح المرسلة أو أشكال التقليد مثل مذهب الصحابى وشـرع مـن قبلنا[1]. وقد يضم أكثر من شكل حر للقياس مثل الاستحسان والمصالح المرسلة، الرأى والقياس، الاسـتقراء والقيـاس، القياس والاستحسان. وتتفرع أنـواع القيـاس إلـى قيـاس الأولوية، والقياس المشكوك فيه. وأحيانا يكون الجمـع بـين شكلين مع اختلاف الأولوية مثل الرأى والقيـاس أو القيـاس والرأى. وقد يأخذ شكلا واحدا تعبيرين، شرع مـن قبلنـا أو شريعة السلف، المصالح المرسلة أو فـتح الـذرائع ولـيس سدها[2].

ثم يأتى الدليل الثانى فى صورة خبـر الواحـد نظـرا للخلاف حول حجيته عندما تتعـارض الأدلـة عنـد السـنة والشيعة على حد سواء. فهو عند أهل السنة ظنى فى النظر، يقينى فى العمل. وهو عند الشيعة ظنى فى النظـر والعمـل

(١) القياس (٤٥)، الاستحسان (١٠)، المصالح المرسلة (٣)، شرع من قبلنا، الاستحسان والمصالح المرسلة، الرأى والقياس، القياس والرأى، الاستقراء والقياس، القياس والاستحسان، قياس الأولوية، القياس المشـكوك فيـه،= =شريعة السلف (١).

(٢) سد الذرائع تعبير فى البرجماتية المعاصرة.

على حد سواء[1]. أما التواتر فلا إشكال فيـه بـين السـنة والشيعة، يعطى اليقين فى النظر والعمل معـا. لـذلك كـان التالى فى الأهمية[2]. وكلاهما يدخلان تحت نظرية عامة فى الأخبار أى فى الرواية والمعارف السمعية، فى التبليغ وخبر الثقة وصحة الأخبار وحجية الخبر وتعـارض الأخبـار أو صحتها جميعا والجمع بينها، والفرق بين الخبـر والإنشـاء، والرواية عن فعل والرواية عن خيال، والصلة بـين الخبـر والإجماع وكيف أن صدق أحدهما مرهون بصدق الآخر. فقد عرف الخبر بالإجماع، وعرف الإجماع بالخبر. كما يـرتبط الخبر بالسنة، فقد عرف الخبـر بالسـنة وعرفـت السـنة بالخبر[3]. فالخبر فى النهاية هو نظرية فى اليقـين السـمعى وصدق الرواية أى المعرفة التاريخية فـى مقابـل المعرفـة العقلية، الرواية فى مقابل الدراية، والعدل والثقـة بـالرواة

---

(١) خبر الواحد (٩٦):(٩١)، حجية خبر الواحد (٣)، إبطال العمل بأخبـار الآحاد، المنع من العمل بأخبار الآحاد (١).

(٢) الخبر المتواتر (٤):(٣)، المتواتر (١).

(٣) الأخبار (٤٢):(١٧)، الخبر (٧)، أخبار من بلغ (٤)، خبـر الثقـة (٣)، الخبر والإجماع (٢)، تصحيح الأخبار، الأخبار النبوية، حجيـة الخبـر، العلم بصحة صدور الأخبار، إثبات الصدور، الإنشاء والاخبار، الإنشاء، تعارض الأخبار، التعارض بين الخبرين، الجمع بين الأخبار، الجمع بين الأحاديث، صحة جميع الأخبار (١).

وتزكيتهم والحاجة إلى علم الرجال[1]. ويتم تناول الخلاف بين الإخباريين والمجتهدين فى أصول الفقه الشيعى المعاصر[2].

والأفعال تالية فى الأهمية للأخبار[3]. وربما كانت أهم الأخبار فى خبر الواحد الذى يعتمد عليه أهل السنة لإثبات "الإمامة فى قريش"، ويعتمد عليه الشيعة لإثبات النص على على فى خلافة الرسول. فخبر الواحد سلاح ذو حدين عند الفريقين المتنازعين فى الإمامة.

ويتقدم الكتاب السنة، والنسخ الكتاب، والكتاب القرآن. ويرتبط القرآن بالإجماع. فقد عرف القرآن بالإجماع، وعرف الإجماع بالقرآن[4]. والكتاب والسنة قرينان. فالتمسك بالكتاب والسنة، والعلم بالكتاب والسنة. وأحيانا تنحصر الأدلة فى القرآن والحديث وحدهما. فقد كمل الدين قبل قبضة

---

(١) علم الدراية، قول العدل، مرجع الروايات، تزكية الرواة، الحاجة إلى علم الرجال (١).

(٢) الفرق بين الإخبارى والمجتهد، المحاكمة بين الإخباريين والمجتهدين (١).

(٣) الأفعال (٦)، التأسى بالأفعال، دلالة الفعل (١).

(٤) النسخ (٤١)، الناسخ والمنسوخ (٣). الكتاب (٢٥)، القرآن (٤)، حجية الكتاب، الكتاب المجيد، القرآن والإجماع (١).

النبى[1]. فالأدلة نصية، الكتاب والسنة. ثم حـدثت ظـروف استدعت الإجماع والاجتهاد[2].

ثم تأتى السنة، خاصـة "التسـامح فـى أدلـة السـنن" و"التسامح" هو اللفظ الشائع عن "التساهل". وأحيانا يسـتعمل اللفظ جمعا "السنن" أى مجموع الأقوال والأفعـال. وتـرتبط السنة بالإجماع لأن الإجماع على السـنة، والسـنة عليهـا إجماع[3]. ويضم إليهما أيضا السكوت والتقرير وهو ما سماه أهل السنة الإقرار[4]. ويتم إبراز حديث الرفع[5].

د- **الأحكام الشرعية.** وفى نهاية المطاف تأتى الأحكـام الشرعية التى سماها المستصفى "الثمرة" وجعلها فـى بدايـة العلم. وتدخل تحت مقولة "الحقيقة الشرعية" بـل و"الحقيقـة" على الإطلاق، وعلاماتها وعلائمها. وتأتى جمعـا ومفـردا. وأهم شرط لها "مناسبة الحكم للموضوع" أى الحكم للفعـل.

---

(١) التمسك بالكتاب والسنة، العلم بالكتاب والسنة، انحصار الأدلة فى القرآن والحديث، إكمال الدين قبل قبضة النبى (١).

(٢) سبب حدوث الاجتماع والجهاد.

(٣) السنة (٥٧):(٢٨)، التسامح فى أدلة السنن (٢٧)، التسـاهل فـى أدلـة السنن، السنن، السنة والإجماع (١).

(٤) الفعل (٢)، السكوت والتقرير، الفعل والتقرير، التقرير (١).

(٥) حديث الرفع (١).

وهى أحكام منصوصة عليها. ومع ذلك تـرتبط بالمصـالح الشرعية. وحكم الله فى كل واقعة مما يقلل من أهمية القياس وأشكال الاجتهاد الحر. ولا يجوز أن تقوم المنامات مقامهـا كما يدعى بعض الصوفية[1]. وهى تجمع بين الشرع والعقل. فهى أحكام شرعية وعقلية فى آن واحد نظرا للملازمة بـين أحكام الشرع وأحكام العقل. فالحكمان متلازمان بالرغم مـن المستقلات العقلية اعتمادا على الأدلة العقلية[2]. فـى حـين ترتبط الأدلة الشرعية باللغـة وبـالقول اللغـوى. والحكـم والحكومة شىء واحد، وكذلك الطاعة والـورود[3]. والفعـل مبادرة وانصراف[4].

والأحكام الشرعية أصول عملية. والحكم الشرعى أصل

---

(١) الحقيقة الشرعية (٩٩)، الحقيقة، علائم الحقيقة، علامـات الحقيقـة (١)، الأحكام الشرعية، الحكم الشرعى (٣)، تقسيم الحكم، أقسام الحكـم (٢)، الحكم، موضوعات الأحكام، مناسبات الحكم للموضوع، تعلم= =الأحكام، الأحكام المنصوصة، مصالح الأحكام الشرعية، حكم الله فى كل واقعـة، عدم جواز العمل بالمنامات فى الأحكام (١).

(٢) الملازمة بين حكم العقل والشرع، الملازمة بين العقل والشرع، الـتلازم بين الحكمين، الملازمة، الملازمات (١). المستقلات العقلية (٤).

(٣) الحكومة أو الورود، الحكومة (١).

(٤) التبادر، الانصراف (١).

عملى[١]. يفترض حرية الاختيار دون الخبر، بحيث يتبع القضاء الأداء[٢]. لذلك تقوم التكاليف على الإقناع والتوسط والتخيير وتوافر النية. ولا يجوز فيها السهو والنسيان[٣]. وتتعلق بالأسباب الإرادية والقدرة الشرعية[٤]. وتعدد الأسباب والمسببات. ولكل أصلها[٥]. وتتضمن أصالة التعبد التخطئة والتصويب من أجل أصالة الصحة، صحة الفعل أو فساده[٦]. فإذا ما حدث "انسداد"، انسداد فى العلم يمنع من الفعل أى "الاشتغال" يقع التخيير، التخيير العقلى أو التخيير الشرعى مما يدل على أصالة التخيير[٧]. وبالرغم من عدم جواز التعدى على متون النصوص إلا أنه وضعت القواعد الشرعية

---

(١) الأصول العملية (١٣)، الأصل العملى (١).
(٢) الجبر والاختيار، بحث تبعية القضاء للأداء (١).
(٣) النية (٢)، خطاب الناسى (١).
(٤) القناعة فى التكاليف، التوسط فى التكليف أو التخيير، تعلق التكليف بالسبب الإرادى، القدرة الشرعية فى التكاليف (١).
(٥) تعدد الأسباب والمسببات، أصل السبب والمسبب، الفرق بين الحيثية التعليلية والحيثية التقليدية (١).
(٦) أصالة التعبد، التخطئة والتصويب، أصالة الصحة، أصل الصحة، صحة المعاملة وفسادها (١).
(٧) الاشتغال (٥١)، أصالة الاشتغال (١). التخيير (٤١)، أصالة التخيير (٢)، التخيير العقلى، التخيير الشرعى، الانسداد (٧)، انسداد باب العلم، تنبيهات دليل الانسداد (١).

من أجل الحفاظ على الحيـاة مثـل قاعـدة نفـى الضـرر بصياغاتها المتعددة، وقاعدة الميسور ومشتقاتها مثـل رفـع العسر والحرج وعدم جواز تكليف ما لا يطـاق ، وقاعـدة المقتضى والمانع، المقتضى الذى يؤدى إلى الفعـل والمـانع الذى يمنع من الفعل[1]. وهناك قواعد أخرى تميز بها علـم الأصول الشيعى مثل قاعدة الفراغ والتجاوز والتى قد تجمـع قواعد اللاضرر وأصالة الحل والصحة، وقاعدة اليد، وقاعدة القرعة، وقاعدة الترتيب، وقاعدة الصحة[2]. ومجموع هـذه المفاهيم تعادل أحكام الوضع فى أصول الفقه عنـد السـنة: السبب، والشرط والمانع، والعزيمة والرخصـة، والصـحة والبطلان. والصحة قد تكون للنفس أو الغير .

ثم يأتى ما يعادل أحكام التكليف الخمسة عند أهل السنة، الفرض والمحرم والمندوب والمكروه والمباح. وهى مقدمـة

---

(١) عدم جواز التعدى على متون النصوص (١)، القواعـد الشـرعية (٢)، قاعدة لا ضرر (اللاضرر) (٢٦)، قاعدة نفـى الضـرر (٦)، قاعـدة لا ضرر ولا ضرار (١)، قاعدة الميسور (١٥)، قاعدة لا حـرج، العسـر والحرج، التكليف بما لا يطاق، قاعدة المقتضى والمانع (١).

(٢) قاعدة الفراغ والتجاوز (١٨)، قواعد التجاوز والفراغ واللاضرر وأصالة الحل والصحة، قاعدة اليد (٧)، قاعدة القرعة (٣)، القرعة (٢)، قاعـدة الترتيب (٢)، الترتيب (١)، قاعدة الصحة، تصحيح الغير (١).

الواجب أو الوجوب، وعدم إجزاء النفل عن الفرض، وأقسام الواجب، الواجب تجاه النفس والواجب تجاه الغير[1]. وعكسه الحرام مع العزم على المعصية بالرغم من حق الطاعة. وهو أقل ذكرا من الواجب[2]. ثم يأتى المندوب باتحـاد الطلـب والإرادة وهو أقل ذكرا من المكروه[3]. ثم يأتى المكروه فـى العبادات والمعاملات، فى التعبدى والتوصلى[4]. والأحكـام الأربعة السابقة يصدق عليها المح والذم فى الأفعال[5]. وهنا يبرز مفهوم أصولى جديد عند الشيعة وهو مفهوم الاحتيـاط فى العبادات والمعاملات، رجحانه، والعمـل بـه، أصـالته وأصله، وأنواعه، الاحتياط العقلى والاحتياط الشرعى[6]. ثم يأتى المفهوم الخامس وهـو الإباحـة، أصـالتها ومقابلتهـا

---

(١) مقدمة الواجب (١٢٠)، الوجوب، عدم إجزاء النفل عن الفرض، أقسـام الواجب، الواجب النفسى والواجب الغيرى (١).
(٢) مقدمة الحرام، العزم على المعصية، حق الطاعة (١).
(٣) المندوب، اتحاد الطلب والإرادة، الطلب والإرادة، الإرادة (١).
(٤) الكراهة فى باب العبادات (١).
(٥) المدح والذم فى الأفعال (١).
(٦) الاحتياط (١٨)، الاحتياط، العمل بالاحتياط، التوصلى والتعبدى، رجحان الاحتياط، أصالة الاحتياط، أصل الاحتياط، الاحتياط العقلـى، الاحتيـاط الشرعى (١).

بالحظر[1]. ومعه يأتى مفهوم البراءة الأصلية كنوع من حسم الاحتياط. إذ تعنى البراءة نفى الحكم أصـلا، العـالم قبـل الأحكام. فالبراءة هى أصالة النفى. وهى براءة أصلية تنفـى أى حكم مسبق. وهى تدفع إلى العمل والاشتغال. وتنقسم إلى براءة عقلية وبراءة شرعية مما يدل على اتحاد حكم العقـل وحكم الشرع[2]. وتتضح من مقاصد الشارع، وضع الشريعة للامتثال، بتعبير "الموافقات" للشاطبى، إذ يتصرف الشـارع فى دائرة الامتثال ومراحله[3].

وفى المصنفات المتأخرة عندما بدأ علم أصـول الفقـه الشيعى كتابة تاريخه، وتحويل الأصولى نفسه إلـى مـؤرخ وعارض، يعرف الأصول وعلم الأصول، ويكتـب تـاريخ الأصول وتاريخ علم الأصول، والفرق بين طريقة القـدماء والمتأخرين[4]. ويتم التعريف أيضا بالفقه ووجـوب التفقـه،

---

(١) أصالة الإباحة، الحظر والإباحة (١).

(٢) البراءة (٦٧)، أصالة البراءة (١٤)، البـراءة والاشـتغال (٦)، أصـل البراءة وأصالة النفى (٢)، أصل البراءة والإباحة، البـراءة والاحتيـاط، البراءة الأصلية، البراءة العقلية، البراءة الشرعية (١).

(٣) تصرف الشارع فى دائرة الامتثال، مراحل الامتثال (١).

(٤) تاريخ الأصول (٤)، تاريخ علم الأصول، تعريف علم الأصول (٣)، التعريـف (٢)، تعريف الأصول، تاريخ الفقه والأصول، مدخل إلى علم الأصول، يحـدث فى علم الأصول، مجارى الأصول، مفردات الأصول (١).

وشرط الفقيه، ورعاية الأهم فالمهم فيما يعرف باسـم فقـه الأولويات[1]. ثم يتم تحديد موضوعات العلم وبيان فضـيلته ووجوب تعلم أحكامه، وتأصيله فى علم الدراية. كمـا يـتم الحديث عن حياة المصنفين فى السيرة، والسيرة التاريخيـة، وسيرة المتشرعة، ومشيخة الصدوق، تحولا من الموضـوع إلى الشخص، ومن العلم إلى العـالم، ومـن المـرام إلـى الأعلام[2]. كما يعبر عن الأشكال الأدبية مثل مسائل متفرقة، والحواشى على الأصول، وحواشـى المؤلـف، والمباحـث الرجالى[3]. كما يحال إلى بعض المصادر التى استقى منهـا المؤلف مادته، له أو لغيره[4].

---

(١) تعريف الفقه (٢)، وجوب التفقه، لزوم التفقه فى الدين، شـرط الفقيـه، رعاية الأهم فالمهم (١).

(٢) السيرة (٧)، السيرة التاريخية، سيرة المتشرعة: كلام الأعـلام لتحقيـق المرام، مشيخة الصدوق (١).

(٣) مسائل متفرقة، الحواشى على الأصول، حواشى المؤلف علـى الجـزء الأول، مباحث رجالى، خاتمة المطاف (١).

(٤) مثل: رسالة الشديد، رسالة البينة، رسالة فى الطهارة، مراسلات ابن أبى عمير (١).

ثانيا: البنية الرباعية.

وتغلب على المصنفات الشيعية قبل الثـورة الإسـلامية البنية الرباعية من البداية إلى النهاية.

١ - "اختلاف أصول المذاهب" للقاضى النعمان بن محمد (ت٣٥١هـ)[1]. تتخلق البنية الرباعية وسط أجزاء ثمانية فى إطار جدل أصول الفرق، أصول الشيعة فى جدلها مع أصول السنة. إذ ينقسم الكتاب إلى ثمانية أجزاء. وينقسم كـل مـن الجزأين الأول والثانى فقط إلى ثلاثة أبواب. الجـزء الأول بأبوابه الثلاثة عن علة الاختلاف وأقوال المختلفـين والـرد عليهم، وهو ما يعادل التعارض والتراجيح فى آخـر بـاب الاجتهاد فى بنية الأصول بعد "المستصفى". والجزء الثـانى بأبوابه الثلاثة عن مذهب أهل الحق، والرد علـى أصـحاب التقليد، والفرق بين التقليد والرد إلى أولـى الأمـر. فحـل التعارض فى تصويب مذهب، وتخطئة المـذاهب الأخـرى. والثالث والرابع عن أصحاب الإجماع ووجه الحجـة فيـه. والخامس حتى الثامن عن القائلين بالنظر والرد عليهم، والرد

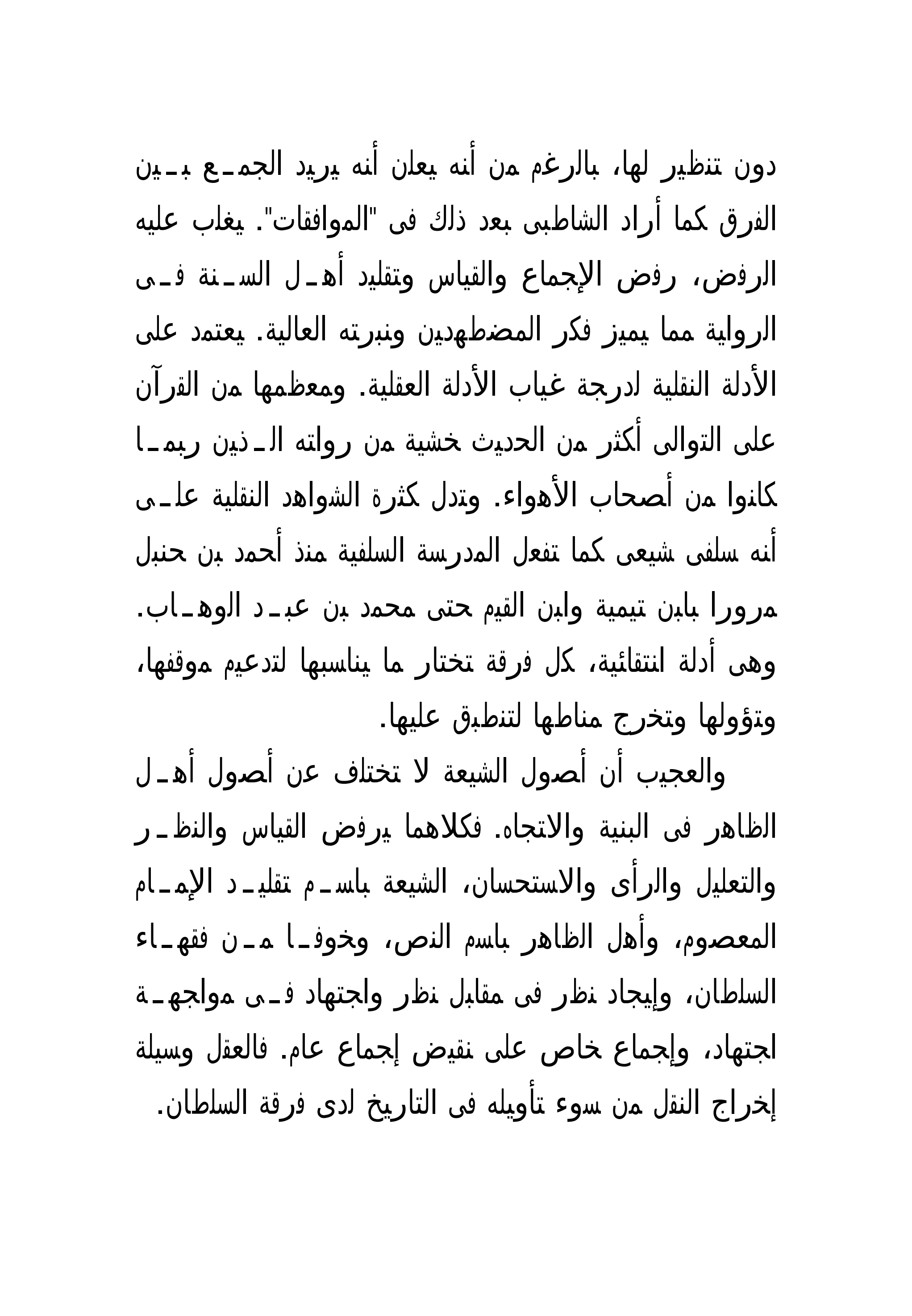
---

(١) القاضى النعمان بن محمد: اختلاف أصول المـذاهب، تقـديم وتحقيـق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت ١٩٧٣.

على أصحاب القياس والقـائلين بالاستحسـان والاسـتدلال والاجتهاد والرأى. تتضمن الأجزاء الثمانية إذن موضوعات أربعة الاختلاف بين الفرق، والحق لـدى الفرقـة الناجيـة، والإجماع، والقياس. وكأن الاختلاف بين الفرق يعادل القرآن المصدر الأول، والتقليد يعادل المصدر الثانى، السنة. ومـن حيث الكم القياس أولها، ثم الإجماع، ثم الحق والتقليـد، ثـم الاختلاف[1]. وتغيب مباحث الألفاظ لب طـرق الاسـتثمار نظرا لغياب الرأى والقياس. كما تغيب أحكام التكليف نظـرا لأن طاعة الإمام تجب الأوامر والنواهى. فالبنية تدور حول النص فى التاريخ من أجل تحريره من استئثار فرقة السلطان به، والعودة بالنص من الخارج إلى الداخل كما هو الحال فى التصوف.

وهو كتاب حجاجى مثل "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى، و"الاحكام فى أصول الأحكـام" وملخـص "النبذ" و"ملخص إبطال القياس والرأى والاستحسان والتقليـد والتعليل" لابن حزم. يعبر عن موقف ولا يؤصل القواعـد، يحمل دعوة ولا يؤسس نظراً. يذكر الخلاف حول الأصـول

(١) النظر والقياس والاستحسان والاجتهاد والـرأى (٩٢)، الإجمـاع (٥٦)، الحق والتقليد (٣٤)، الاختلاف بين الفرق (١٤).



دون تنظير لها، بالرغم من أنه يعلن أنه يريد الجمع بين الفرق كما أراد الشاطبى بعد ذلك فى "الموافقات". يغلب عليه الرفض، رفض الإجماع والقياس وتقليد أهل السنة فى الرواية مما يميز فكر المضطهدين ونبرته العالية. يعتمد على الأدلة النقلية لدرجة غياب الأدلة العقلية. ومعظمها من القرآن على التوالى أكثر من الحديث خشية من رواته الذين ربما كانوا من أصحاب الأهواء. وتدل كثرة الشواهد النقلية على أنه سلفى شيعى كما تفعل المدرسة السلفية منذ أحمد بن حنبل مرورا بابن تيمية وابن القيم حتى محمد بن عبد الوهاب. وهى أدلة انتقائية، كل فرقة تختار ما يناسبها لتدعيم موقفها، وتؤولها وتخرج مناطها لتنطبق عليها.

والعجيب أن أصول الشيعة لا تختلف عن أصول أهل الظاهر فى البنية والاتجاه. فكلاهما يرفض القياس والنظر والتعليل والرأى والاستحسان، الشيعة باسم تقليد الإمام المعصوم، وأهل الظاهر باسم النص، وخوفا من فقهاء السلطان، وإيجاد نظر فى مقابل نظر واجتهاد فى مواجهة اجتهاد، وإجماع خاص على نقيض إجماع عام. فالعقل وسيلة إخراج النقل من سوء تأويله فى التاريخ لدى فرقة السلطان.

٢- "العدة فى أصول الفقه" لأبى جعفـر محمـد بـن الحسن الطوسى (ت٤٦٠هـ)[١]. ويعتبر أول متن أصـولى عند الشيعة يعادل "الرسالة" للشافعى عند السنة ومتأخر عنـه بحوالى قرنين ونصف من الزمان، وإن كان سبقه "التـذكره بأصول الفقه" للشيخ المفيد (٤١٣ق)، و"الذريعة إلى أصـول الشريعة" للشريف المرتضى (٤٣٦ق)[٢]. ويتميـز الـنص بالوضوح والترتيب المنطقى والبداية بالتعريفات[٣]. والمؤلف على وعى بالترتيب المقصود وإن لم يكن على وعى كامـل بالبنية[٤]. ويدل على نضج عقلى ووضوح نظرى. وتـذكر الأقوال دون نسبتها إلى أصحابها بل بصيغة المبنى للمجهول حتى قل ذكر أسماء الأعلام والفـرق. كمـا يهـدف إلـى الاقتصار والقول المفيد دون إسهاب أو تطويل.

---

(١) شيخ الطائفة الإمام أبو جعفر محمد بن الحسـن الطوسـى (٤٦٠هـ ـ)، تحقيق محمد رضا الأنصارى القمى (جزءان). ستاره، قم ١١١٧هـ ق – ٣٧٦ هـ ش.

(٢) السابق ص٣-٤.

(٣) تتكرر لازمات "وهذا واضح" كثيرا مثلا، السابق جـ ٣٨١/١.

(٤) "وأقدم فى أول الكتاب فصلا يتضمن ماهية أصول الفقه وانقسامها وكيفية ترتيب أبوابها، وتعلق بعضها ببعض حتى أن الناظر إذا نظر فيه وقـف على الغرض المقصود بالكتاب، وتبين من أوله إلـى آخـره"، السـابق جـ ٤/١.

ويستعمل النص أسلوب القيـل والقـال، والـرد علـى الاعتراضات مسبقا دون الوقوع فى السجال المذهبى العقائدى أو الفقهى. يكفى الحجاج الداخلى النظرى العام من أجل اتساق المذهب وإحكام البرهان. ولا تصدر أحكام قطعية بالصواب أو الخطأ، تصويب النفس وتخطئة الغير بل تصدر أحكام احتمالية بعد مناقشة كل الآراء واختيار أفضلها ثم يقـال "وهـذا هـو الأقوى"[1]. ويقوم الخطاب على القسمة العقلية وعد الحجـج وإحصائها الأدلة. فالأدلة هى وحدات الخطاب الأولى. ويـتم الرد على الشبهات وذكر الأجوبة عليها. وكثيرا ما يسـتعمل برهان الخاف، إثبات خطا الآخر إيجابا من أجل إثبـات رأى النفس سلبا. ونادرا ما تصدر أحكام بالتخطئة. وأقصـى مـا يقال "وهذا غير صحيح"[2]. وكثيرا مـا يتـرك الموضـوع تساؤلا دون إصدار حكم فيه[3].

ومع ذلك يخلو النص من السجال والاسـتبعاد، وتفنيـد المذاهب المخالفة الفقهية أو الأصولية أو الكلامية. وإذا كـان أهل السنة يقومون بتفنيد أصول الشيعة الكلامية والفقهية كما

---

(١) السابق جـ ١/١٢٦/١٤٢/٣٦٤.
(٢) السابق جـ ٢/٦٣١.
(٣) السابق جـ ٢/٤٨١.

يفندون المذاهب السنية مثل الظاهرية والحنفية فإن الشيعة لا يقومون بتفنيد الأصول السنية، والأولى عدم وصول الأمـر إلى حد الاستبعاد والإقصاء والتكفير.

ونظرا لارتباط العلمين، علم أصول الدين وعلم أصـول الفقه تظهر العقائد الكلامية ضمن التحليلات الأصولية حتـى ولو كانت على استحياء وبقدر محسوب ومحصورة فى الإمام المعصوم ودوره فى الرواية حتى تصح، وفى الإجماع حتى يصدق، وفى الاجتهاد حتى يصيب. اختفـى الغـلاة الـذين يجعلون للإمام المعصوم دورا فى تلقى الوحى، وبقـى دوره فى الرواية من أجل ضمان صحتها مثل التـواتر[1]. ودوره فى الإجماع واضح حتى يصح سواء كان الإجماع العـام أو الإجماع الخاص لأهل العترة. لذلك تبدأ كل فقرة ببيان الرأى فى الموضوع عند الفقهاء والمتكلمين أى عند الأصـوليين، علماء أصول الفقه وعلما أصول الدين. ويعترف المصـنّف أنه يكتب فى علم الأصول "على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجبـه أصولنا"[2]. ويتضح ارتباط العلمين فى تخصـيص الفصـل الخامس فى المقدمة الأولى "فى ذكر ما يجب معرفتـه مـن

(١) السابق جـ ١/١٥٠-١٥١.
(٢) السابق جـ ١/٣.

صفات ا   وصفات النبى وصفات الأئمة حتى يصح معرفـة مرادهم"[1].

ولا تفترق أصول الفقه السنى عن أصول الفقه الشـيعى إلا فى موضوعات صغيرة لا تؤثر فى بنية العلم. فالأصول واحدة وإن تعددت الأولويات. فالأصل عقلى، ولا خلاف بين المذاهب فى العقل خاصة وقد ربط الاعتزال بين المـذهبين، السنة والشيعة. وبالرغم من ذكر التقية والغيبة إلا أنهمـا لا يؤثران كثيرا فى علم الأصول، بالرغم من التعارض الظاهر بين الوظيفة التاريخية والمعرفية للإمام المعصوم وبين تقيته التى قد تصل إلى حد عدم الصدق والتمويه وغيبته التـى لا نفع منها إذا ما دعت الحاجة إلى ظهور الإمام.

ويعى المؤلف البنية باعتبارها ترتيبـا منطقيـا متسـقا، يخرج اللاحق من السابق على نحو طبيعى. فالوحى خطـاب أى قول لغوى، كلام ذو معنى. وليس كل قول خطابـا وإن كان كل خطاب قولا. ويعبر الخطاب عن إرادة المخاطب إذ أن الخطاب اقتضاء أمر. ويتجلى فى الكتاب والسنة. وهـو على خمسة أنواع: الأوامر والنواهى، والعموم والخصوص،

---

(١) السابق جـ ٤٢/١-٤٧.

والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ مما يدل على أولوية مباحث الألفاظ بالرغم من أن الناسخ والمنسوخ لا يتعلقان بصيغة الخطاب بل بزمن الخطاب. والأخبار طريق الوصول إليها. ولما كان الخطاب اقتضاء فعل جاءت الأفعال. أما الإجماع والقياس والاجتهاد وصفة المفتى والمستفتى والخطر والإباحة فهى خارجة عن بنية العلم عند الإمامية لأن صحة الإجماع تأتى من المعصوم الذى لا يجوز عليه الخطأ ولا يخلو الزمان منه. ومعرفته بالعقل وليس بالسمع. والقياس والاجتهاد ليسا بدليلين بل يحظر استعمالهما. الأدلة إذن اثنان، الكتاب والسنة وليس الإجماع والقياس. أما الحظر والإباحة وهما القطبان السالب والموجب فى أحكام التكليف ويعرفان بالفعل. وتقدم الأخبار على الخطاب حتى تثبت صحة الخطاب تاريخيا أولا وكأن الوعى التاريخى سابق على الوعى التأملى. أما المقدمة فهى تمهيد لمعرفة معنى العلم والنظر، واليقين والظن. فنظرية العلم تسبق تأسيس العلم. وتدخل الحقيقة والمجاز فى المقدمة وليس فى مباحث الألفاظ، ثم يدخل أصول الفقه الشيعى المخاطِب أى نظرية الذات والصفات والأسماء والأفعال وهى

ما يعتبره أصول الفقه عند السنة أدخل فى علم أصول الدين منه إلى علم أصول الفقه للتمايز بين العلمين، أصول النظـر وأصول العمل[1].

ولا ينقسم النص إلى أبواب أو مقاصـد أو مطالـب أو مباحث كلية بل إلى إحدى عشر كلاما بالإضافة إلى المقدمة. وهى: الأخبار، والأوامر، والنهى، والعمـوم والخصـوص، والبيان والمجمل، والناسخ والمنسوخ، والأفعال، والإجمـاع، والقياس، والاجتهاد، والخطر والإباحـة. أكبرهـا العمـوم والخصوص، وأصغرها الاجتهاد[2]. وبإعادة تركيـب هـذا "الكلام" يمكن اكتشاف تعديل البنية بحيث تتقدم مباحث الألفاظ على كل من الأدلة الشرعية الأربعة بدءا من السنة ثم القياس ثم الكتاب (الناسخ والمنسوخ) ثم الإجمـاع. وتـأتى أحكـام التكليف (الحظر والإباحة) فى آخر المطاف[3]. وتغيب أحكام

---

(١) السابق جـ ١/٧-١١.

(٢) الترتيب الكمى على النحو الآتى: العموم والخصوص (١٣٠)، الأوامـر (٩٦)، الأخبار (٩٦)، البيان والمجمـل (٨٢)، القيـاس (٧٦)، الناسـخ والمنسوخ (٦٨)، المقدمة (٥٦)، الإجماع (٤٦)، الأفعال (٣٨)، الحظـر والإباحة (٢٥)، النهى (١٨)، الاجتهاد (١٦).

(٣) مباحث الألفاظ (٣٢٦)، السنة (١٣٤)، القياس (٩٢)، الناسخ والمنسـوخ (٦٨)، الإجماع (٤٦)، الحظر والإباحة (٢٥).

الوضع تماما. ويدل ذلك على أولية العقل على النقل من أجل تحرير النقل من تأويل السلطان ويظل ذلك على حساب الفعل فى العالم والتحقق فى الواقع.

وتكثر الحجج النقلية، الآيات والأحاديث، كما تكثر الأدلة العقلية، الشبهات والأجوبة عليها[١]. ومن أسـماء الأعـلام، يتقدم الرسول بطبيعة الحال. يتلوه أبو هاشم الجبائى مما يدل على اعتماد أصول الفقه الإمامى على الاعتزال، ثم أبو على، وأبو عبد ا البصرى، وعبد الجبار. ويتلو أبو هاشم الشافعى والكرخى مما يدل على الاحترام الكامل للفقه السنى. يتلـوه أبو حنيفة ومالك دون ذكر ابن حنبل. ومن الصـحابة يـأتى على فى المقدمة. يتلوه عمر، ثم عبد ا بن عباس، ثم أبـو بكر وعبد ا بن مسعود، ثم معاذ، ثم أبو هريرة. وفى مقدمة فقهاء الشيعة يأتى المرتضى، ثم الشيخ المفيـد، ثـم الإمـام الصادق، أقلية شيعية وسط أغلبية سنية. ثم يتداخل الفقهـاء والأصوليين والصحابة بلا تمييز بين المذاهب والفرق مثـل داود الظاهرى وعيسى بن أبان وأبو القاسـم البلخـى وأبـو موسى الأشعرى. ثم يذكر عشرات منهم مما يدل على وحدة

---

(١) الآيات (دون التكرار) (٢٢١)، الأحاديث (٩٦)، الآثار وأقوال الصـحابة (٥١)، الأشعار (٣).

المادة الأصولية عند المذهبين[1].

ومن الفرق يتقدم الفقهاء والمتكلمـون أى الأصـوليون وأهل الكلام نظرا لارتباط العلمين. ثم يأتى الصحابة باحترام كامل دون ما يشاع بالطعن عليهم، ثم أصحاب الشافعى بعـد أن استقرت الشافعية كمذهب رسمى عند أهل السنة، ثم أهل اللغة والأئمة والعلماء قبل "أصحابنا" مما يدل علـى اتجـاه لامذهبى وموقف لاطائفى فى علم الأصول الشيعى. ثم يأتى المعتزلة الذين يمدون أصول الفقه الشيعى بأساسها النظرى، فكلاهما مع الخوارج من المعارضة علـى تنـوع أشـكالها وطرقها. ثم تظهر الطائفة الحقة دون تعيين لها. ثـم يظهـر أهل العلم والعقلاء قبل الإمامية مع أهل الظـاهر والواقفـة والمجبرة. ويأتى أصحاب الحديث مع النصارى، والبصريون

---

(١) الرسول (١٣٦)، أبو هاشـم الجبـائى (٢٧)، الشـافعى (٢٥)، علـى، المرتضى (٢٤)، الكرخى (٢٣)، الجبائى، أبو عبد ا البصـرى (٢٢)، عمر (٢١)، عبد ا بن عباس (١٦)، الشيخ المفيد (١٤)، أبو بكر، عبـد ا بن مسعود، موسى (النبى) (٩)، أبو حنيفة (٨)، معاذ (٧)، شـريح، عبد الجبار، إبراهيم (النبى)، عائشة، عبد ا بن عمر (٥)، مالـك، أبـو هريرة، الإمام الصادق (٤)، زيد بن حارثة، ابن سـريج، مسـروق بـن الأجدع (٣)، داود الظاهرى، زيد، عثمان بن عفان، عيسى بن أبان، أبـو القاسم البلخى، أبو موسى الأشـعرى (٢)، الأشـعرى، الأصـم، بشـر المريسى، ابن سيرين، الفراء، أبو يوسف القاضى ...الخ (١).

مع اليهود مما يدل على انفتاح على الفرق غير الإسلامية. ثم يأتى الشيعة مع أصحاب الأشعرى وأصحاب الظاهر وأصحاب مالك ومجموع الأصوليين والبغداديين والتابعين والمفسرين والنحويين ...الخ. ويظهر آل البيت مع أصحاب الجمل والأعجمية والأنصار وأهل الرأى وأهل العراق وأهل القبلة وأهل القدر والتناسخية والجهمية والروم والزنادقة والملحدة والقرامطة والمجوس والعجم والعرب دون تفضيل لأحدهم فى الأولوية على الآخر مما يعطى صورة لأصول الفقه الشيعى واعتداله مخالفة لصورة أصول الدين[1].

---

(١) الفقهاء (٧٣)، المتكلمون (٤٧)، الصحابة (٣٣)، أصحاب الشافعى (٢٨)، أهل اللغة (٢٥)، الأئمة (٢٠)، العلماء (١٩)، الطائفة (١٥)، أصحابنا (١٢)، المعتزلة (٩)، الطائفة المحقة، الفرقة المحقة، المسلمون (٨)، أهل العلم، العقلاء (٧)، الإمامية، أهل الظاهر، الواقفة، المجبرة (٦)، الكفار (٥)، أصحاب الحديث، الفطحية، النصارى (٤)، البصريون، اليهود (٣)، أصحاب الأشعرى، أصحاب الظاهر، أصحاب مالك، الأصوليون، الأمة، البغداديون، بنو سماعة، بنو فضال، التابعون، الشيعة، المفسرون، المقلدة، المكلفون، الملائكة، الناووسية، النحويون (٢)، أصحاب الإباحة، أصحاب الجمل، أصحاب العنود، الأعجمية، الأنصار، أهل البيت، أهل الرأى، أهل العراق، أهل القبلة، أهل القدر، التناسخية، الجهمية، الخلفاء، الخوارج، الروم، الزنادقة، الزيدية، السمنية، السوفسطائية، الشعراء، العجم، العرب، القرامطة، قريش، المتفقهة، المجوس، المرجئة، المشبهة، المشركون، الملحدة، الملحدون، النبطية، النجارية ...الخ. (١)

ويحيل الطوسى إلى الكتب المقدسة وعديد من المتـون الأصولية. وبطبيعة الحال يأتى القرآن فى المقدمة، ثم "العمد" لأصول الفقه للقاضى عبد الجبار مما يدل على اعتماد أصول الفقه الشيعى على أصول الفقـه الاعتزالـى قبـل الثـورة، والكتاب "الرسالة" للشافعى. ولا تذكر مصنفات أصول الفقـه الشيعى إلا بعد ذلك، مثل أمالى المرتضى والتـذكرة للمفيـد وغيرها ومع الإنجيل[1]. ويدل ذلك على وحدة العمل الفكرى للمؤلف أو وحدة المشروع الحضارى كله. ومـن الأمـاكن والبقاع، يأتى بيت المقدس فى المقدمة وليس غدير قـم، ثـم قباء والكعبة، ثم القبلة وبغداد والـيمن، ثـم بـدر والبصـر والسقيفة وعرفات والشـام والصـين والهنـد ومكـة مـع خراسان[2].

٣- "تهذيب الوصول إلى علم الأصول" للعلامة الحلـى

---

(١) القرآن (٥٣)، العمد (٥)، التوراة، الرسالة، الكتاب (٣)، تلخيص الشافى (٢)، الاستبصار، أمالى المرتضى، المفصح فى الإمامة، الإنجيل، التذكرة بأصول الفقه، تهذيب الأحكام، الذخيرة، كتاب السيد المرتضـى، كتـاب عمرو بن حزم (١).

(٢) بيت المقدس (٥)، قباء، الكعبة (٣)، القبلة، بغـداد، الـيمن (٢)، بـدر، البصرة، خراسان، السقيفة، الشام، الصـين، عرفـات، المدينـة، مكـة، الميقات، الهند (١).

(ت٧٢٦هـ)[1]. وهو مثل "العدة" للطوسـى، أقـرب إلـى التعريفات المنطقية الواضحة وتأصيل الأصول. ويتم الـرد على الحجج بعد إحصائها وعدها دون سجال أو استبعاد بـل مع احترام كامل للآراء المخالفة للمذهب الإمـامى الـذى لا يظهر إلا فى الإمام المعصوم وإجماع أهل العترة[2].

وينقسم إلى اثنى عشر مقصدا، وهو تعبير الأيجى فـى "المواقف"[3]. وينقسم كل مقصد إلى فصول متفاوتة. أكبرهـا الأمر والنهى وأصغرها التعادل والتراجيح[4]. وبتجميع بعض الأبواب فى أصول عامة تصبح الأولوية لمباحث الألفاظ ثـم للدليل الرابع وملحقاته القياس والتعادل والتراجيح والاجتهـاد دون ذكر للاستصحاب إلا فى بحث من فصل من المقصـد

---

(١) العلامة الحلى (جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهـر): تهذيب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق السيد محمد حسين الرضـوى الكشميرى، مؤسسة آل البيت، قم، (د.ت).

(٢) السابق ص٢٠٥/٢٠٩-٢١١.

(٣) وهى: ١- المقدمات، ٢- اللغات، ٣- الأمر والنهى، ٤- العام والخاص، ٥- المجمل والمبين، ٦- الأفعال، ٧- النسخ، ٨- الإجماع، ٩- الأخبار، ١٠- القياس، ١١- التعادل والتراجيح، ١٢- الاجتهاد.

(٤) وطبقا للترتيب الكمى: الأمر والنهى (٣٤)، اللغـات، العـام والخـاص، القياس (٣٢)، الأخبار (٢٦)، النسخ (٢٠)، الاجتهـاد (١٩)، الإجمـاع (١٦)، المقـدمات، المجمـل والمبـين (١٤)، الأفعـال (١٠)، التعـادل والتراجيح (٦).

الثانى عشر عن الاجتهاد بعنوان "فـى حجيـة استصـحاب الحال"[1]. ثم ما يعادل الدليل الثانى الأخبار والأفعال، ثم مـا يعادل الدليل الأول وهـو النسـخ وأخيـرا الإجمـاع مـع المقدمة[2]. وتغيب أحكام التكليف وأحكام الوضع علـى حـد سواء. ويدل ذلك أيضا على أولوية العقل أى التأويـل علـى النقل من أجل تحرير النقل من تأويل السلطان. ويظل الفعـل محاصرا بين العالم الخارجى والعالم الداخلى.

ويعتمد النص على عديد من الحجـج النقليـة، القـرآن والحديث ويندر الشعر العربى. ومن الأعلام يتقدم الشـريف المرتضى بطبيعة الحال عالم الشيعة المرموق ثم أبو الحسن البصرى المعتزلى مما يدل على ارتباط التشيع بـالاعتزال، وكلاهما حركتا معارضة. ثم يظهر أبـو حنيفـة باعتبـاره المذهب السنى العقلى ثم الشافعى المذهب السنى الرسمى ثـم الأشعرى الذى أعطى الأساس العقائدى للشافعية فيما بعد، ثم أبو على الفارسى. ثم يتوالى المعتزلة والأشاعرة، والأحناف والشافعية على التبادل. فمن الأصوليين الأحنـاف يتصـدر

---

(١) تهذيب الوصول ص٢٩٣-٢٩٤.

(٢) الآيات (١٣٣)، الأحاديـث (الأقـوال والأفعـال والإقـرارات) (٨٠)، الشعر (١).

الجصاص ثم الكرخى ثم ابن أبان وابن شريج. ومن المعتزلة يتصدر أبو عبد ا البصرى وأبو الهذيل وعبد الجبار ثم أبو على وأبو هاشم الجبائى والجاحظ وأبـو الحسـن البصـرى والخياط وعباد بن سليمان وعمرو بن عبيد. ومن الأصوليين الأشاعرة والشافعيين يتصـدر البـاقلانى ثـم الإسـفرائينى والغزالى وابن فورك. ومن النحويين يأتى ابن جنى والفراء. ومن الشيعة لا يظهر إلا الطوسى مع باقى فقهاء أهل السـنة مثل مالك وأحمد[1].

ومن الفرق والطوائف يتقدم الحنفية ثم الأشاعرة ولـيس الشيعة أو الإمامية. كما يتقدم الفقهاء والجبائيان وليس أئمـة الشيعة وعلماؤهم. ثم تأتى الإمامية فى المرتبة الثانيـة مـع المعتزلة، فى البصـرة وبغـداد. وأخيـرا يـأتى الحنابلـة

---

(١) المرتضى (١٥)، أبو الحسين البصرى (١١)، أبو حنيفة (١٠)، الشافعى (٦)، الأشعرى (٥)، أبو علـى (الفارسـى) (٤)، أبـو بكـر الـرازى (الجصاص)، أبو عبد ا البصرى، الباقلانى، الكرخى (٣)، ابن أبـان، ابن شريج، الأسفرائينى، أبو الهذيل، عبد الجبار، الغزالى (٢)، ابن جنى، ابن الراوندى، ابن سيرين، ابن فورك، أبو ثور، أبو جعفر الطوسى، أبـو على الجبائى، أبو مسلم الأصفهانى، أبو هاشم الجبائى، احمد بن حنبـل، بشر المريسى، الجاحظ، الجوينى، الحسن البصرى، الخيـاط، الطبـرى، عباد بن سليمان، عمرو بن عبيد، العنبـرى، الفـراء، قتـادة، الكعبـى، المازنى، مالك بن أنس (١).

والظاهرية أو الظاهريون والحشوية والسمنية وأهـل اللغـة والنحويون والبصريون والشيعة[1].

٤ - "معالم الأصول (معالم الدين ومـلاذ المجتهـدين)" للشيخ حسن بن زين الدين شـهيدتانى (ت١٠١١هـ ـ)[2].

وهو متن يجمع بين الأسلوب الفلسفى المجـرد والأسـلوب الصوفى المعروف فى الفلسفة الإلهية. يعدد الحجج والأدلـة والردود والأجوبة عليها. وفى نفس الوقت يعتمد على كثيـر من الروايات والعنعنات عن الأئمة الأعلام، جمعا بين العقل والذوق والنقل. وقد بدأت ألقاب التعظيم للمؤلفين عند الشيعة كما عند السنة وتزايدت عبـر العصـور. وتظهـر عقيـدة المعصوم كالعادة فى الإجماع مما يجعل الإجماع زائدا عـن الحاجة لأن صحته فى وجود المعصوم وهو يسـتغنى عـن الإجماع[3]. وهو كل شىء، راو ومجمع ومجتهد وعند بعض الغلاة ينزل عليه الوحى. وهو رد فعل على الإمـام الظـالم

---

(١) الحنفية (٨)، الأشاعرة (٦)، الفقهاء، الجبائيان (٣)، الإمامية، المعتزلـة (٢)، الحنابلة، الشيعة، الظاهرية، الظاهريون، الحشوية، السـمنية، أهـل اللغة، النحويون، البصريون (١).

(٢) الشيخ حسن بن زين الدين شهيدتانى: معالم الدين وملاذ المجتهدين (معالم الأصول) (د.ت).

(٣) السابق ص٢٠٠-٢٠١/٢٤٨/٢٨٧.

المدلس فى الرواية، المزور للإجماع، الناكر للوحى. ولدى المؤلف إحساس قوى بالانتماء إلى المذهب. ومع ذلك لا يصدر أحكاما قاطعة بالصواب أو بالخطأ. ولا يستبعد أو يقصى أو يكفر أحدا كما يفعل أهل السنة مع بعضهم البعض ومع غيرهم. فالتكفير سلاح السلطة وليس المعارضة. بل يقال "وهذا الكلام جيد"، "والتحقيق عندى"، "وكلام المحقق هو الأقوى، ووجه واضح، ولا يحتاج إلى البيان"[١]. ويتم الربط بين المقاصد والمطالب بلازمات الإيمان مثل "ا أعلم" و"إن شاء ا"[٢]. ويتضح فى الفقرة الأخيرة هذا الانتماء المذهبى إشارة إلى التقية من أحوال الأئمة، والدعوة إلى النبى وآله الطيبين المعصومين المطهرين المكرمين[٣].

وتميل البنية كالعادة فى أصول الفقه الشيعى نحو مباحث الألفاظ والتى لها الأولوية على الأخبار (السنة) والاستصحاب (القياس) والإجماع والنسخ (الكتاب)[٤]. إذ ينقسم الكتاب إلى مقصدين غير متساويين، الأول "فى بيان

---

(١) السابق ص٢٦٧/٢٦٩/٢٧٧.

(٢) السابق ص١٦٦/٢٠٢/٢٢٨.

(٣) السابق ص٢٨٧.

(٤) مباحث الألفاظ (١٦٦)، الاستصحاب وملحقاته (٣٤)، الإجماع (١١)، النسخ (٧).

فضيلة العلم" والثانى "فى تحقيق مهمات المباحث الأصـولية" لصالح الثانى[1]. فالقسمة ثنائية على ما تبدو، نظريـة العلـم وموضوع العلم. الأولى كيف أعلم؟ والثانى ماذا أعلـم؟ ثـم ينقسم المطلب الثانى إلى تسعة مطالب[2]. أكبرهـا الأوامـر والنواهى ثم العموم والخصوص ثم المطلق والمقيد والمجمل والمبين[3]. وهذا يبين أولوية التأويل على النص حتى ولـو كان على حساب الفعل فى العالم والتحقق فى الواقع.

ويعتمد النص على عديد من الشواهد النقلية، الآيـات والأحاديث[4]. ويضم إليها أقوال الأئمة. وأكثرهم اقتباسا أبو عبد ا ثم على ثم الرسول ثم على بن الحسين ثم أبو جعفر ثم أبو الحسن موسى[5]. ومن الأعلام يـذكر أولا الشـريف

---

(١) المقصد الثانى (٢٥٨)، المقصد الأول (٢٧).

(٢) هذه المطالب التسعة هى: ١- مباحث الألفاظ، ٢- الأوامـر والنـواهى، ٣- العموم والخصوص، ٤- المطلق والمقيـد والمجمـل والمبـين، ٥- الإجماع، ٦- الأخبار، ٧- النسخ، ٨- القياس والاستصحاب ٩- الاجتهاد والتقليد، خاتمة فى التعادل والتراجيح.

(٣) الترتيب الكمى كالآتى: الأوامر والنواهى (٦٨)، العمـوم والخصـوص (٥٧)، الأخبار (٤٠)، المطلـق والمقيـد= =والمجمـل والمبـين (٢٦)، الاجتهاد والتقليـد (١٢)، الإجمـاع، القيـاس، الاستصـحاب، التعـادل والتراجيح (١١)، النسخ (٧).

(٤) الآيات (٥٤)، الأحاديث (١٢).

(٥) أبو عبد ا (٢١)، على (٧)، الرسول (٤)، على بن الحسين، أبو جعفر

المرتضى ثم ابن سعيد ثم العلامة الحلى ثم الطوسى ثم الشيخ المفيد، ثم سيبويه من النحاة. وأخيـرا يـذكر أبـو حنيفـة والشافعى وآخرون من الصحابة والتابعين[1]. ومـن الفـرق والطوائف يأتى بطبيعة الحال أولا "الأصحاب"، "أصـحابنا"، "أصحابنا الكلامية"، "جمع من الأصحاب"، "أصحابنا معاشـر الإمامية"، "قديم الأصحاب وحديثهم"، "قدماء الأصحاب" لبيان الانتماء المذهبى علما بأن المذهب قد تطور من القدماء إلـى المحدثين. ثم تأتى العامة، جميعها أو بعضها، قوم أو شرذمة، ثم أهل الخلاف والأئمة المعصومون، ثـم الإماميـة وقدماؤها، والمحققون أكثرهم وجمعهم وجمهورهم وبعضهم،

---

(٣)، أبو الحسن موسى (٢).

(١) المرتضى (٥٦)، المحقق (أبو القاسم بن سعيد) (٤٩)، العلامة (الحلـى) (٤٧)، الطوسى (٣٦)، الرسول، النبى (نبينا) (١١)، الإمـام المعصـوم (٧)، الوالد (والدى) (٦)، ابن زهرة، المعصوم (٥)، المفيد (٤)، إبراهيم (النبى)، سيبويه، الشهيد (٣)، آدم (النبى)، إبليس، ابن البراج، ابن قبـة، الأعرابى، نجم الأئمة، محمد بن حليم، موسى (٢)، ابان بن عثمان، ابـن أبى عمير، ابن ادريس، ابن سيرين، أبو حنيفة، أبو عبد ا أمير المؤمنين (على)، جمال الدين بن طاوس، الجـواهرى، الخليـل، ابـن طـاوس، الحمصى، الشافعى، الصادق، عبد ا بن بكير، ابن عيسى، على بن أبى حمزة، عيسى، الفاضلان، فخر المحققين، فضيل بـن يسـار، الفـراء، الكسائى، الكشى، الكعبى، ابن عمير، ابن خالد، نعيم بن مسعود، ابن أبى فراس، هارون، يزيد بن معاوية (١).

ثم الفقهاء أكثرهم وفقهاء الأمصار و"فقهائنـا" انتمـاء إلـى المذهب، ثم المتأخرون جمهورهم بعضهم وجماعـة مـنهم ومحققوهم، ثم الأصوليون أو بعضهم، ثم جمهـور وعلمـاء الإسلام أو العلماء أو علماء الشيعة الإمامية أو المتقدمين مما يدل على تطور المذهب، ثم الطائفة أو الطائفة المحقة انتسابا إلى الحق واختيارا للفرقة الناجيـة، ثـم الأمـة والتـابعون والمتقدمون أكثرهم أو بعضهم، ثم أهل البيت وأهل العصـر وأهل اللغـة والصـحابة والمتكلمـون وأوائلهـم ومحققـوا المتأخرين والنصارى واليهود من الفرق غيـر الإسـلامية. وأخيرا يأتى أصحاب الحديث والسلف والأنبياء والصـحابة والتابعون والرواة أو بعض الفرق مثل الشيعة والناووسية أو النحـاة أو إصـدار الأحكـام علـى فاسـدى المـذاهب والمعصومين[1].

(١) الأصحاب والمشتقات (٢٨)، العامة والمشتقات (٢٢)، أهـل الخـلاف، الأئمة المعصومون (١٣)، الإمامية= =وقـدماؤها، المحققـون الأكثـر والبعض والجمهور (١١)، الفقهاء والمشتقات، المتـأخرون والمشـتقات (٧)، الأصوليون أو بعضهم (٦)، العلماء أو المتقدمون مـنهم وعلمـاء الشيعة الإمامية وجمهور علماء الإسلام (٥)، الطائفة أو الطائفة المحقـة (٤)، الأمة، التابعون، المتقدمون أكثرهم أو بعضهم (٣)، أهل البيت، أهل العصر، أهل اللغة، الصحابة، المتكلمون أو أوائلهم، محققوا المتـأخرين، النصارى، اليهود (٢)، أصحاب الحديث، الأشاعرة، الأنبياء، البلغاء، بنو

ونظرا لأهمية الرواة فإن لكل فرقة رواتهم التقاة خاصة فيما يتعلق بخبر الواحد الذى يؤيد عقائد كل فرقة. لذلك أفرد بعض محققو متون الشيعة فهرسا لرواتهم[1]. وكـل فرقـة تدعى انها تطبق الجرح والتعديل وعلـم ميـزان الرجـال. والرسول ضمن الرواة راويا. وهم معصومون. لذلك تصـح روايتهم.

فضال، تابعو التابعين، الخاصة، الرواة، رواة الأخبـار، السوفسـطائية، السلاف، الشيعة، الطاطريون، فاسدوا المذاهب، فقهاء حلـب، الفطحيـة، القدماء، القوم، المسلمون أو جمهورهم، مصنفوا الأصـول، المصـوبة، المعصومون، الناووسية، النحاة (١).

(١) أبو عبد ا (عليه السلام) (١٦)، محمد بن يعقـوب (١١)، علـى بـن إبراهيم (١٠)، على بن أبى طالب (أمير المؤمنين عليـه السـلام) (٨)، محمد بن يحيى (٧)، أحمد بن محمد، محمد بن محمد بن النعمـان (٦)، أحمد بن محمد بن الخالد البرقى، الرسول (٥)، أبو جعفر (عليه السلام)، أحمد بن محمد بن عيسى (٤)، ابن أبى عمير، أحمد بن محمد بن سليمان الرازى، سهيل بن زياد، على بن الحسين (عليهما السـلام)، علـى بـن محمد، عدة من أصحابنا، فضل بن شاذان، محمد بن إسماعيل (٣)، أبان بن أبى عياش، ابن محجوب، جعفر بن محمد الأشعرى ، حسن بن علـى الوشاء، حسين بن محمد، حفص بن غياث، حماد بن عثمان، ربعى بـن عبد ا ، سليم بن قيس، عبيد ا بن عبد ا الدهقان، على بن أبى حمزة، على بن الحسين السعدأبادى، عمرو بن أذينة، قاسم بن محمد، محمد بـن على بن الحسين بن بابويه القمى (الشيخ الصدوق)، محمد بـن عيسـى، معاوية بن وهب، معلى بن محمد، المنقرى (٢)، وما يزيد على المائة من رواة يذكر كل منهم مرة واحدة.

ويحيل النص إلى عدد من المتون الأصولية السابقة مثل "النهاية" و"التهذيب" و"الذكرى" و"جواب المسـائل التبانيـات" والقرآن (الكتاب) والشافى وغيرها من المتـون الأصـولية الشيعية[1].

٥- "كفايـة الأصـول" لمحمـد كـاظم الخراسـانى (ت١٣٢٩هـ)[2]. هو متن أقرب إلى المتون الأولى لأهـل السنة والشيعة. يمتـاز بـالتركيز والاقتصـار، والوضـوح والترتيب. كما يستعمل أسلوب القيل والقـال والـرد علـى الاعتراضات مسبقا من أجـل الاتسـاق العقلـى والبرهـان المنطقى مع حصر الأدلة والحجج. لذلك تكثر ألفاظ الوضوح والتجلى والتأمـل والتـدبر والتعـرف والـتفطن والنظـر والمراجعة والتنبيه وعدم الغفلة والتذكر ...الـخ[3]. ويكـون

---

(١) النهاية (١٩)، التهذيب (١٤)، القرآن (الكتاب) (٤)، الـذكرى، جـواب المسائل التبانيات (٣)، الشافى (٢)، البهجة لثمـرة المهجـة، المجهـرة، الخلاصة، الدروس، الرعاية، فوائد على الخلاصـة، القـاموس، كتـب الاستدلال، كتب أصحابنا الكلامية، كتب الفن، المعتبر (١).

(٢) الأستاذ الأعظم المحقق الكبير الأخوند الشيخ محمد كـاظم الخراسـانى (قدس ا سره): كفاية الأصول. تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤١٧ق هـ.

(٣) كما لا يخفى (١٣٥)، فافهم (١٠١)، فتأمل جيـدا (٣٧)، فتـدبر جيـدا (٢٣)، فتأمل، فلا تغفل (١٤)، فتدبر (٩)، فافهم وتأمل جيدا، فتفطن (٦)،

ذلك عادة فى نهاية الفقرة، وأحيانا فى أولها[1]. فكل مراجعة لدليل الهدف منها التوضيح وبيان الأشكال ثم حله[2]. وكما يكون الحكم بالوضوح يكون الحكم أيضا بالفساد والقبح والمعارضة للعقل والنقل[3]. ومسار الفكر منطقى استدلالى طبيعى[4]. ويطالب المؤلف بمشاركة القارئ فى التأمل

فافهم وتأمل، تأمل تعرف، فافهم واغتنم (٣)، فتذكر، فراجع، فراجع وتأمل، فافهم وتدبر جيدا، فلاحظ وتدبر، فانتظر، تحقق ولا تفعل، فلا تغفل وتأمل (٢)، وهناك عبارات أخرى مثل: كما هو أوضح من أن يخفى، كما هو واضح (٥)، على ما عرفت (٤)، فقد اتضح مما حققناه، فنلخص مما حققناه، ولا يخفى ما فيه، حسبما حققناه، كما يظهر وجهه بالتأمل، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان أو إقامة برهان، فافهم فإنه دقيق، وعليك بالتأمل التام، فافهم فإنه لا يخلو من دقة، كما لا يخفى فافهم، كما لا يخفى فتدبر جيدا ...(١). فلا يخفى على المتأمل، لا يخلو من دقة.

(١) ويكون ذلك بألفاظ: كما ترى، تنبيه، فانقدح بذلك، تبصرة لا تخلو من تذكرة، فاعلم، لا يخفى، فافهم وتأمل فإنه دقيق جدا، وانظر لذلك تتمة توضيح. .

(٢) مثل: إن محل الإشكال والتأمل، ويأتى تحقيق الكلام فيه فى غير المقام، كما يظهر بعد النظر والتأمل، فإنه دقيق وبالتأمل حقيق، ولا مانع منه عقلا ولا نقلا، وليس بمتشابه ولا مجمل.

(٣) قد عرفت أنه بمكان من الفساد، وهو فاسد، لا يخلو من تكلف بل تعسف، فإنه بعيد جدا، وتأمل فى نقضه وإبرامه، فليس مما ذكر إلا شبهة فى مقابل البديهة، لا يخلو من قصور، فهو المرجع فيه بلا بينة ولا برهان، وهما قبيحان بشهادة الوجدان، وهم وإزاحة، كما توهم (١).

(٤) كما أفاده، كما تقدم، كما أشرنا، كما مر، كما مر تحقيقه، كما مر آنفا،

والتدبر، فالفكر تجربة مشتركة[1].

وفى نفس الوقت يقوم النص على التجميع والاقتبـاس، وذكر لفظ "انتهى" أو عبارة "انتهى موضـع الحاجـة مـن كلامه"، "انتهى كلامه رفع مقامه" للدلالة على نهاية الاقتباس. لذلك لا يستبعد أحدا، ولا يصدر أحكاما بالإدانة أو التخطئـة أو الكفر الصراح على عادة أهل السنة فى استعمال سـلاح التكفير. ويحمل عددا من ألقاب التعظيم والتفخيم مثل الأستاذ الأعظم والمحقق الكبير. الأخوند الشيخ، قدس سـره. وهـو مثل كل عالم آخر فريد عصـره وأوحـد زمانـه. ونظـرا لتلخيصه الشديد فإنه كـان موضـع عديـد مـن الشـروح والحواشى والترجمات والتعليقات[2].

ويقوم الوعى على بنية ثلاثية محكمة، المقدمة والمقاصد والخاتمة. فقد أدخلت كل موضوعات علـم الأصـول فـى

كما أشرنا إليه آنفا، كما هو معلوم، كما سيظهر، كما هو الظاهر.

(١) وهو كما ترى.

(٢) مثل: الهداية فى شرح الكفاية عبد الحسين بن أسد ا ، الـوجيزة للسـيد محمد الموسوى الكازرونى، نهاية النهاية فى شرح الكفاية لميرزا علـى ابروانى نجفى، حاشية الكفاية لميرزا أبى الحسن مشكينى أردبيلى، حاشية الكفاية لسيد محمد نجف أبادى أصفهانى، الحاشية على الكفاية لمحمد على على قمى، تعليقة وجيزة على الكفاية لسيد حسن يزدى اشكندرى. مهـدى مهريزى: أصول فقه شيعة ص١١٣.

المقاصد. وهى ثمانية: الأوامر، النواهى، المفـاهيم، العـام والخاص، المطلق والمقيد، الامـارات، الأصـول العمليـة، تعارض الأدلة والامارات. أكبرها الأصول العملية وأصغرها المطلق والمقيد[1]. وكل مقصد به فصول. ويمكن ضم هـذه المقاصد الثلاثة فى ثلاثة: مباحث الألفاظ التى تضم الأوامـر والنواهى والمفاهيم والعام والخاص والمطلق والمقيد، والأدلة التى تضم الامارات وتعارض الأدلة والامارات، والتكليـف أى الأصول العملية. وكالعادة فى أصول الفقه الشيعى تتقـدم مباحث الألفاظ على الأدلة، والأدلة على أحكام التكليـف[2]. وذلك يعنى أولوية التأويل على النص وأولوية النص علـى الواقع سواء فى أصول الفقه السنى أو الشيعى.

ويستعمل المتن عددا قليلا من الشواهد النقلية، الآيـات، والأحاديث والأشعار لطغيان التأمل العقلـى والرغبـة فـى الإيضاح الفكرى. والأحاديـث أى الروايـات أكثـر مـن الآيات[3]. ومن أسماء الأعلام يتقدم المرتضى على الرسول،

---

(١) الأصول العملية (١٠٠)، الأوامر (٨٨)، الامارات (٨٠)، تعارض الأدلة (٤٦)، النواهى (٤٤)، العام والخاص (٢٦)، المفـاهيم (٢٢)، المطلـق والمقيد (١٤)، المقدمة (٥٤).

(٢) مباحث الألفاظ (١٩٦)، الأدلة (١٢٦)، التكليف (٨٠).

(٣) الروايات (٦٦)، الآيات (٣٦)، الأشعار (٣).

وعشرات آخرين من أئمة الشيعة باستثناء بعض السـنة[1]. ويحال إلى عديد من المتون الأصولية، فى مقدمتها الأصول. ويندر أن يكون من بينها متن أصولى سنى مثل "الفصـول" و"فواتح الرحموت" و"المستصفى"[2].

---

(١) مرتضى (٨٥)، محمد حسين بن محمد رحيم الطهرانى الحـائرى (٢٤)، محمد (الرسول) (١٥)، أبو القاسم الجيلانى القمى (١٤)، حسن بن زيـن العابدين العاملى الجبعى (٩)، على بن الحسين الموسـوى (٨)، الأئمـة الأطهار، النعمان بن ثابت الكوفى (٦)، حبيب ا الرشتى، الحسـن بـن يوسف الحلى، زرارة، عبد الرحمن العضدى، عثمان بن عمرو المـالكى الحاجى، القائم بحمل ا فرجه، محمد بن الحسين الجبعى العاملى، محمد تقى الأصفهانى (٥)، أبو القاسم الكلانترى، أحمد بـن محمـد الكاشـانى النراقى، محمد بن أحمد الحلى، محمد بن الحسن الطوسى، محمد شريف المازندرانى الحائرى، يوسف بن أبى بكر الخـوارزمى السـكاكى (٤)، أحمد بن محمد الأردبيلى النجفى، الحسين بن عبد ا بن سينا البخـارى، حسين بن محمد الخوانسارى، زين الدين (شـهيدتانى)، السـيد الصـدر (صدر الدين)، عبد ا محمد التونى، المحقق البهبهانى، محمد بن محمـد الطوسى (٣)، وما يزيد على مائة أخرى من الأعلام معظمهم من الشيعة باستثناء أقلية من السنة مثل عيسى بن أبان والغزالى والفارابى وعمر بن أبى بكر المالكى وعبد الجبار والسكاكى والسبكى، ومن الصحابة عثمان، ومن الأصوليين والفقهاء البيضاوى والبصيرى والبـاقلانى والأشـعرى وأحمد بن حنبل وأبو هاشم وأبو موسى الأشـعرى وأبـو حنيفـة وابـن الحاجب والنخعى والآمدى.

(٢) حوالى ١٦٠ متنا أهمها: فرائد الأصول (٧٤)، الفصول (٧٠)، مطـارح الأنظار (٥١)، الكافى (٣٠)، التهذيب (٢٩)، قـوانين الأصـول (٢١)، وسائل الشيعة (٢٥)، بدائع الأفكار، من لا يحضره الفقيه (١٤)، معـالم

وتنتهى بعض الفقرات باللازمات الدينية مثل "إن شـاء ا تعالى"، "الحمد على كل حال"[1].

٦- "فرائـد الأصـول" للشـيخ مرتضـى الأنصـارى (ت١٣٨١هـ ق)[2]. وهو متن مسهب يبدأ سلسلة من المتون المطولة المكونة من عدة أجزاء، حتى ليشمل كل موضـوع جزءا أشبه بمتن "البحر المحيط" للزركشى عند أهل السـنة، كدائرة معارف أصولية. ويصل إلى حد ثمانية أجـزاء فـى

الدين فى الأصول، شرح العضدى على مختصر الأصول (١٣)، عوالى اللآلى، حاشية المصنف على فرائد الأصول، الكنـى= =والألقـاب (٩)، هداية المسترشدين (٨)، الخصال، زبدة الأصول (٥)، عدة الأصول (٤)، الاستبصار، الإيضاح، حقائق الأصول، دعائم الإسـلام، الذريعـة إلـى أصول الشريعة، روضات الجنان، السرائر، شرح الوافية، الفوائد، الفوائد المدنية، مسالك الأفهام، معارج الأصول، المكاسب (٣)، الإبهاج فى شرح المنهاج، أجوبة السيد على مسائل التبانيات، الاحتجاج، أعلام الزركلـى، أعيان الشيعة، أمل الآمل، التبيان، توحيد الصدوق، جامع أحاديث الشيعة، الجوامع الفقهية، الخلاف، الذريعة، الواحد للسيد المرتضى، رسالة قاعدة نفى الضرر، شرح الإرشاد للأردبيلى، طبقات أعـلام الشـيعة، الغنيـة، فواتح الرحموت، كشف الغطاء، مجمع البيان، مجمع الفائـدة والبرهـان، مستدرك الوسائل، المستصفى، مشـارق الشـموس، معـانى الأخبـار، ملاحظات الفريد على فوائد التوحيد، منتهى الدراية، وفيات الأعيان (١).

(١) إن شاء ا تعالى (٤)، الحمد على كل حال (١).

(٢) الشيخ الأعظم أستاذ الفقهاء والمجتهدين الشيخ مرتضى الأنصارى: فرائد الأصول، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم (أربعة أجـزاء)، قـم، الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى ١٢١٤-١٢٨١ ق.

"تحريرات فى الأصول" للشهيد مصطفى الخمينـى. يتميـز بالإسهاب والتطويل، بل إن الموضوع الجزئى قد يشمل عدة أجزاء. وهو الذى يستدعى فيها بعض التلخيص والتركيز .

وقد انعكس ذلك على الأسلوب، أسلوب القيـل والقـال، والرد على الحجج المعارضة داخل أصول الفقـه الشـيعى وليس مع أصول الفقه السنى. كما يقوم على التأمل الذاتى من أجل البحث عن الاتساق الـداخلى دون تعريفـات منطقيـة واضحة. فالأسلوب السيال شىء، والمسار المنطقـى شـىء آخر.

لذلك سادته التأملات النظرية إلى درجة الاتسـاع دون العمق، وكلما اتسع النظر ضاق العمل. وكلمـا أوغـل فـى التأملات النظرية اختفى الواقع العملى بالرغم مـن ظهـور مفهوم الواقع، ولكنه واقع نظرى ولـيس واقعـا عمليـا[1]. وليست المسائل العملية نظرية إلى هذا الحـد بـالرغم مـن التخيير والتجرى والاستصحاب والبراءة الأصلية. والإغراق فى التحليل النظرى فى النهاية ابتعاد عن الواقع العملى. لذلك قال الشاطبى فى "الموافقات" "إن كل مسألة نظريـة لا ينـتج

---

(١) السابق جـ ١٢٦/١.

عنها أثر عملى فوضعها فى أصول الفقه "عارى" أى زائد لا لزوم له.

وهو إسهاب خال من الإبداع يقوم على التجميع والنقـل عن الآخرين والاقتباس من المتون السابقة بعلامـة "انتهـى" لبيان نهاية الاقتباس[1]. وهذا أحد أسباب تضخم العمـل فـى مجلدات أربعة.

ويقترب أحيانا من الأسلوب الشفاهى، الأمالى التى تعود عليها علماء الشيعة فى الحوازات العلمية، وجمعها الطلاب. وهو ليس عيبا فى ذاته فى ثقافة شفاهية سابقة على التـدوين حتى إلى وقت متأخر[2]. لـذلك تظهـر بعـض التعبيـرات الشفاهية مثل "وينبغى التنبيه على أمـور" أو "الكـلام فـى أمور"[3]. وتبدأ بعض الفقـرات بلفـظ "اعلـم". فالأسـلوب

(١) السـابق جـ ١/١٠٢/١٨٦/١٩٤/١٩٥/٢٠٦-٢٠٧/٢٠٩/٢١٧/٤٣٥ ...الخ . جـ٣/٢٣/٩١.

(٢) بل إن معظم مؤلفات هيجل التطبيقية لمنهجـه الجـدلى النظـرى فـى "ظاهريات الروح" و"علم المنطق" محاضرات مثل "دروس فـى تـاريخ الفلسفة"، "دروس فى فلسفة التاريخ"، "دروس فى فلسفة الـدين"، "دروس فى علم الجمال".

(٣) فرائـد الأصـول جـ ١/٣٧/٤٣٧ ، جـ ٢/٩٣/١٢٧/١٤٩/ ٣٠١/٣٦١/٤٣٣، جـ٣/١٣/١٩١.

الشفاهى فى حاجة إلى متكلم ومخاطب[1].

ويتوجه مسار الفكر إلى الداخل وليس إلـى الخـارج، والرد على الاعتراضات من الداخل ولـيس مـن الخـارج. فالحوار مع النفس وليس مع الآخر.

وقد اتسم المتن بالنمنمات الجزئية دون الرؤية الشـاملة للموضوع، والتوهان فى الجزئيات دون تركيز على الكليات بالرغم من التذكير بمسار الفكر أحيانا فى آواخر الفصول[2].

ويغرق المتن فى الروايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أكثر من الأحاديث المتواترة عند أهل السنة. ويستوى الشيعة والسنة فى كثرة ألقاب التعظيم والتمجيـد والتقـديس، ويتم التحول من "رحمه ا " إلى "قدس ا روحه" أو "قـدس سره"، ومن "رضى ا عنه" إلى "عليه السلام". ويدل تعظيم الأئمة فى كلتا الحالتين على تقدير العلم والعلمـاء. والإمـام المعصوم قطب الرحى فى الرواية والإجماع. وما يتصف به من تقية وغيبة ورجعة رد فعل على المدلس فـى الروايـة

---

(١) السابق جـ ١/٢٥/٣٢/٦٧/١٦٦.

(٢) مثل "ولنذكر أولا ما يمكن أن يحتج به القائلون بالمنع ثـم نعقبـه بأدلـة الجواز"، السابق جـ ١/٢٤١، "لمـا سـيجىء مـن الأدلـة"، السـابق جـ ١/٢٥١، جـ ٣/٢٥٣.

والمزور فى الإجماع.

وتنتهى كثير من الفصول والفقرات باللازمات الدينيـة المعهودة مثل "إن شاء ا تعالى" و"ا العالم"(١).

وتظهر بعض المفاهيم الأصولية عند الشيعة مثل القطع والظن والشك والاستصحاب والتجـرى ومنجزيـة العلـم، والفتوائية وأصالة البراءة، والاشتغال، والاحتياط والتخييـر، والاحتياط، والانسداد، والامارات، والحجيـة، والحكومـة، والرجالية، والصدور، والأجـزاء، والشـهرة، والتسـامح، والمحصورة وغير المحصـورة، والمانعيـة، والقاطعيـة، والظنية، والركنية، وقاعدة الفراغ والتجاوز، وقاعـدة اليـد ...الخ. بالرغم مما قد يبدو من تعارض بين بعضها الـبعض مثل التجرى والبراءة الأصـلية. وأيضـا مثـل الفقهـانى، والانحصار، ومجارى الأصول، والاسـتحباب، والتوليديـة، وهناك بعض المشاكل الخاصة بأصول الفقه الشـيعى مثـل الخلاف بين الإخباريين والاجتهاديين. وهو ما يعـادل عنـد أهل السنة التقابل بين النقل والعقل، وبين المأثور والمعقول، وبين الأثر والرأى، وبين الرواية والدرايـة كأحـد آليـات

---

(١) السابق جـ ٢٩٥/١، جـ٣٨٦/٣.

الإصلاح فى العصر الحديث.

ويحاور النص المعاصرين أكثر مما يحاور القدماء فـى التراث الأصولى الشيعى. ويعتمد على المصادر الشيعية أكثر مما يعتمد على المصادر السنية. ويغوص فى أصول الفقـه الشيعى، مفاهيمه وأصوله وقواعده أكثر من اللحاق بالأصول الأولى للشافعى والجصاص والكرخى والبزدوى عند السنة، وأصول الطوسى والمفيد والمرتضى عند الشيعة، حيث يبدو علم الأصول فى المذهبين من حيث القواعد علما واحدا قبـل أن ينشغل علم الأصولى الشيعى بالانفراد من أجل تصـحيح مسار التاريخ وليس التشريع، تحريك الأمر الواقـع ولـيس تثبيته، العودة إلى الاحتمالات ضد التقنـين، والـدخول فـى الذاتية ضد الموضوعية، والتأويل فى مقابل التنزيل.

ولأول مرة يعاد بناء العلم كله على أسس معرفية نظرية فى حين أن علم أصول الفقه هو تأسيس العمل وليس تأسيس النظر. إذ يقوم العلم على ثلاثة مقاصـد: القطـع، والظـن، والشك بالإضافة إلى مقدمة عن الأصول العملية وخاتمة عن التعارض والتراجيح. بل إن الاستصحاب نفسـه وهـو مـا يرتكز عليه أصول الفقه الشيعى إنما يدخل فى هـذه البنيـة

الثلاثية المعرفية. فالمكلف إذا ما التفت إلى الحكم الشـرعى يحدث له الشك أو القطع أو الظن، طرفان ووسط. والمرجع فى الشك إلى القواعد الشرعية وهى الأصول العملية. وهـى منحصرة فى أربعة احتمـالات. الاستصـحاب فـى حالـة ملاحظة الشك، والثانى البراءة إذا كان الشك فـى التكليـف، والثالث الاحتياط إن لم يكن الشك فـى التكليـف، والرابـع التخيير[1]. والأولية للظن على الشك، وللشك على القطع من أجل القضاء على قطع السلطان والشك فيه وإيجاد البـدائل. فالكل ظنون وليس ظن السلطان الذى حوله إلى قطع بـأولى

---

(١) "أعلم أن المكلف إذا التفت إلى حكم شرعى فإما أن يحصل له الشك فيـه أو القطع أو الظن. فإن حصل له الشك فالمرجع فيه هى القواعد الشرعية الثابتة للشاك فى مقام العمل. وتسمى بالأصول العملية. وهى منحصـرة فى أربعة لأن الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السابقة أم لا. وعلى الثـانى فإما أن يمكن الاحتياط أم لا. وعلى الأول فإما أن يكون الشك فى التكليف أو فى المكلف به. فالأول مجرى الاستصحاب، والثانى مجرى التخييـر، والثالث مجرى أصالة البراءة، والرابع مجرى قاعدة الاحتياط. وبعبـارة أخرى، الشك إما أن يلاحظ فيه الحالة السـابقة أو لا. فـالأول مجـرى الاستصحاب. والثانى إما أن يكون الشك فيه فى التكليـف أولا. فـالأول مجرى= =أصالة البراءة. والثانى إما أن يمكن الاحتياط فيه أو لا. فالأول مجرى قاعدة الاختيار، والثانى مجرى قاعدة التخيير. ومـا ذكرنـا هـو المختار فى مجارى الأصول الأربعة. وقد وقع الخلاف فيها. وتمام الكلام فى كل واحد موكول إلى محله. فالكلام يقع فى مقاصد ثلاثة: الأول فـى القطع، والثانى فى الظن، والثالث فى الشك"، السابق جـ ٢٥/١-٢٦.

من ظنون معارضى السلطان.

ويكون التأسيس على المعرفـة الشـعورية الخالصـة وأنماط الاعتقاد، القطع والظن والشك. والظن أكبرهـا ثـم الشك، والقطع أقلها لأنه صعب المنال[1]. وفى مقاصد الشك يتم الإعلان عن البراءة والاشـتغال دون تناولهمـا. ويـتم عرض باقى موضوعات علم أصول الفقه من خـلال هـذه البنية الثلاثية المعرفية مثل مباحث الألفاظ والأدلة الشـرعية الأربعة. والقطع لا ينقسم إلى موضوعات بل يضـم مجـرد مباحث عن التجرى والقطع الحاصل من المقـدمات العقليـة وقطع القطاع والعلم الإجمالى. فى حين أن الظن ينقسم إلـى مقامين: إمكان التعبد بالظن ووقوع التعبد بالظن. كما يتضمن الأدلة الثلاثة الأولى، الكتاب والسنة والإجماع ممثلـة فـى حجية ظواهر الكتاب وقوله اللغـوى، والإجمـاع المنقـول وحجية الشهرة الفتوائية وخبر الواحد ومطلق الظـن ودليـل الانسداد، وكون الظن جابرا أو موهنا أو مرجحا. ويتضـمن الشك الشك فى نفس التكليف، والشك فى المكلف به. ويضـم الأول الشبهة التحريمية، والشبهة التحريميـة الموضـوعية،

---

(١) الظن (٥١٦)، الشك (٤٦٨)، القطع (٧٤).

والشبهة الوجودية، والتمييز بين أدلة البراءة وأدلة الاحتياط. ويتضمن الثانى الشبهة المحصورة وغير المحصورة، ودوران الأمر بين المتباينين، وبين الأمر والأكثر، وبين المحذورين فى الشك الأول. وتضم الخاتمة، العمل بالأصل وقاعدة لا ضرر ولا ضرار. والمقام الثانى فى الشك هو الاستصحاب دون أن يكون أصلا مستقلا، أخباره، والأقوال فى حجيته، وشرائط العمل به، والتنبيه عليه، والتعارض بين الاستصحابين أو بينه وبين سائر الامارات والأصول، بالإضافة إلى قاعدة الفراغ والتجاوز، وأصالة الصحة فى فعل الغير. وتضم الخاتمة "فى التعادل والتراجيح" قاعدة "الجمع مهما أمكن أولى من الطرح"، والتمييز فى الأدلة بين المتكافئين والراجح والمرجوح، والأخبار العلاجية التى يتم بواسطتها الجمع، والمرجحات المنصوص عليها، وأنواع المرجحات الداخلية والخارجية والدلالية، ثم الترجيح بموافقة الأصل.

ونظرا لهذا التأمل الداخلى تقل الأدلة النقلية، الآيات والأحاديث، والأحاديث أكثر[1]. ويعتمد النص على روايات

---

(١) الأحاديث (٤٧٠)، الآيات (١٢٨).

الشيعة التى تسمى "الروايـات الموصـوفة" والتـى تعـادل الإصحاحات الخمسة عن أهل السنة وهى الصحيحة، وفـى مقدمتها روايات زرارة، والحسنة وفى مقدمتها رواية حسـنة بن المغيرة، والموثقة مثل موثقة ابن أبى يعفـور وعمـار، والمقبولة وهى التى تضم روايات مقبولة عمر بن حنظلـة، والمكاتبة مثل القاسانى، والمرسـلة مثـل مرسـلة الفقيـه، والمرفوعة مثل زرارة، والروايات مثل النبوى وعبد الأعلى مولى آل سام وأبان بن تغلب وأبـى بصـير وحفـص بـن عياث[1]. ومن الأنبياء والأئمة المعصومين، الإمام على ثـم النبى ثم الأئمة ثم أبو عبد ا ثـم رسـول ا ثـم الإمـام الصادق. وقد يأخذ الرسول أكثر مـن لقـب. فهـو النبـى والرسول ونبينا ونبيه ومحمد. كما يأخذ على أكثر من لقب. فهو الإمام وأمير المؤمنين والوصى. ويأخذ آل النبى أكثـر من لقب، آل محمد، وأهل العترة، وأهل البيت، وأهل الذكر، والحجج المصـومون، والأئمـة، وأهـل بيـت الوصـى، والأوصياء، مع الدعوة لبعض الأئمة بأن يعجل ا فرجها[2].

---

(١) مجموع الرواة الثقاة عند الشيعة (٦٨).

(٢) مجموع المعصومين (٥٧): الإمام (١٤٣)، (٦٧)، الأئمة (٥١)، أبو عبد ا (٤٨)، رسـول ا (٣٧)، الإمـام الصـادق (٢٤)، محمـد (٢٠)،

فقد أسرها الظالمون وهو يقاوم الظلم.

ويذكر عدد آخر من الرواة فى مقدمتهم زرارة ثم محمد بن مسلم ثم ابن أبى يعفور ومئات من الرواة الثقات لا يروى عنهم أهل السنة[1].

المعصوم (١٩)، أمير المؤمنين (١٧)، أبو جعفر (١٦)، نبينا (١١)، الإمام على (١٠)، عيسى بن مريم (٩)، الإمام الرضا (٨)، آل محمد (٧)، أهل البيت، أهل الذكر، أبو الحسن الرضا، أبو الحسن (٦)، الوصى (على)، جعفر بن محمد، العسكرى (٥)، نبيه، الحجة (الإمام)، الأنبياء، موسى بن عمران (٤)، أئمتهم، الإمام الباقر (٣)، الحجج المعصومون، الحسين بن على، العبد الصالح، العالم (الإمام الرضا)، الإمام عجل ا فرجه (٢)، أحمد، بعضهم، الأوصياء، أهل بيت الرسول، أهل بيت الوصى، أمناء النبى، أوصياء النبى، العشرة الطاهرة، المعصومون، الصادقون، ولى ا ، فاطمة، الإمام الحسن، على بن الحسين، محمد بن على، الإمام الجواد، أبو الحسن الثالث، أبو محمد (العسكرى)، الصاحب عجل ا فرجه، ذو الكفل، شعيب، يحيى، يوسف، جبريل (١).

(١) الرواة (١٢٩): زرارة (٣٩)، محمد بن مسلم (١٢)، ابن أبى يعفور، عبد ا مولى آل سام (٧)، أبان بن تغلب، أبو بصير، عمار الساباطى، عمر بن حنظلة (٦)، عبد الرحمن بن الحجاج (٥)، يونس بن عبد الرحمن، ابن المغيرة، جميل بن دراج، حفص بن غياث، على بن جعفر، ابن حنظلة (٤)، ابن بكير، أبو اسحق الارجائى، إسماعيل بن جابر، الجعفى، سماعة بن مهران، العمرى، الفيض بن مختار، الكناسى، مسعدة بن صدقة، هشام بن الحكم (٣)، ابن مسلم، ابن يعقوب، أبو القاسم الحسين بن روح، أبو محمد، أحمد بن اسحق، أحمد بن محمد، البزنطى، حمزة بن الطيار، داود بن الحصين، الزهرى، سليم بن قيس، عبد ا بن سنان، على بن إبراهيم، القاسانى، القمى، محمد بن عبد ا ، محمد بن على،

ومن أسماء الأعلام يتقدم الطوسى ثم الحلى المؤسسان مع المفيد لعلم أصول الفقه الشيعى، ثم المرتضى، ثم الشهيد الأول. ثم يتوالى باقى الأصوليين مثل الخوانسارى والقمى والسبزاورى والطبطبائى وغيرهم. ويظهر الغزالى وأبو حنيفة وسط أعلام الشيعة كجزء من علم الأصول الجامع للفرق. ويسمى العلم باسم مؤلفه مثل: صاحب الفصول، صاحب القوانين، صاحب الذخيرة، صاحب المسالك، شارح المختصر، وصاحب الزبدة، وصاحب الوافية ...الخ. ويختلط الاسم باللقب مثل الفاضلان، المشايخ الثلاثة، الشهيد الأول، الشهيد الثانى، الصدوق، الأستاذ، أمين الإسلام، فخر الدين...الخ[1].

السمعى، النعمان بن بشير (٢)، ومئات آخرون (٩٨).

(١) الطوسى (١١٧)، المحقق الأول (الفاضلان) (٧٣)، العلامة الحلى (٧١)، المرتضى (٦٠)، الشهيد الأول (٣٦)، الخوانسارى (٢٧)، القمى (أبو القاسم) (٢٥)، الشيخ حسن (نجل الشهيد الثانى) (٢٢)، السيد الصدر (٢٠)، المرتضى (١٨)، الحلى (١٧)، المفيد (١٦)، الصدوق، المحقق الثانى (١٥)، الشهيد الثانى، الشهيدان (١٤)، البهائى، صاحب المدارك، الفاضل التونى (١٣)، العضدى، الفاضلان (١٢)، الاسترابادى، الغزالى (١١)، السبزاورى، شارح الوافية، صاحب الحدائق (١٠)، البحرانى، صاحب الفصول، الطبطبائى (٨)، صاحب الوافية، المجلسى (٧)، ابن زهرة، ابن قبه، صاحب القوانين (٦)، أبو حنيفة، أبو المكارم، إسماعيل بن أبى عبد ا ، البهبهائى، الحاجبى، السيدان (المرتضى وابن زهرة)،

ومن الجماعات يتقدم العلماء ثم جماعـة مـن العلمـاء تقديرا للعام والعلماء، ثم الأصحاب ثم العقلاء مما يدل علـى إمكانية الجمع بين المذاهب باسم العقـل، ثـم الإخبـاريون التقليديون فى صراعهم مع الاجتهاديين. لذلك كان الحـوار قائما بين القدماء والمحدثين، بين المتقـدمين والمتـأخرين. ويظل الحديث متأرجحا بين مـذهبنا، أصـحابنا، علمائنـا، مشايخنا، فقهائنا وبين الصحاب والعلماء والمشايخ والفقهـاء والأصوليين والعقلاء والمتأخرين والمتقدمين والمعاصـرين وأهل اللغة وأهل اللسان وعلماء الإسلام وأصـحاب الجماـة وأهل الشرائع وأصحاب الحديث والأنصار وأهـل الخبـرة وأهل العرف وأهل النار والمحققـون والمتكلفـين الـذين لا ينتسبون إلى مذهب معين والذى يدل على إمكانيـة تجـاوز

شارح الدروس، شارح المختصر، الطبرسى، الطوسى، العاملى (٥)، ابن الوليد، الأردبيلى، التفتازانى، سمرة، صاحب الزبدة، فخر الدين، الكشى، الكلينى (٤)، الاحسائى، الأستاذ، سعد بن عبـد ا ، صـاحب الرسـالة، صاحب الرياض، على بن بابويه، كاشف غطاء (٣)، ابن ادريس، ابـن طاوس، أبو بكر، امين الإسلام، الجزائرى، صاحب الـذخيرة، صـاحب المسالك، علم الهدى، قطب الدين، كاشف اللثام، الكاظمى، المشايخ الثلاثة (الكلينى، الصدوق، الطوسى)، المغيرة بن سعد، المفيد الثانى، النجاشـى (١) .

المذاهب[1].

ومن ضمن الجماعات المذكورة مرة واحـدة جماعـات العلم واللغة واللسان والعلم والدين تعظيما للعلمـاء بصـرف النظر عن المذهب وتقديرا لعلماء مذهب بعينه هـو مـذهب الإمامية. وهم علماء الاجتهاد والاستدلال والنظـر والفتيـا الذين جمعوا بين المعقول والمنقـول. وهـم أهـل الحـق، متفرقون فـى الأمصـار والأعصـار. مـنهم المتقـدمون والمتأخرون، القدماء والمعاصرون. وقد تكون المعاصرة مع

---

(١) العلماء (١٠٧)، جماعة من العلماء (٨٣)، الأصـحاب (٦١)، العقـلاء (٥٥)، الإخبـاريون (٥٢)، بعـض العلمـاء (٤٣)، أصـحابنا، بعـض المعاصرين (٢٤)، بعض العلماء (٣٢)، المتأخرون (١٨)، الفقهاء (١٧)، القدماء (١٦)، أصحاب الأئمة (١٤)، أهل اللسان (١٣)، الأصوليون (٨)، أهل العلم (٧)، أهل الكتاب، بعض الأصحاب، بعض مشايخنا، المحققون، المعاصرون (٦)، بعض الأساطين، بعض أصـحابنا، علمـاء الإسـلام، علماؤنا، =المجتهدون، جماعة من متأخرى المتـأخرين، القميـون (٥)، أصحاب الجملة، بعض المتأخرين، بعض من عاصـرنا، جماعـة مـن الأصحاب، بعض المحدثين، الصحابة، علماء الشيعة، العوام، اللغويـون، متأخرو المتأخرين، من تأخر عن الشيخ (٤)، أهل الشرائع، بعض سـادة مشايخنا المعاصرين، بعـض متـأخرى المتـأخرين (٣)، الأشـعريون، أصحاب الحديث، الأنصار، أهل الخبرة، أهل العرف، أهل النار، بعـض غفلة أصحاب الحديث، بعض المحققين من المعاصـرين، جماعـة مـن الأصوليين، الخراسانيون، علماء جميع الأعصار، علماؤهم، فقهاء أهـل البيت، فقهاؤنا، المتكلمون، المحدثون، مشايخنا.

علم من الأعلام، الفارق فى التاريخ، من يأتى قبله أو بعده، من يلحق به أو يفوته[1].

---

(١) أرباب العلوم، أصحاب الكتب المشهورة، أهل العلم، من العقلاء، من العلماء، (بعض الفضلاء السادة، بعض الفقهاء، أمة محمد، أخوة يوسف، الأنصار، عوام امتنا، المؤمنون، بعض الأمة، بعض أهل الكتاب، بعض السادة الفحول، بعض السادة الاجلة، بعض الفضلاء، الصلحاء، الصحابة)، أرباب اللسان، من أهل اللغة، الأصوليون، علماء الأصول، فحول الأصوليين، الأطباء، فحول العلماء، أهل الاستدلال، أهل عصر الاجتهاد، أهل الفتاوى، أهل الفتاوى المأثورة، أهل الفتوى، أهل الفن، أهل المعقول والمنقول، أهل النظر، من المجتهدين، من المحققين، أهل الأسواق، بعض القدماء، بعض متأخرى المتأخرين، بعض متأخرى المتأخرين من المعاصرين، بعض المتأخرين، بعض المحدثين، بعض المعاصرين من الأصوليين، بعض معاصريه، بعض من تأخر عن العلامة، عن كاشف الغطاء، عن السيد أبى المكارم، بعض من قارب عصرنا، من الفحول، جماعة ممن تأخر عن العلامة، ممن تأخر عنه، ممن تقدم عليه، من القدماء، من القدماء المتأخرين، من متأخرى المتأخرين، من المعاصرين، من قارب عصرنا، علماء الأعصار، قدماؤنا، متأخرو الإخباريين، متأخرو الإمامية، المتقدمون، مشايخنا المعاصرون، المعاصرون، من تأخر عن الشيخ، أصحاب أبى الخطاب، أصحاب أبى جعفر، أصحاب الصناعات، أصحاب الصادقين، أصحابنا، أصحابه، أفاضل علمائنا، بعض فقهائنا، بعض من وافقنا، من الإمامية، رواة أصحابنا، رؤساء المذاهب، العصابة، علماء المذهب، علماء الميزان، علماؤنا، فقهاء الشيعة، فقهاء العامة، فقهاء المسلمين، فقهاؤهم، المستسلمون من سبقونا، المستضعفون، بعض شراح الوافية، بعض شراح الوسائل، بعض محشى الروضة، أهل الحق، أهل الجنة، أهل الشرائع، بعض المدققين، بعض المشايخ، جماعة أهل العدل، من أجلاء الرواة، من

ومن البلدان يتقدم العراق دون خصومة أو ضغينة. ولا تتجاوز خراسان باقى مدن العراق، بغداد والبصرة والنجف، والحجاز، ومكة والمدينة، واليمن[1]. كما يرتبط علم الأصول بالبيئة الحيوانية العربية، الكلاب، والغنم إيجابا، والخنزير سلبا[2].

ومن المذاهب والفرق والطوائف تتقدم العامة مما يدل على دور العامة فى تكوين المادة الأصولية قبل الشرع والشريعة والإسلام والمسلمين بل وقبل المذهب كالإمامية والشيعة وقبل تنظير الخاصة فى مذاهب وقبل المؤمنين والكافرين، اليهود والنصارى وأهل الكتاب، وقبل الأشاعرة والشافعية من أهل السنة، والغلاة من الشيعة، وقبل انقسام

الإخباريين، النقلة الأفاضل، أهل الباطل، أهل الظنون الخاصة، أهل الوسوسة، بعض من لا خبرة له، بعض من لا تحصيل له، أهل البصرة، أهل خراسان، أهل الشام، أهل الكوفة، أهل المدينة، أهل مصر، أهل مكة، الخراسانيون، علماء المدينة.

(١) العراق (٤)، بغداد، البصرة، الكوفة، مكة، المدينة، اليمن، النجف، الشام، خراسان (١).

(٢) الكلاب (٦)، الغنم، البهائم، الخنزير (٥)، الحمار، الذباب، الفأر، الحيوانات (٣)، الدابة، دود القز، الطير، الطيور (٢)، البق، الحشار، الحشرات، الحيوان غير المأكول، الديدان، السبع، الشاة، الطائر، العصفور، الغراب، الفرس (١).

الأمة شيعا وطوائف خوارج ومرجئة وحشوية ...الخ[1].

ويحال إلى عديد من المتون الأصولية السابقة كبداية للتراكم التاريخى[2]. ويأتى فى المقدمة بطبيعة الحال الكتاب

---

(١) العامة (٧٥)، الشرع (٦٦)، المسلمون (٣٦)، الشريعة (٣٤)، الإسلام (٢٩)، الإمامية (٢٦)، الشيعة (٢١)، الخاصة (١٩)، المؤمنون، اليهود (٧)، الطائفة، الكفار، بنو فضال (٦)، أهل الكتاب (٥)، مذهب العامة، الفريقان (العامة والخاصة)، الشافعية، المقلدة (٣)، المذهب، الأشاعرة، الغلاة، الفطحية، المجبرة، الواقفية، النصارى، قريش (٢)، دين الإسلام، شريعة سيد المرسلين، الحنيفية، النصرانية، الإمامية، مذهب أهل الحق، مذهب الخاصة، مذهب المخطئة، الأمة، أمة النبى، الطائفة المحقة، الحشوية، الحقية، الحنفية، الخوارج، الكافرون، المشركون، العرب، بنو أمية، بنو سماعة (١) .

(٢) الكتاب، كتاب ا (١٣٥)، القرآن (٣٣)، العدة (٥٢)، معارج الأصول (١٩)، معالم الدين فى الاصول، تذكرة الفقهاء (١٨)، نهاية الوصول (١٧)، مسالك الأفهام (١١)، الغنية (١٠)، المعتبر (٩)، الكافى، ذكرى الشيعة (١٣)، تحرير الأحكام (٨)، عوالى اللآلى، السرائر، الاحتجاج (٧)، الحدائق، الخلاف للطوسى، الوسائل (٦)، الاستبصار، بحار الأنوار، شرح الوافية للسيد الصدر، محاسن البرقى، شرح الوافية، مشارق الشموس (٥)، الباب الحادى عشر، جامع المقاصد، التذكرة بأصول الفقه، تفسير العياشى، الخصال، الذريعة لأصول الشريعة، قوانين الأصول، مجمع البيان، نوار الحكمة، الوافى فى شرح الوافية، الوافية (٤)، تمهيد القواعد، حاشية الشرائع، الدروس، ذخيرة الحصاد، الغيبة، مدارك الأحكام، منتهى الطلب (٣)، الأربعون حديثا للبهائى، أمالى المفيد الثانى، بصائر الدرجات، البيان، التوحيد، حاشية شرح المختصر، الحبل المتين، الدرر النجفية، الرحمة، رياض المسائل، زبدة الأصول، شرائع الإسلام، شرح التهذيب، الصحاح، عيون أخبار الرضا، الفوائد المدنية،

وكتاب ا والقرآن باعتباره المصدر الرئيسـى للعلـم، ثـم "العدة"، ثم "معارج الأصول"، ثم "معالم الدين فى الأصـول" و"تذكرة الفقهاء" و"نهاية الوصول" وعشـرات أخـرى مـن المتون فى الفقه والتوحيد(١).

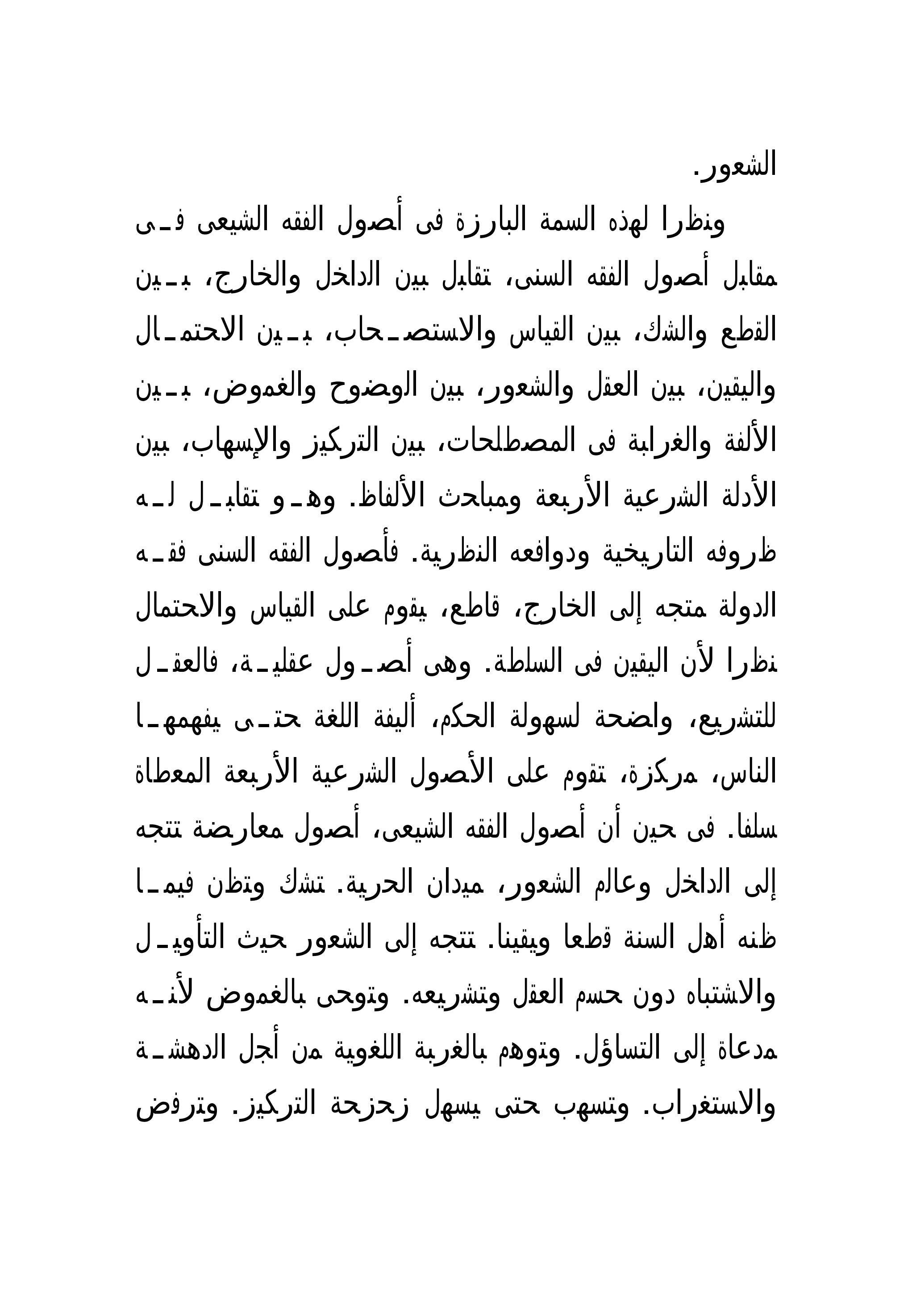
٧- "أصول الفقـه" للشـيخ محمـد رضـا المظفـر (ت١٣٩٥هـ ق)(٢). وهو كتاب تعليمى مدرسى يخلو مـن أى موقف، ولا يحاجج أى مذهب أو اتجاه، تجريدى نظـرى خالص، هادئ وواثق، لا ينفعل بشىء، ويكتفـى بـالعرض النظرى الفلسفى الخالص. بل يخلو من الأمثلـة الفقهيـة أو الواقع المعاصر، وهو ابن الثورة الإسلامية. وكان بالإمكـان التحول إلى أصول فقه الثورة خاصـة بعـد الحـديث عـن المغصوب فى الفقه القديم(٣). ومع ذلك يبدو منطق الاستدلال من تحليل بعض الألفاظ المميزة مثـل: اسـتدلال، نتيجـة، إبطال، تولید، زيادة إيضاح، دفع وهم ، تنبيه، وباقى ألفـاظ

قواعد الأحكام، القواعد والفوائد، الكتب الأربعة، المبسوط، مجمع الفائـدة والبرهان، من لا يحضره الفقيه.

(١) حوالى سبعين متنا أصوليا.

(٢) المرحوم الشيخ محمـد رضـا المظفـر: أصـول الفقـه، منشـورات الفيروزبادى، قم (د.ت).

(٣) السابق ص٢٦٥.



الشعور.

ونظرا لهذه السمة البارزة فى أصول الفقه الشيعى فى مقابل أصول الفقه السنى، تقابل بين الداخل والخارج، بين القطع والشك، بين القياس والاستصحاب، بين الاحتمال واليقين، بين العقل والشعور، بين الوضوح والغموض، بين الألفة والغرابة فى المصطلحات، بين التركيز والإسهاب، بين الأدلة الشرعية الأربعة ومباحث الألفاظ. وهو تقابل له ظروفه التاريخية ودوافعه النظرية. فأصول الفقه السنى فقه الدولة متجه إلى الخارج، قاطع، يقوم على القياس والاحتمال نظرا لأن اليقين فى السلطة. وهى أصول عقلية، فالعقل للتشريع، واضحة لسهولة الحكم، أليفة اللغة حتى يفهمها الناس، مركزة، تقوم على الأصول الشرعية الأربعة المعطاة سلفا. فى حين أن أصول الفقه الشيعى، أصول معارضة تتجه إلى الداخل وعالم الشعور، ميدان الحرية. تشك وتظن فيما ظنه أهل السنة قطعا ويقينا. تتجه إلى الشعور حيث التأويل والاشتباه دون حسم العقل وتشريعه. وتوحى بالغموض لأنه مدعاة إلى التساؤل. وتوهم بالغربة اللغوية من أجل الدهشة والاستغراب. وتسهب حتى يسهل زحزحة التركيز. وترفض

السجن داخل المصادر الشرعية الأربعة وتنطلق فى رحـاب اللغة والأصول العملية.

والبنية رباعية تدور حول أربعة مقاصد: الأول مباحث الألفاظ، والثانى الملازمات العقلية، والثالث مباحث الحجـة، والرابع الأصول العملية. وأكبرها الثالث مباحث الحجـة[١]. وتشمل مباحث الألفاظ: المشـتق، والأوامـر، والنـواهى، والمفاهيم، والعام والخاص، والمطلـق والمقيـد، والمجمـل والمبين، وأكبرها الأوامر ثم العـام والخـاص وأصـغرها النواهى[٢]. والملازمات العقلية تنقسم إلى قسمين، المستقلات العقلية، وغير المستقلات العقلية، والثانية أكبر[٣]. ومباحـث الحجة تتضمن ما يعادل الأدلة الشرعية الأربعة عنـد أهـل السنة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس بالإضافة إلى بعض فروعها مثل الدليل العقلـى والشـهرة والسـيرة والتعـادل والتراجيح وهو أكبرها[٤]. فالتأويل هنا هو ركيزة البنية. وله

(١) مباحث الحجة (١٩٦)، الملازمات العقليـة (١٣٤)، مباحـث الألفـاظ (١١٦)، الأصول العملية (٥٢).

(٢) الأوامر (٣١)، العام والخاص (٢٤)، المفاهيم (٢٣)، المطلـق والمقيـد (١٨)، المجمل والمبين (٩)، المشتق (٥)، النواهى (٤).

(٣) غير المستقلات العقلية (٩٥)، المستقلات العقلية (٢٤).

(٤) التعادل والتراجيح (٤٦)، السنة (٢٨)، الإجمـاع (٢٦)، القيـاس (٢٠)،

الأولوية على النص والواقع. ابتلعت الذاتيـة الموضـوعية. واختفى الوجود فى المعرفة.

وفى الشواهد النقلية تغلب عليـه الآيـات أكثـر مـن الأحاديث، ويأتى الشعر على استحياء إذ أن التجربة الشعرية تجربة انسانية عامة مثل الوحى[1]. وهـى تجربـة شـعرية عربية لا فرق بين عرب وعجم.

وبتحليل الأسلوب ومسار الفكر يتضح التركيـز علـى النتيجة ثم تتساوى الألفاظ، الإيضاح وانتفاء السـر، ودفـع الوهم، وبيان المقصود، ونهاية الاسـتغراب. وبعـد التنبيـه والتحقيق وتبديد الوهم يظهر المختار فـى المسـألة. وتـتم مخاطبة القارئ للاحتفاظ به. وأثناء مسار الفكر يـتم البيـان والإيضاح والشرح والتعبير بعدة عبارات. والتنبيـه علـى مواطن الزلل[2]. ومع ذلك تظهـر علـى اسـتحياء بعـض المصطلحات الأصولية الشيعية الخاصة مثل الدليل الفقهائى،

حجية الظواهر (١٨)، السيرة (٦)، الكتاب ، الدليل العقلى، الشهرة (٥).

(١) الآيات (٧٥)، الأحاديث (٣٣)، الشعر (٣).

(٢) الحاصل (٦)، الخلاصة (٥)، السر فى ذلك، وتوضيح ذلك (٤)، النتيجة (٣)، زيادة إيضاح، هم ودفع، تنبيه وتحقيق، وتمهيد وتنبيـه، وبعبـارة أوضح، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان، والسر واضـح، توضـيح التوهم، والجواب الصحيح ...الخ (١).

والجهتى، والمقدمية، والطريقية ...الخ[1].

ويتم إبراز مراحل الفكر وتطوره المنطقى وتمفصلاته، وإحالة السابق إلى اللاحق، واللاحق إلى السابق[2].

وأسماء الأعلام كثيرة تتراوح بـين أصـوليى الشـيعة ورواتهم. فمن الأصوليين يتقدم الأنصارى، ثم النائينى، ثـم الطوسى، ثم الآخوند، ثم الشريف المرتضـى، ثـم القمـى والكاظمى، ثم صاحب الكفاية وصاحب الفصول نسـبة إلـى مؤلفاتهم، وعشرات آخرين من علمـاء الأصـول[3]. ومـن رواتهم وثقاتهم وعلمائهم أصحاب الإصحاحات والموثوقـات يتقدم زرارة، ثم ابن عبد ا وابـن إدريـس والطبرسـى، وعشرون آخرون مثل محمد بن مسلم والصادق وإسـماعيل الصدر، والحلى، والمجلسى، والكراكجى، وابن طاوس، وابن

---

(1) الدليل الفقهائى، أصول الفقه ص٦، الجهتى ص٤٦٧، المقدمية ص٢٣٣، الطريقية ص٣٠٨.

(2) التمفصلات (١٢)، إحالة السابق إلى اللاحق والعكس (١٠).

(3) الشيخ الأنصارى (١٦)، شيخنا المحقق الكبير النائينى (٩)، الشيخ (١٠)، الطوسى (٨)، شيخ أساتذتنا= =الآخوند (٧)، السيد الشـريف المرتضـى (٦)، القمى، الكاظمى (٣)، الكلينى، صاحب الكفاية، صاحب الفصـول، شيخنا المحقق الأصفهانى (٢)، الخوانسـارى، القاسـانى، الطبطبـائى، صاحب المعالم، صاحب الجواهر، القوشجى، صاحب عـوالى اللآلـى، الفاضل النراقى، القطب ...الخ (١).

زهرة، والقاضى، وعبد ا الصادق، وأبان. فالروايات عـن أئمة الشيعة مثل الرواية عن الرسول، والأقوال عن الأئمـة مثل الأقوال عن الرسول، الأوائل عليهم السلام والثانى عليه الصلاة والسلام[1]. ومن آل البيت يتقدم المعصوم فعلا وقولا والحسين[2]. ومن أهل السنة يحال إلى ابن حزم فى "إبطـال القياس" و"الأحكام"، والغزالى فى "المستصفى" وأبى حنيفة[3].

ومن الطوائف والفرق يحال إلى الأشـاعرة، والعدليـة (المعتزلة)، والإمامية، والإخباريين، والفقهاء، وعلماء اللغـة والمعتزلة والشيعة الإمامية وفقهاء الشيعة، ومـن الفلاسـفة الشيخ الرئيس[4]. ومن كل فرقة وطائفة هنـاك المتقـدمون والمتأخرون، القدماء والمحدثون مما يدل علـى الإحسـاس

(١) زرارة (٦)، ابن عبد ا ، الشيخ ابن ادريس (٣)، الطبرسى، الباقر (٢)، الإمام الصادق، إسماعيل الصدر، الحلى، المجلسـى، الكراكجـى، ابـن طاوس، ابن زهرة، القاضى، ابن بزيع، عبد ا الصادق، أبان، الحسن بن جهم، الرضا، الحارث بن مغيرة، أبو الحسـين، عمـرو بـن حنظلـة، الحميرى ...الخ (١).

(٢) آل البيت، المعصوم، الحسين (٢)، الأئمة عليهم السلام، الأئمة الأطهار، الإمام، فاطمة، ...الخ (١).

(٣) ابن حزم (٣)، الغزالى (٢)، أبو حنيفة (١)، الراونـدى، الشـهيد الأول، محمد تقى الأصفهانى، صاحب الحاشية على المعالم.

(٤) الأشاعرة (٨)، العدلية (٥)، الإمامية (٤)، الإخبـاريون، الفقهـاء (٢)، علماء اللغة، المعتزلة، الشيخ الرئيس، الشيعة الإمامية، فقهاء الشيعة (١).

بالتاريخ والتقدم وتوالى الأجيال[1]. فالأئمـة فـى العصـر، والعصر عصر الأئمة[2].

ويحال إلى بعض المتون الأصولية القديمة المشـهورة والأقل شهرة. وتتم مراجعتها والحكم عليها "وهـذا الكـلام صحيح"[3]. كما يحال إلى بعض المتـون المعاصـرة مثـل "مدخل إلى الفقه المقارن" لتقى الدين الحكيم[4].

وتتأكد وحدة العمل والصلة بين الأصول والمنطق طبقا للتراث الأصولى التقليدى والذى أبرزه محمد باقر الصـدر. كما يحال إلى باقى الكتب المنطقية[5].

٨- "منتهى الأصول" للبجنوردى (١٣٩٦هـ ق)[6].

وهو مؤلف جامعى مدرسى مثل المتن السابق، لا اتجاه لـه ولا يمثل مدرسة، من نوع الموسوعات التى تضيق وتتسـع

---

(١) المتقدمون (٤)، المتأخرون (٣)، العصور المتأخرة ...الخ (١).

(٢) عصر أئمتنا، أصول الفقه ص٣٠٠.

(٣) العدة (٣)، جواهر الكلام، جامع السعادات، شـرح التجريـد، سـلطان العلماء، المحقق فى المعتبر، كتـاب البيـع للشـيخ الأعظـم، المعـالم، المحصول، رسائل الشيخ، كتاب القضاء، أصول الفقه ص٣٠٢.

(٤) أصول الفقه ص٤٣٠.

(٥) السابق ص٣٢٨/١٧٣.

(٦) آية ا العظمى السيد ميرزا حسن البجنوردى: منتهى الأصول (جزءان)، مطبعة مؤسسة العروج، قم ١٤٢١هـ.

طبقا لحجم المادة المنقولة. لذلك يتسم بالرزانـة والهـدوء، وغياب السجال مع المذاهب والفرق داخل الشيعة وخارجها. ويظهر الاعتزال على استحياء فى شكر المنعم[1]. كما يظهر المستوى الشعورى للتحليل فى وصف الكلام النفسى.

والبنية ثنائية طبقا للجزأين. فالأول يتضمن مقاصد ستة: الأوامر والنواهى ، والمفاهيم، والعام والخـاص، والمطلـق والمقيد، والمجمل والمبين. وهى مباحث الألفـاظ. أكبرهـا الأوامر ثم النواهى ثم العام والخاص مع المفاهيم ثم المطلـق والمقيد، وأصغرها المجمل والمبين، فقرة واحدة[2]. والثـانى ثلاثية القطع والظن والأصول العملية بـديلا عـن الشـك. وأكبرها الأصول العملية، وتشمل أصالة البـراءة وأصـالة الاشتغال والاستصحاب. وينتهى الجزء بخاتمة فى التعـادل والتراجيح، وفى الاجتهاد والتقليد[3]. وهناك وعـى بالبنيـة الثلاثية، القطع والظن والشك[4]. وليس الغرض من مباحـث

---

(١) السابق جـ ١/١٨٠/٢٨٠.

(٢) الأوامر (٣٦٨)، النواهى (٦٦)، المفاهيم ، العام والخاص (٣٢)، المطلق والمقيد (٣٠)، المجمل والمبين (١).

(٣) الأصول العملية (٤٩٤)، الظن (١٢٤)، التعادل والتراجيح (٨٤)، القطع (٧٦)، الاجتهاد والتقليد (٤٠).

(٤) "وجه تثليث مقاصد البحث. وبعد فاعلم أن المكلف القادر على استنتاج المسـائل

الألفاظ استنباط حكم بل تأسيسها على اليقـين أو الظـن أو الشك. وهو أقرب التعريفات المنطقية والأسلوب التعليمى منه إلى التجديد والتطوير لأصول الفقه الشيعى. وأحيانا يجعـل المؤلف البنية ثلاثية: المقدمة والمقاصد والخاتمـة. ويـدمج الجزأين معا فى قسم واحد هى المقاصد الست بالإضافة إلى القطع والظن والأصول العملية[1].

وهناك تشابه واختلاف بين البنية الثلاثية فى أصول الفقه عند السنة وعند الشيعة. فعند السنة، يبدأ الوعى التاريخى فى الأدلة الشرعية الأربعة، حوامل الـوحى، الكتـاب والسـنة والإجماع والقياس. ثم يأتى الوعى النظرى الذى ينجلى فـى مباحث الألفاظ. وأخيرا يتحقق الوعى العملى فـى المقاصـد والأحكام. أما عند الشيعة فتبدأ مباحث الألفـاظ أى الـوعى النظرى لأولوية النظر على العمل، والمعرفة على السـلوك. ثم تأتى أنماط الاعتقاد والقطع والظن والشـك كبـديل عـن الوعى التاريخى. فليس المهم هو الأدلة الأربعة بل صـحتها

الفقهية عن أدلتها التفصيلية إذا التفت إلى حكم شرعى لا يخلو من حالات ثلاث: إما أن يقطع به أو يظن به أو يشك فيه. واحتمال الوهم مندرج فى هذه الثلاثـة باعتبار أن الوهم بأحد الطرفين به ظن بالطرف الآخر"، السابق جـ ٢/٧.

(١) "وسميته بـ"منتهى الأصول" ورتبته على مقدمـة ومقاصـد وخاتمـة"، السابق جـ ١/١١.

ويقينها وقطعها خارج الظن والشك. ثم تأتى الأصول العملية البراءة والاستصحاب كبديلين عن المقاصد والأحكام[1]. وعن

---

(١) **بنية أصول الفقه عند السنة**

الوحى

الوعى التاريخى (الأدلة الأربعة) — الوعى النظرى (مباحث الألفاظ)

الوعى العملى

المقاصد — الأحكام

بنية أصول الفقه عند الشيعة



طريقهما يتم التحول من النظر إلى العمل. فاللغة لها الأولوية على التاريخ عند الشيعة فى حين أن التاريخ له أولوية علـى اللغة عند السنة. فالسنة أصحاب سلطة. ومن يملك التـاريخ يتحكم فى اللغة. والشيعة أهل معارضة، ومن يملـك اللغـة يحرك التاريخ.

مباحث الألفاظ مشتركة بين السنة والشيعة تغنـى عـن الأحكام، أحكام التكليف خاصة، عند الشيعة، ولا تغنى عنهـا عند السنة. وهى مشتركة بين الفرقتين. ولما كانت الأحكـام من وضع الحاكم الجائر عند الشيعة وخاضعة للغـة توجـد مطوية داخل مباحث الألفاظ. والأدلة الأربعة أيضا خاضـعة لمباحث الألفاظ، خاصة الكتاب والسـنة، وروايـة الإمـام المعصوم وضرورة وجوده فى الخبر، وفى الإجماع، ويغنى عن القياس الشكلى والصورى عند أهل السنة. لذلك تعطـى الأصول العملية حرية أكثر فى السلوك عند الشيعة أكثر مما تعطيه أحكام التكليف الخمسة عند السنة، بعدما طور الشيعة المباح إلى البراءة، والمندوب والمكروه إلى الاستصحاب.

وبتحليل الأسلوب يتضح أولوية "وبعبارة أخـرى" ممـا يدل على الإسهاب والتطويل والشرح بأكثر من صياغة. كما

يظهر بوضوح أسلوب القيل والقال، والرد على الاعتراضات مسبقا من أجل اتساق الفكر. ثم يظهـر خطـاب الجمهـور والدعوة إلى المشاركة فى الفكر والمساهمة فـى المعرفـة. ويكشف المؤلف عن السر، ويبين ما خفى، ويحل الإشـكال، وينبه على الغامض ويدفع التوهمات، ويزيل الشكوك، ويبين الصحيح، وينصف فى الحكم، ويعطى الأدلة، ويوجز الكلام. ويعبر عن المراد والمقصود. ويحيل السابق إلـى اللاحـق تأكيدا على وحدة العمل وترابط الأجزاء، وشمولية النظرة[1]. ومعظم اللازمات فى أول الفقرات وليس فى آخرها.

ويعتمد النص على عديد من الآيات والأحاديث، والآيات

---

(١) بعبارة أخرى (٢٢٥)، القيل والقال (٢٢٠)، أنت خبير (١٣٨)، الحاصل (١٠١)، ومما ذكرنـا ظهـر (٨٦)، وإذا عرفـت (٦٥)، والتحقيـق أن (والحقيقة) (٦٠)، بيان ذلك (٤٧)، السر فى ذلك (٤٦)، الإشكال (حـل) (٣٨)، تنبيه (تنبيهات) (٣٠)، تـوهم (٢٦)، الإنصـاف (٢٣)، صـحيح (ليس بصحيح) (١٨)، لا شك ، على كل حـال (١٦)، لا يخفـى (١٥)، اعلم (معلوم) (١٤)، الدليل (يدل)، خلاصة الكلام (١٢)، مـن الواضـح (يتضح) (١١)، ويتلخص، النقلات، إن شاء ا (٧)، وبعبـارة أوضـح، إحالة اللاحق إلى السابق (٦)، ولذلك نرى، والشاهد، مدفوع، الضـابط، العجيب (٥)، وأنت تدرى، أفاد، المراد، المقصود، تتمـيم (٣)، فسـاد، واضح الفساد، ليس كما ينبغى (٢)، وهذا خاف، بعيد جدا، اعترض، يؤيد ما ذكرنا، بناء على ما ذكرنا، النتيجة، على كل حال، المختار، الصواب، ولعمرى هذا واضح جدا، لا شبهة، دعوى، تتأمل (١).

أكثر[1]. ويغيب الشعر العربى كلية بالرغم من التقارب بـين التجربتين الشعريتين العربية والفارسية. وتكثر أقوال الأئمـة المعصومين، وقد تفوق الأحاديث النبوية. كما يستعمل أسلوب القيل والقال والرد على الاعتراضات مسبقا[2].

وتكثر الأعلام بأسمائها أو ألقابها، والألقاب أكثر. ونظرا لتكرار بعضها مثل شيخنا، أستاذنا، العلامة، المحقق، الفقيـه فإنه يتم التداخل بين أصحابها. وقد يأخذ نفس الشخص أكثر من لقب كالمحقق والعلامة والفقيه والشيخ والأستاذ. ويتقـدم أساتذة المؤلف مثل "شيخنا الأستاذ"، أستاذنا المحقق، شـيخنا الأعظم (النصارى) ثم المؤلفون بمؤلفاتهم ولـيس بأسـمائهم مثل صاحب الكفاية، ثم صاحب الفصول، ثم صاحب المعالم، ثم صاحب الحاشية، ثم صاحب المدارك وصاحب الجـواهر ...الخ. كما يظهر المؤلفون بألقابهم وأسمائهم مثل المحقـق الطوسى، الفقيه (المحقق) الهمذانى، المحقق النائينى، المحقق الشريف ...الخ[3]. كما تتم الإحالـة إلـى محـدثى الشـيعة

---

(١) الآيات (٧٣)، الأحاديث (٣٤).

(٢) القيل والقال (٢٢٥).

(٣) شيخنا الأستاذ (١٦٠)، أستاذنا المحقق (٨٠)، شيخنا الأعظم (النصارى) (٥٤)، الإمام (٤٥)، صاحب الكفايـة (٣٥)، صـاحب الفصـول (١٧)، المحقق القمى (١٠)، صاحب المعالم (٦)، صاحب الحاشية الشيخ (٤)،=

ورواتهم وأئمتهم المعصومين مثل زرارة، وأبو عبد الله، وأبو جعفر وغيرهم[1]. ويضاف إليهم النبى. ويظهر بعض علماء السنة وفرقهم مثل أبو حنيفة، وأبو هاشم، والفارابى من أصحاب الاتجاه العقلى[2].

ومن الطوائف والفرق يتقدم الإخباريون ثم الأئمة والمعتزلة لقرابة الشيعة بالاعتزال ثم الأشاعرة[3].

=صاحب المدارك، صاحب الجواهر، المحقق الطوسى، الفقيه (المحقق) الهمذانى، الأردبيلى، البهبائى، بعض المحققين، المعصوم (٣)، المحقق النائينى، المحقق الشريف، الشيخ الأعظم، المحقق الثانى العلامة، المحقق (٢)، الشيخ البهائى، المحقق الرشتى، الشيخ الكبير، المحقق الخورانسارى، ابن قبة، الطبرسى، علم الهدى، الأستاذ، السيد، السيد المجاهد، المفيد الثانى، الأستاذ العراقى، السيد الصدر، المحقق السبزوارى (١).

(١) زرارة، أبو عبد الله، أبو جعفر (٥)، أبو جهور الاحسائى، الحسين (٣)، زكريا بن آدم، أمير المؤمنين الصادق (٢)، محمد بن الحسن، الصادق، أبو الحسن، كميل، مقام بن سالم، صفوان، ابن ادريس، الحلبى، اسحق بن عمار، حسن بن جهم، أبان بن تغلب، ابن أبى يعفور، العقرقوقى، أبو بصير، على بن المسيب، يونس بن عبد الرحمن، ابن ادريس النبى، الفاضل التونى، محمد القاشانى، سيدنا الأستاذ، المحقق العلامة النراقى، الشيخ محمد تقى، صاحب الفرائد، مشايخ أساتذينا، الشارح المقدسى، المحقق المحشى، فخر المحققين، صاحب الحجة (١).

(٢) أبو حنيفة، أبو هاشم المعتزلى، الشيبانى، الباقلانى، الشيخان الفارابى وابن سينا.

(٣) الإخباريون (٥)، الأئمة، المعتزلة، الإمامية (٤)، الأشاعرة، بعض

ويحال إلى عديد من المؤلفات فى معظمها شيعى مثـل الكفاية للخراسانى والعديد من الحواشى عليه، وعوالى اللآلى للاحسائى، والعدة للطوسى وغيرها من المتون[1].

وتظر بعض مصطلحات الأصول الخاصة بالشيعة فـى صيغة المصدر الصريح مثل الهوهوية، والتمامية، والتلبسية، والداعوية، والمانعية، واللاحرجية، والقهريـة، والفتوائيـة، والمنجزية أو فى صيغة النسبة مثل الأعمى المولدى (الأمر)، المقدمى[2].

ثالثا: تجديد علم الأصول.

١ - "المعالم الجديدة للأصول" لمحمـد بـاقر الصـدر (ت١٤٠٠ق/١٣٥٩ش)[3]. ثم جاءت نهضـة ثانيـة لعلـم

المتحققين (٢)، المنطقيون، المنطقى، الفقهـاء المجتهـدون، جمـع مـن المحققين، مشايخ أستاذينا (١).

(١) الكفاية (٧)، حاشية على الكفاية، العوالى اللآلى (٣)، العدة، التقريـرات (٢)، المسالك، المعالم، حاشية على المعالم، البرهان، الخصـال، حاشـية على فرائد الشيخ الأعظم (١).

(٢) منتهـــى الأصـــول جـــــ ١/٥٩٧/٥٢٤/٥٠٠/١١٢/٩٩/٨٦، جـ٢/١٠٢/١٢٧-٧٨٥/٤٣١/٣٤٣/١٢٨.

(٣) السيد محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة للأصول (دروس تمهيدية فـى علـم الأصـول)، دار التعـارف للمطبوعـات،= =طـ ٣ بيـروت

الأصول الشيعى بعد النهضة الأولى. فـى القـرنين الثالـث والرابع عشر، يمثلها محمد باقر الصدر الذى أخـذ كبدايـة للإصلاح مع غيره من البدايات فى علم التفسـير، التفسـير الموضوعى للقرآن، وفى علم التاريخ، السنن التاريخية فـى القرآن، بل وفى المنطق فى الأسس المنطقيـة للاسـتقراء. ويبدو الإحساس بالجدة فى عنوان كتابـه "المعـالم الجديـدة للأصول". والهدف إعادة بناء علم الأصول ككل وليس مجرد تجديد أحد جوانبه الجزئية مثل مشروع "التـراث والتجديـد" الذى يحاول إعادة بناء العلوم الإسلامية القديمة كلهـا طبقـا لظروف العصر. وهو مركز للغاية. يحمل الدعوة للتجديـد، ويعطى النموذج. ويدل العنوان الفرعى "دراسة تمهيدية فـى علم الأصول" أنه كتاب للمبتـدئين بالإضـافة إلـى تقـديم معلومات عامة للهواة(١). وكانت النية تقديمـه علـى ثـلاث حلقات ثم اكتفى بالحلقة الأولى(٢). ويعتمد على الاقتباس فـى

١٤٠١هـ/١٩٨١م، وكتب سنة ١٣٨٥هـ فى النجف الأشرف.

(١) لذلك يعطى نماذج الأسئلة التى يجيب عليهـا علـم الأصـول، السـابق ص٢١، ثم أعيد نشر الحلقة الأولى مع الثانية والثالثة بعنوان "دروس فى علم الأصول"، دار المنتظر، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) السابق ص٦-٧.

صاب الصفحة كما هو الحال فى التأليف المدرسى[1].

وتتمثل الحدة فى نقد المدرسة الإخبارية التى تعادل أهل الأثر وأنصار النقل عند أهل السنة من أجـل الـدفاع عـن المدرسة العقلية والتى تعادل أهل الرأى وأنصار العقل عنـد أهل السنة. وهو الصراع بين المحـافظين والإصـلاحيين. وبالرغم من هذا النقد إلا أن الكتاب لم يشـأ الخـوض فـى المناقشات والاحتجاج، وتجاوز المنهج الجدلى إلـى المـنهج البرهانى[2]. والتاريخ للعلم قبل بنيته دلالة على التحول مـن مرحلة إلى مرحلة، نهاية الإخباريين وبداية الإصلاحيين كما حدث فى الفلسفة اليونانية لدى أرسطو مؤرخا، وفى الفلسـفة الإسلامية لدى ابن رشد مؤرخا، وكما حدث فى علم الكـلام عند محمد عبده مؤرخا لنشأة الفـرق فـى مقدمـة "رسـالة التوحيد". كان العقل عند أهل السنة رد فعـل علـى النقـل الشيعى. وكان النقل عند الشيعة رد فعل على العقل السنى[3]. ويعتمد أصول الفقه الشيعى على بعض الأصول الاعتزاليـة

(١) السابق ص٣٧/٤٩/٨٦-٨٧.

(٢) السابق ص٦.

(٣) السابق ص٤٢-٤٤.

مثل الحسن والقبح العقليين[1].

ويجمع الكتاب بين الدراسة والتجـاوز، بـين التـاريخ والبنية، بين وصف الحالة الراهنة لعلم الأصول ثم الـدعوة إلى تجديده. فالدراسة أشبه بالدراسـات التاريخيـة الثانويـة المعاصرة التى يكتبها الأساتذة والمتخصصـون فـى علـم الأصول. والتجاوز هى الدعوة الجديدة لتجاوز الإخبـاريين إلى التجديديين. فهى دراسة تاريخية ونص إبداعى من دارس مجدد. لذلك انقسم إلى قسمين متساويين تقريبا. الأول المدخل إلى علم الأصول، والثانى بحوث علم الأصـول[2]. ويضـم القسم الأول تعريف العلم، وجواز عملية الاستنباط، والوسائل الرئيسية للإثبات فى علم الاصول، وتاريخ علـم الأصـول، ومصادر الإلهام للفكر الأصولى، وعطاء الفكـر الأصـولى وإبداعه، وأخيرا الحكم الشرعى وتقسيمه. وأكبرها تاريخ علم الأصول الذى يستغرق نصف المدخل[3]. أما القسـم الثـانى

(١) السابق ص١٤٩-١٦٠.

(٢) المدخل إلى علم الأصول (١٠٠)، بحوث علم الأصول (٩٠).

(٣) ١- تاريخ علم الأصول (٤٤) ٢- تعريـف علـم الأصـول (١٧) ٣- الوسائل الرئيسية للإثبات فى علم الأصول (١٦) ٤- مصـادر الإلهـام للفكر الأصولى (٩) ٥- جواز عملية الاستنباط (٨) ٦- عطـاء الفكـر الأصولى وإبداعه (٥) ٧- الحكم الشرعى وتقسيمه (٣).

"بحوث علم الأصول" فتنقسم إلى نوعين: الأول، العناصـر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الـدليل. والثـانى العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الأصـل العملى. وهو التقابل بين النظر والعمل. والأول أكبـر مـن الثانى بمقدار ثلاثة أضعاف[1]. والأدلة ثلاثة: الدليل اللفظى، والدليل البرهانى، والدليل الاستقرائى. وقد تتعارض الأدلـة. وأهمها اللفظى ثم البرهانى ثم الاستقرائى. وهو التقابل بـين اللفظ والمعنى والشىء[2]. والأصول العملية أربعة: العقـل، وأصالة البراءة، ومنجزية العلم الإجمـالى، والاستصـحاب. وأهمها منجزية العلم الإجمالى ثـم الاستصـحاب[3]. وكمـا تتعارض الأدلة النظرية تتعارض أيضا الأصـول العمليـة. ومن ثم غابت البنية الأصولية عند السنة، مصـادر الشـرع الأربعة، والأحكام والمقاصد، والمفتى والمستفتى.

وقد تطور علم أصول الفقه فى التاريخ. وشتان ما بـين

---

(١) ١- العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الـدليل (٦٧) ٢- العناصر المشتركة فى الاستنباط القائم على أساس الأصل العملى (١٨).

(٢) ١- الدليل اللفظى (٣٤) ٢- الدليل البرهانى (١٥) ٣- الدليل الاستقرائى (١١) ٤- التعارض بين الأدلة (٥).

(٣) ١- منجزية العلم الإجمالى (٦) ٢- الاستصحاب (٤) ٣- العقل (٣) ٤- أصالة البراءة "تعارض الأدلة" (٣).

الزمن الأول وهذا الزمن[1]. فقد ولد علم الأصول فى أحضان علم الفقه. وكان هشام بن الحكم تلميذ الإمام الصادق فى "رسالة الألفاظ" هو المؤسس للعلم قبل الشافعى! وظل علم الأصول متذبذبا بين علم الفقه وعلم أصول الدين. كانت الحاجة إلى علم الأصول حاجة تاريخية خالصة. ثم سبق السنة الشيعة فى وضع أصول العلم. ثم توقف بعد الشاطبى. ثم استأنف الشيعة العلم فى القرنين الماضيين قبل أن يحاول علال الفاسى محاولة تجديد مقاصد الشريعة. لقد أسس الطوسى العلم ثم توقف بعده وساد التقليد. ثم استأنف ابن إدريس. ثم سار من صاحب السرائر إلى صاحب المعالم. ثم منى العلم بصدمة جديدة من الإخباريين ورائدهم الاسترابادى معتمدين على أهل الظاهر فى نفى القياس. ويبدأ التجديد الحديث بتغيير الجذور المزعومة للحركة الإخبارية حتى ينتصر العلم وتظهر المدرسة الإصلاحية الجديدة. وبالتالى مر علم الأصول الشيعة بثلاثة عصور. الأول العصر التمهيدى ووضع البذور الأساسية بفضل ابن عقيل وابن الجنيد وينتهى بظهور الطوسى. والثانى عصر العلم، عصر

(١) المعالم الجديدة ص٤٦/٦-٩٣/٨٩-٩٥.

الطوسى وابن إدريس والحلـى والعلامـة والشـهيد الأول. والثالث عصر الكمال بفضل الوحيد البهبهائى[1].

ونظرا لتاريخ علم الأصول كثـرت أسـماء الأعـلام وأسماء المصادر القديمة والحديثة. ويتقدم الأعـلام الشـيخ الطوسى أو الشيخ أو الشيخ الرائد فقط مؤسس علم الأصول الشيعى، فالنهاية أو البداية الجديدة تحيل إلى البداية الأولـى، ثم السيد المرتضى وهو المؤسس الثانى للعلم، ثـم المحقـق الحلى، والوحيد البهبهائى أو الأستاذ الوحيد، ثم الشيخ المفيد المؤسس الثالث للعلم ثـم الاسـترابادى مؤسـس المدرسـة الإخبارية التى يتم نقدها، ثم الخونسارى والقمـى والكلينـى والمجلسى والنراقى والخراسانى وعشـرات غيـرهم مـن المحطات الرئيسية فى تطور علم أصـول الفقـه الشـيعى. ويذكر أعلام السنة نظرا للتقريب بين المذهب كأحد التيارات

(١) وقد تعاقبت ثلاثة أجيال فى العصر الثالث. الأول تلامذة الوحيد مثل بحر العلوم (ت١٢١٢)، جعفر كاشف الغطاء (ت١٢٢٧)، القمـى (ت١٢٢٧)، الطبطبائى (ت١٢٢١)، التسترى (ت١٢٣٤). والثانى محمد تقى بن عبـد الرحيم (ت١٣٤٨)، محمد شريف بـن حسـن بـن علـى (ت١٢٤٥)، الأعرجى (ت١٢٢٧)، النراقى (ت١٢٤٥)، النجفى (ت١٢٦٦). والثالـث مرتضى الأنصارى (ت١٢٨١) الذى عاصر نشأة المدرسة الجديدة.

الإصلاحية المعاصرة مثل أبى حنيفة والشافعى والغزالى[1]. وأحيانا يكتفى بالمؤلف ونسبته لكتابه مثل صاحب السـرائر وصاحب المعالم سواء المؤلف أو ابنه[2]. وتتجمع الأعلام فى القسم الأول التاريخى فى حين يكاد يخلو القسم الثانى البنيوى منها.

ومن أعلام الشيعة ورواتهم وأئمتهم يتقدم ابن إدريس، ثم ابن الحفيد، ثم المعصوم، ثم الإمـام الصـادق، ثـم النبـى والحسن، ثم زرارة والإمام وعشرات غيرهم[3].

---

(١) (الشيخ) الطوسى (٧٣)، السيد المرتضى (١٦)، المحقق الحلى، الوحيـد البهبهائى (الأستاذ الوحيد) (٩)، الشيخ المفيد، أبو حنيفـة، ابـن زهـرة الحلبى (٧)، الاسترابادى (٦)، ابن عقيل (٥)، الشافعى، البحرانى، صدر الدين، الأنصارى، الشيخ الرائد (٣)، الخونسارى، القمى، الغزالى، محمد تقى الدين عبد الرحيم، الكلينى، ابن بابويه القمى (٢)، ابن المطهر، ابـن زين العابدين، البهائى، الأعرجى، العافى، الاسكافى، المجلسى، القاسانى، النراقى، النجفى، الخراسانى، التونى، الشيروانى، محمد شريف، جمـال الدين، بحر العلوم، كاشف الغطاء، المرزا، القمى، الطبطبائى، التسترى، الزبيرى، الهمدانى، المدنى، النوبختى، النجاشى، الطرابلسى، الكراكجى، الشيخ منتجب الدين، المظفـر، الصهرشـتى، الشـعبى، ابـن سـيرين، الأصفهانى، الأشعرى، الجزائرى، البحرانـى، الأعرجـى، الحمصـى، الحسن القمى، الاسكافى، الشيبانى، الديلمى (١).

(٢) صاحب المعالم (٢)، صاحب السرائر، صاحب الرياض، ابـن صـاحب الحاشية على المعالم (١).

(٣) ابن إدريس (٢٦)، ابن الحفيد (١٠)، المعصوم (٩)، الإمام الصادق (٦)،

ونظرا لأن من بواعث التجديد الثاقفة الغربية الحديثـة يشار لأول مرة إلى أعلامها مثل رسل ثـم بيكـون ولـوك وهيوم وكلهم من المذهب التجريبى الاستقرائى. لذلك كتـب المؤلف أيضا "الأسس المنطقية للاستقراء" لتفنيد الاسـتقراء الساذج، أن التجربة تصـنع فكـرا، وأن الإحصـاء ينـتج قانونا[1]. فالتجربة والبداهـة أساسـا التحـديث فـى علـم الأصول[2]. كما يستعمل بعض الأسئلة اللغوية كما هو الحال فى علم اللغة الحديث. ويبرز الأساس النفسى للغـة، ويميـز بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية[3].

ومن المجموعات، الطوائف والفرق والمـذاهب، يتقـدم

النبى، الحسن (٣)، زرارة، الشيخان، الفاضلان، الشهيدان، الإمـام (٢)، محمد بن مسلم، على بن مهزبار، هشام بن الحكم، أبو جعفر الموسـوى، ابن الحسن، موسى بن جعفر، محمد بن الحسن، الصدوق، أبو عبـد ا ، حسن بن زين العابدين، أميـر المـؤمنين، محمـد بـن أبـى عميـر، يونس،...(١).

(١) محمد باقر الصدر: الأسس المنطقية للاستقراء، دراسة جديدة للاسـتقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقى المشترك للعلوم الطبيعيـة والإيمـان با ، دار التعارف للمطبوعات، ط ٤، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهـو نفس موقف لاشيلييه فى كتابه الشهير "أسس الاستقراء" Lachelier: Les Fondement de l’Induction.

(٢) المعالم الجديدة ص٣٠/٣٣/٤٤-٤٥.

(٣) السابق ص١٢٢-١٢٦.

الأئمة والفقه الإمامى والإماميون والأئمة وأصحاب الأئمـة بطبيعة الحال، ثم يأتى الإخباريون والإخبارية وهى المدرسة التقليدية التى تعتمد على النقل دون العقل والتى يـتم نقـدها لإفساح المجال للاجتهاد الجديد مع آل البيت أهل الاسـتقامة، وعلماء الشيعة، ثم الأصوليون على الإطلاق وأصحابنا على التقييد، ثم الفقهاء والمحدثون إحالة إلى القـدماء والمحـدثين وغيرهم. ويحال إلى أهل السنة وبعض فرقهم مثل الأشاعرة، ومذاهبهم مثل الحنفى[1].

ومن المصادر القديمة والحديثة المحـال إليهـا تـأتى الأمهات التأسيسية الأولى لعلم الأصـول مثـل "المبسـوط" و"العدة" للطوسى، ثم "الذريعة" للسيد المرتضى و"السـرائر" لابن إدريس، ثم "الغنيمة" لابن زهرة الحلبى و"الدرر النجفية" للبحرانى، ثم "الانتصار" و"التهذيب" و"المعـالم" و"الوسـائل" و"الكافى"، وبعض الكتابات السجالية من المدرسة الإخباريـة

---

(١) الإمامية، الفقه الإمامى (١٥)، الإمـاميون (٨)، الأئمـة (٥)، أصـحاب الأئمة (١)، الإخباريون، أهل البيت (٩)، الإخبارية، علماء الشـيعة (٧)، الأصوليون، أصحابنا (٤)، الفقهاء، المحدثون (٢)، فقهاء العامة، الرواة، الصـادقون، المعصـومون (١)، السـنة (٣)، الأشـاعرة، الحنفـى، المحمدية (١).

للرد على أنصار القياس[١].

ومع ذلك، تربط "المعالم الجديدة" بين شقى الأصول، علم أصول الدين وعلم أصول الفقه بالرغم من التمايز بين العلمين، الأول لأصول النظر، والثانى لأصول العمل[٢]. ونظرا للطابع المعرفى النظرى الخالص لأصول الفقه الشيعى تداخل العلمان[٣]. كما يتداخل علم أصول الفقه مع علم الفقه بالرغم من التمايز بين العلمين. ومازالت عصمة الأئمة تلعب دورا منطقيا معرفيا فى علم الأصول. وهى

---

(١) المبسوط (١٥)، العدة (١١)، الذريعة، السرائر (٧)، الغنيمة، الدرر النجفية، الانتصار، التهذيب (٢)، تهذيب الوصول إلى علم الأصول، مبادئ الأصول، المعالم، زبدة الأصول، البحار، الوافى، الحدائق، البرهان، الوافية فى الأصول، مشارق الشموس، الفوائد الحائرية، نهج الأصول إلى معرفة الأصول، رسالة فى الألفاظ، النهاية، من لا يحضره الفقيه، كتاب المعارج، الوسائل، للتقريب فى أصول الفقه، المختصر، مقابس الأنوار، الكافى، الفوائد، وسائل الشيعة، شرائع الإسلام، الاستفادة فى الطعون على الأوائل والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس (الزيدى)، الرد على من رد آثار الرسول واعتمد على نتائج العقول (المدنى)، الرد على عيسى بن أبان فى الاجتهاد (النوبختى)، الرد على ابن الجنيد فى الاجتهاد والرأى (الشيخ المفيد) ...الخ (١)، السابق ص٢٤-٢٥.

(٢) لذاك يربط العلم بالإيمان با فى البداية وبالتمييز بين العالم التكوينى والعالم التشريعى فى النهاية، المعالم الجديدة ص١٤٧/٥.

(٣) السابق ص٥-٨.

مقولة خارج نسق العقل والمنطق[١]. وبـالرغم مـن نوايـا التقريب إلا أنه مازال ينقد أهل السنة وفقهاء العامة. ورفض تصويب الجميع احتراما لآل البيت. ويتعاطف مع الأشـعرية أكثر مما يتعاطف مع الاعتزال. ومازالت بعض المصـطلحات المميزة لأصول الشيعة عن طريق المصـدر الصـريح مثـل "حجية" و"منجزية"[٢]. ويعتبر القياس خطـوة مـن الاسـتقراء بالرغم من التمييز بينهما[٣].

ومازالت تظهر فى محاولة التجديد بعض المصـطلحات القديمة المكونة من المصدر الصريح مثل حجية[٤].

٢- "دروس فى علم الأصول" لمحمد باقر الصـدر[5].

ويشمل الحلقات الثلاث التى أعلن عنها من قبل. وهى مـادة مكررة فى الحلقات الثلاث إنما تضيق وتتسـع مـن الحلقـة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة كدوائر متداخلة[٦]. والغاية منها

---

(١) السابق ص٣٢/٣٧/٤٠/١٦٧-١٧٥.

(٢) السابق ص١٣٩-١٤٤/١٨٠-١٨٧.

(٣) السابق ص١٦٤.

(٤) السابق ص١٠.

(5) السيد محمد باقر الصدر: دروس فى علم الأصول، المجلد الأول، الحلقة الأولى والثانية، المجلد الثانى، الحلقـة الثالثـة، دار المنتظـر، بيـروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦)

تدريس مادة علم أصول الفقه على ثلاث سنوات متتالية أو على ثلاث مراحل متعاقبة[1]. وهو ما يصرح به فى العنوان الفرعى تحت الحلقة الأولى "كتاب دراسى فى علم أصول الفقه أعد للمبتدئين فى دراسة هذا العلم". لذلك تكثر الكتب وتتضخم بسبب تكرار المادة العلمية خاصة وأنها منقولة عن السابقين، والإبداع فيها قليل. ولم يحدث التراكم التاريخى الكمى ليحدث اختراقا نوعيا جديدا. الإعلان ضخم فى البداية عن ضرورة التجديد ثم تأتى الدروس فى النهاية مدرسية

الحلقة
الحلقة
الحلقة
الأولى
الثانية
الثالثة

(١) مثل مرحلة الليسانس ثم الماجستير ثم الدكتوراه وهما حلقتان فى الحوزة العلمية مرحلة تمهيدية، مرحلة السطح والثانية مرحلة عالية، مرحلة الخارج. وتعنى الحلقة هنا كلمة Cycle.

تقليدية كما فعل ابن سينا فى "منطق المشرقيين"، الإعلان عن إبداع منطق للمشرقيين غير المنطق اليونانى ثـم أتـى فـى النهاية منطقا صوريا أرسطيا خالصا[1]. وقد كتبت الحلقـات الثلاث فى مدة شهرين![2]. والعلم عائلى من الجد إلـى الأب إلى الحفيد كما اتضح ذلك فى فى علاقة مصطفى الخمينـى بأبيه جد أولاده. كذلك تهدى الدروس إلى ولد المؤلف البـار العزيز السيد عبد الغنى الاردبيلى الذى قضـى نحبـه قبـل الانتهاء من كتابة الحلقات.

ويعلن فى المقدمة عن الرغبة فى التطوير والتجديد عن طريق الكتب المدرسية وتحسينها. وهنـاك عـدة مبـررات لاستبدال كتب التدريس الشائعة فى الحوزة العلمية ووضـع كتب أخرى[3]. الأول أن الكتب القديمة تعبر عـن مراحـل مختلفة للفكر الأصولى ومن ثم الحاجة إلى وضع كتاب جديد يعبر عن المرحلة الحالية. والثانى أن الكتب السابقة تعبر عن آراء مؤلفيها وليست كتبا مدرسية "محايدة" وكـأن التـأليف

---

(١) من النقل إلى الإبداع مجـ .

(٢) دروس فى علم الأصول جـ ٥/١.

(٣) جرى العرف فى الحوزه العلمية على اختيار المعالم والقوانين والرسائل والكفاية، السابق جـ ٩/١-١٠.

الأصولى لا يكون إلا مدرسـيا. والثالـث كتابـة المـؤلفين لأمثالهم بما فى ذلك الاستطرادات وليس لطلابهم أو للثقافـة العامة وكأن التأليف الأصولى لا يكـون للأصـوليين بـل للطلاب وللعامة. والرابع أن مضمون العلم الأصولى القـديم ومصطلحاته لم تعد تعبر عن الواقع الحالى وشتان مـا بـين زمان الوحيد البهبائى واليوم. والحقيقة أن النتيجة الجديدة لم تختلف فى مضمونها ومصطلحاتها عن النتائج القديمة(١).

وقد صدرت عدة محاولات لتجديـد العلـم الأصـولى المدرسى مثل "مختصر الفصـول" بـدلا مـن "القـوانين"، و"الرسائل" الجديدة" اختصارا لـ "الرسائل" القديمة، و"أصول الفقه" كوسيط بين المعالم من ناحية والرسائل والكفايـة مـن ناحية أخرى ولكنها لا تفى بكل مقتضـيات التجديـد لعـدة أسباب. أولا، الاقتصار على السطح دون الدخول فى العمق. ثانيا، التغير فى البنية إلى رباعية بدلا من الثنائية كان مجرد تقسيم شكلى. ثالثا، عدم تعبير الكتب الجديدة عن فحوى واحد متقارب كما وكيفا(٢).

لذلك تم تقسيم الدروس إلى ثلاث حلقات للتدرج فى العلم

---

(١) السابق ص١٠-١٩.

(٢) السابق ص١٩- .

مع وحدة المنهج مع اختلاف المستويات ودون الدخول فـى كل التفصيلات والأدلة، مع الإبقاء على بعض التواصل مـع البنية الثنائية القديمة، مباحث الألفاظ والأدلة العقليـة، مـع تغيير التسمية إلى مباحث الأدلة والأصول العلمية، ثم قسـمة الأدلة إلى شرعية وعقلية، ثم قسمة الدليل الشرعى إلى بحث فى الدلالة وبحث فى السند والبحث فـى حجيـة الظهـور. وتمتاز هذه البنية على البنية الثنائية التقليدية وعلـى البنيـة الرباعية للمحقق الأصفهانى. كما ابتدأت الدروس من البسيط إلى المركب. وميزة الحلقات الثلاث هو التفكير فـى تخلـق البنية من الأصول إلى الفرع مع الحرص علـى التواصـل والانقطاع بينها، تواصل الأصول، وانقطاع الفـروع. ومـع ذلك تم الإبقاء على العبارة الأصولية التقليدية حتـى لا يقـع الانقطاع مع التراث الأصـولى القـديم، يعرفهـا العربـى والفارسى ولا تخص لغة قوم بعينهم. وأخيرا توخت الدروس الجديدة الوضـوح وسـلامة العـرض دون الوقـوع فـى الاختيارات المذهبية حتى لا يتأثر الطلاب بها[1]. وبالنسـبة للطلاب، القادر على معرفة القديم مثل "الكفايـة" و"المعـالم"

---

(١) السابق ص٢١-٢٨.

قادر على معرفة الجديد. فالجديد لا يغنى عن القديم، والقديم لا يغنى عن الجديد. والقادر على قراءة الحلقة الأولى قـادر على الثانية والثالثة. وفى "المعالم الجديدة للأصول" خلاصـة للدروس. وكلاهما لا يغنى عن الأستاذ[1].

والبنية تقليدية. الحلقة الأولى هى البنيـة الثنائيـة فـى "المعالم الجديدة للأصول" المقدمـة والبحـوث، والبحـوث أكبر[2]. فى المدخل التاريخ، وفى البحوث البنية. وهى نفس البنية فى الحلقة الثانية أيضا مع مزيد من التفصيل فى الدليل الشرعى، اللفظى وغير اللفظى، والدليل العقلى ثم الأصـول العملية. والدليل اللفظى أكبر. والأصول العملية هى نفسـها الأصول الأربعة السابقة، العقل وأصالة البـراءة ومنجزيـة العلم الإجمالى والاستصحاب[3]. والحلقة الثانية لهـا نفـس البنية السابقة للحلقتين الأولى والثانية مع مزيد من التفصـيل والمصطلحات الجديدة مثل "الأدلة المحرزة" و"حجية القطع"، والشك. ويوازى الدليل الشرعى الأصول العملية من حيـث

---

(١) السابق ص٢٨-٣٠.

(٢) البحوث (٨٢)، المقدمة (٤٨)، السابق جـ٢/٢٩.

(٣) الدليل اللفظى (٣٦)، الأصول العملية (٢٢)، الدليل العقلى (١٥).

الكم. والأول الدليل العقلى[1]. ويتم تفصيل الدليل اللفظى إلى مباحث الألفاظ الشهيرة عند أهل السـنة، الأمـر والنهـى، والإطـلاق (دون التقييـد)، والعمـوم (دون الخصـوص)، والمفاهيم مثل الشرط والوصف[2]. وتدخل مباحث الأخبـار، التواتر والآحاد فى وسائل الإثبـات الوجـدانى[3]. والحلقـة الثالثة تكرار لحكم الشرعى وأقسامه والدليل الشرعى والدليل العقلى (الجزء الأول)، وتكرار للأصول العملية الأربعة فـى حالة الشك. ونظرا لأهمية الاستصحاب فإنه يدخل فى الأدلة مع الدليل الشرعى والدليل العقلى كما يدخل فـى الأصـول العملية مع الشك والتعارض فى النوعين من الأدلة الشرعية والعملية.

وقد يكون الجديد هو نقل العلم من المستوى الصـورى الخالص إلى المستوى الوجدانى والمعرفة الوجدانية والإثبات الوجدانى[4].

والشواهد النقلية قليلة. والآيات أكثر من الأحاديـث[5].

---

(١) الدليل اللفظى (٩٨)، الأصول العملية (٩٥)، الدليل العقلى (٥٦).

(٢) دروس فى علم الأصول جـ٢/٦٦-١٠٤.

(٣) السابق ص١٠٨-١٣٠.

(٤) الإثبات الوجدانى، السابق جـ١/١٠٨-١١٨، جـ٢/١١٩-١٢١.

(٥) الآيات (٢٨)، الأحاديث (٢).

والشرح العقلى واضح للتلاميذ. ولا يشار إلى الأعلام إلا فى المقدمة التعليمية التاريخية. أما البحوث فتعتمد على العرض العقلى النظرى الخالص. وتغيب الشواهد الشعرية. فالشـعر العربى ليس رصيدا رئيسيا فى الوجدان الفارسى.

كما أن أسماء الأعلام قليلة. وهما نوعان: الأول أعـلام الأصول سواء بأسمائهم أو بنسبتهم إلى مؤلفاتهم مثل المحقق النائينى ثم صاحب الكفاية والمحقق العراقـى، ثـم الشـيخ الأنصارى، ثم المحقق الأصفهانى، ثم المحقق الخراسانى، ثم صاحب الفصول وغيرهم[1]. والثانى رواة الشيعة وأعلامهم وأئمتهم وفى مقدمتهم بطبيعة الحال زرارة ثم أبو عبد ا ثم عبد ا بن سنان ثم الإمام والصادق، ثم أبو جعفر والحسـن والباقر وحنظلة والحجـة والحميـرى وغيـرهم[2]. ومـن الطوائف الأصوليون والاعلام ثم المحققون[3].

---

(١) المحقق النائينى (١٢)، صاحب الكفاية، المحقـق العراقـى (٧)، السـيد الأستاذ (٥)، الشيخ الأنصارى (٤)، المحقق الأصـفهانى (٣)، المحقـق الخراسانى، المحقق الثانى، صاحب الفصول، الميرزا (١).

(٢) زرارة (٦)، أبو عبد ا (٤)، عبد ا بن سنان (٣)، الإمـام، الصـادق (٢)، أبو سعيد الزهرى، أبو جعفر، الحسن، جميل، الباقر، حنظلة، عبـد الرحمن بن أبى عبد ا ، الحجة، الحميرى، على بن مهزيار (١).

(٣) الأصوليون، الأعلام (٢)، المحققون (١).

٣- مباحث الدليل اللفظى "مباحث الحجـج والأصـول العملية" لمحمد باقر الصدر[١].(١٣٥٩ش) "مباحـث الـدليل اللفظى" مع "مباحث الحجج والأصول العلمية" يكونـان معـا القسمة الثنائية لعلم أصول الفقه الشيعى التى تضم ما يعـادل مباحث الألفاظ ومصادر الشـرع دون الأحكـام والمقاصـد المعروفة عند أهل السنة. وهو كتاب واحد من سبعة أجزاء، ثلاثة للدليل اللفظ وأربعة للحجج والأصول العملية بـالرغم من تمايز العنوانين. وهى تقريرات من تأليف السيد محمـود الهاشمى وليست من تدوين محمد باقر الصدر. كتبت لطلاب الدراسات العليا لتطوير برامج الدراسة[٢]. لذلك ارتبط بتاريخ التأليف المدرسى فى الحوزات العلمية مقارنة بتأليف القدماء. وقد وضع أسس هذه المدرسة الجديدة محمد بـاقر الصـدر وولده الصادق تطويرا للكتـب القديمـة مثـل "أصـول آل الرسول"، "الأصول الأصلية" بعد الرواد الأوائل مثل الشـيخ المفيد والإرهاصات الأولى قبله عند هشام بـن الحكـم فـى

---

(١) السيد محمد باقر الصدر: مباحث الدليل اللفظى (٣ أجـزاء)، تقريـرات الشهيد السعيد الأستاذ آية ا العظمى، تأليف السيد محمـود الهاشـمى، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامى، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٢) السابق جـ ١٥/١.

"مباحث الألفاظ"، ويونس عبد الرحمن فى "اختلاف الحديث"، والشـافعى فـى "الرسـالة"[1]. ويتسـم الكتـاب بالشـمول والموسوعية، والاستيعاب والإحاطة، والإبـداع والتجديـد، والمنهجية والتنسيق، والنزعة المنطقية والوجدانية، والـذوق الفنى والإحساس العقلانى وبالقيمة الحضـارية المقارنـة[2]. ونظرا لضخامة العمل يحيل السابق إلى اللاحـق، واللاحـق إلى السابق[3].

وكالعادة تبدأ مراجعة التاريخ والمقارنة بـين القـدماء والمحدثين وبإعادة تحديـد علاقـة العلـم بالفقـه واللغـة والفلسفة[4]. ومع ذلك تظهر المصطلحات الشيعية الخالصـة المكونة من النسبة أو من المصدر الصريح[5].

(١) السابق ص٥-٦.
(٢) السابق ص٧.
(٣) السابق جـ٤/١٨٢.
(٤) السابق جـ١/١٩-٢٨٣/٣٥، جـ٤/٢٣٣.
(٥) النسبة مثـل: المولـوى جـ٢/٢٣٠، جـ٤/٢٨-١٥٢/٣٠-١٥٣، جـ٥/١٧٩/٣٨٥، جـ٦/٢٩٩، جـ٧/٩٦، التـزاحم الملاكـى جـ٣/٦٤/٦٦، جـ٤/١٥١/٢٠٨، تنجيـزى جـ٤/١٥٢/١٦٦-١٦٧، التزاحم اللحظى جـ٤/١٥١/٢٠٨، التـزاحم الامتثـالى جـ٤/١٥١، القهقرائى جـ٦/١٤، الفوقائى جـ٧/٣٢٣، الجهتى جـ٧/٤٠٩، الولائى جـ٧/٥٥.
المصـدر الصـريح مثـل: الكبرويـة جـ١/٢٦/٦٠، جـ٢/١٣٥،

ويغلب على الأصول الطابع المعرفى اللغوى المنطقى على مستوى الشعور. لذلك يغيب الواقع كله، الواقع العريض والواقع الثورى بالرغم من الإشارة إليها كإطار خارجى للعصر[1]. ومع ذلك يحال إلى موضوع الصلاة فى المكان

جـ ٣/٣٩/٩١/٣٣٤، جـ ٤/١٦١/٢٥١، جـ ٥/٧١، جـ ٦/١١٠، الصفروية جـ ١/٢٦/٦٠، جـ ٢/٨٩/٢٨٨، جـ ٣/٣٩/٩١/٣٣٤، جـ ٤/٢٥١، جـ ٥/١٤٠، الإيجابية جـ ١/٢٩٢-٢٩٣، المحبوبية جـ ٢/٨٧-٨٨/١٣٩-١٤٠، المبغوضية جـ ٢/٨٧-٨٨/١٣٩-١٤٠، جـ ٣/٣٠/٧١/٨٠/٩٥/١٢١، المقدمية جـ ٢/٢٣٩/٢٨٦، جـ ٣/٩١، الفوقية والتحتية جـ ٣/٤٣، الكاشفية جـ ٤/٧٠-٧١/٨٤/١٢٤، جـ ٦/٣١١، جـ ٧/٤١٧، لحاظ المنجزية جـ ٤/٧٨، الطريقية جـ ٤/٨٤، جـ ٧/٤١٧، الأعلمية جـ ٤/١٩، المانعية جـ ٤/١١٤-١١٥/١٩٨، جـ ٥/١٦٤، الحجية جـ ٤/٢١٩، جـ ٧/٤٢/٢٤٦، المعلولية جـ ٤/١٢١، المنجزية والمعذرية جـ ٤/١٤٠/١٩٣، جـ ٥/١٨٩، المنجزية جـ ٤/١٤٩/١٦٢/١٦٤/١٦٧، جـ ٧/٢٨٢، الترخيصية جـ ٤/١٥١، التمامية جـ ٤/١٦٦، جـ ٦/٣٢١، جـ ٧/٣٣٠، العقلانية جـ ٤/١٩٢-١٩٣/٢٣٤، جـ ٥/١٨١، جـ ٦/١٧، المتشرعية جـ ٤/٢٣٦، فتوائية جـ ٤/٣٢٤، الامارية جـ ٦/١٠/١٩، الحكائية جـ ٦/٣٦، القرينية جـ ٧/١٦٥، العلامية جـ ٧/٤٢، الأحدثية جـ ٧/٤١٧.

(١) "فى مثل هذه الظروف العصيبة التى ألمت بعالمنا الإسلامى بعد قيام الثورة الإسلامية المباركة فى إيران الإسلام بقيادة إمام الأئمة أية ا العظمى السيد الخمينى (مد ظله). هذه الظروف التى جاءت نتيجة تكالب قوى الكفر والاستكبار العالمى وتحالفها فى التصدى والمواجهة للمد الإسلامى الظافر الذى كان لسيدنا الشهيد الدور الأساسى فى ترسيخ

المغصوب الذى يمكن أن يؤدى إلى لاهوت الأرض ولاهوت التحرير[1]. يدخل فى المسائل النظرية مثل المسائل الكلامية والحديث عن الجبر والاختيار ويحاجج الفـرق الإسـلامية، المعتزلة والأشاعرة والشيعة[2]. ونظرا لتعظيم كاتب التقرير للمحاضر تكثر الألقاب مما يمنع من أخذ موقف نقدى وسيادة جانب التبجيل والاحترام. فإذا ساد أصول الفقه السنى الطابع العملى فإن الطابع النظرى الخالص هو السائد على أصـول الفقه الشيعى بالرغم من عنوان "الأصول العمليـة"، ويغيـب مقياس الحكم ومعايير الصدق فى المسائل النظرية الخالصة. كما تغيب المصالح العامة وهى مقياس الصدق عـن أهـل السنة. الواقع الموضوعى خارج النفس، والتحليلات الشـيعية

دعائمه وإرساء قواعده على الصعيدين الفكـرى والعملـى فـى العـالم الإسلامى أجمع وفى العراق على وجه الخصوص.." جـ ٧/١.

"وقد قدر ا سبحانه وتعالى أن تخرج هذه الندوة إلى النشر بعد استشهاد ذلك الرجل الربانى الصالح وفى ظروف الهجرة إلى بلاد إيران الإسـلام فى ظل الحكومة الإسلامية المباركة وبقيادة قائد الأمة وأمل المستضعفين فى العالم الإمام الخمينى، متع ا الإسـلام والمسـلمين بطـول عمـره الشريف... ما سلبته يد الخيانة والطغيان البعثى الفاشى حينما أقدمت على الجنابة التاريخية العظمى فى هذا العصر فاعتقلت أستاذنا إلـى محـراب شهادته وصادرت مكتبته..." جـ٦/٥-٦.

(١) السابق جـ٣/٨٨-٩٦، جـ٤/١٤٠.

(٢) السابق جـ٢/٢٧-٣٩.

داخل النفس. فهى أقرب إلى فلسفة الأصول منها إلـى علـم الأصول. كان يمكن للاستصحاب، مصاحبة الحال، أن يخرج علم الأصول من هذا العالم المعرفى المغلق والإطار النظرى الخالص للدلالة على براءة الأشياء. ومع ذلك ظـل أيضـا عالما معرفيا مغلقا. تحضر الأمثلـة الفقهيـة الجزئيـة دون الرؤية الكلية لدلالة الاستصحاب.

ويغلب أسلوب التقرير وما عرف عنه من لازمات فـى أول العبارات تدل على مسار الفكـر، مقدماتـه ونتائجـه، ملاحظاته واستنتاجاته. توضع الحقائق بـلا بـراهين ودون السجال فيها، بحيث أصبح العلم عالما مغلقا يغيب عنه الواقع والأمثلة. هناك محاولة للتخليص والاستنتاج والوصول إلـى نتائج جزئية فى موضوع جزئى وليست رؤيـة كليـة فـى موضوع كلى[1]. وتغيب أسماء الأمـاكن باسـتثناء النجـف الأشرف ومكة والمدينة وعرفة[2].

والبنية ثنائية: الـدليل اللفظـى، والأصـول العلميـة. والأصول العملية أكبر[3]. والدليل اللفظى أيضا ثنائى البنية،

---

(١) السابق جـ٤/٤٢١-٤٢٣.

(٢) السابق جـ٧/٣٤/١٣٧/٢٣٠/٣٨٦.

(٣) الدليل اللفظى ثلاث مجلدات تقع فى ١٢٦٥ص. والأصول العملية أربعة

البحوث اللفظية التحليلية والبحوث اللفظية اللغوية، واللغويـة أكبر[١]. والتحليلية ثنائية البنية أيضا بين الحروف والهيئات، والهيئات أكبر[٢]. والبحوث اللغوية رباعية البنية، المشـتق، والأوامر، والنواهى، والمفاهيم، والأوامر أكبـر[٣].وتشـمل المفاهيم باقى مباحث الألفـاظ العـام والخـاص، والمطلـق والمقيد، والمجمل والمبين. أما مباحث الحجـج والأصـول العملية فهى رباعية البنية، الحجج والإمـارات، والأصـالة وتشمل أصالة البراءة وأصـالة التخييـر والاحتيـاط، ثـم الاستصحاب، وأخيرا تعارض الأدلـة الشـرعية. وأكبرهـا ثلاثية أصالة البراءة وأصالة التخيير والاحتياط، وأصـغرها الاستصحاب[٤]. وفى الحجج والإمارات الظـن أكبـر مـن القطع[٥]. والاحتياط أكبر من أصـالة البـراءة، وأصـغرها أصالة التخيير[٦]. والاستصحاب خماسـى البنيـة، أكبرهـا

مجلدات تقع فى ١٧٥١ص.

(١) التحليلية ١٣٩ص، اللغوية ص.

(٢) الهيئات (٩٧)، الحروف (٣٢).

(٣) الأوامر (٤٢٨)، النواهى (١٢٨)، المفاهيم (٨٢)، المشتق (٢٧).

(٤) أصالة البراءة، أصالة التخيير، الاحتيـاط (٥١٥)، الحجـج والإمـارات (٤٤٩)، تعارض الأدلة الشرعية (٤١٨)، الاستصحاب (٣٦٢).

(٥) الظن (٢٦٧)، القطع (١٥٨).

(٦) الاحتياط (١٥٦)، أصالة البراءة (١٣٠)، أصالة التخيير (١٥).

الحجية، وأصغرها نسبة الإمـارات والأصـول العلميـة[1].

وتعارض الأدلة الشرعية ثلاثية البنية. أكبرهـا التعـارض المستقر ثم غير المستقر، وأصغرها تعريفه[2]. والتعـارض المستقر ينقسم إلى الأخبار والحجيـة، والأخبـار أكبـر[3].

وتغيب المصادر الشرعية الأربعة المعروفة عند أهل السنة، الكتاب، والسنة والإجماع والقياس لصالح الأصول العمليـة. مباحث الدليل اللفظى تعادل مباحث الألفاظ عند أهل السـنة، ومباحث الحجج والأصول العملية تعادل المصادر الشـرعية الأربعة وتغيب أحكام التكليف وأحكام الوضع كمـا تغيـب مقاصد الشارع ومقاصد المكلف. وهنا يغلب التأويـل علـى النص، ويغلب كلاهما على الفعل فى العـالم والتحقـق فـى الواقع.

والشواهد النقلية، والآيات أكثر من الأحاديث[4]. كما تقل المحاجة العقلية. ويغيب القيل والقال نسبيا.

---

(١) الحجية (١٠٨)، مقدار ما يثبت به (٤٤)، الأقوال (٤٠)، تطبيقات (٣٠)، النسبة بين الإمارات والأصول العملية (٢٤).

(٢) التعارض غير المستقر (٢١٢)، التعـارض المسـتقر (٧٤)، التعريـف (١٣).

(٣) الأخبار (٩٦)، الحجية (٨١).

(٤) الآيات (٧٤)، الأحاديث (٢٤).

ويظهر الأسلوب النمطى للتقرير ابتداء من الملاحظـة والاستنتاج والتحقيـق ووضـع الـدعاوى والـردود علـى الاعتراضات حتى يتضح الصحيح[1].

ومن حيث أسماء الأعلام يتقدم النائينى ثم العراقى ثـم السيد الأستاذ مما يدل على انتساب السيد الأستاذ وهو محمد باقر الصدر إلى مدرسة النائينى والعراقى. إذ يحيـل إليهـا باعتبارهما مدرسة وليسا شخصين مع نقد بعـض المواقـف المتطرفة[2]. ثم يـأتى الأصـفهانى، ثـم صـاحب الكفايـة والخراسانى ثم الشيخ الأعظم ثم الميرزا ثم الأنصارى. ثـم يأتى الطوسى من الرواد الأوائـل والاسـترابادى مؤسـس

---

(١) ويتضح ذلك خاصة فى الجزء السادس، الاستصحاب. والسابع، تعارض الأدلة الشرعية دون ما حاجة إلى تحليل كامل لأسلوب التقرير. ومع ذلك يمكن رصد الأسلوب النمطى فى الجزء السادس كالآتى: يلاحـظ (٢٧)، الصحيح (١٦)، الجـواب (١٣)، التحقيـق (١٢)، توضـيح ذلـك (٨)، الحاصل (٦)، دعوى، مدفوعة (٥)، قلنا، يرد عليه (٣)، أقـول، ويـرد على البيان (٢)، ويرد على الجواب، ويرد على ما ذكـره، والملاحظـة (١). وفى الجزء السابع على النحو الآتـى: الصـحيح (٣١)، التحقيـق (٢٢)، وهكذا يتضح، القيل والقال (٢٠)، الجواب، ويرد على البيـانين، الجواب على الاعتراض (٤)، ويتلخص، الاعتراض (٣)، بعبارة أخـرى (٢)، ظهر، تحصل، عرفنا فيما سبق، وهكذا يتبرهن، تلخيص واستنتاج، دعوى (١).

(٢) السابق جـ٤/١٥٨/١٦٥-١٦٦.

المدرسة الإخبارية التى أحدثت رد فعل عليها فى الحركـات الإصلاحية الحديثة. ثم يتوالى المؤسسون مثل المفيد. ويظهر ابن سينا مع الأصوليين لما كانت أصول الفقه الشيعى أقرب إلى المعرفة الإشرافية، مع عشـرات أخـرى مـن أعـلام الشيعة[1]. لذلك يكثر الحديث عن الكاشفية الوجدانية، واليقين الوجدانى، "الوجدان المعرفى"، "العلم الوجدانى"[2].

ومن رواة الشيعة وأعلامهم ومحدثيهم يتقدم أبو عبد ا ، ثم زرارة، ثم إسماعيل الجعفى والكلينى، ثم النجاشى، ثم أبو جعفر، ثم عمرو بن حنظلة، ثم يونس عبد الرحمن وعشرات آخرين من رواة الشيعة من أجل التحقق مـن صـحة سـند

---

(١) النائينى (٣٦٢)، العراقى (٢٣٥)، السيد الأسـتاذ (١٧٥)، الأصـفهانى (١٤٩)، صاحب الكفاية (١٣٥)، الخراسـانى (١٢٨)، الشـيخ الأعظـم (١٠٤)، الميـرزا (٨٠)، الأنصـارى (٢٥)، الطوسـى (٢٢)، الشـيخ الصدوق (١٠)، الاسترابادى (٧)، صاحب الوسائل، السـيد المرتضـى (٦)، صاحب الفصول (٥)، السبزوارى، الشـيرازى الكبيـر، الوحيـد البهبائى، النزاقى، الشيخ (٤)، الخوانسارى، المفيد، المحقق (٣)، الدوانى، صاحب الحدائق، صاحب الجواهر، الشيرازى، ابن زهرة، بحر العلـوم (٢)، ابن سينا، صاحب العروة، صـاحب القـوانين، المحقـق القمـى، السكاكى، البروجردى، الشهيد الثانى، الميرزائى، الآخونـدى، الشـهيد، العلامة، صاحب المعالم، الفاضل التونى، سـيدى الموالـد، الكـاظمى، صاحب مدارك الأحكام، الحائرى، الشيخ الحر (١).

(٢) السابق جـ٤/٤٠٠-٤٠٧، جـ٦/٣٢، جـ٧/١٨٨/٢٥١.

الروايات[1]. وتتم الإحالات إلى إصحاحات أهل السنة سـنن ابن ماجه وأبى داود والبخارى وأحمد ورواة الأحاديث مثـل أنس وشراح ابن مالك[2].

ومن المصادر يتقدم الكفاية، ثم الوسائل، ثـم المعتبـر وغيرها من أمهات الكتب الأصولية[3]. ومن أئمة آل البيـت يتقدم الإمام، ثم الأئمـة، ثـم النبـى، ثـم المعصـوم، ثـم المعصومون، ثم الصادق، ثم الصدوق، ثم رسـول ا ، ثـم أمير المؤمنين ثم أصحاب الأئمة وكل ما يتعلـق بالإمامـة والإمامية والشيعة وآل البيت[4]. ومن أهـل السـنة يتقـدم

---

(١) أبو عبد ا (٥٧)، الراوندى، زرارة (٢٠)، إسماعيل الجعفى، الكلينـى (١٦)، النجاشى (١٥)، ابن أشهر آشوب، ابن على بن عبد الصمد (١٤)، أبو جعفر (٨)، سمرة بن جندب، محمد بن عيسـى الرضـا (٧)، أبـو البركات، عمرو بن حنظلة، يونس عبد الرحمن، أبو عمر الكنـائى (٦)، النيسابورى (٥)، الطبرسى، منتجب الدين، الحميرى، أحمد بن اسـحق، أبو عمرو بن سعيد (٤)، الباقى، العسكرى، محمد بن مسلم، محمـد بـن يحيى، الحلبى، الحسن بن روح، الحسين بن جهم، أبو الحسـن الرضـا (٣)، النوبختى، ابن طاوس (٢)أو الحسن، جابر الحميرى ...الخ (١).

(٢) ابن ماجه، أبو داود، البخارى، أحمد بن حنبل، شرح بن مالك (١).

(٣) الكفاية (٧)، الوسائل (٤)، المعتبر، رياض العلماء، أمل الأمل، الرسالة، التهذيب، الخصال والتوحيد، الفهرست، كتاب الإيمان، كتـاب البرهـان، كتاب الحدائق، عوالى اللآلى، الكافى .

(٤) الإمـــام (١٥١)، الأئمـــة (٥٥)، النبـــى (٤٧)، المعصـــوم (٤٦)، المعصومون، الصادق (١٩)، رسول ا (١٧)، الصـدوق (١٦)، أميـر

الأشعرية والأشاعرة والأشعرى، ثم المعتزليـة والمعتزلـة والمعتزلى. ومن باقى الفرق يتقدم الفلاسفة[1]. ومن مجموع العلماء يتقدم المحققون والأصـوليون والفقهـاء والمشـايخ والأعلام والشيوخ والعلماء والإخباريون. ومنهم المتقـدمون والمتـأخرون، الأقـدمون والمحـدثون. ومـنهم متـأخرو المتأخرين[2]. وقد تكون الطائفة على الإطلاق بلا متقدمين أو متأخرين مثل شيوخ القميـين، المسـلمون، علمـاء الطائفـة، الإخباريون، المسلمون، الأصحاب ...الخ[3]. كما يحـال إلـى اللغة العربية وقواعد العربية واللغة العربية.

ونظرا لارتباط الحركات التحديثية الأصـولية بـالتراث

المؤمنين (٩)، أصحاب الأئمة (٧)، الرسول، نبينا محمد، الإماميـة (٦)، الإمام الصادق (٤)، الإمامى، الشيعة (٣)، أهل البيت، الباقر، الأصحاب، أصحابنا (٢)، الصادقون، العسكريون، آل محمد، بيت العصمة (١).

(١) الأشعرية (٤)، الأشعرى (٣)، الأشاعرة (٢)، المعتزلية (٣)، المعتزلـة (٢)، المعتزلى (١)، الفلاسفة (٥)، المتصوفون (١).

(٢) المحققون (٢٤)، المحققون المتأخرون (١)، الأصـوليون (٤)، علمـاء الأصول، الأصوليون المتأخرون (٢)، الأقدمون من علمـاء الأصـول، مشهور المحققين المتأخرين من علماء الأصول، متأخرو المتأخرين (١)، الفقهاء (٢)، الفقهاء المعاصرون، الفقهاء الأقدمون (١)، الأئمة الأقدمون، الأقدمون، مشايخنا المتقدمون، الأعلام المتأخرون (١).

(٣) شيوخ القميين، الحكماء (٢)، العلمـاء، الإخبـاريون، علمـاء الطائفـة، المسلمون، الأصحاب، نصرانى، يهودى (١).

الغربى يحال إلى الفيلسوف المادى رسل وأرسطو والمنطـق الأرسطى[1]. كما تتم الإحالة إلى الغرب بين الحين والآخـر وعلى استحياء فى نقد المنطق الصورى واكتشاف "الأسـس المنطقية للاستقراء" نظرا لارتباط الأصول بالاستقراء وهـو ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى"، حوار حضارات بين المثالية والواقعية، بين الثقافتين الغربية والإسلامية. بـل إن الاستقراء يعم، ويتجاوز التعليل إلى أن يصبح أساسا للتواتر والتحقق من صحة السند[2].

٤- "الأصول العامة للفقه المقارن" لمحمد تقى الـدين الحكيم (١٩٢٤-)[3]. وفى الاتجاهات التحديثية الحالية تظهر الدراسات المقارنة بين أصول الفقه السـنى والشـيعى بدعوى التقريب من ناحية وبين أصـول الفقـه الإسـلامى والغربى من ناحية أخرى. والأول هو الأكثر شيوعا نظـرا

---

(١) الفيلسوف المادى رسل جـ٤/٢٧٩/٣٣١، أرسطو جـ٤/٣٢٢، المنطق الأرسطى جـ٤/٣٥٥.

(٢) السابق جـ٤/١٢٥/١٣٠-١٣٢/٣٢٨. مثال ذلك آية النبأ وآية النفر وآية الكتمان وآية الذكر، جـ٤/٣٥١-٣٦٣/٣٧٤-٣٩٥، جـ٥/٥٨-٦٧.

(٣) العلامة السيد محمد تقى الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن، مدخل إلى دراسة الفقه المقارن، تحقيق المجمع العالمى لأهل البيـت، طـ٢ قـم ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

لأهمية التقريب بين المذاهب بعد دعوة القمى وشلتوت وإنشاء مؤسسة بأكملها ومجلة باسم "التقريب" على رأسها علماء فضلاء من إيران يعملون للقضية. لذلك أصبح علم أصول الفقه عند الفريقين، السنة والشيعة، متقاربين للغاية فى النهاية كما بدءا متقاربين فى البداية فى "العدة" عند الطوسى، وفى "التذكرة" للشيخ المفيد، وفى "الذريعة" للشريف المرتضى. ويرصد المؤلف فوائد الفقه المقارن: البلوغ إلى واقع الفقه الإسلامى، تطوير الدراسات الأصولية، اتساع روح البحث العلمى، تقريب شقة الخلاف بين المسلمين. كانت المقارنة مع الداخل أكثر من المقارنة مع الخارج، مع أهل السنة أكثر من المقارنة مع الغرب الحديث، فالحوار مع الذات يسبق الحوار مع الغير. وهو تطوير لعلم الخلاف القديم ليس بمنهج الرصد كما هو الحال فى تاريخ الفرق أو بمنهج السجال كما هو الحال عند المتكلمين بل بهدف وحدة العلم، وتجاوز الخلاف القديم فى الأصول والفروع، والتأكيد على وحدة العلم. وتتم المقارنة بين القدماء والمحدثين على حد سواء. ونظرا لأن المنهج المقارن منهج تحديثى، والمؤلف على وعى به تماما، جاءت المقارنة أيضا مع

المدارس التحديثية فى علم أصول الفقه فى النجف استئنافا لتيار المصلحين كما حدث عند أهل السنة عند علال الفاسى فى "مكارم الشريعة ومقاصدها" تطويرا للشاطبى[١]. ويشار إلى بعض المسائل القديمة الحديث مثل شبهة التحريف فى القرآن[٢]. كما يبرز أن الشيعة تفتح باب الاجتهاد[٣]. ويناقش كتبها دون تطويل[٤]. ولا يذكر المعصومون إلا نادرا[٥].

والمقارنة مع الخارج، الغرب، أقل بكثير من المقارنة مع الداخل، القدماء والمحدثين. إذ يعرف الخارج من الداخل، من الفقه المقارن الذى قام بين علماء مصر مثل السنهورى، وأحمد حشمت، وأبو زهرة والخفيف وخلاف والدواليبى[٦]. فتحديث العلوم ومقارنة الأنا بالآخر جزء من تجربة التحديث فى مصر. ولا يذكر الفقه الغربى إلا فى أقل الحدود، عمداء كليات الحقوق فى باريس بلوندو وجينى ونقلا عن

(١) السابق ص٥١/١٠.
(٢) السابق ص١٠١-١١١.
(٣) السابق ص٥٨٤.
(٤) السابق ص ٢٥٦.
(٥) السابق ص٣٦٨.
(٦) السابق ص٤٣-٤٤.

المصريين[1]. جاءت المقارنـات إذن قليلـة مـع الـداخل والخارج، مع المذاهب الفقهية فى تراثنا القديم من أجل حوار جديد حول أصول الفقه عند السنة والشيعة أو مـع القـانون الغربى بكل مدارسه وفلسفاته خاصة القانون الطبيعى الـذى يعادل الفطرة فى تراثنا القديم. بل يذكر "نقد العقل النظـرى" و"نقد العقل العملى" دون الإشارة إلـى كـانط بـل مجـرد العنوانين ودون ذكر سواهما من عمد فلسـفة القـانون فـى الغرب[2]. ومع ذلك فالكتاب على وعى بموضوعه ومنهجـه وجدته. يتحدث عنه صاحبه فى المقدمة كعمـل موضـوعى منفصل عنه دون التوحد معه كما هو الحـال فـى المتـون المذهبية[3]. لذلك تقل عقائد الشيعة ومناهجهـا وتصـوراتها باستثناء بعض الروايات النمطية لأحقية على بن أبى طالـب وصالحه[4]. ويحيل النص إلى بعـض المستشـرقين مثـل جولدتسيهر وسخاو[5].

وبالرغم من النية الصادقة فى المقارنة والتحديث إلا أنه

---

(١) السابق ص٤٤-٤٥.
(٢) السابق ص٢٦٩.
(٣) السابق ص٧٧-٨٨/١٤١/٦٥١-٦٥٤.
(٤) السابق ص١٦٨-١٨١.
(٥) السابق ص٣٣٥-٣٣٦.

جاء كتابا تعليميا، أقرب إلى الكتب الجامعية المقررة للتدريس للطلاب. فقد كانت محاضرات الحوزة العلمية بالنجف للسنين الثالثة والرابعة. لذلك جاء واضحا مرتبا سـهل الاسـتذكار، وخلا من النوايا الأولى المعلنة. فهو كتاب للطلاب أكثر منه لتطوير العمل كما فعل الشاطبى فى "الموافقات". يعتمد على المنهج الحديث فى التـأليف، الاقتباسـات بـين معقـوفتين، والإحالة إلى المصادر والمراجع فى الهـوامش مـع أرقـام الصفحات. وتضاف خلاصة بعد كل بـاب وقسـم[1]. كمـا يضاف تمهيد لكل باب ورصد لعناصره. ويتم الحديث عـن المصادر فى آخر الكتاب كما هو الحال فى الرسائل العلميـة الحديثة[2]. ومن طرق التعليم تحديد مصطلحات العلـم فـى البداية[3]. كما يتم الإعلان عـن ضـرورة الاختصـار دون الإطالة ليسهل الاستذكار[4]. ويغيب أسلوب "التقرير" الشيعى ولازماته. والأقسام الفرعية قصـيرة ممـا يسـاعد علـى

(١) "تلخـيص وتعقيـب"، السـابق ص٣٨٨/٤٤٠. "خلاصـة البحـث" ص٣٤٢/٤٦٠/٤٨٥/٤٩٢/٥٢٧/٥٣٨، "الخلاصـــة" ص٤٢٠-٤٢١، و"خلاصة الجواب" ص٦٣، "ملاحظة" ص٤٢١.

(٢) السابق ص٦٥١-٦٥٤.

(٣) السابق ص٨٤-٨٥.

(٤) السابق ص٢٦٢.

الاستذكار والتفصيلات الكثيرة كلها تدخل فى موضوع هـو الاشتباه الذى حاول أصول الفقه الشيعى ضبطه معرفيا ببنيته الثلاثية: القطع، والظن، والشك.

والبنية خماسية: الأدلة، والاستصحاب، والبراءة والاحتياط والتخيير الشرعى، والبراءة والاحتياط والتخيير العقلى، وأخيرا القرعة. وأكبرها الأدلة، وأصغرها القرعة. وفى البداية مقدمة وفى النهاية خاتمة[1]. وتشمل الأدلة الأربعة ليس فقط الكتاب والسنة والإجماع والقياس بل أيضا سبع أدلة أخرى: العقل، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وفتح الذرائع وسدها، والعرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابى. كما أن البراءة والاحتياط والتخيير هى نفس القسمة مرة شرعا ومرة عقلا مما يبين أثر المعتزلة، والصلة بين العقل والنقل، والحسن والقبح العقليين على الفكر الشيعى الأصولى، فى الدين وفى الفقه. أما "القرعة" فهو لفظ جديد فى اختيار الأفعال طبقا للمصادفة وهو ما ينافى القصد والنية. أما الخاتمة فتشمل الاجتهاد والتقليد. وتدخل الأحكام

---

(١) الأدلة (٣٣٨)، الخاتمة (١١٦)، البحوث التمهيدية (٨٤)، البراءة والاحتياط والتخيير الشرعى (٣٤)، البراءة والاحتياط والتخيير العقلى (٣٤)، الاستصحاب (٣٢)، القرعة (١٠).

فى البحوث التمهيدية الأولى وليست فى صلب العلم. والمؤلف على وعى بالبنية ويسميها "هيكل" الكتاب[1]. ويعد بوضع جزء ثان من الكتاب فى "القواعد الفقهية"[2]. وتظل الأولوية للمعرفة على الفعل، وللتأويل على النص، وللوعى النظرى على الوعى العملى، وللداخل على الخارج، وللوعى على التاريخ.

ويعتمد النص على عديد من الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والآيات أكثر. والشعر أقل[3]. وتتأكد وحدة المشروع بإحالة السابق إلى اللاحق واللاحق إلى السابق[4].

ومن أسماء الأعلام يتقدم بطبيعة الحال النبى ثم الغزالى ثم الرسول الذى يتكرر بعد ذلك فى النبى ومحمد. ومن القدماء يتقدم الشافعى السائد عند أهل السنة، وخلاف وأبو زهرة والدواليبى والمراغى من المحدثين المجددين المصريين فى الفقه وأصوله. ويتداخل الصحابة مثل عمر

---

(١) الفقه المقارن ص٧٩-٨٨.

(٢) السابق ص٦٥١.

(٣) الآيات (١١٠)، الأحاديث (٧٣)، الشعر (٤). (ويغيب من التحقيق فهارس تفصيلية للآيات، والأحاديث، والأشعار والأمثال، والفرق والطوائف، والأماكن).

(٤) الفقه المقارن ص٣١.

وعلى مع الأصوليين السنة مثل الآمـدى، والشـيعة مثـل النائينى. ثم يحال إلى مؤسسى المذاهب مثل أحمـد ومالـك وأبو حنيفة مع باقى الصحابة مثل أبى بكر والمحدثين مثـل البخارى. ويذكر أعلام الأصوليين السنة مثـل ابـن حـزم والشاطبى وابن القيم وابن تيمية والطوفى والشـوكانى قبـل أعلام الأصوليين الشيعة مثل الخوئى. ويحال إلـى بعـض المتكلمين مثل النظام والجبائى، وإلى الفلاسفة مثل ابن رشد، وإلى الفقهاء مثل ابن الصلاح. ثم يتداخل الكـل مـع الكـل لتثبيت وحدة الحضارة الإسـلامية، سـنة وشـيعة، فقهـاء ومتكلمين وأصوليين وصوفية وفلاسفة ومحدثين ومفسـرين وكتاب سـيرة، ومستشـرقين، قـدماء ومحـدثين، نـاقلين ومجددين[1].

(١) مجموع الأعلام (٣١١)، منهم (٢١٥) مرة واحدة. النبى (٦٢)، الغزالى (٤١)، الرسول (٣٠)، الشافعى، عبد الوهاب خلاف (٢١)، الآمدى، عمر (١٩)، النائينى (١٧)، على (١٦)، أبو زهرة، أحمد بـن حنبـل (١٥)، الطوفى (١٣)، مالك (١٢)، أبو بكر، أبو حنيفة، البخـارى (١٠)، ابـن حزم، الخضرى، الشاطبى، معاذ (٩)، ابن عباس، ابن القيم، الشـوكانى، الطوسى (٨)، الخوئى، محمد (الرسول) (٧)، ابن مسعود، أبو عبـد ا (الإمام الصادق)، أبو موسى الأشعرى، أم سلمة، الكلينى، مسلم (٦)، ابن حجر، الحسن (الإمام)، الحسن بن يوسف (٥)، ابن الصلاح، أبـو داود، الحاكم، الدواليبى، الطبرائى، عثمان، عكرمة، فاطمة، المراغى، النظـام

ومن الطوائف يذكر الأحناف والمتكلمون والأصـوليون والأشاعرة والفلاسفة والمعتزلة والماتريدية. ومـن الشـيعة يذكر الإخباريون الذين يعادلون أهل الأثر عند السنة[1]. كما يحال إلى بعض المصادر والمراجع القديمة والحديثة، سـنة

---

(٤)، ابن تيمية، ابن همام، أبو سعيد الخـدرى، الترمـذى، العسـكرى، الرازى، زرارة، زيد، السرخسى، سلام، شـرف الـدين (السـيد عبـد الحسين)، عائشة، العباس، ابن مسعود، القاضى، الكرخى، محمد يوسـف موسى، المرتضى، المقدسى، ابن الحاجب، الهادى (٣)، ومن (٣٤) علما ذكر كل منهم مرتين: أبان، ابن رشد، أبو بكر القاضـى، أبـو هريـرة، الاسترابادى، إمام الحرمين، أنس، الجبائى، الجصاص، جعفر بن مبشـر، جولدتسيهر، حذيفة بن النعمان، الخفيف، الرشتى، زيد بن أرقم، زيد بـن ثابت، السيوطى، جعفر الصادق، النسائى...الخ (٢)، وأهم الأعلام الـذين ذكروا مرة واحدة: ابن برهان، ابن جرير، ابن حنظلة، ابن خلدون، ابـن عابدين، ابن العربى، ابن عقيل، ابن ماجة، ابن هشام، الباقلانى، أبو بكر الرازى، القرافى، أبو الحسين البصرى، أبو ذر، أبو سفيان، الماتريـدى، الطبرسى، الأسفراييني، الأصم، امرؤ القيس، البـزدوى، البطليموسـى، البهيقى، الجرجانى، جعفر بن حرب، الجوينى، المحاسـبى، الكرابيسـى، الخازن، الخليل، داود الظـاهرى، الراغـب الأصـفهانى، السجسـتانى، السنهورى، الشهرستانى، الشهيد الثانى، الصيرفى، الخفيف، الصـعيدى، القاشانى، القرافى، القفال، اللخمى، المازرى، المـاوردى، أبـو زهـرة، مسروق، مصطفى الزرقا، مصطفى عبد الرازق، الـدواليبى، النسـفى، النيسابورى، الواحدى... الخ (١).

(١) الإخباريون (٦)، المتكلمون، المعتزلة (٣)، الأحناف (٢)، الأصـوليون، الفقهاء، الماتريدية، الفلاسفة، الأشاعرة (١).

وشيعة[1].

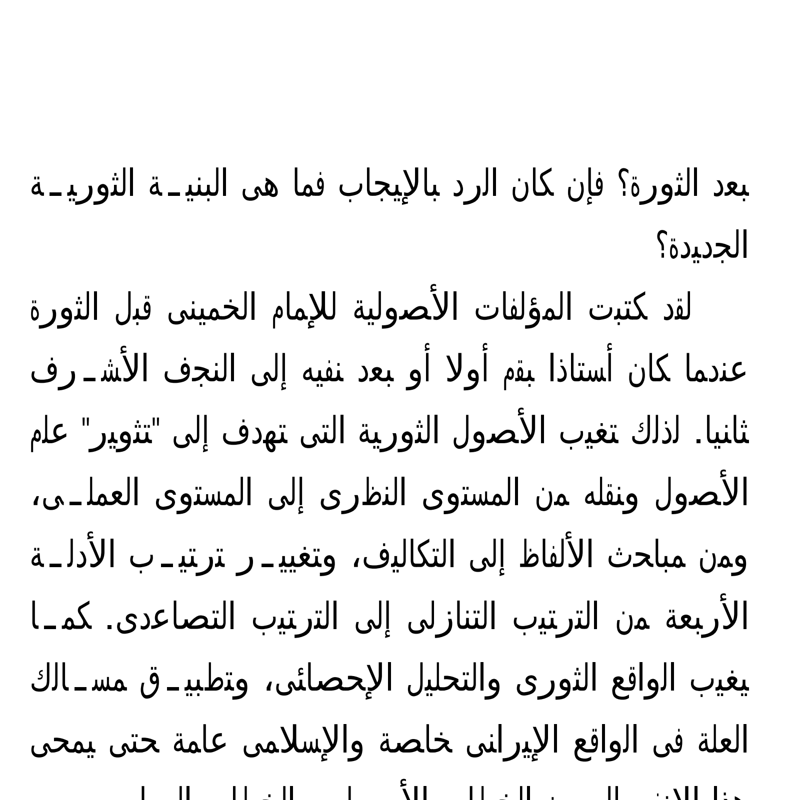
رابعا: هل تغيرت البنية بعد الثورة؟

وقد تعددت مؤلفات أصول الفقه الشيعى عند قائد الثورة الإسلامية فى إيران وثوارها الذين فجروها. والسؤال هـو: هل كان أصول الفقه الشيعى بمفاهيمـه عـن الاستصـحاب والتجرى، والبراءة والاحتياط، والتخيير، والشـك والقطـع والظن أحد عوامل تفجير الثورة الإسلامية فى إيران؟ ولماذا ازدهر أصول الفقه الشيعى بعد اندلاع الثورة؟ وهـل هنـاك علاقة بين التشيع والثورة فى علم أصول الفقه أم أن العلاقة بينهما هى العلاقة بين الأصول النظرية التقليدية والممارسـة الثورية المعاصرة كما هو الحال عند الإمام الخمينـى؟ وإن كان الجواب بالنفى فكيف يقود الثورة محافظ نظرى وثورى عملى؟ هذا هو الخلاف بين النظرية والممارسة، بين النظـر والعمل، بين الرؤية والتطبيق[2]. هل تغيرت البنية الرباعيـة

---

(١) وذلك مثل "نيل الأوطار" للشوكانى، "القياس فى الشرع الإسلامى" لابـن تيمية وابن القيم، "الميزان" للشعرانى، "المنهاج" للشيرازى.

(٢) لذلك يقوم "من النص إلى الواقع" بتثوير علم الأصول بحيث يمحى هـذا الخلاف بين النظر والعمل. انظر دراستنا: .



بعد الثورة؟ فإن كان الرد بالإيجاب فما هى البنية الثورية الجديدة؟

لقد كتبت المؤلفات الأصولية للإمام الخمينى قبل الثورة عندما كان أستاذا بقم أولا أو بعد نفيه إلى النجف الأشرف ثانيا. لذلك تغيب الأصول الثورية التى تهدف إلى "تثوير" علم الأصول ونقله من المستوى النظرى إلى المستوى العملى، ومن مباحث الألفاظ إلى التكاليف، وتغيير ترتيب الأدلة الأربعة من الترتيب التنازلى إلى الترتيب التصاعدى. كما يغيب الواقع الثورى والتحليل الإحصائى، وتطبيق مسالك العلة فى الواقع الإيرانى خاصة والإسلامى عامة حتى يمحى هذا الانفصال بين الخطاب الأصولى والخطاب السياسى.

وربما غابت الثورية من الأعمال الأصولية للإمام الخمينى لأنها من مستلزمات الوظيفة والدرجة العلمية أو من مقتضيات المهنة سواء كان كتب قبل الثورة أو بعدها، وفى الأغلب قبل الثورة عندما كان الخمينى أستاذا فى الحوزة العلمية فى قم أو فى النجف الأشرف. فالأصول مهنة، والثورة رسالة. العلم صنعة، والثورة قضية. التدريس حرفة، والثورة دعوة. الحوزة نظام، والثورة انقلاب.ومع ذلك

يتطور الفكر ويتغير المفكر تبعا لأحداث الزمان وإن لم ينعكس ذلك بوضوح على موضوع الفكر وبنية الأصول[1].

ليس المهم آثار الثورة فى الشباب المقاتل والتحول من الترف إلى الجدية والدفاع عن الثورة ضد خصمها فهذه هى الثورة على المستوى العملى وليس على المستوى النظرى. وليست أهمية اشتهار عقائد الشيعة فى العالم فهذا مكسب طائفى أو ارتباط التشيع بالثورة على الحاكم الظالم. فهذا ما يعرفه القاصى والدانى[2].

وتتراءى المقاصد الثورية عند الإمام الخمينى فى عبارات قصيرة وأمثلة نادرة. ففى خاتمة "مناهج الوصول" يضيف الإمام إلى البسملة التقليدية "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين"، "ولعنة الله على أعدائهم"[3]. كما يضرب المثل بزيد الفاسق[4]. وكان يمكن استمرار تحديث أمثلة الفسق المعاصر من الحكام الظالمين.

---

(١) تنقيح الفصول جـ٤/٤٠.

(٢) الخمينى: مناهج الوصول إلى علم الأصول، مقدمة محمد الفاضل اللنكرانى جـ١/١١ (د.ت).

(٣) الخمينى: مناهج الأصول جـ١/٣٣.

(٤) الخمينى: معتمد الأصول ص٣٣١.

ونادرا ما تظهر مصطلحات الثورة مثل "المستسـلمون من مشايخنا"، "المستضعفون"[1]. كان مـن الممكـن تحليـل ظاهرة استسلام الأئمة خوفا مـن الحـاكم الظـالم وإيثـار السلامة، وعزل الدين عن الحياة اكتفاء بإيمان العجائز.

وتضرب الأمثلة الخاصـة بالعسـكر وسـوقهم لفـتح الأمصار. فالغرض لا يتعلق بواحد واحد بل بمجموع العسكر الموجب لإرعاب الأهل[2]. كان يمكن تطوير هذا المثال إلى ما كان يفعل رجال "السافاك" عسكر الشاه لإرعاب المثقفـين واصطياد المناضلين فى الداخل والخارج حتى تتجـدد مـادة الأصول فاربما أثر ذلك على تجديد بنية الأصـول. فالعمـل يفرض نفسه على النظر، والواقع يفرض نفسه على الفكر.

وكان يمكن تثوير علم الأصول عن طريق ما سماه الفقه الحنفى "الصلاة فى الدار المغصوبة" وعدم جوازها لاستحالة الجمع بين الحسن والقبيح فى نفس الوقت، حسـن الصـلاة وقبح الاحتلال. وهى ممكنة عند الشيعة بالرغم من الـدفاع عن الحسن والقبح العقليين اعتمادا علـى المعتزلـة وضـد

(١) الشيخ مرتضى الأنصارى: فرائد الأصول جـ ٥٦٤/٣٠٤/١.

(٢) مناهج الأصول جـ ٣٣٣/١.

الأشاعرة[1]. والأمثلة واضحة فى الواقع المعاصر. ففلسطين وكشمير وسبته ومليليه دور مغصوبة. ومال الأغنياء مال مغصوب من عمل الفقراء، وعائدات النفط مغصوبة من ثروات الأمم.

ومن مقدمات الثورة التمييز بين القديم والجديد، بين القدماء والمحدثين، بين المتقدمين والمتأخرين، إحساسا بالتطور والزمن. والثورة علامة فارقة تحول التطور الكمى إلى تغير كيفى وإلا انتهى مسار التطور إلى مجرد الإصلاح.

ويظهر لفظ "الواقع" عند الإمام الخمينى وإن لم يظهر مضمونه مثل "إجزاء الظاهرى عن الواقع" أو "إجزاء الاضطرارى عن الواقع". وهو الواقع الفردى عندما تكون له الأولوية على الفعل الشرعى الظاهر. فالضرورات تبيح المحظورات[2]. لم يتم استثمار اللفظ، وتغيير أولويات الأصول كلها ابتداء من الواقع كما هو الحال فى "من النص إلى الواقع".

---

(١) السابق جـ٢/١١٩-١١٢/١٤٢-١٤٧، معتمد الأصول ص٢٠٣/٢٠٧، تنقيح الأصول جـ٢/٢١٨/٢٢٨/٢٣٨، منتهى الأصول جـ١/٥٥٨-٥٦٠.

(٢) تنقيح الأصول جـ١/٢٩٣/٢٩٨.

لذلك غلب على أصول الفقه الشيعى الجانب النظرى المعرفى الداخلى التأملى أكثر من الجانب العملى الوجودى الخارجى. وهو أقرب إلى فكر الجماعات السرية التى تنشأ تحت الأرض وليس إلى فرقة السلطان التى تتحكم فى الأرض. وهو نفس الطابع فى الكلام والفلسفة والتصوف. أصول الفقه السنى يبغى السيطرة على العالم من خلال الأوامر والنواهى والتكاليف الشرعية المستقطبة بين الحلال والحرام فى حين أن أصول الفقه الشيعى يبغى التحرر من قبضة العالم الخارجى عن طريق المعرفة. فالتكاليف فهم، والأوامر والنواهى مباحث لفظية، والتكاليف براءة واصطحاب وقواعد أصولية عامة. ويظهر البعد الشعورى فى علم أصول الفقه الشيعى بالإحالة المستمرة إلى الوجدان، الرؤية الوجدانية والمعرفة الوجدانية[1].

ويكثر علم الأصول الشيعى من استعمال المصدر الصريح بطريقة تبدو اصطلاحية وهى فى الحقيقة غريبة لغوية لم تتعود عليها الأذن العربية وليست جزءا من مصطلحات العلم مثل: الفورية، الكاشفية، التصرفية،

(١) "فنحن نرى بالوجدان"، الإمام الخمينى: معتمد الأصول ص٤١٨.

الاخطارية، الايجادية، الهوهوية، القيدية، المقدمية، التمامية، الطولية، الاستعجالية، المحكومية، أصولية المسألة، كبروية النزاع[1]. وتستعمل النسبة بشكل غير مألوف مثل: الرابطى، الآلى والاستدلالى، المقامى، الصحيحى، الأعمى، الاقتضائى، التعليقى، التهيؤى[2]. بل ويؤخذ اسم الإشارة نسبة مثل الكذائى[3]. ويثنى الاسم بطريقة غير مفهومة مثل اللحاظان[4]. ويستعمل الجمع أيضا بنفس الطريقة مثل اللبيات[5].

وأحيانا تكون الغربة فى المصطلح ذاته مثل "الامكان المزبور" والخمينى على وعى بهذا الاسم المصدرى وكثرة

---

(١) السابق جـ ١/٩٢/١١٨/٢١٩/٢٢٩/٢٩١/٣٤٢/٣٩١/٣٩٢، جـ ٢/١٠/٢٣/٨٢/١١١/١١٥/٢٤١/٢٦٠-٢٦٢/٢٦٨/٢٧٠.
(٢) السابق جـ ١/٧٨/١٠٨/١٣٧/١٤١/١٤٦-١٤٨/١٥٨/١٦٢/١٦٤/١٦٧/١٦١.
(٣) السابق جـ ١/٣، جـ ٢/٢٩٨.
(٤) السابق جـ ١/١٨١.
(٥) السابق جـ ٢/٢٥٥، إخطارية، إيجادية جـ ١/٧٣، اللحاظ الآلى والاستدلالى جـ ١/١٠٨، الهوهوية التصديقية جـ ١/١١٨/٢١٩/٢٢٩، الصحيحى جـ ١/١٤٦/١٦١-١٦٢/١٦٤، الاقتضائى أو التعليقى جـ ١/١٤٧، الصحيحى والأعمى جـ ١/١٤٨-١٩٧، اللحظان التابعيان الآليتان جـ ١/١٨١، البنتية جـ ١/١٩٥، التهيئى جـ ١/٢٠٢، التصرفية جـ ١/٣٤٢، الكاشفية جـ ١/٣٩١.

استعماله[1]. وأحيانا تدل بعض الألفاظ على معـانى حرفيـة وليست عرفية مثل المجتمع الذى يعنـى الاجتمـاع ولـيس جماعة من الناس[2].( ).

وهناك نوعان من مؤلفات أصول الفقـه عنـد الإمـام الخمينى: الأول متون كتبها بنفسه سواء نشرها فى حياتـه أم حققها أحد تلاميذه أو أعوانه بعد وفاته. وهى نوعـان كليـة مثل "مناهج الأصول" و"أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية" أو جزئية مثل "الاجتهاد والتقليد" و"الاستصحاب" و"التعـادل والتراجيح". والثانى تقارير كتبها أى ألفها تلاميـذه وخلفائـه

---

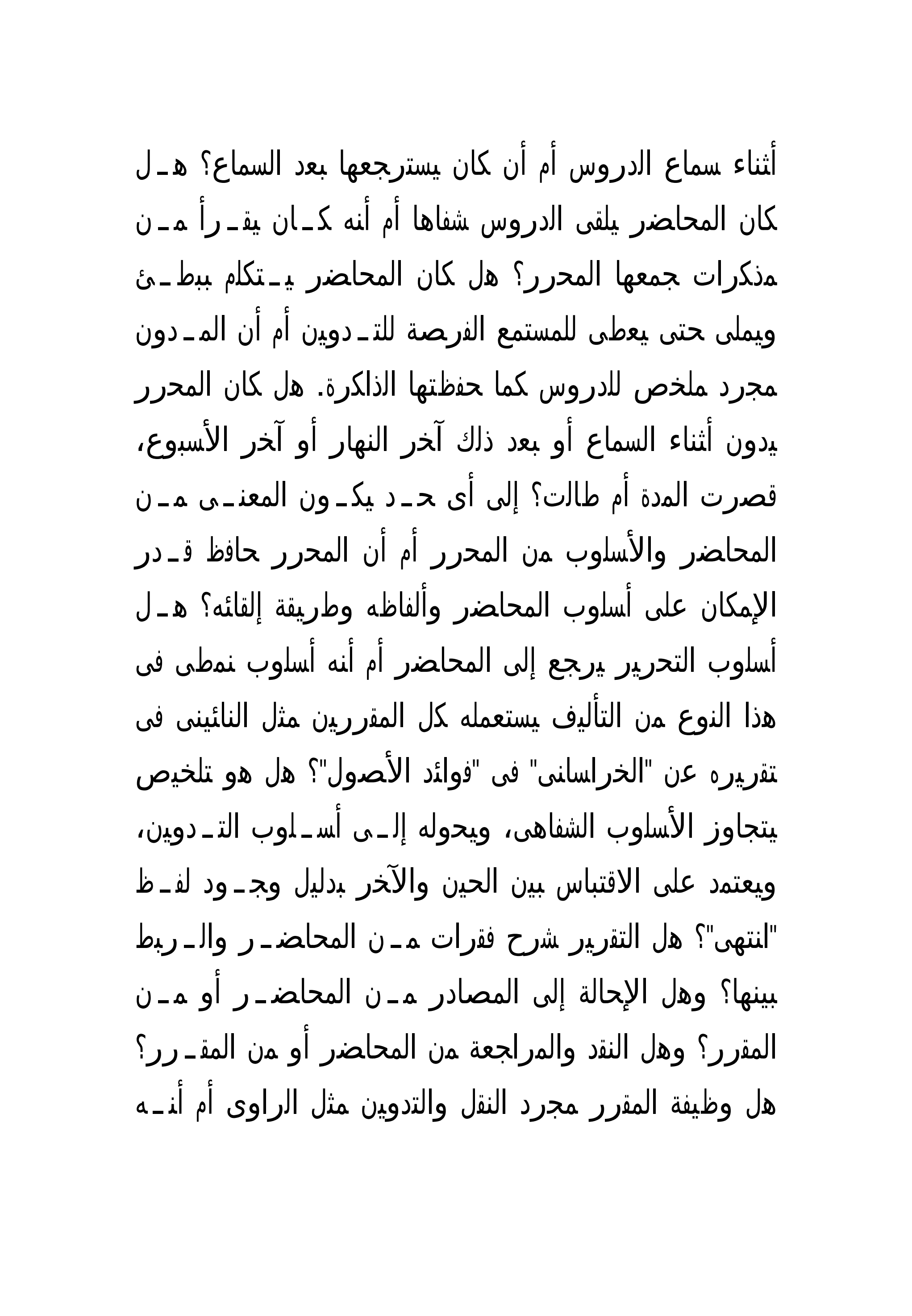
(١) الإمام الخمينى: معتمد الأصول ص٤١٣.

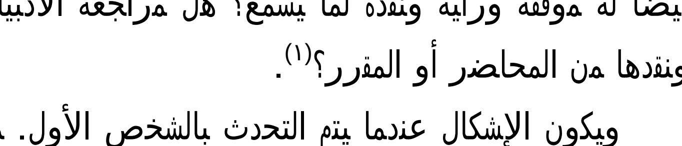
(٢) الصحيحى، تنقيح الأصول جـ ١/١٠٤/١١١/١١٤/١٢٣/١٢٨-١٢٩. الجامع المقولى، السابق جـ ١/١٠٨. الأعمى، السابق جـ ١/١١٦/١٢٨-١٢٩/١٧٤. الأخصى، السابق جـ ١/١٧٢. المحبوبيـة، المبغوضـية جـ ٢/٢٢٩. المفهومية، المواطئية، المجهولية، المجمـوعى، الكبرويـاه، الســغروياه، الســابق جــ ٣/١٥/١٨٣/٤٠٩/٤٣٢-٤٣٤/٥٦٩/٦٣٥. العهدية، الأعدلية، الصدقية، الأفقهية، الأشهرية، المرجحيـة، الفتوائيـة، الســـــــــابق جـــــــــــــ ٤/٣٢١/٥٥٢/٥٦٤/٥٧٤/٦٢٨. الأمر الارتكازى، الاجتهاد والتقليـد ص١١٣. التخييـر اليـدوى ص١٢/١٥١. المحاورات العرفية ص٩.

( ) تنقيح الفصول جـ ٢/٢١٠: "المقدمية" معتمد الأصـول ص١١٢-١١٣. "المحبوبية"، "المبغوضية" ص١٩٥-١٩٦. الطريقية، المعلومية، المعللية، الكاشفية، الأدلة اللبية، الهوهوية، المحبوبية، المبغوضية، الطريقية، أنوار الهداية جـ ١/٣٧/٦٦/٧١/١١٥/١٧١/١٧٧/٢١١/٢١٨، جـ ٢/١٦٧.

عن دروس فى الحوزة العلمية سواء كاملة أو ناقصـة مثـل "معتمد الأصول" و"جواهر الأصول" و"تنقيح الأصول". تعطى الأولوية فى عرضها إلى مؤلفات الخمينى التى كتبها بنفسـه الكلية أولا مثل "مناهج الأصول" والجزئية ثانيا مثل "الاجتهاد والتقليد"، والتعليقات على الآخرين ثالثا مثل "أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية"، ثم التقارير رابعا طبقا لسنوات نشـرها ابتداء من "جواهر الأصول" إلى "تنقيح الأصول" حتى "معتمد الأصول". ولما كان مصطفى الخمينى كثيـر الإحالـة إلـى مؤلفات الوالد، جد أولادى، وإعلان الانتساب إليه فقد أضيف ضمن المدرسة الخمينية.

وهى طريقة تأليف يتميز بها أصـول الفقـه الشـيعى، الأفكار من إمام عالم والتحرير من أحد طلابه وخلصائه كما هو الحال فى علاقة الأفغانى بمحمـد عبـده فـى "العـروة الوثقى"، أفكار الأفغانى وتحريـر محمـد عبـده. "معتمـد الأصول" دروس الخمينى وتحرير النكرانى. يصف المحرر فكر المحاضر ويعرض آراءه. وهذا التأليف المزدوج، واحد للمعنى والثانى للعبارة. يضع تساؤلات عدة مثل: هل كـان المحاضر يتكلم بالعربية أم بالفارسية؟ هل كان المحرر يدون


أثناء سماع الدروس أم أن كان يسترجعها بعد السماع؟ هل كان المحاضر يلقى الدروس شفاها أم أنه كان يقرأ من مذكرات جمعها المحرر؟ هل كان المحاضر يتكلم ببطئ ويملى حتى يعطى للمستمع الفرصة للتدوين أم أن المدون مجرد ملخص للدروس كما حفظتها الذاكرة. هل كان المحرر يدون أثناء السماع أو بعد ذلك آخر النهار أو آخر الأسبوع، قصرت المدة أم طالت؟ إلى أى حد يكون المعنى من المحاضر والأسلوب من المحرر أم أن المحرر حافظ قدر الإمكان على أسلوب المحاضر وألفاظه وطريقة إلقائه؟ هل أسلوب التحرير يرجع إلى المحاضر أم أنه أسلوب نمطى فى هذا النوع من التأليف يستعمله كل المقررين مثل النائينى فى تقريره عن "الخراسانى" فى "فوائد الأصول"؟ هل هو تلخيص يتجاوز الأسلوب الشفاهى، ويحوله إلى أسلوب التدوين، ويعتمد على الاقتباس بين الحين والآخر بدليل وجود لفظ "انتهى"؟ هل التقرير شرح فقرات من المحاضر والربط بينها؟ وهل الإحالة إلى المصادر من المحاضر أو من المقرر؟ وهل النقد والمراجعة من المحاضر أو من المقرر؟ هل وظيفة المقرر مجرد النقل والتدوين مثل الراوى أم أنه



أيضا له موقفه ورأيه ونقده لما يسمع؟ هل مراجعة الأدبيات ونقدها من المحاضر أو المقرر؟[1].

ويكون الإشكال عندما يتم التحدث بالشخص الأول. من المتحدث، المحاضر أم المقرر، المتكلم أم السامع؟ وأحيانا يتم التحدث بالشخص الثالث فمن هو المشار إليه؟ هـل يصـبح المقرر هو المؤلف والمحاضر هو الآخر؟

وليس التقرير مجرد عرض أو تأييد بل هو أيضا نقـد وتفنيد سواء من المحاضر أو من المقرر. يكشف عن أغلاط المقدمات، وأخطاء الاستدلال، وتناقض النتائج[2].

وفى كلتا الحالتين تتم الإحالة إلى المصادر فى الهوامش كالدراسات الحديثة، لا فرق بين المصدر والمرجع. كما يـتم شرح النفس والاعتماد على المصادر للمؤلـف أو للمقـرر بالإضافة إلى الإحالة إلى مصادر الآخرين[3].

١ - "مناهج الوصول إلى علم الأصول" للإمام الخمينـى

---

(١) مثل "ونقدم فساد ما فى الكفاية"، الخمينى: معتمـد الأصـول ص٢٦٦، "ومما ذكرنا ظهر فساد ما فى الكفاية"، السابق ص١٧٠. نقـد صـاحب الكفاية من الخمينى أم من النكرانى، السابق ص٣٨٣.

(٢) "أقول هذه المقدمات مغالطة وقع فيها"، تنقيح الأصول، جـ١٠٨/٢.

(٣) الإمام الخمينى: تنقيح الفصول جـ٢٦/١.

(ت ١٤٠٩ق-١٣٦٨ش)[1]. وهو تكـرار لـنفس المـادة الأصولية الموجودة فى باقى المؤلفات الأصولية للإمام أو فى التقارير التى ألفها المريدون. وهو مكتوب بمـنهج جـامعى حوزى هادئ رصين يكشف عن شخصية الإمام. يتكلم مـن عَلٍ، وينظر إلى الموضوع من أعلى. يـدل علـى معرفـة صاحبه بأصول الصنعة ومقتضيات الحرفة. وأقل اسـتعمالا للأسلوب النمطى للتقارير خاصة فى لازمات العبـارة فـى الأوائل والأواخر. ومع ذلك يظهر أسـلوب القيـل والقـال، والسؤال والجواب، والشبه والردود، والتوهمـات والـدفوع، والإشكالات والحلول، والإيقاظات والتنبيهات. ولا يتنازل عن منهج الإيضاح بتحليل العبارات وضرب الأمثلة[2]. وفى نفس الوقت يغلب على التحليل اللغوى التحليل الفلسفى الصـوفى الخالص أى الرؤية الإشراقية للعلم. فالإمام إشراقى النزعة، تلميذ صدر المتألهين حتى ولو كان منطقيا أصوليا[3]. ومـع ذلك، يعتمد على العقل أكثر من النقل، وأقل استعمالا لتراث

---

(١) الإمام الخمينى: مناهج الوصول إلى علم الأصـول (جـزءان)، تحقيـق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤١٤هـ (د.ت).
(٢) وهو المنهج السائد فى فلسفة اللغة المعاصرة فى الغرب.
(٣) مناهج الأصول جـ ١٥١/١، جـ٢/١٥٠/٢٢٦.

السابقين. ويضيفه إلى آخر الكتاب مرة واحدة كنوع من مراجعة الأدبيات[1]. وهو مازال مرتبطا بالفقه وبالأمثلة الفقهية[2].

ويقوم "مناهج الأصول" على قسمة خماسية للعلم كلها فى مباحث الألفاظ: الأوامر، النواهى، المفاهيم، العام والخاص، المطلق والمقيد. أكبرها الأوامر وأصغرها المطلق والمقيد[3]. ويضاف إليها مقدمة وافية من عدة أوامر لتحديد موضوع العلم والوضع وبعض مباحث الألفاظ مثل المجاز والاشتراك ومعانى الألفاظ[4]. فالتأويل كل شىء للنص وللفعل. والتأويل قادر على تحريك كل شىء.

ويعتمد الأسلوب فى أول الجملة أو الفقرة على القيل والقال والسؤال والجواب، والشبهة والدفع والبحث والتحقيق، والتنبيه والإيقاظ. وذلك من أجل توضيح السر وبيان الغامض، وحل الإشكال ودفع الوهم ودحض دعوى، فلا يخفى شىء، وبيان وجه الدفع. ويتم ذلك بإيراد الأدلة

---

(١) السابق جـ ٣٨٨/١-٤١٩.

(٢) السابق جـ ١٩٤/٢.

(٣) الأوامر (٢٧٤)، العام والخاص (٨٤)، النواهى (٧٢)، المفاهيم (٥٤)، المطلق والمقيد (٢٩).

(٤) المقدمة (٢٢٨) مكونة من أربعة عشر أمرا.

والتحقق من صدقها فى مضـمونها، وإيـراد العمـدة فـى الموضوع. ويتم الاستنتاج من المقدمات إلى النتـائج. فـإذا عرفت المقدمات عرفت النتائج، فتحصل النتيجة، ويظهر من القول. ويتم وصف الخطوات بأنها بحث وتحقيق، نقل وتنقيح ونقل كلام، نقل وتحصيل. وتأتى النتائج بالجملة فـى رؤيـة كلية وخاتمة نهائية. ثم يضاف تكميل أو تتميم، تذكرة أو تتمة أو تذنيب. وتتم مشاركة القارئ بدعوته إلى التأمل والتـدبر والتذكر والمراجعة والفهم وعدم الغفلة، وعادة ما يكون فـى آخر الكلام. والقارئ خبير بالموضوع. ثم يصدر الحكم فـى النهاية بالصحة أو الفساد، بالإمكان أو الامتناع. وهو حكـم يقوم على الإنصاف. ويتم الإعلان عن الخطوة القادمة فـى مسار الفكر. ويتم التعبير عن النتيجة بعدة صـياغات حتـى تتضح الأمور دون تطويل كما يتم اقتباس أقوال بنصـها أو بمعانيها والإعلان عن نهايتها، من المتقـدمين والمتـأخرين نظرا لتطور العلم. ثم يعلن عن الحمد والمشيئة الإلهية، فكل شىء بيده. وأهم خطوة فى مسار الفكر هو التحقق من صدق الأدلة والنتيجة العامة والإعلان عن نهاية الاقتباس من أقوال الآخرين مع أهمية عمليات الإيضـاح والبيـان ومشـاركة

القارئ[1].

ويعتمد "مناهج الأصول"، وأصول الفقه الشيعى عامـة على شواهد نقلية أقل، وعلى حجج عقلية أكثر. فقد احتكـر السلطان النقل واعتمدت المعارضة على العقل. ويعتمد على الآيات أقل من الاعتماد على الأحاديـث، فالآيـات محكمـة يصعب تأويلها فى حين أن الحديث يمكن التلاعب بصـحته خاصة وأن لكل فرقة إصحاحاتها، الإصحاحات الخمسة عند السنة، وإصحاحات زرارة وحنظلة وغيرها عند الشيعة. كما يستعمل القليل مـن الشـعر نظـرا لخصوصـية التجربـة الشعرية[2]. ويوضع الأئمة مع الأنبياء، ويأتى على بطبيعـة الحال بعد النبى، ويأتى جعفر الباقر، ثم أبو عبد ا الصادق،

---

(١) والتحقيق (٤١)، وبالجملة (٣٢)، الحاصل (٢٢)، انتهى (٢٠)، التـوهم والدفع (١٧)، الإيضاح، وبعبارة أخرى (١٢)، الظهـور (١١)، التنبيـه (١٠).
مشاركة القارئ (١٩): فتدبر (٦)، فراجع (٥)، فلا تغفـل، فتأمـل (٢).
فافهم واغتنم، فافهم واستقم، فتذكر، فانتظر (١).
كشف السر (٢): والسر فيما ذكرنا، والسر فيه (١).
وبعده لا يخفى على أحد: كما لا يخفى (٢)، ولا يخفى وهو واضح (٢)، ويـراه القارئ. وهو كما ترى (٤)، والوضوح لا يحتاج إلى تطويـل، وتقريـره (١)، العمدة (٣)، وإذا عرفت ذلك فاعلم، وإذا عرفت ما تقدم فالتحقيق (٣)، إن شـاء ا (١)

(٢) الأحاديث (٣٧)، الآيات (٣٥)، الشعر (٥).

ثم سيد الشهداء والإمام الحجة ولى العصر "عجل ا فرجه"، ثم الإمام الرضا والإمامان الصادقان قبل الأنبياء مثل إبراهيم وموسى ويحيى ويوسف ومعهم باقى أئمـة الشـيعة مثـل: السجاد، والكاظم، والجواد، والهادى، والعسكرى[1].وأحيانـا يتم الإشارة إلى الشيخ الأعظم أو شيخنا العلامة وإلى بعض المحققين أو الأعاظم على العموم[2].

ومن أسماء الأعلام يأتى الخراسانى أولا، ثم الأنصارى، ثم الحائرى، ثم الحائرى صاحب الفصـول، ثـم الهمـدانى والطبطبائى، ثم الشيرازى، ثم يدخل الفلاسفة مثل ابن سـينا نظرا للطابع الفلسفى المنطقى لأصول الفقه الشيعى والجبائى (أبو هاشم) من المعتزلة نظرا لاعتماده أيضا علـى أصـول الاعتزال فى التوحيد والعدل وخاصة الحسن والقبح العقليين مع الأصوليين مثل العراقى والأصفهانى والكمبـانى محقـق

---

(١) النبى (٩)، أمير المؤمنين (على) (٨)، الباقر، عبد ا الصادق (٤)، سيد الشهداء، الإمام الحجة (٣)، الرضا، الإمامان الصـادقان (٢)، السـجاد، الكاظم، الجواد، الهادى، العسكرى، الكاظمان، العسكريان (١)، إبـراهيم، موسى، يحيى، يوسف (١).

(٢) بعض الأعاظم، بعض المحققين (٦)، أعاظم العصر، محققـى العصـر، بعض المحققين (١)، جمع من المحققين (١)، شيخنا الأعظم (٥)، شيخنا العلامة (١).

المحشى، والمرتضى، وبعض علمـاء اللغـة السـنة مثـل السكاكى. ثم يأتى الشيخ الطوسى صاحب "العدة"، والبهـائى، والقمى (الشـيخ الصـدوق) والشـيخ المفيـد، والنـائينى، والطهرانى (المحقق)، والأصفهانى (شيخ الشريعة) وصاحب المعالم ومعهم أبو حنيفة النعمان فقيه أهل السنة والزركلـى صاحب الأعلام الحديث(1). ثم يتوالى باقى الأصوليين الشيعة مثل الحلى (العلامة)، والمحقق الرشتى، والمحقق الهمـذانى، والاسترابادى، والحلى (فخر المحققين)، وكاشـف الغطـاء، والبهبهانى. ومعهم بعض متكلمى السنة معتزلة وأشاعرة مثل الأشعرى والبصرى والباقلانى(2). ثم يتوالى باقى الأعلام من الأصوليين الشيعة مثل إبراهيم النخعـى وأسـعد الـدوانى والميـرزا بـاقر والأعرجــى والخــوئى والخوانســارى

(1) الخراسانى (٦٤)، الأنصارى (٢٩)، الحائرى (٢٥)، الحائرى صـاحب الفصول (٩)، الهمدانى، الطبطبائى (٦)، الشـيرازى (٥)، ابـن سـينا، الجبائى (أبو هاشم)، العراقى، الأصفهانى، الكمبانى، المرتضى، السكاكى (٤)، الطوسى، البهائى، القمى، المفيد، الطهرانى، الأصفهانى، صـاحب المعالم، أبو حنيفة، الزركلى (٣).

(2) الشيخ جعفر الكبير النجفى، العلامة الحلى، المحقق الرشـتى، المحقـق الهمذانى، الحاجى، الأهـوازى الـدروقى، الحلـى (فخـر المحققـين)، الاسترابادى، كاشف الغطـاء، البهبهـانى (٢)، الأشـعرى، البصـرى، الباقلانى (٢).

والبروجـوردى والنيسـابورى والسـبزوارى والأراكـى والأعرجى والداماد والشهيد الأول. ومن الفلاسفة الكرمانى. ومن المحدثين زرارة، مع أصوليى أهل السنة مثل القاضـى عبد الجبار ومالك ومحمد بن حسن الشيبانى وأبـو الحسـن البصرى وأبو الحسن الأشعرى وأبـو موسـى الأشـعرى والتفتازانى والرازى والغزالى مع بعض الشعراء مثل امرؤ القيس، والصوفية مثل الحلاج. ومن فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو[(١)].

كما يلجأ الخمينى إلى التجربة البشرية التاريخية كأساس لعلم الأصول مثل بساطة الحياة الأولى حين الحـديث عـن "الواضع وكيفية الوضع" فى أو العلم وهو ما يعادل نظريـة التوقيف والإصلاح فى اللغة فى أصول الفقه السنى[(٢)].

ومن الطوائف والفرق تأتى الشيعة أولا بطبيعة الحال ثم الفرس والإمامية والأشاعرة ثم العرب ثم قريش ثم المذاهب الفقهية مثل الشافعية ومذهب أبى حنيفـة ومـذهب مالـك،

---

(١) ومجموعهم حوالى (٩٣) علما.

(٢) "لا شبهة فى أن البشر فى الأزمنة القديمة جدا كان فى غاية سذاجة الحياة وبساطة المعيشة وبحسبها كان احتياجه إلى الألفاظ محصـورا محـدودا فوضعها على حسب احتياجه المحدود..."، مناهج الأصول جـ ١/٥٥.

والحنابلة، وفـرق المعتزلـة مثـل البهشـمية والجبائيـة، والخوارج، وأهل المدينة، وبنو أمية، والقميون[1].

ومن الأماكن يأتى النجف الأشرف لوفرة علمائها. ثـم تتداخل مدن البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وكربلاء مـن العراق مع مدن أصفهان وقم من إيران، والصحن المطهـر (قبر على) مع شيراز، ودمشق ومكـة مـع أراك وهمـدان وإيران كيف[2]. ثم تتداخل المدن العربية مع الإيرانية مع قلة من مدن اليونان[3].

وقد أحيل إلى مئات من النصوص الأصـولية القديمـة يأتى فى مقدمتها كفاية الأصول للخراسانى ثم فوائد الأصول. وتجمع بين الأصول والتاريخ مثل وسائل الشيعة والعقائد مثل معالم الدين، وبين المتون والشروح والحواشى مثل "حاشـية البرجوردى على كفاية الأصول". وتضم المعاجم مثل "لسان

---

(١) الشيعة (٥)، الإمامية، الفرس، الأشاعرة (٤)، العرب (٣)، قـريش (٢)، الشافعية، مذهب أبى حنيفة، مذهب مالك، الحنابلة، المعتزلة، البهشـمية، الجبائية، الخوارج، أهل المدينة، بنو أمية، القميون، بنو مرجانة (١).

(٢) النجف الأشرف (١٣)، البصرة (٨)، الكوفة (٧)، بغداد، أصـفهان (٦)، قم (٥)، إيران، سامراء، العراق، كربلاء (٤)، الصحن المطهر، شـيراز (٣)، أراك، إيران كيف، دمشق، مكة، همدان (٢).

(٣) حـوالى (٤٧) مكانـا منهـا مـدن إيرانيـة (٣٠)، وعربيـة (١٥)، ويونانية (٢).

العرب" والقواميس وكتب الأعلام مثل ابن خلكان والزركلى، القدماء والمحدثين. كما يحيل الإمام الخمينـى إلـى بعـض رسائله مثل الاجتهاد والتقليد، ورسالة الاستصحاب، ورسالة التعادل والتراجيح، ورسالة الطلب والإرادة، والـى بعـض كتب الفقه الشيعى مثل كتاب الصلاة للحائرى والأنصـارى. كما تضم بعض كتب التاريخ مثل تـاريخ بغـداد وأعيـان الشيعة. كما يحيل إلى بعض النصوص الفلسفية مثل الشـفاء والإشارات والنجاة والقانون فى الطب لابن سينا، والى بعض متون المنطق مثل "البصائر النصيرية"، وكتب التاريخ مثـل البداية والنهاية لابن كثير، وكتب التفسير مثل "البرهان فـى تفسير القرآن"[(١)].

(١) أحيل إلى ١٩٢ نصا موزعة كالآتى: الكفاية (١٤٥)، فوائـد الأصـول (١١٢)، مطارح الأسفار (٥٨)، الفصول الفردية (٥٣)، نهايـة الدرايـة (٥٢)، نهاية الأفكار (٥٠)، بدائع الأفكار (٤٣)، درر الفوائد (٤٢)، أجود التقريرات (٣٦)، مقالات الأصول (٣٢)، قوانين الأصول (٢٩)، وسائل الشيعة (٢٥)، نهاية الأصول (٢٤)، الإسناد، هدية المسترشـدين (١٩)، معالم الدين (١٤)، الحاشية على كفاية الأصول (البرجوردى)، روضـات الجنات (١٢)، الكنى والألقاب (١١)، أعيان الشيعة، التهذيب (الطوسى)، الكافى (٩)، لسان العرب، معارف الرجال، وفيات الأعيـان (٧)، تنقـيح المثال، الشواهد الربوبية، معجم رجال الحديث، من لا يحضـره الفقيـه، نقباء تنقيح المثال والبشر (٦)، الرسائل (الإمام)، شرح الشـمية، شـرح المنظومة، فرائد الأصول، مفاتيح الأصول (٥)، تاريخ بغـداد، حاشـية

كما يحيل إلى عديد من المصادر السنية مثل المـذاهب الفقهية الأربعة، وكتب الإصحاحات الخمسة، ومسند أحمد بن حنبل وإلى بعض متون أصول الفقه عند أهل السـنة مثـل المنخول للغزالى، وإلى بعض المؤلفات الفقهية والأصـولية للمعتزلــة مثــل الشــامل فــى الفقــه وتــذكرة العــالم

الشكينى على الكفاية، شذرات الذهب، شرح الكفاية، الفوائـد الرضـوية، مسالك الأفهام فى شرح شرائع الإسلام (٤)، الأعلام (الزركلى)، إيضاح الفوائد فى شرح إشكالات القواعد، حاشية ملا عبد ا ، رجال النجاشـى، رسالة فى الاستصحاب (ضمن رسائل الإمام)، السـرائر، الشـفاء (ابـن سينا)، الكرام البررة، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، مصباح الفقيـه (الهمدانى)، المطول، مفتاح العلوم (السكاكى)، وقاية الأذهان (٣)، أمـل الآمل، البصائر النصيرية، البهجة المرضـية، تأسـيس الشـيعة لعلـوم الإسلام، تشريح الأصول، ثواب الأعمال، جواهر الكلام، حاشية المحقـق الدوانى على شرح التجريد، دعائم الإسلام، الذريعة إلى أصول الشريعة، رجال العلامة، رياض العلماء، زبدة الأصول، سلافة العصر، شرح ابـن عقيل، شرح التجريد= =(القوشجى)، شروح التلخيص، طبقـات أعـلام الشيعة، عوالى اللآلى، مجمع البحرين، مجمع البيان، محاضـرات فـى أصول الفقه، محجة العلماء (المحقـق الطهرانـى)، المعتبـر، منتهـى الأصول، نقد الرجال، الوافى بالوفيات، مستدرك الوسائل (٢)، بالإضافة إلى عدد من الأعمال (١١٧) يذكر منها كل واحد مرة واحدة مثل رسـالة الاجتهاد والتقليد، ورسالة الطلب والإرادة، ورسالة التعـادل والتـراجيح للإمام، وإصحاحات أهل السنة لابـن ماجـه وداود والنسـائى ومسـلم، والشامل فى الفقه، والعمدة فى الأصول للجبائى، وقواعد الأحكام للحلـى، والقانون فى الطب والشفاء والنجاه لابن سينا، وكتاب القضاء للعراقـى، وكشف الغطاء، والمنخول للغزالى ...الخ.

لأبى هاشم الجبائى. ومن الكتب الكلامية الملل والنحل للشهرستانى واللوامع الإلهية فى المباحث الكلامية وبعض دواوين الشعر العربى مثل ديوان امرئ القيس. ويحيل إلى بعض متون اللغة مثل ألفية ابن مالك، كما يحيل إلى بعض متون التصوف مثل "توليفات على نصوص الحكم"، و"حلية الأولياء"، ومفاتيح الغيب، وشواهد الربوبية لملاصدرا. كما يحيل إلى بعض دوائر المعارف العربية مثل دائرة المعارف للبستانى، ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى، والموسوعة الفلسفية. فعلم أصول الفقه جزء من منظومة العلوم الإسلامية كلها عند الشيعة والسنة.

٢- "الاجتهاد والتقليد" للإمام الخمينى(١). وهو موضوع جزئى مثل رسالة الاستصحاب، ورسالة التعارض والتراجيح. وتدل كثرة الألقاب المعطاه له مثل "فخر المجتهدين"، "ملجأ المؤمنين"، "زعيم المسلمين"، "آية ا العظمى"، "السيد"، "روح ا "، "الإمام" ...الخ على تعظيم

---

(١) فخر المجتهدين، وملجأ المؤمنين، وزعيم المسلمين، آية ا العظمى، السيد روح ا الموسوى، الإمام الخمينى: الاجتهاد والتقليد، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، مطبعة مؤسسة البروج، قم ١٤١٨هـ.

المؤلف على حساب العمل. يتبع فيه أسلوب القيل والقال، والرد على السؤال، والإجابة عن الشبهة. يقدم فكرا إشكاليا يقوم على السجال والحجاج. ومع ذلك يتكلم الإمام من عَلٍ، باسم سلطة خفية باطنية، يضع الحقائق أكثر مما يبرهن عليها.

ويغلب عليه الأسلوب النمطى عند الشيعة الذى يبدأ بوضع الإشكالات، ودفع التوهم والتنبيه والإيقاظ والتوضيح وعدم الإخفاء والتحقق من الأدلة، والعمل بالجمل، وتحصيل النتائج وظهورها، وتبديد الأسرار، ومشاركة القارئ، والاعتماد على خبرته من أجل إصدار الحكم المنصف[1].

وهو فى مادة الاجتهاد وليس فى شكله، فى موضوعه وليس فى بنيته. يتراءى فيه موضوع المفضول والأفضل من علم أصول الدين. كما تظهر بعض عقائد الشيعة خاصة الغيبة التى تبرر الاجتهاد، غيبة ولى العصر، وزمان الغيبة[2]. ومع ذلك يشير إلى العلوم العربية وعلوم العرب[3].

---

(١) وبالجملة، الحاصل (٩)، الإنصاف (٦)، التوضيح وعدم الخفاء والعلم (٧)، ظهور السر، والتوهم والدعوى والامتناع والإشكال (٥)، وأنت خبير (٢)، والملخص، والشهادة، وبعبارة أخرى (٣).

(٢) السابق ص١٤/٢٠/٢٣/٣٨/٧٤.

(٣) زمان الأئمة (٧)، علوم العرب، العلوم العربية (١).

ويظهر البعد السياسـى فـى اسـتعمال ألفـاظ الحكـم والحكومة والحاكمية والسلطان الجـائر أى السـلطة وذكـر الأحاديث عنه مع أهل الجور والأمراء والسلاطين[1].

والبنية خماسية: تدور حول شئون الفقيه أى شـروطه، وشرط الحياة، وتبدل الاجتهاد، والتخيير واخـتلاف الحـى والميت فى مسألة البقاء[2]. ولما كان الحى والميت يتكرران فترد البنية الخماسية إلى رباعية: الشروط، والحياة والمحك، وتبدل الاجتهاد والتخيير. أكبرها الأول وأصغرها الرابع[3]. وفيها تكون الأولوية للتأويل والنظر والاجتهاد دون قطـع أو حرفية أو ثبات لنص أو لفعل.

ومن الأنبياء والأئمة يتقدم أئمة آل البيت، ثـم الإمـام الصادق، ثم الرسول، ثم الرضا، ثم أمير المؤمنين، ثم الباقر والهادى والعسكرى وداود[4]. ومن الأعلام يتقدم أبو خديجة،

---

(١) السابق ص٣٣-٣٨/٤٠/٤٥.

(٢) ١- ذكر شئون الفقيه ٢- فى أنه هل تشترط الحياة فى المفتى أم لا؟ ٣- فى تبدل الاجتهاد ٤- هل التخيير بدوى أو استمرارى؟ ٥- فى اخـتلاف الحى والميت فى مسألة البقاء.

(٣) ذكر شئون الفقيه (١١٤)، فى أنه هل تشترط الحياة فى المفتى أم لا؟، فى تبدل الاجتهاد (١٦)، فى اختلاف الحى والميت فى مسألة البقـاء (١٢)، هل التخيير بدوى أو استمرارى؟ (٦).

(٤) أئمة آل البيت (٢١)، الإمام الصادق أبو عبد ا (١٧)، الرسـول (١٠)،

ثم زرارة[1]. ومن الكتب يحال إلى الفهرست، ثم إلى تفسـير العسكرى وعيون أخبار الرضا ومعانى الأخبار وغيرها[2].

ويعتمد على عدد من الآيـات والأحاديـث[3]. ويقطـع الحديث عبارة عبارة لشرحه على نحو جزئـى للاسـتدلال به[4]. ويتحقق من صدق الرواة. لذلك يكثر ذكرهم. ويعتمـد على السابقين بألقابهم حتى لقد تختلط الأسماء نظرا لتكـرار الألقاب مثل العلامة (للحلى وللحائرى)، والمحقق (للخراسانى وللنائينى). ومع ذلك يقل تردد الأسماء[5]. كمـا يقـل ذكـر

الإمام الرضا (٧)، أمير المؤمنين (٢)، الباقر، الهادى، العسـكرى، داود (١).

(١) يذكر ٥٤ علما فى مقدمتهم أبو خديجة (سالم بن مكـرم الجمـال) (٧)، زرارة (٦)، الثقفى (محمد بن مسلم)، زكريا بن آدم، الحائرى، الصـدوق (٥)، ابن أبى ليلى، الحلى، على بن المسيب (٤)، الأسـدى، أحمـد بـن هاشم، الحسين بن سعيد، الطوسى، الكنى (٣)، أبان بن تغلب، ابن عيسى، ابن مهران، شريم، المرتضى الأنصارى، النجاشى، هشام بن سالم، أبـو الجهم، أحمد بن عائذ، داود بن فرقد، سليمان بن خالد (٢)، وحـوالى ٣٠ علما مفردا مثل قتادة وقثيم بن عباس والحلى والقداح.

(٢) نذكر عشرة كتب هى: الفهرست (٤)، تفسير الإمام العسـكرى، عيـون أخبار الرضا، معانى الأخبار (٢)، تـذكرة الفقهـاء، جـواهر الكـلام، السرائر، الغيبة، قواعد الأحكام، نهج البلاغة (١).

(٣) الأحاديث (٣٨)، الآيات (١٦).

(٤) الاجتهاد والتقليد ص٥.

(٥) أبو عبد ا جعفر بن محمد (٨)، الرضا (٥)، شيخنا العلامة (٤)، محمد

المذاهب والفرق باستثناء الإخباريين والصدوقين. كما تـذكر بعض إصحاحات الشيعة مثل مقبولـة حنظلـة وصـحيحة زرارة، وكتب الأعاظم وكتب ابن فضال، وعيون الأخبـار (العيون) وكتاب أبى نصر والفهرست[1]. وتذكر المؤسسـات مثل المشيخة مع التفرقة بين المتقدمين والمتـأخرين. كمـا يعتمد على بعض الخبرات والخاصة والروايات الشفاهية من أعاظم العلماء[2].

٣- "أنوار الهداية فى التعليق علـى الكفايـة" للإمـام الخمينى[3]. وهو ليس متنا أو تقريرا بل تعليقا على "الكفاية"

بن عيسى (٣)، أبو محمد الحسين بن على، أحمد بن عائذ، زكريا بن آدم، محمد بن مسلم الثقفى، شريم (٢)، شيخ الطائفة، داود بن فرقد، المحقـق الخراسانى، العلامة الحائرى (١).

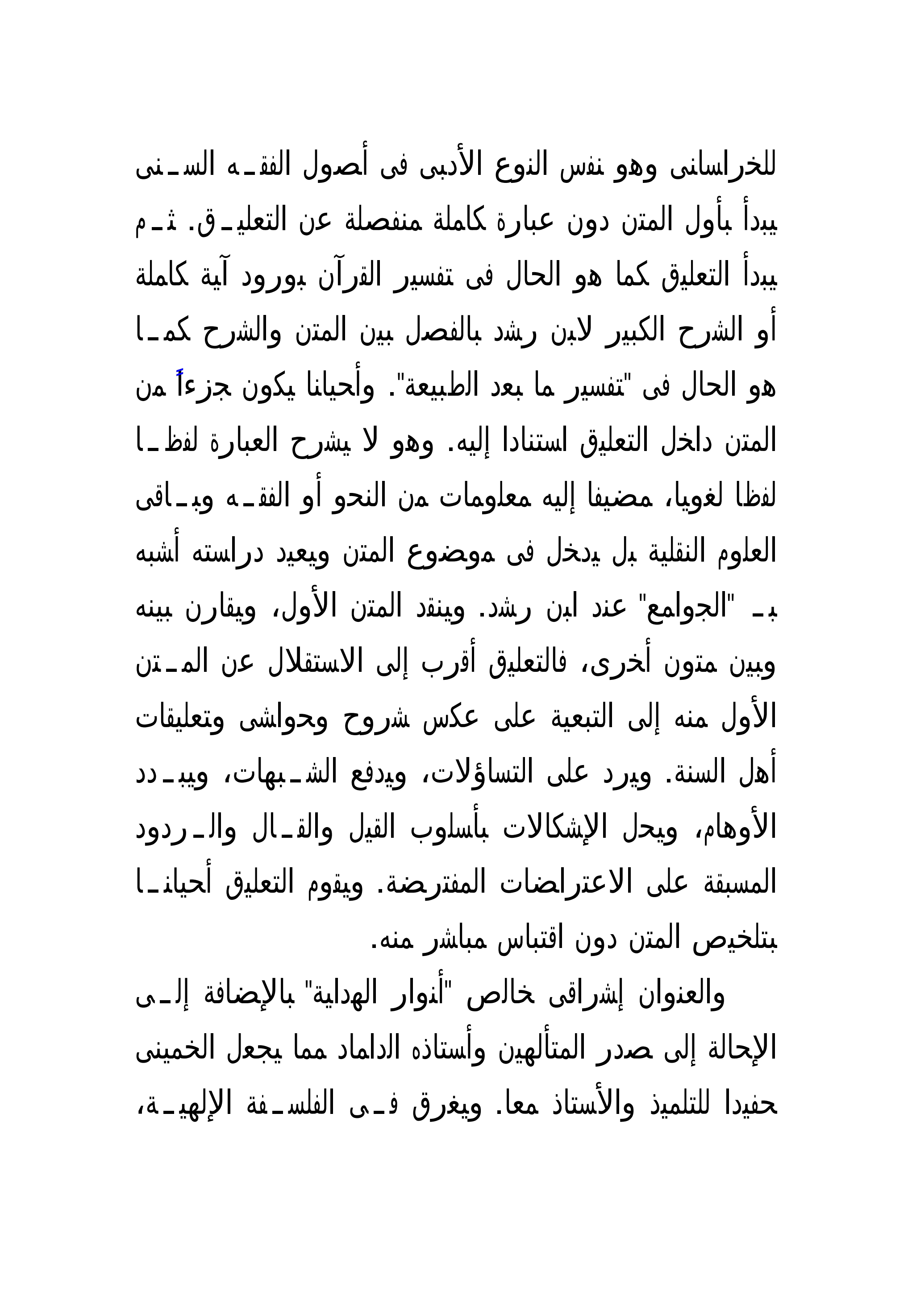
(١) أبو خديجة وصحيحه (سالم بن مكرم) (٤)، أبو الجهم (بكير بن أيمـن)، مقبولة عمر بن حنظلة (٢)، صحيحة سليمان بن خالد، اسحق بن عمـار، القداح، أبو البحترى محمد بن على بن محبوب، الحسـين بـن سـعيد، الحسين، المعلى بن خفيس، الصادق، الصدوق، ابن أبى عمير، أحمد بـن محمد بن خالد، يعقوب بن سعيد، الحسين بن سعيد، الشيخ الأعظم، علـى بن أسباط، الحسين بن رواح، أبو جعفر، أبان بن تغلب، زرارة، الصادق الأسدى، النجاشى (١).

(٢) "سمع من أبى وكان عنده وجيها"، الاجتهاد والتقليد ص١٠٢.

(٣) الإمام الخمينى: أنوار الهداية فى التعليق على الكفاية (جزءان)، تحقيـق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤١٥هـ.

للخراسانى وهو نفس النوع الأدبى فى أصول الفقـه السـنى يبدأ بأول المتن دون عبارة كاملة منفصلة عن التعليـق. ثـم يبدأ التعليق كما هو الحال فى تفسير القرآن بورود آية كاملة أو الشرح الكبير لابن رشد بالفصل بين المتن والشرح كمـا هو الحال فى "تفسير ما بعد الطبيعة". وأحيانا يكون جزءاً من المتن داخل التعليق استنادا إليه. وهو لا يشرح العبارة لفظـا لفظا لغويا، مضيفا إليه معلومات من النحو أو الفقـه وبـاقى العلوم النقلية بل يدخل فى موضوع المتن ويعيد دراسته أشبه بـ "الجوامع" عند ابن رشد. وينقد المتن الأول، ويقارن بينه وبين متون أخرى، فالتعليق أقرب إلى الاستقلال عن المـتن الأول منه إلى التبعية على عكس شروح وحواشى وتعليقات أهل السنة. ويرد على التساؤلات، ويدفع الشـبهات، ويبـدد الأوهام، ويحل الإشكالات بأسلوب القيل والقـال والـردود المسبقة على الاعتراضات المفترضة. ويقوم التعليق أحيانـا بتلخيص المتن دون اقتباس مباشر منه.

والعنوان إشراقى خالص "أنوار الهداية" بالإضافة إلـى الإحالة إلى صدر المتألهين وأستاذه الداماد مما يجعل الخمينى حفيدا للتلميذ والأستاذ معا. ويغرق فـى الفلسـفة الإلهيـة،



ويتحدث عن عالم الملكـوت، وبـاطن الـنفس، والماديـة الهيولانية والهيولى[1]. لا تظهر عقائد الشيعة ومصـطلحاتهم إلا نادرا مثل المعصوم[2].

ويتسم الأسلوب بنفس خصائص أسلوب أصـول الفقـه الشيعى المتون أو التقارير. إذ يدل تحليل الألفـاظ فـى أول العبارات والفقرات وأواخرها على أن أهم شىء هو النتيجـة الكلية والرؤية العامة التى تحصل بعد انتهاء تحليل الموضوع واقتباس الفقرات بعلامة "انتهى". فيتضح الأمر وضوحا تاما فلا يخفى على أحد ويراه القارئ أو المستمع. ويظهر السـر بعد المعرفة والعلم. فيظهر الخفى، وينكشف السر بعد التحقق من الأمر.ويتم التعبير عنه بطرق عديدة وعبارات مختلفـة بعد الاستدلال والإقناع وتحاشى الـدور. ويصـدر الحكـم بالإنصاف والاختيار بعد السؤال والجواب والاعتراض والرد فى الكلام الدقيق جدا مع حذر من التطويـل ورغبـة فـى الاختصار. وتتم إحالة اللاحق إلى السـابق، والسـابق إلـى اللاحق، وختاما بألفاظ المشيئة والإرادة الإلهية[3]. وفى آخر

---

(١) السابق جـ ٨٩/٨٥/٦٨/٢.

(٢) المعصوم، السابق جـ ٨٧/٢.

(٣) وبالجملة (١١٠)، فتحصل، حاصل محصل (٦٢)، انتهى (٤١)، واضح

الفقرات تدل ألفاظ أخرى على مشاركة القارئ مثل: فتـدبر، فتأمل وراجع، فانتظر وغيرها[1].

ولا ينقسم التعليق إلى أبواب أو فصول مرقمة أو غيـر مرقمة. بل يقوم على بنية ثلاثية تقليدية هى بنية علم أصول الفقه الشيعى التى تعادل بنية أصول الفقه السـنى: مباحـث القطع، ومباحث الظن، ومباحث الشك. وأكبرها مباحث الشك ثم مباحث الظن[2]. تشمل مباحث القطع التجـرى والإرادة، ومباحث الظن على الظاهر والمؤول، ومباحث الشك علـى الأدلة الأربعة وبعض مباحث الألفاظ. مباحث القطع تعـادل أحكام التكليف عند أهل السنة، ومباحث الظن تشمل مباحـث الألفاظ، ومباحث الشك تشمل الأدلة الأربعة[3]. والثلاثة تقـع

(جدا)، توضيح، نقل كلام وتوضيح مرام، اتضح، كما ترى (٣٦)، ما لا يخفى (٢١)، ظهر، السر (١٠)، إذا عرفت، اعلم (٢٣)، والتحقيق والحق (٢٢)، وبعبارة أخرى (٢٠)، فظهر، الظاهر (١٤)، الرد، الجواب، الكلام الدقيق جدا (١١)، الدليل، الاستدلال، الشاهد، الدعوى، لزوم الدور، اقتناع (٩)، الإنصاف، الاختيار (٧)، حذف الطويل (٦)، ألفاظ السابق واللاحق، سيأتى، أشرنا كما مر (٤)، ألفاظ المشيئة والإرادة (٢)، ليـت شـعرى، اللهم إلا أن يقال (١).

(١) فتدبر (جدا) (٧)، فتأمل، فراجع (٥)، فانتظر (٢)، فاستقم، فـلا تغفـل، وأنت خبير، فلتكن على ذكر (١).

(٢) مباحث الشك (٤٣٦)، مباحث الظن (٢٠٠)، مباحث القطع (١٥٦).

(٣)

تحت عنوان الإمارات المعتبرة عقلا أو شرعا. فكـل أبعـاد الشعور الثلاثة إمارات أى علامات لا فرق بين أحكام وأدلة وألفاظ. فالبنية الثلاثية فى الأصول الشـيعية بنيـة معرفيـة خالصة تبتلع النص والفعل.

ويعتمد التعليق على الآيـات والأحاديـث، والأحاديـث أكثر[1]. ويغيب الشعر الذى يتناقص مع تجربة التعليق وليس إبداع النص الجديد. ويتقدم النبى على الأئمة كما يتقدم أبـو عبد ا الصادق على الباقر والكاظم والحسين وعلى[2]. ثـم يتقدم أعلام الشيعة مثل الكاظمى، ثم الأنصارى، ثم الحائرى، ثم الخراسانى، ثم الصدوق، ثم السيد الإمام، ثـم الطوسـى

الأحكام

الظـن | أصول الفقه السنى | القطع

الأدلـــة

الألفاظ

أصول الفقه الشيعى

الشـــك

أنوار الهداية جـ ٣١/١.

(١) الأحاديث (١٣٠)، الآيات (٤٧).

(٢) النبى (٢٨)، أبو عبد ا الصادق (٢٤)، الأئمة من آل البيت (٢١)، أبو جعفر الباقر (١١)، أبو الحسن الكاظم، أمير المؤمنين على (٦)، أبو عبد ا الحسين (٥)، الرضا، صاحب الزمان، فاطمة، الحسـن، الصـادقان، الجوادان، العسكرى، المهدى (١).

وغيرهم، بالإضافة إلى عديد من الصحابة والفلاسفة والنحاة، سنة وشيعة على حد سواء[1]. ويحـال مـن الفـرق إلـى المتأخرين والإخباريين[2].

ومن المؤلفات يحال إلى "فوائد الأصول" ثم "الكفاية" ثـم "فرائد الأصول" ثم "الوسائل" ثم "الكافى" ثم "درر الفوائد" ثـم "نهاية الأفكار" ثم "التهذيب" إلى آخر أمهات أصول الشـيعة بالإضافة إلى بعض التفاسير وبعض الموضوعات الجزئيـة، التسامح فى أدلة السنن، وبعـض أصـول السـنة للـرازى والسرخسى، مع بعض الشروح والتفاسـير وعلـم ميـزان

---

(١) يذكر ٢٣٨ علما: المحقق الكاظمى (٦٣)، الشـيخ العلامـة الأنصـارى (٦٠)، المحقق الخراسانى (٤٥)، المحقق الحائرى (٢٦)، الشيخ الطوسى (٢٠)، الصدوق (١٩)، الشيخ المفيد (٨)، الحسن بن موسى، السيد الإمام (٧)، النجاشى (٦)، البزنطى، ابن زهرة، النجفى، بكير بن أعين، جـابر الأنصارى، النجفى (جعفر)، حمران بن اعين، الهمـدانى، سـماعة بـن مهران، عبد ا بن سليمان، الفاضل المهدى، المحقـق القمـى، الكلينـى، زرارة، صاحب الفصول، الأصفهانى، النائينى (٤) بحر العلوم، زرارة بن أعين، البرقى، الخمينى، الصفار، الأسدى (٣)، البهبهـانى (٢)، وحـوالى سبعين علما مثل أبى بكر وأبى هريرة وأبى ذر وعثمـان وابـن عبـاس والحسن من الصحابة، وأحمد بن حنبل من الفقهاء، والبخارى من المحدثين، وشهيد ثانى والحلى والشيرازى والطوسى والمرتضى والمفيد من الشـيعة، وابن سينا والرازى من الفلاسفة، وسيبويه مـن النحـاة، والزركلـى مـن المحدثين ...الخ.

(٢) المتأخرون، الإخباريون (١).

الرجال[1].

ويضاف إليهم بعض كتب الصوفية مثل "شواهد الربوبية" لصدر الدين الشيرازى و"القبسات" والقواميس مثل "لسان العرب"، وكتب أصول الفقه السنى مثل "المحصول". كما يحال إلى كتب إبطال القياس عند الظاهرية والشيعة وإلى

---

(١) يحال إلى ٣٥١ مؤلفا: فوائد الأصول (٢١٣)، الكفاية (١١١)، فرائد الأصول (٨٨)، الوسائل (٨١)، الكافى (٦٩)، درر الفوائد (٥٣)، نهاية الأفكار (٤٨)، التهذيب (٣٥)، التهذيب (٢٧)، الفقيه (٢٤)، حاشية على فرائد الأصول (١٨)، نهاية الدراية فى شرح الكفاية (٢٠)، الأسفار (١٥)، توحيد الصدوق (١٢)، مستدرك الوسائل (١١)، الاستبصار، القوانين، مطارح الانتظار، معالم رجال الحديث (١٠)، أعيان الشيعة، الكنى والألقاب (٩)، رجال النجاشى، روضات الجنات، عوالى اللآلى، (٨)، الخصال، الرسائل (للخمينى)، رسالة فى الاستصحاب (للخمينى)، معارف الرجال (٧)، مناهج الوصول، غنية النزوع (٦)، أمالى الشيخ الطوسى، أوثق الوسائل فى شرح الوسائل، الفوائد (للخراسانى)، فهرس الطوسى، الكرام البررة، مقالات الأصول، منابس الأنوار (٥)، التبيان فى تفسير القرآن، مجمع البيان، وفيات الأعيان، هداية المسترشدين، نقباء البشر (٤)، أجود التقريرات، الاختصاص، بصائر الدرجات، أمل الآمل، تفسير نور التقليد، تقريب التهذيب، ثواب الأعمال، الذريعة إلى أصول الشريعة، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، رجال الكشى، رياض المسائل، علل الشرائع، كشف المراد، المبسوط، مجمع الفائدة والبرهان، المحاسن (للبرقى)، مدارك الأحكام، مستدرك الوسائل، معالم الدين، الوافى (٣). كما يحال إلى حوالى ٤٢ مؤلفا منهم مرتين مثل إرشاد الطالبين، وأسد الغابة، وتاريخ بغداد، وبعض الحواشى وغيرها، ثم يحال إلى ١٧٣ مؤلفا كل منها مرة واحدة.

كتب أصول أهل السنة مثل "الأحكام" لابن حزم و"المحصول" للرازى، والى عشرات الحواشى على الكفاية، وأصول الفقه للشيخ المفيد والمعالم الجديدة للأصول لباقر الصدر، وإلـى كتب الفرق مثل الردود على الديانات المنحرفة وكتاب الغيبة، وإلى كتب الفلسفة مثل الإشارات والشفاء لابن سينا خاصـة الطبيعيات، وإلى إصحاحات أهل السنة كالبخارى، وإلى كتب التصوف مثل "إحياء علوم الدين" للغزالى و"حلية الأوليـاء". ومن كتب النحو "القاموس المحيط"، ومن كتب المصـطلحات القديمة "التعريفات" للجرجانى، ومن كتب التـاريخ، "تـاريخ الطبرى"، ومن كتب القواميس المحدثة "أعلام الزركلى".

٤ - **"جواهر الأصول" للإمام الخمينى**[١]. وهو من نـوع التقارير التى ألفها الخلصاء من دروس الإمام الخمينى. وهو غير كامل. يتضمن فقط المقدمة (أربعة عشر أمرا) والمقصد الأول فقط "فى الأوامر". لذلك لا يمكن الحكم على بنيتـه إلا قياسا على باقى الأعمال الأخرى، متونا أو تقـاريرا. يتسـم

---

(١) الإمام الخمينى: جواهر الأصول، تقرير أبحاث الأستاذ الأعظم والعلامة الأفخم آية ا العظمى السيد روح ا الموسوى، تأليف آيـة ا السـيد محمد حسن المرتضوى اللنكرودى (جزءان)، مؤسسة تنظيم ونشر آثـار الإمام الخمينى، قم ١٤١٨هـ.

بنفس الأسلوب سواء كان الأسـلوب الشـفاهى للخمينـى أو المدون للمحرر. يعتمد على القيل والقال، والحوار الـداخلى. كما يتسم بالطابع التأملى، والانكشاف نحو الـذات والعثـور على بناء معرفى داخلى وليس وضع نظرية فى الفعـل فـى العالم الخارجى. والتأليف حـديث، يحيـل إلـى الدراسـات الحديثة، المصادر والمراجع فى الهوامش.

لذلك يحال إلى الفلسفة والمنطـق والتصـوف، الشـيخ الرئيسى ابن سـينا وملاصـدرا. ولمـا كـان لكـل علـم مصطلحاته، تعرض الفكرة مرة باصطلاح المنطـق ومـرة أخرى باصطلاح الفلسفة. ويتم الإحالة إلى "إيساغوجى" فـى الشفاء لابن سينا. وينقد الفكر باستعمال الدور المنطقى. بـل إنه يتم التطرق إلى موضوع ا والعالم كما هو الحال فـى الفلسفة أو التصوف مقام الثبوت والفرق بينـه وبـين مقـام الإثبات. بل يتم ذكر العرفانية وهو التيار الأثير عند الإمـام الخمينى والذى ينتسب إليه(١).

وتستمر المصادر الصريحة علـى غيـر العـادة فـى المصطلحات الفلسفية العربية ومما يكشف عن بعض التكاف

---

(١) السـ ـ ـابق جـ ـ ـ ـ ـ ١/٢٧/١٤٦/٣٩/٤٦/١١٣/١٩٧/٢٠٠/٣٣٥، جـ٢/٢٧/٧٠/٧٥.

اللغوى[1]. وقد يكون الاشتقاق عن طريق النسبة[2].

ويظهر نفس الأسلوب الذى يكشف عن مسـار الفكـر والذى يهدف إلى الرؤية الشاملة والحصيلة النهائية "بالجملة" بعد التوضيح، توضيح النظر والعبارة وإظهار الخفى ورؤيته والمعرفة والعلم من أجل "الحصول" على النتائج بعد انقـداح النظر وترتيب المقدمات. والعلم شعورى فى حاجة إلى إيقاظ وبيان وتنبيه على الوهم، ودفعه أو إزاحته، وكشـف السـر، والظهور الجلى، والتحقق من صدق الرؤية، ودفع الإشـكال والإجابة عليه، والانتهاء إلى الحكـم بالصـحة أو الفسـاد، بالإمكان أو الامتناع. وبعده ذكر وتعقيب أو تذنيب أو نقـل وتعقيب. ونظرا للاعتماد على الاقتباسات يظهر لفظ "انتهى" ملخصا أو محررا. ويعاد التعبيـر عـن الموضـوع بعـدة عبارات. وتطلب مشاركة القارئ الخبير والتدبر والمراجعـة والملاحظة والفهـم والتأمـل والترقـب ويصـدر الحكـم بالإنصاف. ويعلن عن اللاحق بالإضافة إلى عبارات النقـل

(١) مثل: الهوهوية، جامعية، إيجادية، العرضية، الطولية، المحدودية، السابق ص٥٩/١٢٢/١٥٥/٢٨٥/٣٠٠.

(٢) مثل: الصحيحى، الوجـود الكـذائى، الاقتضـائى، الأعمـى، السـابق ص٢٩٨/٣١٥-٣١٦/٣٢١/٣٢٤/٣٢٥/٣٣١.

من موضوع إلى آخر، والتعبير عن المشيئة الإلهية، وطلـب الاستعانة والتوفيق[1].

ويتم التطرق إلى بعض الموضوعات الحديثة مما توحى بوجود الواقع الحى والعالم الخارجى، والتأسـف علـى مـا نشاهد فى عصرنا، ونقد الاتجاه التقليدى فى التأليف، والخلط بين العقل والأصول، وعدم الخبـرة[2]. ولا تتطـور هـذه الجزيئات إلى نظرة كلية ثورية كاملة بـالرغم مـن وجـود بعض عناصرها.

ويتم الاستشهاد بالآيات والأحاديث، والآيـات أكثـر[3]. ويستشهد بالشعر العربى ومرة واحد بالشـعر الفارسـى[4]. فالشعر تجربة وجدانية، والتحليل الوجدانى أحـد مسـتويات التحليل فى علم الأصول، تحليل الشعور. إذ يتحدث الإمـام

---

(١) مشاركة القارئ (١٥٠)، وبالجملة (١٣٨)، ألفاظ التوضيح (٨٧)، ألفـاظ الظهور (٧٧)، التعقيب (٤٤)، الحصول (٤٤)، التنبيـه واليقظـة (٤٠)، علامات الانتهاء (٣٨)، العلم والمعرفة (٢٣)، دفع الإشـكال، التحقيـق (١٨)، إصدار الحكم الصحيح (١٠)، الإعلان عن اللاحق والسابق (٧)، المشيئة والاستعانة (٥).

(٢) السابق ص١٤-١٥/١٧/٢٥/٣٤.

(٣) الآيات (٩١)، الحديث (٤٥)، الشعر (٦)، كلام العرب، العرب (١).

(٤) بالإضافة إلى ذكر كلمة بالفارسية "برستش" مرتين.

عن الأثر الوجدانى والأمر الوجدانى[1].

ومن أسماء الأعلام يتقدم العراقى، ثم الخراسانى، ثم النائينى، ثم الحائرى، ثم الأنصارى والأصفهانى، ثم الخمينى، ثم صدر المتألهين، ثم الطوسى وعشرات آخرين من الأصوليين[2]. وقد يكتفى باللقب لشهرته أو بأنه مؤلف أو صاحب هذا الكتاب أو ذاك، فردا أو جماعة مثل "صاحب الفصول"[3]. كما يذكر رواة الشيعة مثل عبد ا وزرارة، ثم ابن إدريس وغيرهم[4]. ويذكر أئمة آل البيت، ثم الإمام والمعصوم والإمام الصادق والأئمة المعصومون وأمير

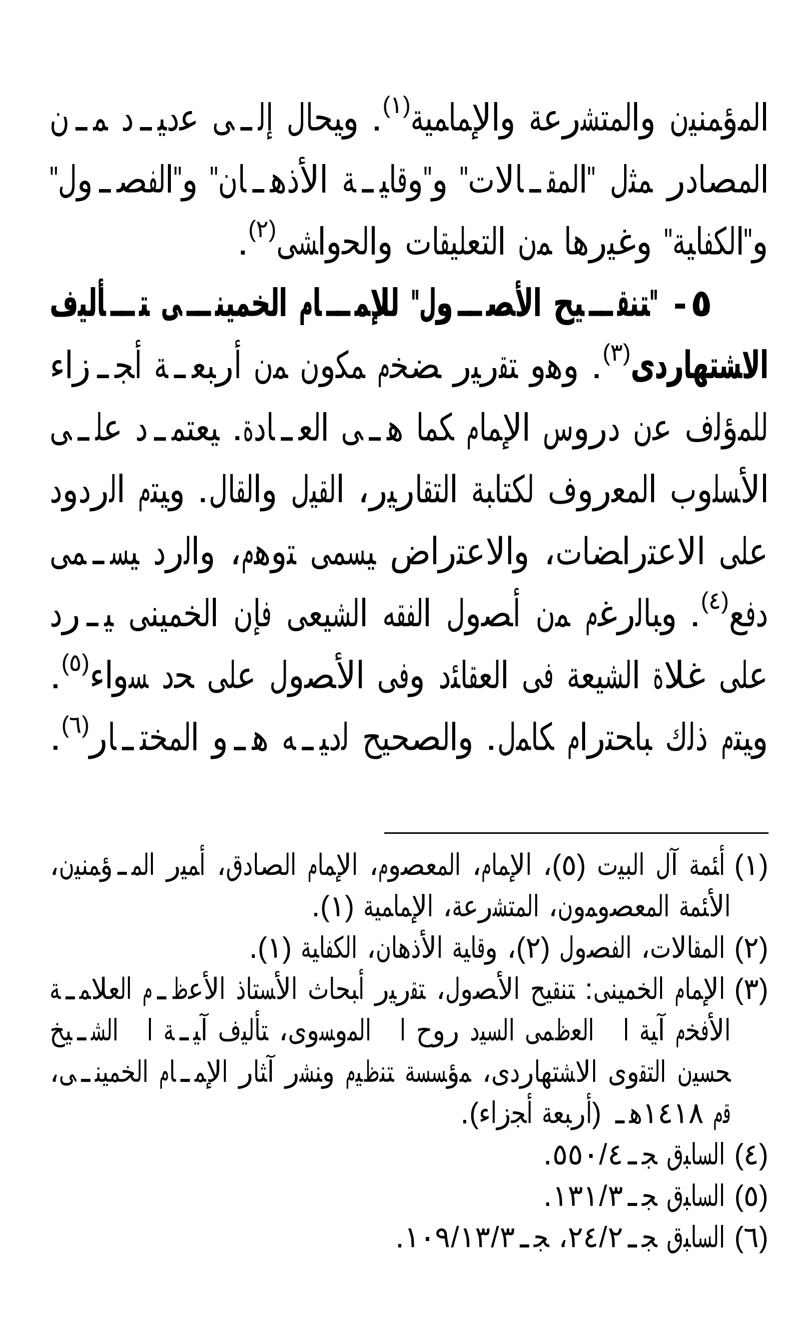
---

(١) جواهر الأصول جـ ٢٨٦/١٢١/١.

(٢) العراقى (٩٠)، الخراسانى (٦٨)، النائينى (٢٧)، الحائرى (٢٢)، الأنصارى، الأصفهانى (١٦)، الإمام سماحة الأستاذ، صدر المتألهين (٥)، الطوسى (٤)، القوجانى (تعليق على كفاية الأصول)، المحقق الرشتى، السكاكى (٣)، المرتضى، السجاد، على بن أبى طالب (٢)، السبزوارى، عباد بن سليمان، الهمدانى، ابن طباطبا، سيد مشايخنا المحقق الفشاركى، الكاظمى (١).

(٣) صاحب الفصول (١٣)، الشيخ، المحقق (٣)، الشيخ الشهيد، الشيخ الأعظم، بعض الأعاظم، المحقق الشريف، بعض الأكابر (٢)، بعض المحققين، فخر المحققين، أصحابنا الأصوليون، القدماء، العلامة، الصادقون، الأدباء المحققون، بعض المتأخرين، صاحب الجواهر، المحقق صاحب الحاشية، صاحب المعالم، صاحب القوانين (١).

(٤) عبد ا (٨)، زرارة (٣)، ابن إدريس، ابن مالك، العلمان (١).



المؤمنين والمتشرعة والإمامية[1]. ويحال إلـى عديـد مـن المصادر مثل "المقـالات" و"وقايـة الأذهـان" و"الفصـول" و"الكفاية" وغيرها من التعليقات والحواشى[2].

٥- "تنقـيح الأصـول" للإمـام الخمينـى تـأليف الاشتهاردى[3]. وهو تقرير ضخم مكون من أربعـة أجـزاء للمؤلف عن دروس الإمام كما هـى العـادة. يعتمـد علـى الأسلوب المعروف لكتابة التقارير، القيل والقال. ويتم الردود على الاعتراضات، والاعتراض يسمى توهم، والرد يسـمى دفع[4]. وبالرغم من أصول الفقه الشيعى فإن الخمينى يـرد على غلاة الشيعة فى العقائد وفى الأصول على حد سواء[5]. ويتم ذلك باحترام كامل. والصحيح لديـه هـو المختـار[6].

---

(١) أئمة آل البيت (٥)، الإمام، المعصوم، الإمام الصادق، أمير المـؤمنين، الأئمة المعصومون، المتشرعة، الإمامية (١).

(٢) المقالات، الفصول (٢)، وقاية الأذهان، الكفاية (١).

(٣) الإمام الخمينى: تنقيح الأصول، تقرير أبحاث الأستاذ الأعظـم العلامـة الأفخم آية ا العظمى السيد روح ا الموسوى، تأليف آيـة ا الشـيخ حسين التقوى الاشتهاردى، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمـام الخمينـى، قم ١٤١٨هـ (أربعة أجزاء).

(٤) السابق جـ٤/٥٥٠.

(٥) السابق جـ٣/١٣١.

(٦) السابق جـ٢/٢٤، جـ٣/١٣/١٠٩.

وبالرغم من الحديث عن التأثير بين العلـوم تظهـر بعـض مصطلحات الصوفية مثل مقام الثبوت[1]. لذلك يظهر العلـم الوجدانى أى تحليل العام على مستوى الشعور.

وتظهر بعض مصطلحات علم أصول الفقه عنـد أهـل السنة خاصة الشاطبى مثل "المناط" و"الأحكام الوضـعية"[2]. كما تظهر مصطلحات المعتزلة مثل الحسن والقبح، واللطف بعد أن يتحول إلى قاعدة[3].

وينقسم الكتاب إلى مطالب وليس إلـى مقاصـد، سـتة مطالب الأوامر، والنواهى، والمنطـوق والمفهـوم، والعـام والخاص، والمطلق والمقيـد، والامـارات المعتبـرة عقـلا وشرعا، وتشمل القطع والظـن والبـراءة مـع الاشـتغال، ويضاف إليها الاستصحاب، والتعارض واخـتلاف الأدلـة، وخاتمة فى الاجتهاد والتقليد. وأكبرها الاستصحاب ثم البراءة والاشتغال وأصغرها المطلق والمقيد[4]. فواضح أن الامارات

---

(١) السابق جـ٣/٤٠٣.

(٢) السـابق جـ٢/٢١١/٣٦٠/٤٤٦، جـ٣/٢١/٥٧٣، جـ٤/٧٣/٢٥٣/٢٦٨-٢٦٩/٢٧٠/٢٨٤.

(٣) السابق جـ٣/١٣/١٤٠/١٤٢.

(٤) الاستصحاب (٤٤٦)، البـراءة والاشـتغال (٤٣٩)، الأوامـر (٢٠٢)، المقدمة (١٨٤)، التعارض واخـتلاف الأدلـة (١٣٢)، الظـن (١٢٠)،

العقلية والشرعية هى ما يعادل الأدلة الأربعة عند أهل السنة، وأن أهم ما فيها هى القطـع والظـن والشـك أى الأسـاس المعرفى مع حل التعارض بين الأدلة، والاجتهـاد والتقليـد. وما دون ذلك هى مباحث الألفاظ وهى الأصغر حجما تصل إلى ما يقرب الثلث[1].وألفاظ القطع والظن والشك وهى البنية الثلاثية المعرفية فى أصول الفقه عند الشيعة، ألفاظ قرآنيـة مثل الأصول والفروع والكتاب والسنة والإجمـاع والقيـاس عند السنة. فالبنية كلها تقوم على التأويـل لتحريـك الـنص والتاريخ والفعل.

وهناك وعى بالبنية[2]. وتقوم الامارات على الأصـول جـوهر الأصـول عنـد الشـيعة[3]. وتظهـر عبـارات "التمفصلات"، الإعلان عن اللاحق والتذكير بالسـابق مـع بعض اللازمات الدينية والدعوة بالتوفيق على ما تم إنجـازه والاستعانة على ما يتم إنجازه بعد[4].

الخاتمة، الاجتهاد والتقليد (١١٨)، العام والخاص (٨٨)، النـواهى (٧٦)، القطع (٦٦)، المنطوق والمفهوم (٥٤)، المطلق والمقيد (٣٦) .

(١) الامارات العقلية والشرعية (١٣٢١)، مباحث الألفاظ (٤٥٦).

(٢) السابق جـ٣/٥-٧/٢٠٠.

(٣) السابق جـ٣/٢٠١.

(٤) السابق جـ٤/٢٤٨/٥٨١.

ويحال إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. والآيـات تتجاوز الأحاديث عدة أضعاف[1]. فالقرآن كدليل مدعاة للثقة أكثر من الحديث. فصحة القرآن أعلى درجـة مـن صـحة الحديث. ويقل الشعر للغاية، فالشعر ديوان العرب ومخزون ثقافى للعرب العاربة قبل العرب المستعربة مع أن العروبـة هى اللسان.

ومن الأعلام يتقدم النائينى، ثم العراقى، ثم الحائرى، ثم الكلينى، ثم الخراسانى. ويظهر بعض أعلام السنة مثل أبـى الحسن البصرى والغزالى والرازى والسيوطى. بـل يظهـر أكابر فقهائهم مثل أبى حنيفة والشيبانى. ومن أعلام السـيرة ابن هشام، ومن الأنبياء إبراهيم[2]. ويقل عدد الأنبيـاء فـى

---

(١) الآيات (٢٦٣)، الأحاديث (٣٥)، الشعر (٤).

(٢) النـائينى (١٥٦)، العراقـى (١١٢)، الحـائرى (٤٩)، الكلينـى (٢٣)، الخراسانى (٣١)، الهمدانى (١٣)، الفراقى (٦)، الطبرسى، المحقق القمى (٥)، السكاكى، الأصبهانى، المجلسى، حسين الأصـفهانى (٤)، مـرزا الأصفهانى، البهائى، الشيخ المفيـد، القاشـانى، الآخونـد، الطبطبـائى، الفشاركى، السبزوارى (٣)، أبو حنيفـة (٢)، البهبهـائى، المشـاركى، الشيرازى، أبو الحسن البصرى، الميرزا حسن الشيرازى، الحذاء، الحلى، الأنصارى، سيد على القاشانى، الحاجى، البهـائى، الغزالـى، الـرازى، الكاشافى، السيوطى، الشيبانى، الهمدانى، الأصبهانى، القمى، ابن هشـام، إبراهيم النبى (١) .

الأصول بالرغم من كثرتهم فى العقائد وتحويل مراحل النبوة إلى فلسفة فى التاريخ[1].

وقد يتحول الاسم إلى لقب. ونظرا لشهرته يكتفى باللقب دون الاسم. ولما شاع لقب المحقق والعلامة والشـهيد الأول والثانى تداخلت الألقاب فاختلطت الأسماء أفرادا وجماعـات. ويأتى فى مقدمتها الشيخ الأعظم[2].

وتذكر أسماء الأعلام بأكبر قدر من الاحترام والتبجيـل دون طعن أو تكفير لأحد كما يبدو ذلك أحيانا فـى مؤلفـات بعض أهل السنة خاصة ابن حزم وابن تيمية. وتلحق بعد اسم كل علم عبارات مثل "قدس سره"، "رحمه ا ". وأحيانا يكون اسم العلم عنوانا لفقرة لما يمثله من اتجاه.

ويحال إلى مؤلفـات أسـماء الأعـلام بأشخاصـهم أو بألقابهم. يتقدمها "الكفاية" ثم "الدرر" ثم "دعائم الإسـلام" ثـم

---

(١) من النقل إلى الإبداع. مجـ٣، جـ٣، فصـ٣.

(٢) الشيخ الأعظم (٨٥)، الشيخ (٨٢)، بعض الأعاظم (١٧)، صاحب الكفاية (١٠)، صاحب الفصول، صاحب المعالم، أبو بكـر (٨)، المحقـق (٧)، بعض المحققين (٦)، الطائفة، صاحب الحاشية، المحققون، العلامـة (٢)، فخر المحققين، شيخنا العلامة، أعاظم أهل النظر، الموثقـة، محققـوهم، صاحب الجواهر، صاحب الدرر، شيخ الشريعة، الشيخ الرئيس، بعـض الفقهاء، بعض المحشين، بعض المحققين من المحشين، الشهيد (١) .

"الفصول" وغيرها من أمهات المتون الأصولية. وتغيب متون أهل السنة[1].

ومن الفرق يتقدم الإخباريون الذين يعادلون أهل الأثـر فى مقابل أهل الرأى أو أهل النقل فى مقابل أهـل العقـل أو أهل التقليد فى مقابل أهل التجديد عنـد أهـل السـنة، ثـم المتأخرون إحساسا بتطور العلم فى التاريخ من المتقدمين إلى المتأخرين ومتأخرى المتأخرين وهم المعاصرون. كما تظهر فرق الفلاسفة (الحكماء) والمتكلمـون، أشـاعرة ومعتزلـة. ويسموا أيضا العدلية أى أنصار العدل والإمامية. بل تظهـر الشافعية كمذهب فقهى[2].

ويأخذ آل البيت ومحدثوا الشيعة مكانة بـارزة. ويتقـدم الإمام على العموم، ثم المعصوم وهى أول صـفة لـه، ثـم الصدوق وهى أيضا إحدى صـفاته وألقـاب الأئمـة علـى

---

(١) الكفاية (١٠٨)، الدرر (١٧)، دعائم الإسلام (١٣)، الفصول (٨)، الحاشية (٧)، كتاب الطهـارة، القـوانين، الهدايـة (٦)، المقـالات، الفرائـد (٢)، المحاسن، الوسيلة، المبسـوط، الفقيـه، المسـتدرك، الخـلاف، التـذكرة، النهاية (١).

(٢) الإخباريون (٦)، الفلاسفة (٤)، المتأخرون (٣)، الأشـاعرة، المعتزلـة (العدلية)، المتكلمـون، القـدماء (٢)، الإماميـة، الشـافعية، الحكمـاء، الأكثرون، محققوا المتأخرين، محققوا متأخرى المتأخرين (١).

الإطلاق أو على التعيين. والأئمة فى الزمان ولهم أعصارهم وأزمانهم. وصاحب الزمان هو ما ظهر فى الصلة بين النبوة والتاريخ فى علم العقائد[1]. وبطبيعة الحال يظهر على بلقبـه أمير المؤمنين أو باسمه على. ثم يتوالى باقى الأئمـة مثـل الرضا والحسن والصادق والباقر دون تقابل بـين الترتيـب الزمانى والترتيب الكمى الكيفى. ويوصف أئمـة آل البيـت بالطاهرين والمعصومين، وتخصص فاطمة الزهراء. ومـن أهل السنة يتقدم أبو بكر ثم خديجة. فالصديق لا يقـل عـن الصادق والصدوق. وخديجة التى نزل فى منزلها الـوحى لا تقل عن فاطمة الزهراء[2].

وللشيعة محدثوهم ورواتهم التقاة، وصـحيحهاتهم مثـل زرارة وحنظلة المتباينة عن رواة أهـل السـنة ومحـدثيهم وإصحاحاتهم الخمسة المعروفـة مثـل البخـارى ومسـلم. ويتقدمهم أبو عبد ا ثم محمد بن الحسن ثم أبو جعفـر ثـم

---

(١) الإمام (٤٨)، المعصوم (١٦)، الصدوق (١٣)، الأئمة، أعصار الأئمـة (١٠)، أمير المؤمنين (٩)، فقه الرضا، أبو بكر (٨)، الحسن، الصـادق (٤)، الأئمة الطاهرون، على، الحسن، الرضا، إسماعيل الصدر، جعفـر الباقر، أهل البيت، الصادقون، فاطمة الزهـراء (٢)، الحسـين، الإمـام الصادق، المقنع، الصديقة، خديجة (١).

(٢) السابق جـ٤/٦٢٥/٦٣٩.

زرارة ثم أحمد بن سعيد وغيرهم مما لا يذكرهم أهل السنة. كما لا يذكر الشيعة رواة أهل السـنة مثـل أبـى هريـرة وغيره[1]. فصحة المتن فى صـحة السـند. ويكثـران فـى الجزأين الثالث والرابع الخاصين بـالقطع والظـن والشـك والاستصحاب، وهى أركان أصول الفقه الشيعى بالأصالة.

وبتحليل عناصر الأسلوب، ألفاظ أوائل الجمل يتقدم لفظ "وبالجملة" من أجل إعطاء الرؤية الكلية للموضوع، وبيـان نهاية التلخيص أو الاقتباس فى التقرير. ولما كـان التقريـر يتابع استدلال الفكر فإنه ينتهى إلى الحاصل أى النتيجة مـن المقدمات سواء الظاهرة أو الخفية. وقـد يكـون الاقتبـاس ملخصا أو "محرارا" وليس نصا. ويتم الاستدلال والانتهـاء إلى النتيجة بعد التحقق من صدقها، وحل الإشكال بعديد مـن العبارات مع التنبيه ودفع التوهمات، واشتراط المشاركة فـى

---

(١) أبو عبد ا (٥٢)، أبو جعفر (٤٢)، محمد بـن الحسـن (٣٤)، زرارة (٢٦)، أحمد بن محمد (١٠)، الحسن بن سعيد (٥)، عمر بن حنظلة (٤)، اسحق بن عمار، ابن أبى يعفور، يونس، محمد بن حكـيم (٣)، الطيـار، حفص بن غياث، الحسن بن الجهم، ابن داود (٢)، الصفار، أبو المكـارم بن زهرة، جميل بن دراج، هشام بن الحكم، النجاشى، محمد بـن علـى، ومئات أخرى من الرواة مثل: القمى، أبو الحسن الثالث، الحميرى، علـى بن الحسين ...الخ.

المعرفة بالرغم من قلة الدعوة إلى ذلك فى آخر الفقرات. ثم يصدر الحكم بالإنصاف بعد الكشف عن الفاسد والمخـدوش والعويص وغير المقبول والممنوع والمغالطة والدور والخلط والبطلان والتناقض. وعلى هذا النحو تتحقق الفائدة القائمـة على دقة النظر. ونادرا ما يطلب مشاركة القارئ ومطالبتـه بالمراجعة[1]. كما تظهر بعض العبارات الإنشائية مثل "ليت شعرى"، "لعمرى" وبعض اللازمات الإيمانية[2].

٦- "معتمد الأصول"، تقرير وأبحاث الأسـتاذ الأعظـم والعلامة الأفخم آية ا العظمى السيد روح ا الموسـوى الإمام الخمينى تأليف آية ا الحجة الشيخ محمد الفاضـل اللنكرانى[3]. وتدل أيضا كثرة الألقاب علـى مـدى تعظـيم

---

(١) وبالجملة (١٨٣)، انتهى (١١٧)، الحاصل (٨٦)، الظاهر (٨٥)، ملخصا (٨٤)، فالحق (٧٥)، التحقيق (٦٣)، الإيضـاح (٥٩)، فالإشـكال (٤٨)، وبعبارة أخـرى (٣٣)، التنبيـه (٢٥)، الـدفع (٢٢)، المعرفـة (٢١)، الاستدلال، الانقداح فى النفس (١٧)، التوهم (١٥)، الإنصاف (١٤)، مـا لا يخفى (١٣)، الجواب (١١)، الـرد (٦)، العلـم، الحـل، فاسـد (٥)، الشبهة، المختار، الخاتمة (٢)، الشاهد، البرهان، الدعوى، الفائـدة، دقـة النظر، راجع، تكملة، نكته، تذنيب (١).

(٢) ليت شعرى، لعمرى، اللهم، ا تعالى، إن شاء ا (١).

(٣) الإمام الخمينى: معتمد الأصول، تقرير وأبحاث تأليف آيـة ا الحجـة الشيخ محمد الفاضل اللنكرانى، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، قم ١٤٢٠هـ .

المؤلف على حساب العمل مما يجعل نقد العمـل وتطـويره أمرا صعبا نظرا لعظمة المؤلف كما تبدو من ألقاب صاحب الفكر وصاحب القلم، مبدع الأفكار وكاتب التقريرات. ويتسم بالاختصار، جزءا واحدا بالرغم من اعتماده على الأدبيـات السابقة. ومع ذلك يستعمل أسلوب القيـل والقـال للحجـاج النفسى الداخلى ويبقى الاختصار وعدم إطالة العرض. ويـتم التلخيص، ويعلن عن اللاحق ويذكر بالسـابق فيمـا يسـميه المغاربة "التمفصلات"[(١)].

وهو حجاجى سجالى. يتسم بنفس السـمات الأسـلوبية للتقارير مثل تقرير "فرائد الأصول" للنـائينى عـن "كفايـة الأصول" للخراسانى. ولا يوجد ذكر لأصول الفقه السنى ولا مراجعة له. إنما الخلافات داخل أصول الفقه الشـيعى فـى دقيقات وليس فى بنيته الكلية.

ومن ثم بدا فلسفيا، تأمليا، حوارا مع الداخل، أقرب إلى "المونولوج" منه إلى "الديالوج"، إلى الحديث مع النفس أكثـر من الحديث مع الآخر. فأصول الفقه الشـيعى تهـدف إلـى معرفة الحقيقة النظرية قبل التوجه العملـى. لـذلك تقـدمت

(١) السـابق ص١٠٩/١/١٢٠/١٤١/١٦٩/ ١٨١/٢٣٠/٢١٣/٢٧٢/٣٦٦/٣٦٩/٤١٠/٤١٤.

مباحث الألفاظ على بنية علم الأصول على الأدلـة الأربعـة وعلى التكاليف بعد أن أصبحا هما أيضا من الأمور النظرية. كما أن معظم المفاهيم الأصولية الشيعية الجديدة مثل التجرى والاستصحاب والبراءة إنما هى قواعد معرفية أكثـر منهـا قواعد عملية. وأصبح علم الأصول كلـه دراسـة لأنمـاط الاعتقاد القطع والظن والشك. وتكـون الأولويـة المطلقـة للمعرفة على النص والفعل.

وتظهر بين الحين والآخر تعريفات لغوية منطقية تأكيدا لهذا الطابع النظرى المعرفى للأصول، خاصة وأن المؤلـف أستاذ للمنطق والفلسفة. ويعتمد على فساد الدور المنطقى فى الحجاج "وهو دور صحيح"[(١)]. كما يتم البحث فى اللغة بحثـا نظريا خالصا، ووصف الكلام من حيث هـو كـلام أشـبه باللسانيات المعاصرة فى الغرب[(٢)].

وتكشف لازمات العبارات والفقرات، فى البداية والنهاية عن الطابع المعرفى الخالص لعلم أصـول الفقـه الشـيعى. فاللازمات عن الوضوح مثل: كما هو واضح، وهذا واضـح جدا، وهذا واضح، ولعمرى أن هذا واضح جدا، والوجه فيه

---

(١) السابق ص٣٦٥.

(٢) السابق ص٤٤٢.

واضح تأتى فى المقدمة. وبعدها لازمات كشف السر وعـدم الخفاء مثل: كما لا يخفى، أظهر من أن يخفـى، كمـا هـو واضح لا يخفى، جمعا بين الوضوح وعدم الخفاء. ثم تـأتى لازمات الحق والتحقيق ثم الظهور مثـل الظـاهر ويظهـر وظهر[1]. ثم يأتى الانقداح فى الظهـور والبيـان والتنبيـه، والوهم والدفع والشك. ونظرا للاعتماد على الاقتباس فإن لفظ "انتهى" يتكرر كثيرا، وكذلك الألفاظ التى تدل على الوصول إلى النتيجة مثل: الحاصل، ويتحصل، والجملة، والتفصـيل. ويتم ذلك بشرط المعرفة وشروطها مثل "إذا عرفت"، "كمـا عرفت". ثم يصدر الحكم فى النهاية بالإنصاف مع بيان فساد الأحكام الأخرى وامتناعها[2]. بالإضافة إلى التذنيب والتعبير بعبارات أخرى[3].

ويشترك الآخر مع المؤلف فى المراجعـة والاسـتدلال

---

(١) لازمات السر وعدم الخفاء (١٢٣)، لازمات الوضوح (١٠٣)، الواضـح الذى لا يخفى (٢٥)، لازمات الحق والتحقيق (٢٨)، لازمـات الظهـور (٢٢)، لازمات الانقداح (١١)، والتنبيه (٦)، والـوهم والـدفع والشـك (١١).

(٢) انتهى (٥٦)، وبالجملة (١٦)، الحاصل (٨)، المعرفة (٥٠)، الإنصـاف (٤)، الفساد، الامتناع (٣)، الخدش (١).

(٣) وبعبارة أخرى (٣)، تذنيب (٢).

والحكم مثل "وأنت خبير"، والـدعوة إلـى التأمـل والنظـر واليقظة[1]. هـذا بالإضـافة إلـى العبـارات التـى تفيـد "التمفصلات" والربط بين السابق واللاحق[2].

والبنية ثمانية. يتقدمها الأوامر ثم النواهى ثم المفاهيم ثم العام والخاص، ثم المطلق والمقيد، ثم أحكام القطع ثم أحكام الظن ثم مبحث البراءة. وأكبرهـا النـواهى ثـم الأوامـر وأصغرها البراءة[3]. فالأولوية لمباحث الألفاظ كما هى العادة فى أصول الفقه الشيعى. وتدخل الأدلة الأربعة فـى أحكـام الظن كما تدخل أحكام التكاليف فى الأوامر. ومن ثم يكـون للتأويل الأولوية المطلقة على النص والفعل.

ويعتمد على عدد قليل مـن الحجـج النقليـة، الآيـات والأحاديث[4]. ويغيب الشعر العربى كلية لأنـه يعبـر عـن التجربة الإنسانية العامة كما صاغها العرب خاصـة. كمـا

---

(١) فراجع (١٣)، فتأمل جيدا (١٠)، فتدبر (٧)، فانتظر (٣)، فانظر، فتـدبر جيدا، فتأمل، وأنت خبير (٢)، فتأمل فإنه دقيق حتى لا يختلط عليك الأمر (١).

(٢) معتمد الأصول ص١٠٩/١٢٦.

(٣) النواهى (١٦٨)، الأوامر (١٥٠)، العام والخاص، أحكام الظـن (٧٦)، أحكام القطع (٤٠)، المفاهيم (٣٠)، المطلق والمقيد (٢٧)، البراءة (٢٤).

(٤) الآيات (٢٣)، الأحاديث (١٥).

يعتمد على كثير من الأدبيات الأصولية الشيعة فى معظمها، والسنة فى أقلها. ومن الأصوليين الأعلام يأتى النـائينى ثـم العراقى ثم الخراسانى، ثم صاحب الفصول اكتفاء به كمؤلف وليس كعلم، ثم الأنصارى وآخرون[1]. ومعهم من الفلاسـفة ابن سينا. ومن السنة الغزالى والرازى وأبو حنيفة والشيبانى وعدد من الرواة[2]. وتأتى الألقاب بدلا من الأسماء جمعا أم مفردا مثل بعض الأعاظم، بعض المحققين فى الحاشية على الكفاية[3]. وفيهم المتقدمون والمتأخرون إحساسا بتطور العلم فى التاريخ[4].

(١) المحقق النائينى (١٩)، المحقق العراقـى (١٠)، المحقـق الخراسـانى، صاحب الفصول (٦)، أبو جعفر (٤)، الشيخ الأنصارى (٣)، التوجـانى (٢)، الحسين، البهبائى، الحائرى، الأصفهانى، البهـائى، ابـن زهـرة، الطبرسى، ابن إدريس، الكافى أبو جعفر، الحكم بـن عبينـة، إبـراهيم النخعى، منصور بن حازم، أبو عبد ا ، المحقق الهمـذانى (المصـباح)، الشيخ الرئيس، أبو الحسن (١).

(٢) من الرواة: ابن قبة، الكلينى، الحميرى، محمد بن يحيى، عبد ا بـن جعفر، أحمد بن اسحق، أبو محمد (١).

(٣) بعض الأعاظم (٧)، بعض المحققين فى الحاشية على الكفاية (٤).

(٤) الشيخ (٤)، بعض الأعاظم من المعاصرين، ومن المحققين المعاصـرين (٢)، الأعاظم من الفلاسفة، بعض المحققـين، الأفاضـل المتصـدرين، المحققون من الأصوليين، المحقق المحشى، محشـى الكفايـة، صـاحب الحاشية، العلامة، الشيخ الأعظم، السـيد، القاضـى، الشـيخ، المفيـد، الصدوق، الصفاء، العسكرى (١).

ويحال إلى مؤلفات الأصول على العموم مثـل حاشـية على الكفاية أو على الخصوص مثل "الدرر"[1]. ولا تظهـر عقائد الشيعة إلا على استحياء فى ألفاظ مثل الأئمة، الإمـام المعصوم، قائمهم، صاحب الأمر، زمانهم[2].

٧- "تحريـرات فـى الأصـول" لمصـطفى الخمينـى (ت١٣٩٧ق/١٣٥٦هـ .ش)[3]. وهو عمل ضخم مكون من ثمانية أجزاء ولم يكتمل بعد، تفصيلى تجميعـى تقليـدى[4]. يخلو من الفهارس العامة مما يجعل تحليل مكوناتـه صـعبا للغاية اعتمادا على الجهد الفردى. يقوم على الاقتباسات مـن السابقين بين معقوفتين أسوة بالتأليف الحديث مع الإحالة إلى

---

(١) الدرر (٤)، الفصول (٢)، حاشية على الكفايـة، كتـاب القضـاء مـن الوسائل، الرسالة (١).

(٢) الإمام، الأئمة (٩)، المعصوم (٣)، صاحب الأمر، زمانهم، قائمهم (١).

(٣) العلامة المحقق آية ا المجاهد الشهيد السعيد السيد مصطفى الخمينـى: تحريرات فى الأصول (٨ أجزاء)، تراث الشهيد الخمينى، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينى، طهران ١٤١٨هـ . وبالرغم من انه استشهد قبل والده إلا أن الإبن ينسب إلى الوالد جد أولاده. لذاك أتى عرض مؤلفه بعد مؤلفات الوالد، وله كتب أصولية أخرى مفقودة مثل "المختصر النافع فى علم الأصول"، "رسالة فى قاعـدة لا ضـرر ولا ضـرار"، "كتـاب الاجتهاد والتقليد"، تحريرات جـ ١/٥-٦.

(٤) السابق جـ ٨/٥٥٥.

المصادر فى الهوامش وأرقام الصفحات[1]. هو أقرب إلـى التأليف التقليدى، نقل العلم دون تطـويره أو الإبـداع فيـه. يصعب فيه تحليل كامل للمضمون لضخامته. تكفى الدلالات الكيفية دون تحليل كمى كامل خاصة لقلة الدلالات سواء من حيث الأسلوب أو المكونات. تظهر فيه اللازمات الشائعة فى مصنفات الشيعة. وتدور كلها فى إطار معرفى واحد. يعتمـد على القيل والقال أكثر من التحليل المباشر للموضوع. ويحيل اللاحق منها إلى السابق، والسابق إلى اللاحـق. كمـا يـتم الإعلان عن النقلات والتمفصلات إبرازا لبنية الموضوع[2]. ويبدو بعض التحذلق فى الأسلوب مثل "بعد اللتيـا واللتـى" مشهوريا أو متصرمة[3].

وتقل الشواهد النقلية بالرغم من تكرار الآيات والأحاديث وتقطيعها للاستدلال بها فقرة فقرة أو عبارة عبارة أو حتـى لفظا لفظا[4]. وتفوق الآيات الأحاديـث نظـرا لأن الشـيعة

---

(١) وأحيانا يذكر لفظ انتهى جـ٢٨٤/٨.

(٢) السابق جـ١٣/١-١٩.

(٣) السابق جـ٤٦٩/٣، جـ٢١٢/٤، جـ٤٢٩/٥٧/٥، جـ٣٧٧/٧٦/٤٣/٧، جـ٩٣/٨، المتصـرمات جـ٥١٨/٥٠٨/٨/ ٥٢٥، الأمور المتصرمة بما هى متصرمة جـ٥١٦/٨.

(٤) القرآن (٤١١)، الحديث (٦٣)، الشـعر (١٠)، ويـذكر الفـرزدق (١)،

لهم إصحاحاتهم الخاصة مثـل حنظلـة وزرارة وغيـرهم بالإضافة إلى إصحاحات أهل السنة. كمـا يـتم الاستشـهاد بالشعر العربى خاصة الشعر التعليمى[1]. ويتم الاعتماد على تحليل اللغة العربية اعتمادا على سيبويه والمقارنة بينها وبين الفارسية[2]. وأهم ما فى الأسلوب هو القـدرة علـى نحـت المصطلحات الجديدة مثل المصادر الصريحة والإكثار منهـا كما يفعل المستشرقون أحيانـا أو صـيغ مثـل الهوهويـة والمفهومية[3]. والنسبة مثل اللحاظى والكذائى والأعمـى[1].

وسيبويه جـ ٢٦٥/٨.

(١) السابق جـ ١٣٧/١، الشعر الفارسى (المثنوى)، جـ ٦١/٧.

(٢) منظومة السبزوارى جـ ٤٨١/٤٢٥/٨.

(٣) التمامية جـ ١٠/١، الملمية جـ ٦٨/٤، الهوهوية جـ ٥٩/١، جـ ٣٣٨/٢، الخروجية جـ ٢١٨/٤، المفهومية جـ ٣١٠/١، اتفائيـة جـ ٢٦٨/٤، السنخية جـ ٤٠/١، المحبوبية جـ ٢١٧/١٧٤/٤، التوصلية جـ ١١٦/٢، المبغوضية جـ ٢١٧/١٧٤/٤، الكلبية جـ ٦٨/٤، العقودية جـ ٢٧٨/٤، الركوبية جـ ٢٧٨/٤، القيامية جـ ٢٧٨/٤، الجحوديـة جـ ٢٧٨/٤، المجهولية جـ ٢١٧/٤، المعلومية جـ ٣٢٧/٤، الكاشفية جـ ١٠٠/٢٢/٦، الطريقية جـ ٣٠٠/١٢٧/١٠٠/٢٢/٦، المنجزية جـ ٢٥/٦، الإماريـة جـ ٣٠٠/٦، الفتوائية جـ ٣٩٩/٦٧٧/٦، الجابرية جـ ٣٩٥/٦، الكاسرية جـ ٣٩٥/٦، المعزوغية القطعية جـ ٣٥٥/٧، موهوبيـة جـ ٤٣١/٧، الفتهائية جـ ١٤٣/٨، المانعيـة جـ ١٦٠/٨، القاطعيـة جـ ١٦٠/٨، الظهرية جـ ٢٤١/٨، العصرية جـ ٢٤١/٨، المعذريـة جـ ٤٤٤/٨، المنجزية جـ ٤٤٤/٨، المطهرية الناقضية جـ ٤٣٣/٨.

كما تبدو بعض المصطلحات غريبة على الأذن مثل "المزبور"[٢]. وأيضا: المنجز، المعلق، التحرى، الجعل، الاشتغال، المولوى ...الخ .

جـ٤٣٣/٨.

(١) اللحاظى جـ٣٩/١، المجموعى جـ٢٠٩/٧-٢١١، الأعمى جـ٢٢٤/١، المباشرى جـ٢٧٢/٧، الكنائى جـ٥٩/١، التعليقى جـ٤٠٨/٨، التنجيزى جـ٤٠٨/٨، الكذائى جـ٣٠٣/١-٣٠٤، جـ٢٩١/٢، جـ٣٦٨/٤، الكذائية جـ٣٤٨/٢٩٢/٢٢٩/٤٣/٥، صغروى جـ١٨٨/١١٠/٢، جـ٣٠٣/١٦٨/١١٣/٤، صغروية جـ٢١٧/٨، كبروى جـ١١٣/٤، العقلائى جـ٤١٢/٣٢٠/٣١٣/٦٢/١٤/٦، جـ٢٣٩/١٤٩/٨، العقلائية جـ١٤٤/١٤٣/١٣٧/١٢٨/٧.

(٢) الوجوه المزبورة جـ٣٦٦/٤، العلامة المزبورة جـ٣٤٤/٤، المثال المزبور جـ١٣٩/٢، جـ١٩/٤، الوهم (التوهم) المزبور جـ١٤١/٢، جـ٣٢٥/٥، الإجماع المزبور جـ٣٠٩/٢، جـ٢٨٢/٥، الانقلاب المزبور جـ٢٤٨/٤، الشوق المزبور جـ٥٥/٢، المحشى المزبور جـ١٢٦/٢، القيود المزبورة جـ٣٤/٤، العنوان المزبور جـ٣٥٧/١١٤/٤، التصرف المزبور جـ٦٨/٥، السيد المزبور جـ٢١٦/٥، البحث المزبور جـ٢٨٠/٥، الشبهة المزبورة جـ١٠٨/٥، الأصل المزبور جـ٤٣٨/٢٣٦/٥، الأسلوب المزبور جـ١٧٣/٥، الزمان المزبور جـ٤٨٠/٥، الاطلاق المزبور جـ٤٩٣/٥، التقسيم المزبور جـ٤٠٧/٥، القول المزبور جـ٤٤٧/٥، الاعتقاد المزبور جـ٣٢٦/٥، العناوين المزبورة جـ٣٢٣/٥، المشكلة المزبورة جـ٣٠٩/٥، المسألة المزبورة جـ٨/٦، التعريف المزبور جـ٨/٦، المعنى المزبور جـ٢١/٦، الإيجاب المزبور جـ٣٨/٦، الدليل المزبور جـ١٠٥/٦، الإتقان المزبور جـ٢١٧/٦، البعد المزبور جـ٢٢٤/٦، الوجه المزبور جـ٣١١/٦، القسمة المزبورة جـ٣٦٨/٦، العلم المزبور جـ٤٣١/٦، المقصد المزبور جـ٤٤١/٦، البيان المزبور جـ٦٧/٦، الظن المزبور جـ٣٤٤/٦، التعرف المزبور جـ٣٥١/٧، التفضيل المزبور جـ٤٢٠/٨.

وهى مجموعة من الحوائط الفكرية سابقة التجهيز، تخلو من الوقائع السياسية والاجتماعية بالرغم من جهـاد الإمـام الشهيد ودوره فى الثورة الإسلامية واستشهاده[1]. فهى نموذج انفصال العلم عن العمل، والأصول عن الواقع بالرغم مـن ظهور لفظ الواقع، والمصالح والمفاسد، والتقابل بين القـدماء والمحدثين، والمتقـدمين والمتـأخرين، إحساسـا بالزمـان والتطور وبضرورة التجديد[2]. كمـا تكثـر الإحالـة إلـى موضوع "الصلاة فى الدار المغصوبة" الذى كان يمكـن أن يكون النواة الأولى لأصول فقه تحرير الأراضـى المحتلـة.

---

(١) السابق جـ ١/٩-١٣.

(٢) لذلك يصعب الحكم الذى أصدرته مؤسسة تنظيم ونشـر آثـار الإمـام الخمينى فرع قم المقدسة أن الكتاب "أرخ للحوادث السياسية والاجتماعية والشخصية الواقعة أثناء تسجيله لبحوثه فى الفقه والأصول وغيرها وأكثر ما يؤرخ للأحداث السياسية التى تحل فى أمته. فكثيرا ما نعى وشنع على الشاه العميل جرائمه بحق شعبه ودينه وعلماء الدين المجاهدين وبالأخص فى حق والده الإمام الثائر- طاب ثراه- وما نال من ظلم الشاه وتطلعـه البائد... وأرخ ضمن كتابه هذا أيضا لجريمة النظام الحاكم فـى تسـفير وتهجير الكثير من أبناء الشيعة من العـراق خصوصـا طلبـة العلـوم الإيرانيين مما أدى إلى اضمحلال الحوزة العلمية فى النجـف الأشـرف حتى أوشكت على الزوال، وحذر من مغبة هـذه الأعمـال الإجراميـة والعدوانية التى قام بها طاغوت العراق المتفرعن لأغراض سياسية خبيثة خدمة للكفر والاستكبار العالميين، السابق جـ ١/٥١٤.

وتظهر الثورة فقط فى البسملة والحمدلة الأولى[1]. وإذا كانت الصحة والفساد من الأمور الواقعية فقد كان يمكن الخـروج من النظر إلى العمل، ومن عالم الأذهان إلى عالم الأعيان[2]. وتطول الأبحاث النظرية فى الضرر مع أن الأمـر العملـى واضح[3].

وقد دخلت كثير من العلوم النظرية الكلامية والفلسـفية والتى لا ينتج عنها أى أثر عملى فى علم أصول الفقه. فالعلم عند الشيعة نظرى معرفى خالص متوجه إلى الداخل، ربمـا تحت أثر الباطنية والمقاومة من الداخل لسيطرة الخارج، فى حين أنه عند الشيعة متوجه إلى الخارج ربما تحـت تـأثير الدولة والسلطة القائمة والرغبة فى السيطرة علـى العـالم. فمثلا توجد مباحث نظرية طويلة فى الإرادة، "سـيكولوجية" الإرادة وليس فعل الإرادة، إلى الداخل وليس إلى الخـارج،

---

(1) بسم ا الرحمن الرحيم، والحمد رب العالمين، وصلى ا على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم والمعاندين أجمعـين إلى قيام يوم الدين جـ ١/١، والأرض المغصـوبة جـ ٢١٣/٣، المـاء المغصوب جـ ١٧٣/٤، الصلاة فى الدار المغصوب جـ ١٥٣/٦، مصالح الدنيا ومفاسدها جـ ٤٧٠/٧.

(2) التحريرات جـ ٣١٨/٤.

(3) جـ ٢٤٩/٨-٣٠٩.

نوعا من الباطنية.

وبالرغم من عدم اكتمال الكتاب إلا أن البنية واضحة تجمع بين غلبة مباحث الألفاظ عند السنة، والقطع والظن والبراءة والاشتغال والاستصحاب عند الشيعة. تشمل مباحث الألفاظ ستة مقاصد بعد التعريف بموضوع العلم وبمباحث الألفاظ وهى: الأوامر، والنواهى، والمفاهيم (التعليل والوصف والغاية والحصر، واللقب والعود، والموافقة)، والعام والخاص، والمطلق والمقيد. وتشمل أصول الفقه الشيعى خمسة مقاصد: القطع والظن والبراءة والاشتغال والاستصحاب ودون الشك. ولمباحث الألفاظ الأولوية من حيث الكم على الأصول المعرفية[1]. وأكبر مباحث الألفاظ الأوامر ثم التعريف ثم المبادئ العامة للألفاظ ثم النواهى ثم العام والخاص ثم المفاهيم ثم المطلق والمقيد[2]. وأكبر مباحث الأصول المعرفية التى اشتهر بها الشيعة الاشتغال ثم الظن ثم البراءة ثم الاستصحاب ثم القطع[3]. وهى مقولات

(١) مجموع مباحث الألفاظ ٢١٦٧ص، والأصول المعرفية ١٦٤٢ص.

(٢) الأوامر (٩٤٠)، المبادئ العامة (٣٩٠)، النواهى (٣٣٠)، العام والخاص (١٩٥)، المفاهيم (١٩٤)، المطلق والمقيد (١١٨).

(٣) الاشتغال (٥٢٤)، الظن (٣٣٤)، البراءة (٣٠٠)، الاستصحاب (٢٤٤)، القطع (٢١٠).

مستمدة من القرآن. فالأولوية هنا أيضا للتأويل على النص والفعل.

ويحيل العمل إلى بعضه البعض تأكيدا على وحدته لتجاوز ضخامته. كما يحيل إلى باقى أعمال المؤلف تأكيدا على وحدة الرؤية[1]. كما يبدو التحليل الشعورى المعرفى فى تكرار الحديث عن الكلام النفسى[2]. وبالرغم من ضخامة الكتاب إلا أنه كان حريصا على الاقتصار دون التطويل![3].

وفى أسماء الأعلام يتقدم الوالد أستاذ المؤلف ومعلمه وملهمه ومرشده وقائد الثورة، وكأن العلم وراثة من حفيد عن أب عن جد، وطلب العلم عند الشيعة مثل طلب الطاعة عند السنة. وله ألقاب عديدة، الوالد، السيد الوالد، السيد، السيد الأستاذ، المحقق الوالد، الوالد المحقق، المحقق الفحل، سيدنا الوالد المحقق الأستاذ، السيد الوالد المحقق الوالد الخمينى،

---

(١) الإحالة إلى القواعد الحكمية للمؤلف جـ ١٣/٣، جـ ٤٠١/٥، جـ ٢٧٢/١٤٣/٦.

(٢) تحريرات الكلام النفسى جـ ٣٣/٣٠/٧/٢-٣٦/٣٤-٤٩، الأمر النفسى ص١٨٨-١٩٥/١٩٢، الواجب النفسى ص١٠١، الوضوح الوجدانى ص١٤٢، طلب نفسانى جـ ٤/٣، فى النفسى والغيرى جـ ١٢٩/٣-١٨١، الوجوب النفسى جـ ٢٠٦/٤، الأفعال النفسانية جـ ٦٨/٦، التكليف النفسى جـ ٣١١/٧.

(٣) التحريرات جـ ٤٧١/٣، الإحالة إلى كتاب الطهارة جـ ٤٦٠/٧.

الوالد المؤسس، الوالد المعظم الجليل مد ظله تعالى ...الـخ. وأحيانا يحال إليه كجد الأولاد مثل:جد أولادى، شيخ مشايخنا جد أولادى، السيد جد أولادى الكوة كمرى ...الخ[1]. ثم يأتى النائينى بألقابه المتعددة، العلامة، الميرزا، ثم الأراكـى، ثـم البروجردى وألقابه المتعددة: السيد، الأستاذ، أستاذنا، سـيدنا الأستاذ، الفقيه الكبير، ثم الأصفهانى مع ألقابه المتعددة مثل: العلامة المحقق، الشيخ، شيخ الشريعة، العلامـة المحشـى، الوصية المحشى، ثم العلامة المحقق الخراسانى، ثم الشـيخ العظم الأنصارى مع لقب العلامة شيخنا، مع جدى العلامـة وجدى الأعلى ثم الكاظمى والعراقى والنراقى ثم الفشـاركى الأستاذ السيد، ثم الحائرى والكلينى، ثـم صـدر المتـألهين وألقابه المتعددة، الحكيم المتأله، والسبزوارى والفاضل القمى مع لقب المحقق، والفاضل الايروانى مع لقب العلامـة، ثـم

---

(١) الوالد ومشتقاته (١٣٠)، النائينى (١١٥)، الأراكى (٩٦)، البروجـردى (٣٨)، الأصفهانى (٣٥)، الخراسانى (٣٣)، الأنصارى، جـدى العلامـة (٣١)، النراقى، الكاظمى، العراقى (١١)، الفشـاركى (١٠)، الحـائرى، الكلينى (٩)، صدر المتألهين، السـبزوارى، الفاضـل القمـى، الفاضـل الايروانى (٧)، الميرزاى الشيرازى، البهبهائى، الفاضـل التـونى (٦)، البهائى، الفقيه الهمدانى، اليزدى (٤)، الحامى، الحلى، الفخر، على بـن إبراهيم، المفيد (٣)، الأردبيلى، الكعبى، كاشف الغطاء، الكركى، السـيد المرتضى، النهاوندى، المجلسى، الحلبى، العطار (٢).

الميرزا الشيرازى وألقابه مثل العلامة والسيد المجد والتقـى النقى والوحيد والبهبهائى والفاضل التونى. ثم تتوالى أسـماء الأعلام بالعشرات مثل البهائى، والهمدانى، والحلّى، والمفيد، وكاشف الغطاء، والسيد المرتضى، والمجلسى، والطبطبائى، والطوسى، والخونسارى، والطبرسى والكاشانى.

ويذكر العديد من أعلام أهـل السـنة مثـل البـاقلانى والأشعرى والهروى، ومن النحاة السكاكى، ومن المتكلمـين الدوانى، وأبو الحسين البصرى، ومن المؤرخين البلخى وابن الأثير، ومن الفقهاء، الأوزارعى، وأبو حنيفة، وابن مالـك، ومن الفلاسفة، ابن سينا، وابـن حيـان، ومـن الصـوفية، الغزالى، ومحمد الداماد، ومـن فلاسـفة اليونـان، المعلـم الأول[1]. ومن الشعراء، عبادة بن الصامت.

ويكثر ذكر رواة الشيعة وأعلامهم مثل: أبو عبد ا ثـم زرارة ثم أبو جعفر، ثم أبو الحسن ومحمد بن يحيـى، ثـم سمرة ثم حنظلة وغيرهم من أعلام الشيعة الذين لا يعـرفهم إلا الشيعة[2]. ومن الصحابة المبجلين الحسـين والحسـن[1].

---

(١) المعلم الأول (٣).

(٢) أبو عبد ا (٣١)، زرارة (١٨)، أبو جعفر (١٧)، أبو الحسن، محمد بن يحيى، على بن أدهم (٧)، عبد ا بن محمد (٦)، سمرة بن جنـدب (٥)،

ومن الأنبياء موسى وآدم وإسماعيل[2].

وأحيانا يختفى اسم العلم لصالح اللقب طبقا لدرجة التعظيم والتبجيل. ويتقدم لقب الشيخ الذى يمكن أن يطلق على أى اسم علم دون تعيين[3]. ويخصص الرسول. وتكثر عند الشيعة ألقاب التعظيم والتبجيل كما هو الحال فى المجتمعات التقليدية مما يمنع أحيانا من النقد والتطوير ويدعو

عمر بن حنظلة (٤)، على بن إبراهيم، الصدوق، أبو اسحق، أحمد بن فضال، منصور بن حازم (٣)، محمد بن سنان، السجاد، محمد بن عبد ا ، ابن محجوب، أبو جميل، أبان بن تغلب، أحمد بن اسحق، الهادى، معتبر الطيار، عبد ا بن سنان، محمد بن الحسن، جعفر بن محمد، جابر بن يزيد، محمد بن مسلم، سعد بن صدقة، على بن محمد، على بن مسكان، الحسين بن سعيد (٢)، وعشرات آخرون ذكر كل منهم مرة واحدة مثل هشام بن سالم، على بن عبد الحكم، العياشى، الكراكجى، على بن جعفر، عمرو بن شمر، هارون بن حمزة، ذيبان التفة، عبد الأعلى بن أعين، الباقر، أحمد بن محمد ...الخ.

(١) مقتل الحسين (٧)، الحسن (١).

(٢) موسى (٢)، آدم، إسماعيل (١).

(٣) الشيخ (٧٢)، العلامة المحشى (١٩)، الشيخ الأعظم (١٥)، السيد (٩)، المحشى المدقق (٨)، شيخ مشايخنا (٧)، السيد الأستاذ (٥)، سلطان العلماء (٤)، المحقق المحشى (٢)، الشيخ العلامة، الشريف، تلميذه المحشى، المحشى المزبور، الأستاذ، الشهيد، السيد الشهيد، السيد المزبور، العلامة الأعظم، الشيخان، المحقق الثانى، الشيخ الثانى، العلامة، العلامة المزبور، العلامة الأستاذ.

إلى النقل والتقليد[1]. كما تكثر الأدعية لهم مثل "قدس سره"، "مد ظله" ...الخ.

وأحيانا يذكر المؤلف منسوبا إلى عمله نظرا لشـهرته، ولأهمية العمل على الشخص مثل: صـاحب الكفايـة، ثـم صاحب المقالات، ثم صاحب الفصول، ثم صاحب الحاشـية، ثم صاحب الحجة وصاحب الدردير، ثم صاحب الحدائق، ثم صاحب المعالم ومحشى القوانين وصاحب التقريرات ومعلق الفصول. ويظهر النوع الأدبى فى العنـوان مثـل الحاشـية والتقرير والتعليق. ولهذه الإحـالات دلالات خاصـة عنـد أصحاب الثقافة الشيعية كمن يقول عند السنة صاحب الرسالة (الشافعى)، وصـاحب المستصـفى (الغزالـى)، وصـاحب الموافقات (الشاطبى)[2].

ومن المصادر يحال فى معظمها إلى المصادر الشـيعية مثل الكفاية ثم الدرر ثم تهذيب الأصول ثم الكافى ثم الأصول

---

(١) الرسول (١٠)، الإمام (١٩)، النبى، المعصوم، أمير المؤمنين (٩)، الصادق (٦)، النبى الأكرم (٤)، الرسول الأعظم (٣).

(٢) صاحب الكفاية (١٦)، صاحب المقالات (١٠)، صاحب الفصـول (٦)، صاحب الحاشية (٥)، صاحب المحجة، صاحب الـدردير (٣)، صـاحب الحدائق (٢)، صاحب المعالم، محشى القوانين، صاحب التقريرات، معلق الفصول (١).

ثم الرسائل ثم التقريرات ثم المعالم ثم التهذيب والوسائل ثـم المستدرك ...الخ. ومنها نصوص ومنها حواشى وتفاسـير. ومن كتب السنة سنن ابن ماجه، ومسند ابن حنبـل، وسـنن النسائى، وكتاب أبى الحسين البصرى. ومن مؤلفـات أهـل السنة الأصولية "الرسالة"، وفى التفسير "التفسير الكبير". ومن مؤلفات أهل السنة اللغوية، "تاج العروس"، "القاموس". ومـن المصادر اليونانية "الإيساغوجى". ومن الكتب المقدسة يـذكر التوراة والإنجيل[1].

ومن المجموعات مثل الفرق والطوائف والجماعات يأتى

(١) الكفاية (١٣٦)، الدرر (٦٨)، تهـذيب الأصـول (٤٧)، الكـافى (٢٢)، الأصول (١٩)، الرسـائل (١٣)، التقريـرات، المعـالم (٨)، التهـذيب، الوسائل (٦)، المستدرك (٥)، العوائد، مقالات، جامع الأحاديث، أمـالى الشيخ الطوسى (٤)، التهذيبان، الايساغوجى، الذكرى، تـاج العـروس، القاموس (٣)، نهاية الوصول، النافع فى الأصول، العدة، العوالى اللآلى، الفقيه، نهج البلاغة، الدعائم (٢)، وعشرات أخرى من المصادر يذكر كل منها مرة واحدة مثل: الكافية، الوقاية، القوانين، الصافى، المعتبر، جـامع الأحاديث، الحكمة المتعالية، المطارح، الاحتجاج، مصباح الفقيه، النوادر، دعائم الإسلام، فقه الرضا، الغايات، المحصل، المحاسن، العلل، المجمع، الإيضاح، مجمع البحرين، جامع الرواة، أقرب الموارد، تنقـيح المقـال، الفوائد، كتاب ابن خالد، موثقة معدة ...الخ.
ومن الحواشى: حاشية الايروانى، حواشى الأسـفار، الحاشـية، تفسـير العياشى.

الأصحاب أى الشيعة كطائفة ثم وجودها فى الزمـان بـين المتقدمين والمتأخرين، بين الأوائل والأواخر، ثـم اختيـار بعض الأعلام منهم وبعض الأفاضل أو الفضلاء ثم الأئمـة باعتبارهم أهل الهدى، والسـادة مـن أسـاتذينا، والفقهـاء والأصوليون والنحاة واللغويون. ويذكر الإخبـاريون الـذين يعادلون أهل النقـل أو الأثـر عنـد السـنة، والمتكلمـون، ويخصص الشيعة بآل البيت والإمامية والأئمة المعصـومون وأبناء التحقيق أو جماعة مـن المحققـين وصـحابة النبـى والصادقون وأهل العقول والأساطين. ويذكر فـرق السـنة الأشاعرة والمعتزلة وأهل السنة على الإطلاق[1].

(١) الأصحاب (٣٦)، المتأخرون (٢٤)، بعض الأعلام (١٤)، الأئمـة (٩)، الأشاعرة (٦)، المعصومون (٥)، المعتزلة، السادة مـن أسـاتذينا (٤)، الفقهاء (أهل الفقه)، الأصوليون، النحاة، اللغويون، القدماء، أصحابنا، أهل البيت، الإمامية، بعض الأفاضل، الفضلاء (٣)، الإخباريون، المتكلمون، الأقدمون، الأئمة المعصومون، المتأخرون،= =المحققون (٢)، أهل اللغة، أهل الفقه، أبناء التحقيق، متأخروا الأصـحاب، أصـحابنا الأصـوليون، جماعة من الأقدمين، الأصحاب الأقدمون، جماعة من المحققين، طريـق المعصومين، صحابة النبى، الأفاضل المتأخرون، جماعة من الأفاضـل، الصادقون، العسكريون، بعض المعاصرين، بعض السادة مـن أسـاتذينا، أهل العقول، الأساطين، أهل السنة (١).

خامسا: نهاية التجديد والعود إلى التقليد.

١ - "الرافد فى علـم الأصـول" للسيسـتانى (تـأليف ١٤١٤هـ)[1]. وهو نوع من التقرير لمحاضرات للسيستانى كتبها القطيفى. وهى الحلقة الأولى لتدريس علم أصول الفقه وربما أقرب للمبتدئين. يعرض لتاريخ العلم مما ينذر بنهايـة إبداعه وازدهاره فى القرنين الثالث عشـر والرابـع عشـر الهجريين كما كان أرسطو مؤرخا منـذرا بنهايـة الفلسـفة اليونانية وكما كان ابن رشد مؤرخا منذرا بنهايـة الفلسـفة الإسلامية. ويناقش الكتاب دعاوى السـابقين ويتحقـق مـن صدقها. فمهمة النهاية مراجعة البداية، والتحقق من صـدق المسار التاريخى. ويبدأ تجديد آخر مستقى من التراث الغربى والانبهار بالعلوم الطبيعية وأخذ أمثلة أصولية منها[2]. وبعـد مراجعة التاريخ يضع الحقائق كما هو الحال فـى التـأليف المدرسى. وتبدأ كل فقرة بحرف "إن" للتوكيد. والقيل والقـال قليل.

---

(١) آية ا العظمى السيد على الحسينى السيستانى دام ظله: الرافد فى علـم الأصول (محاضرات)، بقلم السيد منير السيد عـدنان القطيفـى (الحلقـة الأولى)، قم ١٤١٤هـ .

(٢) السابق ص٨١.

وهو كتاب نظرى خالص مثل باقى الكتب بعد الثـورة الإسلامية. يبتعد عن العمل ولا يقترب من المصالح العامـة. تتحول فيه أصول الفقه إلى نظرية فى المعرفة. يتجـه إلـى الداخل أكثر مما يتجه إلى الخارج، مثل الفلسفات الإشـراقية السينوية. بل إن الحوادث العملية مثـل استشـهاد الحسـين تتحول إلى تحليلات نظرية عن الزمان. يغيب مقياس الصدق حتى يمكن مراجعة الفكر والحكم عليه. وقد يصل الإغـراق فى التحليلات النظرية إلى حد تصبح فيـه النمـاذج غيـر مفهومة[1]. وكان من المأمول بعد الثورة الإسلامية التحـول من التقليد إلى التجديد، ومن النقل إلـى الإبـداع، وتأسـيس أصول فقه ثورى كما هو الحال فى هذه المحاولة "من النص إلى الواقع".

ويعلن المحرر عن البنية العشرية منذ البداية بعد البسملة ثم لا يلتزم بها فى صلب الكتاب. نصفها فى وصف العلم من الخارج، تطوره وبنيته وأهميته فى المدرسة الإمامية وعلاقته بباقى العلوم مثل الفقه والأدب والفلسفة ومنهج التأليف فيـه وترتيبه وموضوعه. والباقى موضوعات أربعـة، الإسـناد

---

(١) السابق ص٢٢٣.

الحقيقى والمجازى، وميزان الأصول وحقيقة الوضع، واللفظ والمعنى والمشتق[1]. وفى التنفيذ الفعلى زادت الموضوعات العشرة إلى أحد عشر موضوعا. بقى الموضـوعان الأولان، ثم انقسم الثالث، العلاقة بالفقه والأدب والفلسفة إلـى ثلاثـة موضوعات الرابع والخامس والسادس، ثم أصبح الموضوع الرابع عن المنهج هو الثالث، والخامس فـى الإسـناد هـو السابع، والسادس فى موضوع العلم هو الثـامن والعاشـر، والسابع ميزان الأصول هو الحادى عشر، والثـامن حقيقـة الوضع، والتاسع اللفظ والمعنى، والعاشر المشـتق اختفـت وأصبحت موضوعات فرعية. وزاد موضوع تاسـع وهـو تمايز العلوم[2]. وتختلف الموضوعات فيما بينها من حيـث

(1) هذه الموضوعات العشرة هى: ١-أهمية علم الأصـول فـى المدرسـة الإمامية، ٢-الأدوار التطورية التى قطعها أثناء مسيرته الصـاعدة، ٣-علاقته بعلم الفقه والأدب والفلسفة، ٤-المنهج المختار فى طريقة تنظيمه وترتيبه ٥-ألوان الإسناد الحقيقى والمجازى، ٦-موضوع علم الأصـول، ٧-ميزان المسألة الأصولية، ٨-حقيقة الوضع، ٩-مسألة استعمال اللفـظ فى عدة معانى، ١٠-المشتق، السابق ص٧-٨.

(2) هذه الموضوعات الأحد عشر هى: ١-علـم الأصـول عنـد المدرسـة الإمامية، ٢-أدوار الفكر الأصولى، ٣-منهج علم الأصول، ٤-الارتبـاط بين الفكر الأصولى والفلسفى، ٥-فى علاقة علم الأصول بالعلوم الأدبية، ٦-علاقة علم الأصول بعلم الفقه، ٧-فى الإسناد، ٨-موضوع العلم، ٩-تمايز العلوم، ١٠-موضوع علم الأصول، ١١-ميزان المسألة الأصولية.

الكم لدرجة الخلل. فبينما يستحوذ الموضوع الحـادى عشـر ميزان المسألة الأصولية على ما يقرب من ثلثى الكتاب تقـع الموضوعات العشر الأخرى فى ثلثه. والموضوع الحـادى عشر هو مضمون علم الأصول فى حين أن الموضـوعات العشرة الأولى مجرد مقدمات[1]. البنية كلها نظرية. الأولوية فيها للتأويل على النص والفعل.

الشواهد النقلية قليلة نظرا للطابع النظرى العام، والآيات أكثر من الأحاديث[2]. ويتكرر نفس الشـاهد الشـعرى دون تجربة شعرية.

ومن حيث أعلام الشيعة يتقدم الأستاذ الخوئى ثم المحقق النائينى ثم الشيخ الطوسى، ثـم الشـيخ المفيـد والمحقـق الأصفهانى، والسيد المرتضى وصاحب الكفاية، ثم المحقـق العراقى، ثم العلامة الأنصارى، ثم العلامة الحلى وغيـرهم

---

(١) ترتيب الموضوعات من حيث الكم: ١-ميزان المسألة الأصولية (٢٠٣) ٢-منهج علم الأصول (٢٧)، ، ٣-أدوار الفكـر الأصـولى (١٦)، ٤-موضوع العلم (١٥)، ٥-فى الإسناد (١٤)، ٦-تمايز العلـوم (١٢)، ٧-موضوع علم الأصول (١٢)، ٨-علاقة علم الأصول بالعلوم الأدبية (٨)، ٩-علاقة علم الأصول بعلم الفقه (٨)، ١٠-علم الأصول عند المدرسـة الإمامية (٦)، ١١-الارتباط بين الفكر الأصولى والفلسفى (٦).

(٢) الآيات (١٩)، الأحاديث، الشعر (٤).

من أعلام الشيعة. ومن الفلاسفة يذكر الشيخ الرئيس ابن سينا. ومن أعلام أهل السنة يذكر الشافعى وأبو حنيفة والمذهب المالكى وابن تيمية، ثم التفتازانى فى شرح المقاصد، والمذهب الحنبلى والشيخ أبو زهرة وفريد وجدى وغيرهم جمعا بين القدماء والمحدثين من أجل التقريب. ومن فلاسفة اليونان يذكر أرسطو[1].

ومن رواة الشيعة وأئمتهم يذكر ابن الجنيد ويونس عبد الرحمن، ثم الفضل بن شاذان والصادق، ثم زرارة ثم الصدوق ثم الأئمة، العسكرى والهادى والباقر والرضا وعلى

(١) الخوئى (١٥)، الشيخ الطوسى (٩)، المحقق النائينى (٨)، الشيخ المفيد، المحقق الأصفهانى، المرتضى صاحب الكفاية (٦)، المحقق العراقى (٥)، العلامة الأنصارى (٤)، العلامة الحلى (٣)، النهاوندى، البروجردى، الكلينى، الشيخ الأعظم، الشهيد الثانى (٢)، السيد الأستاذ، النوبختى، المحقق، السيد الشاهرودى، الشيخ، المحقق القمى، الوحيد البهبهائى، السر العاملى، الفيض الكاشانى، الاسترابادى، المجلسان، المحقق العلامة، الشهيد الأول، صاحب الوسائل، صاحب الحدائق، السبزوارى، المحقق الطهرانى (١). ومن الفلاسفة الشيخ الرئيس ابن سينا (٤)، ومن المؤرخين ابن خلدون (٣)، ومن أهل السنة الشافعى، أبو حنيفة، المذهب المالكى، ابن تيمية (٢)، التفتازانى فى شرح المقاصد، المذهب الحنبلى، أبو زهرة، فريد وجدى، الشيخ داود، ابن الحاجب، القطب الرازى (١)، ومن الصحابة معاوية (٣)، عمر (٢)، أبو ذر الغفارى، الفقيه الشامى، ابن عباس (١)، ومن فلاسفة اليونان أرسطو (١).

والحسين وغيرهم[1].

ومن المصادر القديمة والحديثة يتقدم الإشارات لابن سينا بعد أن أصبح فيلسوف الإشراق المعتمد قبل ملا صدار فى إيران والأساس النظرى الفلسفى لعلم أصول الفقه المعرفى الشيعى ثم الكافى، والأسفار، والذريعة، ثم الانتصار، والعدة وغيرها من أمهات الأصول الشيعية[2]. ونظرا للتقريب فيحال إلى أمهات أصول الفقه السنى كالرسالة للشافعى[3].

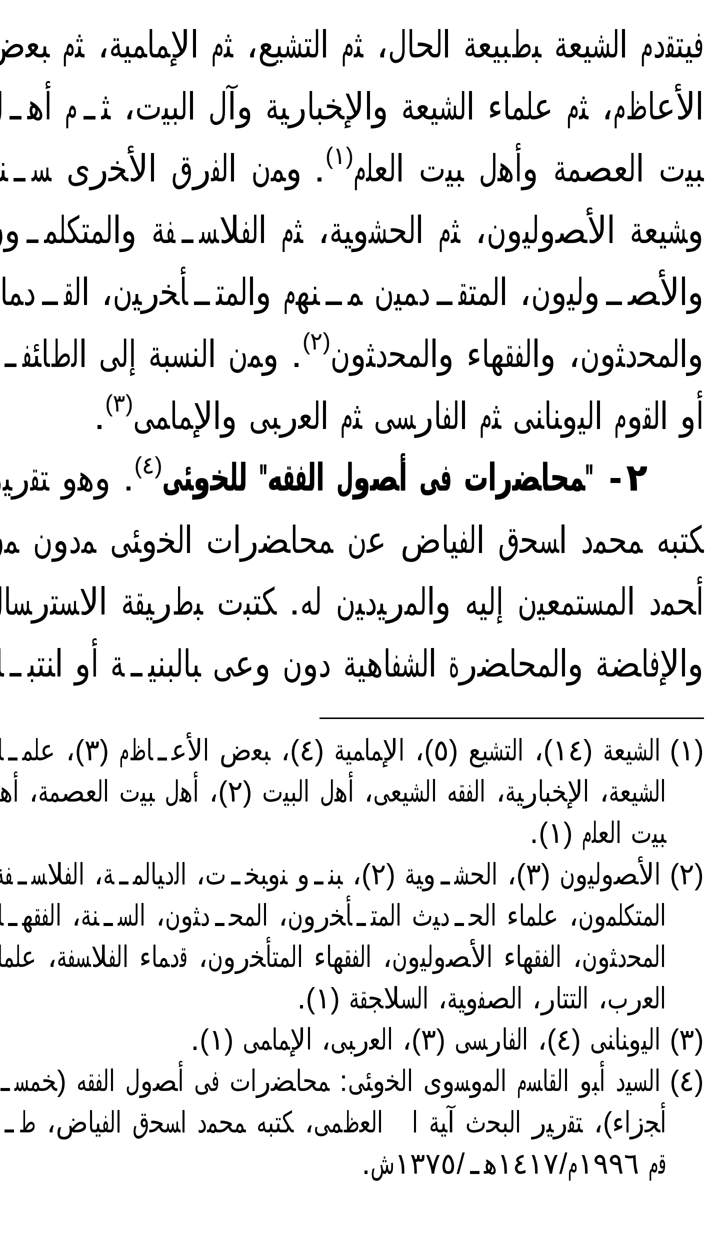
أما من حيث المجموعات والطوائف والفرق والمذاهب

---

(١) ابن الجنيد، يونس عبد الرحمن (٦)، الفضل بن شاذان، الصادق (٤)، زرارة (٣)، جميل براغين، على بن راشد (٢)، الصدوق، العسكرى، الإمام الهادى، الإمام على، الإمام الحسين، الإمام الباقر، الإمام الرضا، محمد بن مسلم، حمدان الفلاحى، عمر العبدى، أيوب بن نوح، الملا إسماعيل، ابن أبى عمير (١).

(٢) الإشارات (٥)، الكافى، الأسفار، الذريعة (٣)، الانتصار، العدة، رسالة الإعلام فى الفقه الخلافى (٢)، رسالة فى بطلان العلل، منتهى الوصول إلى علم الكلام والأصول، الفهرست، مصابيح الأنوار فى الرد على أهل الأخبار، أوائل المقالات، الفصول، حاشية الشفاء، كشف القناع، المعارج، تهذيب الوصول، التذكرة، كشف الظنون، تمهيد القواعد، القضاء، المختصر، وقاية الأذهان، الأصول، شرح المطالع، حاشية الشوارف، تشريح الأصول (١).

(٣) الرسالة للشافعى (٣)، دائرة معارف القرن العشرين (٢).



فيتقدم الشيعة بطبيعة الحال، ثم التشيع، ثم الإمامية، ثم بعض الأعاظم، ثم علماء الشيعة والإخبارية وآل البيت، ثـم أهـل بيت العصمة وأهل بيت العلم[1]. ومن الفرق الأخرى سـنة وشيعة الأصوليون، ثم الحشوية، ثم الفلاسـفة والمتكلمـون والأصـوليون، المتقـدمين مـنهم والمتـأخرين، القـدماء والمحدثون، والفقهاء والمحدثون[2]. ومن النسبة إلى الطائفـة أو القوم اليونانى ثم الفارسى ثم العربى والإمامى[3].

٢- "محاضرات فى أصول الفقه" للخوئى[4]. وهو تقرير كتبه محمد اسحق الفياض عن محاضرات الخوئى مدون من أحمد المستمعين إليه والمريدين له. كتبت بطريقة الاسترسال والإفاضة والمحاضرة الشفاهية دون وعى بالبنيـة أو انتبـاه

---

(١) الشيعة (١٤)، التشيع (٥)، الإمامية (٤)، بعض الأعـاظم (٣)، علمـاء الشيعة، الإخبارية، الفقه الشيعى، أهل البيت (٢)، أهل بيت العصمة، أهل بيت العلم (١).

(٢) الأصوليون (٣)، الحشـوية (٢)، بنـو نوبخـت، الديالمـة، الفلاسـفة، المتكلمون، علماء الحـديث المتـأخرون، المحـدثون، السـنة، الفقهـاء المحدثون، الفقهاء الأصوليون، الفقهاء المتأخرون، قدماء الفلاسفة، علماء العرب، التتار، الصفوية، السلاجقة (١).

(٣) اليونانى (٤)، الفارسى (٣)، العربى، الإمامى (١).

(٤) السيد أبو القاسم الموسوى الخوئى: محاضرات فى أصول الفقه (خمسـة أجزاء)، تقرير البحث آية ا العظمى، كتبه محمد اسحق الفياض، ط ـ٤ قم ١٩٩٦م/١٤١٧هـ/١٣٧٥ش.

إليها. تخلو من الأقسام، الأبواب أو الفصول. ويبدو أنها غير كاملة لأنها لا تعرض بعد المقدمة الأولى عن موضوع العلم وغايته وتاريخه إلا الأوامر والنواهى. هى إفاضـة واحـدة، تيار جارف لا "تمفصلات" فيه ولا أرقام حتى الفهرس الذى وضعه المقرر[1]. بل إن العناوين الرئيسية فى النص تبـدو تائهة فى الفهرس وانتقائية، مثل غيرها من العناوين الفرعية. والترقيم المتبع غير دقيق وكامل فى النص تحـت عنـوان "الأمر". ويتبع أسلوب الإحالة إلى الهوامش كمـا هـو فـى المؤلفات الحديثة من أجل مزيد من المعلومات التفصيلية[2].

وكما هى العادة فى مصنفات الشـيعة يغلـب الطـابع النظرى الخالص وتظهر الموضوعات الكلاميـة والفلسـفية خاصة فى المقدمات الأولى. ويسود المنهج التأملى الصرف والاعتماد على العقل الصريح[3]. ومادة العلم منقولـة مـن

---

(١) هذا على عكس محاضرات هيجل التى نشرت بعد وفاتـه المرقمـة ذات البنية الدقيقة مثل "محاضرات فى فلسفة الدين"، "محاضرات فـى فلسـفة التاريخ"، "محاضرات فى تاريخ الفلسفة"، "محاضرات فى علم الجمال".

(٢) السـابق جـ ـ ١/٢٢-١٠٥/٢٣-١٦٣/١٠٨-٢١٩/١٦٥-٢٦٢/٢٢٧-٢٦٣، نص الروايات جـ٢/٨٣-١١٢/٨٦-١١٣، جـ ـ٣/٢٤٦-٢٤٨، جـ٤/٣٣٦-٣٣٨، جـ٥/٩٤-٣٤٠/٩٥-٣٤١.

(٣) السابق جـ٢/١٨-١٢١.

الماضى عن طريق استدعاء الذاكرة. ويحال إلى التجـارب النفسية والاجتماعية بل وإلى التجارب التاريخية من قصص الأنبياء منذ عصر آدم[1]. ومن ثم يغيب الواقع بالرغم مـن ظهور موضوع الدار المغصوبة وكل ألوان الغصب للميـاه والماء والأشياء وليس فقط للديار وللأرض[2]. ومـع ذلـك يظهر العلم الوجدانى[3]، ويقترن بذلك أيضا موضوع الإفراج عن الإمام الحبيس[4].

ومع ذلك يعلن عن بينة واضحة فى بداية الجزء الأول. وهى نية رباعية تدور حول أربعة أقسام. الأول معرفة الحكم الشرعى بعلم وجدانى. وتضم ما يعادل عنـد أهـل السـنة مباحث الألفاظ خاصة الأمر والنهى. والثانى ما يوصل إلـى الحكم الشرعى التكليفى أو الوضعى بعلـم تعبـدى، وهـى مباحث الحجج والامارات بتعبير الشيعة. وهو استمرار لباقى مباحث الألفاظ، وما يسميه أهل السنة الأحكام، أحكام الوضع وأحكام التكليف. ويفصل هذا القسم الثانى فى موضوع القطع

---

(١) عصر آدم جـ ٣٦/١-٣٧.
(٢) السابق جـ ٢٩٥/٢١٧/٤.
(٣) العلم الوجدانى، السابق جـ ٦/١، الوجدان والبرهان جـ ٧٧/٢، الوجدان جـ ١٠٢/٣.
(٤) السابق جـ ٣٢٢/٥.

والظن والشك، وظواهر الكتاب وحجيتها كما تضـم حجـج خبر الواحد والإجماع والكتاب. وهو ما يعادل الأدلة الشرعية الأربعة عند أهل السنة. والثالث ما يسمى الأصول العمليـة الشرعية مثل الاستصحاب والبـراءة والاشـتغال. والرابـع الأصول العملية العقلية مثل البراءة والاحتياط واليقين، وهى الوظيفة العملية العقلية فى مرحلة الامتثال فى حالـة فقـدان الوظيفة الشرعية[1]. وهى البنية المنقولة المحفوظة والخطـة العامة للعلم التى وراء "المحاضرات". ويغلب عليها التأويـل للنص وللفعل.

وتظهر نفس الجعبة من المصطلحات المميزة لأصـول الفقه الشيعى المكونة من المصادر الصريحة عـن طريـق النسبة مثـل الحجيـة والطريقيـة والكاشـفية والمحبوبيـة والمبغوضية أو عـن طريـق النسـبة دون مصـدر مثـل الصحيحى والأعمى[2]. كما تبدو بعض الغربة اللغويـة فـى

(١) السابق جـ ١/٦-٧.

(٢) الحجية جـ ١/٦، الطريقية والكاشفية جـ ١/٢٥٣/٢٥٨، جـ ـ ٥/٢١٩٤، المحبوبية والمبغوضـية جـ ـ ٤/٣١١/٣٩٩، جـ ـ ٥/٣٩، الصـحيحى والأعمى جـ ١/١٤١/١٧٨/١٨٠، الفرضـان المزبـوران جـ ـ ٤/٣٩، الأقسام المزبورة جـ ٥/٥٣، الصفات المزبورة جـ ـ ٥/١٤٢، البرهـان المزبور جـ ١/١٦، القاعدة المزبورة جـ ١/١٧، الأمـران المزبـوران

استعمال لفظ "المزبور". وهناك إحساس بالتمايز اللغوى بين الصيغ العربية والفارسية والسريانية[1]. وما أسهل من العود إلى بساطة المصطلحات مثل فرض الكفاية بدلا من الواجب الكفائى، والمندوب بدلا من الواجب التخييرى. كما تبدو بعض الغربة فى صياغة مثنى لحاظان[2].

ولا يعنى التقرير مجرد تقريظ وتعظيم وتبجيل للمحاضر بل لأول مرة يظهر الاتجاه النقدى من التلميذ إلى الأستاذ إلى درجة المغالاة. ويزداد النقد تباعا كلما تقدمت المحاضرات من الجزء الأول إلى الجزء الخامس. ويبدأ النقد بعرض الإشكال والمناقشة ثم النقد ثم إصدار الحكم بالصحة أو البطلان[3]. وقد تكون المحاجة أكثر تفصيلا تبدأ بالنظر ثم المناقشة ثم الدفع ثم التحقيق ثم الحكم بالصحيح. واللفظ الأكثر شيوعا هو "النقد" ثم الحكم بالصحيح ثم المناقشة ثم

جـ١٤٦/٢، التفسير المزبور جـ٢٥٨/٢، النقطة المزبورة جـ١١٢/٢، العنوان المزبور جـ١١/٤.

(١) السابق جـ٩٤/٢.

(٢) اللحاظان جـ٢٧/١.

(٣) النقد (١٢٠)، الصحيح (غير الصحيح) (١٢)، المناقشة (١١)، التوهم (٧)، البطلان (٦)، النظر، الفساد (٤)، التحقيق، الإنكار (٢)، عدم التمامية، عدم المانع (١).

التوهم ثم البطلان، ثم النظر والحكم بالفساد، ثم التحقيق والإنكار، ثم إصدار أحكام مخففة بعدم التمامية وغياب المانع. فلأول مرة لا توضع حقائق ولا تُعرض أمور بل تتم المحاجة مع السابقين ومع المحاضر نفسه وهو الأستاذ. وكاتب التقرير ليس مجرد مدون لما سمع بل هو صاحب مذهب متميز، أستاذ يدون لأستاذ. لذلك يستعمل لفظ "مذهبنا" وهى عادة نادرة عند علماء الأصول الشيعة[1].

وبالرغم من قلة الشواهد النقلية نسبيا، الآيات والأحاديث، والآيات أكثر، إلا أن البداية باستمرار من التراث الأصولى الشيعى[2]. ويخلو الجزء الثالث من الشواهد النقلية اعتمادا على العقل الخالص. ومن المصادر الأولى يتقدم "الكفاية" ثم "الفصول" و"شرح المواقف"[3]. كما تغيب الشواهد الشعرية العربية.

وأسماء الأعلام قليلة. ومع ذلك يتقدمها شيخنا الأستاذ أى الخوئى، ثم صاحب الكفاية، ثم العلامة الأنصارى، ثم المحقق النائينى، ثم العود إلى شيخنا المحقق، ثم صاحب

---

(١) السابق جـ ٤٨/١.

(٢) الآيات (٧١)، الأحاديث (٦).

(٣) الكفاية (٢)، الفصول، شرح المواقف (١).

الفصول مع الطبطبائى. ويشير صاحب التقرير إلـى نفسـه نظرا لدوره الفاعل فى النظر والمناقشة والنقد ودفع الـوهم وإصدار الحكم بالصحة والبطلان. ثم يأتى صاحب المعـالم، ثم الفخر الرازى، ثم صدر المتـألهين باعتبـاره الأسـاس النظرى المعرفى ليس فقط لعلم الأصول بـل لكـل العلـوم العقلية النقلية. ثم يأتى المحقق الأصفهانى، ثم الشيخ البهـائى والكعبى والجدال معه باعتباره من أئمة المعتزلة. ثـم يـأتى السكاكى والجدال معه لإنكاره المجاز وكاشف الغطـاء، ثـم العود إلى شيخنا الأعظم بعد أن تعددت ألقابه. ثم يأتى فـى النهاية صاحب العروة والسبزوارى والقمى. وأحيانـا يـأتى العلم نسبة إلى مؤلفه لشـهرته، ولأولويـة المؤلـف علـى الشخص، وأحيانا نسبة إلى شخصه نظرا لسمعته وشهرته[1]. ومن فقهاء أهل السنة يذكر أبو حنيفة والشافعى والشـيبانى.

---

(١) شيخنا الأستاذ (٢٢٠)، صاحب الكفايـة (١٢٧)، العلامـة الأنصـارى (٢٢)، المحقق النائينى (١٩)، شيخنا المحقق (١٦)، صاحب الفصـول، الطبطبائى (٩)، صاحب التقرير (٧)، صاحب المعالم (٦)، الفخر الرازى (٤)، صدر المتألهين (٣)، المحقق الأصفهانى، الشيخ البهـائى، الكعبـى (٢)، السكاكى، كاشف الغطاء، صاحب الكفارة، شيخنا الأعظم، صـاحب العروة، السبزوارى، المحقق القمى (١).

ومن متكلميهم أبو الحسن الأشعرى والحسن البصرى[1].

ويحال إلى كثير من رواة الشيعة ومحدثيهم وأعلامهم ونقله علومهم فى إصحاحات وموثقات مثل إصحاحات أهل السنة. يتقدمهم كالعادة أبو عبد ا ثم أبو جعفر ثم زرارة ثم هشام بن سالم ثم محمد بن مسلم وأبو الحسين والعياشى، وعشرات آخرين من أصحاب الموثقات مثل ابن بكير وسماعة[2]. ومن الأنبياء والأئمة وآل البيت يتقدم الإمام والأئمة الأطهار، ثم الإمامية، ثم أمير المؤمنين، ثم النبى الأكرم وألقابه المتعددة، ثم المعصوم والرضا، ثم الصدوق وآل البيت وأولاد الحسين والمعصومون[3]. ومن الأنبياء موسى وعيسى مما يجعل علم الأصول أقرب إلى تاريخ

---

(١) أبو حنيفة، الأشعرى (٣)، الشافعى، الحسن البصرى، الشيبانى (١).

(٢) أبو عبد ا (١٢)، أبو جعفر (٩)، زرارة (٦)، هشام بن سالم، محمد بن مسلم، أبو الحسين، العياشى (٢)، صفوان بن يحيى، حفص بن البخترى، اسحق بن عمار، محمد بن إسماعيل، أبو الحسن، ابن أبى عمير، ابن مسكان، على بن جفر، إسماعيل بن سعد، محمد عبد الجبار، ابن أبى يعفور، إسماعيل الجعفى، على بن الحسين، ابن سنان، عمار بن موسى، ابن بكير، سماعة (١) .

(٣) الأئمة الأطهار، الإمام (٧)، الإمامية (٥)، أمير المؤمنين (٤)، النبى الأكرم، النبى (٣)، نبينا الأعظم، نبينا محمد، نبينا، رسول ا (١)، المعصوم، الأئمة، الرضا (٢)، الصدوق، المروزى (١)، آل البيت، أولاد الحسين، المعصومون، الشيعة (١)، ومن الأنبياء: موسى، عيسى (٢).

الأديان المقارن. ومن باقى الفرق والطوائف الأشاعرة، ثـم الفلاسفة، ثم المعتزلة نظرا لأهمية الفلاسفة فـى موضـوع الوجود، والمتكلمين فى الحسن والقبح والجبر والاختيار[1].

والسؤال هو: إلى أين أصول الفقه الشيعى، مـن البنيـة الرباعية التقليدية منذ "العدة" للطوسى إلى محاولات التجديـد عند محمد باقر الصدر وتقى الدين الحكيم إلـى محـاولات التثوير عند الإمام الخمينى وابنه مصطفى إلى العـود إلـى التقليد عند الأنصارى والخوئى؟ كيف تعود إليه الثورة فتهز بنيته وتعيد تأسيسه بناء على روح العصر، أولويـة الواقـع على النص، والمصالح العامة على الحرف؟

---

(١) الأشاعرة (١٥)، الفلاسفة (١١)، المعتزلة (١٠)، بعض الأعـاظم (٥)، العلماء (٢)، الفقهـاء، المجبـرة، جماعـة مـن المحققـين، مشـايخنا المحققون (١).

الفصل الخامـــس

تثبيـــت البنيـــة

أولا: البنية والتاريخ.

١ - ماذا يعنى تثبيت البنية؟ يعنى تثبيت البنية إزاحتهـا جانبا وتغطيتها بطبقات من الشروح والحواشـى والتقـارير والتخريجات حتى يكاد يختفى النص الأصلى مـع بنيتـه. لا تتغير البنية ذاتها بل تظل قائمة. فهى عصب المادة وهيكلها العظمى. فالشارح أو صاحب الحاشية أو التقرير أو التخريج ليس له رؤية خاصة أو إبداع خاص، بل طاحونـة جـواء، وساقية بلا ماء. لا تتحرك البنية كشفا عن أبعـاد الشـعور الثلاثة، تشعيبا وتفريعا. بل تتحجر البنية لأنه لم يعـد فـى الوعى الأصولى التاريخى ربما بعد "الموافقـات" للشـاطبى (٧٩٠هـ) أى إمكانية لتشكل بنية أخرى أو لرسـم هندسـى آخر لبناء أصولى جديد. تـُنقل الفرق من التاريخ، وتوضـع فى البنية، فالتاريخ محل البنية، والبنية تتكشف فى التاريخ[1].

---

(١) الجزرى: معراج المنهاج، جـ ٢٧٥/٢٤٣/١٣٣/٢.

وقد تتكون البنية من طرفان ووسط. ويستطيع الشارح أن يدرك الوسط بعد ذكر الطرفين.

ولا يعلن عن تثبيت البنية دائما إلا فى أوائل بعض الأبواب أو الفصول بإعادة ذكر ترتيبها ومنطقها الداخلى كنوع من الشرح وليس للتحقق منها أو لمراجعتها وإقرارها[1]. وقد يكون ذلك عن طريق وضع الفصل داخل الباب، والباب داخل القسم إدخالا للجزء فى الكل. ويكون الشرح فى هذه الحالة إبرازا للبنية الكلية للموضوع[2].

فإذا كان النص المشروح مقالا سيالا بلا أبواب أو فصول دون تمفصلات قام الشارح بذلك لإبراز الهيكل العام للكتاب وأقسامه المختلفة. وإذا كان النص مركزا قام الشرح بالتفصيل والإسهاب. وهو ما يعادل كتب "قواعد العقائد" فى

---

(١) الكافى: جـ٨٣٨/٦٩٩/٦٥٩/٢، جـ١٤٤١/١٤٢٢/١٣٢٩/١٢٥٤/١٢٤٠/١٢١٠/١١٨٩/١١٥٣/٣/ ١٥٥٠، جـ١٨٠٢/١٧٦١/١٧٣٨/١٥٨١/٤/ ١٨٣٦/ ١٩٨٦/١٩٤١/١٨٦٨، جـ٢١٢٣/٥.

(٢) "اعلم أن المصنف... جعل الكلام فى اللغات مقدما على سائر أبواب أصول الفقه. وقد بينا وجهه. ثم جعل الكلام فى اللغات مرتبا على تسعة أبواب..."، الكاشف جـ٤٠٧/١.

علم الكلام المتأخر[1].

الشرح إبقاء على البنية والهيكل مع زيادة فـى المـادة، إبقاء على العظم مع زيادة فى اللحم، إبقاء على الأساس مـع زيادة فى أدوار البناء. وتضم عناصر البنية كـل احتمـالات الموضوع. لذلك قد يبدأ الشـرح ببيـان خطـة الموضـوع وأقسامه، الهيكل قبل المادة، والرؤية قبل التحقيق. كما يبـدأ بترتيب المسائل، من الأصول إلى الفروع، ومن الكليات إلى الجزئيات[2]. والشرح بالنسبة إلى النص مثل اللحم بالنسـبة للعظم، والإنسان بالنسبة إلى الهيكل العظمى، والمنزل بالنسبة إلى الأسمنت المسلح أو البناء بالنسبة إلى الرسم الهندسى[3].

الشرح تجميع لمادة قديمة قديمـة تاليـة علـى الـنص وتعليقها عليه. فالنص مشجب، والشرح ما يعلق عليه. لذلك

---

(١) ابن النجيم: فتح الغفار بشرح المنار ،مشكاة الأنوار فى أصول المنار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٢) "فاعلم أن التقسيم رباعى وبيانـه أن تقـول"، الكاشـف جـ ـ ٢٨٢/١، جـ٤٩٤/٣٣٥/٢. "رتب المصنف الكلام فى الأوامـر والنـواهى علـى مقدمة وثلاثة أقسام"، جـ٦/٣. "إن هذه المسألة تتفـرع علـى المسـألة الأولى"، جـ٣٠٦/٣. "اختلف فيه العلمـاء علـى ثلاثـة مـذاهب..."، جـ٤٤٠/٥.

(٣) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ/٢٥٨٣-٥٩٤، مناهج العقـول، إكمـال المعلومات (٣٠).

يبدو الشرح إسهابا والنص تركيزا. الشـرح إذابـة الـنص كقطعة من السكر فى كوب ماء حتى يبدو كبيرا وهـو فـى حقيقته صغيرا وحتى يبدو إضافة وهو فى حقيقتـه إذابـة. الشرح حركة تريد المزيد ولكن مقيدة بالنص، تريد الحركـة ولكن مكبلة بالقيد. الشرح إبداع فى زنزانـة، وسـير فـى المكان، وحركة دائرية وطاقة تدور حول المركـز. الشـرح حوار مع الداخل إذا ما انغلق الخارج، وتوجه نحو الذات إذا ما استعصى اللحاق بالموضوع. الشرح زوبعة فى فنجـان، حركة فى المكان، دوران متكرر حول مركـز واحـد مثـل دوران العجلة حول محورها. النص هو الجذر، والشـروح الأوراق والثمار. النص مجرد الإشارة الخضراء التى تسمح بمرور المركبات. هو الرصاصة الأولى التى تنـدفع بعـدها الجنود. النص هو الخيط الرفيع الذى ينتظمه حبات العقد(1).

وقد يبدأ الشرح بدراسة جديدة للموضوع بمجرد ذكـره

---

(1) السابق جـ٤/٢١٣. نهاية السؤل جـ١/٢٥٨، جـ٢/١٠. ابن الفركـاح: شرح الورقات، ص١٠٦/١٠٨/١٢٧/ ١٢٩/١٨١. الجـزرى: معـراج المنهاج، جـ١ (٢٦)، جـ٢ (١٣). الأصـفهانى: شـرح المنهـاج، جـــــ١/٤٤-٤٥/٦٣/ ٦٦/٦٩/٧٦/ ٨١/١٢٥/١٨٣/٢٢٥/٢٤٥، جـ٢/٥٣٦/٥٨٤.

فى العنوان. الشرح فى هذه الحالة دراسة للمسـألة صـورة ومضمونا[1].

كان يمكن لبعض الموضوعات القديمة مثل الصلاة فـى الأرض المغصوبة أن تكون بداية جديـدة بعـد ان توالـت الغارات على العالم الإسلامى، ولكنها ظلت فى إطار التحليل العقلى الصورى القديم دون الانتقال إلـى أيـديولوجيا فـى تحرير الأرض المحتلة[2].

٢- البنية كقسمة. ويبدأ الشرح ببيان القسمة فى النص المشروح أو من عقل الشارح. فلا وجود للجزء إلا فى الكل. والقسمة أحد أنـواع التعريـف. والإحصـاء الشـامل هـو الموضوع الكامل من كل أوجهه[3]. يبدأ الشـرح بالتقسـيم

---

(١) شرح المنار ص٢٩٤، الإبهاج فى شرح المنهاج، البنية (١٤).

(٢) الكاشف، جـ٤/١٥٢-١٥٥/١٦٢-١٦٧/١٩٣-١٩٧.

(٣) السابق جـ١/١٧٥/٢٠٥-٢١٠، جـ٢/١٣٤. فهـذه أمـور سـتة، جـ٣/٨٤. "وإذا عرفت ذلك علمت أن اختيار المصنف ههنا اختيار لأحد الأقوال الثلاثة وهو أنه حقيقة فى اللفظ مجاز فى المعنى" جـ٣/٨٥. "إن النهى الوارد عقيب الوجوب للعلماء فيه مذهبان" جـ٣/٢٨٦. "وإذ قد أتينا على نقل المذاهب المنقولة فى هذه المسألة مع تعيين القائلين بها. فلنـتكلم الآن فى شرح الدلائل الدالة على المختار من هذه المذاهب" جـ٣/٣٢٧-٣٢٨. "هذه الوجوه الثلاثة التى عول عليها المصنف" جـ٣/٤٣٨. "إنـه جعل مباحث هذا القسم محصورة فى أنظار أربعة" جـ٣/٤٧٥. "إن عادة

الأعم لإدخال الجزء فيه. كما يبدأ بحصر الأدلة مـن أجـل

كثير من المصنفين فى أصول الفقه جعل المقصود بما ضمنه المصـنف فى هذا التقسيم فى مسألتين" جـ ٤٨٣/٣. "إنه لابد من نقل كلمات الأئمـة الدالة على مذاهب العلماء فى هذه المسألة، وليعلم الناقل الكتاب المنقـول عنه لتحصل الإحاطة بالقدر الذى اشتركوا فى نقله وبما انفرد به بعضهم من نقل المذاهب فى هذه المسألة" جـ ٥١٠/٣. "إن العلماء اختلفـوا فـى الواجب المطلق هل يستلزم إيجابه ما لا يتم ذلك الواجـب إلا بـه علـى أقوال" جـ ٥٣٦/٣. "إنا نرى أن نذكر أولا أقوال الأئمة فى هذه المسـألة ثم نشرح كلام المصنف فإن شرحه موقوف على فهم مذاهب المخـالفين فى المسألة وذلك لا يتأتى إلا بنقل أقوالهم" جـ ٥٦٠/٣. "إنه لابد من نقل ما اختاره الغزالى فى هذه المسـألة مـع نقـل مـذاهب النـاس فيهـا" جـ ٥٨٨/٣. "إن الخلاف فى هذه المسألة على طائفتين" جـ ٥٩٧/٣. "إن هذه المسألة مسألة عظيمة الشعب فيجب على المحصل الاعتناء بتحقيقهـا وتحصيلها فلنجر على عادتنا فى نقل مذاهب العلماء فيها ثم نشـرع فـى شرح الدليل وتقريره وإيراد الأسئلة عليه والانفصال عنها" جـ ٣/٤. "هذا هو الكلام فى نقل مذاهب العلماء العقلاء فى هذه المسألة" جـ ٧/٤. "إنـا ننقل مذهب العلماء فى هذه المسألة ثم ننعطف بعد ذلك على شرح المتن" جـ ٥١/٤. "أن ننقل أولا مذاهب الناس واختيار أئمة الأصـول فنقـول" جـ ١٣٥/٤. "إنا ننقل مختار أئمة الأصول فى هذه المسألة" جـ ١٤٤/٤. "إننا ننقل الكلام فى نقل أقاويل العلماء فى هذه المسألة" جـ ١٥٠/٤. "إننا ننقل كلام الأئمة ومختارهم فى هذه المسألة" جـ ١٥١/٤. "إنا نتكلم فـى منقول أئمة الأصول ومختار كل واحد منهم أولا ثم ننعطف على شـرح المتن" جـ ١٦٨/٤. "إن هذه المسألة تتضمن بيان أقسام الألفـاظ العامـة سواء كان العموم بدليا أو استغراقيا" جـ ٢٢٩/٤. "وإذ قد أتينا على نقـل أقاويل العلماء واختياراتهم فى العموم ومسائله فلنـتكلم الآن فـى شـرح المتن" جـ ٢٦٣/٤.

إعادة عرضها والرد على ما ورد فيها. وقد يكون التقسيم كما جرت العادة فى علم الأصول ، تبدأ البنية بالقسمة، والتقسـيم عقلى ونصى، يقوم على بنية العقل وبنية الموضوع فـى آن واحد[1]. وقد ينبه الشرح أحيانا على أن الحصر غير ثابت أو كامل دون أن يكمله. فقد توقف الإبداع وبدأ التقليد. ولم يعـد العقل قادر على الاجتهاد ثانية كما اجتهد أولا[2].

وقد يكون الشرح تذكيرا بالعد والإحصاء. فالقياس تابعها ورابعها[3]. وقد يتم تعليل التقديم والتأخير فى الموضـوعات

---

(١) نهايـة السـول جـ ٣٤٦/٣٠٧/١٩٨/١، جـ ١٤٧/١٤٥/١٤٣/١١٤/١١٠/٨٢/٧٠/٦٢/٢٨/٢٦/٢- ١٤٨/١٦١/١٨١/ ٤٥٠/٤٣٧/٤٠٧/٢٦٣/٢١٩/١٩٢/١٨٥. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ١٨٦/١٨٣/٨٦/١، جـ ٨٣٦/٦٦٨/٢. "فى تحرير المفهوم وأقسامه" القرافى: نفائس الأصول جـ ١٣٩٠/٣ وأيضـا جـ ٢١٣٧/٥.

(٢) "يورد عليه أن الحصر غير ثابت" جـ ٤٩٣/٤.

(٣) الكـافى جـ ٢٥٤/٢٢٤/٢١٧/٢٠٣/٢٠٠/١، جـ ٨٨٥/٨٣٨/٦٩٩/٦٠٩/٢، جـ ١٣٥٨/١٣٠٠/٣. الجزرى: معـراج المنهـاج جـ ٧٥/٤٣/١، جـ ١٢٩/١٢٧/١٢٣/٤٥/٢ /١٧٣/١٧٢/١٥٦/١٥٤. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ٣١٦/١/ ٣٤٣. شرح المنار، القسمة (١٦) (عدد مرات القسمة). شرح مختصـر المنـار ص٧-١٢/٩. الإبهاج فى شرح المنهاج، العد والإحصـاء (٢)، القسـمة (٣٣). مناهج العقول، العد والإحصاء (١١٠). "التقرير والتحبيـر" (٩). فتح الودود على مراقى الصعود ص٥٥. نشر البنود على مراقى السعود:

مثل مباحث الألفاظ.

٣- **وضع الجزء فى الكل.** ويضع الشرح الجـزء فـى إطار الكل، والموقف فى إطار التاريخ، والحالـة الخاصـة داخل البنية العامة. يعرض النص الشارح للمذاهب كلها أولا فى الموضوع ثم يتحقـق مـن صـدقها مـع رأى الـنص المشروح. يعرض النص الشارح الاختلافـات كلهـا حـول الموضوع ثم يوضع النص المشروح داخلها لتصبح جـزءا من كل. فالشرح تجاوز لتضارب علم الخلافيات إلى وحـدة الرؤية واكتمال الموضوع. وكـل الآراء جوانـب متعـددة للموضوع. كل منها يأخذ منظورا. وكل التفصيلات تدخل فى مجملات، والجزئيات فى كليات[1]. كما يتم رد الفروع إلـى

العد والإحصاء (٨). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (٤). فواتح الرحموت جـ ٢٥٤/١.

(١) الإبهاج فى شرح المنهاج، الجزء فى إطار الكل، والخاص داخل العـام (٢٤). "ووجه المذهبين ظاهر لأن أحدهما ينظر إلى الحال، والآخر إلـى المآل. فإن نظرنا إلى الحال فقد ضاق الوقت، وإن نظرنا إلى المآل فقـد زالت غلبة الظن. والكشف خلاف ذلك، فيبقى الأمـر علـى التوسـيع"، الكشف جـ ٢٨٨/١. "إن عبارات المصنفين فى علم الأصول وما يختـار كل واحد منهم مختلفة فى هذه المسألة وغيرها وكذلك اختياراتهم فلننقل ما قاله المصنفون فى علم الأصول" جـ ٦٨/٤. "ونشأ من ذلك الخلاف فـى هذه المسألة التى تشرحها"، الكاشف جـ١٠٢/٣. "إن هذه المسألة ذكرهـا

الأصول، وحل المسائل الفرعية بالاتجـاه نحـو قواعـدها الكلية[1]. وتعرض المسألة طبقا للأصل والفرع لذلك كثـرت

المصنف ولم يقل فيها خلافا بين العلماء، والفرع الذى فرع عليه مختلف فيه بين الشافعى وأبى حنيفة" جـ٨٥/٤. "إن الناس اختلفوا فى أن المكره على الفعل هل يكلف بفعل ما أكره عليه، وهل يكلف بترك ما أكره عليه؟ فلنشرح مذاهب الناس فى المسألة..." جـ١١٩/٤-١٢٠. "إننا ننقـل أولا ما اختاره كل واحد من أئمة الأصول فى هذه المسألة من المذاهب فيهـا وما اختاره كل واحد منهم ثم نشرح ما قاله المصنف" جـ١٢١/٤-١٢٢. "هذا هو الكلام فى منقول أئمة الأصول فى هذه المسألة، وإذ تأمل المتأمل لا يخفى عنه القدر المشترك بين منقول الكل وما انفـرد بـه بعضـهم" جـ١٢٦/٤. "إننا نجرى على عادتنا أولا ثم ننعطف منه إلى شرح المتن" جـ٣١٥/٤. "إن هذه المسألة نشأت من مسـألة جزئيـة مـن الفـروع" جـ٣٧٢/٤. "الكلام فيما يرجع إلى حكم المسـألة مـن أقاويـل علمـاء الأصول" جـ٣٩٨/٤. "إننا ننقل أولا أقاويل علماء الأصـول فـى هـذه المسألة ثم نذكر شرح المتن" جـ٤٠٣/٤. "إن الناس اختلفوا فـى كـون العقل مخصصا" جـ٤٩٨/٤. "هذه الأقوال المنقولة فـى هـذه المسـألة" جـ٥٤٨/٤. "اعلم أن المصنف نقل جملة من أقوال العلمـاء فـى هـذا الموضع غير أننا ننقل ما قاله غيره جريا على عادتنا" جـ ـ١٣٠/٥. "إن هذه المسألة تتفرع على أن..." جـ٤٦٩/٥. "إن وجه تفريع صدق خبـر ا على قاعدتين: إحداهما قاعدة الحسن والقبح العقليين والأخرى قاعـدة المخلوق" جـ٢١/٦.

(١) "إن الوجوه التى ذكرناها فى هذا الباب ذكرهـا المصـنف فـى قاعـدة التحسين والتقبيح العقليين. وذكرها أيضـا فـى تكليـف مـا لا يطـاق" جـ٣٧٧/٦. "إن العلماء اتفقوا على جواز تعليل الحكم بالوصف الوجودى مع بيان المقتضى فى أصل المسألة واختلفوا فى جوازه من غيـر بيـان المقتضى" جـ٥٧٤/٦. "ويمكن الجواب عن أصل الإشكال" جـ٩٥/٤.

ألفاظ: قاعدة، تفريع، فرع، فروع، تكميل، وبالجملة ويسـمى أحيانا التأسيس[1].

ويعنى الشرح أيضا وضع الجزء فى إطار الكـل لـيس علـى مسـتوى العبـارات بـل علـى مسـتوى المعـانى والموضوعات، فحق النبى شىء وحق الأمة شـىء آخـر، وبيان العام والخاص، والمطلق والمقيد فى المتن. فمباحـث الألفاظ أحد طرق الشرح. إذا كان المتن خاصا جاء الشـرح عاما، وإذا كان المتن عاما أصبح الشرح خاصا. وإذا كـان المتن مطلقا قيده الشرح. وإذا كان المتن مقيدا أطلقه الشرح. فأشهر الحج من هذا العام، والتعارض للحال، والبـاب الأول أى السنة والقسم أى الخبر المتواتر. وتوضع التفصيلات فى إطار العموميات، والخاص فى إطار العام. فإذا عرض النص العموميات فإن الشرح يأتى بالتفصيلات، وإذا عرض النص الكليات فإن الشرح يأتى بالجزئيات[2]. لذلك يتسع الحكم فـى

(١) نفائس الأصول: تفريع، فرع، فروع (١٥)، قاعدة (٩)، تكميل، وبالجملة (١). "الأصل والفرع"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٤١، الجزرى: معـراج المنهـاج جـ ـ ٢/٣٤/٦٥/٢٠٦/٢١٠-٢١٤/٢٩٥/٢٥٦. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/١٠٦/٣٢٧، جـ٢/٥٠٨. شرح المنـار: الأصل والفرع (٧). الإبهاج فى شرح المنهاج: الأصل والفرع (١٣).

(٢) الكـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـافى جـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ١/٢٣٨-٢٣٩/٣٣٩،

الشرح أو يضيق، يعم أو يخص، يتضمن أو يقصى، يضم أو يستبعد طبقا لمنطق أصولى لغوى فـى مباحـث الألفـاظ، المطلق والمقيد، العام والخاص[1].

٤- ذاكرة التاريخ. والغرض من اللجوء إلى السـابقين هو تحرير العبارة، ومعرفة أوجه الاختلافات ومحل النـزاع فيها[2]. الشرح دراسة للسابقين على النص وللاحقين عليه أى

جـــــــــــــــــــــ٢/٥٧٤/٥٨١/٥٨٥/٦٦٤/٦٨٣/٦٨٦-٦٨٧/٧٦٦/٧٨٩/٨٠١/٨٢٠/٨٧٠، جــــ٣/ ١٠٧٣/١١٣٣/١٢٤٠-١٢٤١. الأسنوى: نهاية السؤل جـ١/٤٨. ابن الفركاح: شرح الورقـات ص١٤١/٢٢٢. الجـــــزرى: معـــــراج المنهـــــاج جــ١/١٠٠/١٠٣/١٠٥/١٢٢/٢٤١. الأصـفهانى: شـرح المنهـاج جـ١/٢٠٠/٢٨٢/٣٥٢/ ٣٦٣/٣٨٣/٤٠٦/٤٠٨/٤١١/٤٤٠/٤٦٤/٤٧٥، جـ٢/٥١٠/٥٣١/٥٥٤/٥٦٥/٦٩٣/٦٩٧/٧٠٢/٧٠٥-٧٠٦/٧٠٨.

(١) شرح المنار: اتساع الحكم وضيقه (١٢)، الضم والاستبعاد (٤).

(٢) "إن عبارة أئمة الأصول فى هذه المسألة مختلفة فلننقلها ليتأملها النـاظر. وبها تتلخص صورة المسألة ومحل النزاع" جـ٤/٤١٩. "وإذ قد أحطـت علما بأدلة أئمة الأصول فى المسألة فاعلم أن هذه المسألة لها صـورتان" جـ٤/٤٢٢. "تقل فى هذا الموضع عن العلماء تعريفات ثلاثـة للخبـر" جـ٥/٥٦١. "إن العلماء ذكروا فى تعريف القياس رسوما كثيرة مختلفـة فى القوة والركاكة أشدها تلخيصا وجهان" جـ٦/١٣٤. "ونتكلم الآن فـى نقل مذاهب العلماء فى هذه المسـألة" جــ٦/١٨٢. "ولننقـل مـا قالـه الأصوليون فى هذا الموضع ثم ننعطف إلى شرح المتن"= =جـ٦/٣٠٢. "معنى الإمارة فيه ثلاثة أقوال" جـ٦/٥٥٤. "قد سبق بيان مذاهب النـاس فى المسألة السابقة وقد نقلنا كلام صاحب المعتمد فى ذلك" جــ٦/٦٠٩،

وضع للنص فى إطاره الزمـانى الكلـى أى فـى مسـاره التاريخى. مهمة الشرح تحرير وضع المشكلة فـى الـنص، والتحقق من صدق المنقول والمعقول ووضعها فـى سـياقها التاريخى واختلاف المذاهب واتفاقها[1].

وقد يفضل الشرح اختيارات ومواقف شروح سابقة على النص المشروح. فالشرح مراجعة تاريخية كاملة منذ الـنص حتى الشرح. وفـى الشـروح السـابقة هنـاك متقـدمون ومتأخرون. فالشرح وعى مزدوج بالتاريخ، بتاريخ التاريخ. وقد تتغير المصطلحات من المتقدمين إلى المتأخرين[2]. وهو

"فى تحرير محل الخلاف"، القرافى: نفائس الاصول، جـ ٣٨٨/٣.

(١) "المسألة من مشكلات المواضع وفيها اضطراب فى المنقول وغور فـى المعقول. ونحن نذكر مقالات الناس والتنبيه على جهة الاختلاف ثم نعمد إلى الرأى الأسد فنناضل عنه فنقـول"، الإبهـاج فـى شـرح المنهـاج جـ ١٦٥/١. "فانظر إلى هذه المواضع وتأملها ونزل كلام العلماء عليهـا ولا يظنن الظان مخالفة ما ذكرناه لعبارات الأصوليين لأنهم إنمـا قـالوا التكاليف بالفروع فلا يرد خطاب الوضع عليهم"، السابق ص١٨١.

(٢) "واعلم أن هذا الكلام (لصاحب الصحاح وصاحب الاحكام) أسد مما ذكره المصنف"، الكاشف جـ ١٣٤/١. "وذكر إمام الحرمين فى كتاب "البرهان" أنه عبارة عن العلم بأحكام التكليف وقريب من هذا مـا ذكـره صـاحب المستصفى، وهما ضعيفان"، السابق جـ ١٤٤/١. "إن هذه القاعدة اعتنـى بها المتقدمون والمتأخرون واختلفت طرائقهم فى الدلالة على انهـا تفيـد العلية. ونحن نرى نقل طرق المتقدمين والمتأخرين، وتصحيح ما يمكـن

مفيد لطلبة العلم. فبالرغم من وضوح المـتن إلا أن الشـرح يعطى مادة وافرة لطلبة العلم لمعرفة باقى المواقف السـابقة والتالية على المتن[١]. وقد يكون من مميزات الشروح تجميع مواد لم تعد تذكر. فهى نوع مـن الـذاكرة أو الحافظـة أو السجلات لكثير من المواد الفقهية والأصولية واللغوية مثـل الطريقة البرغوتية[٢]. ميزته أيضا جمع المادة الأولى التـى ربما تكون قد ضاعت متونها أو التى لم تنشر وأخذ اقتباسات منها فى الشروح المتأخرة.

ونادرا ما يكون الشرح قراءة، قراءة الـنص الشـارح للنص المشروح طبقا لأصول علـم القـراءة، التحليـل ثـم التركيب طبقا لظروف العصر، التفكيك ثم إعادة البناء مـن منظور جديد. فالشرح بهذا المعنى خطوة إيجابية، نوع مـن الإبداع، التنويع على لحن قديم. وهو ما سماه الشارح "تحرير الكلام على نحو آخر"[٣].

تقريره بما تصل إليه القدرة.."، جـ٦/٤٠١. "إن اصطلاح الأئمة النظـر من المتأخرين.."، جـ٦/٥٢٧.

(١) "هذه جملة الشبه التى ذكرها المصنف وهى واضحة من المـتن إلا أنـا قصدنا بسطها بالتماس بعض طلبة العلم"، جـ٤/٣٠٣.

(٢) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى، جـ٤/١١٨١.

(٣) "ولنا أن نحرر هذا الكلام على وجه آخر"، الكاشف جـ٣/٥٢٥.

الشرح سلب لأنه فى حاجة إلى "عكاز" يستند إليه وهـو النص، فى حاجة إلى بؤرة يلتف حولها كالشرنقة، فى حاجة إلى نقطة بداية ينطلق منها، وإلى سلم يصعد عليـه، وإلـى روح يتخلق فيها الجسد. فلم تعد الـذات الحضـارية واثقـة بنفسها على إبداع النصوص ذاتها، على إبداع أول، خلق من لا شىء، بل على إبداع ثان، خلق شىء من شىء. وفى نفس الوقت الشرح إيجاب. فهو تواصل مع القديم واستئناف لـه، وتراكم تاريخى، وجمع القديم والجديد فى موسوعات ضخمة تغنى عن النصوص الضائعة. تكشف عن الحالة الراهنة للعلم وعن بعض مظاهر الإبداع الجزئية التى تبدو بين السـطور. الشرح على وعى بتطور الزمان وبتغير التعريفـات حتـى للقرآن بتغير الأزمان[1]. وربما يبرز الشرح نقـاط إبداعـه وإضافته بوضع عناوين جانبية لها مثل "فائدة، فرع، مفـردا أو جمعا، تذنيب، تنبيه، خاتمة"[2].

---

(١) "هذا التعريف للقرآن الذى هو حجة فـى زماننـا لا المطلـق للقـرآن"، الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار جـ ١١٦/١. "فأما رواية مثل هذا المجهول فى زماننا فلا تقبل ما لم يتأيد بقبول العدول لغلبة الفسق علـى أهل الزمان"، السابق جـ٦٨٥/٣-٦٨٦.

(٢) الأسـنوى: نهايـة السـؤل جـ ١٠١/١، جـ٢/٤٥/١٢٣/١٩١/١٩٣/٢٩٢/٣٥٨/٣٩٣-

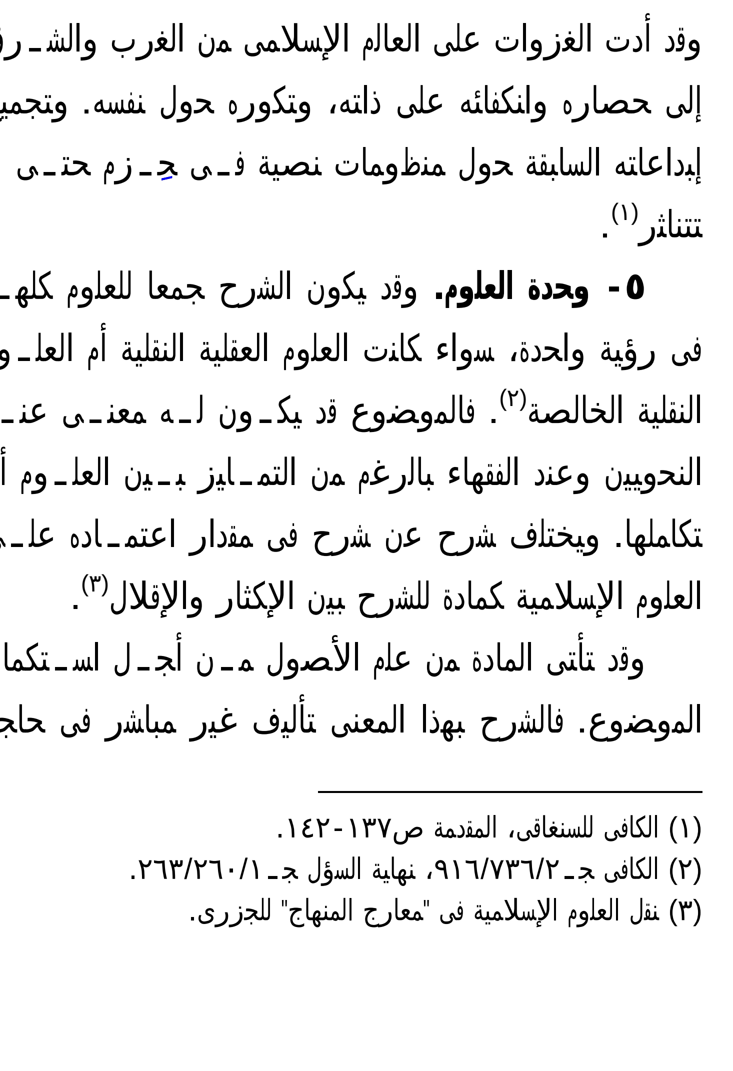
الشرح موقف نفسى من النص، التعامل معـه، والبنـاء عليه بصرف النظر عن توضيح الغامض، وتركيز المسهب، وإسهاب المركز. إذ يعترف الشارح بوضوح النص ومع ذلك يقوم بشرحه لأنه لابد أن يقول شيئا بصرف النظر عن هدف القول. فهو شرح لا جديد فيه(1).

الشرح عود إلى الماضى بعد أن تأزم الحاضر، وبحـث عن القديم بعد أن عز الجديد، ورجوع إلى الـوراء بعـد أن صعب التوجه إلى الأمام. لم يكن الشرح حركة إبداعية تعيد بناء النص القديم طبقا لظروف العصر الجديد بل كانت مجرد قراءة شارحة كما هو الحال فى علوم التفسير التاريخية. لـم يهدف الشرح إلى شىء، تغيير بنية أو إضافة علـم أو نقـد مجتمع كما فعل ابن رشد فى الشرح الكبير مثل "تفسير مـا بعد الطبيعة".

وتدل الشروح والملخصات على مرحلة تاريخية معينـة

٣٩٤/٤٩٤/٥٠٦/٥٤٠/٥٤٢. الإبهاج فى شرح المنهـاج: تنبيـه (٨)، تذنيب (١)، فائدة (١٠)، خاتمة (٢).

(١) "اعلم أن كلامه هذا لا يحتاج إلى بيان" شمس الدين محمد بـن يوسـف الجزرى: معراج المنهاج، شرح منهاج الوصـول إلـى علـم الأصـول للقاضى البيضاوى (جزءان) مقدمة وقدم له د. شعبان محمـد إسـماعيل، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، جـ ٤٥/١.



توقف فيها الإبداع بعد انتهاء المرحلة التاريخية الأولى التى أرخ لها ابن خلدون. فقد توقف الإبداع فى الداخل بعد أن نشأت العلوم الإسلامية وتطورت وبلغت الذروة فى القرنين الرابع والخامس، وبدأ التجميع فى القرنين السادس والسابع. وقد أدت الغزوات على العالم الإسلامى من الغرب والشرق إلى حصاره وانكفائه على ذاته، وتكوره حول نفسه. وتجميع إبداعاته السابقة حول منظومات نصية فى حزم حتى لا تتناثر[1].

٥- **وحدة العلوم.** وقد يكون الشرح جمعا للعلوم كلها فى رؤية واحدة، سواء كانت العلوم العقلية النقلية أم العلوم النقلية الخالصة[2]. فالموضوع قد يكون له معنى عند النحويين وعند الفقهاء بالرغم من التمايز بين العلوم أو تكاملها. ويختلف شرح عن شرح فى مقدار اعتماده على العلوم الإسلامية كمادة للشرح بين الإكثار والإقلال[3].

وقد تأتى المادة من علم الأصول من أجل استكمال الموضوع. فالشرح بهذا المعنى تأليف غير مباشر فى حاجة

---

(١) الكافى للسنغاقى، المقدمة ص١٣٧-١٤٢.

(٢) الكافى جـ٢/٧٣٦/٩١٦، نهاية السؤل جـ١/٢٦٠/٢٦٣.

(٣) نقل العلوم الإسلامية فى "معارج المنهاج" للجزرى.

إلى نقطة بداية من النص ليرتكز عليهـا، ويـدور حولهـا كدعامة لتدفق الدماء فى شرايين القلب مثل الإفاضـة فـى شرح النسخ. إذ يبين الشارح أن المؤلف "سكت عـن نسـخ الكتاب بالسنة"(١). ويحال إلى مصنفات الأصول عند الشـيعة مثل الشريف المرتضى ويتناولها بالنقد والتمحـيص. لـذلك تظهر بعض مصطلحات الشيعة مثل الجعل والجعلية(٢). وقد يوصى الشرع بأن أصول الفقه هى فروع لأصـول الـدين بالرغم من التمايز بين العلمين.

وقد تأتى المادة من علم الكلام. تظهر المـادة الكلاميـة بالرغم من الفصل بين العلمين، علم أصول الفقه وعلم أصول الدين(٣). وكثيرا ما يرد علم أصول الفقه إلى علـم أصـول

---

(١) شـرح الورقـات لابـن الفركـاح ص١٤-١٥، مـادة أصـولية ص١١٣/١٣١/٣٠٨. فواتح الرحموت، شرح أصـولى فقهـى مطـول جـ ـ ١/٩٩/١٠١/١٠٤/١١٩/١١٢/١٤٢/١٦٧/٢٣٥/٢٥١/٢٦٦/٢٨٧/ ٣٠٠/٣١٠-٣١١/٣١٨/ ٣٧٩/٣٨٥.

(٢) "سواء كان ذلك الشىء علة حقيقية أو جعلية" جـ ٦/٥٤٩.

(٣) "الجواب المذكور مبنـى علـى قاعـدة كلاميـة وهـى .."، الكاشـف جـ ١/٤٣٥. "ولكن الاستقصاء بذلك يليق بالكتب الكلامية"، جـ ـ ٣/٦٤. "ومن أراد استحضارها فليراجع الكتب الكلامية"، "وإنما تكلمنا على هـذه الشبهة فى هذا الفن لأن بعض المصنفين أورد هذه الشبهة ههنـا. فلهـذا تكلمنا عليها فى هذا الموضع"، الكاشف جـ ٢/٨٨. "الترجيح الثانى للقدرة

الدين قبل رد الفروع إلى الأصول مثـل الحسـن والقـبح، والواجبات العقلية، وحكم الأشياء قبل الشرع. بل إن هنـاك فصول بأكملها فى النص والشرح فى موضـوعات كلاميـة خالصة. فالقواعد كلامية خالصة ترد إليها مبادئ الأصول[1]. ويحال إلى علم الكلام لمزيد من الإطلاع وإلى مناهج الجدل فيه مثل قياس الغائب على الشاهد[2]. ويتم الإسهاب فى علـم الكلام باستعارة نظرية العلم منه، وإدخالها فى تحديـد علـم أصول الدين. فالعلم واحد، أصول الدين وأصـول الفقـه[3].

والإرادة المذكور فى علم الكلام"، جـ ٩٤/٣.

(١) الحسـن والقـبح، الكاشـف جـ ـ ٢٩٩/١-٣٥٣، الواجبـات العقليـة جـ ١/٣٥٤-٣٦٧، حكم الأشياء قبل الشـرع جـ ـ ٣٦٨/١-٣٦٩/٣٨١، الكلام فى المقدمات، الفصل الثامن، فى أن شكر المنعم غير واجب عقلا، الكاشف جـ ٣٥٤/١-٣٦٧. الفصل التاسع فى حكم الأشياء قبل الشـرع، جـ ٣٦٨/١-٣٨١. وفى "شرح المنار" نادرا مـا تظهـر الموضـوعات الكلامية (مرتان فقط).

(٢) "إن قياس الشاهد على الغائب هو اختيار أكثر المتكلمين"، جـ ـ ٥٨٦/٦، مناهج العقول، الشرح الكلامى (١٠).

(٣) "وأما تحقيق الحق فى ذلك ففى أصول صناعة أخرى هى أجل من هـذه الصناعة وهى علم الكلام. وفى هذه المسألة تـدقيقات حكميـة وكلاميـة تركناها طلبا للإيجاز"، الكاشف جـ ٨٩/٢. "كل ذلـك يتبـين فـى علـم الكلام"، جـ ٢٨٠/٢. "والمحقق فى علم الكلام يعلم مآخذ هـذا الكـلام"، جـ ٧٠/٣. "وجوابه إبطال قاعدة التناسخ فى علم الكلام"، جـ ٧٣/٣.

ويطغى علم الكلام على علم الأصول، وهو علم قواعد العقائد فى المقدمة فى نظرية العلم، وفى الخاتمة بدلا من الاجتهـاد والإفتاء. وقواعد العقائد مغلقة لا خلاف عليها. وفـى نفـس الوقت عدم تكفير أحد[1]. وبالرغم من ارتباط علم الأصـول بباقى العلوم إلا أنه متمايز ومستقل عنها. فموضوع الكـلام النفسى موضوع أصولى ولكن يتم استيفاؤه فى علم آخـر[2]. وهناك شروح أصولية فقهية أو أصولية فقهيـة فلسـفية[3]. تصب الشروح المتأخرة فى علم أصول الـدين. ولصـاحب المتن منظومة فى علم العقائد[4]. وتظهر فى الشروح الفـرق غير الإسلامية مثل اليهود فى النسخ والنصارى فى الروايـة

(١) "فقد اختلاف اصطلاح المتكلمين والفقهاء"، الكاشـف جـ ـ ٢٧٧/١. ابـن الفركاح: شرح الورقات، مادة كلامية ص٣٤٧/٢٢٠. الجزرى: معـراج المنهاج جـ ـ ٦٣/١. تشـنيف المسـامع بجمـع الجوامـع للزركشـى جـ٣٢٧/٢-٣٥٣/٣٩١. فواتح الرحموت جـ٣٤١/١١/١. شرح مطول عن تاريخ النبوة جـ ٤٩/١.

(٢) "والحق أن هذه المسألة مشكلة، وإثباتها بناء على إثبـات كـلام الـنفس صعب فى الشاهد، وفى الغائب أصعب، وبنـاء الشـاهد علـى الغائـب ضعيف. ولا يحتمل أصول الفقه تحقيق ذلك فإنه خروج من الفن إلى فن آخر"، الكاشف جـ٧٩/٣.

(٣) فواتح الرحموت، جـ ١٢٥/١١٥/٨٤/٨٣/١.

(٤) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى، جـ ١٦٤/١.

والمانويــة والزرادشــتية وعبــدة الأوثــان والبراهمــة والسوفسطائية وكما هو الحال فى علم الكلام[١].

وتأتى مادة الشرح من الفلسفة والمنطـق فـى تعريـف التصور لكن فى أقل الحدود وليس بقدر علم الكلام. وكـان يمكن للفلسفة أن تتطور بتطور علم الأصول وأن يتطور علم الأصول من خلالها. فالذاتية مثلا مازالت فى علم الأصـول بالمعنى المنطقى، الذاتى فى مقابل العرضى. فـى حـين أن الذاتية عند إقبال وفى المثالية الترنسـندنتالية فـى الغـرب الحديث لها معنى الذات الإنسانية الباطنية[٢]. وتـأتى مـادة الشرح من علم المنطق. ولا يستطرد فيه بل يحال إليـه[٣]. كما تكثر فى بعض الشرح كثرة التعريفات بالمترادفـات[٤]. وتغيب المسائل الميتافيزيقية المجردة[٥]. ومع ذلك قد يكـون

---

(١) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسـفى، جـ٣/٦٣٩/٦٤٠-٦٤٤/٧٣٦.

(٢) للسبكى شرح المحلى على جمع الجوامع، جـ٢/٣٧٤. فواتح الرحموت: شرح فلسفى مطول، جـ١/٦٠.

(٣) "وتحقيق الحق فى ذلك فـى علـم المنطـق فليطلـب منـه"، الكاشـف جـ٢/١٢٧. "وقد مر بيانـه فـى المنطـق وفـى مواضـع أخـرى"، جـ٦/٥٢٩.. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٤٥/٢٧٥.

(٤) مثال ذلك السبكى: الإبهاج فى شرح المنهاج.

(٥) وذلك كثير فى شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح.

الاستطراد نظريا معرفيا خالصا. وقد يكون استطرادا نظريا فلسفيا كلاميا[1]. وقد يقع الخلاف بين المتكلمين والفلاسفة فى موضوع الواحد والكثير[2]. كما تأتى مادة الشرح من علـوم الحكمة، من ابن سينا وأبى البركات خاصـة المنطـق فـى تعريف الحدود[3]. وقد ترتبط اللغة بالمنطق كما هو الحـال فى مقدمة "المستصفى". والصلة بين المنطق والفلسفة مثـل الصلة بين أصول الفقه والفقه. فالمنطق آلة الفلسفة وأصـول العفة آلة الفقه[4].

كما تصب الشروح فى علـوم التصـوف أى العقيـدة والحقيقة وتتخلى عن الشريعة والحكمة[5]. وفـى الشـروح المتأخرة مثل "مناهج العقول" للبدخشى يظهر الشرح الصوفى المحدود. فالشارح صوفى قام بشرح المنهاج للبيضاوى أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأولياء الإلهيين وتعلق البال باقتبـاس معارف الصوفية المتألهين مع التزام مجاورة الطلاب بطريقة

---

(١) فواتح الرحموت، جـ ١/١٨١/ ٢٠٠.

(٢) "المصنف نقل هذا الكلام من مسألة مشهورة بـالخلاف بـين المتكلمـين والفلاسفة.."، جـ٦/٥٢٠.

(٣) الكاشف جـ٣/٤١.

(٤) فواتح الرحموت جـ ١/١٠.

(٥) شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى، جـ ٢/٤٠١-٤٣٠.

الشيخ والمريد[1]. ويشير إلى "رسالة توحيد الصوفية المتألهة" التى ألفها. كما يحيل إلى ابن عربى والفتوحات وإلى أرباب المكاشفات والمشاهدات. يخبرون الظاهرية بما انكشف لهـم فى النفس فى مجال القدس ومجالس الأنس مع نقـد العلـوم الصورية عند الظاهر بل واتهام المعتزلة بـأنهم أصـحاب العلـوم الصـورية التـى تعتمـد علـى مجـرد العقـول والمحسوسات. كذلك يختم "شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى" شرحه بالإيغال فى التصوف "خاتمة فى التصـوف" مثل المتن. وكلها فى الموضوعات السمعية التى تجمع بـين الكلام والتصوف مثل عذاب القبر ومشاهد القيامة جمعا بـين الأشعرية والتصوف، العقائد والغيبيـات، وكلاهمـا الفرقـة

(١) مناهج العقول جـ٢٢٤/١ "كما أن أرباب الكشوف والمشاهدات يخبرون الظاهرية بما انكشف لهم فى مجال القدس، ومجـالس الأنـس، وفضـاء الملكوت، وساحات الجبروت، وحضرات اللاهوت، من العلـوم اللادنيـة والأسرار الربانية والظهورات الصورية والنورية والمعنويـة والذوقيـة والمشاهدات الصفائية الجمالية والجلاليـة والتجليـات الذاتيـة الإلهيـة. والظاهريون خصوصا المعتزلة لجمود نظرهم وخمود طبيعتهم واحتباسهم فى عالم الشهادة وقصر نظـرهم فـى مضـيق عـالم الحـواس علـى المحسوسات وإغرارهم بانكارهم الملطخة بالكدورات وعقولهم المدنسـة بالشهوات، ينكرون ما أخبر به هؤلاء الربانيون الإلهيون. وإذا لم يهتـدوا فسيقولون هذا إفك عظيم"، السابق جـ٥٥٤/٢-٥٥٥.

الناجية. كما تتم الإحالة إلى استشهاد الحلاج[1]. كما تغلب الروح الصوفية على "تشنيف السامع بجمع الجوامع" شرح الزركشى على السبكى. إذ يغلب الإيمان فى الطبيعيات والميتافيزيقا الخالصة بعد غلبة الأمور الميتافيزيقا على الأمور العلمية والإيمان على الاستدلال[2]. والفرقة الناجية ليست فقط الأشعرية بل الصوفية أيضا[3]. والجهاد فى النفس، وهو موقف الصوفية، هو الجهاد الأكبر[4].

وتاتى مادة الشرح من علوم اللغة، فاللغة ركيزة الثقافة العربية الإسلامية. تقل أو تكثر طبقا للشارح، وقد تغلب على بعض الشروح، الشروح اللغوية مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى. وتكثر الشواهد اللغوية إما بأمثلة من القرآن والحديث أو بأمثلة مؤلفة من عبارات عادية كما هو الحال فى التحليل اللغوى فى الغرب المعاصر[5]. وقد تكشف عن بعض الكلمات المعربة مثل "بنج" والتى نظنها أنها غربية مع

---

(١) خاتمة فيما يذكر من مبادئ التصوف المصفى للقلوب، شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى جـ ٤٣٠/١-٤٣٩.

(٢) تشنيف السامع بجمع الجوامع جـ ٢٣٧/٢-٣٩١.

(٣) السابق جـ ٣٥٥/٢-٣٥٧.

(٤) السابق جـ ٤١/٢.

(٥) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ ١٢٥٩/٥.

أنها فارسية الأصل[1].

وقد تكون المادة فقهية نظرا لارتباط الفقـه بالأصـول ارتباط المادة بالصورة، والفرع بالأصل. فتـذكر المـذاهب الأربعة بلا استثناء[2].

وقد يعود علم الأصول إلى مصدره فى علـم الحـديث خاصة فى موضوع الأخبار. ويحل المحدثون والرواة محـل الأصوليين والفقهاء. بل إن أبا حنيفـة والشـافعى يظهـران كرواة كظهورهم كأصحاب مذاهب، وكـذلك أبـو يوسـف ومحمد. ويظهـر الصـحابة والتـابعون أيضـا كمصـادر للشرع[3]. وقد تأتى مادة الشرح من التاريخ، تـاريخ السـير والرجال أثناء التحقق من الروايات وبيان أسبقية المروى عنه عن الراوى منه فى الزمان حتى تصح الرواية. وقـد تـأتى

---

(١) تقل المادة اللغوية فى معراج المنهاج للجزرى. وتكثر فى "مناهج العقول" للبدخشى. وأيضا شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ ـ). فواتح الرحموت، استطراط لغوى جـ ١/٢٥٧/٣٣٤/٣٦٠.

(٢) الكاشف جـ٣/٧/١٢. نهاية السـؤل جـ ـ ١/١٢٠/١٥٩-١٦٠. فـواتح الرحمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـوت جـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ١/٧٠/٧٢/٧٩/٩٠/٩٣/١٧١/ ١٧٣/٢١٣/٢١٩/٢٢٨/٢٤٥/٣٦٦.

(٣) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ٣/٧٠٥، يتضح ذلـك أيضا فى "التقرير والتخبير" جـ٢/٢٤٣/٢٧١، جـ٣/٨-٩.

المادة من علم التفسير أيضا أى من مجموع العلوم النقلية[1]. وتكثر بعض الأحاديث عن القتل مثل "من بدل دينه فـاقتلوه" دون مراجعة للمتن وليس فقط للسند خاصـة وأن الحيـاة أو النفس أول مقصد من مقاصد الشريعة[2].

كما تعود بعض الشرح فى مصدرها فى علوم القـرآن خاصة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[3]. كما يعود البعض إلى علوم التفسير[4].

وفى الشروح قد يعود علم أصول الفقه إلى أحد مصادره وهو الفقه[5]. وهناك أمثلة أخرى كثيرة من فقه النساء القديم عن الحيض والنفاس والطـلاق وعـدد مراتـه والميـراث والشهادة دون محاولات لتجديد مادة العلم القديمة بمادة جديدة

---

(١) التقرير والتحبير جـ ١٥٨/١، جـ ٣١٦/٢، جـ ١٧٣/٦٢/١٥/٣. تيسير التحريـــر جـــــ ١٥٤/٦/١. فـــواتح الرحمـــوت جـ ٣٧٤/٢٣٠/٢٠٢/١١٧/١٠٩/١٠/١.

(٢) فتح الودود على مراقى الصعود ص٩٤. نشر البنود على مراقى السعود جــ ١٩٣/١. فــواتح الرحمــوت جــ ٢٨٤/٢٨٠/٢٦٣/١/ ٤٣٠/٤٢٢/٤٢٠/٤١٨/٤٠٨/٣٦١.

(٣) تيسير التحرير جـ ٣٦٧/١.

(٤) السابق جـ ٣٨٤/٣٨٢/١.

(٥) مثل الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٥٦.

من ظروف دولة الخلافة، ومخاطرها الداخلية مـن ضـعف وتسلط وتأخر، ومخاطرها الخارجية مـن أطمـاع القـوى الخارجية فى أراضيها وثرواتها وشعوبها. وإذا كان أصـول الفقه غير الفقه فى البداية فقد يغلب الفقه على أصول الفقـه فى النهاية فى "الأحكام"(1). ويعود علم الأصول إلى علم الفقه بعد أن صدر منه من أجل تنظير قواعد الاسـتدلال. وبعـد ضعف التنظير العقلى عاد علم الأصول إلى الـرحم الـذى خرج منه انتظارا لشافعى جديد يعيد التنظير فى عصر جديد وفى مرحلة تاريخية أخرى.

ومازالت بعض الأمثلة تعطى من الفقـه القـديم مثـل "العبيد" مما يدل على ان الشارح لـم يعـد مجـددا يتحمـل مسئولية تجديد العلم فى بنيته أو فى تاريخيته، فى صورته أو فى مادته(2). وكثير من الأمثلة فى العصور المتـأخرة مـن موضوعات فقهية لم تعد قائمة وتجاوزها العصر بل لم تعـد "نازلة" مثل الرق والغنائم. ومازال مثـال " العبـد الأبـق"

---

(1) وذلك مثل شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ ٢/٣٩٢-٣٢٧. وكذلك شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (جزءان).

(2) وذلك مثل "شرح المنار".

يضرب به المثل بالرغم من انتهـاء عصـر العبوديـة[1]. ومازالت بعض الأمثلة التى تقوم على الخرافة مثـل الآثـار غير المنظورة للآيات والسور. فسـورة "الملـك" تحـرر، والقرآن يشفع[2].

ويظهر موضوع "الصلاة فى الـدار المغصـوبة" فـى الشروح أيضا دون تطويره والانطلاق منـه خاصـة فـى الأوقات الصعبة، هجمات الصليبيين من الغـرب أو التتـار والمغول من الشرق والاسـتعمار الغربـى الحـديث مـن الشمال[3]. وقد كتبت بعض الشروح المتأخرة فى موريتانيـا أثناء الاحتلال الفرنسى، ولم تظهر قراءة جديدة لعدم جـواز الصلاة فى الدار المغصوبة. والشروح فى معظمها نظريـة أكثر منها عملية لا تعبر عن الواقع الاجتماعى. ومـا كـان

---

(١) تيسير التحرير جـ ٣٤١/١.

(٢) فواتح الرحموت جـ ٤٠٢/١.

(٣) القرافى: نفائس الأصول جـ ١٧٨٧-١٧٤٢/١٥٧/٤. الإبهاج فى شـرح المنهاج جـ ١٣١/١، جـ ٦٩/٢، مناهج العقول جـ ٦٠/١، جـ ـ ٣٥٣/٢. الصلاة فى المكان المغصوب، ابن قاوان: التحقيقات فى شرح الورقـات ص٢١٩. التقريـر والتحبيـر جـ ـ ١٨٩-١٨٧/٢. تيسـير التحريـر جـ ٣٧٣-٣٧١/٢. فتح الودود على مراقـى الصـعود ص٦٨. فـواتح الرحموت جـ ١٠٩/١٠٦-١٠٥/٨٦/٤٠٤/١.

أسهل من الانتقال من مثـل المـاء المغصـوب والغـرس المغصوب والمال المغصوب إلى الأرض المغصوبة.

ثانيا: الشـــروح.

١ - الأنواع الأدبية. "الشرح" لفظ تقليدى، مستعمل فـى النصوص الفلسفية القديمة. هو نوع صاغه ابن رشـد بعـد المترجمين مثل الفارابى فى الشـرح الأكبـر أى التفسـير، والشرح الأوسط وهو التلخيص، والشـرح الأصـغر وهـو الجوامع. الشرح مع المختصر نوعان أدبيـان فـى علـوم الحكمة، الشرح والتلخيص. بل وظهر نوع ثالث لم يظهر فى علم الأصول هو الجوامع. فالشرح يبدأ من اللفظ والعبـارة، لفظا بلفظ، وعبارة بعبارة. والتلخيص يبدأ بالمعنى. ينطلـق من العبارة من أجل الوصول إلى المعنى، ويعبر عن أكبـر قدر ممكن من المعانى فى أقل قدر ممكن من الألفاظ. هـذا بالإضافة إلى نوع ثالث هو "الجوامع" الذى يبدأ من الشـىء ذاته ويعبر عنه فى صياغة جديدة لفظا ومعنى رؤية للشـىء وليس شرحا لعبارة أو فهما لمعنى[1]. وكمـا زادت علـوم الحكمة الجوامع زاد علم الأصول الحواشـى وهـو شـرح

---

(١) من النقل إلى الإبداع، المجلد الأول، النقل جـ٣ الشرح.

الشرح بل والتقرير وهو تأويل شرح الشرح وإضافة أجـزاء عليه، مادام فى الحضارة بقايا من حركة ورغبة فى المزيـد حول نفس البؤرة الأولى، الـنص الإبـداعى الأول بعـد أن يتحول إلى شرنقة الشروح والملخصات والحواشى والتقارير.

ويستعمل لفظ "ترجمة" بمعنى شرح وتفصيل. فإذا قـال النص "الذى يدخل فى الأمر والنهى ومـا لا يـدخل" حكـم الشرح بأن "هذه ترجمة"[١]. كما يستعمل لفظ الترجمة بمعنى بيان المسألة.

ومع لفظ ترجمة قد يضاف لفظ النسخ لإفادة نفس المعنى وهو الشرح. واحيانا تعنى "نسخة" المعنى الشائع وهو النص المكتوب بخط آخر. وقد يعنـى اللفـظ المعبـر عنـه فـى العنوان[٢].

كما يستعمل أيضا لفظ "التقرير" بمعنى العبارة الشارحة

---

(١) السابق ص١٠.

(٢) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ١١١٤/٤. القرافـى: نفائس الأصول فـى شـرح المحصـول جـ ـ١٤٣٢/١٤٠٠/١٣٦٧/٣ /١٥٠٥/١٤٧٥/١٤٣٥، جـ١٨٦٢/٤. "وهذه الدعوى محررة"، القرافى: نفائس الأصول جـ٢٥٤٩/٦. "مترجما إياه بمناهج العقـول فـى شـرح منهاج الأصول"، مناهج العقول جـ ٥/١.

والتحرير أى التوضيح والبيان[1]. والتقرير غيـر الجـواب. ويأتى بمعنى الشرح والبيان. وغالبا ما يكون اسما "وتقريره" أكثر منه فعلا "تقرر". وهو اللفظ الجامع للشـرح فـى أول الفقرة تأتى بعده ألفـاظ فرعيـة للشـرح مثـل "سـؤال"، "فائدة"..الخ. وهو اللفظ الأثير عند الشيعة بمعنى تقرير التلميذ عن الدروس الشفاهية للأستاذ[2].

واستعمل أخيرا لفظ "مذكرة" التى تقوم بوظيفة الشـرح والمختصر والحاشية فى آن واحد. وتعنى اختصار نص قديم بطريقة الشرح وفصل "المتن" عن الشرح، وهو جـزء مـن المتن وليس المتن كله[3]. وهو شرح تقليـدى يقـوم علـى

---

(١) "اعلم أن ترجمة المسألة"، الكافى جـ ـ ٤٥٨/٤. "الشـرح: تقريـره أن"، الكافى جـ ـ ٢٢٧/٦. "وتحريره أن"، جـ ـ ٣٠٠/٦. "فقـد شـرحنا كـلام المصنف وقررناه على وجه لا يرد عليه ما ذكره هذا القائل" جـ ـ ٥٤٦/٦. "وتقريره أن"، نهاية السؤل جـ ـ ١٣/٢.

(٢) نفائس الأصول: "تقرير" (٤٣٣)، تقدير (٤)، تحرير (١)، وتحقيقه (١). ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٤٧-٢٥٧/١٤٨. الجـزرى: معـراج المنهاج جـ ـ ٤٣٣/٣٩٧/١٤٧/١. الأصفهانى: شرح المنهـاج، التقريـر جـ ـ ٣٣٧/٢٧١/١، التحرير جـ ـ ٤٢٧/١، التقرير جـ ـ ٦٤٧/٢. التقريـر نسخة بالمعنى الشائع (٩)، شرح المنار ص٨٣.

(٣) الشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطى: مذكرة أصـول الفقـه علـى روضة الناظر للعلامة ابن قدامة رحمه ا ط ـ ١ ١٤١٥هـ ـ/١٩٩٥م.

الاقتباسات دون تأليف نص واحد. يفصل بين المتن والشرح. يسبق المتن "قال المؤلف رحمه ا تعالى"، ويسبق الشـرح "قال مقيده عفا ا عنه"، مجرد إثبات للنفس، والعـودة إلـى الماضى، وأداء وظيفة مدرسية جامعية، ومـذكرات فصـل دراسى مقسم بين السنوات الأربع[1].

والعناوين دالة على مضمون النصـوص، المتـون أو الشروح. يعلن عنها فى المقدمات مما يدل على وعى كامـل بالأنواع الأدبية ومصطلحاتها وفروقها بالرغم من أن اللفـظ العام هو "الشرح"[2].

٢- المتن والشرح. ويتم الفصل بين النص والشرح كما هو الحال فى علم التفسير، مع توضيح الفرق بينهما. يسـبق النص عبارة "قال المصنف"، ويسبق الشرح لفظ "الشـرح". وهى نفس الطريقة التى اتبعها الفارابى فى "شرح العبـارة"،

---

(١) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابـن قدامـة رحمـة ا للشنقيطى. مقرر السنة الأولى ص٣-٩٣، مقرر السنة الثانيـة ص٩٣-١٦٨، مقرر السنة الثالثة ص١٦٩-٢٤١، مقرر السنة الرابعة ص٢٤٢-٣٥٩.

(٢) "ولعله إذا فتح ا تعالى بإتمامه، ومن بالفراغ من إتقانـه واختتامـه أن يكون مسمى "التقرير والتحبير فى شرح كتاب التحرير"، التقرير والتحبير جـ/٥.

وابن رشد فى "تفسير ما بعد الطبيعة"[1]. وأحيانا يذكر الشارح اسمه مثل "قال القرافى" للتمييز بين النص المشروح والنص الشارح. وإذا ما استشهد الشارح بنص فإنه يذكره مع "انتهى كلامه" التى تعادل علامة التنصيص الآن أو "ما نصه"[2]. وقد تستعمل حروف رمزية للفصل بين النص المشروح والنص الشارح، "ص" للمشروح و"ش" للشارح[3]. وأحيانا "قال المصنف" سواء للشرح أو للنص مما يدل على وعى الشارح بالنوع الأدبى.

وقد تكون عبارات المتن قصيرة وعبارات الشرح مسهبة. وقصر تعريفات المتن وتركيزها هو الذى استدعى الشرح المستفيض[4]. يجمع الشرح بين سيولة "المنار"

---

(١) من النقل إلى الإبداع مجـ١، النقل جـ٢ الشرح.

(٢) القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول، الكاشف جـ٤٣٥/٣٨٩/٤، جـ١٧٠/٦. نهاية السول جـ٣٨٨/١، جـ٤٧٩/٣٠٥/٢٩٤/٢٢٢/١٨٩/١٥٦/٢.

(٣) وذلك مثل الأصفهانى: شرح المنهاج للبيضاوى جـ٣٧٧/٢٧٢/١. وفى "شرح المنار" لا يرد "قال المصنف" إلا أربع مرات. وفى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى، قال المصنف جـ١ (٤٢)، ش (شرح) جـ٣ (٥١).

(٤) تشنيف المسامع بجمع الجوامع (السبكى) للزركشى (جزءان)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للمارينى الشافعى.

وتجميع "البحر المحيط" للشارح أيضا.

وقد يذكر المتن المشروح كله فقرة أو عبارة. وقد يذكر أول العبارة فقط ويضاف "إلى آخره"[1]. لا يذكر المتن كله بل بداية العبارة فقط. ويتم الفصل بين المتن والشرح إما بلفظ "قوله" أو بأساليب الطباعة الحديثة، المتن "بولد" والشرح عادى، أو الفصل بينهما بعدة نجوم، المتن فى أعلى الصفحة متصلا، والشرح بعد ربعها الأول. وقد تتكرر بعض ألفاظ المتن داخل الشرح للدلالة على أهميتها. ويتم الشرح حينئذ لفظا بلفظ[2]. يسبق النص فعل "قال" ثم يتم تقطيعه عدة مرات حتى يسهل مضغه قطعة قطعة باسم "قوله". وقد يذكر الشارح أو الناسخ اسم الشارح فى بداية الشرح قبل تقطيع النص المشروح فى فقرات أو عبارات أقصر حتى يتم مضغ النص جزءا جزءا، وقبل كل فقرة "قوله"[3].

وغالبا ما يكون الشرح بعد المتن كما هو الحال فى

---

(١) الكافى جـ ١٥٩٦/٤. شرح السؤال جـ ٢٩/٥/١.

(٢) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى، نموذج المتن المجزأ أجزاء قصيرة "تيسير التحرير" لأميربادشاه باستثناء بعض الفقرات الطويلة مثل جـ ١٨٥/١٨٣/١.

(٣) نفائس الأصول: "بحث آخر" (١). شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ ١٣٤/١٢٨/١٢٢/٢.

علوم التفسير وشروح الفلاسفة. وأحيانا أخرى وهـو الأقـل يأتى المتن بعد الشرح وكأن الشرح هو المتن، والمـتن هـو الشرح[1].

وقد يكون اللفظ الدال بعد المتن أو قبله، والغالب بعـده. وليس بالضرورة أن يكون ملاصقا لـه، والملاصـق هـو الأغلب. وهو الذى يكشف عن منطق الشرح كمـا تكشـف ألفاظ الرواية عن درجة صحتها. وإذا ابتعد اللفظ الرابط بين المتن والشرح فإن الشرح يكون للمضمون كله ولـيس فقـط للفظ أو للعبارة. يكون دراسة شاملة للموضوع نفسـه. وقـد يكون المتن كله عبارة واحدة يتم شرحها مرة واحدة أو قـد تقطع العبارة فى مجموعة من الألفاظ يـتم شـرحها لفظـا لفظا[2].

يقصر الشرح أو يطول. يقصر عندما يكـون الشـرح حرفا بحرف أو لفظا بلفظ أو عبارة بعبارة. ويطول عنـدما يدخل الشارح مؤلفا ويذكر كل ما حول النص من علاقـات، ويعطى كل المعلومات المتاحة عنه كما هو الحال فى التفسير

---

(١) الكافى جـ٢/٦٩١/٨٥٢/٨٥٩.

(٢) السابق جـ٣/١٣٨٣.

التاريخى. يطول عندما يستعمل النص الأول كمجرد مشجب يتم عليه تعليق كل شىء معروف حتـى يتجمـع العلـم ولا يضيع. ويقصر عندما يكتفى الشرح بتوضـيح الواضـح أو إكمال الناقص على مستوى الخبر. وقد يصبح الشرح أطول من النص الأصلى، تضخما فارغا، بالون هواء أو كيسا دهنيا بلغة الأطباء. الشرح الطويل طموح صبى أو شيخ يجمع كل شىء، والشرح القصير تواضع معاق يعرف حدود حركتـه بالالتفاف فى المكان[1]. وإذا كان الشرح طويلا فإنه يكـون دراسة كاملة، والمتن مجرد مناسبة. الشرح فى هذه الحالـة دراسة لموضوع وليس فقط موضوعا لدراسة. لـذلك يـأتى أحيانا أكبر من النص عشرات المرات ويمكن تـرك الـنص المتقطع والإبقاء على الشرح متصلا ويكون تأليفا كاملا ثـم ينتهى الاستطراد بالتنبيه عليه "فلنرجع إلـى شـرح كـلام المصنف"[2]. ويتفاوت الطول والقصر مـن الطويـل إلـى

---

(١) ويظهر ذلك فى الكافى أيضا مثلا جـ١/١٥١-١٥٤. ابن الفركاح: شرح الورقـات ص٢٣١-٢٣٩/٢٤٠-٢٥٦/٢٥٧-٢٦٧/٢٧٩-٢٨٨/٢٩٤-٣٠٣/٣١١-٣٢٥/٣٢٥-٣٣٥/٣٣٦-٣٤٧.

(٢) وقد استمر هذا النوع من التأليف حتى فى عصر النهضة العربى الحديث كما فعل الطهطاوى فى "تخليص الإبريز" وفى "مناهج الألباب" وكما فعل على مبارك فى "علم الدين" عندما يتخذ الواقعة أو الحادثة مناسبة لاجترار

المتوسط إلى القصير. وينبه الشارح على الاستطراد فى النص أو الشرح[1].

يتم تقطيع النص إما قطعا طويلة قد تصل إلى مسائل كاملة أو فقرات أو عبارات قصيرة. فى الحالة الأولى يكون النص مسهبا والشرح مركزا. وفى الحالة الثانية يكون النص

كل ما هو معروف حولها من تاريخ أو جغرافيا أو علوم طبيعية أو إنسانية.

(١) نهاية السؤل جـ ٧/١-٨. وفى "شرح المنهاج" للبيضاوى، الشرح أطول نسبيا من النص خاصة جـ ٦٣٨/٢-٦٤٠. "وهو إطناب أو تطويل لا يليق بإيجاز المصنف"، السابق جـ ٦١٠/١. "إذ لا حاجة إلى التطويلات"، السابق جـ ٦٨١/٣. "مجتنبا عن التطويل الممل والإيجاز المخل مراعيا شريطة الاقتصاد ومتجافيا عن التعسف والعناد"، مناهج العقول جـ ٥/١، جـ ٧١٣/٣. الطويل أكثر من ثلاث صفحات مثل الكافى جـ ١. "نموذج الفقرة الطويلة" شرح المحلى على جمع الجوامع جـ ٤٩/١-٥٣. الكافى جـ ٥٣٥/٢-٦١١/٥٣٨-٦١٤، جـ ١٣٧١/٣-١٤٠٣/١٣٧٦-١٤٠٧. والمتوسط صفحتان جـ ٢ (١٠)، جـ ٣ (٨). والقصير صفحة واحدة ١٥٠٧-١٥٣٥/١٠٥٨-١٥٣٩. "وفى فى هذه بحث طويل أعرضت عنه خشية التطويل"، الجزرى معراج المنهاج جـ ١٣٤/١، جـ ٢ (٤٢، جـ ٣ (٣٤). "والجواب على وجه الاختصار"، الكافى جـ ٦٨٩/٢. "إذا علمت هذه المقدمة فلنرجع إلى الحد" نهاية السؤل جـ ٣١٥/٢. "وقد أطلنا فى هذا لأننا لم نجد من حققه هكذا"، الإبهاج فى شرح المنهاج جـ ٣٠/١. "وقد أطلنا فى ذلك فلنرجع إلى غرضنا"، السابق جـ ٧٩/٢. "ولا ينبغى أن يحل التطويل فى هذه المسألة ففيه من الفوائد ما لا يوجد فى سواه"، السابق ص٨٠.

مركزا والشرح مسهبا. ثم يتم تقطيع النص من جديد مـرات ومرات عبارة عبارة، وربما لفظا لفظا حتى يسهل مضـغه وهضمه قطعة قطعة. وتطول الفقرات تباعا بتوالى الأجزاء. تقصر فى البداية وتطول فى النهاية. فالشرح أيضـا دافـع حيوى يقوى فى البداية ويضعف فى النهاية. فـى الأجـزاء الأخيرة تظهر وحدة الشرح، الموضوع وليس النص .

والغاية من تقطيع النص هو التدرج فى عرض مسـار الفكر على مراحل من أجل كشف المسار الكلـى. وتكـون اللازمة "وإذ قد عرفت ذلك فاعلم..." (1). الشـرح كالسـير خطوة فيكون قصيرا أو خطوات فيكون طويلا.

وأحيانا يكون الشرح إضافة فعلية على الـنص وأقـوى منه. وأحيانا أخرى يكون النص أظهر من الشـرح وأقـوى منه. فالشرح ليس بالضرورة إضافة فعلية على النص بل قد تكون خصما منه.

ويقل الشرح فى نهاية الكتاب ويزيد النص. ربمـا لأن

---

(١) الكاشف جـ ١٦٠/١ والباب الثانى كله غير مشروح فيما عـدا التـواتر، ومن الطرق الدالة على كون الخبر صدقا، والقول فى الطرق الصحيحة، الكاشف جـ٦١٥/٥-٦٢٧. نموذج النص الطويل، الكاشف جـ ـ ١ (١)، جـ٢ (٦)، جـ٤ (٧)، جـ٥ (٣٢)، جـ٦ (٣٣).

الشرح كقوة دافعة قد خف ولم يعد قادرا على احتواء الـنص وبعد استنفاذ كل أغراضه. وربما كان الموضوع هو السبب فى قلة الشرح مثل الإجماع. وقد يبدأ قسم وينتهى بلا شرح. وهناك مسائل وفقرات وموضوعات ليس لها شرح[1].

والشرح على علم بطول أجزاء النص وقصـرها طبقـا لأهمية الموضوع أو تكراره. فالأوامر أطول مـن النـواهى لأن النواهى هى الأوامر سلبا. فالموضوعات واحـدة مـرة إيجابا ومرة سلبا. فإذا تم عرض الأوامر بالتفصيل فإنه يـتم عرض النواهى فى عمومياتها منعا للتكرار[2].

وتكون النصوص المشروحة طويلة فى الموضـوعات الكلامية التى لا تحتاج إلى تفصيل لأنها أقـرب إلـى علـم أصول الدين منها إلى علم أصول الفقه مثل حسـن الأشـياء وقبحها، شكر المنعم غير واجب عقلا، فى حكم الأشياء قبـل الشرع أو فى موضوعات أصولية تمهيدية مثل ضبط أبواب

---

(١) الكاشف جـ٥/٥٤٣-٥٤٤/٥٥١-٥٥٥.

(٢) إن مسائل النهى جاءت فى قسم النواهى أقل منهـا فـى قسـم الأوامـر والسبب أن أكثر أحكام الأمر تثبت مقابلاتها فى النهى فلا حاجة للتكـرار والإعادة"، جـ٤/١٤٠.

علم أصول الفقه، وفى البحث عن المواضع[1].

وعندما يكون التقطيع صغيرا، عبارة عبارة وأحيانا كلمة كلمة بل وأحيانا حرفا حرفا يضيع المعنى. ويصبح الشـرح لغويا خالصا، إعرابا واشتقاقا، وتصبح قراءته بـلا فائـدة. ويغيب السجال مع الفرق والردود على الاعتراضات. كمـا تغيب الإشكالات والأسئلة والأجوبة، مما يجعل الجهـد فـى تحليل آليات الشرح عديم الفائدة، كم بلا كيـف، جهـد بـلا نتيجة. ولتعويض ذلك النقص يعم السجع، وتكثر المحسـنات البديعية. فإيقاع الشعر وجرس اللفظ فيهما غنى عـن خـواء الفكر وفراغ العقل. فى ثقافة الشعر مازال جوهرها كما هـو الحال فى الشعر التعليمى نظمت معظم العلـوم الإسـلامية شعرا بعـد توقفهـا فـى عصـر الشـروح والملخصـات مع العواطف الإيمانية والبسملات والـدعوات والابتهـالات جمعا بين الشعر والتصوف. وقد يصل حد التقطيع إلى قـدر اللفظ، لفظا بلفظ[2]. وأحيانا يكون النص قصـيرا والشـرح

---

(١) نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ ـ ١ (٥)، جـ ـ ٢ (٨)، جـ ـ ٣ (٢٠)، جـ ٤ (٧)، جـ ٥ (٦)، جـ ٦ (١٥)، جـ ٧ (١٨)، جـ ـ ٨ (٤)، جـ ٩ (١١).

(٢) وذلك مثل "شرح المنار" للعالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره وفريد

قصيرا أيضا[1]. وإذا كان المتن شعرا فإنه يقطّع لفظا لفظـا ويحول الشعر إلى نثر. وهو شعر تعليمى على أى حال خال من أى تجربة شعرية[2].

والشروح المستفيضة دراسات مستقلة عن موضـوعات النص وليست شروحا له. هى أشبه بالمتون ولكنها فى حاجة إلى نقطة ارتكاز، نقطة بداية، عكاز وسـند. لـذلك قـد لا يتجاوز المتن سطرا أو جملة أو لفظا ثم يسهب الشرح بحيث يكون المتن مجرد رأس موضوع. وقد يبدأ الفصل بالشـرح وليس بالمتن نظرا لأهمية الشرح باعتباره دراسة مستقلة[3].

عصره عز الدين عبد اللطيف بن عبد= =العزيز بن الملك، دار سعادت، مطبعة عثمانية ١٣١٥هـ، ص٢-٩. وأيضا نماذج من القطع الصـغيرة فى "مناهج العقول". وأيضا "شرح غاية السؤل إلى علم الأصـول" لابـن المبرد. وأيضا "شرح الكوكب المنير" لابن النجار.

(١) وذلك مثل شمس الدين محمد بن يوسف الجزرى: معراج المنهاج شـرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوى، حققه وقد م لـه د. شـعبان محمد إسماعيل، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) وذلك مثل فتح الودود على مراقى الصعود للولاقى (١٣٣٠هـ) نمـوذج التقطيع الصغير أيضا فى مذكرة فى أصول الفقه على روضـة النـاظر للعلامة ابن قدامة للشنقيطى.

(٣) وذلك مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسـبكى الوالـد والابـن (ثلاثـة أجزاء). نماذج من الشرح المطول فى مناهج العقول جـ١/٥٢-١٤٦/١٤٧-١٦٢/١٦٣-٢٣٤-٢٣٥. ومعظم الفقرات الشارحة لابن النجيم فى

تبدو وكأنها قطع خرسانية سابقة التجهيز أو مقالات دوائـر معارف شاملة. والشروح الطويلة تجمع مادة أصولية قديمة، وتعلق أكبر قدر ممكن من المعلومات على شماعة المتن[1]. ويكون المتن طويلا فى غير حاجة إلى تقطيع حفاظا علـى وحدة الموضوع[2]. ومع ذلك يكون هنـاك وعـى بـالطول والإطناب ويحاول تجنبه[3].

وقد يتحول الشرح إلى دراسة كاملة للموضوع من أوله إلى آخره اعتمادا على لفظ أو عبارة. هنا يتحـدث الشـارح

"فتح الغفار" أيضا من الشروح الطويلة.

(١) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ ١ (١٦)، جـ ٢ (٣١).

(٢) السابق جـ ٢/٢٠-٢١.

(٣) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ ٢/٢١٠. شـرح الكوكـب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر فـى أصول الفقه لابن النجار (أربعة أجزاء). "ومهما كان لفـظ "المحصـول" غنيا عن البيان تركته إلا أن يكون عليه سؤال، ومتى كان محتاجـا إلـى بيان وهو يحصل من أثناء الأسئلة عليه تركت بيانه لحصوله من الأسئلة طلبا لتقليل الحجم وترك التطويل"، القرافى: نفائس الأصول فـى شـرح المحصول، جـ ١/٩٦-٩٧. "وقد توسع المصنف فيها توسـعا كبيـرا.."، جـ ١٣٨٦/٣. "إنما ذكر الفرع على سبيل الاستطراد" ابن الفركاح: شرح الورقات ص١. "وقد رسم الواجب فى المطولات بأشياء كلهـا مدخولـة" السـابق ص٩٣. فـواتح الرحمـوت: الإحسـاس بالاسـتطراد جـ ٤١٣/٢٩٠/٢٤٦/١.

باعتباره مؤلفا وليس باعتباره شارحا. إنما المتن هـو الـذى أعطاه المناسبة، "العكاز" الذى يستند عليـه[1]. وذلـك مثـل الدراسة على الإطلاق والتقييد للمعانى والاستعارة أو حـول التعارض. وقد يكون الشرح طويلا متصلا غير منقطـع[2]. ومن ثم يكون السؤال: هل الشروح المطولة تـأليف فتكـون إبداعا أم اقتباس فتكون نقلا؟ وإن كانت نقلا فلما إذا لم تقوس بلفظ "انتهى" أو بحرفى "أ هـ" مثل باقى الاقتباسات؟

ومن عيوب الشرح الضخامة. فالشرح فى عدة أجـزاء أقلها ستة مما يبعث فى النفس الضيق والملل[3]. لذلك كانـت قراءة النص أفضل من قراءة الشرح. وكانت قراءة الشـرح ليس لمعرفة العلم، علم أصول الفقه، بل لمعرفة كيف حـدث التراكم التاريخى فى العلم، وما هى النصوص التكوينية التى مازالت حاضرة منذ زمن النص حتى زمن الشرح. ميزتـه

---

(١) الكافى جـ٢/٧٣٢-٧٣٥/٧٧٧، جـ٣/١٣٧٠-١٣٧٧، جـ٤/١٤١-٤١٥.

(٢) التقرير والتحبير جـ٣/٣١٣-٣١٤. فواتح الرحموت، شـروح مطولـة جـ١/١٣/٢٨/٣١-٣٢/٣٦-٣٨/٤٠/٤٥/ ٤٧/٥١-٥٣/٥٦/٦٣-٦٥/٦٩/٧٧. المقدمة المستقلة للشرح جـ١/٣/٦.

(٣) شرح الأصفهانى "الكاشف" على "المحصول" للرازى ستة أجزاء، وكذلك شرح السنغاقى على "أصول البزدوى" خمسة أجزاء.

التفصيل وجمع المعلومات والرؤية الكلية/ وعيبه التسطيح والتمدد و"الفلطحة". ومع ذلك يكشف الشرح عن علم أكثر من النص بطبيعة الفترة الزمانية بينهما وتراكم المعلومات فيها لدى الشارح دون المشروح.

ومع ذلك قد يكون الشرح تلخيصا أى إجمالا أو تركيزا كما يبدو أحيانا[1]. وقد تعقد خاتمة لإجمال الشرح، وقد يقع الشرح فيتم الالتفات إليه والتنبيه عليه[2]. ولا يتكرر الشرح ولا يعاد تكرار المادة[3]. وكلما تدخلت الدوائر، شرح النص ثم تلخيص الشرح ثم شرح التلخيص ثم الحواشى اختلطت الأمور، ولم يعد يعرف الدارس من يشرح من، ومن يلخص من، كالشرنقة التى تدور حول الخلية الأولى أو النسيج الحى الذى يتكون حوله الخلية – النواة. فقد دار الفكر حول نفسه، وفقد مسار التقدم، وأصبح خارج الزمن.

٣- شرح الغير وشرح النفس. وقد يكون الشارح شارحا لغيره أو شارحا لنفسه. فإذا كان شارحا لغيره

(١) فنلخص مما ذكره المصنف جـ٥٣٤/٣، تلخيص جـ٣٤٤/٦، خاتمة جـ٤٨٦/٢١٢/٤، جـ٧٦/٥، جـ٣٤٧/٦/ ٦٢٤/٥٣٤/٤٤٤/٣٨٣.

(٢) "فلنرجع إلى شرح ما قاله المصنف" جـ٧٧/٤.

(٣) "هذا الوجه قد سبق تقريره وبيانه فلا نعيده" جـ٣٢٧/٤.

فالحضارة تبدع من ذاتها، وتعيش على ما أنتجته، وتهضم ما أكلته من قبل. وإن كان شارحا لنفسه فإن الحضارة تجتر ذاتها ويأكل المؤلف برأسه ذيله. والنتيجة واحدة فى كلتا الحالتين، وهو عدم القدرة على تجاوز الإبداع القديم إلا بالنسج على منواله، والدور فى فلكه، والسباحة فى بحره، والإقتتات على مائدته. شرح الآخر فيه شجاعة أكثر فى الخروج على الذات والعودة إلى النصوص الأولى لاستجماع القوى واستنهاض الهمم، فهو سير فى غرفة واحدة ذهابا وإيابا. أما شرح الذات فهو سير فى المكان، ودوران حول النفس ومحاولة الكشف عن الجديد من خلال القديم. يحتاج الإبداع الجديد حتى ولو كان شرحا أو مختصرا إلى "عكاز" من القديم يستند عليه، ويتجوهر حوله، ويقوم عليه. والسبب فى شرح النفس هو أهمية علم الأصول. فلا يكفى للمؤلف أن يكتب متنا بل يضيف عليه شرحا، فالشرح سمة العصر وأحد وسائل الإبداع فيها عن طريق الشرنقة حول المتن الأول[1].

---

(١) كتب الإمام القاضى صدر الشريعة عبيد ا بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى "تنقيح الأصول" ثم شرحه بنفسه فى "التوضيح فى حل غوامض التنقيح" قبل أن يشرح الشرح الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى فى "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول

ومن نماذج شرح النفس "شرح غاية السول إلـى علـم الأصول" لابن المبرد الحنبلى[1]. ويمكن اعتبـاره كمـتن أو كشرح فى آن واحد لأنه لنفس المؤلف. كان المتن صـغيرا مركزا فاحتاج إلى شرح. فهو اختصـار وشـرح فـى آن واحد[2]. تم جمع مادته من على كتـب أصـحاب المـذهب الحنبلى مثل ابن مفلح وابن اللحام قدر الاستطاعة مع بعـض التنظير اعتمادا على المتقدمين والمتأخرين[3]. وكانت الغاية توضيح الأسلوب من أجل سهولة الحفظ[4].

الفقه"، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) (جزءان).

(١) الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى الحنبلى الدمشقى الشهير بابن المبرد: شرح غاية السول إلى علم الأصول، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقـى العنـزى، دار البشـائر الإسـلامية، ط ١، بيـروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) "إشارة إلى المختصر الذى وضعناه وسميناه "بغاية السول".

(٣) "اختصرته من عدة كتب من أصحابنا الأصولية. عمدتى فيه على أصول ابن مفلح وابن اللحام حسب الإمكان، طاقتى وما أمكننى"، السابق ص٨٠. "لم أفرط فى اختصاره، ولم أهمل التحرير بل بذلت المجهود فيه ليسـهل الحفظ له باختصاره على الطالب الذى أراد حفظه إذا كان مطولا"، السابق ص٧٩.

(٤) "لما سهل، ويقرب فهمه إذ اللفظ القليل أقرب تناولا للراغب من التطويل لأن التطويل ربما سئم الإنسان منه ومل، واللفـظ اليسـير لا يمـل ولا يضجر منه"، السابق ص٨٠.

وقد يكون الشرح تعليقا على اختصـار مثـل "شـرح الكوكب المنير" والمسمى "مختصر التحرير" لابن النجار، بعد أن اختصره من كتاب "تحرير المنقول وتهـذيب الأصـول" للمرداوى (ت٨٨٥هـ). ويسمى أيضا "المختبر المبتكر شرح المختصر"[(١)].

وقد يكون الشرح عملا جماعيا بين الأب والابـن مثـل "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكيين، تقـى الـدين السـبكى (٧٥٦هـ) وولده تاج الدين (٧٧١هـ). وقد يكـون شـرح الابن مجرد تعقيب على بعض شروح الوالد ولـيس علـى المتن كله. ويتم ذلك بناء على إعجاب الابن بـالأب مبتـدءا بعبارة "قال والدى"[(٢)].

وشرح النفس متن جديد مع تقطيع المتن الأول وإعـادة كتابته لدرجة صعوبة التمييز بين النصين، المتن وشـرحه.

---

(١) شرح الكوكب المنير جـ ٢١/١-٢٢.

(٢) "وهذا آخر ما كتبه الشيخ الإمام العلامة المجتهد شيخ الإسلام والمسلمين تقى الدين بقية المجتهدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى الشافعى رحمه ا ورحم أموات المسلمين، وتممه ولـده قاضـى القضاة تاج الدين عبد الوهاب، فسح ا فى مدته، ونفع به، آمين"، الإبهاج فـى شـرح المنهـاج جـ ١٠٤/١-١٠٥. "قـال والـدى"، السـابق جـ ٣٨٢/٣٤١/٣٤٠/١٨١/١٧٩/١.

وقد يتم الحديث عن النفس بضمير الغائب وكأن الشارح غير صاحب المتن. وأحيانا أخرى يكون الشرح بضمير المـتكلم الجمع "قولنا"[1]. وأحيانا تطـول الدراسـة وكأنهـا دراسـة جديدة[2]. وأحيانا يكون المتن طويلا نسبيا[3].

ومن آليات الشرح الحصر والتقسيم الصـريح، وكثـرة "أى" لأن الشارح يشرح نفسه. وتتكرر نفس الشواهد النقليـة فى المتن والشرح. ويحكم بالصحة[4]. وتقل أسماء الأعـلام. وتظهر الماتريدية والحنفية فى خراسان. والغالب الاتفاق بين العلماء. ويكثر الشعر نقلا، ويقل إبداعا.

وتتشابه آليات الشرح بالمقارنـة بـين الشـرح الأول والشرح الثانى يتقدمها "أى" أى الترادف اللفظى أو المعنـوى ثم الإحالة إلى الشىء باسم الإشارة...الخ[5]. ولا يخلو مـن

---

(١) "التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" لصدر الشريعة البخـارى الحنفـى (٧٤٧هـ)، جـ ١/٤٠/٤٢/٨٥.

(٢) السابق جـ ١/٤٠-٤٥.

(٣) السابق جـ ١/٦٢-٣٢٨/٦٣-٣٥١.

(٤) السابق جـ ١/١٥١.

(٥) أى (٨٠٠)، اسم الإشارة (١٠٢)، التعليل (٨٨)، الإعراب (٦٦)، اعلـم (٥٤)، الجواب والسؤال (٢٨)، الشرط، ضرب المثـل (٢٢)، القصـيدة (٢٠)، المعنى أو الدلالة (١٨)، القاعدة (١٦)، فـاء التعقيـب للنتيجـة، الشرح (١٤)، تعيين الوجه، القسـمة (١٠)، المـذاهب، التفصـيل (٨)،

النقد والحكم بالتطويل[1].

وقد يعتمد شارح على شارح غيره. وفى هـذه الحالـة يكون الشرح الثانى أقرب إلى الحاشية ولكـن فـى صـورة شرح. ويكثر ظهور لفظ "الشارح" الأول[2].

ولا تختلف آليات الشرح عن آليات شرح الشـرح مـن حيث الشرح اللغوى والكلامى، والشرح بتعريـف اللفـظ أو بالعبـارات الشـارحة، والتعيـين فـى الخـارج، والعـد والإحصاء[3]. وقد تقل الخلافات المذهبية، ففى الشرح الأول الكفاية. وقد تقل الشواهد الشعرية. فشرح الشرح ليس تجربة شعرية أصيلة بل تمارين عقلية لشد المـتن ومطـه درجـة أكثر[4]. وقد تقل فيه أسماء الأعلام نظرا لاحتـواء الشـرح

الجواب على الإشكال، التقابل، مسار الفكـر (٦)، التقريـر، الإطـلاق والتقييد، إذا، المصادر، اللفظ، الأصل والفرع، البيـان (٤)، الاشـتقاق، الإدخال والإخراج، الموضوع، الاستدراك، وا أعلـم، الفهـم، اللغـة، الحجاج، الغائية، السياق، وجوزا ظاهر، تعيين الموضوع (٢).

(١) "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" للتفتازانى جـ٢/٥٨/٧٨.

(٢) مثل اعتماد أميرباد شاه فى "تيسير التحرير" على شرح "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج.

(٣) وذلك مثل "شرح التلويح علـى التوضـيح لمـتن التنقـيح" للتفتـازانى (جزءان).

(٤) الآيات (٢٣٢)، الأحاديث (٥٥)، الشعر (٢).

الأول على ما يكفى منها.

وكلما ازدوج الشرح، شرح النفس أو شرح الغير ظهـر السجع وامتلأ الأسلوب بالمحسنات البديعيـة الغالبـة علـى العصور المتأخرة. كما تكثر عبـارات التفخـيم والتعظـيم والتبجيل والاحترام والانبهار بالقدماء. ويتم ذلك فى جو من الإيمانيات والدعوات الإلهية والابتهالات الدينية والمناجـات الصوفية. وتكثر العبارات الإيمانية فى آخر الفقرات مثل "ا أعلم".

ونظرا لما فى شرح النفس وشرح الغير من إطالة ذكـر المتن، ثم شرحه ثم شرح الشرح فقد تحول إلى تجارة بـين المحقق والناشر نظرا لضخامة الشروح وتعدد أجزائهـا دون إضافة الجديد، وربما لنيل درجة علمية من إحدى الجامعـات الدينية. وتكون البلية أعظم عندما تطبع الشروح علـى أنهـا تأليف من المحقق المعاصر(١).

٤- **وحدة المذاهب.** وقـد تمـت شـروح علـى كـل

---

(١) مثل الإمام القاضى صدر الشريعة المتوفى سنة (٧٤٧هـ): "التلقيح شرح التنقيح"، تأليف نجم الدين محمد الدركانى، دار الكتب العلميـة، بيـروت، طـ١ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. وكذلك "التحقيقات فى شرح الورقـات" ص٨١-٨٣.

المصنفات المذهبية الأربعة. وغالبا ما يكون الشارح من نفس مذهب المتن المشروح، إحياء للمذهب وتعظيما له. وأحيانـا يكون من مذهب آخر مما يدل على وحدة الأصول بصـرف النظر عن تعدد المذاهب. فبين الماتريدية والحنفية قرابة، كما بين الأشعرية والشافعية صلة. وبطبيعة الحال يثنى الشـارح على مؤسس مذهبه، الحنفى على أبى حنيفة، والشافعى على الشافعى، والحنبلى على أحمد، والمالكى على مالك(١).

قد يشرح شافعى مثل سعد الدين التفتازانى حنفيا مثـل صدر الشريعة البخارى الحنفى مما يدل علـى وحـدة علـم الأصول بصرف النظر عن المذاهب الفقهية(٢). وقد يكـون الهدف من الشرح، الجمع بين المذاهب من أجل التقريب بينها وإيجاد وحدة علم الأصول بصرف التظر عن الاختلافات بين

---

(١) أبو حنيفة "أول من دون الفقه ورتب كتبه وأبوابه"، التقريـر والتحبيـر جـ ٨٨/١.

(٢) الإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى الشافعى (٧٩٢هـ): "شـرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى= =أصول الفقـه". والتنقـيح مـع شرحه المسمى "التوضيح" للإمام القاضى صدر الشريف عبيـد ا بـن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى (٧٤٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) (جزءان). الكاكى حنفى يشرح فى "جامع الأسـرار فـى شـرح المنار" للنسفى وهو شافعى.

المذاهب خاصة وأن الاختلاف مـذموم وإن كـان الخـلاف محموداً. فشرح "التقرير والتحبير" يجمع بـين اصـطلاحى الحنفية والشافعية، والإعلان عن ذلك فى العنوان. وقد يكون الهدف فى المتن أيضا كما أعلن ذلك الشاطبى فى "الموافقات" وأيضا ابن أمير الحاج فى "التقريـر والتحبيـر"[1]. وبـين المذاهب كلها مياه جوفية تجعلها تتداخل فيما بينها وتتبـادل المواقف والمصطلحات. فيظهر فى شروح أهل السنة بعض المصطلحات الأثيرة عند الشيعة مثل "التنجيزى"[2].

ومن ثم يمكن تصنيف الشروح طبقا لإمكانيـات تعـدد المذاهب. فهناك أربعة احتمالات لكل شارح مذهبى يشـرح مذهبه: المالكى لمالكى، والحنفى لحنفى، والشافعى لشافعى أو الحنبلى لحنبلى. وقد يشرح مـذهبا مخالفـا. وهنـاك سـتة احتمالات لكل شارح لمذهب مخالف: مالكى لحنفى، ومالكى لشافعى، ومالكى لحنبلى أو العكس. ثم حنفى لشافعى، وحنفى لحنبلى أو العكس. ثم شافعى لحنبلى أو العكس.

وتقصر الفترة الزمنية أو تطول بين المتن والشـرح أو

---

(١) "مع جمعه بين اصطلاحى الحنفية والشافعية"، التقرير والتحبير جـ ٤/١.
(٢) التقرير والتحبير جـ ١٣٤/١٠٤/٢.

التلخيص. قد يكون فى نفس العصر وقد تتباعد الفترة الزمنية بينهما إلى ثلاثة أو أربعة قرون[1]. فإذا كان المتن والشـرح من نفس العصر غلبت عليهما نفس الروح. وكلما تباعد زمن المتن عن زمن الشرح اختلف العصران وبالتالى الروحان[2].

وقد تمت مراعاة الترتيب الزمانى فلربما يكـون هنـاك تطور فى آليات الشرح والتلخيص. وهـو أكثـر خصـوبة ودلالة من تجميع الشروح من مختلف الأزمنة حـول مـتن واحد مثل "المحصول" للرازى أو "المنهـاج" للبيضـاوى أو "المنار" للنسفى.

وتكثر الشروح والملخصات فى القرون المتأخرة ابتـداء من القرن السادس عندما توقفت الحضـارة عـن الإبـداع وعاشت على نفسها تجتر ما أبدعته من قبل. فأول شرح هو "الكاشف على المحصول" للأصفهانى (٦٥٣هـ) وآخرها ما تم فى القرن الماضى مـن علمـاء الأزهـر أو الجامعـات

---

(١) مثلا الكافى فى شرح البزدوى (٤٨٢هـ) للسغناقى (٧١٤هـ) بين المتن والشرح ٢٣٢ عاما.

(٢) فى "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه" لسعد الدين التفتازانى (٧٩٢هـ) والتنقيح وشرحه للبخـارى الحنفـى (٧٤٧هـ) المسافة بينهما لا تتجاوز نصف قرن.

والمعاهد الدينية المشابهة مثل "فتح الـودود علـى مراقـى السعود" للولاتى (١٣٣٠هـ).

٥- كيفية عرض الشروح. ويمكن عـرض الشـروح بطريقتين: الأولى، شرحا شـرحا، ومختصـراً مختصـراً، وحاشية حاشية كما هو الحال فى كشف البنية، وحجب البنية، واجتزاء البنية، وتجديد البنية. وفى هذه الحالة تتكرر الأحكام والأمثلة ويغيب منطق الشرح. بالإضافة إلى أن الشرح ليس متنا جديدا له بنيته الخاصة بل هو تكـرار للبنيـة القديمـة. الشرح مجرد تجميع يخضع لمنطق آخر هو منطق الإسهاب والإكمال والتفصيل والتعيين والذى يمكن معرفتـه بدراسـة العلاقة بين المتن والشرح وتجميعها فى آليات واحـدة مـن أمثلة عديدة من مجموع الشروح.

والثانية، تجميع هذه الشروح فى آليات تحدد العلاقة بين المتن والشرح طبقا لشرح اللفظ أو العبارة، وطبقـا لمنطـق اللغة الثلاثى: اللفظ والمعنى والشىء المحال إليه فى العـالم الخارجى. وهو فى نفس الوقت منطق الإبـداع الصـورى، الحركة فى المكان. وميزة هذه الطريقة تفادى التكرار ورصد الجزئيات دون الكليات. وعلم الأصول هو رد الفروع إلـى

الأصول.

الطريقة الأولى عرض شرح شرح طبقا للترتيب الزمانى لمعرفة منطق كل شرح وآلياته حرصا على وحدة العمل وخصوصيته. فربما اختلف شرح عن آخر، وتفرد شرح بميزات خاصة. وعيب هذه الطريقة الوقوع فى التكرار إذا كان منطق الشرح واحدا وآلياته واحدة. والثانية عرض منطق الشرح وآلياته عبر الشروح مخترقة إياها زمانيا أيضا وجمعا بين البنية والتاريخ. وميزتها عدم الوقوع فى التكرار واكتشاف وحدة المنطق والآليات التى تتحكم فى الشرح.

ونظرا لثقل منهج تحليل المضمون فى العد والإحصاء وكثرة الأمثلة التى تتجاوز آلاف الصفحات فإنه تم الإحالة أحيانا إلى أمثلة مختارة كنماذج مكررة حتى لا يتحول منهج تحليل المضمون إلى غاية فى ذاته، ويزداد التراكم الكمى دون أن يتحول إلى دلالة كيفية، وحتى لا يتم التضحية بالدلالة فى سبيل حواملها، ولا بالكيف من أجل الكم. ليس المطلوب هو إحصاء شامل للألفاظ وإلا لخرج البحث العلمى عن غايته، وتحول الخطاب إلى غاية فى ذاته كما هو الحال فى بعض مناهج تحليل الخطاب فى اللسانيات المعاصرة.

والنتائج الإحصائية نسبية. إذ قد يزيد العدد أو يقل ولكن تظل فى مجموعها مؤشرات كلية على اتجاهات عامة. كمـا قـد يزيد تكرار أسماء الأعلام أو يقل نسبيا ولكن يظل التردد فى مجموعه صحيحا. وقد تبدو أعلام غيـر معروفـة طواهـا النسيان عبر التاريخ بعد أن كانت معروفة فى عصرها.

ليس المقصود فى الشرح والتلخيص إعطـاء إحصـاء كامـل. فالأمثلـة كثيـرة. ولا يمكـن وضـع الشـروح والمختصرات كلها فى الهوامش وإلا تضخمت كمـا يفعـل بعض الشراح الألمان المعاصـرين، خاصـة مـن مؤلـف معروف بالإسهاب. يكفى تجميع الأمثلة فى عدة نماذج على غير عادة الإحصاء الكامل. بل إنه يصعب الإحالة المستمرة للهوامش وإلا تحولت إلى الآلاف من أرقام الصفحات. يكفى الفكرة العامة التى تجد أمثلتها فى صفحات الكتب الصـغيرة والمطولة. وأغلب الشروح مطولة، ويمكن التحقق من صدقها بالعودة إلى الشروح والملخصات ذاتها.

ومع ذلك يفيد الإحصاء الشامل علـى الأقـل لأمهـات الشروح فى بيان وجوه المنطق الغالبة علـى الشـرح مثـل البيان والإيضاح أو التعليل أو التجربة المشتركة بين الكاتب

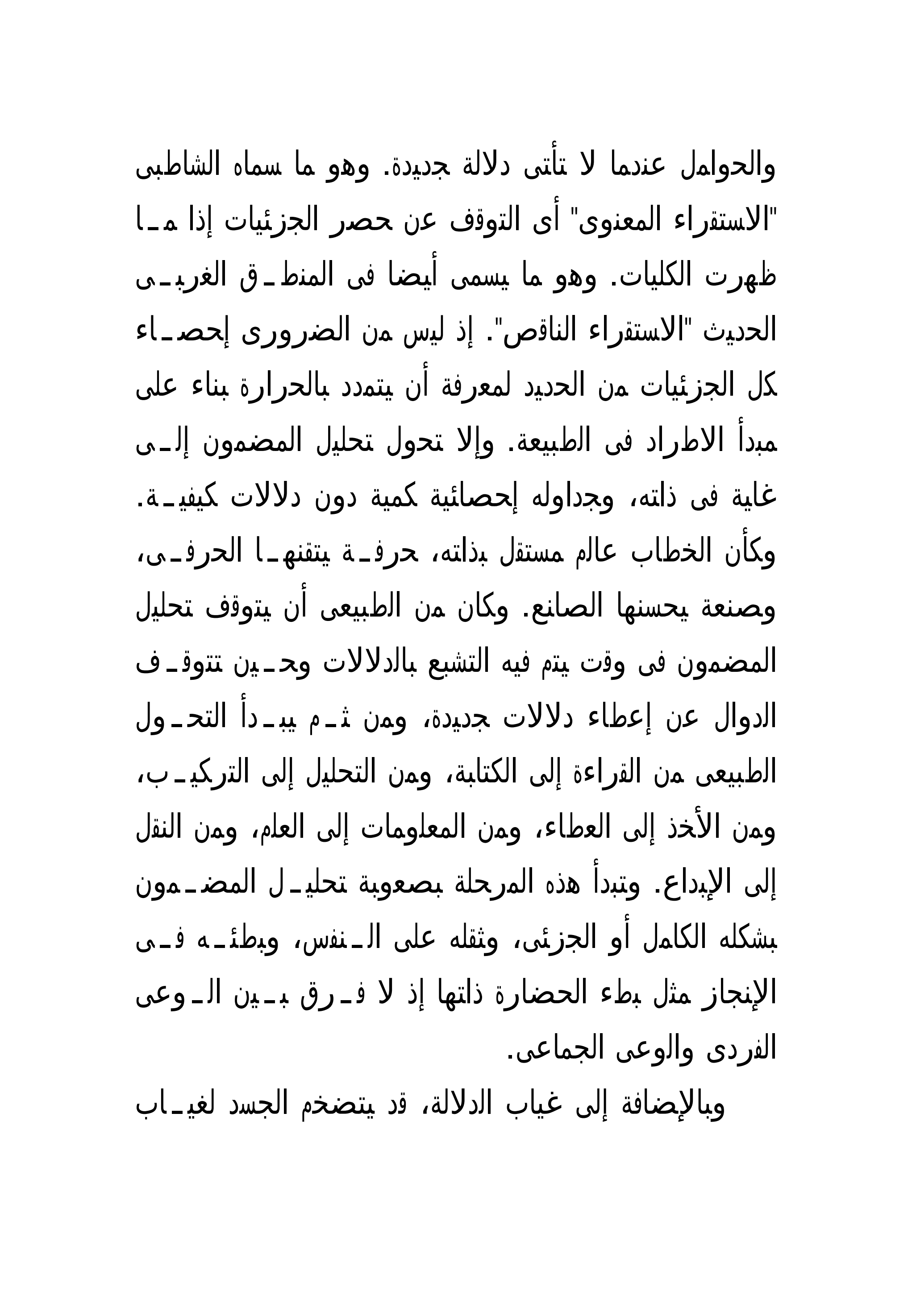
والقارئ أو المصادر المحال إليها. وبالرغم من إرهاق هـذا الإحصاء الشامل يتم الوقوع فى الاجتزاء والعينات الممثلـة والعشوائية.

وتصعب الإحالات إلـى الفقـرات الشـارحة لكثرتهـا ولصغر النص ولخلوها من أى جديد لدرجة السماح للـنفس بالتوقف عن تحليل المضمون الكامل فى آليات الشرح منـذ الشروح على "جمع الجوامع" للسبكى (ت٧٧١هـ ـ) وهـى حوالى عشرة شروح(١).

المهم الدلالة وليس الدال، المعنى وليس الحامل، سـواء كان فى شرح واحد أو فى مائة شرح. ويتوقف تحليل الدوال

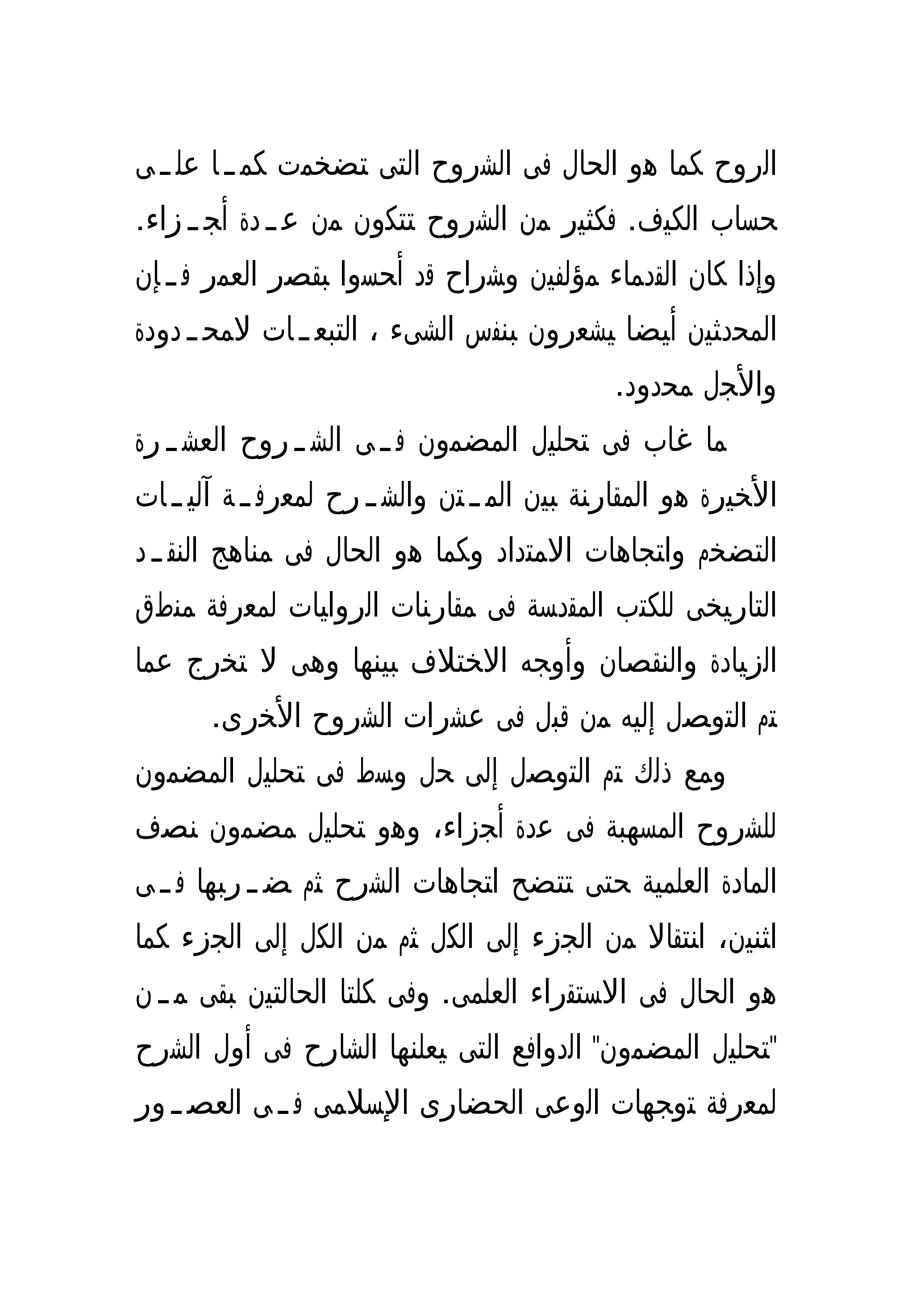
---

(١) وهى : ١- شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٨٦٤هـ).
٢- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات للماردينى الشـافعى (ت٨٧١هـ).
٣- التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (ت٨٧٩هـ).
٤- شرح غاية السول إلى علم الأصول لابن المبرد (ت٩٠٩هـ).
٥- تيسير التحرير لأميرباد شاه (ت٩٥١هـ).
٦- شرح الكوكب المنير لابن النجار (ت٩٧٢هـ).
٧- فتح الغفار بشرح المنار (مشكاة الأنوار فى أصول المنار لابن نجيم الحنفى (ت٩٧٠هـ).
٨- نشر الورود على مراقى السعود للشنقيطى (تأليفه ١٢١٤هـ).
٩- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشنقيطى.
١٠- فتح الودود على مراقى السعود للولاتى (ت١٣٣٠هـ).



والحوامل عندما لا تأتى دلالة جديدة. وهو ما سماه الشاطبى "الاستقراء المعنوى" أى التوقف عن حصر الجزئيات إذا مـا ظهرت الكليات. وهو ما يسمى أيضا فى المنطـق الغربـى الحديث "الاستقراء الناقص". إذ ليس من الضرورى إحصـاء كل الجزئيات من الحديد لمعرفة أن يتمدد بالحرارة بناء على مبدأ الاطراد فى الطبيعة. وإلا تحول تحليل المضمون إلـى غاية فى ذاته، وجداوله إحصائية كمية دون دلالات كيفيـة. وكأن الخطاب عالم مستقل بذاته، حرفـة يتقنهـا الحرفـى، وصنعة يحسنها الصانع. وكان من الطبيعى أن يتوقف تحليل المضمون فى وقت يتم فيه التشبع بالدلالات وحـين تتوقـف الدوال عن إعطاء دلالات جديدة، ومن ثـم يبـدأ التحـول الطبيعى من القراءة إلى الكتابة، ومن التحليل إلى التركيـب، ومن الأخذ إلى العطاء، ومن المعلومات إلى العلم، ومن النقل إلى الإبداع. وتبدأ هذه المرحلة بصعوبة تحليـل المضـمون بشكله الكامل أو الجزئى، وثقله على الـنفس، وبطئـه فـى الإنجاز مثل بطء الحضارة ذاتها إذ لا فـرق بـين الـوعى الفردى والوعى الجماعى.

وبالإضافة إلى غياب الدلالة، قد يتضخم الجسد لغيـاب



الروح كما هو الحال فى الشروح التى تضخمت كمـا علـى حساب الكيف. فكثير من الشروح تتكون من عـدة أجـزاء. وإذا كان القدماء مؤلفين وشراح قد أحسوا بقصر العمر فـإن المحدثين أيضا يشعرون بنفس الشىء ، التبعـات لامحـدودة والأجل محدود.

ما غاب فى تحليل المضمون فـى الشـروح العشـرة الأخيرة هو المقارنة بين المـتن والشـرح لمعرفـة آليـات التضخم واتجاهات الامتداد وكما هو الحال فى مناهج النقـد التاريخى للكتب المقدسة فى مقارنات الروايات لمعرفة منطق الزيادة والنقصان وأوجه الاختلاف بينها وهى لا تخرج عما تم التوصل إليه من قبل فى عشرات الشروح الأخرى.

ومع ذلك تم التوصل إلى حل وسط فى تحليل المضمون للشروح المسهبة فى عدة أجزاء، وهو تحليل مضمون نصف المادة العلمية حتى تتضح اتجاهات الشرح ثم ضـربها فـى اثنين، انتقالا من الجزء إلى الكل ثم من الكل إلى الجزء كما هو الحال فى الاستقراء العلمى. وفى كلتا الحالتين بقى مـن "تحليل المضمون" الدوافع التى يعلنها الشارح فى أول الشرح لمعرفة توجهات الوعى الحضارى الإسلامى فـى العصـور

المتأخرة. كما بقت أسماء الأعلام والفرق والطوائف لمعرفة على أى وجه استقر الوعى التاريخى، وما هى المذاهب التى تكلست فيه حتى يمكن تفكيكها وتحرير علم الأصول منها كى أن يبدع من جديد فى ظروف مغايرة.

كما استمر تحليل الأدلة النقلية والعقلية لمعرفـة درجـة استقلال الوعى الأصولى بين النقـل والعقـل ومـن أجـل الاطمئنان إلى النتيجة المبدئية من تحليل الشـروح الأولـى وهى زيادة الحجج النقلية على حساب الحجج العقلية طبقا لما هو سائد فى الأشعرية وتجلياتها فى الشافعية، وأن النص هو الذى يتحكم فى الواقع.

ونسبة الخطأ فى الإحصائيات واردة ولكنها لا تتجـاوز ١٠% زيادة أو نقصانا. وهى نسبة لا تغير فى صدق الدلالة ذاتها. ومهما كانت الدقة فى الإحصائيات اليدوية أو الآلية إلا أن نسبة الخطأ البشرى تظل واردة دون أن تكون مؤثرة كما هو الحال فى الحسابات المصرفية.

ثالثا: دوافـع الشـرح.

١ - أهمية علم الأصول. ويحدد كل شرح فى المقدمـة

أسباب الشرح العامة والخاصة. فالسبب العام أهميـة علـم أصول الفقه، وعظم قدره، وعلو شأنه، وعظيم فائدته لأنـه أساس الفتاوى التى بها صلاح الأمة[1].

ويتم اختيار النص المشروح بناء على أهميـة الـنص ومدى تأثيره وحضوره فى تكوين النص مثل "المستصفى" أو "شفاء الغليل" للغزالى أو بناء على أهميـة مؤلـف الـنص كالغزالى[2]. ويتأسى الشارح بالشروح السـابقة[3]. ويحـال إليهم رمزا بـ "صاحب التلخيص"، "صـاحب التحصـيل"، "صاحب التنقيح"، "صاحب التنقيحات" نظرا لشهرة النص[4].

---

(١) نهاية السول جـ ٢/١.

(٢) "فإنى شارع فى تحرير مؤلف فى الأصول يتضمن شرح كتاب العلامـة فخر الملة والدين، وحجة الإسلام والمسلمين، جامع أشتات الفضائل أبـى عبد ا محمد بن عمر بن الحسين الرازى"، أبو عبد ا محمد بن محمود بن عباد العجلى الأصفهانى (٦٥٣هـ): "الكاشف عـن المحصـول فـى الأصول"، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، قدم له الأستاذ الدكتور محمد عبد الـرحمن منـدور (٦ أجزاء)، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيـروت ١٤١٩هت/١٩٩٨م، جـ ١٢٥/١.

(٣) "وأقصد فيه تحرير "الحاصل" منه وتقرير "المنخول"، السابق ص١٢٥.

(٤) "وقد تكلم على هذا الكتاب الفاضل نجم الدين النقشوانى فى مؤلـف لـه يسمى بـ"التلخيص"، والفاضل سراج الدين الأرموى فى مؤلفه المسـمى بـ"التحصيل"، والفاضل أمين الدين التبريزى فـى مؤلـف لـه يسـمى

بل يكون الاقتباس منها بالنص وليس بالمعنى حتى يصح الاقتباس لأن الاقتباس بالمعنى تحريف له[1]. وميزة "الفصول" للرازى انه نص محبوك مثل "المستصفى"، ومركز للغاية يسمح بالشرح والتفصيل والاستطراد والإسهاب، فالنص قابل للشرح. وليس كل نص كذلك. لذلك قد يبدأ من الشرح وحده دون اللجوء إلى الكل[2]. وأهم محطتين فى الشروح الأولى فى القرنين السادس والسابع "البرهان" للرازى و"الفصول" للرازى، وبعدهما "المنهاج" للبيضاوى و"المنار" للنسفى فى القرون من الثامن حتى العاشر.

والعجيب أن "الموافقات" وهو نص عمدة، ونص تكوينى فى تاريخ النص الأصولى لم يشرحه أحد مع أنه فى قلب عصر الشروح والملخصات. ربما لأنه نص واضح لا

بـ"التنقيح". فإذا قلت فى كتابى هذا: قال صاحب "التلخيص" فافهم منه الفاضل نجم الدين. وإذا قلت: قال صاحب "التحصيل" فافهم منه الفاضل سراج الدين. وإذا قلت: قال صاحب "التنقيح" فافهم منه الفاضل أمين الدين التبريزى، وإذا قلت: قال صاحب "التنقيحات" فافهم منه السهروردى فإنى أضيف كل شخص إلى مصنفه المشهور"، السابق ص١٢٦.

(١) "وأجتهد كل الاجتهاد ألا أنقل عن أحد منهم شيئا بالمعنى بل بعبارته فإن فى النقل بالمعنى فسادا عظيما"، السابق ص١٢٧.

(٢) الكاشف جـ٣٣٩/٥، الجزرى: معراج المنهاج جـ١٤٧/١.

غموض فيه، نص مفتوح لا استغلاق فيه، نـص عملـى لا تنظير وتقعير فيه. وهو مثل نص "المستصفى" للغزالى الذى بلغ قمة التنظير[1]. وهما أهم نصـان تكوينيـان فـى علـم الأصول.

وتعدد الشروح والملخصات للمتن الواحد طبقا لأهميتـه ودسامته. وأكثرها شروحا وتلخيصا "المحصـول" للـرازى وقبل "كشف الأسرار" للبزدوى[2]. فيصـف السـنقافى بـأن مؤلفه من مهرة هذه الصنعة، وان فوائده عظيمة، وانه مـن طبيعة منتجة وقريحة مبهجة، كلما وقع فى ضيق خرج منه. وهو مختصر مفيد لا بالطويل الممل ولا بالمختصر المخـل.

---

(١) لخصه ابن رشد فى "الضرورى فى أصول الفقه". ولم نشأ إدخالـه فـى المختصرات لأنه أقرب إلى النوع الأدبى الفلسفى الذى تمت دراسته مـن قبل فى "من النقل إلى الإبداع"، مجـ١- النقل، جـ٢- التلخيص.

(٢) يبين القرافى فى "نفائس الأصول فى شرح المحصول" أهمية المحصـول للرازى "وأن يشتغل بأفضل الكتب فى تلخيصه ومعانيه. ورأيـت كتـاب المحصول (للرازى) جمع قواعد الأوائل ومستحسنات الأواخـر بأحسـن العبارات وألطف الإشارات. وقد عظم نفع الناس به وبمختصراته وحصل لهم بسببه من الأهلية والاستعداد ما لم يحصل لمـن اشـتغل بغيـره"، القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول، تحقيق عادل أحمـد عبـد الموجود، على محمد معوض، قرظه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سـتة (٩ مجلدات)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

كلامه مستقيم تقبله الأصول وترتضيه العقول[1].

وقد يكون السبب خارجيا محضا، طلبا من حاكم أو أمر من أمير. وقد يكون الطلب من صديق أو مجموعة من الأصدقاء والمريدين[2].

وقد يكون السؤال مشفوعا بطلب خاص هو حجم الشرح، ان يكون متوسطا، مع التوضيح بالأمثال تجاوزا للتجريد النظرى، واستبعاد الإشكالات أى الخلافات والألفاظ الغريبة على الفهم أو الموضوعات الغامضة حتى يفهم المبتدئ علم الأصول. فالسائل لا يحدد المتن بل أيضا منهج الشرح. ويستجيب الشارح حياء من الصديق، وأملا فى الجزاء يوم الدين[3].

---

(١) الكافى جـ ١٣٧/١-١٣٨.

(٢) "فإنه توجهت إلى إشارة كريمة، أمرها حكم، وطاعتها غنم، بتعليق على كتاب "الورقات" فى أصول الفقه المنسوب إلى العلامة إمام الحرمين أبى المعالى... فبادرت إلى الامتثال على حين فتور من الهمة وقصور من الحظ، مستعينا با تعالى، وراجيا من يمن المشير على بذلك وسعد جده أن أوفق لما يقع منه بمحل الرضى ومقتضى القصد"، الإمام الفقيه الأصولى تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى المعروف بابن الفركاح الشافعى: شرح الورقات، دراسة وتحقيق ساره شافى الهاجرى، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٧٥.

(٣) "فقد سألنى بعض الإخوان، حفظه ا تعالى، أن أشرح له "الورقات" التى

ويعبر كل شارح عن هموم قصـر العمـر، وضـعف الجسد، ووهن العظم(١). ومع ذلك حرصا على إتمام الفائـدة يتم الشرح. وبالإضافة إلى هموم قصر العمر هنـاك همـوم الوطن. فالشرح مثل المتن أحيانا، سجل لأحـوال العصـر،

للإمام العالم العلامة إمام الحرمين أبى المعالى: عبد ا بن الشيخ محمـد ضياء الدين شرحا متوسط واضحا بالأمثال والأدلة من غير إشكال وألفاظ غريبة، ولا لغات عن الإفهام بعيدة، ولا إيرادات غامضـة. فـإن هـذه الأشياء مما تشكل على المبتدئ، ويسبق عما به يهتدى. وإنما قصدت بـه التذكرة للمنتهى وإيضاحا للمبتدئ، وإن اضطررت إلى إيـراد آتـى بـه واضحا.. فأجبته، حياء لكثرة سؤله، راغبا من ا الإجابة لدعائه"، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للمـاردينى ص٦٥-٦٦. "فلا جرم أن صدقت رغبة فضلاء العصر فى الوقوف على شـرح يقرر تحقيقاته، وينبه على دقيقاته، ويحل مشكلاته، ويزيح إبهاماته، ويظهر ضمائره، ويبدى سرائره"، التقرير والتحبير جـ ٤/١.

(١) "فقلت لهم إنى، وهن العظم منى، ووهنت الطبيعـة والقـوى، وفاحـت القطيعة والجوى، ولحبت ولازبنى عدة العال، ووجبت وقـاربنى علـدة الأجل، مع انكدار أوانى بفقد مال وخول، وانتشار جنـانى مـن نائبـات وحول، والعلم حال حاله إلى الفحول وبطل، والجهل جـال جاهـه إلـى الفحول ونطل، فإن الصفاء هيهات إيقاع الأمل"، شرح المنار ص٨. "مع ان الخواطر كليلة، والهموم كثيرة، والاستعدادات قليل"، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى ص٦٦. "وقـد كـان يدور فى خلدى مع قلة بضاعتى ووهن جلدى.. وإلمام بعض عوائق بدنية فى الوقت بعد الوقت، وقصور أسبات تقعد عن إدراك ما هو المأمول من الجد والبخت.."، التقرير والتحبير جـ ٤/١.

وحصار الأمة بين قوة أعدائها وضعف أبنائها. ومن ذلك نشأت تعبيرات "مصر المحروسة"، و"حيدرأباد الدكن حفظها ا من الفتن". يبدو الشرح فى النهاية أنه تجربة معاشة فى وجدان الشارح بالرغم من آليات الشرح الصورية، ونقص الإبداع الحضارى[1].

٢- توضيح الغامض. وقد يكون سبب الشرح هو توضيح المتن. وبالرغم من أن سبب اختيار المتن هو دقة المسالك، ورقة المدارك، والاشتمال على النقول الغريبة والمسائل العجيبة والحدود المنيعة والموضوعات البديعة وكثرة العلم ووجازة النظم حتى لم يترك الأوائل للأواخر شيئا إلا أن الشراح أرادوا حل معاقده، وبيان مقاصده، والوقوف على كنوزه، ومعرفة رموزه. وأراد الشارح أيضا إضافة تعليق نافع "يفتح قفله، ويوضح مشكله، ويشهر غرائبه، ويظهر عجائبه دون إقلال مخل أو إطناب ممل"[2].

---

(١) "بحلب المحروسة لازالت رباعها بالبركات والفضائل فانوسة، ورايات الأعداء عنها منكوسة"، التقرير والتحبير جـ٤١٦/٢، فواتح الرحموت جـ٤/١.

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع (السبكى) للزركشى جـ١٥/١. يبين ابن أمير الحاج مزايا نص ابن الهمام قائلا: "فإنه قد حرر فيه مقاصد هذا العلم ما لم يحرره كثير.. مع ترصيع مبانيه بجواهر الفرائد وتوشيح

فليس كل متن قابل للشرح إلا إذا توافرت فيها مميزات المشروح التى لا تقل عن مميزات الشارح مثـل البسـاطة والإحاطة والدراية والعدالة والإنصاف[1]. لذلك لزم الشـرح لفك الإيجاز والألغاز وتسليك الأمور الوعرة مع عدم كفايـة الشروح السابقة له. ومن هنا أتت دلالـة العنـوان "تيسـير التحرير"[2].

والسبب الخاص هو أهمية النص المشـروح "المنهـاج" للبيضاوى لصغر حجمه، وكثرة علمه، وعذوبة لفظه. فهـو نص عمدة فى مسار العلم فى التاريخ. ومن هنا جاءت أهمية الشرح لتحقيق عدة أهداف مثل: توضيح المعانى أى دلالات

معانيه بمطارف الفوائد، وترسيخ صنائعه بالتحقيق الظـاهر، وتطريـف بدائعه بالتدقيق الباهر، وكم مودع فى دلالاته من كنوز لا يطلع عليها إلا الأفاضل المتقنون، ومبدع فى إشاراته من رموز لا يعقلهـا إلا الكبـراء العالمون"، التقرير والتحبير جـ ٤/١.

(١) "إلى أن ظفرت بمتن بسيط، وبحر محيط بمـا فـى الكتـب المزبـورة، وغيرها من المؤلفات المشهورة مع تحقيقات خص بها عن غيره، ظله در مصنفه وكثرة خيره.. من سلك معه مسـلك الإنصـاف، وتجنـب عـن التعصب والاعتساف..، يدور مع الحق أينما دار، ويسير مـع الصـواب حينما سار، غير انه أفرط فيه من الإيجاز فكاد ان يجاوز التعمية ويلحق بالألغاز.." تيسير التحرير جـ ٤/١.

(٢) وحيث يسر بهذا الشرح ذلك المتن العسير دعتنى هذه المناسبة أن أسميه "تيسير التحرير"، السابق جـ ٥/١.

الألفاظ والعبارات، الإفصاح عن المبـانى أى بنيـة العلـم، تحرير الأدلة أى إعادة صياغة البراهين، تقرير الأصول أى إبراز الأصول دون الفروع، كشف الأستار أى قراءة ما بين السطور، بحث الأسرار أى الذهاب إلى بواطن الأمور[١].

وقد يكون سبب شرح النفس تقرير قواعد الفن، وتحرير معاقده، وتفسير مقاصد الكتاب، وتكثير فوائده، وتنقيح بسـط الكلام، وتوضيح الاقتصار على ضبط المـرام حتـى تعـى الآذان والأذهان، وينشط الوجدان، مع التحقق من الروايـات والدرايات مما يدركه علماء الفريقين (الشـافعية والحنفيـة) البارعون فى المذهبين، مع بعض التوجيه والتعديل وإحاطـة بقوانين الكسب والتحصيل[٢].

وقد تخلو بعض الشروح من دوافعها كلية وكأن الشرح وظيفة علمية كما هو الحال فى التأليف الفلسـفى المعاصـر

---

(١) "وهذا من محاسن الكتاب التى غفل عن مثلها الشارحون"، نهاية السـؤل جـ ١/٢-١٠٧/٣.

(٢) التلويح على التوضيح لمتن التنقيح للبخارى الحنفى (٧٤٧هـ) جـ ـ ٦/١ "ولكنه (المتن) طويل ممل يعجز عن مطالعته المبتدئ المقل. فـأردت أن أختصره مع الإيضاح والتفسير لعبارته بعبارة ذات بيان وتحرير ليسـهل الإقرار به ومطالعته على المبتدئين وتتضح معانيـه ومقاصـده للعلمـاء المنتهين.."، فتح الورود على مراقى الصعود ص٥.

للكتب المدرسية والمقررات الجامعية[1]. وقد تخلـو بعـض الشروح من المقدمات المبـررة للشـرح. فالشـرح حركـة تاريخية عامة، تأيف مجهض بصرف النظر عـن الـدوافع الخاصة للشارح[2].

وآليات الشرح هى "تحرير القواعد" أى اكتشاف البنيـة، و"تحرير المعاقد" أى حل الإشكالات فيها، و"تفصيل مجملاته" والتحول من المجمل إلى المبين طبقـا لمباحـث الألفـاظ، و"توضيح مكنوناته" أى إبراز المضمور، وإظهار المسـتور، و"فتح أبواب كنوزه" أى توليد نتـائج جديـدة مـن البنيـة القديمة، و"يزال صعاب رموزه" أى إيجاد المعانى والـدلالات للرموز والعلامات، وشرح الألفاظ وتوضيح المعـانى مـع التركيز والتلخيص بالرغم من أن الشـرح يعنـى الإفاضـة والاسترسال[3].

---

(١) مثل مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة للشنقيطى.

(٢) مثال ذلك "شرح المنهاج للبيضاوى فى علم الأصول" للأصفهانى (شمس الدين محمود بن عبد الرحمن)، قدم له وحققه وعلق عليه د. عبد الكـريم بن على بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٠هـ، وتغيب دوافع الشرح أيضا فى "فواتح الرحموت" للأنصارى.

(٣) "شرحا يحتوى على تقرير قواعده، وتحرير معاقده، وتفصيل مجملاتـه، وتوضيح مكنوناته، ويفتح أبواب كنوزه، وزال صعاب رمـوزه، ويحـل

وقد تتعدد الأسباب الخاصة يذكرها الشارح بالتفصـيل وهى: ذكر الأسئلة التى لا جواب عليها أو التى لها جـواب ضعيف، التنبيه على أغـلاط النقـل مـن الـرواة للأمانـة التاريخية، بيان مذهب الشافعى المختار من مظانـه الأولـى ليعرفه الشافعية مع شروحها ومختصراتها وأماليها منقولـة لفظا (النقل المباشر) مع الإشارة إلى مواضعها أو منقولة عن رواتها (النقل غير المباشر)، ذكر الفائدة من فروع المذهب، التنبيه على المواضع التى خالف فيها الشـارح (الأسـنوى) المؤلف (الرازى) أو من المؤلفين الآخرين (الآمـدى، ابـن الحاجب) العمدة فى التصحيح، ذكر الإضافات السابقة علـى النص والتى لم يذكرها من أجل الرؤية الموسوعية، التنبيـه على أخطاء الشارحين السابقين فى تقريراتهم غير المطابقـة والاقتصار على أهمها لكثرتها، التنبيه على بعض الفوائد من النقول الغريبة والأبحاث النافعة والقواعد المهمة(١). كما تـتم مراجعة الشارح لأحكام النص المشروح لتصحيح الضرورى منها(٢).

ألفاظه ومعانيه، ويلخص مقاصده ومبانيه،..."، مناهج العقول جـ ٤/١.

(١) شرح السول جـ ١/٣-١٦/٤.

(٢) "وفى هذا الرسم نظر"، ابن الفركاح : شرح الورقات ص١٢١.

وتتكرر دوافع الشرح فى كل شرح مثـل أهميـة علـم الأصول ونتائجه وفائدته فى معرفة مصالح العبـاد، سـبب الفوز بسعادة الدارين، والتمكن من الرسوخ فى العلمين، علم العقل والشرع، والأصول والفروع. وأهم نص هو "الورقات" لإمام الدنيا والدين وناصر الإسلام والمسلمين إمام الحـرمين الذى درس العلمين واقتدى الناس به. وكان الشـرح منقحـا بعيدا عن الحشو والتطويل الممل والاقتصار عن المقصـود والنقص المخل، توسطا بـين الإفـراط والتفـريط وجمعـا للتحقيقات الخالية عن الضعف والتخليط. ومـع ذلـك جـاء الشرح أقرب إلى الطول والإسهاب. ويبين الشرح مصادره، عضد الدين الايجى، وسعد الـدين التفتـازانى. كمـا يبـين نماذجه، منهاج "التحرير" (ابن الهمام)، و"التاويح" (البخـارى الحنفى). أما الأسلوب فإنه التلميح أو التحديد أى الأسـلوب غير المباشر أو المباشر، وربـط المنحـل، والتنبيـه علـى الاعتراض بالتصريح والتعريض، ومبينا ما تفرد به المـتن من سمات بارزة. لذلك سمى "التحقيقات"[١]. وفـى الغالـب

---

(١) التحقيقات فى شرح الورقات لابن قاوان (٨٨٩هت) ص٨٣-٨٥.

الشروح واضحة سهلة الفهم[1].

٣- بيان المجمل. واحد أسباب الشرح إطالة المركز وإسهاب المقل. وهو السبب الرئيسى لوضع الجزرى شرح "معراج المنهاج" لمنهاج البيضاوى بعد أن اختصره الشيرازى فى "المنهاج" بالرغم من سهولة العبارة وإحكام المعنى، وبالرغم من هموم قصر العمر[2]. ويكون الشرح على عدة مستويات أهمها: حل الألفاظ، بيان المقاصد، إظهار ما خفى من الفوائد، عدم الاعتراض إلا فيما كان ضروريا لتوضيح المعنى، الالتزام بعبارات النص الأصلى وهو نفس سبب وضع الكاكى شرحه "جامع الأسرار فى شرح المنار". فقد اختصر النسفى وأوجز مما دعا إلى الكشف والتوضيح بناء على طلب الخلان بالرغم من حسن ترتيب المتن ودقة

---

(١) وذلك مثل "فتح الغفار بشرح المنار" المعروف بـ"مشكاة الأنوار فى أصول المنار" لابن نجيم الحنفى (٩٧٠هـ).

(٢) "فحملنى ما اشتمل عليه هذا المختصر من قلة ألفاظه وكثرة معانيه وسهولة عباراته وإحكام مبانيه... على أن آخذ فى حل ألفاظه وبيان مقاصده وإظهار ما خفى من فوائده معرضا عن الاعتراض إلا فيما لابد منه حيث توقف على ذلك فهم ما لا يستغنى عنه. ولتعلم أننى حيث أجد عبارات الإمام موفية بهذا المقصد لا أعدل عنها إلى غيرها لأنها شرح وشهادة، وليكن مبدأ المختصر منها وبالشرح إليها إلا عادة"، الجزرى: معراج المنهاج جـ ٣٢/١-٣٣.

التحليل[1].

وقد يكون الشرح استكمالا وإضافة على الشروح السابقة بغية تجاوز عيوبها وفى مقدمته الملل من الإسهاب والتطويل. ويطلب السائل أن يكون الشرح على طريقة الحل من أجل اختصار المتن وعدم الدخول فى الإشكالات، وعرض المسائل وإيراد الأدلة. المطلوب شرح عملى يريد الحلول دون المسائل، والنتائج بلا مقدمات، والغايات دون الوسائل، والإضافة والإكمال استدعاء لمعانى من الذاكرة التاريخية فى عصر التدوين الثانى، عصر الشروح والملخصات وحفظ التراث فى موسوعات ضخمة خوفا عليها من الضياع بعد هجمات التتار والمغول من الشرق، والصليبيين والاستعمار الحديث من الغرب[2].

---

(١) "فالكتاب "منار الأصوليين" مشتملا على أبحاث دقيقة ونكات لطيفة مع حسن الترتيب والتهذيب ولطف الإيجاز والتركيب غير أنه اختصر فيه على الأصول كل الاقتصار روما للتخفيف والاختصار. كان مفتقرا إلى الكشف والتوضيح. فالتمس منى طائفة من الخلان أن أكتب له شرحا جامعا للمسائل، موضحا للدلائل، فشرعت فيه راغبا للإيجاز، ساعيا للإنجاز"، الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى، جـ ١٠٨/١-١٠٩. "فهذا شرح ألفته على المنار فى أصول الفقه.. يحل ألفاظه ويبين معانيه.."، فتح الغفار ص٨.

(٢) "وكان له شروح رفال طوال، ينال من طالعها ملال كلال. نسألك أن

وقد يكون النص واضحا قصيرا وجيـزا حاويـا لـب الأصول، متين البنية، شاملا لأفكار المتقدمين والمتـأخرين كالمحكم من الآيات إلا أنه فى حاجة إلى شرح للكشف عـن رموزه وخفاياه وحل عقده العويصـة[1]. وبـالرغم مـن أن الشرح تطويل وإسهاب إلا أن الشارح على وعـى بأهميـة التركيز وعدم الإطناب دون الإخلال تجنبا للتطويـل الممـل والتقصير المخل[2]. والشرح حريص على الالتزام بالأصول

تشرحه شرحا على طريقة أهل الحل، مختصرا مقاصد المتن حل، حاويا على عوائدها البديعة، خاويا عن زوائدها البشيعة"، شرح المنار ص٧-٨.

(١) "إن كتاب "منهاج الوصول إلى علم الأصول"... مع صغر حجمه ووجازة نظمه كتاب حاو لمنتخب كل مديد وبسيط، جامع لخلاصـة كـل وجيـز ووسيط، واف بتمهيد أركان الأصول الشرعية، كاف فى تشـييد مبـانى القواعد الفرعية، مشتمل على زبدة مطالب هى نتاج أنظـار المتقـدمين، محتويا على نخب مباحث درر أبكار أفكار المتأخرين فهو بحـر محـيط يفرز الدقائق وكنز مغن أودع فيه نقود الحقائق، ألفاظه معادن جـواهر، المطالب الشريفة وحروفه أكمام أزاهير النكات اللطيفة. ففى كل لفظ منه روض من المعنى، وفى كل سطر منه عقد من الدر. فلولا تقوى ا لنظم فى سلك المعجزات، ولقيل منه آيات محكمات وأخر متشابهات. إلا انـه لاحتوائه على مطويات الرموز والأسرار وعلى خفايا لـم تكشـف عـن وجوهها الأستار، وكان محتاجا إلى شرح يحل عقد عويصاته الأبية ويفتح مغاليق كنوزه الخفية"، البدخشى: مناهج العقول، جـ ٣/١-٤.

(٢) "مجتنبا عن التطويل الممل والإيجاز المخل مراعيا شـريطة الاقتصـاد ومتجافيا عن التعسف والعناد"، مناهج العقول جـ ٥/١. "فحينئذا استخرت

دون الفروع، وعدم الاستطراد والخروج على الموضوع[1].

٤- التواصل التاريخى. وقد يتم الشرح تقليدا على عادة المتقدمين. فالتقليد فى الشرح مثل التقليد فى المتن، تقليد المتأخرين للمتقدمين[2]. وقد يصل التقليد إلى حد التعظيم والتبجيل والتفخيم[3]. ومن مظاهر التكريم الانتساب إلى الشارح فى استعمال تعبيرات مثل "شيخنا"، "أستاذنا" أو

ا تعالى ثانيا فى شرح هذا الكتاب لكن لا على السنن الأولى من الإطناب بل على سبيل الاقتصاد بين الاختصار والإسهاب.."، التقرير والتحبير جـ ٥/١. "طوينا عن ذكرها مخافة التطويل.."، السابق ص١٣٦. "الإفصاح والاختصار ولا يخفى على من أتقن هذا المختصر الجامع لما فى المختصرات والمطولات مع كمال التدقيق والتحقيق.."، تيسير التحرير جـ ١/١. "معرضا فيه عن التطويل والإسهاب.."، ابن النجيم: فتح الغفار ص٨.

(١) التقرير والتحبير جـ ٢٧٧/١، جـ٣٣٠/٢٩٦/٣.

(٢) "ولكنا أفردناها بالكلام على عادة المتقدمين"، الإبهاج فى شرح المنهاج جـ ١٤٢/١.

(٣) "يقول العبد الضعيف محمد بن أحمد الجندى – ستر ا عيوبه فى الدارين: هذه فوائد التقطتها من فوائد شيخنا علامة الورى، جامع الأصول والفروع شيخنا وأستاذنا وملاذنا مولانا علاء الملة والدين ضياء الإسلام والمسلمين عبد العزيز بن احمد البخارى رحمة ا عليه ورضى عن أسلافه الكرام. ومن فوائد الإمام المحقق والحبر المدقق والأستاذ الكبير (العالم) التحرير مولانا حافظ الدين النسفى صاحب المنار، والكنز الوافى، ونور ا مرقده، مع أبحاث غريبة تذكرة للمستفيدين وإجابة للمختلفين"، الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ ١٤٤٨/٥.

الترحم عليه[1]. وتتكاثر الألقاب فى الشروح المتأخرة. وفـى مقابل ذلك يتم تقليل شأن الشارح الذى لم يبلغ عظمة أساتذته وأصحاب المتون، تواضعا ينسب إلى أدب العلماء أو شعورا تاريخيا بان الشروح مهما بلغ من عظمة فإن المـتن أعظـم منه. ومن ثم يعطى الشارح لنفسه لقب "العبد الضعيف غفـر ا تعالى له"[2].

ويعتمد الشرح على سلطة القـدماء ومشـايخ الشـارح ويقتبس منهم "قال شيخى"، "قال أسـتاذى"، "قـال الأسـتاذ الكبير". وقد يتحول ذلك إلى تجربة شخصية وسـيرة ذاتيـة للشارح[3].

ويطلق على صاحب المتن لقب "المصـنف" وإن كـان شرحا يطلق على صاحبه "الشارح". وقد يستعمل لفظ الشـيخ أو "شيخنا" إن كان الشارح من أتباع صاحب المتن أو مذهبه.

---

(١) التقرير والتحبير جـ ١٩٨/١. "الإمام المدقق والعلامة المحقق ذى الرأى الثاقب... العلامة المحقق والتحرير المدقق، عضد الملة والدين... أسـتاذ المحصلين وخلاصة المتأخرين... الإمام المحقق والبحر المدقق... فإنـه غنى عن المديح"، تيسير التحرير جـ ٤/١.

(٢) التقرير والتحبير، عدد المرات (١٠).

(٣) الكـافى جـ ـ ١٤٢/١/١٧٢/٢٢٦-٢٢٧/٢٣٧/٢٤٠/٢٤٤/٤٠٤، جـ٢/٥٣٤، جـ٣/١٢٤١.

ولمزيد من التعظيم يترحم عليه[1].

ومن آليات الشرح تكملة الاسم بالإضافة إلى اللقب، فإذا قيل القاضى يضـيف الشـارح "البـاقلانى" أو العكـس[2]. وخطورة ألقاب التعظيم تـدعيمها للتقليـد واحتـرام سـلطة القدماء. فمن يجرؤ على معارضة الشيخ الـرئيس أو حجـة الإسلام أو إمام الحرمين أو قاضى القضاة أو فخر الإسلام أو شمس الأئمة؟ ويتعدى التعظيم الأساتذة والأئمة والأعلام إلـى آل البيت وسيدة النسـاء[3]. وقـد يكـون الشـرح تعظيمـا للأشخاص، وإجلالا لهم، وترحما عليهم مثـل أبـو حنيفـة "رحمه ا " ومثل الأستاذ الكبير شمس الدين الكردرى، وعمر رضى ا عنه[4]. وفى "شرح الشرح" يزداد التعظيم المستمر بالألقاب والترحم والدعوات[5]. لا فرق بين مذهب وآخـر. فالجوينى إمام الحرمين، والغزالى حجة الإسلام، والـرازى

---

(١) التقرير والتحبير: المصنف (١٠٠)، شيخنا رحمة ا تعالى.

(٢) السابق جـ٣٢١/٣.

(٣) فواتح الرحموت جـ ٢٦٧/١.

(٤) الكـــافى جـــ ٣٥٧/١، جـــ ٢/٧١٤/٨٠٧/٩١٣-٩١٤، جـ٣/١٤٢٦/١٥٢١/١٥٦٩. شرح مختصر المنار ص١٧.

(٥) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ ٨٣/١، شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ) جـ٢/٦/٤٠٨.

الإمام، والبزدوى فخر الإسلام، والدبوسى شمس الأئمة. أما أبو بكر الرازى (الجصاص) فإنه ليس إماما لأنه حنفى وليس من الفرقة الناجية، الأشعرية والشافعية. لذلك كان من آليات الشرح أن يضاف اللقب إذا ذكر الاسم أو أن يضاف الاسم إذا ذكر اللقب. وقد يكون الشرح تعظيما وتبجيلا للشخص مثل "محمد" أفضل الخلق خلقا. ويحدد الشارح أسلوب المتن ويصفه بأنه للمبالغة[1]. ويحتوى الشرح على عبارات التعظيم مثل صلى ا عليه وسلم إذا ما ذكر الرسول[2]. والصحابة رضى ا عنهم.

ويعتمد الشروح على الشروح السابقة، المتقدمين والمتأخرين بالرغم من عيوبها[3]. ويذكر الشرح مصادره المتتالية وتحديد تسلسلها وخروج بعضها من البعض

---

(١) الكافى جـ ٢٢٣/١، شرح مختصر المنار ص٤.

(٢) السابق ص١٩/١٤.

(٣) "وأودعته فوائد ملتقطة من كتب العلماء المتقدمين، فوائد مقتبسة من تصنيف الفضلاء المتأخرين"، مناهج العقول جـ ٤/١. "يحيل أميرباد شاه فى "تيسير التحرير" إلى شرح ابن الحاجب وحاشية التفتازانى والتنقيح وشرحه التوضيح وحاشيته التلويح لصدر الشريعة"، تيسير التحرير جـ ٤/١. شرح المنار: الشراح (٧). شرح متن "التحرير" لابن الهمام له على الأقل شرحان: "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج و"تيسير التحرير" لأميرباد شاه.

الآخر[1]. يتتبع الشرح مصادر النص وما فيه من نقل حرفى،

---

(١) يذكر الأسنوى أنه تتبع فى "نهاية السؤل" وهو شرح "المحصول" للرازى مصادره فى "الحاصل" للفاضل تاج الدين الأرموى الـذى اعتمـد علـى "المحصول" للرازى الذى اعتمد بـدوره علـى "المستصـفى" للغزالـى و"المعتمد" لأبى الحسين البصرى، ومنها ينقل الرازى صفحات لفظا لأنه كان يحفظهما، نهاية السول ص٤ جـ ٨/١. كما يذكر القرافى فى "نفائس الأصول فى شرح المحصول" مصادره: المحصول للرازى: "بسـبب أن ألفه من أحسن كتـب السـنة، وأفضـل كتـب المعتزلـة، "البرهـان"، و"المستصفى" للسنة و"المعتمد" و"شرح العمد" للمعتزلة. فهذه الأربعة هى أصله، مصانا بحسن تصرف الإمام وجودة ترتيبـه وتنقيحـه وفصـاحة عبارته وما زاد فيع من فوائد فكره وتصرفه وحسـن ترتيبـه وإيـراده وتهذيبه... وجمعت له نحو ثلاثين تصنيفا فى أصـول الفقـه للمتقـدمين والمتأخرين من أهل السنة والمعتزلة وأرباب المـذاهب الأربعـة منهـا: "البرهان" و"المستصفى" و"الأحكـام" لسـيف الـدين الأمـدى، وكتـاب "الترجيحات" له و"منتهى السول" له، و"المعتمد" لأبى الحسـين، و"شـرح العمد" له، و"القياس الكبير" له، و"القياس الصغير" له، و"شرح البرهـان" للابيارى، و"شرح البرهان" للمازرى، و"الإفادة" للقاضى عبد الوهاب فـى مجلدين، و"الملخص" له، و"الفصول" للباجى فى مجلدين، و"الإشارة" لـه، و"اللمع" للشيخ أبى اسحق و"شرحه" له، و"المعالم" وشـرحها للتلمسـانى، و"المحصول" لابن العربى، و"العمدة" لأبى يعلى (مجلـدان)، و"الواضـح" لأبى عبيد (مجلدان)، و"التمهيد" لأبى الخطاب (مجلدان)، و"التنقيحـات"= =للسهروردى، و"الأوسط" لابن برهان (مجلدان)، و"الوافى" لابن حمـدان الحرانى (مجلدان)، و"تعليق على المحصول" لابـن يـونس الموصـلى، و"شرح النقشوانى للمحصول"، و"كتاب ابن القاضى" و"كتاب الاحكام" لابن حزم، و"كتاب الروضة" للشيخ موفق الدين، و"شـفاء الغليـل" للغزالـى، و"تعاليق" لجماعة من العلماء المعتبرين فـى أصـول الفقـه لا أطـول

ويراجع النقل مثل الدراسات العلمية الجامعية الحديثة طلبـا للصواب فى المنقول والمعقول وفق قصد قائله. ولا فرق بين شرح ومختصر. فكلاهما مفيد فى جمـع المـادة وإن كـان الشرح أكثر[1]. ويرجع كل قول إلى مصدره طبقـا للأمانـة العلمية والصدق فى النقل، والتمييز بين النقل مـن القـدماء والإضافة من المعاصرين[2]. فالنقل من الغير والإضافة من

بذكرهم"، القرافى: نفائس الأصـول جـ ـ ١/٩١-٩٥. "والتزمـت مـن مختصراته بـ "المنتخب" و"الحاصل" لضياء الدين حسين، و"الحاصل" لتاج الدين، و"التحصيل" لسراج الدين، و"التنقيح" للتبريزى"، السابق ص٩٦.

(١) "والتزمت أن أعزو كل قول لقائله، وكل سؤال لمـورده، وكـل جـواب لمفيده ليكون المطالع لهذا الشرح ينقل عن تلك الكتـب العديـدة الجليلـة الغريبة فيكون ذلك أجمل من النقل عن كتاب واحد فى التدريس والإفادة، وعند المناظرات، وليكون إذا وقع خلل فيما نقلته وقد أعزيته إلى موضع يستدرك من المواضع الذى أعزيته إليه، ويمكن اسـتدراكه مـن أصـله فيكون ذلك أيسر لتحقيق الصواب ورفع الخطأ"، السابق ص٩٦.

(٢) "وما فتح ا تعالى به مـن المباحـث والأسـئلة والأجوبـة والقواعـد والتنبيهات أسرده سردا من غير إعزاء، ولعلى أكون قد صادفت خـاطر غيرى فى ذلك ولم أعلم به غير أن ا تعالى أعلم بمواهبه فـى صـدور عباده غير أنى أذكر ما وقع لى من ذلك بفضل ا تعالى وفتحـه رجـاء النفع به إن شاء ا تعالى. وقد يتفق لى بعد ذلك أن أجده لغيرى فلا أعيد ذكره خشية الإطالة. وقد يقع الخاطر على الخاطر فى القصائد المنظومة فكيف بموارد العقول فإنه أقرب لأنه كالمرائى إذا استوت فـى الجـلاء تتجلى فى جميعها الصدر الواحدة"، السابق ص٩٦.

الشارح. وقد تتفق مع إضافة من شارح آخر نظـرا لتـوارد الخواطر واتفاق العقول. ويعود الجزرى فى "معراج المنهاج" لشرح "منهاج الأصول" للبيضاوى إلى أصول الـنص فـى "المحصول" للرازى[1].

ويتركب النص الشارح من عدة نصوص أخرى سـابقة متداخلة وهو ما يعرف فى علم النص باسم "التناص". يـذكر النص المشروح أولا مع شروحه ومختصراته السابقة لمعرفة الزيادة والاختصار بين النصين ثم تـُذكر أقـوال الشـراح السابقين الزائدة على النص مع إسقاط المكرر منها. هذا هو الشرح فى مستوياته الثلاثة[2]. فليس الشرح إبداعا خالصـا من حيث المادة بل هو تجميع لها مـن مصـادر سـابقة[3].

---

(١) الجزرى: معراج المنهاج جـ ٤٣١/٣٥٤/١، جـ ٥٥/٢.

(٢) "وأبدأ بـ"المحصول" فإذا تلخص كلامه وما عليه تثبت بمختصراته. فإن زاد بعضها لفظا أو غير وضعا فاذكر ما يتعلق بذلك التغييـر أو بتلـك الزيادة من إيراد وتحرير وغير ذلك. ثم أثلث بتصانيف النـاس المتقـدم ذكرها فأنقل ما فيها جميعها فى كل مسألة تكون فيها من زيادة فائـدة إن وجدتها، والمتكرر أسقطه. ويصـير هـذا الكتـاب شـرحا للمحصـول ولمختصراته من "المنتخب" و"الحاصل" وغيره، فيعظم نفعه، ويحل فـى الوضع وقعه"، نفائس المحصول فى شرح الأصول جـ ٩٧/١.

(٣) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ـ ٤٥٥/٤٤٩/٢٧٤/٨٢/١، الإبهـاج فـى شرح المنهاج، الاقتباس بعلامة "انتهى" (٣).

ويبرز النص إذا ما انتهـى بلفـظ "انتهـى" الـذى يعـادل المعقوفتين. فالشرح مثل الحاشية والتقرير يعتمد ولو بدرجة أقل على الاقتباسات مع بيان نهايتها بـالحرفين "أ هـ ـ"[1]. وتوجد العلامة ليس فقط فى آخر الفقرة أو فـى وسـطها[2]. وتكثر علامة "انتهى" حتى تصل بـالآلاف عنـدما يتحـول الشرح إلى مجرد تجميع.

وكتابة الشرح ليست أسهل من النص بل ربما أصـعب منه لأنها تتطلب جهدا زائدا فى مراجعـة مصـادر الـنص والتحقق من صدق رواياته وبراهينـه، يوضـح المعـانى، ويسهل على القارئ ولا يتعذر على فهم المبتدئ، ولا يعصى إدراكه على المنتهى ويبرر تسمية الشرح "نهاية السول فـى

---

(١) شرح المحلى على جمع الجوامع للسـبكى جـ ـ ٣٦٠/١، جـ ـ ٢١٧/٢. التقرير والتحبيـر: "أ هـ ـ" (٣٤)، "انتهـى" (٢٥). أ هـ ـ مختصـرا جـ ـ ـ ٢٠١/١، جـ ـ ـ ١٤١/٣. تيسـ ـير التحريـ ـر: "انتهـ ـى" جـ ـ ٤٠٠/٣٩٠/٢٦٤/٢٤٠/١.

(٢) مثل فتح الودود على مراقى الصعود للولاتى (ت١٣٣٠هـ) ويتكرر فعل "انتهى" أكثر من ١١٠٠ مرة. نشر البنود على مراقى السـعود: أ هـ ـ (١٩)، هـ (١٥)، انتهى (٢). "مقتصرا فيه غالبا على كلام جماعة مـن محققى المتأخرين من أصحابنا كصدر الشريعة وسعد الـدين التفتـازانى وابن الهمام والأكمل مبينا الأصح المعتمد مفصحا عمـا هـو التحقيـق والأوجه"، فتح الغفار ص٨.

شرح منهاج الأصول"[1]. واسم الشرح له دلالته على منهجه وموضوعه مثل "نفائس الأصول فـى شـرح المحصـول" للقرافى[2].

والهدف من الشرح مراجعة الشروح السابقة التى حامت حول النص دون الغوص فيه. فبعض الشروح اكتفت بآليات اللفظ والمعنى دون الوصول إلى الأشياء ذاتهـا والبنيـات. والبعض الآخر حاول الوصـول إلـى الأشـياء والحقـائق والبنيات ولكن حاد عن الصواب[3].

وبالرغم من أن الشرح لا جديد فيه إلا التجميع على بنية

---

(1) نهاية السؤل جـ ٤/١، الإبهاج فى شرح المنهاج، المصادر (٣).

(2) القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ ٩٧/١.

(3) "فإنه مع كثرة شارحيه وتزاحم مترجميه كأنه درة ما ثقبوها ومهـرة لـم يركبوها إذ عامة شارحيه وإن بذلوا جهدهم ما حـاموا حـول سـرادق أسراره وجمهور متعاطيه وإن بالغوا فى استبصاره ما لاحظوا مـا هـو معظم أنواره. فبعضهم اكتفوا بمجرد حل ألفاظه وبيان ظاهر معانيه ولـم يسلكوا مناهج حقائق خفاياه ودقائق مبانيه. وبعضهم عدوا سلوك طرائـق حقائقه أمرا يسيرا فضلوا عن سواء السبيل وأضـلوا كثيـرا. وبعضـهم اشتغلوا بتطويل الواضحات، وأعرضوا عن حل عقد المعضلات. فوجوه أبكار أسراره يعد فى القناع. وهم لعمرى مـا تيسـر لهـم الاقتـراح... فصدعت بصريح الحق حيث مجمع فيه الشارحون، وأصلحت مواقع طعن فيها الجارحون، وأشرت إلى ما وقع للمصنف من السهو والتساهل، ومـا عرض للشارحين من الخطأ للغفلة أو التغافل"، مناهج العقول جـ ٤/١.

المتن إلا أن الشارح يشعر بأنه مبدع بإعمال النظر وكشف الأسرار بقوة الفكر. بل يصل الإبداع إلى حد الإبداع المطلق الذى هو على غير منوال ولم يسبق إليه أحد[1]. والغالب أن معظم الشروح لا جديد فيها، مجرد تجميع لمادة، اجترار لما هو معروف، معلومات دون علم[2].

وفى بعض الشروح الأخرى تضعف الذاكرة التاريخية. وتقل أسماء الأعلام والمصادر والمذاهب والفرق، وتعويض ذلك بالاقتباسات التى تصل بالآلاف دون ذكر مصادرها غالبا، وبالآيات القرآنية[3].

٥- وحدة النص. ويؤكد الشرح على وحدة النص المشروح محيلا إلى أجزائه السابقة واللاحقة. كما يؤكد على وحدة النص الشارح مؤكدا أيضا على وحدته من البداية إلى

---

(١) "ولطائف أبحاث سمح بها جواد نظرى وغرائب أسرار أبدعها قوة فكرى من محذرات حقائق هى بدائع الزمان وأبكار أفكار لم يمسها إنس قبلى ولا جان"، مناهج العقول جـ ١/٤-٥.

(٢) شرح المحلى (القرن التاسع) على جمع الجوامع للسبكى (ت٧٧١هـ) (جزءان)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة (د.ت).

(٣) وذلك فى "فتح الودود على فى مراقى الصعود" للولاتى.

النهاية[1]. إذ يحيل الشارح إلى باقى أجزاء النص والشـرح. يحيل الشرح إلى نفسه بدلا من التكرار خاصة إذا ما تكـرر المتن[2]. ووحدة العمل نفسها جزء من وحدة المشروع الكلى للشارح، جزء من كل، عمل ضمن أعمال أخرى كمـا هـو واضح فى "الإبهاج فى شرح المنهاج".

كما يؤكد الشرح على وحدة العمل الفكـرى لصـاحب النص وصاحب الشرح واضعا النص المشروح فـى إطـار مجموع نصوص المصنف، ومحيلا إلـى بـاقى مصـنفات

---

(١) الكاشف جـ ١٣٥/١، جـ٢/١٥٣/١٦٩/١٧٦/٣١٣/٣٤٦. "فلنذكر كلامه هنا على ما هو مذكور فى أول الفصـل"، جـ ـ٣/٢١/٩٠، جـ ـ٣٥/٤، جـ٦/١٢٥/٢٠٨/٢٩٣/٣٤٨/٣٨١/٤٦٥/٦٢٤. يحيل الأصفهانى إلـى كتاب الأوامر والنواهى، السـابق جـ ـ ٢٣٦/١، العمـوم والخصـوص جـ٢/١٢٩/١٥٢، جـ٣/٤٧٤. "سيأتى فى باب الإجماع"، جـ ـ ٤٢٩/٢. "وقد تقدم فى باب الأوامر"، جـ ـ ٥/١٦٠/٤١٩. "واعلـم أن للمصـنف طريقة أخرى فى هذه المسألة ذكرها فى المعالم"، الكاشف جـ ٣٠٢/١.

(٢) الكافى جـ١٣٣٣/٣. "وما كان كذلك كان منشأ للمفسرة على ما سـيأتى بيانه مفصلا فى باب أن الأصل عدم الاشتراك"، الكاشف جـ ـ ١٣٧/٢. "على ما سنبينه بعد ذلك"، جـ٥١٥/٣. ابن الفركـاح: شـرح الورقـات ص١٤٨/٢٠٦. الإبهاج فى شرح المنهاج (١٨)، وحدة العلـوم، وحـدة المشروع (١). مناهج العقول، وحدة الشرح (١٠). "كما بينـا" الكـاكى: جامع الأسرار شرح المنار للنسفى جـ ٢٨٧/١، جـ٩٧٩/٤.

الشارح. فالشرح جزء من كل[1]. فإذا شعر الشارح بانقطاع فى الكلام نبه عليه[2].

ويبين الشرح وحدة العمل المشروح ويحيل إلى اللاحـق والسابق إلى ما سيأتى أو إلى ما أتى من قبل[3]. فوحدة العمل فى المتن المشروح وفى النص الشارح على حد سواء[4]. كما تظهر وحدة المشروع كله، مشروع صاحب المتن ومشروع صاحب الشرح. إذ يحيل المتن إلى باقى المتون كما يحيـل

---

(١) "على ما صرح به المصنف هاهنا وفى كتاب المصنف فـى "التناسـخ"، الكاشف جـ٧٣/٣. "وقال المصنف فى= ="المحصل" وفى "الأربعـين"، جـ١٦٠/٤. "وله شبه أخرى ركيكة مذكورة فى كتاب "المعتمد"، من أراد الاستقصاء فليطالعه"، جـ٣٥٥/٤. "وكل هذه المغالطة قد ذكرت فى كتابنا المسمى "القواعد"، جـ٥٥٧/٥. "قال المصنف فى كتابه الموضـوع فـى القياس وهو المسمى بـ"الرسـالة البهائيـة فـى المباحـث القياسـية"، جـ٥٨٧/٥٥١/١٧١/١٥٢/١٣٩/٦.

(٢) "ولم يتوقف أو الكلام على آخره لعدم الاتصال"، فتح الغفار ص١٨٦.

(٣) السابق ص١٠/٦-١٥/١٢-٢٢/١٦-٢٣، نهاية السـول جـ ـ ١ (١٨)، إحالة جـ٢ (٣١). القرافى: نفائس الأصـول فـى شـرح المحصـول جـ١٢٠٠/٣. الجزرى: معراج المنهاج جـ٣٩٣/٨٩/١، جـ ـ١٠٥/٢. شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (جزءان): كما سيأتى (٣٦)، وقد تقدم (٣)، ما سبق (١)، آخر الكتاب الثانى (١). الأنجم الزاهرات علـى حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى ص١٧٤/١٠٥.

(٤) التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (عدد المرات) (٢٧).

الشرح إلى باقى الشروح[1]. كما يبين الشارح وحدة العمـل فى المتن[2]. وقد تضاف فقرات كاملة للـربط بـين أجـزاء الشرح لبيان وحدة العمل والمنظور[3].

ويقوم الشارح بوضع النص المشـروح ضـمن بـاقى النصوص الأخرى التى كتبها المصنف الأول شرحا للجـزء بالكل. الشرح هنا دراسة للموضوع عبر الأعمـال دراسـة مقطعية وليست مجرد دراسة طولية عبر العمل نفسه[4]. فلا يفهم نص "المحصول" للرازى إلا بالإحالـة إلـى "المعـالم" و"المحصل" وباقى مؤلفاته فى علم الأصول، أصول الفقه أو أصول الدين.

---

(١) يحيل ابن أمير الحاج فى "التقرير والتحبيـر" إلـى "رسـالة المسـايرة" لصاحب المتن ابن الهمام جـ ١٢٣/١. تيسير التحرير: وحدة الشرح (٦)، وحدة المتن (٢). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: وحدة العمـل (٢). نشر البنود على مراقى السعود: وحدة الشرح (٣). فواتح الرحموت جـ ٢٠٧/٩١/١.

(٢) التقرير والتحبير جـ ٢١٧/١، جـ ـ ١٠٢/٢. الإحـالات إلـى اللاحـق والسابق (٢٧).

(٣) "وهذا آخر الكلام فى المقدمة"، التقرير والتحبير جـ ٩٠/١. "وهذا آخـر ما تيسر من الكلام فى شرح ما تضمنته المقالة الأولى...واشتملت هـذه المقالة (الثانية) بسبب هذا الإدخال فى الأحكام"، "وفى أدلة الأحكام مـن الكتاب والسنة والإجماع والقياس" جـ ١٠٢/٢.

(٤) هكذا يفعل القرافى فى "نفائس الأصول فى شرح المحصول".

وقد يتضمن الشرح الإحالة إلى مؤلفات الشارح لمزيد من المعرفة كما يحيل شارح مختصر المنار إلى كتابه المسمى "هدى الناظرين". وقد يكتفى باسم الكتاب دون ذكر مؤلفه لشهرته مثل "صاحب الهداية" و"هدى الناظرين"(1).

ويقوم الشارح باستعمال باقى مؤلفات المؤلف كمادة للشرح كما يفعل السنغاقى بالاعتماد على مؤلف البزدوى الآخر "شرح الجامع الصغير" أو "مختصر الحاكم" أو "المبسوط". ويستعمل الشارح مؤلفات باقى الحنفية مثل أبى يوسف وأبى محمد كمادة للشرح(2).

ويعتمد الشارح على أكثر من مخطوط أى على أكثر من نسخة من المتن المشروح اطمئنانا إلى صحة المتن. لذلك كثيرا ما ينبه "وفى نسخة أخرى" كما يفعل ابن رشد فى الشرح الكبير، "تفسير ما بعد الطبيعة"(3).

---

(1) الكافى جـ1 (5)، جـ2 (50)، جـ3 (54)، جـ4 (2).

(2) شرح مختصر المنار (3). يحيل الشنقيطى فى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" إلى رسالته المسماة "منع جواز المجاز"، ص56/58.

(3) الكافى جـ1483/1399/1329/3. القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ1386/3. شرح المنهاج: نسخة (9).

رابعا: الخلاف والحكـــم.

١ - الاختلافات بين المذاهب. وقد يزيد الشرح أسـماء الأعلام والفرق والمذاهب وضعا للنص فى السـياق. فبعـد الوجوب يذكر الإمام الشافعى عليه رحمة ا تعالى أنه بعـد الحظر الإباحة. وعادة ما يكون الشرح من المـذهب الـذى ينتمى إليه الشارح مثل الأشاعرة الأساس العقائدى للشافعية. وصاحب الرأى هو أبو يوسف رحمه ا تعالى، أو القاضى أبو يزيد شمس الأئمة فخر الإسلام ومن تبعهم مـن الأئمـة المتأخرين. ويكفى اللقب دون الاسم. بالرغم من كثرة القضاة والشموس. ويفرق الشرح بين المتقدمين والمتأخرين فى كل مذهب لرصد الخلاف بينهم. فالمذهب يتطور ويتغير بتغيـر العصور والأزمان. بل قد يذكر أصـحاب المـذاهب كلهـم الشافعى وأحمد ومالك أو المذاهب نفسها كالشافعية والحنابلة أو الفقهاء مثل أبى بكر الدقاق. كما يذكر الرواة من الصحابة والتابعين كعبد ا بن مسعود وغيره. وتذكر القدرية وأهـل الاعتزال وأهل الحـديث، العلمـاء والأصـوليون والفـرق وأصحاب المقالات[1].

---

(١) الكافى جـ ١ (١)، جـ ٢ (١٠)، جـ ٣ (٩)، جـ ـ ٤ (١). الأصـفهانى:

ويذكر الاتفاق كما يذكر الاختلاف ولكن على نحو أقـل لأن الاتفاق لا يسمح بالشرح فى حين أن الخـلاف يعطـى فرصة لذكر الاختلاف وبيان أوجهه وطرق حلـه. ويكـون الاتفاق بين المذاهب الفقهية الأربعة[1].ويعين الشرح المذاهب كلها. كما يعين الفرقة أو المذهب الواحد[2]. ثم تتم المقارنـة بين المذاهب لبيان أوجه اتفاقها واختلافها[3].

وقد يدخل الشرح فى القضايا الخلافية بعـد أن صـمت النص عنها. فالقرآن لفظ ومعنى ثم يضيف الشـرح "خلافـا

شرح المنهاج: جـ١ (١١)، جـ٢ (٦). شـرح المنـار (١٩)، شـرح مختصر المنار (٧). الإبهاج فى شرح المنهاج: المذاهب (٢٦).

(١) "إن الأئمة الأربعة ذهبوا إلى جواز تخصيص الكتاب بخبـر الواحـد.." جـ٥١٩/٤. "إن تقرير الإجماع أن يقال: أجمعت الصحابة على المنع من تخصيص الكتاب بخبر الواحد، وإجماعهم حجة"، جـ٥٢٤/٤. "إن الفرق بين هذه المسألة والتى قبلها أن تلك مسألة واحدة وكذلك جميع ما ذكرنـا من الأمثلة.." جـ٤٥٦/٥. "وبالجملة ليست صورة المسألة الثالثة ما لـم يستقر الخلاف على ما توهمه بعضهم بل صورتها مفروضة عند استقرار الخلاف" جـ٤٦٠/٥. ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢١٤/١٥٠/١٠٤. الجزرى: معراج المنهاج جـ٤٤٧/٣٧٥/١، جـ٢٨٧/٢. الأصـفهانى: شرح المنهاج جـ٤٩٠/٤٦٧/٣١٤/١، جـ٥٣٤/٢. الإبهاج فـى شـرح المنهاج، الاتفاق (٤).

(٢) شـرح مختصـر المنـار ص٢٠/٨. الجـزرى: معـراج المنهـاج جـ/١٤٥/١٤١-١٤٦/١٦١-٣٩١/٢٢١/١٦٢.

(٣) السابق جـ١ (٢٣)، جـ٢ (٢١).

لمن زعم أن القرآن هو المعنى فقط" لأن كلام قديم واللفـظ حادث[1]. ومثل الدخول فى قضية الحسن والقـبح العقليـين باستفاضة. وهى بعض المسائل الخاصة بعلم أصول الـدين مثل هل الجنة والنار يفنيان؟ كما يدخل الشرح فى المسـائل الخلافية المذهبية الفقهية، الحنفية والشافعية غالبا، وأحيانا مع المالكية. كما يختار صاحب الكافى المذهب الحنفى. ويدعمه برأى أصحاب المذهب السابقين، الجصاص وعيسى بن أبان والكرخى. ويعود إلى الأصول الأولـى عنـد أبـى حنيفـة وصاحبيه أبى يوسف والشيبانى وزفـر. وبـالرغم مـن أن الموقف الفقهية لا تبدو كثيرا من الشارح إلا أنه يقارن بـين الأحكام الفقهية نفيا وإثباتا بين الفقهاء. وتتم المقارنـة بـين المذاهب الفقهية[2]. وبالرغم من عدم المقارنة المستمرة مـع المذاهب الشيعية إمامية أو إسماعيلية إلا أن الشروح المتأخرة فى أواسط آسيا الحنفية والماتريدية منها يبدو فى مصطلحاتها أثر أسلوب أصول الفقه الشيعى مثل "الكبروية" أو المعلومية، "التنجيزى" أو عبارات التعظيم مثل "قدس ا   سره" أو القاب

---

(١) الكافى جـ ١٦٦/١٦٠/١.

(٢) الكافى جـ ٩٢٩/٢. نهاية السؤل جـ ٣٣٦/٢٥٦/١.

مثل "الشريف"[1]. وتنقد الشروح السابقة لما وقع فيهـا مـن أغلاط[2].

والسؤال هو: هل أحدث هذا التراكم التاريخى الإبـداع الضرورى والاختراق النوعى والتجاوز والنقلة الحضارية؟

٢- الاحتمال أو التوسط أو التوقف عن الحكم. والغالب أن يكون مذهب الشارح هو نفسه مـذهب صـاحب الـنص المشروح، أشعرى شافعى يشرح أشعريا شافعيا. ومع ذلـك يظهر الخلاف بينهما لأن الفرق الكلامية والمذاهب الفقهيـة ليست دوائر مغلقة وكتل صماء بل تتخللها فروع واتجاهـات وآراء متباينة تتقاطع فيما بينها عبر حدود الفرق والمذاهب. لذلك تتعدد المذاهب ويتم اختيار أحدها هو فى الغالب المذهب الأشعرى، مذهب الفرقة الناجية. وهو مذهب "أصـحابنا" أو "الأصحاب"[3]. بل إن الشارح ينبه علـى سـهو المصـنف

---

(١) فواتح الرحموت جـ ٢٥١/١٦٣/٧١/٥٩/٩/١.

(٢) "وقد وقع فى كثير من الشروح هنا مخالفة لما قررته فاجتنبتـه"، نهايـة السول جـ ١٢١/٢.

(٣) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ١٤١/١. و"المسألة فيها خلاف فى مذهبنا والمختار أن"، نهاية السؤل جـ ١٨٣/٢. الجـزرى: معـراج المنهـاج جـ ٧٢/٥٣/١، جـ ١٢١/٢. "إنه قد اتضح ما نقلناه من كلام الأئمـة أن مذهب الأشعرى، أن الأمر موجود بذاته وصفته فى الأزل، ولا مـأمور

ويعذره ولا يدينه[1]. ومن أهم المهمات تلخيص محل النزاع ومعرفة مواطن الإشكال. إذ لا يؤخذ النص كتصـديق بـل كإشكال[2].

وقد يكون الحكم توفيقا بين مذهبين دون استبعاد أحدهما. فكلاهما رأيان. لكل منهما ما يؤيده. ولا سبيل إلا الاختيـار بينهما بناء على المرجحات[3]. وقد يكون الحكم توسطا بـين موقفين. ويكون هو الأصح.

وقد يكون الشرح احتمالات ضمن احتمالات عـدة دون الوقوع فى القطع والجزم[4]. فللآية تأويلان فى صيغة "فـإن قيل.. قلنا... أو نقول". ويأتى الاحتمال من الاحتمالين مـن

فى الأزل"، جـ ٩١/٤. "والمختار مذهب الشافعى.."، جـ ٤٨٦/٥. "الحكم بالتجوز"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢٠٤.

(١) "قول المصنف قد سبقت هذه المسألة فى علم الكلام من هذا الكتاب سهو من المصنف"، الكاشف جـ ١٤٣/٥.

(٢) "إن هذا الكلام يستشكل" جـ ٥٥٨/٤. "إن أهم المهمات تلخـيص محـل النزاع"، جـ ٢٢١/٥، جـ ٥٩١/٦. "إن هذا الكلام فيه إيهـام أن يكـون الخلاف واقعا فى السنة لوقوعه فى الجزء والشرط وليس الأمر كـذلك"، جـ ٣٣٩/٥.

(٣) "فلا تناقض بين الكلامين"، الإبهاج فى شرح المنهاج جـ ١٥٥/١.

(٤) "وقد وقع فى كثير من الشروح هنا مخالفة لما قررته فاجتنبتـه"، نهايـة السؤل جـ ١٢١/٢.

الاعتراض، ولكل احتمال رد. وقد تأتى صـيغة الاحتمـال صراحة فى شرح معنى الحديث[1].

وأحيانا يكون الشرح بلا موقف، مجرد شرح وإظهـار علم وإعطاء معلومات[2]. وفى هذه الحالة يغلب على الشرح الهدوء والتمرينات الصورية. والمذهب الصحيح هو المذهب المختار[3]. وبالرغم من أن الشرح محايد لا يأخذ موقفـا ولا يصدر حكما إلا ما كان فى المتن من قبل إلا أنه أحيانا ومن أجل إظهار المواقف فى شرح لا موقف له يصـدر الحكـم بالكفر والضلال مثل حكم السغناقى على الفلاسفة وغيـرهم ممن اكتفى بالرأى كما اكتفى بظاهر الحديث[4]. مـن أجـل استبعاد الطرفين والعودة إلى أصل الموضوع الذى يتحمـل آراء عدة.

(١) الكافى جـ١ (٢٠)، جـ٢ (٨)، جـ٣ (١٩)، جـ٤ (١٢)، جـ٥ (٧).

(٢) وذلك مثل كثير من الفقرات الشارحة عند ابـن الفركـاح فـى "شـرح الورقات".

(٣) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح جـ٩٦/٢.

(٤) "ألا ترى أن الضلال الذين ضلوا بسبب الاكتفاء بالرأى مـن الفلاسـفة وغيرهم أكثر من الـذين اكتفـوا بمجـرد ظـاهر الحـديث"، الكـافى جـ١٨٨/١-١٨٩. نهاية السؤل جـ٣٥/١. "هذا مذهب مـردود عليـه"، الأصفهانى: شرح المنهاج جـ٨٨/١.

٣- القطع بالصواب أو الخطأ. وليس الشرح مجرد بيان وتفصيل وتوضيح وإحكام للنص بل قد يكون نقـدا وتغييـرا ومناقضة له ورفضا للموقف الذى يعبر عنه[١]. لذلك تكثـر عبارات النقد مثل "لا يصح أن يقال"، "وهذا فاسـد"، "وهـذا ضعيف"، ثم اختيار الصحيح منها. وهو أشبه بالسبر والتقسيم فى مسالك العلة. ومن أسباب الخطأ إطـلاق الأحكـام، ورد الجزء على الكل أو الكل إلى الجزء[٢]. وفى هذه الحالة يقوم

(١) "وأما الحد الذى اختاره المصنف فلنشرحه أولا ثم ننظر فـى صـحته"، الكاشف جـ٣٢/٣. "فاندفع بحمد ا جميع ما أورده على هـذا الكـلام"، جـ٩٤/٣. "نقل المذاهب المنقولة فى المسألة على سبيل الاسـتيعاب ثـم نبين ما هو المختار من المذاهب ثم إقامة الدليل عليه"، جـ٣٢٣/٣. "إنـا ننقل مذاهب العلماء فى هذه المسألة تم نذكر الدليل علـى مـا يختـاره المصنف فننظر فى صحة تلك الأدلة وفسادها"، جـ٤٢٦/٣.

(٢) "وهـذا فاسـد"، جـ ـ ١/١٨٦/٢٢٨-٢٢٩. "وهـذا الجـواب فاسـد"، جـ١٥٠/٢. "ويتبين مما ذكرناه فساد ما ذكره"، جـ٢٦٥/٢. "قـد بينـا فساد هذا الكلام"، جـ٥٠٢/٢. "وهـو باطـل"، الكاشـف جـ ـ ١٢٤/٢. "فلنذكرها مع بيان فسادها" جـ٧٧/٣. "قلنا هذا مندفع لأننا بينا فساد هـذا المذهب"، جـ٢٠٣/٣. "والذى يوضح فساد ما ذكره"، جـ٣٥٠/٣. "وهذا كله خبط وخروج عن القواعد واختيار لمذهب باطل من غيـر دليـل ولا برهان"، الكاشف جـ ٢٧٥/١. "وبقى كلامه ساقط جدا فليتأمل فإنه يظهر بأدنى نظر" جـ٥٤/٢. "وهذا مذهب باطل باتفاق"، جـ٤٩٩/٣. "هذا مـا قاله المعترض وهو فاسد"، جـ١٠٦/٥. "وأما ما ذكره من دفع التسلسـل ففاسد"، جـ٤١٧/٦. "وأما على الإطلاق فممنوع، والعجب منـه دعـوى

الشرح على منطق الاستبعاد. وهو منطـق قطعـى يـزيح المخالف وليس منطق احتماليا يقوم على الحوار مع المخالف ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾[1]. ولا يـتم

الضرورة"، جـ١٠٦/٢. "وأما الوجه الثانى فضعيف جدا"، جـ١٠٦/٢، "وهذا ضعيف"، جـ٢٠٤/٢، "واعلم أن ما ذكره ضعيف"، جـ ٤٥١/٢. "إن المصنف أجاب عن الأثر بأنه قول صحابى وهو ضـعيف أى لـيس بحجة"، جـ٥٥٥/٤. "وهذا الوجه ضعيف"، جـ٥٦٠/٤. "وهذا ما يشعر به ظاهر كلامه وهو ضعيف"، جـ٦٨/٥. "فهذا شرح هذا الوجـه وهـو ضعيف"، جـ٤٦٣/٣٢٣/٢٢٦/٥، جـ٤٣٢/٤٠٩/٤٠٧/٦. "كل واحـد من هذين الدليلين ضعيف"، جـ٥٦٥/٥. "إذا أريد بالإسعاد الأمر العادى سقط هذا الكلام"، جـ٢٦٨/٢. "هذا كلام ساقط جدا"، جـ٢٦٠/٣. "وهذا غلط"، نهاية السول جـ٢٦٢/٢. "هذا كلام ركيك"، الكاشف جـ٢٨٩/١. "وهذه الأقاويل غير صحيحة"، جـ٢٢٢/٤. "فقد تبين أن المعترض على الفقهاء هو الذى غلط"، جـ١٢٣/٥. "واعلم أن هذا وهم"، جـ ٢٤٠/٤. "ولعسر هذا الفرق صار إلى هذا المثال تحريف محصن وهذيان صرف"، جـ٢٤٦/٤. "وهذا فى غاية السقوط"، فتح الودود على مراقى الصـعود"، ص٣٠. "فهذا هو شرح هذا التعريف وهو باطل"، جـ٤٨٠/٤. "ودعوى ذلك فى غاية البعد"، جـ٥٥٩/٤. "إنه غلط"، فتح الغفـار ص١٩١. "إن أصلهما هنا غير صحيح"، ص٢٢٠. "غير صحيح"، ص٢٣٤، نشر البنود على مراقى السعود.= =وهو محال (١). "وهو ساقط" جـ٢٧٢/٦. "وهذا كلام ضعيف" نهاية السول جـ١٧٨/٢. "إن مثل هذا الكلام غير معـدود من صنيع العلماء وإنما هو استرواح بما لا يعصم"، الإبهاج فـى شـرح المنهاج، جـ١٢٧/٢.

(١) فواتح الرحموت، جـ٤١٨/٦٤/١.

ذلك إلا بعد المراجعة. فلا حكم إلا بعد المداولة[1]. ويصل الأمر إلى حد اللعن والسخرية[2].

والأغلب تضمن الشرح أحكاما بالصحة والفساد، بالصواب والخطأ، بالضعف والقوة[3]. وبعد إصدار الحكم بالفساد والخطأ يتم التصحيح وإصدار الحكم بالصواب. وقد يكون الحكم تقريبيا احتماليا، أقرب إلى الصحة منه إلى البطلان أو أقرب إلى البطلان منه إلى الصحة[4]. وقد يكون

---

(١) السابق جـ ٣٢٣/٢١٨/٢١٣/١٩٦/١.

(٢) فواتح الرحموت: لعن (متصل)، الطوسى جـ ٣٥١/١، السخرية جـ ٣٧٩/١.

(٣) الجزرى: معراج المنهاج جـ ٣٥٥/١، جـ ١٤٨/٢. شرح المنار: الحكم بالصواب والخطأ (٨).

(٤) "ولا غرض لنا الآن فى تصحيح هذا المطلوب ولا فى إبطاله. فقد تبين مما ذكرناه أن ما ذكره المصنف فى هذا الفصل حائد عن الصواب وطريقه"، جـ ٤٩٥/٦. "إن الحكم قد يكون بالصحة وقد يكون بالبطلان"، الكاشف جـ ٢٧٦/١. "اعلم أنه يقرب من الصحة"، السابق جـ ٢٨٣/١. "والصحيح عندى" جـ ٢٣٤/٥. "وما ذكره المصنف صحيح لا يتم الدليل بدون الجواب عنه"، جـ ٢٣٨/٥. "إن صوابه أن تقول"، الكاشف جـ ٢٧١/١. "فالصواب أن يقال"، جـ ٣/٢. "والصحيح من الجواب"، جـ ٣٤٣/٣. "المصنف احتج على صحة مذهبه بوجوه"، جـ ٧/٤. "والجواب الصحيح الأصولى"، جـ ١٨٠/٤"، "والجواب الصحيح"، جـ ١٨١/٤. "والدليل على صحة ما ذهب إليه الجمهور"، جـ ١٩٨/٤. "وهذا كلام صحيح يتوجه من المعتقد لبطلان الأصل"، جـ ٥٠٠/٤.

الموقف هو "المختار" أى المفضـل دون حكـم بالصـواب وتخطئة المواقف الأخرى[1]. وقد يصل الأمر إلى حد السب واللعن ووصف المعارضين بالجهلة[2].

وقد يصدر فى الشرح حكم قطعى بالصحة، "هـذا حـد صحيح جامع مانع" أو هذا فاسد. وهناك غلط فى الأصـل. وقد يكون مخالفا "وعندنا لا يسقط من الألف شـىء". وقـد يكون الشرح تحديدا لصيغ القول الأمر أو النهـى أو مـدى إلزامها[3].

"والصواب أن يقال" جـ٦/١٠٧. "والحق فى هذه المسألة"، جـ ـ٥/١٨٥. "وهذا خلف"، فواتح الرحموت، جـ١/١٩٩. "هذه مكابرة"، جـ١/٣٩١.

(١) "والمختار"، الكاشف جـ٥/١٥٣/١٦٤. "إن هذا القسم يتضمن الكلام فى المسائل المختلف فيها فى أنها من باب الناسخ فقال قوم إنه ناسـخ وقـال آخرون ليس بناسخ والمختار أنه ليس بناسـخ"، جـ ـ٥/٣٢١. "إن هـذه المسألة تصريح بأن الحكم الثابت بالقياس قد يكون مظنونا وهو اختيارنـا ومناقض لقول من يقـول أن الأحكـام الشـرعية بأسـرها معلومـة"، جـ٦/١٧١. الإبهاج فى شرح المنهاج: المذهب المختـار (١)، إصـدار الحكم (١٦). تشنيف السامع بجمـع الجوامـع: المختـار (٢٠). تيسـير التحرير جـ١/٣٣١. التقرير والتحبيـر، "المختـار" مـثلا جـ ـ١/٨٣، جـ٢/١٨١، جـ٣/٤٦٢. "وهكذا هو الصحيح" جـ٢/٣٣٤.

(٢) فواتح الرحموت جـ١/٤٠.

(٣) الكاكى جـ١ (٢)، جـ٢ (٦)، جـ٣ (١١). نهاية السول جـ ـ١/١٦٧، جـ٢/١٤١/١٤٩/٢٠٧. "وما قاله المصنف هو الصواب"، نهاية السـؤل جـ ـ٢/٣٤٤. "الحكـم بالصـحة"، ابـن الفركـاح:شـرح الورقـات

بل يحيل الشرح إلى متون شيعية لنقد تعريفاتها مثل نقد التعريفات الركيكة للشريف المرتضى فى "الذريعة"(١). ومـع ذلك هناك بعض الإشراقات فـى الشـروح تبـين أن روح الحضارة وهى الاستمرار فى التجاوز مازالت حاضـرة(٢). ففى "التقرير والتحبير" يعلن ابن أمير الحاج "أنا لا أقلد أحـدا فى المعقولات"(٣).

٤- الاحتمال العلمى أم الإيمان الدينى؟ وتمتلئ الشروح والمتون أيضا بعدة "لازمات" وبنية تفوض الأمـر إلـى ا باعتباره "أعلم العلماء". ويمكن أن تؤول بطريقتين. الأولـى أنه يكشف عن الاحتمال العلمى ضد القطع بالحكم أى نسبية المعرفة أو يكشف عن إيمان عميق بالحقيقة وبالتـالى مـع القطع وضد النسبية. وقد يكون الحكم بالاتفاق أو بالأغلبيـة.

ص١٧٩/١٢٤. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ٢٩٦/٨٨/١. "وقد أبطلنـا قولهم فيما سبق"، شرح المنار ص٥٤٩. "صحة المذهب"، "صحة مذهبنا"، الكاكى: جامع الأسرار شرح المنار للنسفى جـ ٢٨٤/٢٤٨/١. "والصحيح مذهب مالك"، فتح الودود على مراقى الصعود ص٤٠. نشر البنود علـى مراقى السعود: الأصح، الصحيح (٢). "والصواب عندى"، جـ ٧٣/١.

(١) الكاشف جـ١٤٢/٦.

(٢) "سنذكره بعد شرحنا لهذا الحد"، الكاشف جـ ٤١٣/١.

(٣) التقرير والتحبير جـ ٣/١.

وقد يكون الحكم قطعيا أو ظنيا طبقا لأنماط الاعتقاد. أو لأحكام العقل الثلاثة[1]. وقد يكتفى ببيان الحكم بعد مراجعته.

ومع ذلك تتكرر لازمة "ا أعلم بالصواب" منعا للقطع وتأكيدا على احتمال الأحكام البشرية. فالترجيح أفضل من القطع، وكذلك الإعلان عن غرابة موقف دون الحسم ببطلانه[2]. بعد كل هذه الشروح المطولة ا أعلم أو "وا أعلم بالصواب". وأحيانا يضاف "وإليه المرجع والمآب". وأحيانا تكون نفس اللازمة فى المتن نفسه ولا تكون فى الشرح. وفى الغالب تكون فى المتن والشرح معا. تدور كل الشروح فى إطار إيمانى عميق يتجلى فى كثرة العبارات الإيمانية فى آخر الفقرات والفصول والأبواب مثل "ا أعلم"، "إن شاء ا "، "ا الموفق". وتكثر "ا أعلم"[3]. وقد تظهر

---

(١) شرح المنار: أنماط الاعتقاد (٢)، أحكام العقل الثلاثة (٦).

(٢) الكاشف جـ٢/٤٠٩/٣٨٠/١١٣، جـ٣/٤٧٤، جـ٤/٢٠٦/١٣٨/٥٠، جـ٥/١٩٨/٤٧، جـ٦/٢٨٣. "فلنشرع نحن فى ذكر الترجيح فنقول"، جـ٤/١٨٩. "ونقل عن بعضهم عن كتاب لابن طلحة قولين فى بطلانه. وهو غريب إن صح"، جـ٤/٤٤٦. الإبهاج فى شرح المنهاج: ا أعلم (٦)، الدعاء بالتوفيق (٤). "وا أعلم بالصواب"، تيسير التحرير جـ١/٢٥١. "وا أعلم"، جـ١/٣٤٨/٣٠٨. "وا سبحانه هو الموفق"، جـ١/٣٢٤.

(٣) هى التعبير الشائع فى "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات"

التعبيرات وسط الفقرات وليس فقط فى آخرها(١). بـل يـتم شرح هذه العبارات الإيمانية فى البدايـة مثـل البسـملات والحمدلات، والنهاية وهى ليست فى حاجة إلى شرح. الشرح من أجل الشرح. الشرح قطار يسير بصـرف النظـر عـن محطات الوقوف. وتكثر فى أول الكتاب وآخـره. وتتحـول المقدمات والخواتيم إلى خطب منبرية تخـرج عـن حـدود البحث العلمى الرصين(٢). وفى الشروح المتـأخرة تظهـر المحسنات البديعية بوضوح فى الأسلوب خاصة فى المقدمات الإيمانية. فالإيمان كمضمون والبيان والبديع كوسـائل فـى التعبير صنوان(٣).

للماردينى الشافعى.

(١) التقرير والتحبير جـ ٧/١، جـ ٤٧٣/٣-٤٧٥. "وا سبحانه (وتعـالى) أعلم" (٦٨)، "إن شاء ا تعالى" (٧)، "وا الموفق" (٣)، "وا سـبحانه الموفق لمحاسن الآداب والهادى إلى سبيل الصواب" جـ ٣٨٠/٣.

(٢) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: إن شـاء ا (٣)، وا تعـالى أعلم (٤). نشر البنود على مراقـى السـعود: "وا تعـالى أعلـم" (١). لازمـــات فـــواتح الرحمـــوت: "إن شـــاء ا تعـــالى" جـ ٢٠٣/١/٢٢٤/٢٢٦/٣٨١/٣٩٠، "وبا التوفيـق" جـ ٩٤/١، "وا اعلم بحقيقة الحال" جـ ٢٦١/١، "ا أعلم" (٤)، "وا أعلـم بالصـواب" (١).

(٣) تيسير التحرير جـ ٤/١. فواتح الرحموت جـ ٢/١-٣.

وقد يكون الشرح أسلوبيا خالصا. فإذا بدأ النص بالبسملة ثم بالموضوع مباشرة أضاف الشرح بينهما فيما بعـد. فـإذا كان فى النص اسم إشارة يتم توضيحه ببيان المشار إليه بلفظ أى. وإذا كان الستر لموضوع يتم شرحه بداية باسم الصـلة. وإذا كان ضميرا تم إخراجه من المستتر إلى الصريح أى من ضمير الملكية إلى الموضوع ذاتـه[1].يكـون الشـرح إذن للأسلوب وطرق الصياغة[2].

خامسا: آليات الشرح.

تظهر آليات الشرح خاصة فى أوائل العبارات فى بداية الشرح أو فى أواخرها فى نهاية الشرح. تكشف عن القصـد من الشرح وتبين هدفه. وأحيانا يخلو الشرح من أى عبارات دالة تبين القصد منه. وهو الشرح المحايد الأقرب إلى العبارة الشارحة. والعبارة الأولى قبل الشرح أهم من العبارة الأخيرة بعده. فالأولى تبين القصد والثانية تعلن عن تحققه[3]. وتظهر

---

(١) الإمام جلال الدين المحلى: شرح الورقات، دار إحياء الكتـب العربيـة، عيسى البابى الحلبى وشركاه (د.ت). ص١٩/٦/٣/٢.

(٢) ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٦٣.

(٣) "هذا هو شرح ما اختاره المصنف من التقسيم المذكور فى المتن"، الكافى

هذه الآليات بوضوح سواء طال النص أو قصر وذلك بتحليل أوائل العبارات للشروح[1]. ويقتصر تحليل آليات الشرح فى الغالب على أوائل الفقرات الشارحة دون مقاطعها الصغرى داخل الشرح.

وغالبا لم تتطور آليات الشرح من الشروح المتقدمة حتى الشروح المتأخرة، فى حين تطور النص المشروح. فالآليات واحدة واتجاهات الشرح مختلفة. وقد تغلب بعض الآليات على الأخرى فى الشروح. قد تغلب العبارة الشارحة على الضبط والإعراب والشروح اللغوية[2]. والشارح على وعى بالأنواع الأدبية[3]. ويحدد الشارح آليات الشرح بنفسه: ضرب الأمثلة، الإشارة إلى الأدلة، إيضاح المشكل، تقييد المهمل والمغفل[4].

جـ ٤/٤٥٩.

(١) "اكتفينا فى الغالب بآليات النص الطويل قبل تقطيعه داخل الشرح. كما اكتفينا بذكر التردد الكمى لهذه الآيات فى حالة كثرتها دون الإشارة إلى أرقام الصفحات إلا فى حالة قلتها.

(٢) مثل "شرح المنهاج" للأصفهانى.

(٣) وذلك مثل "مناهج العقول" للبدخشى.

(٤) "يكون مبسوطا بضرب الأمثلة، والإشارة إلى الأدلة، وإيضاح المشكل، وتقييد المهمل والمغفل"، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٧٥.

ولا تختلف آليات "شرح الشرح" عن آليات شرح المتن. فقد يكون شرح الشرح قصيرا أو طويلا. ويسـبق الشـرح "قوله" وهو ليس دراسة لموضوع نظرا لاعتماده المطلق على الشرح السابق. فقد بعدت المدة بينـه وبـين المـتن الأول، وانتهى الدافع الحيوى. فإذا كان المتن سريع الإيقـاع فـإن الشرح متوسط السرعة، وشرح الشرح بطئ الحركة[1].

١ - إعراب اللفظ. يبدأ الشرح لغويا بإعراب الألفاظ[2]. فالفقه يفسر لغويا والمعنى الاشـتقاقى أول معـانى الألفـاظ بالإضافة إلى العرفى وأخيرا الاصطلاحى كما هو الحال فى منطق اللغة فى علم الأصول.

وقد يكون الخلاف لفظيا. ولا مشاحة فى الاصطلاح[3].

---

(١) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، الشرح لسعد الدين التفتـازانى (٧٩٢هـ)، والتنقيح وشرحه لصدر الشريعة البخارى الحنفى (٧٤٧هـ). الشرح الطويل جـ ١/٣٥-٤٥/٧٥-٧٨/٣٣٠-٣٦٠. المـتن الطويـل جـ ١/١٢٠-١٣٧.

(٢) "إن هذا البحث عن الموضوع وبيان تعيين اللفظ للوضع والدلالة به على المعانى دون الأفعال أو الإشارات.."، الكاشف جـ ١/٤٥٢. "هـذا هـو البحث العقلى. وأما البحث اللغوى"، جـ٣/٨٥.

(٣) الكاشف جـ١/١٣٤. "نرى تقديم تفسير ألفاظ ثلاثة مذكورة فى الآية ثـم نتكلم فى شرح الدليل المذكور وتقريره بقدر الإمكان" جـ٣/١٣٧. "هـذا لفظه ومعناه ما لخصناه" جـ ٣/٤٨٧. "إن هـذه فـروق بـين النسـخ

فالشرح تحرير لمحل الخلاف اللفظى، بين الحقيقة والمجاز. ولكل علم مصطلحاته طبقا للغته وإلا كان نقل مصطلح مـن علم إلى آخر أو من لغة إلى أخرى مغشوشا. وقـد يكـون الخلاف ظاهريا يقتضى الذهاب من مسـتوى اللفـظ إلـى مستوى المعنى[1]. وقد يكون الخلاف لفظيـا فـى حـين أن الاتفاق فى المضمون. ويصل الأمر بشرح الألفاظ إلى بيـان وضع الهمزة مثل الاخبار بكسرها[2].

والتخصيص فى الجملة وليست لفظية كما قال المصنف، لا مناقشة فـى الاصطلاحات" جـ/٤٠٩، جـ٣٩٤/٤. "واعلم أن هذا الاصطلاح مخالف للمذكور فى "المحصول" من بعض الوجوه ولا مشاحة فى الاصـطلاح"، الكاشف جـ ٢٩٨/١،= =جـ٩٠/٢. "ومن المعلوم أن الاصـطلاحات لا مناقشة فيها. ولا يلزم من الاصطلاح المنطقى أن يكون موفقا للأوضـاع اللغوية العربية إلا إذا ادعى صاحب الاصطلاح الموافقة. وأبو علـى لا يدعى ذلك، ولا غيره من المنطقيين. فهذا النقل مغشوش"، جـ٩١/٢.

(١) "إن هذا الكلام على ظاهره"، الكاشف جـ ٣٢٥/١. "وذلك تنـاقض فـى الظاهر"، جـ٨٠/٢. "وهذا ظاهر"، جـ١٢٤/٢.

(٢) "اعلم أن العبادة توصف بالأداء والقضاء والإعادة فلنتكلم عليهـا كلامـا مفيدا لتصوراتها شارحا لمفهوماتها"، الكاشف جـ ٢٨٦/١. "لابد من شرح مفردات الألفاظ المستعملة فى التقسيم المذكور فى الأصل"، جـ٤٥٨/٤. الإبهاج فى شرح المنهاج: اللغة (١٤)، اللفظ (٤). "اعلم أن فى هذا الكلام نظرا لأن اسم المصدر مثل "سبحان" اسم للتسبيح، والبيان مصدر لا اسم مصدر وأيضا البيان والتبيين مصدران وليس أحدهما مشتقا مـن الآخـر فالمصار جوامد"، جـ٤١/٥. شرح لفظ الظـاهر جـ ـ٤٥/٥، التأويـل

وقد يكون الشرح لغويا وإعطاء اشتقاق الكلمة مثل "آله" أى أهله. واشتقاق لفظ رأى. والمؤول مفعول "أول" ومنصته بفتح الميم، والاستنباط من النبط وهى الركية أى البئر التى أخرجها الحافر بجهد عظيم، والواو للعطف، والنقل بفتح الميم. والعمرة فى اللغة الزيادة، والواو ليست للترتيب، والفاء للتعقيب، والمبتدأ والخبر. والفاء فى الأمر تكون للتعليل واسم الفعل واسم الفاعل، والحال، والإعراب والإعجام، وللفعل مع الفاعل عشرة أوجه. وإن "ل" حرف موضوع للشرط، والباء للإلصاق. والثاء فى العدد عندما يكون المعدود مذكرا مثل التأويل. بل إنه يتم تشكيل اللفظ فى الشرح حتى تحسن قراءته مثل الآخر بكسر الخاء، والردعى بالدال المهملة[1].

جـ٤٧/٥. الكاشف جـ١٠٥/٦.

(١) الكافى جـ١ (٧)، جـ٢ (٢٤)، جـ٤ (٢). نهاية السول جـ٢٢٦/١٣١/١٠٥/٢. ابن الفركاح: شرح الورقات، اللغة والنحو ص١٨٧/١٦٨/١٦٤/١٣٥/٧٨/٧٦. الاشتقاق ص١٢٦/١١٩/١١٢/١١٠/١٠٣-١٠٠/٩٨/٩٦/٩٣/٣٢/ ١٦٢/١٩٠/٢١٢/٢٣١/٢٤٠/٢٩٤/٣٠٣/٣٨١/٣٥٦/٣٧١. الجزرى: معراج المنهاج، اللغة جـ٢٤٥/٢٢٦/٢١٧/١، جـ٢٨٣/٧٣/٢٣/٢، النحو جـ٢٦٣/٢٩٩/١-٢٦٨. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ٤٦٠/٢٧٣/٤٧/١. شرح المنار، الإعراب والاشتقاق والشرح اللغوى (١٤٦). الإبهاج فى شرح المنهاج: الاشتقاق (٤). شرح مختصر المنار

وقد يكون الشرح إعرابيا خالصـا مـن أجـل إضـافة معلومات نحوية. فالنص يشير إلى المفرد والشرح يقارن بينه وبين المثنى والجمع. ويكون ذلك لتفسير الآيات وشرح بـأى بأنها إما تكون استفهامية أو شرطية أو موصولة[1]. ويظهـر البعد الجغرافى فى الإعراب مثل "نفل" فإنـه فـى المغـرب بفتحتين[2]. وقد تبدو بعض الألفاظ الآن عامية مثل "ايش"[3]. وقد تدخل عناصر من الثقافة الوافدة مثل العلل الأربعة كمادة للأصول ولكنها لم تعد وافدة بل أصبحت جزءا من الثقافـة العامة[4].

وقلما تظهر الكلمات المعربة نظرا لأن علم الأصول علم

ص٤. نشر البنود على مراقى السعود: الإعراب (٦)، اللغة (٣)، الضبط (١). فواتح الرحموت: اشتقاق الأفعال والأسـماء جـ ـ ٦/١، الإعـراب جـ ـ ٦/١، الترادف ص٦-٧، تحرير محل النزاع جـ ـ ٢٧٦/١. الخـلاف اللفظى جـ ـ ٣٩٣/٣٠٠/١٥٦/١.

(١) نهاية السؤل جـ ـ ٤٦/١٣/١-٤٧، جـ ـ ٤٣٢/٤٠٧/١١٢/٨٦/٢. القرافى: نفائس الأصول فى شرح الأصول جـ ـ ١٢٨٢/٣، جـ ـ ٢٢٧١/٢١٤١/٥.

(٢) شرح المنار ص٣١٩. الإبهاج فى شرح المنهاج، الإعراب (١١). مناهج العقول، الإعراب (١٢٠). وأيضا "التقرير والتحبير" مثلا جـ ـ ١٣/٧/١. فتح الودود على مراقى الصعود ص٥-٣٩/٦.

(٣) "ايش وجه دعوى الضرورة...؟"، الكاشف جـ ـ ٤٨٨/١.

(٤) السابق جـ ـ ٢٧٤/٢.

داخلى خالص نابع من الموروث ولا علاقة له بالوافـد وإن ظهرت بعض الألفاظ اليونانية المعربة فلضرب الأمثلة وبعد أن أصبحت ألفاظا شائعة ومتداولة فى الثقافة العامة وحتـى الآن مثل السقمونيات وهى المجربات. ويضرب المثل بلغـة اليونانيين لمعرفة زمان الكلمة[1]. وتستعمل فى الشرح بعض الألفاظ اليونانية المعربة خاصة فى الطب مثـل السـقمونيا والسوفسطائية[2]. وأحيانا يتم الشرح بلغة أخرى غير العربية مثل الفارسية القديمة.

اللغة هى اللغة العربية، وقواعدها مبادئ لتفسير القواعد الاصولية[3]. كما يفسر اللفظ كمفهوم وتصور الذى يحتـاج إلى تعريف. فتفسير الألفاظ هو تحديد للمفاهيم والتصـورات

---

(١) السابق جـ ١/٣٦/١٧٠.

(٢) الكـافى جـ ـ ١/١٥١/١٧١/١٧٤-١٧٥/١٧٩/١٨٩/٢٥٧/٣٠٣/٣٣٥، جـ ـ ٢/٧٦٣/٩٢١/١٠٢٦، جـ ـ ٣/١٠٩٦/١٣٣٩. نهايـة السـول جـ٢/١١٠/١١٢. مناهج العقول جـ٣/٧٢٤. التلويح علـى التوضـيح لمتن التنقيح لصدر الشريعة البخارى الحنفى جـ ١/٢٨٩.

(٣) الألفاظ المترادفة فى اللغة العربية جـ٢/١٢٠، لغة العرب جـ٢/١٢٠، ومن تتبع كلام العرب جـ٢/٢٨٠، العرب جـ٢/٣٠٤، أئمـة العربيـة جـ٢/٤١٨-٤١٩. "ويوضح ذلك غاية الإيضاح من أئمة اللغة العربية.." جـ٣/١١٧. "إن هذا الوجه ينبنى على النقل عن أئمة اللغة" جـ٣/٢٩٢. الإبهاج فى شرح المنهاج: الترادف (٣).

وشرح الألفاظ هو وضع للتعريفات[١].

٢- تعريف المصـطلح. وتحليل الألفاظ لغويـا مقدمـة ضرورية لتحليل الألفاظ اصطلاحيا وقبل تحليل المعـانى[٢]. والشرح للألفاظ عن طريق التعريف، لفظا لفظـا، إعطـاء المبتدأ خبرا، والموضوع محمولا، مثل شرح ألفاظ الحمـد، وا ، والساريات هى السائرات، والقطـع الحـزم، والبيـان التفسير، ووضع اللفظ فى الجملة وإعرابه وعلامة الفضـل، والجهاد إعلاء لكلمة ا ، والأمر الثقل. لذلك يكثر اسـتعمال

---

(١) "إنه لابد من تفسير الحركة والسكون"، جـ١٥٩/٤. "إن هـذا التعريـف عليه إشكالات ولابد من شرحه أولا ثم نورد عليه الإشكالات ثم ننفصـل عن الذى يتأتى الانفصال عنه"، جـ٢١٤/٤. "إن هذا التعريـف مشـتمل على قيود وفائدة القيود وقد بينها المصنف. فهـو واضـح إذن. ويزيـده إيضاحا إيراد الأسئلة عليه والانفصال عنها فنقول هذا التعريف فيه نظر"، جـ٢١٧/٤.

(٢) "وقد جرت عادة الأصوليين أن يقدموا بيان المفهومات اللغوية على بيان المفهومات الاصطلاحية فى جميع أبواب أصول الفقه ليعلم بذلك أن أحـد المفهومين هل هو عين المفهوم الآخر أو غيره. وإذا كـان غيـره فهـل بينهما خصوص وعموم أم هما من المعانى المتباينة"، جـ٢٠٠/٥. "ومن التعريفات الركيكة ما نقله المصنف عن الشريف المرتضـى أورده فـى كتاب الذريعة"، جـ١٤٢/٦. "اختلفت عبارات الأصوليين فـى تعريـف الشبه اختلافا عظيما، وبحسب ذلك الاختلاف اختلفت معانيه فلنذكر أقاويل الأصوليين فى التعريف أولا.."، جـ٣٩١/٦.

لفظ "أى" للمترادفات فى كل الشروح[1].

وقد قامت شروح بأكملها على شرح اللفـظ بـاللفظ أى تعريف الكلمة بالمرادف[2]. والغاية مزيد من الدقة، وتوضيح الغامض على مستوى الألفاظ. فالمدخل إلى الشرح هو اللغة. واللغة هى شجاعة تجميع المادة. لذلك بدا الشـرح منطقيـا لغويا، يتسم بقدر كبير من الدقة والوضوح. يكون الشرح إذن بإيجاد المترادفات مثل "الحسن" أى البهاء و"كهف الورء" أى ملجأ الحق لذلك تكثر ألفاظ الربط مثل "أى"، "يعنى"، والقدوة بمعنى الاقتداء، والتعكل إظهار العجز. والقصد من الترادف التأكيد. وقد يكون بلفظ "بيان" وهو لفظ أصولى من الشافعى يدل على مباحث الألفاظ. والقذور اسم امـرأة تتقـزز مـن الأقذار، والمحكم هو الذى له معنى واحدا والتهوك التحيـر. والغرض من ذلك الإيضاح "ثـم هـا هنـا ثـلاث كلمـات

---

(١) مثل شرح الحمد بأنه الوصف الجميل على وجه التبجيل، شرح مختصر المنار ص١٠/٥/٣. شرح المنار: شرح اللفظ باللفظ (٢). الإبهـاج فـى شرح المنهاج، التعريف (٣). منهاج العقول: يعنـى (١٠)، بيـان (١٠)، تعريف (١٠). نشر البنود على مراقى السعود: الحـد والتعريـف (١). فواتح الرحموت: اللغة والتحديد اللفظى جـ ٣٣٨/١٨٣/٩٣/١.

(٢) مثل "شرح غاية السؤل إلى علم الأصول" لابن المبرد الحنبلى.

للإيضاح"[1]. وقد يعنى اللفظ معنى وقد لا يعنى معنى آخر. فالإيضاح إيجاب أو سلب. والغائط هو المطمئن من الأرض، والاتساق الانتظام، والتدليس الكتمـان، والمـزاح المـزح، والملاعنة البهدلة، والنكاح القيد الحسى، وعزم اعتمد. وقـد يستعمل لفظ "وتفسير ذلك" الذى يدل على وعى بهذا النـوع الأدبى. وكذلك يستعمل لفظ "تأويل". وقد يتم اسـتبدال لفـظ بلفظ بين المتن والشرح مثل المجاز والمبتدأ. وتظهر بـاقى مباحث الألفاظ فى شرح الصيغ اللغوية للمتن[2].

ويتحدد مستوى التعريف لغة أم شـرعا أى اصـطلاحا مثل تعريف النسخ[3]. وتعقد المقارنات بين اللغويين والفقهاء فى معنى الحادثة[4]. ويمكن تحديد معنى اللفظ عـن طريـق الاستعمال مثل لفظ "فقـه"، ولفـظ "قضـاء"، ولفـظ "أداء". وتستعمل عدة ألفاظ للدلالة على الطلاق مثل المشيئة والإرادة والمحبة والرضى والأمر والحكم والأذن والقضاء والقـدرة

---

(١) فى "شرح المنار" حرف "أى" أكثر آليات الشرح استعمالا (٤٥٠). الكافى جـ١ (٤٣)، جـ٢ (١٧٨)، جـ٣ (١٠٥)، جـ٤ (١٩).

(٢) نهاية السول جـ١/٢٣٥، جـ٢/٢٤-٢٥. شرح المنهاج جـ١/٢٥٧. شرح المنار (١٤). شرح مختصر المنار ص٥.

(٣) شرح الورقات ص١٤.

(٤) السابق ص١٨.

والعلم[1]. وقد يكون للفظ استعمالان عنـد الخاصـة وعنـد العامة. وقد يتحول اللفظ إلى اصطلاح، من اللغة العامة إلى اللغة الخاصة[2]. وقد تظهر فى الشـرح بعـض النظريـات الحديثة فى اللغة باعتبارها عالما من الأشباح. فاللفظ شبح[3]. وقد يكون التعريف طبقا للمشهور عند العلماء[4].

وقد يكون التعريف تاريخيا طبقـا لمراحـل التـاريخ. فالتعريف يتغير من مرحلة إلى مرحلة. فالشرح فى الزمـان كما هو الحال فى التعريف القديم للخبر[5]. والمعنى العرفـى هو أحد معانى اللفظ فى الاستعمال الحاضر الذى يتحول إلى تاريخ بمرور الزمن.

وقد يكون تحديد اللفظ بنفى العكـس، فـالوجوب لـيس الندب ولا الإباحة، والعام ليس الخاص، والمحدود ليس غير

---

(١) الكافى جـ ١/١٧٧/٣٨٤/٣٨٨/٩٩٣.

(٢) شرح الورقات ص١٠٤/٢٠٣-٢٠٤/٢١٢. الجزرى: معراج المنهـاج، المصطلح جـ ٤٢٥/١.

(٣) فواتح الرحموت جـ ١٨٠/١. وهى نظرية فتجنشتين.

(٤) ابن الفركاح، شرح الورقات ص٣٧٤. "وهـذا الرسـم قريـب لإفهـام الفقهاء"، السابق ص٩٣.

(٥) ابن الفركاح، شرح الورقات ص٢٧٧. الإبهاج فى شرح المنهاج، السياق التاريخى (١).

المحدود، والزنا ليس اللواط، والعزيمة غير الرخصة. وقد يكون التحديد بالتمييز بين لفظين مثل الفرق بين العموم والتكرار، وبين الموجب والمحتمل. وقد تكون المقارنة بالنقيض والضد طبقا لمنطق الاختلاف مثل مصالح الدين ومصالح الدنيا. ونكاح الولى خلاف نكاح الأختين[1]. قد يكون الشرح بمنطق الهوية أو الترادف بين لفظين أو بمنطق التغاير أو الاختلاف سواء فى اللفظ أو فى العبارة، فى الكلمة أو فى القول، ما يجوز للصحابى وما لا يجوز لغير الصحابى، العلم لهم والجهل لغيرهم. فإذا كان النص عن شروط الإجماع يكون الشرح ما ليس من شروط الإجماع[2].

ويتم الشرح عن طريق القلب، قلب الإيجاب سلبا، والسلب إيجابا، والإثبات نفيا والنفى إثباتا عن طريق اللغة. وهو نفس الشىء، ولكنه تحدد عن طريق الأسلوب. فإذا تحدث النص عن الوضع فإن الشرح يبين فى حالة عدم

---

(١) الكافى جـ١/٢٠٨/٣٦١، جـ٢/٥٩٤/٧٨٨/٨٠٣/٨٧٤/٩٢٧، جـ٣/١٠٦٣/١١٤٨/١١٨٥/١١٩٥/١٢٠٥/١٣١٦/ ١٤١٥/١٤٥٣، جـ٤/١٥٩١/١٦٠٥.

(٢) الجزرى: معراج المنهاج جـ٢/٩٧. شرح مختصر المنار ص١٠.

الوضع[1]. وقد يتجاوز الأمر التقابل اللغوى إلى التقابل الموضوعى. فإذا ذكر النص الآحاد أضاف الشرح فى مقابل التواتر[2].

وقد يتحدد اللفظ بمعناه الخاص أو العام. فالشرع "بالمعنى الأعم" ومن ثم يطبق الشارح على المتن القواعد اللغوية المستمدة من مباحث الألفاظ فى علم الأصول مع باقى مباحث الألفاظ، الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمجمل والمبين. وظيفة التعريف هنا الإدخال والإخراج، توسيع المضمون أو تضييقه[3].

فإذا أعطى الشرح المفاهيم النظرية مثل أحكام التكليف الخمسة يقوم الشرح بالتعريفات فيتغير اسم الفاعل مثل "الواجب" إلى اسم المفعول مثل "الوجوب"، والصفة بالموصوف، وتعريف العنعنة فى النص بأنها نقل فلان عن فلان. وقد يكون الشرح إكمالا للصورة. فإذا تحدث النص

---

(١) السابق ص٨.

(٢) شرح الورقات ص١٩. شرح المنار (١). منهاج العقول: القلب (١٠). و"فواتح الرحموت" مملوء بالتعريف عن طريق القلب.

(٣) الكافى جـ٢٢٨/١. ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٢٣/١٥٦/٢٤٠-٢٤١. الإبهاج فى شرح المنهاج: الإدخال والإخراج (٤). مناهج العقول: الإدخال والإخراج (٩٠). شرح مختصر المنار ص٨.

عن "قراءة الشيخ" أضاف الشرح "والمريد يسمعه"(١).

ولأول مرة يتم شرح المتن باعتباره ألفاظا كما هو الحال فى "الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فـى أصـول الفقه" للماردينى الشافعى(٢). وكلاهما شـافعيان، المـاردينى والجوينى. وهى رؤية جديدة للشرح قائمة على أن الغموض فى اللفظ وليس فى المعنى. فتوضيح اللفظ مقدمة لتوضـيح المعنى. بل إن الشرح اللفظى أصبح له مفهوم جديد هو لفظ "حل". وقد اختار الشارح أصغر النصوص وأوضـحها بـل ومن أوئلها بعد "الرسالة" للشافعى. فقد تقدم الأحنـاف علـى الشافعية فى تحرير الأصول وإن كان الشافعية هـم الـذين حملوا عبء التدوين بعد ذلك حتى القرن السابع مع الحنابلة. ثم توازى الكل أثناء الدولة العثمانية التى كانت حنفية المذهب

---

(١) شرح الورقـات ص٢٠/٤. الجـزرى: معـراج المنهـاج، التعريفـات جـ ٤٠٥/٥٨/١. شرح المنار: التعريف (٥). مناهج العقـول: التعريـف (١٠).

(٢) شمس الدين محمد بن عثمان بن علـى المـاردينى الشـافعى: الأنجـم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه، قدم له وحققه وعلـق عليه الأستاذ الدكتور عبد الكريم بن على بن محمد النملة، الأستاذ بقسـم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمـد بـن سـعود الإسلامية، مكتبة الرشيد، الرياض ط ـ٣ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

خاصة فى خراسان. وقد يكون السبب فى التركيز على الشرح اللغوى وتعريف المصطلحات أنه لا يوجد تراكم داخلى كاف بالرغم من طول الفترة الزمنية بين متن الجوينى (٤٧٨هـ) وشرح الماردينى (ت٨٧١) أى حوالى أربعة قرون. وكلاهما شافعيان، شافعى يشرح شافعيا.

٣- توضيح المعنى. إذا كان الشرح أقرب إلى الدراسة المستقلة منه إلى الشرح اللفظى أو بالعبارة الشارحة يظهر المعنى[1]. ويكثر استعمال فعل "يعنى" أو اسم "معنى" أو مضافا إلى ضمير "معناه"[2]. يبين الشارح نقل النص الموضوع من مستوى إلى مستوى آخر، من مستوى اللفظ إلى مستوى المعنى[3]. الشرح للمعانى وليس للألفاظ، بيان للمعانى وتوضيحا لها. وإذا كان المعنى واضحا فإن الشرح

---

(١) وهذا هو الحال فى "الإبهاج فى شرح المنهاج" أو عدة عبارات شارحة تغطى الموضوع كله مثل "مناهج العقول" للبدخشى.

(٢) "معناه"، جـ٥٧٩/٣٨٣/٦. نفائس الأصول: معنى، يعنى، معناه (٣٠). بيان، دليل (٢)، برهان (١)، مفهومه (١). المعنى، يعنى، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢٦٧/٢٠٥/١٩٩/١٨٢/١٧٨-١٧٧/١٧٤/١٣٩. الجزرى: معراج المنهاج جـ٤١١/٢٠٢/٥٨/١، جـ٢٧٩/٢. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ٢١١/١. شرح المنار: يعنى (٩٠). مناهج العقول: الشرح (٢٠).

(٣) "إن المصنف جعل هذه المسألة من المسائل المعنوية"، جـ٧٣/٤.

يكون لزيادة بيان[١]. ويستعمل لفظ البيان فى صيغة "وبيانـه أن"[٢]. وهى معانى مستقلة متمايزة[٣]. فالوضـوح والتميـز شرطا التعريف، الواضح بذاته والمتميز عن غيـره[٤]. بـل

---

(١) "إن هذا النظر هو الباحث عن المعانى بحثا كليا وذلك بعد أن بحث عـن الموضوع وهو اللفظ أيضا بحثا كليا"، الكاشـف جـ ـ ٤٥٤/١. "تمسـك المصنف بدليل لفظى.. يرجع سنده إلى المباحث اللفظية"، جـ ـ ٥١٨/٣. "وهذا التوجه أقـرب إلـى لفـظ المصـنف"، جـ ـ ٥٢٠/٣. الكاشـف جـ ـ ١٨١/١. "وهذه قضية بنية"، السابق جـ ١٢٨/١. "هذا معنـى كـلام المصنف"، جـ ١٣٠/١. الجزرى: معراج المنهـاج جـ ـ ٤٠٧/١٧١/١، جـ ١٣٥/١٣٣/٢.

(٢) الكاشف جـ ١٧٣/١-١٧٤. "زيادة بيان"، السابق جـ ـ ١٨١/١، البيـان، مناهج العقول (١٠). "وبيانه"، السابق جـ ١ (٤)، جـ ٢ (٦)، جـ ٣ (١)، جـ ٤ (٤)، جـ ٥ (١)، جـ ٦ (٤). "وبيان ذلك"، السـابق جـ ـ ٣٩٥/١، جـ ٨٨/٢، جـ ٢٦٤/٣، جـ ٥٧٩/٦. شرح المنار: البيان (١٢).

(٣) "وهذه حقائق معقولة متميزة بعضها عن بعض"، الكاشف جـ ٢٠٩/٥.

(٤) "اعلم أن هذه الأسئلة واضحة ولكن لابد من التنبيه على ما يحتـاج فـى الكشف عنها"، الكاشف جـ ٢١٧/١. "اعلم أن هذا الكلام واضح فى نفسه غير أنا نزيده إيضاحا"، جـ ٤٣٨/١. "وهـذه القضـية ظـاهرة غايـة الظهور"، جـ ٨٨/٢. "وباقى الكلام ظاهر"، جـ ٨٣/٤. "إن هذه الأمـور ظاهرة غنية عن الشرح. وقد تكرر ذكرها فيما سبق من المباحـث، فـلا حاجة إلى الإعـادة"، جـ ـ ١٤٩/٤. "فالظـاهر غنـى عـن الشـرح"، جـ ٢٠٣/٤. "وهذا الكلام= =صريح"، الكاشف جـ ٩٩/٢. "اعلم أن هـذه المسألة واضحة بنفسها غنية عـن الشـرح ولا إشـكال فيهـا أصـلا"، جـ ١٨٤/٢. "إن هذه المسألة واضحة غنية عن الشرح"، جـ ٣٠/٥. "هذه المسالة غنية عن الشرح إلا أننا نـذكر مـا يزيـدها إيضـاحا فنقـول"،

يتحدث البعض عن علم مستقل للمعـانى[1]. الشـرح يحـل إشكال النص ويوضحه، ويزيل لبسه وغموضه، سواء إشكال النص أو الإشكال الذى يعالجه النص[2]. وأحيانا يكون النص واضحا لا يحتاج إلى توضيح، ولكن الشرح يوضحه أيضـا لأن الشرح نوع أدبى مستقل عن ضبط آلياتـه[3]. واتفـاق العقلاء من مقاييس الصدق والوضوح[4]. وقد يكون الإيضاح

جـ٦/٢٨٠. "إن هذا الكلام واضح غير أنـا نبسـطه بعـض البسـط"، جـ٣/٣٨٥. "وباقى الكلام ظاهر غنى عن الشرح"، جـ ـ٣/٥٠٨. "فقـد ظهر من شرحنا لكلام المصنف ما يدفع هذا الكـلام ونزيـده إيضـاحا"، جـ٤/٢٧. "اعلم أن هذه المسألة واضحة بينة غير أنا نؤثر زيادة إيضاح لمن لا دربة له بالمعانى المناسبة"، جـ٦/٣٢٥.

(١) فواتح الرحموت جـ ١/٢٦١.

(٢) "أورد المصنف هـذا الكـلام جوابـا عـن إشـكاله الأول"، الكاشـف جـ ١/٤٦٩. "أن المصنف أجاب عن الإشـكال الثـانى"، جـ ـ ١/٤٧١. "والتقسيم على هذا الوجه ما عليه إشكال"، جـ٢/٥٦. "اعلم أن المسـألة واضحة وفيها إشكالات"، جـ٦/٢٨١. "إن هذه المسألة تعد من المسـائل الغامضة فليدقق الناظر فيها ويمعن النظر"، جـ٦/٤٤٨. إشكالات النص، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٩٤. وأيضا هذا ما يتميز به "فتح الغفـار بشرح المنار" لابن نجيم الحنفى (ت٩٧٠هـ).

(٣) وذلك مثل كثير من الفقرات الشارحة لابن الفركاح فى "شرح الورقـات" للجوينى. الإبهاج فى شرح المنهاج: الإيضـاح (٢). فـواتح الرحمـوت جـ ١/٥٥. التوضيح بزيادة فعل جـ ١/٦.

(٤) الكاشف جـ٢/٩٧.

تدريجيا، خطوة خطوة. إذا اتضحت خطـوة أتـت الخطـوة التالية. وقد يكون مرة واحدة، جملـة واحـدة فـى خطـوة واحدة[1].

والشرح أيضا تنبيه بعد البيان، مفردا أو جمعا، تنبيها أو تنبيهات[2]. وتتوالى التنبيهات، التنبيه الأول ثم التنبيه الثانى. ولذلك تستعمل ألفاظ أخرى مثل التذنيب والتتمـيم والتتمـة والدقيقة وفائدة[3].

---

(١) "وإذا اتضح ذلك..."، الكاشف جـ ـ ٣/٢. "وإذا عرفـت ذلـك فنقـول"، جـ ـ ـ ٢/١٠٠، جـ ـ ـ ـ ٤/١٥٣/١٧٦/٢٦٤، جـ ـ ـ ـ ٥/١١/١٠٩، جـ ـ ٦/٢٦٨/٣٧٩/٥٤٥. "وإذا تقرر هذا فقد صار المـراد مـن قولـه"، جـ ـ ـ ٣/١٣٧. "وإذ قـد تبـين ذلـك"، جـ ـ ٤/٤٥٨. "وبالجملـة"، جـ ـ ٤/١٥٣/١٥٨/٣٥٧.

(٢) التقرير والتحبير: تنبيه (١٥)، تتميم (٢)، تتمة، تذنيب (١).

(٣) "التنبيه"، الكاشف جـ ـ ١ (١٢)، جـ ـ ٢ (١١) ، جـ ـ ٣ (٩)، جـ ـ ٤ (٨)، جـ ـ ٥ (١٦)، جـ ـ ٦ (١٦). "تنبيهـات"، السـابق جـ ـ ١/١٧١، جـ ـ ٢/٣٤/٤٥/٥١، جـ ـ ٣/٥٠٦، جـ ـ ٤/٢١٠/٣٤٣/٣٦٩/٤٧٨، جـ ـ ٥/٤٢. "تنبيهـان"، الكاشـف جـ ـ ٢/١٩٨، جـ ـ ٣/٢١٧، جـ ـ ٥/١٦١/٣٠٨/٥٧٢، جـ ـ ٦/١٥٤/٢٥٦/٣٢٧/٤٨٣. "تنبيهـات"، جـ ـ ٥/١٩٣/١٩٥/ ٢٠٦/٢١٢/٣٢٩/٥٠٧، جـ ـ ٦/٥٥. "وأمـا المسـألة السادسة فواضحة ولننبه على أمرين"، جـ ـ ٤/٤٥٥. نفـائس الأصـول: تنبيه، تنبيهات (٣٢٦). الإبهاج فى شرح المنهاج: التنبيـه (٨). مـذكرة أصول الفقه على روضة الناظر= =لابن قدامة للشنقيطى: تنبيه (٣). نشر البنود على مراقى السعود: تنبيـه (١٨)، تنبيهـان (٣)، تنبيهـات (١)،

وقد يكون الشرح تخصيصا، فإذا تحدث النص عن الفقه خصص الشرح بالمعنى الشرعى. وعقد مقارنة مـع العلـم. فكل فقه علم وليس كل علم فقها. فإذا تحـدث الـنص عـن الصحابة خصص الشرح بأنه عصر الصحابة. وإذا تحـدث عن الإسناد يبين الشرح أنه تـم إسـقاط بعـد الروايـات. فالتخصيص تعيين. السنة هى السنة المتواترة، والأمة المطلقة أمة هداية. وقد يكون التخصيص بالزمان وبالمكـان، فحكـم الأشياء فى النص ويضيف الشرح بعد البعثة. والتفصيل هو الطريق إلى الحكم الصحيح[1].

والشرح تفصيل للمجملات، مثل الحمد "على منواله" وشرح "على منواله" وتفصيل نعم ا على الخلق وتفضـيله للنوع الإنسانى، والتنبيه على أن البيض هى السـيوف، وأن الرماح هى السمر، وأن السود هـى البنـادق، وأن الشـرر متطايرة، وأن الجاريات هى المنشآت فى البحر كـالأعلام. ويستخدم الشرح صورا قرآنية للتقريب إلى الإفهام. فـالنص مجرد مناسبة للتجميع، وعرض الموضوع كله، والمقارنة مع

فائدة (١). "دقيقة"، الكاشف جـ٤٥/٥.

(١) شرح الورقات ص١٨/٥-٢١/١٩. الكافى جـ١٦١٥/١٦٠١/١٥٨٩/٤.

باقى العلوم، وضم العلمين معا، أصول الدين وأصول الفقه. وقد تكون التفصيلات بحكايـات وأمثلـة. ويعطـى سـياق الموضوع كله بمعلومات إضافية. فإذا كان المتن العام نوعان تم تفصيل النوعين فى مسموع ومطبوع. تضاف التفصيلات لإكمال الموضوع[(١)]. وقد يكون فى ذلك بعض التعالم. فناقل العلم ليس بعالم، والعالم هو الحافظ[(٢)]. والشرح إفاضة فـى المعانى مثل "صلى" أى إنزال الرحمة، والفرق بين الصحيح والأصح. فمن ضمن آليات تحديد الألفاظ التمييز بين لفظـين مثل الشراء والملك[(٣)]. واجتماع لفظ ولفـظ يكـون عبـارة. والشرح النمطى هى العبارة الشارحة[(٤)].

٤- سياق العبارة. ويكون الشرح لفظا بعبارة شـارحة يسبقها "أى" التى هى منظم المياه كى لا يغشى المطيعين موج

---

(١) الكـ ـ ـ ــافى جـ ـ ـ ــ ـ ١/١٥٠-١٥١/١٥٤/١٦٢/١٨٠/١٨٥/١٩٧/٢٦٣، جـ٢/٦٧١/٦٨٢/٧٧٢، جـ٣/١١٠٢-١١٠٣/١١٥٨/ ١٢٧٨، جـ٤/١٦٠١. شرح المنار: الإضافة وإكمال الموضوع (٣٦)، شرح مختصر المنار ص٣/٥. فواتح الرحموت جـ ١/٦/١٠.

(٢) الكافى جـ ١/٢١٥.

(٣) السابق جـ ١/١٩٥، جـ٢/٧٩٥. شرح مختصر المنار ص٤.

(٤) "إن النص قد يكون كلمة مفردة وقد يكون من كلمتين، وقد يكون مركبـا من كلمتين فصاعدا ويصير المجموع نصا"، جـ٥/٤٣. شـرح المنـار: العبارة الشارحة (٣١). فواتح الرحموت: العبارة الشارحة جـ ١/٦.

من النكبات[1]. قد يكون الشرح بيان لوجـه المـتن، وجـه الورود. كما يتم شرح الأفعال الحسية والأفعـال الشـرعية بعبارات شارحة. فالأولى ما تقوم على الحس والثانية ما تقوم على الشرع، فالصوم طاعة لأنه لا فساد فيه وعدم الصـوم معصية لأنه رد لضيافة ا . ويذكر الشارح صراحة "وجـه الإيراد". والدرهم أربعة عشر قيراطا، والكذب غير المشروع هو الحنث فى اليمين، وأحكام القرآن اسم كتاب للجصـاص، والحال يتصل بالمحل، والسفيه أى الذى يشتغل بما ليس لـه عاقبة حميدة، والحاشية أى صغار الناس، والإجازة أن يقول أخبرنى فلان بن فلان عن فلان، وكذلك المناولة، وتعريـف التعارض بأنه التعرض لحكم الدليل بالإبطال. والوجه مثـل الحال، والإلهام علم بشر يقع فى القلب يدعو صـاحبه إلـى العمل به من غير استدلال ولا نظر فى حجة.

ويتم شرح المصطلح مثل "دلالة النص" بعبارات شارحة

---

(١) الكافى جـ١ (٤) ، جـ٢ (١٠)، جـ٣ (٢٠)، جـ٤/ (٣). العبـارة الشارحة، ابن الفركاح: شرح الورقات ص٣٠٧/١١٤. العبارة الشـارحة فى الجزرى "معراج المنهاج" جـ١ (٦٦)، جـ٢ (٥٠). الأصـفهانى: شرح المنهاج جـ١ (٦٢)، جـ٢ (٦٩). الإبهاج فـى شـرح المنهـاج: العبارة الشارحة (٩٢). مناهج العقول "أى" (٨٠٠) وهـى أكثـر آليـات الشرح استعمالا. شرح مختصر المنار ص٥-٦.

عديدة حتى يتضح إذابة للسكر فى الماء. وكذلك الأمر فـى "دلالة العبارة" والتدقيق التعليم من جهة المعلم. وقـد يتغيـر الأسلوب، ويعاد صياغة العبارة بأخرى أكثر وضوحا حتـى يتضح حكمها[1].

وقد تكون المترادفات لعبارات بأكملها عبارات تعظـيم وتبجيل مثل "الغازى جازاه "عونا" أى ونصرا ووضـع لـه قدرا وذكرا". لذلك يقتبس الشارح عبارة أو فقرة من المـتن بين قوسين، ثم يقوم بشرحها كما هو الحال فى شرح آيـات القرآن وبعد غلبة العلوم النقلية ومناهجها على العلوم العقلية. وأحيانا يكون الاقتباس من أوله ثم يقال إلى آخره دون ذكـر المتن كله[2].

ويكون الشرح لتركيب الجملة وعطف ألفاظها بعضـها على بعض والدخول فى حركة المـتن، ومنطقـه الـداخلى، بداياته ونهاياته، بواعثه ومقاصده، أسئلته وأجوبته من أجـل البحث عن وحدة الموضوع سواء ما وقع أو لم يقـع، عـن قصد أو عن غير قصد. كما أن الشرح يكشف إشكال المـتن

(١) الكافى جـ٧٩٨/٧٥٦/٢، جـ١٠٧٧/٣. شرح مختصر المنار ص٣٠.
(٢) الكافى جـ١٥٢/١. شرح مختصر المنار ص٥.

وكيفية الإجابة عليه. ويتم الرجوع إلى السياق العام. ويظـل الشرح فى تركيب الجملة وبنية العبارة بعد الإعراب[1].

يتم الشرح إذن بالسياق، سياق الكلام، ووضع العبـارة الصغيرة فى سياق الكلام الأعم[2]. رد صدر الكـلام علـى الأحوال. فالمتن "راجع إلى المذكور قبله". وقد يكون السياق العمل كله، السابق واللاحق تأكيدا على وحدة الرؤيـة. وقـد يكون السياق نصيا، وضع الـنص فـى إطـار النصـوص الأخرى. وقد يكون تاريخيا، وضع النص فى إطار تاريخـه السابق واللاحق[3].

ويحيل الشرح إلى المتن نفسه، شرح النص بالنص كما هو الحال فى علوم التفسير، شرح القرآن بـالقرآن. مهمـة الشرح حينئذ تجاوز شرح اللفظ بـاللفظ، واللفـظ بالعبـارة الشارحة، والعبارة بمزيد من المعلومات التفصيلية بل أيضـا بالموضوع نفسه فى نصوص أخرى عـودا علـى بـدء[4]. فالسياق هنا سياق الموضوع كلـه مـن خـلال النصـوص

---

(١) الكافى جـ١ (١٣)، جـ٢ (٢٠).
(٢) السابق جـ٢ (٣)، جـ٣ (١٠). شرح المنار: السياق (٣).
(٣) الإبهاج فى شرح المنهاج: السياق النصى (٥).
(٤) الكافى جـ١ /٢٣٥/٢٤٠/٢٩٤، جـ٣/١٢٤٦، جـ٣/١٥٩٢/١٦٠٦.

المجمعة[1]. وقد يكون السياق خارج النص فـى الظـروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التى دون فيها النص وهـو السياق بالمعنى الشائع[2]. ويبدو ذلك فى وصف والمـذاهب تاريخيا بعد أن ذكرها المتن فكريا.

٥- اتساق الفكر. ويقوم الشرح بمراجعة فكر الـنص، مقدماته واستدلاله ونتائجه. فهو دراسة شاملة للنص لوضعه فى إطار أعم ولتصحيح أحكامه. لذلك تـرد لازمـة "وفيـه نظر"[3]. وقد تكون المقدمات مجرد شبه يلزم توضيحها. يبين

---

(١) فواتح الرحموت جـ ٣٥٠/١.

(٢) السابق جـ ٣٥٦/٣١٦/١.

(٣) الكاشف جـ ١٣٢/١. "لما فرغ من ذكر الدليل على ما ادعاه، شرع فـى الاعتراض فمنع المقدمة القائلة أنه إذا صدق عليه انه ليس بضارب فـى الحال يصدق عليه أنه ليس بضارب"، جـ ٩٦/٢. "وإذا ثبتت هذه المقدمة نقول"، جـ ١٠٩/٢. "ولنقدم على تحقيق ما اختاره المصنف مقدمات لابد منها"، جـ ٣٠٠/٢. بيان المقدمة الأولى جـ ٤٩٥/٢. "إن هذا الدليل مبنى على أن الفعل يتوقف على داعية. وقد سبق تقديم الداعية وبيان التوقف"، جـ ٣٦/٤. "إن هذا الدليل مبنى على قاعدة كلامية"، جـ ـ ٤٠/٣٨/٤. "إن هذا الدليل بناه المصنف على المذهبين جـ ٤٣/٤. "إن القائلين بـالتكرار شبها"، جـ ٢٩٦/٣. شرح المنار: مسار الفكر (١٥)، الإبهاج فى شـرح المنهاج: مسار الفكر (١٩). "إن المصنف رتب الكلام فى صيغ العمـوم وبيان كونها دالة على الاستغراق بالتفسير المذكور على فصول أربعـة"، جـ ٢٤٨/٤. "إن ترتيب الكلام المستفاد من علم النظر.."، جـ ـ ٢٩٩/٤. نهاية السول جـ ١ (٣)، جـ ٢ (١٢). ابن الفركـاح: شـرح الورقـات

الشرح مقدمات النص، وهى الأسس التى يقوم عليها الفكـر ويبدأ منها الاسـتدلال. فـإذا وضـحت المقـدمات اسـتقام الاستدلال، ووضحت النتائج. وقد تكون المقدمات من الشارح تمهيدا للشرح وتأسيسا له. وتتسلسل المقدمات، واحـدة تلـو الأخرى بعد إيضاح كل مقدمة. وقد تكـون مشـتركة بـين المستدل والمعارض. قد لا تكفى المقدمات وتكون فى حاجة إلى مقدمات أخرى(1). وقد تستبدل بالمقدمات مقدمات أخرى

ص١٣٢/١١٦-١٣٤. الجزرى: معراج المنهاج جـ ـ ١ (٣١)، جـ ـ ٢ (١٥)، الأصفهانى: شرح المنهاج، مسار الفكـر جـ ـ ١ (٢٩)، جـ ـ ٢ (٢٦).

(١) "فإذا اتضحت هذه المقدمة فنقول"، الكاشف جـ ١/٢٨٤. "إن دليل الخصم له مقدمات"، السابق جـ ١/٢٣١. "وهذه المقدمة ضـرورية.."، السـابق جـ/٣٣٣. "وبيانه هو أن دليل المعجزة له مقدمتان"، جـ ـ ١/٣٣٨. "وإذا صحت هذه المقدمة"، جـ٢/٢١٢. "فهذه مقـدمات ثـلاث لابـد منهـا"، جـ٣/١٨٨. "من جملة مقدمات هذا الدليل"، جـ٣/٢٣٠. "فلنقـدم عليـه مقدمة كاشفة عن حقيقة المفهوم"، جـ٣/٣٥٢. "بقى الكلام فى شرح المتن فلنقدم عليه مقدمات"، جـ٤/١٥٣. "ولنقدم علـى هـذا الكـلام مقدمـة فنقول.."، الكاشف جـ٢/١٠. "وإذا اتضحت هذه المقدمـة"، جـ ـ ٢/١٠. "وإذا اتضحت فائدة المقدمة التى قدمها"، جـ٢/٥٧. "ومن المعلوم أن هذه المقدمة وحدها لا تفيد المطلوب فقد بان سقوط السـؤال"، جـ ـ ٣/١٣١. "لابد من تقديم مقدمات على الخوض فى العموم"، جـ ـ ٤/٢٠٧. "فهـذه المقدمة مشتركة بين المعلل والمعتـرض"، الكاشـف جـ ـ ٢/٩٩. "فيـه تفصيل" جـ٤/٨٢. شرح المنار: الاستنتاج (٣٤). مناهج العقول: النتائج

أكثر وضوحا وقدرة على الاستنتاج منها والاستدلال بها(1).

وقد يقوم الشرح بوصف مسار الفكر، مقدماته ونتائجه، بداياته ونهاياته، منطلقاته وغاياته(2). وقد يكون ذلك فى فقرة كاملة قبل بداية الشرح. وفى هذا الحال يكون الشرح للبنيـة التى لم تمس، وأخذت على أنهـا حقيقـة مسـلم بهـا، دون التساؤل حولها أو إمكانية إعادة بنائها أو تغييرها. وقد يكون المسار للعصر كله أى الفكر من خـلال الزمـان والتـاريخ والإشارة إلى أهل كل زمان ومدى استعمالهم لهذا الأصل أو

---

(١٠).

(1) "إن هذا منع للمقدمة القائلة بأن فعل الشىء مشروط بالعلم به وتوجيهـه"، جـ٤/١٠٧. "ما ذكره المصنف من مغالطة شـبيهة بـالبراهين. وحـل المغالطة ليس بالنقص بل ببيان فساد مقدمة من مقـدماتها كمـا فعلنـا"، جـ٤/١٥٨. "لابد من تقديم مقدمة على شرح المتن فنقول"، جـ٤/٢٩٢. "إن التحقيق أن نبين فساد مقدمة من مقدمات الدليل، والمعارضـة هـى الدليل الدال على نقيض ما ذكره المستدل أو ضده. والنقض أن توجه على مقدمة من مقدمات الدليل. فهو معارضة فى المقدمة وإن توجه بعد تمـام مقدمات الدليل وسلامتها عن المنع والمعارضة. فهو معارضة فى الحكم"، جـ٤/٣١١-٣١٢. "إن فيما ذكره المصنف منع لمقدمة من مقدمات الفرق فلا يتجه منعه أصلا لما ذكرنا أن المنع لا يستقيم"، جـ ـ٤/٤٧٧. "بيـان هذه المقدمات ظاهر"، جـ٥/١٠٠.

(2) الكافى جـ٢/٦٣١، جـ٣/١١٥٣/١١٩٤/١٣٩١/١٤٤٨.

ذاك من أصول الفقه[١]. وينتهى الشرح إلى نتائج مستقاة من المقدمات بعد إحكام منطق الاستدلال وكما هو الحال فى المنهج الرياضى. ومن ثم يستحيل التناقض والاستحالة. وتندفع الإشكالات بأسرها[٢].

يكون الشرح إذن بيانا لمسار الفكر، وتوضيحا لمنطق الاستدلال فى النص المشروح. لذلك يكثر استعمال لفظ "البرهان" و"الدليل"[٣]. ويمكن قراءة الدليل على نحو آخر

---

(١) "لما كان أهل الزمان يستعملون القياس"، الأصفهانى: شرح المنهاج جـ٧٤٧/٢.

(٢) "وقد اتضح مما ذكرناه أن وجوب القضاء إنما يعتمد انعقاد سبب وجوب الأداء، لا وجوب الأداء، وذلك هو المطلوب، وبه يفسد قول من قال: وجوب القضاء يعتمد على وجوب الأداء"، الكاشف جـ٢٩٠/١. "وذلك محال"، الكاشف جـ٨٨/٢. "وذلك هو المطلوب"، جـ١٤٤/٢، جـ٤٣٢/٣. "فالحاصل أن أحد الأمرين لازم"، جـ٥٤٤/٢، "والحاصل"، جـ٢٦٩/٦. "إن هذه الوجوه معارضة فى حكم المسألة"، جـ١٠٩/٤. "أما المعارضة= =الثالثة والرابعة فظاهرة غنية عن الشرح"، جـ١١٠/٤. "وذلك ممنوع فاندفعت الإشكالات بأسرها"، جـ٢٤٨/٤. "وإذا ثبت ذلك فلا يمكن أن ينطق التحريم والتحليل بالأعيان فخرج اللفظ عن ظاهره وباقى الكلام ظاهر"، جـ٥٦/٥.

(٣) لو كان كذلك لما افتقر إلى إثباته إلى البرهان"، جـ٤٤٩/٤. "إن ما تمسك به المخالف لا دلالة له على محل النزاع أصلا"، جـ٥١٣/٥. "فإنه ليس فى كلام المصنف عن الأدلة ما يقتضى المكنة من اجتناب المنهى عنه باجتناب أى فرد كان.. وربما افتخر بذكر هذا الكلام المجرد واتجاهه

وتوضيحه وبيان وجه الاستدلال فيه فيما يتعلق بأنماط السلوك. كما يتم توضيح المقدمات التى يستند إليها الدليل. وقد يكون الدليل واضحا ولكن الشرح يعطيه مزيدا من الإيضاح. ويسير مع الأدلة المثبتة والنافية، المؤيدة والمعارضة وما لا دليل عليه يجب نفيه[1].ويتم تفصيل الدليل وبيان مكوناته ومراجعة كل منها حتى يصبح أكثر إحكاما[2]. ويتم بيان وجوه الدليل، وأوجه الاستدلال[1]. يبين

على المصنف"، جـ ٢٩/٥.

(١) الكاشف جـ ١٧٦/١-١٧٧، جـ٣/٤٥٠-٤٥٢. "ولننظر الآن فى أدلة المثبت والنافى"، جـ٦/٥٩٢. "والدليل على ذلك"، جـ ٢/٢٥/٩٤. "والدليل عليه"، جـ٢/١٢٥، جـ٤/٢٤٢/٤٠٨/٥٧٢. "وحاصل الدليل"، جـ٦/٤٦٣. "والدليل عليه"، جـ٦/٥٩٥. "وأما الدليل الذى ذكره فلنشرحه أولا ثم نبين ما فيه من الخلل"، الكاشف جـ ٢/٩١. "إن تمام إيضاح هذا الدليل"، جـ٣/١٩٩. "هذا شرح هذا الدليل وهو ضعيف"، جـ٤/٣٦. "اعلم أن هذا الدليل واضح بأسئلته وأجوبته إلا أنه يحتاج إلى تنبيهين"، جـ٤/٦١. "إنه يمكن تقرير هذا الدليل على وجه آخر"، الكاشف جـ٣/١٧١. "إن هذا الدليل يفيد أن الأمر للوجوب"، جـ٣/٢٠٧. "إن هذا الدليل مبنى على القول بجريان القياس فى اللغة"، جـ٣/٢١٢. "إن هذا الدليل مركب من مقدمتين"، جـ٣/٢٢٠. "إن هذا الدليل يعود حاصله إلى أن ثبوت الحكم فى إحدى الصورتين"، جـ٣/٤٦٣. "إن هذا الدليل ظاهر، وهو قياس استثنائى"، جـ٣/٤٤٧.

(٢) "إن هذا الدليل مبنى على مقدمات"، جـ ٤/٣٠. "وإذا عرفت هذه المقدمات فقد عرفت..."، جـ٥/٢١٠. "إن الدليل المذكور مبنى على

الشرح مسار الفكر وطرق الاستدلال فى النص ويبرز أوجه الاستنباط ومقدمات القياس ونتائجه[2]. لذلك يذكر لفظ الدليل والأدلة والاستدلال وفعل يدل[3]. ويستكمل الشـارح أشـكال الاستدلال النظرى حتى يكون المتن أكثر إحكاما.

وقد يكون المسار فـى أول الكتـاب وصـفا للأبـواب والفصول والترابط بينهما. فالمسار وصف للبنيـة، والبنيـة

مقدمتين"، جـ٦/٤٧٦.

(١) شرح المنار: الدليل (٢). الكاشف جـ١/٢٣٩. "إن هذا الـدليل واضـح غير أنا نزيده إيضاحا وتقريرا"، جـ٣/٢٣٢، جـ٤/٤٨. "لما فرغ مـن المعارضة فى المقدمة عارض حكم المسألة بوجوه وهـى ظـاهرة فـى الأصل إلا الوجه الثانى والثالث فنقول.."، جـ٤/١٢. "إن هـذا الكـلام معارضة فى حكم المسألة وبيانه أن نقول"، جـ ـ٤/١٣٢. "إن المصـنف تمسك فى إثبات هذا المطلوب بدليلين"، جـ٤/٢٧٣. "إن هذا هو الـدليل الثالث الدال على أن صيغة ما للعموم ووجه الدلالة"، جـ ـ٤/٢٨٦. "إن المصنف أجاب عن الوجوه العقلية بالنقض بأصل التكليف. وهو واضح. والتكليف واقع باتفاق نفاه القياس والقائلين به"، جـ٦/٣٨١.

(٢) "إن هذا الدليل مبنى على مقـدمات"، جـ ـ٤/٣٠. "وإذا عرفـت هـذه المقدمات فقد عرفت..."، جـ٥/٢١٠. "إن الدليل المذكور مبنـى علـى مقدمتين"، جـ٦/٤٧٦.

(٣) شرح الورقات ص٢٠-٢١/٢٣. نهاية السؤل جـ١/٥١/١٠٣/١٣٢. ابن الفركاح: شرح الورقات ص١٥٥/٢٧٩/ ٣٢٦/٣٥٢. الجزرى: معـراج المنهاج جـ١/٩٢/١٩١/٢١١. الإبهاج فى شرح المنهـاج: الاسـتدلال، الدليل (١٢).

مسار بلا حركة[1]. وقد يكون الغالب على أسلوب الشرح هو وصف المسار أى بيان منطق الاستدلال. تبدأ العبارة بحرف "لما..." ونادرا ما تكون هناك بدايات خارج هذه الصيغة[2]. ويكشف الشرح عن "خيال الدور" أى الدور المنطقـى فـى الاستدلال فى الصلة بين المعجز العقلى والتصديق القولى[3]. كما يبين مسار الفكر واتجاهه إما عن طريق القياس وإما عن طريق مقدمات أخرى تستلزم منها نتائج أخـرى[4]. ويبـين الشرح مسار الفكر من السؤال إلى الجواب، ومن المسألة إلى

---

(١) "لما كان الخوض فى العلم مسبوقا بتصوره قدم تعريف أصول الفقه على مباحثه"، جـ ٢/٦٧٤.

(٢) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقـه للمـاردينى الشافعى، مثلا ص١٢٣/١٣٢-١٣٣/٢٠٧. وأيضا "التقريـر والتحبيـر" لابن أمير الحاج. تيسير التحرير جـ ٢١٥/١. نشر البنود علـى مراقـى السعود جـ ٢٠٧/١. فواتح الرحموت: مسار الفكر جـ ٣٩٥/١، الاستنتاج ص٣٤٦، إكمال الاستدلال النظرى جـ ٣٤/١، البرهان العقلى جـ ٦٧/١.

(٣) "وإنما نشأ خيال الدور من كون المعجز العقلى أفاد مما يفيـد التصـور القولى. وهذا وهم لأن اشتراك المختلفين بالحقيقة فى بعض العوامـل لا يوجب اشتراكهما فى الجميع"، جـ ٢٣/٦. "إن هذا الكلام ظاهر، والـدور ممنوع"، جـ ٥٧٢/٦.

(٤) "إن هذا الجواب يتجه اتجاها تاما. أما إذا كان الوجه الذى هـذا جوابـه مقررا بطريق القياس، وهو ضعيف، فقد نبهنا على ضـعف مثـل هـذا القياس وإما إذا قرر الوجه الذى هذا جوابه بالطريق الذى ذكرناه فلا يـتم هذا الجواب إلا بضم مقدمة أخرى إليه"، جـ ٧٤/٤.

الحل[1].

٦- تعليل الحكم. وإذا كان النص فصلا من أصول الفقه يبين الشرح الانتفاع به. فالشرح يعطى الغاية بحروف العلـة مثل لام التعليل. والتعليل بالعلة الغائية بيان القصد والهدف. فالعلة الغائية هى العلة الفاعلة بالأصالة. فلفظ "لأن الغرض" لا يعنى العلة الفاعلة بل العلة الغائية. وقـد يكـون بالفـاء للتعاقب، وترتيب شىء على آخر[2]. وقد يقدم الشرح التعليل "لماذا قال المصنف ذلك؟ ولماذا أخذ هذا الموقـف؟ ولمـاذا أصدر هذا الحكم؟ ويكون التعليل بحروف العلـة المعرفـة خاصة "لأن". فالعلة هنا هى العلـة الفاعلـة أو المـؤثرة[3]. وتبدو ألفاظ التعليل مثل "لأن"، "فإن"، "لما أنه"...الـخ. وقـد يذكر اللفظ مباشرة، التعليل أو السبب، بنـاء علـى "وهـذا علة"[4].

(١) "إن المصنف أجاب عن قوله أمر الرسول..."، جـ٤/٩٣.

(٢) السابق ص٣/٥-٧/٩/١٠/١٤/٢٣. "ولأجل هذا"، نهاية السول جـ٢/٧. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٩٨/ ١٢١/٢٠٣/٤٩٢. مناهج العقـول: التعليل (٥٠). وفواتح الرحموت مملوء بالتعليل.

(٣) الكاشف جـ١/١٢٩/١٧٠.

(٤) الكافى جـ١ (١٩)، جـ٢ (٥٠)، جـ٣ (٦٥)، جـ٤ (٦). ابن الفركاح: شـرح الورقـات ص١١٧/١٥٩/١٩٢/٢١١/ ٢٢٣/٢٢٨/٢٤٠. شـرح

ويذكر الشرح التعليل للحكم بعد أن تركه الـنص غيـر معال. فالحكم بالكفر على أحـد لأن بـه إنكـار للشـرائع كالصلاة، والعلم هو العلم النافع لأنه وسيلة للعمـل، والعلـم مقصود لأنه ابتلاء وتقديم الصحابى لأنه قريب من الرسول، والتقييد بأحكام الشرع لأن فيه عبرا وأمثالا وإخبارا. فى هذه الحالة يكون التعليل اعتذارا للمتن وتبريرا له وبيـان وجـه الاحتراز فيه. ويمكن المصادقة على تعليل المتن دون إعطاء تعليل جديد[1]. وقد يكون التعليل لمسار الفكر احترازا عـن شىء[2].

وقد يركز التعليل على النتائج الناشئة عن المقـدمات[3]. واتساق القول "فيستقيم حيث إطلاق القول". فالعلة هنا أقـرب إلى الحد الأوسط المشترك بين المقدمة الكبـرى والمقدمـة الصغرى فى القياس. ومن النتائج المستنبطة ما يعلن عنهـا

المنار: التعليل (١٧٩). الإبهاج فى شرح المنهاج: التعليـل (٥). شـرح مختصر المنار ص١٠. شرح المنار ص٤٣٩/٢٤٣.

(١) الكافى جـ ٢٠٩/١.

(٢) السـابق جـ ـ (٧)، جـ ـ ٣ (٤). نهايـة السـول جـ ـ ١٠٢/١، جـ ١٥١٣/١٤٨٧/١٣٠٧/١٠٨٣/٣.

(٣) الكافى جـ ٧٧٦/٦٠٦/٢، جـ ١٥٣٣/٣.

فى الشرح بلفظ فائدة، فائدة جليلة، فوائد[1].

وتكون العلة غائية عندما يبين الشـرح قصـد الفكـر، وهدف النص، وغاية المؤلف. فالفكر قصد واتجاه. وهو الذى يحدد اللفظ والمعنى والشىء. وهى قدرة على تحليل الـنص كقصد فى وعى المؤلف أولا قبل أن يتحقق فى النص. وقـد يكون القصد إيجابا أم سلبا، ما يقصده النص المشروح أو ما لا يقصده، ما يريده مؤلفه وما لا يريده[2]. الموضوع قصـد فى الشعور، ومسار فى الفكر. لذلك كثـرت ألفـاظ الإرادة

---

(١) نفائس الأصول: فائدة، فائدة جليلة، فوائد (٣٠٢).

(٢) الكاشف جـ ١٣١/١. "اعلم أن هذا الفصل مقصود لبيان أن الحاجة داعية إلى تعريف العلم والظن والنظر والحكم الشـرعى والـدليل والإمـارة"، السابق جـ ١٥٥/١. والمقصود فى هذه المسألة جـ ١٢٢/٢. "إن الغرض المقصود من المسألة"، جـ ٣٢٧/٢. "إن المقصود فى هذه المسألة بيـان الفرق بين المطلق والعام"، جـ ٢٤٢/٤. "اعلم أن المراد بـ "غيرهما" مـا عدا النسخ والاستثناء من أنواع التخصيصات بالأمور المنفصلة على مـا سيأتى بيانه مفصلا"، جـ ٣٩٥/٤. "إن المقصـود فـى هـذه المسـألة"، جـ ٣٩٦/٤. "المراد بقوله.."، جـ ٥٦٠/٤. "اعلم أن المراد من الفعل مـا هو حقيقة وليس المراد منه الفعل الصناعى"، جـ ٦٢/٥. نهاية السـول، جـ ٣٨٤/١. ابن الفركاح: شـرح الورقـات ص١١٦/١٢٤/١٦٠/٣٥٥. الجزرى: معراج المنهاج جـ ٤٨/١/٨٠/٢٣٥/٢٤٣، جـ ١٤٧/٢/١٥٢. شرح المنار: الإرادة والقصد (٢١). الإبهاج فى شرح المنهـاج: القصـد (٧). مناهج العقول: القصد (٤٠).

والقصد مثل "يريـد"، "يقصـد" وأيضـا أسـماء "غايـة" أو "غرض"[1].

٧- تعيين الشىء وضرب المثـل. والشـرح إظهـار لإحالات حروف العطف مثل "الواو"، وأسماء الإشارة مثـل "هذا"، والصلة مثل "الذى"، وصفات الملكية مثل "الهـاء"[2]. فهذه أى الثلاثة، والأولان هما كلمة كل وكلمة من، وهذا أى الأصل. وإذا تمت الإحالة إلى ما تقدم يعينه الشرح بأنه عمل الراوى وتعيين "سرف" بأنه جبل فى طريـق المدينـة. وإذا تحدث المتن عن القسم الثانى يعينه الشارح بأنه التأييد الـذى ثبت دلالة. والثالث هو الواضح، والثانى نسخ الكم، والثالـث نسخ التلاوة، والصيغة هو الإعجاز، وما ذكر هـو جـواز الصلاة.

وقد يكون التعيين للموضوع أو للوجوه أو للغـرض[3].

---

(١) القرافى: نفائس الأصول، "يريد" (١٢). الجزرى: معراج المنهاج (٢٣). الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ٤٤/١، جـ ٧٨٧/٢. فـواتح الرحمـوت: "التعبيران قصد.." جـ ٦٤/١، "المقصود" جـ ١١٠/١.

(٢) الكافى جـ ٢ (٢)، جـ ٣ (١٣). شرح مختصر المنار ص٧/٤.

(٣) الجـــزرى: معـــراج المنهـــاج، تعيـــين الموضـــوع جـــ ٤٣٦/٤١٢/٣٩٤/٣٨٦/٣٨٧/١. تعيـين الوجـوه جــ ٢٠٦/١، جـ ٢٨٩/١١٦ /٨٧/٢. تعيين الغرض جـ ٣٨٣/١٢٩/١. شرح المنـار:

ويكون التعيين بمزيد من التعريف بصاحب النص المشروح مثل "الورقات" للجوينى، نسبه ولقبه ومولده ووفاته وأساتذته وتلاميذه ومؤلفاته[1].

والشرح إظهار للمضمر، والنطق بالمسكوت عنه مثـل "الذى جرى به القلم" وشـرحه أهميـة الأسـلوب واختيـار الألفاظ. و"ربنا المجازى" لمن جاهد لقطع عـروق الضـلال وحرض المؤمنين على القتال. والشارح على وعـى متـى يصرح المتن "من قبيل التأييد الصـريح فـى الاسـتعمال". فالنص يوجب حكما[2]. كما أن الشرح يكون للأسلوب وليس فقط للمضمون مثل "هذا توسع فى العبارة" من أجل التـدقيق فيه، وقد العبارة على قد المضمون[3].

وقد يكون الشرح إكمالا للاسم مثل "عبد المجيد" فيضاف خان أو تحديدا للمؤلف مثل المنار لحافظ الـدين عبـد ا النسفى أو للعلم فى علم أصول الفقه، والنعمان هو أبو حنيفة،

تعيين الوجوه (٣). مناهج العقول: أسماء الإشارة (٢٠٠).

(١) ابن الفركاح: شرح الورقات ص٧٧.

(٢) شرح مختصر المنار ص٤-٥.

(٣) الكافى جـ٩٧٤/٥٨١/٢، جـ١٤٠٢/١٠٧٤/٣، جـ ـ١٥٩٤/٤. ابـن الفركاح: شرح الورقات ص٣٠٩. شرح المنار: إظهار المضـمر (٣٠). فواتح الرحموت جـ ١١/١.

ومشياخنا هما أستاذانا الإمام أحمد الطواويسى والإمام شمس الدين الحلوانى. ويعين الشاعر بأنه رؤية. يكون التعيين بالشخص مثل اسم راو هو أبو الحسن البصرى وأبو سعيد هو الحزرى. والخطابية أى طائفة من الروافض، وتعيين المثبت بأنه النجاسة، والصحابة مثل الحسن وسعيد بن المسيب والنخعى والشعبى[1]. مهمة التعيين الخروج من اللغة إلى العالم، ومن اللفظ إلى الشىء، ومن العبارة إلى الواقع. تحيل اللغة إلى العالم الخارجى كما هو الحال فى المعنى الاشتقاقى مثل "العرنيين" من "عرنة" وهو واد بحذاء عرفات[2].

يكون الشرح إذن بالتعيين وزيادة فى الوصف مثل "صحبه" الذين جاهدوا معه فى سبيل ا ، ومحمد بآثاره وسيرته، و"سلطان الأمم" وهو ولى كل جماعة. ويكون الشرح للعنوان مثل الفقه الأكبر لشرفه، موضوعه وهى

(١) الكافى جـ١/١٥٥-١٧٣/١٥٦، جـ٣/١٣١١/١٣٦٢/١٣٦٥/١٤١٥، جـ١٥٩٣/٤. نهاية السول جـ٢٤٤/٢. شرح المنار: التعيين بالإحالة إلى الخارج (١٥١).

(٢) شرح المنار ص٢٨٩. الإبهاج فى شرح المنهاج: التعيين بالشخص (٢). شرح مختصر المنار ص١٧/٦/٥.

الذات الإلهية، ويتم شرح "ونحوهما" أى كقوم ورهـط. وإذا ذكر التعطيل بين الشرح أنها فرقة المعتزلة. ويكون التعيـين بالبعض أى بالجزء من الكل مثل بعض المتفقـين. ويكـون التعيين بالخاص للعام[1]. ويكون الشرح وصفا للشىء وتعيينا له. فإذا كان النص "ورقات" أضاف الشرح "قليلـة"[2]. وقـد يكون التحديد العينى بالتحديد الكمى من أن أكثـر الحـيض عشرة لا غير[3]. والمقدر هو المقدر بالكيل. ويكون بالحركة مثل الأرجل بالخفض[4]. ويكون بالموضوع والإشارة إليـه وتكراره والتنبيه عليه[5]. ويكون بالشخص مثل: أبـو علـى (الجبائى)، أبو الحسين (البصرى)[6]. وقد يكون بالشرط مثل "إذا" والغائية بحروف مثل "حتى" أو الاستثناء[7]. ويكون فى

(١) الكافى جـ١/١٥٧/٢٠٧/٣٤٣، جـ٣/٣٦٠/١٥٢٣. ابـن الفركـاح: شـرح الورقات ص٩٠/٢٠٧/٢١١/٢١٨/٢٤٥. شرح المنار: إكمـال الوصـف (٩). شرح مختصر المنار ص٤/٥.

(٢) السابق ص٣.

(٣) الكافى جـ٣/١٣٩٨/١٤٦٥/١٤٦٨. شرح المنار: التحديد الكمى (٢).

(٤) الكافى جـ٣/١٤٠٠.

(٥) مناهج العقول: التعيين بالموضوع (٤٠).

(٦) السابق جـ٢/٣٤٢.

(٧) الكافى جـ٢ (١٢)، جـ٣ (١٣).

الزمان، مثل الطلاق فى الحال[1]. والشبهة فى الصدر الأول.

ويكون الشرح بضرب المثل علـى القاعـدة العامـة، فالقضاء مثل فعل اللاحق. ويكون المثال حكاية. ويضـرب المثل من أجل توضيح الحكم. وهو نوع من التعيين. فأفعـال الحج مثل الوقوف والطواف والسعى والرمى، وصفاتها كيفية هذه الأفعال، ومعيارها خلاف الصوم، ومثل تحريم نكاح ما نكح الآباء، وبيع الملاقـيح والمضـامين. المثـل إضـافة وتوضيح، جمع بين العام والخاص. والاسم المطلق هو اسـم الصلاة، والشرط هو تعيين النية. وشرط الرخصة هو حقيقة العجز، والنذر هو النفل، وأشهر الحج من هذا العام، والخلل فى ركن العقد هو الإيجاب والقبول، وفى محله هو المبيـع، والمشـتري قـد يكـون غاصـبا، والحكـم يتعلـق بالحرية[2].ويضرب الشرح المثل إذا كان المثل مجردا لمزيد من التوضيح[3]. وتتكاثر الأمثلة من أجل التوضيح، وتفصيل

---

(١) جـ٢/١٠٢٧، جـ٤/١٦١٥. الأصفهانى: شرح المنهاج جـ١/٢٧٨. شرح المنار: تحديد الشرط والاستثناء والغاية (٤٩).

(٢) الكافى جـ١ (٢)، جـ٢ (٢٠)، جـ٣ (١٦)، جـ٤ (١). شرح مختصر المنار ص١٢.

(٣) نفائس الأصول ص٣/٥-١٠/٨-١٩/١٥-٢٢/٢٠.

العام إلى الخاص، فالقواعد الأصولية استقراء معنـوى مـن جزئيات الشريعة[1].

وقد يكون المثل حكاية طويلة أو قصة تاريخيـة، وقـد يكون قولا أو فعلا أو افتراضا أو مثلا فقهيا. وقد يكون مـن الشعر[2]. يكون المثل فقهيا نظرا لارتباط علم الأصول بالفقه وليس مثلا عقليا من افتراض الذهن. وقد يكون المثـل مـن الأصول، والمادة أصولية من أجل إكمـال المـادة العلميـة لإعطاء الصورة الكلية. فالنص تركيز والشرح إسهاب. ومن ثم يصبح النص الأصولى نصا وشرحا نصا كـاملا وافيـا شاملا[3].

سادسا: الأدلة العقلية والنقلية.

١ - الأدلة النقلية. ويضيف الشرح الشواهد النقلية مـن آيات وأحاديث لتقوية النص وإرجاعهـا إلـى مصـادره[4].

---

(١) السابق جـ ١/١٣٠/٣٢٨، جـ ٤/٥٠٠، جـ ٦/٥٢٥/٦٠٢.

(٢) السابق: ضرب المثل (٣). ابن الفركاح: شرح الورقات ص٢١٢/٢٣٨. الجزرى: معراج المنهاج جـ ١/٣٩/٤١/٥٦/٨١. شرح المنار: ضـرب المثل (٧٤). مناهج العقول: ضرب المثل (٩٠).

(٣) السابق ص٦-٩.

(٤) لم نشأ نعطى إحصائيات عن عدد الآيات والأحاديث المضافة فـى كـل

فالوجوب مخالفته تقتضى العقاب مثل ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تعيهم فتنة أو يصيبهم عذاب ألـيم﴾. ويرجـع الشارح الخلاف فى الآراء إلى خلاف فى تفسـير الآيـات. وأحيانا يتم شرح الدليل بصيغة أكثر تجديدا من المتن وأقـل وضوحا منه[1]. وقد لا تذكر آية بأكملها بـل نصـفها فقـط لإكمال النصف الأول المذكور فى المتن[2].

ويكون ضرب المثل بالحجج النقلية زيـادة فـى مـادة الشرح، خاصة الآيات كرصيد أول ثم الأحاديـث كرصـيد

الشروح على النصوص وقياس مقدار الزيادة حتى لا يغالى فـى مـنهج تحليل المضمون. وأحيانا يتوقف الإحصاء الكمى عن إعطـاء أى دلالـة كيفية أكثر من الملاحظة الرئيسية.

(١) الكافى: جـ ١ (٢)، جـ ٢ (٢٢)، جـ ٣ (٤٧)، جـ ٤ (٣). أمثلـة مـن النقل، ابن الفركاح: شرح الورقات، حديث (٩٤)، آية (٧٧). الجـزرى: معراج المنهاج، آية (٢١٠)، حديث (١١٨). الأصفهانى: شرح المنهاج، آية (٢٠٦)، حديث (١٠٣)، الآثار (٢١). ابن نجيم: فتح الغفـار بشـرح المنار، آية (٢٣)، حـديث (٦). شـرح= =مختصـر المنـار ص١٠- ١٢/١٤-١٦/١٩/٢٣-٢٦/٢٩-٣٣. شرح المنهاج، آية (١٣٥)، حـديث (٤٨). الإبهاج فى شرح المنهاج، آية (٦٨١)، حـديث (٢٠١). منـاهج العقول، آية (٣١٩)، حديث (١٦٢). التحقيقات فى شرح الورقات، الآيات (١١١)، الأحاديث (٦١). شرح المحلى على جمـع الجوامـع للسـبكى، الآيات (٣٦٥)، الأحاديث (١٥٥).

(٢) فواتح الرحموت جـ ١/٦٥/٤٠٨.

ثان[1]. وتضاف الآية إلى الشرح كمثل أو مصدر أو أصـل. وتكثر الحجج النقلية وتتوالى تباعا فى وقفة واحـدة، تـأليف محتبس فى قناة واحدة، دفعة فى تيار واحد مثل آيات الناسخ والمنسوخ[2]. وعلى هذا النحو يعود علم الأصول إلى أحـد المصادر التى نشأ منها وهى علوم القرآن أو علم التفسـير. فقد كان أصول الفقه فى المصدر الأول وفى كثير من مباحث الألفاظ تنظيرا للقرآن مثل "أحكام القرآن" للجصاص، وكمـا كانت "الرسالة" تنظيرا لمناهج السنة فى الرواية والقرآن فى البيان. لذلك كثر الرواة والمحدثون والمفسرون والصـحابة والتابعون بدلا من الأصوليين. وطغى السند على المتن[3].

واستمرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مادة غزيرة للشرح كمعين لا ينضب متوافرا دائما فى الموروث الثقافى. والآيات أكثر من الأحاديث. وتتوالى فى الشرح آية وراء آية مادام النبع فياضا[4]. ويكمل الشرح الآيـة أو الحـديث ثـم

---

(١) السابق ص٦/٩-١٢.

(٢) شرح الورقات ص١٥.

(٣) مثل شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ)، (جزءان).

(٤) الكاشف: الآيات (٥٦٩)، الأحاديث (١٤١). نهاية السؤل جـ١/٣٨٠. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصـول الفقـه للمـاردينى الشافعى: الآيات (٦٤)، الأحاديث (١٢). التقريـر والتحبيـر: الآيـات

يضيف عليهما آيات وأحاديث أخرى.

وبطبيعة الحال تزيد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار فى الشرح عنها فى المتن[1]. كما قد يكون النقل حوار أو خبرا أو حكاية. وتكثر الحجج النقلية من الآيات والأحاديث فى كل الشروح. فهى مادة موفورة من أجل التجميع والزيادة.

ويقوم الشرح بمراجعة الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث اعتمادا على علم التفسير وعلم مصطلح الحديث للتحقق من حسن الفهم والتأويل للآيات، وصحة الروايات للأحاديث. ويتم التحقق من حسن التفسير عن طريق تحقيق المناط ومعرفة الأفعال التى يصفها النص فى الواقع الخارجى. وقد يكون حسن التأويل عن طريق الألفاظ، وهى مباحث الألفاظ عند الأصوليين. ومن ثم أتت ضرورة بيان

(١٣٩٠)، الأحاديث (٢٥٧). فتح الغفار: الآيات (٢٦٥)، الأحاديث (٧٠). فتح الودود على مراقى السعود: الآيات (١١٠٠)، الأحاديث (٢٠). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر: الآيات (٢٣٣)، الأحاديث (٥٠). فواتح الرحموت: الآيات (١٦٢)، الأحاديث (١٠٨).

(١) الكافى شرح البزدوى للسنغاقى: الآيات (٣٤١)، الأحاديث (١٧٩)، أفعال الرسول (٢٠)، الآثار (٢٢) عمر (٦)، على (٤)، ابن مسعود (٣)، ابن عباس، أنس، عائشة (٢)، مجاهد ابن عمر، أبو بكر (١)، الأمثال (٨). "جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى" للكاكى: الآيات (٤٥٠)، الأحاديث (١٩٥).

وجه الدليل النقلى[1]. كما يختلف الأصوليون فى فهم الآيـة بين العموم والخصوص أو الظاهر والمؤول[2].

كما يتم الاستشهاد بالأحاديث ووجه التمسـك بهـا. وإذا خالف مذهب الراوى روايته أو إذا خالفها مذهب الصـحابى أو التابعى فلمن الأولوية؟[3] فإذا كان الشرح من الحديث تمت الإضافة فى السند واختلاف الروايات من أجل إضافة مـادة علمية، صولات وجولات فى لاموضوع، حول نقطة هامشية تفيد فى السجال أكثر مما تفيد فى الموضوع نفسه[4].

وتعتمد الشروح على المنقول أكثر من اعتمادهـا علـى المعقول. تجمع العلوم الأخرى من اللغة والفقه والتفسير حول المتن المشروح دون هدف أو غاية. وقد تكثر الحجج النقليـة فى بعض الشروح مثل "الإبهاج فى شرح المنهاج" حيث تبلغ

---

(١) "اعلم أنه لا إجماع فى هذه الآية"، جـ٥٧/٥.

(٢) "اعلم أن الآية الأولى عامة لأنها ذكرت بصيغة الجمع المحلـى بـالألف واللام وهى للعموم والثانية خاصة"، الكاشف جـ٥٠٢/٤، جـ ـ٥٠٩/٥. "فيلزمه التخصيص"، نهاية السول جـ٥٢٦/١٨٣/٢-٥٥٦/٥٢٧. "وهـذا ظاهر كلام القائل"، فواتح الرحموت جـ ١٠٦/١.

(٣) "إن هذه الأخبار من باب الآحاد.. إن هذه الطريقة فيهـا نظـر. وبيانـه يتوقف على ذكر صورة الدليل مرتبة"، الكاشف جـ٤١٧/٢، جـ٩٨/٦. فواتح الرحموت، التحقق من السند جـ ٣٥٩/٢٧١/١٧١/١.

(٤) شرح الورقات ص٢٤/١٧.

الآيات والأحاديث بالمئات والشعر بالعشرات. تقل الشـواهد النقلية فى المتن وتكثر فى الشرح. فالقرآن والحـديث مـادة خصبة فى الشرح[1].

وفى شرح الشرح تكثر الشواهد النقلية والحجج العقليـة معا. فهو إسهاب فى الأدلة[2]. وتتفاوت زيادة أو نقصانا طبقا لطبيعة الموضوع. تقل فى القياس، وتزيد فى النسخ.

ومن آليات الشرح إضافة الأدلة النقلية على العقلية حتى تستكمل كل طرق الاستدلال أو اسـتكمال الأدلـة النقليـة. وأحيانا تبدو الأصول الحنفية أكثر اعتمادا على العقـل دون النقل وأقل اعتمادا على الحجج النقليـة. ومـع ذلـك تكثـر الروايات، ويزداد المحـدثون والـرواة وأسـماء الصـحابة والتابعين خاصة فى الشروح المتأخرة[3]. وذلك على عكـس "التقرير والتحبير" المملوء بالحجج النقلية.

٢- التجربة الشعرية. ويستشهد بالشعر لما كان الشرح

---

(١) تشنيف المسامع بجمع الجوامـع للسـبكى (جـزءان): القـرآن (١٨)، الحديث (٥).

(٢) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح: القرآن (١٧٣)، الحديث (٨٣).

(٣) وهذا واضح فى تيسير التحرير لأميرباد شاه. "والراجح عنـد العقـل"، جـ ١/١٤٦. إكمال الآية والحديث، جـ ١/٣٥١/٣٨٢.

ديوان العرب، فيه تفسير الكتاب. ويستشهد به فى موضوعات البخل. وقد كان الشافعى شاعرا له "الأم" كما له ديوان شعر. وأحيانا يذكر الشعر بصرف النظر عن الشاعر وهو الأغلب. فالشعر تجربة إنسانية عامة تبدأ بالشاعر وأحيانا أخرى يذكر الشاعر طبقا للرواية ونسبتها ومعظمهم من كبار الشعراء مثل المتنبى وأبى العتاهية والكميت وطرفة...الخ. ويقل الشعر كلما قلت الموهبة الشعرية والتذوق الفنى[1]. والشعر هو مقياس صحة فهم الشواهد

---

(١) الكافى جـ١/١٥/١٦/١٧٣/١٧٨/٢٥٢/٣١٩/٣٣٠-٣٣١/٤٠٧، جـ٢/٧١٢/٧٤٥/٧٧٨/٨٦٤/٩٥٠/٨٣٧/٨٩٧-٨٩٨/١٠١٨، جـ٣/١٢١٦/١٤٦١/١٨٢٩، جـ٤/١٥٧٨/٢٠٣٢، جـ٥/٢٠٣٣/٢١٧٩/٢٢٢٦. نهاية السول جـ٢/١٩٠-١٩١/٢٣٩/٢٤٩. نفائس الأصول: الشعر (٨٤). ابن فركاح: شرح الورقات، الشعر (٧). الجزرى: معراج المنهاج، الشعر (٧). الأصفهانى: شرح المنهاج، الشعر (٧). شرح المنهاج، الشعر (١١). الإبهاج فى شرح المنهاج، الشعر (٦٩). مناهج العقول، الشعر (٩)، "جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى" للكاكى، الشعر (١١). شعر الشافعى جـ١/١٥٧/٣٠٧-٣٠٨. فتح الغفار، الشعر (١٥). فواتح الرحموت، الشعر (١٢). الولائى: فتح الورود على طريق السعود، الشعر (١). مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشنقيطى، الشعر (٣٠). شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى، الشعر (١٣). نهاية السؤل جـ١/٧٧/٢٤٦/٣٨٠، جـ٢/٧٥. الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات فى أصول الفقه للماردينى الشافعى، الأشعار (٢). التقرير

النقلية بعد أن حل القرآن محل الشعر، مركزا للثقافة العربية. ويتم الاستشـهاد بالشـعر كمـا يـتم الاستشـهاد بالآيـات والأحاديث[1]. وقد تحولت الآيات والأحاديث والأشعار إلـى تراث شعبى ومخزون نفسى وثقافة يومية إلى حجة سـلطة مثل النص المباشر[2].

ونظرا لأن الإبداع الشعرى هو الإبداع المسـتمر قبـل الإسلام وبعده، وكما نظمت المتون شعرا دون كثيـر مـن الشرح نثرا بكل مواصفات النثر من محسنات بديعيـة مـن جناس وطباق وتورية وقافية موحدة فى نهايات العبـارات. وقد يكون الشعر تعليميا خالصا كما هو الحال فى المنظومات الشعرية النحوية والمنطقية والكلامية[3]. فالشعر هو الثابـت

والتحبير، الأشعار (٥٤). جامع الأسرار فى شرح المنار للكاكى، الأشعار (١١).

(١) "ينسب إلى عمر قوله "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح مـنهم. فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم. وغفلت عن الشعر وروايته. فلما جاءت الفتوح واطمأنت العرب راجعوا روايـة الشعر..."، الكاشف جـ ٤٨٤/١.

(٢) الكاشف جـ ٢ (٣٢)، جـ ٣ (١)، جـ ٤ (٢).

(٣) وذلك مثل: حياة وعلم قدرة وإرادة ∴ كلام وإبصار وسمع مـع البقا

نهاية السول جـ ٧٥/٢.

وجمع التكسير شعرا بأفعل وبأفعال وأفعلة ∴ وفعلة يعرف الأدنى من العدو

فى الوجدان العربى. والصورة الشعرية هى الوعاء الثقـافى وعليها قام النص الدينى.

٣- الأدلة العقلية. وقد يتضمن الشرح حجاجا وسـجالا وردا على أسئلة من أجل إكمال العرض النظرى والتخفيـف من المعارض العقلى خاصة بين المعتزلة والأشاعرة، والرد على حجج الخصوم، ومطالبته بالبرهان. وظيفة الدليل العقلى هو إعطاء الأساس النظرى للدليل النقلى الذى يرتكز أساسـا على اللغة[١]. وترصد الحجج واحدة تلو الأخرى مـن أجـل

نهاية السؤل جـ٢/٣٩٤.

(١) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار للنسفى جـ ـ٤/١١٤٢-١١٥٠. "اعلم أن الخصم احتج لمذهبه.."، الكاشف جـ ـ١/٣٣٤. "احتج الخصـم"، جـ٢/٥٤١. "إن هذا السؤال مع الجواب ظاهر غيـر أن بعضـهم أورد عليه سؤالا فلنورده ونجيب عنه"، جـ٣/١٣١. "إن المصنف أورد علـى الدليل المذكور أسئلة، وانفصل عنها بأجوبة صحيحة"، جـ ـ٣/١٥١. "إن هذه الأسئلة ظاهرة"، جـ٣/٢٥١. "إن هذه وجوه من المعارضة فى حكم المسألة فلنبسطها ثم نجيب عليها"، جـ٣/٢٦٦. "إن هذه المعارضات فى حكم المسألة"، جـ٣/٣٣٢. "إن المصنف أجاب عن المعارضـة الأولـى بأنه حكاية عن حال..."، جـ٣/٣٤٣. "إن المصنف أورد على نفسه أسئلة فقال"، جـ٣/٣٨١. "أجاب المصنف على السؤال"، جـ٣/٣٨٣. "إن هذه معارضات فى حكم المسألة"، جـ٣/٣٩٦. "إن الخصم تمسك بـوجهين"، جـ٣/٤١٤. "إن المصنف أورد على دليله أسئلة ثلاثة"، جـ٣/٤٩٣. "إنه لم يجب المصنف على السؤال الأول إلا بإعادة الدليل المذكور.. والجواب على السؤال الثالث"، جـ٣/٤٩٥. "إن هذا الكلام هو معارضة فى الحكم"،

التأسيس النظرى أو من أجل تبديد المعارض العقلى[1].

يدخل الشرح فى المحاجة والسـجال ورفـض حجـج المذاهب المعارضة. ويستدل علـى الحكـم، ويـرد علـى الاعتراض المسبق، ويحول الآية إلى دليـل. ويقـيم حجـج الخصوم ما لها وما عليها، يذكر الشرح الحجج ويرد علـى الشبهات[2]. وقد يكون الاستدلال لغويا أو عقليا أو شـرعيا. فالشرح يقوم على العقل والنقل[3].

ويبدو السجال فى أسلوب القيل والقال، وترديـد حجـج

جـ ٤٩٧/٣. "إن هذا السؤال مع جوابه ظاهر"، جـ ٥٩٠/٣. "إن هـذه مطالبة ولابد من بيان توجيهها فنقول للخصم"، جـ ١٧٦/٤. "إن المصنف أجاب عن المطالبة المذكورة بأن قال"، جـ ١٧٩/٤. "إن ما ذكـره مـن المعارضة فى حكم المسألة ظاهر غنى عن الشرح فلنشرح الجواب فإنـه محتاج إليه"، جـ ١٨٧/٤. "وجميع ما ذكره بعد هذا مندفع لما بينـاه فـى الشرح"، جـ ٤٧٦/٤.

(١) نهاية السول جـ ٢٠/١، جـ ٢٥٨/٢. الأصـفهانى: شـرح المنهـاج جـ ٤١/١-٤٢/٤٨/٥٠/٩١. الإبهاج فى شـرح المنهـاج: الاعتـراض والدليل والبرهان (٩)، الحجاج (٨)، شبه الخصوم (٣). نشر البنود على مراقى السعود: الاعتراض والـرد (٢). فـواتح الرحمـوت: السـجال جـ ٧٨/١/٩٣/١٠٧.

(٢) الكافى جـ ١ (١٣)، جـ ٢ (٩)، جـ ٣ (٤). الجزرى: معراج المنهـاج جـ ١ (١٠)، جـ ٢ (٦).

(٣) "إما عقلا فظاهر وإما شرعا"، فواتح الرحموت جـ ١١٥/١.

السابقين والدخول فى خلافاتهم وسجالاتهم، وأخذ طرف دون طرف فى معارك القدماء. ويدل القيل والقـال علـى كثـرة الخلافات فى علم الأصول والحجج والحجـج المضـادة[1]. ويرد على شبه الخصوم القوية، ويترك الضعيفة[2]. ويقل فى الأصول الحنفية أسلوب القيل والقال وأساليب الجدل والحجاج العقلى لصالح التنظير العقلى المجرد. لذلك لا تستبعد مـذهبا أو تقصى فرقة. ويفضل مدخلا منطقيا عقليا خالصا[3].

ويحاول الشـرح رفـع تعـارض الأدلـة[4]. ويبـين

---

(١) الكاشف جـ١ (٧)، منتهى السول جـ١٢/١. القيل والقال مثلا، القرافى فى نفائس الأصول فى شرح المحصول جـ١ (٥)، جـ٢ (١٧).

(٢) "وشبهة الخصم ضعيفة وجوابهـا ظـاهر فـلا حاجـة إلـى شـرحه"، جـ٣٩٩/٤. شرح المنهاج (٣٤). الإبهاج فى شرح المنهاج: القيل والقال (٨). مناهج العقول: فإن قلت، قلنا أو قلت أو أقول (٧٢)، أقول (١٣٠)، قوله (٣٠)، قلنا (١٠).الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنار (لم نشأ أن نقوم بتحليل مضمون فعل القول لخمسة أجزاء). وهو أسلوب شائع أيضا فى "التقرير والتحبير".

(٣) وهذا واضح فى "تيسير التحرير" لأميربادشاه وأيضا فى فواتح الرحموت جـ٤١٧/١.

(٤) "إنه تعارض الدليل القاطع... وتعارض قاطعين محال، فلابد من التوفيق بينهما. وطريق التوفيق.."، جـ١٦٤/٤. "إن هذه معارضـة فـى حكـم المسألة"، جـ١٧٧/٤. "والحق أن هذه الاعتراضـات قويـة وأجوبتهـا ضعيفة، وأن التعريف المذكور ضعيف. وكيف يتوقع أن يكون كاشفا بما هو خفى فى نفسه غاية الخفاء؟"، جـ١٤٧/٦. "وهذا الجواب ضـعيف"،

قـوة الاعتـراض وضـعف الإجابـة. وتكثـر الشـروح عرض المعارض العقلى بطريقة "فإن قيل.." والـرد عليـه مسبقا. ويتم الحكم على صحة الاسـتدلال أو خطئـه بعـد المراجعة على حجج المتن[1]. وأحيانا يندر الاعتراض على شىء[2].

ويبين الشرح أوجه الاسـتدلال الصـحيح. الاسـتقراء والبرهان دليلان صحيحان، استقراء جزئيات الشـريعة فـى قاعدة كلية يتم استنباط الأحكام منها[3]. ثم يقاس الدليل العقلى والدليل النقلى لمعرفة أيهما أقوى[4]. لذلك كثر استعمال لفـظ

جـ٦/١٤٦. "إن المصنف عارض فى الحكم بوجهين"، جـ٦/٤٢٠.

(١) "وأما قياس العكس فما ذكره أنه تمسك بنظم الـتلازم وإثبـات لأحـدى مقدمتيه بالقياس طردا فهو صحيح"، جـ٦/١٦٢. "وهذا الـدليل وجوابـه يقتضيان أن الإمام يسلم أن ذلك إجماع وهو مناقض لما سيأتى من كونـه ليس بإجماع ولا حجة"، نهاية السول جـ ـ٢/٢٧٩. الجـزرى: معـراج المنهاج جـ١ (١٢)، جـ٢ (٤).

(٢) شرح المنهاج: الاعتراض (١).

(٣) "وهذه الطريقة عمدة المحققين"، الكافى جـ٦/٢٢٩. "إن معتمدنا التمسك بالاستقراء وهو أنه دل على تلازم المصالح والأحكام الشرعية. والبرهان دل على أنه ليس كذلك بطريق الوجوب على ما سبق فى علم الكلام. فلزم أن يكون ذلك بطريق التفضل. ولا يقدح الفرق فيما صح بما ذكرنا مـن الاستقراء والبرهان"، الكافى جـ٦/٣٨١-٣٨٢.

(٤) "واعلم أن الغزالى مال إلى طريقة التمسك بالآحاد واختار ذلك صـاحب

الدليل. كما يستعمل لفظ البرهان وهو الدليل الشامل، الـدليل عقلى نظرى والبرهان عقلى حسى، نظرى عملى، صـورى تجريبى[1]. وتستعمل الحجج العقلية الخالصة أحيانا بما يفوق الحجج النقلية، وبالتالى يتأسس علم أصول الفقه على العقـل الخالص أكثر مما يتأسس على النقل خاصة ولو كان الشارح معتزليا أو حنفيا[2]. وتظهر بعض الحجج العقلية حتى ولـو زادت الحجج النقلية مثل الحجج العقلية لإثبات النسخ، وإثبات أحكام التكليف كأفعال قصدية وإثبات الإجمـاع[3]. ويكثـر الحديث عن الاستقراء وهو أحد مناهج علم الأصول، استقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات وكما هو الحـال فـى علـم القواعد الفقهية. وذلك قائم على إثبات الطبائع[4]. وهو أيضا علم الضروريات الدينية فـالوحى والعقـل والواقـع نظـام

الأحكام. وكان صوابه أن يجيب عن أسئلة المصنف ثم يتمسك بالأحاديث واستضعف الغزالى طريقة العقل"، الكاشـف جـ ـ ٤٢١/٥. الجـزرى: معارج المنهاج، الدليل جـ ٢ (١٠).

(١) الأصفهانى: شرح المنهاج جـ ٢٩٦/١، جـ ٧٨٣/٢.

(٢) وذلك مثل: ابن نُجيم: فتح الغفار بشرح المنار.

(٣) الكاكى: جامع الأسرار فى شرح المنـار للنسـفى جـ ـ ٣ (٦). فـواتح الرحموت: البرهان العقلى جـ ٢٨٣/١.

(٤) "وهذا مخالف للضروريات البديهية"، فواتح الرحموت جـ ١١٥/١.

واحد[1].

٤- السؤال والجواب. وقد يأخذ الشرح أسلوب السؤال والجواب، الحوار مع الذات ومع الآخرين. الشرح حوار بين الشارح والمؤلف، تفاعـل بـين الـنص الشـارح والـنص المشروح[2]. وينص على ذلك فى بداية الشرح كنوع أدبـى مقصود. فلا يورد سؤال إلا إذا كان حقا ولا جواب له أو له جواب غامض. ولا تذكر الأسئلة الضعيفة حتى لا يتسلسـل

---

(١) وذلك واضح فى فواتح الرحموت. "وهذه مقدمـة اسـتقرائية"، السـابق جـ١/١٨٥. "فليرجع حقيقة النزاع إلى النزاع فى وجود الطبائع"، السابق جـ١/٢٥٩. "وهذا مخالف للضرورات الدينية"، السابق جـ١/٢٠.

(٢) الكاشف جـ١/١٨٨/٢٨٢/٣٥٧. "إن المصنف أورد علـى المعارضـة المذكورة أسئلة بأجوبتها ليس بواضح من كلامه فلنـذكرها موجهـة ثـم نشرع فى الجواب عنها"، جـ٢/١٠٠. "هذا هو تحرير هـذه الأسـئلة"، جـ٢/١٠١. "المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة فلنذكرها بتوجيهها ثم نجيب عنها"، جـ٤/١٠. "إن المصنف أجاب عن هـذا السـؤال بـأن قال.."، جـ٤/١٣١. "إن المصنف أورد على الدليل المذكور أسئلة يجـب تحقيقها على الوضع الذى أذكره فإنـه اللائـق بقـوانين علـم النظـر"، جـ٤/٢٦٧. "إن الجواب عن هذه الأسئلة واضح لا يحتاج إلى بسط القول فيه غير أنا نؤثر الجريان فى الشرح"، جـ٤/٢٧٠. "إن هـذه المسـائل واضحة الأدلة والأسئلة والجواب فلهذا= =تركنا بسـط الكـلام فيهـا"، جـ٥/١٢٨. مناهج العقول: أجيب (١٠). ابن الفركاح: شرح الورقـات ص٢٢١. الجزرى: معراج المنهاج جـ١/٤٦/٧٨/٨٦/١٢٤.

السؤال والجواب، ويكون الشرح أقرب إلى علم الخـلاف[1]. والمسألة فى النص أى مشكلة تتحول إلى سؤال، ويتم التفاعل بين النصين عن طريـق السـؤال والجـواب. فالموضـوع منظور. والحق متعدد. وكل رأى يرى الموضوع من زاوية وموقع[2].

---

(١) "إن المصنف كان ادعاؤه فى أول المسألة أن فعل العبد مشـروط بـالعلم به. ثم وجه على نفسه السؤال أعرض عن تلـك الـدعوى علـى تلـك الصورة"، جـ ١١١/٤. "وهو سؤال وارد مشهور سنذكره مـع الجـواب عنه"، جـ ٤٠٣/٦. "والمصنف قد استدل على ذلك بوجوه واضحة غنيـة عن الشرح إلا أن فى الوجهين الأولين مباحثة فلنذكر كل واحـد منهمـا على حدة مع ما يتجه من الأسئلة والأجوبة"، جـ ٢٨٩/٤. "إن المصـنف أجاب عن الشبهة الأولى بالمنع"، جـ ٣٠٦/٤. "إن حاصل جوابـه عـن الحجة المذكورة"، جـ ٣٦٨/٤. "وبقية الأسئلة والأجوبة ظاهرة غنية عن الشرح"، جـ ١٩٤/٦.

(٢) "ولا أورد من الأسئلة إلا ما هو حق عندى لا جواب عنه أو مـا عنـه جواب غير أن كثيرا من الفضلاء يعسر عليهم الجواب عنه فاذكره لجوابه لا لذاته. وليحترز منه، ويتنبه به على أمثاله. وأما الأسئلة الضعيفة فـلا أوردها لأنها تطويل بغير فائدة مهمة. والعمر أقصر شقة من أن يطـول بالعتاب. وكذلك إذا وقع جواب حق أو سؤال حق لا أورد عليه الأسـئلة الضعيفة ثم أجيب عنها فتصير أجوبة وأسئلة، وأسئلة وأجوبة، فيتسلسـل الحال. فهذا لا يليق إلا بعلم الخلاف للتمرن على الجدال والمناظرات. أما بغيره فلا"، القرافى: نفائس الأصول فى شرح المحصـول جـ ـ ٩٦/١. تحويل النص إلى أسئلة مثلا جـ ١ (١٠)، جـ ٢ (٤). نفائس الأصـول: سؤال (٢٨٢)، مسألة (١١٦)، فائدة وسؤال (١)، جواب، رد (٤٦).

وهو سؤال وجواب افتراضيان في صيغة: "فإن قيل..قلت" أو "فإن قلت... قلت" أو "قلنا" حتى يسهل استذكار المتن والشرح بهذه الصيغة المدرسية كما هو الحال في أحكام السؤال والجواب فى آخر المصنفات الأصولية[1]. وهو مثل تحليل ألفاظ الرواية فى الحديث. وقد يتم الإعلان عن السؤال والجواب صراحة مثل "وأما الجواب عن قولهم". وقد يستعمل فعل ذكر أو قص أو "قال بعضهم". وقد يختلف أسلوب النص وأسلوب الشرح فى درجة استعمال القيل والقال، النص أقل والشرح أكثر. وقد يستمر أسلوب القول صفحات بأكملها كأداة للشرح.

والشرح أسلوب فى مخاطبة القارئ وإشراكه مع الشارح فى نفس المهمة. وله لازمة تتكرر دائما مثل "اعلم وفقك ا " كما هو الحال فى "رسائل" إخوان الصفا. وأحيانا تأتى "اعلم" فقط دون دعاء بالتوفيق أو رجاءه بلفظ "افهم ذلك"[2]. وأحيانا

---

(١) الكافى: شرح البزدوى، مقدمة ص٨٨-٩٣. جـ١ (٩٥)، جـ٢ (١٤٢)، جـ٣ (١٣٥). شرح المنهاج: السؤال والجواب (١٢). الإبهاج في شرح المنهاج: السؤال والجواب (٨). نشر البنود على مراقى السعود: القيل والقال (١٦).

(٢) الكاشف جـ١/١٣٤/١٨٣/١٨٨/٤٥٩. "وتأمل كلام المصنف فإنه يتضح لك ما ذكرنا"، جـ٥/١٠٦. نهاية السول جـ١/٣٤٥/٤٦.

يشعر الشارح بالاستطراد فى الاعتراضات والخروج علـى الموضوع فينبه عليه وعلى العودة إلى الموضوع الأصلى[1]. بل إن الشارح يدعو القارئ إلى المشاركة فى الشرح ودعوته إلى الملاحظة والتأمل فى صيغة "ألا ترى أن.." [2]. بـل إن المشاركة تكون أيضا مع الخصوم فى نفس التجربـة. وقـد تتوالى الدعوة للتأمل والمشاركة واحدة تلو الأخـرى حتـى يتحرك السامع ويبدأ بالتأمل والرؤية. لذلك تبدأ كثيـر مـن الفقرات الشارحة بلفظ "اعلم"[3]. وتكون الصيغة عادة فعـل أمر فى اللفظ ورجاء وتمنى فى المعنى مثل "فافهم"، "فـافهم واسقم"، "فتأمل"، "واعلم"، "فتدبر"[4]. الشرح تجربة مشـتركة بين الشارح والقارئ كما أنه تجربة مشتركة بـين المؤلـف والشارح. فالشارح وسيط بين المؤلف والقارئ. لذلك تكثـر ألفاظ الأمر مثل "اعلم"، "فلينظـر"، "فليراجـع"[5]. وتعتمـد المشاركة على البداهة وحسن النظر.

---

(١) "ولنرجع الآن إلى شرح الاعتراضات على كلام القاضى"، جـ١٤٤/٦.
(٢) الكاشف جـ١ (٢٧)، جـ٢ (٤٢)، جـ٣ (٣٧)، جـ٤ (١).
(٣) شرح المنار: "اعلم" (٩). نشر البنود على مراقى السعود: "اعلم" (١١).
(٤) فواتح الرحموت: ألفاظ جـ٩٣/٨٠/٧٥/٧٢/٦٩/٤٥/٣٣/١.
(٥) التقرير والتحبير: "اعلم" (٥).

سابعا: الوعى التاريخى.

يعنى "الوعى التاريخى" مدى ترسب علم الأصول بأعلامه ونصوصه ومذاهبه ومناطق انتشاره من المغرب إلى المشرق فى الوعى التاريخى وهو الوعى الحضارى الجمعى، وما هو العَلَم الأكثر حضورا والمتن الأكثر قراءة وشرحا واختصارا، والمذهب الأكثر انتشارا. فالشروح ذاكرة جمعية للعلم. من خلالها تبدو تموجاته فى التاريخ. فالقصدية ليست فقط فى الفرد بل فى الحضارة.

ويبدو أن العلم، بأعلامه ومتونه ومذاهبه ومناطقه مازال حاضرا فى الوعى التاريخى. لم تحدث قطيعة معه كما حدث مع علوم الحكمة بل مازال مستمرا، له حركات تجديده. ومازال يمثل دافعا على الإصلاح خاصة عند الشيعة لدى محمد باقر الصدر، وعند السنة عند مصطفى عبد الرازق تنبيها على أهمية العلم، وعند علال الفاسى كتابة فى المقاصد، وعند جماعة "المسلم المعاصر". ومازال العلم قادرا على ان يكون جسرا بين التيارين الرئيسين فى الأمة، السلفى والعلمانى بدلا من حالة الاستقطاب الحالى. فمقاصد الشريعة

حلقة الوصل بين التيارين، وضـعية الشـريعة والمصـالح العامة.

١ - الأعلام. إذا كان اسم العلم فى المتن فإنه لا يـذكر فى الإحصائيات لأنه دال على المتن وليس على الشرح. وقد يرد اسم العلم بلقبه أو بشخصه. اللقب يعنى الطاعة والتقدير والتبجيل والتعظيم أى تحويل الشخص إلى سلطة. فـالرازى هو الإمام، والجوينى إمام الحرمين، والبـاقلانى القاضـى، والاسفراييني الأستاذ، والغزالى حجة الإسلام. وقد يتضاعف اللقب تعظيما مثل قاضى القضاة للباقلانى. وقد يكون اللقـب صورة فنية مثل شمس الأئمة وفخر الإسلام. وقـد تتـداخل الألقاب بحيث يصعب تمييز الشخص مثـل ألقـاب الإمـام والشيخ والأستاذ. أما اسم العلم فإنه يـدل علـى شخصـية تاريخية لم تنسج حولها هالة التعظيم والتبجيل كما تم لكبـار الأعلام. تذكر الأعلام الكبار لانتشارها عمقا. وقـد تنتشـر عرضا. تزيد العلام أكثر مما تتكرر، نظرا لتجميع كل مـن تناول العلم بالرأى أو التعليق[1].

(١) الكافى شرح البزدوى: الأعلام (٣٣٩)، إبراهيم أبـو عمـران، هـلال الأنصارى، حافظ الدين، إبراهيم النخعى (٢) وباقى الأسماء مرة واحدة.

وبالرغم من الإسهاب فى تحليل الأسماء والمصادر والمذاهب والفرق إلا أن التحليل الدقيق للوعى التاريخى هو المقدمة الأولى لكل حركة إصلاحية تريد الحوار بين المذاهب المتعددة.

وهناك ثلاثة مجموعات من الأعلام. الأولى تكشف عن حضور الشافعى والشافعية، والثانى الغزالى والأشعرية كسند نظرى من أصول الدين لأصول الفقه. والثالث محاولة المذاهب المعارضة الحنفية واستنادها إلى الاعتزال والمالكية والحنفية للعودة إلى مركز الوعى التاريخى.

أ- الشافعى والشافعية. وفى "شرح الورقات"لابن الفركاح يتقدم الشافعى ثم أبو حنيفة وابن برهان. ويتداخل الصحابة مع الصوفية مع الأشاعرة مثل الجوينى والباقلانى والرازى والغزالى والاسفراييني مع المحدثين مثل البخارى ومسلم، والفقهاء مثل أحمد بن حنبل، ومالك، وبعض المعتزلة مثل أبى الحسن البصرى، وأبى الحسين البصرى، وبعض علماء اللغة مثل الخليل[1]. فهناك صراع بين التيار

---

(١) الشافعى (٢٠)، أبو حنيفة، ابن برهان (٨)، سعيد بين المسيب، عبد ا بن عباس، عمر بن الخطاب (٥)، أبو بكر، الجوينى، على بن أبى طالب، الباقلانى، مسلم (٤)، أحمد بن حنبل، الحسن البصرى، عبد ا بن عمر،

الرئيسى فى الوعى التاريخى بين المركز الممثل فى الشافعى والشافعية وبين الأطراف الممثل فى أبى حنيفـة والأحنـاف والمعتزلة والمالكية والحنبلية بالإضافة إلى بعـض علمـاء اللغة.

وفى "شرح المنهاج" للأصفهانى يتقدم الأشاعرة مثـل الشافعى والباقلانى والرازى على المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار، أبو الحسين البصرى، الجبائيان، الكرخى. ثم يتبـادل المعتزلة الأشاعرة الأولوية مثل الكرخى والنظـام والخيـاط وأبو الهذيل وعيسى بن أبان والأصم من المعتزلة. والغزالى وابن سريج والأشـعرى والقفـال الشاشـى والاسـفرايينى والآمدى وابن فورك والجوينى. ثم يأتى أبو حنيفة والأحناف مثل الجصاص وأبو يوسف ثم مالك وأحمد بن حنبل، ومـن النحاة ابن جنى. ويتقدم من الصحابة على ثم عمر وعائشـة وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم. وهنـا يظهـر الشـافعى

أبو الحسين البصرى (٣)، أبو على بن أبى هريرة، عيسى بن أبان، مالك بن أنس، البخارى، فخر الدين الـرازى، الغزالـى (٢)، الاسـفرايينى، البيهقى، ابن سريج، ابن راهويه، الخليل بن أحمـد، سـفيان الثـورى، الدبوسى، عبد القاهر الجرجانى، أبو موسـى الأشـعرى، الـدارقطنى، الطبرى، الترمذى وعشرات آخرون (١).

والشافعية فى مركز الوعى التـاريخى ينازعـه المعتزلـة والحنفية والمالكية[1].

وفى "شرح المنار" لعبد اللطيف يتقدم الشافعى ثم أبـو حنيفة ثم أصحابه مثل أبو يوسف ومحمد وزفر مـع فقهـاء الأحناف مثل البزدوى والسرخسى والجصاص. ويظهر مالك والحسين البصرى، ومن ثم تستوفى المذاهب الأربعة باستثناء الحنابلة. ثم يظهر علماء الأشاعرة مثل الغزالى والبـاقلانى

(١) الشافعى (٤٦)، الباقلانى (٣٩)، الرازى (فخر الدين) (٣٧)، أبو هاشـم الجبائى (٢٨)، أبو الحسين البصرى (٢٢)، أبو حنيفة (٢١)، أبـو علـى الجبائى (١٩)، على بن أبى طالب (١٧)، عمـر بـن الخطـاب (١٦)، الكرخى (١٥)، مالك، الغزالى (١٤)، أبـو بكـر، ابـن سـريج (١٠)، الأشعرى (٨)، عائشة، ابن عباس، الصيرفى (٧)، القفال الشاشى، عبـد الجبار (٦)، النظام، عثمان بن عفان، عيسى بن أبان، ابن حنبل، الجوينى (٥)، حاتم الطائى، ابن أبى هريرة، المرتضى، أبو مسلم الأصفهانى (٤)، الاسفرايينى (أبو اسحق)، الجصاص، أبو عبد ا البصرى، أبـو سـعيد الخدرى (٣)، أبو هريرة، أبو موسى الأشعرى، الدبوسى، ابـن جنـى، الاسفرايينى (أحمد)، ابن سينا، سفيان الثورى، شـريح، الكعبـى، ابـن الزيعرى، ابن أبى السرح، عبيدة السلمانى، فاطمـة، داود الأصـفهانى، معاذ، الأعشى، الفرزدق، أبو يوسف (٢)، المروزى، أبو ثور، أبو اسحق الشيرازى، ابن علية، المزنى، أنـس، المريسـى، المعلـى، الحسـين، الصيمرى، الأصم، الخياط، الآمدى، البخارى، الطبـرى، الـدقاق، ابـن فورك، ابن سيرين، أبو الهذيل، النهروانى، ابن عمران،..الخ.

والرازى، وظاهرى مثل ابن حزم[1]. وهى نفـس النتيجـة، الحضور الطاغى للشـافعية ومحاولـة الحنفيـة والأحنـاف والمعتزلة والمالكية بل والظاهرية زحزحتها من المركز.

وفى "جامع الأسرار شرح المنـار للنسـفى" للكـاكى بالرغم من أن الشارح حنفى وصاحب المتن شـافعى إلا أن الشافعى يتقدم باقى الأعلام نظرا لسيطرة الشافعية وسـيطرة الأشعرية منذ الغزالى فى القرن الخامس[2]. ثم يـأتى أبـو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ثم محمد بعده. ثـم يـأتى بـاقى الأعلام الحنفية الأوائل مثل شمس الأئمة (السرخسى)، وأبو

---

(١) الشافعى (٥٩)، أبو حنيفة (٢٩)، أبو يوسف (١٤)، محمد، فخر الإسلام (البزدوى) (١٣)، مالك (١٠)، صاحب الكشاف (٦)، زفر، الكرخى (٥)، شمس الأئمة (السرخسى)، التلمسانى (٤)، عبـد ا بـن مسـعود (٣)، الجصاص، الشيخ قوام الدين الأتقانى، مالـك بـن الصـيف، الحسـين البصرى، الباقلانى، ابن ماجة، الرازى (٢)، الغزالى، أبو سعيد الخدرى، أبو بكر الاسكافى، السراج الهندى، السجستانى (أبو داود)، ابن سـحنون، داود الأصفهانى، البروى، ابن الأثير، ابن الزعبرى، عيسى ابـن أبـان، الدبوسى، ابن حزم، الحلى، القاضى أبو زيد، ابن أبـى ليلـى، سـريج، القصار، وعشرات آخرين من المفسرين والفقهاء.

(٢) الناشر د. فضل الرحمن عبد الغفور الأفغانى ذكر أسماء الأعلام والآيات والأحاديث والطوائف والكلمات الغريبة والمصطلحات العلميـة وأسـماء الكتب دون ترددها مما يخل بمادة تحليل المضـمون. الكـاكى: جـامع الأسرار فى شرح المنار جـ١٤٥١/٥-١٥١٠.

زيد الدبوسى. ثم يأتى صاحب المتن بلقب الشيخ وهو النسفى. ثم يتوالى أعلام الحنفية من جديد مثل فخر الإسلام أو صدر الإسلام البزدوى. ثم يأتى مالك أستاذ أبى حنيفة ثم زفر أحد أصحاب أبى حنيفة. ثم يظهر الماتريدى (أبو منصور) الجامع بين الشافعية والحنفية كجمعه بين الأشعرية والاعتزال ومعه أبو بكر الرازى (الجصاص) من أوائل الحنفية. ثم يبرز الغزالى وسط باقى أعلام الحنفية مثل عيسى بن أبان. ويتداخل المعتزلة والأشاعرة على التوالى مما يدل على استمرار الصراع بينهما، المعتزلة مثل الحسن البصرى، والبلخى، ثم أبو الحسين البصرى والجاحظ والنظام، ومن الأشاعرة الطحاوى والباقلانى والأشعرى، وفخر الدين الرازى، والجرجانى، والسمعانى والاسفراييني، والبيهقى. ومن اللغويين والنحاة أبو على الفارسى وسيبويه والمبرد والفراء. ومن الفرق غير الإسلامية مانى وزرادشت. كما تكثر أسماء الرواة والمحدثين والصحابة والتابعين مما يدل على عودة علم الأصول إلى مصادره الأولى[1].

---

(١) الشافعى (١٧٥)، أبو حنيفة (٨٩)، أبو يوسف (٦٧)، محمد (٥٦)، شمس

وفى "التلويح على التوضيح لمـتن التنقـيح" لصـدر الشريعة البخارى الحنفى يتقدم الشافعى ثم أبـو حنيفـة ثـم صاحباه أبو يوسف ومحمد مما يبين تنازع الشافعية والحنفية للاستقرار كمذهب مستقر فى التاريخ. ثم تتداخل الأعلام بين المعتزلة مثل أبى الحسين والكرخى، والحنفية مثل البزدوى، والدبوسى مع الشافعية والأشعرية مثل الأشعرى والـرازى.

الأئمة (٤٤)، فخر الإسلام أو صدر الإسلام (٤٣)، أبو زيـد الدبوسـى (٣٤)، الشيخ (٣٣)، مالك (٢٢)، الكرخى (١٥)، زفر (١٣)، الماتريدى، الجصاص (أبو بكر الرازى) (١١)، ابن حنبل (١٠)، الغزالى، عيسى بن أبان (٩)، عبد القاهر البغدادى، الحسن البصرى (٧)، الطحـاوى، أبـو اليسر (٥)، الباقلانى، القاضى عبد الجبار، أبـو هاشـم الجبـائى (٤)، الأشعرى، فخر الدين الرازى، البردعى، الجرجانى، الحسن بـن زيـاد، الدمشقى، صاحب القواطع (السمعانى)، الإمام أبو القاسم، أبو المعين (٣)، الشهيد السمرقندى، المزنى، ابن فورك، الزجاجى، ابـن سـماعة، أبـو الفضل الكرمانى، أبو عبد ا البصرى، أبو بكر الـدقاق، المـروزى، البلخى، الصيرفى، الزهـرى، الطبـرى، الأصـفهانى، المصـنف (٢)، وعشرات أخرى من أسماء الأعلام تجمـع بـين الأشـاعرة والمعتزلـة والشافعية والحنفية مثل: ابن شجاع، الاسفرايينى، ابن أبى ليلى، إبـراهيم النخعى، نجم الدين النسفى، البيهقى، السمعانى صـاحب الميـزان، ابـن شريح، القاشانى، ابن جرير، أبو الحسين البصرى، معبد الجهنى، النظام، الجاحظ، أو الفقهاء مثل: الليث بن سعد، صاحب الميزان، أو مـن أهـل الظاهر مثل: داوود الظاهرى، والنحاة مثل: أبى على الفارسى، والفراء، سيبويه، المبرد، أو بعض أساتذة الشارح مثل: شيخى العلامة، أو مؤسسى الأديان مثل: مانى وزرادشت.

ويكشف أساسا عن جدل المركز والأطراف بـين الشـافعية والحنفية[1].

وفى "شرح التاويح على التوضيح لمتن التنقيح" للتفتازانى يتقدم أيضا الشافعى ثم أبو حنيفة ثم البزدوى ثـم الأشـعرى. ويتبادل الشافعية والحنفية، والأشاعرة والمعتزلة المواقع. مـن الحنفية أبو يوسف ومحمد وشمس الأئمة، ومن المعتزلة الجبـائى والحسن البصرى، ومن الأشاعرة الأشعرى[2].

وفى "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج يتقدم الشافعى بالرغم من أن صاحب المتن وصاحب الشرح حنفيـان ممـا يدل على حضور الشافعية كمذهب نمطى مستقر فى الـوعى التاريخى. ويتلو السبكى، ثم التفتازانى من أئمـة الشـافعية

---

(١) الشافعى (٣١)، فخر الإسلام (٢٧)، أبو حنيفة (١٢)، السرخسـى (٦)، أبو يوسف ، محمد (٥)، صاحب الكشاف، الـرازى (أبـو بكـر) (٤)، الكرخى (٣)، الأشعرى، البزدوى، البردعى، أبو زيد، مالك، عبد ا بن عباس (٢)، أبو الحسين، ابن الحاج، تاج الشريعة سعد، فخـر الإسـلام، عبد ا بن مسعود، سعيد بن المسيب، الإمام (الرازى)، صاحب الهداية، الإمام سراج الملة والدين، أبو الحسين البصرى، الأصمعى، مالك، أبـو هاشم، ابن سريج، العقابى، الكعبى، الجبائى، أبو على، الحماسى (١).

(١) الشافعى (٥٠)، أبو حنيفة (٣٠)، البزدوى (١٩)، الأشعرى (١٢)، ابـن الحاجب (٧)، أبو يوسف ، محمد، شـمس الأئمـة (٤)، الجبـائى (٣)، الماتريدى، أبو الحسن البصرى (١)

وأخيرا يظهر أبو حنيفة ثم ابن الحاجب من الحنبلية. ثم يعود الرازى من الشافعية والايجى قبل أن يظهر محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة. ثم يعود الشافعية عند الغزالى وإمام الحرمين والبيضاوى قبل أن يظهر أبو يوسف صاحب أبى حنيفة. ثم يعود الشافعية لدى الباقلانى والأبهرى والأسنوى والأشعرى قبل أن يتداخل بينهم ابن حنبل. ثم يظهر بعض أئمة الأحناف الأوائل مثل فخر الإسلام البزدوى والسرخسى والجصاص (الرازى) يتخللهم مالك. ثم يتلوه الأشاعرة الشافعية كالاسفرايينى والأصفهانى وصدر الشريعة، والشيرازى. ثم يظهر النحويون وعلماء اللغة كالخليل والسكاكى وابن جنى وسيبويه والزجاج وغيرهم. ثم يتساوى تقريبا الأشاعرة مثل القفال الشاشى والأرموى، وعبد القاهر البغدادى والنسفى، والمعتزلة مثل: أبى هاشم والقاضى عبد الجبار والجبائى (أبو هاشم)، والمالكية مثل القرافى والقاضى عبد الوهاب، والحنبلية مثل أبى الخطاب الحنبلى، وباقى الأحناف مثل زفر والأوزاعى والمزنى وابن أبان، وبعض الفلاسفة كابن سينا، وبعض المفسرين مثل الزمخشرى والطبرى، وبعض المتكلمين المتأخرين أصحاب

العقائد مثل الطحاوى، وبعض الفقهـاء أصـحاب "الأحكـام السلطانية" مثل الماوردى، وبعض الشـيعة مثـل الشـريف المرتضى[1].

---

(١) الشافعى (١٩٢)، السبكى (تاج الدين) (١٠٢)، التفتـازانى (٨٧)، أبـو حنيفة (٨٤)، ابن الحاجب (٧٨)، الرازى (فخر الدين) (٦٦)، الآمـدى، الايجى (عضد الدين) (٥٧)، محمد بن الحسن (٥١)، الغزالى (٤٨)، إمام الحرمين، البيضاوى (٤٥)، أبو يوسف (٣٩)، القاضـى أبـو الطيـب، الأبهرى (٣٦)، فخر الإسلام (٣٣)، أحمد، الأسنوى، الأشـعرى (٣٠)، مالك (٢٧)، السرخسى، الاسفرايينى، الأصفهانى، صدر الشـريعة، أبـو بكر الرازى (٢٤)، الكرمانى (الفاضل)، أبو اسحق الشيرازى، الكرخـى (٢١)، المحقق الشريف، سيبويه (١٨)، القاضى أبـو زيـد، الصـيرفى (١٥)، الخليل، ابن سريج، الكاكى، ابن جريج، صـاحب البـديع (١٢)، القرافى، الاسترابادى، الكسائى، الماتريدى، شيخنا الحافظ، الأخفش، أبـو هاشم، ابن برهان (٩)، القفال، زفر، الحليمى، القاضى عياض، ابن جنى، ابن سينا، الزمخشرى، الطحاوى، ابن السمعانى، ابن علية، المـاوردى، صاحب الكشف، الكرابيسى، الطبرى، صدر الإسلام (٦)، الزجاج، ابـن كيسان، الخطابى، أبو العتاهية، الأعشـى، ابـن العربـى، الأزهـرى، الأوزاعى، وكيع، ابن السراج، الحماسى، ابن الصـباغ، القاضـى عبـد الوهاب، الكعبى، الأرموى، المتنبى، الفيروزبادى، المطرزى، الأصمعى، قطب الدين، ابن الجوزى، الصفى الهندى، الشيخ سراج الـدين الهنـدى، شمس الأئمة الكردرى، شيخنا أبو الحسن، الأصبهانى، القاسم بن سـلام الكوفى، القاضى عياض، الأصطخرى، المزنى، الـدقاق، عبـد القـاهر البغدادى، أبو المعين النسفى، ابن أبان، أبو الخطاب الحنبلى، ابن رجـب الحنبلى، القاضى عبد الجبار، ابن الابيارى، الشريف المرتضـى، ابـن خيران، الجبائى (٣)، صاحب القواطـع، صـاحب الكشـف، صـاحب

وفى "تيسير التحرير" لابن بادرشاه يتقدم الشافعى على الإطلاق على الرغم من أن الشارح والمشروح حنفيان. ثـم يتلو أبو حنيفة والمصنف (ابن الهمام) والشارح (ابـن أميـر الحاج)، والدبوسى والجصاص والأوزاعـى وأبـو يوسـف وزفر. ثم يأتى المالكية مثل ابن الحاجب ثم مالـك. ويكثـر الشافعية الأشاعرة باعتبارهم التيـار السـائد فـى الـوعى التاريخى مثل الآمدى ثم الغزالى ثم إمام الحرمين ثم القاضى ثم الرازى ثـم الأشـعرى، وصـدر الشـريعة والايجـى والبيضاوى والشيرازى والسبكى والباقلانى وعبـد القـاهر البغدادى. ويظهر الحنابلة ممثلين فى ابن حنبل. كما يظهـر النحاة مثل سيبويه والزجاج وابن جنى. ومن المعتزلة يظهر الزمخشرى، ومن الفلاسفة ابن سينا، ومن المتكلمين محمـد بن كرام[1].

المحصول، صاحب الحاصل، صاحب المنار، صاحب البدائع، صـاحب التقويم، صاحب التحصيل، صاحب التنقيح، صاحب التحقيق (١).

(١) الشافعى (٩٠)، أبو حنيفة (٦٣)، التفتازانى (٦٠)، المصنف (٥١)، ابـن الحاجب (٤٥)، الشارح (٣٩)، الآمدى (٣٦)، الغزالى، أبو يوسف (٣٠)، إمام الحرمين، القاضى (٢٤)، الرازى، فخر الإسلام (٢١)، الأشـعرى، ابن حنبل (١٨)، سيبويه (١٥)، صدر الشريعة، الايجى، البيضاوى، ابن سريج، أبو اسحق الشيرازى، مالك (١٢)، القاضى أبو زيد، القاضى أبـو

وتقل أسماء الأعلام إذا كان النص أقرب إلـى العقـل الخالص منه إلى النقل مثل "فتح الغفار بشرح المنار" لابـن نجيم. وفى هذه الحالة يتقدم الشافعى ثم أبو حنيفة ثم الكرخى ثم عيسى بن أبان ثم مالك(١). كما يقل ذكر الفرق والطوائف. ومع ذلك يتقدم المعتزلة(٢).

وفى "مذكرة أصـول الفقـه علـى روضـة النـاظر" للشنقيطى يتقدم الشافعى بالرغم من أن الشارح مـالكى ممـا يدل على حضور الشافعية حتـى فـى أقصـى المغـرب. وسرعان ما يظهر أبو حنيفـة والأحنـاف مثـل الكرخـى والماوردى وأبى يوسف والأوزاعى لمحاولة الـدخول فـى

بكر، الصيرفى، الكرخى (٩)، الشيبانى (٧)، صـاحب الكشـاف، أبـو الحسين البصرى، الأبهرى، الحليمى، أبو عبيدة، الماتريدى (٦)، الخليل، الزجاج، ابن كيسان، الخطابى، الطحاوى، السبكى، المعتزلى، البـاقلانى، الزمخشرى، ابن سينا، محمد بن كرام، عبد ا بن سلام، الأخفش، أبـو الخطاب، أبو الحسن سعيد، ابن جنى، الخطيب البغدادى، القاضى عياض، أبو عبد ا البصرى، أبو= =هاشم، أبو الحسن البصرى، ابن المثنى، ابن خويزمنداد، الدقاق، الاسفرايينى، الأستاذ، الكرمـانى، الإمـام، صـاحب الهداية، ابن جريج، الأسنوى، زفر، وكيع، الأوزاعى.

(١) ابن نجيم: فتح الغفار بشرح المنار: الشـافعى (٢٠)، أبـو حنيفـة (٩)، الكرخى (٣)، عيسى بن أبان (٢)، مالك (١).

(١) السابق: المعتزلة (٢)، أصحاب الشافعى، المتكلمون، الفقهاء، أهل اللغة، الأشعرية (١).

مركز الوعى التاريخى. ويعضده فى ذلك مالك والمالكية مثل صاحب "مراقى السعود" والقاضى عبد الوهاب المالكى، وأبى الخطاب وابن خويزمنداد وابن الحاجب والقرافى. كما يؤيده بعض الحنابلة، فصاحب المتن حنبلى، مثل البغدادى الحنبلى، وابن حزم الظاهرى[1]. ويلجأ إلى التجربة الشعرية، ويـذكر ثمانية من كبار الشعراء، فالنص والشعر صنوان

ب- **الغزالى والأشعرية.** ففى "الكاشـف" للأصـفهانى يكشف تردد أسماء الأعلام عن حضور أعـلام الأشـاعرة، ويتقدم الغزالى، أبو حامد، حجة الإسلام علـى الجميـع ثـم أستاذه إمام الحرمين ثم الشافعى ممـا يـدل علـى اجتمـاع الأشعرية والشافعية منذ القرن الخامس. ثم يظهر أبو حنيفـة ثم أبو الحسين البصرى وأبو الحسن البصرى التيار الثـانى الذى مازال يصارع من أجل البقاء. ثم تتداخل الأشعرية من

---

(١) الشافعى (٢٨)، أبو حنيفة (١٤)، مالك، ابـن حنبـل (١٠)، الكرخـى، صاحب مراقى السعود، القاضى، أبو الخطـاب (٦)، زهيـر، الآمـدى، الباجى (٤)، جرير، حسان بن ثابت، علقمة، قيس بن الخطاب، النابغـة، امرؤ القيس، الباقلانى، الرازى، ابن لحمير، ابن خويزمنـداد، البغـدادى الحنبلى، البنانى، السيد، لبيد، ابن الحاجب، الحلى، ابن قدامـة، طرفـة، الأوزاعى، العراقى، القرافى، الماوردى، أبو يوسف، ابن حـزم، إمـام الحرمين، البيضاوى (٢).

جديد عند القاضى أبى بكر الباقلانى ثم الأشعرى. ثم يظهـر التيار الاعتزالى عند القاضى عبد الجبار وأبى هاشـم. ثـم تعود الأشعرية عند الرازى والشيرازى والباقلانى ثم تـدخل الحنبلية عند أحمد والقاضى عبد الوهاب. ثم تظهر المالكية. ويظل التداخل بين المـذاهب الفقهيـة الأربعـة والتيـارين الكلاميين الرئيسيين عند أهل السـنة. فالحضـور الطـاغى للشافعية الأشعرية ممثلة فى حجة الإسلام ثم إمام الحـرمين ثم الشافعى[1].

---

(١) الغزالى (٢٢٣)، إمام الحرمين (١٧٥)، الشـافعى (١٧١)، أبـو حنيفـة (١٠٥)، أبو الحسن البصرى (٨٨)، ابن الحاجـب (٧٠)، أبـو الحسـن البصرى (٦٥)، القاضى أبو بكر (٦١)، الأشعرى (٦٠)، القاضى عبـد الجبار (٥٤)، أبو هاشم (٥١)، الإمام الرازى (٣٤)، أحمـد (٣١)، أبـو اسحق الشيرازى (٢٩)، الصيرفى (٢٢)، ابن برهـان (٢١)، البـاقلانى (١٩)، القاضى عبد الوهاب الحنبلى، ابن عباس، مالك (١٨)، أبو عبد ا البصـرى (١٧)، سـيبويه، ابـن فـورك (١٥)، الماتريـدى (١٣)، السهروردى، أبو الخطاب الحنبلى، النظام (١٢)، ابن جنى، الاسفراييني، أبو على الحنبلى، عيسى بن أبان (١١)، التميزى (٩)، عباد بن سلسيمان، قاضى القضاة، ابن سريج (٨)، أبو هريرة (٧)، القفال الشاشى، الجبائى، القاضى، التلمسانى، الباجى، عمر (٦)، المرورزى، الدبوسى، البلخـى، الكعبى (٥)، ابن العربى (٤)، أبو بكر، العلمـى، علـى بـن جيـزان، الأصمعى، الخليل، ابن سينا، الشريف المرتضى، الزمخشرى، أبو الحسن الابيارى، أبو عمرو بن العلاء، الأرموى، النقشوانى، الكرخى، الجاحظ، الجرجانى، ابن عقيل الحنبلى، ابن الزعبى، الدقاق، ابن مسعود، الحسـين

وفى "التحقيقات فى شـرح الورقـات" لابـن قـاوان (٨٨٩هـ) يتقدم أيضا حجة الإسلام بلقبه وليس باسمه ممـا يدل على حضوره فى التاريخ وتعظيمه فى الوعى التاريخى، ثم الشافعى بعد أن استقرت الشافعية كمذهب فقهى يعتمد على الأشعرية ثم المصنف وهو مؤلف المتن إمام الحـرمين. ثـم يتناوب أئمة الأشعرية والشـافعية كالبـاقلانى والأشـعرى والرازى والتفتازانى والعضد مع أئمة المعتزلة مثـل أبـى الحسين البصرى والقاضى عبد الجبار وأبو بكر الصـيرفى وأبى هاشم، وبن أبان والنظام والكعبى أو من فقهاء الأحناف مثل الدبوسى وأبى يوسف. ويظهر إمام الحنابلة أحمد، وشيخ النحاة سيبويه وبعض الشعراء مثل لبيد وبعض الصحابة مثل

---

(٣)، أبو الحسن الشيخان، المبرد، أبو عمرو، الشيبانى، أبو بكر الرازى، عبد الرحمن بن عوف، أبو الهذيل، القزوينى، داود، زيـد بـن ثابـت، عيسى، الخليل، اسحق، مسيلمة، فاطمة، على، فخر الرازى، الحصيرى، أبو البركات البغدادى (٢) وعشرات آخرين ذكر كل منهم مـرة واحـدة مثل: الآمدى، الفاضل، أبو على الفاسى، الاصطخرى، زفر، أبو الحسـن التميمى، المزنى، أبو ثور، ابن الفارص، الأبهرى، أبو تمام، أبو يوسف، الخوارزمى، جهم بن صفوان، القاشانى، الأخطل، الأبهرى، أبـو سـعيد الخدرى، الخياط، الطبرى، أبو شمر، ضرار، حفص القرد، ابن السكيت، ابن الخطيب، ابن الباقلانى، إبراهيم، موسى، شعيب وآخرون (١).

الخلفاء الأربعة[1].

وفى بعض الشروح يكون لصاحب النص الأولوية فى الظهور مثل "نهاية السول" للأسنوى وهـو شـرح لفصـول الرازى. إذ الأولوية فى تردد الأسماء للإمام (الـرازى) ثـم صاحب التحصيل، ثم الآمدى ثم الشافعى ثم ابن الحاجب ثـم صاحب الحاصل ثم الأصفهانى ثـم الغزالـى. ثـم يتوقـف الأشعرية الشافعية ويظهر القرافى من المالكيـة ثـم يظهـر الأشاعرة عند الجوهرى وابن برهان والباقلانى ثـم يبـرز المعتزلة مثل أبو هاشم، أبو الحسين البصرى، وبعض النحاة مثل سيبويه ثم تعود المالكية فـى شـخص القاضـى عبـد الوهاب. وهكذا يتداخل الأشعرى الشافعى مع ما تبقـى مـن

(١) الغزالى (حجة الإسلام) (٢١)، الشافعى (١٧)، المصنف (١٥)، الباقلانى (القاضى) (١٤)، ابن الحاجب (٩)، أبو الحسين البصرى (٨)، أبو حنيفة (٦)، السعد، الأشعرى (٥)، القاضى عبد الجبار، ابن سـريج، الـرازى (٤)، ابن عباس، أبو بكر الصيرفى، أحمد (٣)، سـيبويه، عبـد القـاهر الجرجانى، أبو بكر الدقاق، العضد، عثمان، على (٢)، الدبوسـى، لبيـد، السكاكى، ابن الصلاح، الاسفرايينى، أبو هاشم، ابن أبـان، أبـو ثـور، البيضاوى، الأبهرى، أبو اسحق، الآمدى، أبو مسلم الأصفهانى، النظـام، أبو موسى الأشعرى، ابن فورك، ابن برهان، السبكى، العراقى، الكعبى، المرتضى، المزنى، أبو يوسف، مالك، أبو بكر، عمر، أبو هريرة وابنـه، ابن مسعود، زيد بن ثابت (١).

مالكية واعتزال، وفقهاء ونحاة. ويكون الحضـور الطـاغى لنفس التيار الشافعى الأشعرى ممثلا فى الإمام (الرازى) ثـم الآمدى ثم الشافعى. ثم يبرز ابن الحاجب المـالكى منازعـا الشافعية الأشعرية قبل أن يحاصره الغزالى والقرافـى. ثـم تبرز المالكية من جديد ممثلة فى القرافى قبل أن يحاصـره الباقلانى. ويتكاثف المعتزلة ممثلة فى أبى الحسين البصـرى وأبى هاشم مع المالكية ممثلة فى القاضـى عبـد الوهـاب المالكى لفك الحصار الشافعى الأشعرى ولكن سـرعان مـا يحاصر أيضا بالتيار الغالب. ثم يأتى الحنفيـة ممثلـة فـى الكرخى لمساعدة التيارات المهمشة ولكن سرعان ما تـذوب فى التيار الغالب ممثلا فى الاسفراييني[1].

(١) الإمام (١٤٨)، صاحب التحصيل (١٤٥)، الآمـدى (١١٥)، الشـافعى (٧٥)، ابن الحاجب (٧٠)، صاحب الحاصل (٣٩)، الأصـفهانى (٣٨)، الغزالى (٣٦)، القرافى (٣٤)، الجوهرى، ابن برهـان (٢٨)، البـاقلانى (٢٦)، أبو هاشم (٢٤)، أبو الحسين البصرى (٢٣)، الأشعرى (٢٠)، ابن التلمسانى (١٦)، أبو اسحق (١٣)، سيبويه، أبو على (٩)، القاضى عبـد الوهاب المالكى (٨)، القاضى عبد الجبار، الكعبى، ابن مالـك، الكرخـى (٧)، أبو حنيفة (٦)، مالك، الخدرى (٥)، الاسفراييني، ابن جنـى، أبـو حيان (٤)، ابن سينا، الصيرفى، صاحب التلخيص، الرافعى، الصـيمرى (٣)، وعشرات أخرى من الأعلام من مختلف المذاهب الفقهية والعلـوم الإسلامية.

وفى "تشنيف السامع بجمع الجوامـع" للسـبكى يتقـدم الرازى صاحب المحصول ثم إمام الحرمين ثم الباقلانى، ثـم الغزالى ثم الآمدى ثم الاسفراييني وغيرهم من كبـار أئمـة الأشاعرة ثم يظهر أبو حنيفة مما يدل على استمرار المذهب الحنفى فى العصور المتأخرة نظرا لتبنى الأتراك المـذهب. ثم يتبادل الأشاعرة والمعتزلة، الشافعية والحنفية المواقع مما يدل على صراعهما من أجل السيطرة على العقيدة والشريعة. فمن الأشاعرة يظهر ابن فورك والأشـعرى نفسـه. ومـن المعتزلة يذكر الكرخى والصيرفى وأبو الحسين، والقاضـى عبد الجبار، وأبو على وابنه. ويظهر بعض أعلام المالكيـة مثل مالك وابن الحاجب، وبعض أعلام الحنابلة مثـل أحمـد وبعض النحاة مثل سيبويه. وقد يتـوارى الفقهـاء لحسـاب المتكلمين نظرا لاعتماد أصول الفقه علـى أصـول الـدين. وكثير من الأسماء على الاتساع وليس فى العمـق باسـتثناء أئمة الأشاعرة وفقهاء الشافعية[1].

(١) الرازى (الإمام) (٣٨)، إمام الحرمين (٢٨)، القاضى البـاقلانى (٢٥)، الغزالى (٢٤)، الشافعى، الشيخ الإمام (٢١)، أبو حنيفة (١٦)، أبو اسحق الشيرازى (٩)، الأستاذ، أبو اسحق، الاسـفراييني (٧)، الكرخـى، ابـن الحاجب (٦)، أحمد، السمعانى، ابن فورك (٥)، الصيرفى، أبو الحسـين

وتكثر أسماء الأعلام فى "الإبهاج فى شـرح المنهـاج" للسبكيين، الأب والابن، يتقدمها جميعا إمـام الحـرمين ثـم الرازى (الإمام) ثم الباقلانى (القاضى أبو بكر) ثم الغزالى ثم الشيرازى (صاحب اللمع) ثم الآمدى، ثم صفى الدين الهندى ثم الشافعى. فكلهم من الشافعية مما يدل على السيطرة شـبه الكاملة للمذهب الشافعى. ثم تظهر المالكيـة فـى شـخص القرافى والحنفية فى شخص أبى حنيفـة، والمعتزلـة فـى شخص أبى هاشم. ثم تتداخل المذاهب الفقهيـة والكلاميـة، شافعية أشعرية مثل الاسفراييني وابن فورك والبيهقى والقفال والماوردى والأرموى، ومالكية مثل القاضى عبـد الوهـاب

---

(٤)، القاضى أبو بكر، عبد الجبار،= =ابن سريج، مالك، سـيبويه (٣)، أبو هاشم، أبو حيان، الأشعرى، ابن أبى هريرة، القرافى، ثعلب، الجبائى، ابن عصفور، الزمخشرى، العنبرى، الشيخ، داود، الخطيب، المـاوردى، المزنى، المروزى، ابن عبد السلام، الذهبى، الشـلوبين، الفارسـى (٢)، وعشرات آخرين ذكر كل منهم مرة واحدة مثل: القاضى الحسـين، ابـن دقيق العيد، البغوى، أبو شامة، الدقاق، ابن خويزمنداد، الأبهرى، البلخى، ابن جنى، الحريرى، النقشوانى، ابن جرير، ابـن فـارس، البيضـاوى، الهندى، عياض، الشهرستانى، أبو مسلم، الأخفش، ابن مالـك، المبـرد، الزجاج، الماتريدى، القزوينى، الأصطخرى، البصـرى، البيهقـى، ابـن سيرين، ابن حزم، الكرخى، القفال، الجاحظ، أبو يوسف، ابن الصـلاح، الشهرزورى، الجنيد، الأوزارعى، القشيرى..الخ (١).

والباجى ومالك، وحنفية مثل الكرخى والدبوسى، وحنبلية مثل أحمد بن حنبل، ومعتزلة مثل أبو على الجبائى والقاضى عبد الجبار والنظام وبشر المريسى، وشـيعة مثـل المرتضـى، ولغويون مثل سيبويه والجوهرى والخليل والمبرد، وصوفية مثل أبى سعيد الخدرى. ومن الوافد جالينوس[1].

وفى "نفائس الأصول" للقرافى واضح أولوية الشـراح

(١) إمام الحرمين (١٩٠)، الـرازى (١٧٢)، الشـافعى (١٣٨)، البـاقلانى (١٢٥)، الغزالى (١٠٦)، الشيرازى (٩٩)، الآمـدى (٦٨)، المصـنف (٥٢)، صفى الدين الهندى (٥١)، أبو هاشم (٤٤)، القرافـى (٤١)، أبـو حنيفة، ابن الحاجب (٣٧)، الأصفهانى (٢٢)، الشيخ، أبو الحسـن (١٥)، الإمام الوالد (١٤)، المروزى (١٣)، ابن الصباغ، الاسفرايينى، الأسـتاذ (١٢)، النقشوانى (١١)، القاضى عبد الوهاب (١٠)، الرافعى، المازرى، ابن برهان، جمال الدين بن مالك (٩)، ابن فورك، الكرخى (٨)، البيهقى (٧)، أبو سعيد الخدرى، ابن المعلى، المرتضـى الشـيعى، أبـو علـى الجبائى، الباجى (٦)، سـيبويه، أبـو عبـد ا البصـرى، مالـك (٥)، الماوردى، الجوهرى، داود، أحمل بن حنبل (٤)، القاشانى، أبو الطيـب الطبرى، القفال (٣)، العز بن عبد السلام، الفراء، القاضى عبد الجبـار، الأبهرى، أبو عاصم، الحافظ الذهبى، أبو علـى الطبـرى، الصـيرفى، النهروانى، النظام (٢)، الدبوسى، الخليل، الأرموى، صاحب التحصـيل، ابن التلمسانى، الحافظ بن عساكر، الحليمى، الرازى (أبـو بكـر)، ابـن سريج، ابن حيان، ابن خيران، ابن دقيق العيـد، المبـرد، الزمخشـرى، الدارقطنى، وعشرات آخرين من المحدثين والفقهاء (١). ومـن الوافـد جالينوس.

الأشاعرة مثل التبريزى ثم الآمدى، ثم الغزالى، ثم النقشوانى ثم الجوينى ثم الشافعى نظرا لارتباط الأشعرية بالشافعية ثـم سراج الدين والمازرى والقاضى أبو بكر. ثم يظهر المعتزلة وعلى رأسهم أبو الحسين البصرى. ثم يتوالى الأشاعرة مـن جديد مثل ابن برهان وتاج الدين والـرازى وأبـو اسـحق الشيرازى. ثم يظهر أبو هاشم الجبائى. ويأتى أبـو حنيفـة الحنفية، ومالك والمالكية، وابن حنبل والحنبلية بعد ذلك. ثم يتداخل الكل مع الكل على التساوى، المالكية مثـل البـاجى والطرطوشى. والمعتزلة مثل النظـام والخيـاط والجبـائى، والظاهرية مثل ابن حزم، ومن الفلاسفة ابـن سـينا، ومـن النحاة سيبويه وابن جنى والخليل. ومن الأنبياء موسـى ثـم عيسى ثم نوح وحزقيال ويعقوب. وبختنصر من ملوك بابل. ويظل الحضور الغالب فـى الـوعى التـاريخى للشـافعية الأشعرية، بالرغم من محاولات المالكية والحنفية والاعتزال الخروج من الهامش إلى المركز[1].

---

(١) التبريزى (١٣٣)، الآمدى (١٢٧)، الغزالـى (٨٩)، النقشـوانى (٨٧)، الجوينى (٦٥)، الشافعى (٤٧)، سراج الـدين (٤٦)، المـازرى (٣٦)، القاضى أبو بكر (٣١)، أبو الحسين البصرى (٢٩)، ابن برهـان (٢٨)، الرازى (٢٧)، تاج الدين (٢٣٩، أبو اسـحق الشـيرازى (٢١)، عبـد

وفى "شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى (٧٧١هـ)" يتقدم المصنف أى صاحب المتن مما يدل على أن الشرح هو انكباب على المتن وصاحبه. لا يهم اسمه بقدر ما يهم مصنفه. ثم يتصدر الإمام الرازى صاحب "المحصول" مما يدل على حضوره ممثلا للأشعرية الشافعية قبل الشافعى نفسه والآمدى والباقلانى وإمام الحرمين ووالد المصنف، فالعلم عائلى، والاسفراييني، وأبى اسحق الشيرازى والأشعرى والبيضاوى. ولا يظهر من باقى الأصوليين بعد الأشعرى سوى أبو حنيفة، ثم القرافى من المالكية، ثم الزمخشرى من مفسرى المعتزلة، وأخيرا الإمام أحمد، ومن

الوهاب المالكى (١٨)، أبو حنيفة (١٤)، أبو هاشم الجبائى (١٣)، القاضى أبو يعلى الحنبلى، أبو الخطاب الحنبلى (٩)، العز بن عبد السلام، القاضى عبد الجبار (٨)، أحمد بن حنبل، مالك (٧) الطرطوشى، الباجى، الابيارى (٥)، العنبرى، الصيرفى، أبو عبد ا البصرى، النظام، أبو مسلم الأصفهانى (٤)، الجبائى، ابن العربى، الخرقى، الكرخى، الحاكم، ابن حزم، الماوردى (٣)، عباد، الأشعرى، ابن سينا، سيبويه، ابن التلمسانى، عيسى بن أبان، شرف الدين التلمسانى، قطب الدين المصرى (٢)، وعشرات آخرون مثل ابن فورك، أبو يعلى، الخياط، المروزى، الزجاج، امرؤ القيس، المتنبى، ابن جنى، الجواليقى، القاضى عياض وآخرون (١)، ومن الأنبياء: موسى (٣)، عيسى (٢)، نوح، آدم، حزقيال، يعقوب، بختنصر (١).

المعتزلة أو أبو عبد ا البصرى، ومن الفقهاء ابن عبد السلام وعشرات آخرين من الأصوليين والفقهاء والمفسرين والنحويين[1]. ونظرا لحلول المحدثين والصحابة والتابعين والرواة محل الأصوليين يتقدم الترمذى ثم البخارى ثم ابن ماجة ثم النسائى وغيرهم[2].

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم أصوليون جدد من المتأخرين غير المتقدمين سيطروا على الفكر الأصولى ابتداء

---

(١) المصنف (٨٣)، الإمام الرازى (٥٢)، الشافعى (٤٠)، ابن الحاجب (٣٨)، الآمدى (٣٦)، الباقلانى (٢٩)، إمام الحرمين (١٤)، والد المصنف (١٣)، أبو اسحق الشيرازى (١٢)، الاسفراييني، الغزالى (١١)، الأشعرى ، أبو حنيفة (١٠)، البيضاوى (٨)، القرافى، الزمخشرى، ابن سريج (٦)، الإمام أحمد، الصفى الهندى، أبو الحسن البصرى (٥)، أبو الحسين البصرى (٤)، الكعبى، الصيرفى، ابن السمعانى (٣)، أبو عبد ا البصرى، الحليمى، الرافعى، ابن عبد السلام (٢)، الماوردى، الكيا الهراسى، البغوى، أبو على الفارسى، النقشوانى، الواحدى، ابن حزم، الأسنوى، الماتريدى، المروزى، القاضى عياض، الأصفهانى، ابن برهان، ومن النحويين= =السكاكى وسيبويه، ومن المفسرين القرطبى، ومن الفلاسفة البيهقى، ومن المعتزلة أبو على الجبائى والجاحظ وعبد الجبار، ومن الحنفية أبو يوسف، ومن الشعراء الأخطل. ومن الصوفية أبو سعيد الخدرى والحلاج والسهروردى.

(١) الترمذى (٢٠)، البخارى (٧)، ابن ماجه (٥)، الدارقطنى (٤)، النسائى، النووى (٣)، ابن حيان (٢). ومن الصحابة يتقدم الخلفاء الأربعة، أبو بكر (٧) ثم عمر (٥)، ثم عثمان وعلى (٤).

من القرن الثامن الهجرى. يتقدم أولا الجاربردى ثم الغـزى وإلى حد ما صدر الشريعة. ومن القدماء يتقدم الرازى، ثـم العبرى، ثم الخانجى، ثم الشافعى، ثم المصنف نفسـه، ثـم المراغى. ومن المعتزلة يتقدم أبو الحسن البصرى وأبو هاشم وعبد الجبار وأبو على الجبائى مما يدل على بقاء الاعتـزال كباعث على المعارضة الفكرية إلى وقت متـأخر. ويظهـر الشافعية وفى مقدمتهم الشافعى ثم الباقلانى ثم الغزالـى ثـم الآمدى والشيرازى والجوينى والاسفراييني ثـم البيضـاوى وابن فورك والقفال وغيرهم. ويظهر أيضا الأحناف ابتـداء من أبى حنيفة محمد وأبو يوسف ويظهر الماتريدى مما يدل على انتشار الماتريدية فى خراسان وبلاد مـا وراء النهـر. ومن الفلاسفة يظهر ابن سينا صاحب الفلسفة الإشـراقية[1].

(١) الجاربردى (٨٠)، الغزى (٧٦)، الإمام (الرازى) (٣٥)، العبرى (٣٤)، الخانجى (٣٣)، الشافعى (٣٢)، المصنف (٢٩)، ، المراغى (٢٦)، أبـو الحسن البصرى، الباقلانى (٢٤)، الفاضل (٢١)، أبو حنيفة (٢٠)، حجة الإسلام (١٦)، أبو هاشم (١٢)، الكرخى (٩)، الآمدى (٨)، الشـيرازى، إمام الحرمين (٦)، الاسفراييني، الأشعرى، عبد الجبار، أحمد بن حنبـل (٥)، ابن الحاجب، أبو بكر الصيرفى، أبو عبد ا البصـرى (٤)، أبـو زيد، صاحب المنتهى، صاحب التنقيح، أبو بكر الرازى (٣)، الماتريدى، ابن عربى، الأصمعى، البغوى (٢)، الزمخشرى، البيضاوى، الكعبى، ابن سينا، الخليل، سيبويه، أبو سعيد الخدرى، سعيد بن جبير، صدر الشريعة،

بل ويبدو انتشار ابن عربى لأول مرة والتصوف، فالشـارح نفسه صوفى النزعة كما يبدو فى المقدمة. فقد قام بالشـرح أثناء اشتغاله باقتناص علوم الأوليـاء الإلهيـين ومعـارف الصوفية. ومن اللغويين يظهر سيبويه والخليل[1].

جـ - المعارضـة الحنفيـة والاعتزاليـة والمالكيـة والحنبلية. وتقل أسماء الأعلام فى "الأنجم الزاهرات علـى حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم، يتقدم أبو حنيفة بالرغم من أن المتن والشرح لشافعيين ثم الشـافعى ثـم أئمـة الأشـاعرة الشافعية مثل الباقلانى والاسفراييني. ثم يتوالى الشافعية مثل الجوينى وابن فورك والجرجانى والغزالى والقفال والـرازى مع بعض المعتزلة مثل أبى الحسـين البصـرى وعبـد ا البصرى وعيسى بن أبان. ويذكر ابن حنبل وداود الظاهرى

ابن فورك، البلخى، أبو على الجبائى، الطوسى، ابن مالـك، علـى بـن عيسى الربيعى، ابن سريج، السكاكى، الأصفهانى، محمد بن الحسن، أبو سعيد المعلى، القفال أبو يوسف، سعيد بن المسيب، الشريف المرتضـى، عبد الجابر، صاحب الحاصل، صاحب التحصـيل، شـارح المختصـر، الأوزاعى، أبو الهذيل، النظام، عيسى بن أبان، بشر المريسى وعشـرات غيرهم (١).

(٢) "أثناء اشتغالى باقتناص علوم الأولياء الإلهيين، وتعلـق بـالى باقتبـاس معارف الصوفية المتألهين مع التزام مجاورة الطلاب وحل كتب أخـرى غير هذا الكتاب"، مناهج العقول جـ ٤/١.

مع عديد من الصحابة والتابعين والنحـاة واللغـويين مثـل الزبيدى[1].

وفى "فتح الغفار بشرح المنار" لابن نجيم يتقـدم فخـر الإسلام البزدوى. فالشارح حنفى ليجد مكانا للحنفية كمركـز للوعى الأصولى التاريخى بعد أن سيطرت عليه الشـافعية. ويتوالى الأحناف تباعـا ابتـداء مـن المصـنف والهنـدى والسيرامى وأبو حنيفـة والقـاآنى والبرغـرى والدبوسـى والكرخى وقاضى خان وأبو يوسف وشمس الأئمـة وزفـر والجصاص والماتريدى وابن الهمام. ويعضدهم المالكية مثل ابن الحاجب ومالك نفسه، ويؤيدهم المعتزلة مثل عبد الجبار وأبو هاشم ومعهم الإمامية مثل ملا خسـرو والنحـاة مثـل سيبويه، وذلك لإخراج الشافعية الأشعرية من بؤرة الـوعى

---

(١) أبـو حنيفـة (٨)، الشـافعى (٥)، البـاقلانى (٤)، الاسـفراييني (٣)، الصيرفى، سعيد بن المسيب، سفيان الثورى، ابن عباس، عائشـة، ابـن سريج، على، عمر، أبو هريرة، الكرخى (٢)، ابن حنبل، الأزهرى، ابـن راهويه، الجوينى، أبو بكر، ابن فورك، الجرجانى، الأشعرى، أبو الحسين البصرى، خالد بن الوليد، داود الظاهرى، الرازى (فخر الدين)، الزبيدى، الأصطخرى، عبد ا البصرى، ابن علية، عيسى بن أبـان، الغزالـى، القفال، الكسائى، الكميت، عز بن مالك، مالك، محمد بن مسلمة، أبو محمد الجوينى، ابن مسعود، معاذ، المغيرة، المقداد، أبـو موسـى الأشـعرى، النحاسى، النووى، الحسن بن الحسين (١).

التاريخى عند الشافعى والتفتازانى والبيضـاوى والأسـنوى والأشعرى والايجى والطحاوى والسبكى وسيبويه(١).

وفى "فواتح الرحموت" للأنصارى الحنفى يتقدم بطبيعة الحال فخر الإسلام البزدوى الحنفى ثم ينازعه الشافعى. ثـم يظهر ابن الهمام الحنفى. ويتـوالى فقهـاء الأحنـاف مثـل الشيبانى وأبو يوسف وأبو حنيفة نفسه مع مالك لفك الحصار الشافعى الأشعرى ممثلاً فى الغزالى والرازى. ويعود فقهـاء الأحناف مثل شمس الأئمة والجصـاص والمصـنف نفسـه والقاضى أبو زيد لفك الحصار الشافعى الأشعرى الممثل فى عبد القاهر البغدادى. ويقابل الماتريدى الأشعرى. ويأتى ابن

---

(١) فخر الإسلام (٦٢)، الشـافعى (٥٢)، المصـنف (٥٠)، أبـو يوسـف، السيرامى (٢٤)، الهندى (١٨)، صدر الشريعة، أبو حنيفة (١٦)، القاآنى، التفتازانى، شمس الأئمة (١٠)، البرغرى، الدبوسى، الكرخـى، قاضـى خان، الشيبانى، شمس الأئمة (٦)، الجرجانى، ابن الحاجب، الزيلعى، عبد الجبار، صاحب الهداية، صاحب الكشف، مللا خسرو، زفر، ابن السبكى الفارسى، امرؤ القيس، الجوهرى (٤)، ابن الهمام، الأكمل، البيضـاوى، القرطبى، الثلجى، أبو هاشم، الحداوى، الأسنوى، الأخفـش، الأشـعرى، الايجى، أبو بكر الرازى (الجصاص)، الوالوالجى، مالك، القاضى، ابـن مالك، الطحاوى، السبكى، الصيرفى، الماتريدى، سيبويه، زهير، الكلبـى، شيخ الإسلام ابن حجر، صاحب التقديم، صاحب الكشاف، شرح الكنز، شرح الجمع (٢).

حنبل لمساعدة الأحناف مثل الكرخى ثم يحاصـران بإمـام الحرمين. ثم يظهر المالكى مثل ابن الحاجب والفيلسوف ابن سينا لمساعدة التيار العقلـى الـواقعى ولكـن يحاصـرهما الباقلانى. وهكذا تستمر التيارات المهمشة الاعتزالية عند عبد الجبار والجبائى، وأبى الحسين البصـرى، وأبـى الحسـن البصرى، وعباد ابن سليمان، والحنفى عند الدهلوى والمزنى والكرخى وعيس بن ابان والسرخسى بل والإمامى عند جعفر الصادق والطوسى ومحمد الباقر والمالكى أقل. واللغوى عند سيبويه والسيرافى وابن أبى البقاء بل والصوفية مثل صاحب الفتوحات الملكية ولكن الأشعرية الشافعية تستمر فى الحصار مثل السبكى والطحاوى والتفتازانى وصـاحب المحصـول وصاحب الهداية والاسفراييني والنسفى والدوانى وعبد السلام والماوردى(١).

(١) فخر الإسلام البزدوى (٨٨)، الشافعى (٨٤)، ابن الهمـام (٧٨)، صـدر الشريعة (٣٠)، القاضى، مالك، الشيبانى (٢٤)، أبو حنيفة، أبو يوسـف، حجة الإسلام (٢٢)، القاضى أبو زيد (٢٠)، الرازى (فخر الدين)، شمس الأئمة (١٦)، الجصاص، المصنف، الجصاص البغدادى (عبـد القـاهر) (١٤)، الماتريدى، الأشعرى، ابن حنبل (١٢)، الكرخى، إمام الحـرمين، ابن الحاجب، ابن سينا(١٠)، الباقلانى، القاضى أبوبكر، الدهلوى، جـدى الولى قطب الملة والدين السيد قوس سره الشريف (٦)، الكعبى، سيبويه،

وفى "معراج المنهاج" للجزرى يتقدم بعد المؤلف نفسه أعلام المعتزلة على الإطلاق مثل النظـام، وأبـى الحسـين البصرى والكرضى والخياط وأبى عبد ا البصـرى وأبـى على، وأبى هاشم والقاضى عبد الجبـار. ومـن الأشـاعرة الأشعرى والجوينى والأرموى، ومن الظاهرية داود والفقهاء الأربعة وسفيان الثورى، ومن النحاة سيبويه، ومن الشـعراء الفرزدق وامرئ القيس[1].

عبد الجبار، الجبائى، الحسن البصرى، أبو الحسين البصـرى، صـاحب الكشف (٤)، المزنى، أبو ثور، أعظم مشايخنا وأكبر مشـايخ العـراق، القاضى الإمام، الطحاوى، جعفر الصادق، التفتازانى، ابن خلكان، صاحب المحصول، السيد، صاحب الهداية، الكرخى، أبو اليسر، صاحب التحرير، صاحب البديع والمختصر، الطوسى، الاسفرايينى، الحليمى، العينى، عبد الواحد بن يزيد، عيسى بن أبان، النسفى، ابن الزبعرى، الفراء، المبـرد، الإمام، صدر الإسلام، صاحب الفتوحات المكية، قطب الدين الشهيد، عمر بن الفضل، الشيخ سراج الدين، صاحب البديع، محمد الباقر، جلال الدين الدمانى، الشيخ عبد السلام، ابن أبـى البقـاء، السرخسـى، السـيرافى، السهيلى، الفارسى، ابن هشام، امرئ القيس، الماوردى، قطرب، هشـام، الدينورى، ابن مالك، أبو عمر الزاهد.

(١) الجزرى (٣)، النظام، أبو الحسين البصرى (٢)، أبو الحسن الكرخـى، الخياط، أبو عبد ا البصرى، الجبائى، (أبو على، أبو هاشم)، القاضـى عبد الجبار، الاسفرايينى، ابن جرير الطبرى، ابـن سـريج، البـاقلانى، الرازى، الصيرفى، أبوجعفر الطوسى، أبو مسلم الأصفهانى، الأشـعرى، الجوينى، البيضاوى، القفال الشاشى، المازرى، أبوبكر الدقاق، الغزالـى،

وفى "نشر البنود على مراقى السعود" للشنقيطى يتقـدم بطبيعة الحال أعلام المالكية مثـل السـبكى والقرافـى لأن الشارح مالكى موريتانى مغربى حيث تسود المالكيـة فـى مركز الوعى التاريخى الفقهى الأصولى ويحاصر المالكيـة مثل ابن الحاجب ومالك نفسه والقاضى عبد الوهاب المالكى والباجى، وأبو الفرج المالكى والتلمسانى الشافعى والـرازى وزكريا. ويساعد الأحناف مثل أبى حنيفة نفسه وابن الهمـام وعيس بن أبان وأبو زيد الدبوسى والجصاص والكرخى فى زحزحة المركز. كما يساعد أيضاً الحنابلة مثل أحمد نفسـه، والصوفية مثل ابن عربى، والمعتزلة مثـل القاضـى عبـد الجبار وأبى الحسين البصرى والحسن البصرى الزمخشرى. ولأول مرة يظهر ابن رشد من الفلاسفة دفاعـاً عـن حـق المحيط فى أن يصبح مركزاً، ويزاح الأشاعرة مثل التفتازانى والزركشى وإمام الحرمين والباقلانى والأشعرى والأمـوى والغزالـى والبيضـاوى والقفـال والشـيرازى والايجـى

الأرموى، أبو داود الظاهرى، الشريف المرتضى، أبو حنيفة، أبو يوسف، الشيبانى، الشافعى، البخارى، أبو سعيد الخدرى، سفيان الثورى، أحمد بن حنبل، مالك بن أنس، سيبويه،= =الفرزدق، امرئ القيس.

والاسفراييني والأسنوى[1].

وفى "فتح الودود على مراقى السعود" للشنقيطى يتقدم بطبيعة الحال مالك. فالشارح مالكى المذهب وإن كان شافعى العقدية. وهو ما يبين حضور الغزالى فى العقائد ومالك فى الشرائع فى آن واحد، وهو الخلاف المغربى المتمثل أيضاً فى ابن رشد، ظاهرى فى العقيدة، ومالكى فى الشريعة. يظهر مالك مزاحماً للشافعى. ثم يتوالى المالكية مثل القاضى عبد الوهاب ليزيح السبكى الأب والابن وإمام الحرمين. ثم يظهر

---

(١) السبكى (٧٨)، القرافى (٧٦)، الشافعى (٥٤)، ابن الحاجب (٤٦)، مالك (٤٢)، الرازى (٢٦)، زكريا شيخ الإسلام (٢٤)، القاضى (٢٠)، القاضى عبد الوهاب المالكى (١٦)، اللقانى (١٤)، أبو حنيفة، المحلى، أحمد، التفتازانى، أبو الحسن البصرى، الابيارى، الباجى (١٢)، الزركشى، ابن رشد، إمام الحرمين (١٠)، ابن الهمام، الأصفهانى، الشاطبى (٨)، حلولو، الباقلانى، الرهونى، الأشعرى، الآمدى، الغزالى، الفهرى، البيضاوى (٦)، ابن الماجشون، خليل المالكى، ابن عبد السلام، السمعانى، البرماوى، ابن العربى، القفال، عبد الجبار، اسحق بن راهويه، الابهرى، عيسى بن أبان، سيبويه (٤)، المحشى، العبادى، أبو زيد، البنانى، سحنون، عبد الباقى، ابن مرزوق، الدماميمى، الرهونى، ابن دقيق العيد، المصنف، الحميرى، أبو بكر الرازى، الشيخ الإمام ابن مالك، الصفى الهندى، التلمسانى، الشيرازى، اللخمى، شهاب الدين عميرة، الايجى، صلاح الدين، المقرى، الحسن البصرى، الزمخشرى، البخارى، ابن عربى، أبو طالب، الدبوسى، محمد الجوينى، الاسفراييني، الأسنوى.

ابن الحاجب والقرافى والابيارى والباجى وأبو الفرج المالكى وحلولو ليزيح الباقلانى والآمدى والرازى. ويعضد أبو حنيفة المذاهب مع باقى الأحناف مثل أبى يوسـف والماتريـدى. ويأتى ابن حنبل أيضاً ليجد له مكاناً فى المركـز. ويسـاعد النحاة مثل ابن جنى والزجاج لإفساح المجال ضـد السـيادة الأشعرية عند البيضاوى والأشعرى والسمعانى. وربما لثانى مرة يظهر ابن رشد كسراب بعيـد يتـراءى فـى الـوعى التاريخى مازال فى حاجة إلى استدعاء[1].

وفى "شرح الكوكب المنير" لابن النجار وهـو حنبلـى يشرح حنبلياً يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل ثم الرسـول، وهى سمة الحنبلية، الاقتداء بالرسول. ثم يتبع فقهاء الحنابلة، أبو يعلى ثم ابن مفلح ثم ابن تيمية ثم ابـن الحاجـب وابـن

---

(١) مالك (٢٤)، الشافعى (٢٢)، القاضى عبد الوهاب المالكى، السبكى (تقى الدين) (٢٠)، إمام الحرمين (١٢)، ابن الحاجب، أبو حنيفة، السبكى (تاج الدين)، القاضى أبوبكر الرازى (الجصاص) (١٠)، القرافـى، المحلـى، الابيارى، الباجى، الباقلانى (٦)، الآمدى، الرازى، حلولو، ابن حنبل، أبو يوسف (٤)، أبو الفرج المالكى، الأبهرى، المحلى، الولاتى، ابن حجـر، ابن كثير، المصورى، ثعلب، ابن فارس، الزجاج، العسكرى، البيضاوى، ابن القشيرى، المحشى، ابن جنى، النعمان، القشيرى، الماتريدى، زكريا، الأشعرى، السمعانى (٢)، ابن رشد (١).

قاضى الجبل وابن قدامة والطوفى وابن القيم الجوزية وابـن عقيل وابن الصلاح والماوردى والعز بن عبد السلام وابـن الجوزى وابن البناء. ويتخللهم فقهـاء الشـافعية الأشـعرية باعتباره التيار المستقر فى الوعى التاريخى مثـل الشـافعى والآمدى والباقلانى والغزالى والأشعرى والجوينى والرازى والاسفرايينى والقفـال الشاسـى وابـن فـورك والايجـى والشيرازى والسبكى والبغوى. ويتداخل معهم فقهاء المالكية بداية بمالك والقرافى وعبد الوهاب المالكى ويظهـر معهـم كبار المحدثين النسائى والترمذى والبخارى ثم يظهر النحـاة مثل سيبويه، وابن جنى، والزجاج، والسيرافى. ومن الصوفية المحاسبى، والقشيرى وغيرهم. ومن المعتزلـة: الجبائيـان، الحسن البصرى، أبو الحسين البصرى، القاضى عبد الجبار، الزمخشرى. ومن الأحناف: أبو حنيفة، الكرخى، السرخسى، الجصاص، الأوزاعى، أبو يوسف، الشيبانى، أبو شمر. ومن الظاهرية ابن حزم وداود الظاهرى. ويلاحظ قدرة الحنابلـة على الجمع بين النص والعقل والمصلحة، الـوحى والعقـل والطبيعة[1].

---

(١) ابن حنبل (٣٤٧)، محمد الرسول (٢٤٢)، أبو يعلى الحنبلى (٢٢٥)، ابن

٢- المتون والشروح.

أ- المحصول للرازى. والمتن الأكثـر حضـوراً فـى الشرح هو "المحصول للرازى" ثـم البرهـان "للجـوينى"، والمستصفى "للغزالى". ثم الشروح المتأخرة خاصة المالكيـة والحنبلية. وتبدو أهمية "المحصول" لأنه جمع بين "البرهـان" و"المستصفى". ويظهر اسم العمل دون اسم المؤلـف نظـراً لشهرته وحضوره فى الوعى التاريخى نصاً كان أم شـرحاً

مفلح الحنبلى (٢١٣)، الشافعى (١٤٦)، الآمـدى (١٣٥)، ابـن تيميـة (١٠٧)، البرماوى (١٠٦)، ابن الحاجب (٩٨)، ابن قاضى الجبل الحنبلى (٨٦)، ابن قدامة، العلوفى (٧٦)، الباقلانى (٧٢)، مالك (٧٠)، الجـوينى (٦١)، ابن حمدان (٥٤)، ابن تيمية (٥٣)، أبو حنيفـة (٤٢)، الغزالـى (٣٩)، الأشعرى (٣٧)، ابن برهان (٣٥)، القرافى، السبكى (تاج الـدين) (٢٩)، ابن السمعانى، صفى الدين (٢٧)، سـيبويه (١٨)، ابـن حجـر العسقلانى (٢٦)، أبو داود السجستانى، البيضاوى (٢٥)، ابـن العراقـى (٢٣)، الترمذى، النسائى (٢٢)، البيهقى، ابن البناء، ابـن حامـد (١٨)، الأصفهانى، الخلال (١٦)، الايجى (١٥)، الجبائى (أبو هاشم)، الكورانى، الجبائى (أبو على) (١٤)، عبـد الوهـاب المـالكى (١٣)، المـروزى، الاسفراييني (١٢)، الشافعى، ابن القيم، الجوزية، الماوردى، عبد الوهاب المالكى (١٠)، ابن كلاب المصرى، السبكى (تقى الدين)، النيسـابورى، الصيرفى، طاوس، ابن الصباغ، أبو حاتم الرازى (١١)، عبـد القـاهر البغدادى، الماتريدى (٩)، أبو على الفارسى، الحلى، الزجاج، ابن سـريج (٨)، المروزى، أبو البقاء (٧)، الحلوانى، الجصاص (٦).

بعد أن تحول الشرح إلى متن مثل المتون الأولى.

ومن المصادر المذكورة فى "شرح المنهاج" للأصفهانى يتقدم "المحصول" للرازى كنص عمدة، ثم "المختصر" لابـن الحاجب ثم "المصباح" و"المنهاج" للبيضاوى، ثـم "الأحكـام" للآمدى، ثم "التحصيل" للأرموى. ومن الفقه "شـرح الكفايـة الشافية" لابن مالك. ومن النحو "الخصائص" لابن جنى[(١)].

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم "المحصول" للرازى ثم شروحه مثل "الحاصل" و"التحصيل" ثم "المنتهـى" لابـن الحاجب ومختصراته وشروحه، ثم أمهات الأصول الأشعرية الشافعية مثل "البرهان" للجـوينى و"المستصـفى" للغزالـى. وتظهر بعض المتون لحنفية مثل "أصول البـزدوى" لسـيادة الحنفية والماتريدية فى خراسان. وتظهر السـيادة الفلسـفية الإشراقية يظهر "شرح الإشارات" للطوسى[(٢)].

---

(١) المحصول فى علم الأصول للرازى (٤)، المختصـر لابـن الحاجـب، المصباح لناصر الدين البيضاوى (٣)، الأحكـام فـى أصـول الأحكـام للآمدى، المنهاج لناصر الدين البيضاوى (٢)، التحصيل من المحصـول لسراج الدين الأرموى، الخصائص لابن جنى، شرح الكفاية الشافية لابن مالك (١).

(١) المحصول (١٧)، شرح المحقق (عضد الدين) (٨)، الحاصل (٥)، شرح السنة (٣)، الفتوحات، المختصر (٢)، المنتهـى، حاصـل المحصـول،

وفى "التلويح على التوضيح لمـتن التنقـيح" لصـدر الشريعة البخارى يتقدم أيضاً المحصول ثم متـون الحنفيـة كالمبسوط للسرخسى وأصول البزدوى[1].

وفى "شرح المحلى على جمع الجوامع" يتقـدم أيضـاً المحصول ثم الشـرح للآمـدى وبعـض متـون الشـافعية وشروحها[2].

وفى "نهاية السول" للأسنوى شارحاً المحصول للرازى بطبيعة الحال يتقدم نص "المحصـول" علـى غيـره مـن النصوص والشروح ثم "المنتخب" و"الاحكـام" للآمـدى ثـم شروح المحصول. وتبرز النصـوص التكوينيـة للشـافعية الأشعرية مثل "المستصفى" للغزالى، و"البرهان" و"الشـامل" للجوينى. كما تظهر بعـض النصـوص الاعتزاليـة مثـل

الصحاح، الحاوى، الوجيز، الكشاف، مختصر المنتهى، البرهان، التلويح، الصحاح، شرح الإشارات، صحيح البخارى، شرخ مختصـر المنتهـى، الهداية، المفتاح، التحصيل، أصول البزدوى، المستصفى (١).

(٢) المحصول (٢)، المبسوط، أصول البزدوى، شـرح الطحـاوى، كتـب الأصول، الجامع، الصحاح (١).

(٣) المحصول للرازى، شرح المختصر للآمدى (١٠)، شرح المنهـاج (٧)، المختصر (٣)، الكشاف، المستصـفى،= =الصـحيحان (٢)، التقريـب، المرشد الوجيز، المنخول، شرح البرهان، كتب المغاربة والمشارقة (١).

"المعتمد" للبصرى و"العمد" لعبد الجبار[1].

ب- البرهان للجوينى والمستصفى للغزالـى. وبعـد "المحصول" للرازى يتقدم "البرهان" للجوينى ففى "الكاشـف" للأصفهانى يـأتى فـى المقدمـة "البرهـان" للجـوينى ثـم "المستصفى" و"شفاء الغليل" للغزالى ثم "المعتمد" لأبى الحسين البصرى مما يدل على استمرار الصـراع بـين الأشـاعرة والمعتزلة[2]. ثم يختفى الشـخص لحسـاب المؤلـف مثـل "صاحب الأحكام" ثم صاحب التلخيص ثم صـاحب المعتمـد (أبو الحسن البصرى)... إلخ. وتدل الإشارات على احتـواء

---

(١) نهاية السول: المحصول (١٧٥)، المنتخـب (٤٥)، شـرح المحصـول (٣٧)، الاحكام (الآمـدى) (٢٥)، البرهـان (٢٣)، المستصـفى (١٩)، التحصيل (١٥)، شرح اللمع (٨)، شرح المعالم، الوجيز (٧)، المعتمـد، شرح المعتمد، الشامل (٥)، شرح التنقيح، التنقيح (٤)، وعشرات أخـرى من المصادر والنصوص والشروح على السواء.

(٢) البرهان (٦٣)، المعتمد (٤٦)، المستصفى (٤٠)، شـفاء الغليـل (٤٠)، الرسالة البهائية (١٢)، شرح المعتمد (٩)، شرح العمـد (٨)، التنقـيح، الملخص، العمد (٧)، الشامل (٦)، المعالم (٥)، التحصيل، الخصـائص، الإرشاد (٤)، المحصـل، التلخـيص، منتهـى السـول (٣)، القواعـد للأصفهانى، الأوسط، المنتخب (٢)، العين، الأربعين، الإيضاح، التمهيد، الجامع، الصحاح، الموجز، نهاية الاقدام، المـدخل، اللمـع، الأسـاليب، الوصول إلى علم الأصول، الفصول، الطريقة الحسنة (١).

العمل للمؤلف وتعريف المؤلف بعمله لا بشخصه[1].

وفى "الإبهاج لشرح المنهاج" للسبكيين الأب والابن يتقدم أيضاً "البرهان" أولاً وشروحه المختلفة كما أتى من المصنفين إمام الحرمين أولاً. ثم تأتى شروح واختصارات "التقريب" و"الإرشاد" لإمام الحرمين أيضاً ثم "شرح اللمع" للشيرازى. وتبدو أصول الفقه الاعتزالى مثل "المعتمد" و"شرح العمد" من بعيد[2].

وفى "الأنجم الزاهرات فى حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم يحال إلى "البرهان" للجوينى ثم الصحاح للبخارى

---

(١) صاحب الأحكام (٢١٢)، صاحب التلخيص (٩٦)، صاحب المعتمد (٧٦)، صاحب التنقيح (٦٥)، صاحب التحصيل (٣٤)، صاحب الحاصل (٢٥)، صاحب التنقيحات (١٥)، صاحب المحصول، صاحب الإفادة (٦)، صاحب كشف الأسرار، صاحب العين، صاحب المنتخب (٢)، صاحب الصحاح، صاحب الكشية، صاحب النهاية، صاحب الملخص، شارح البرهان (١).

(٢) البرهان (٢١)، مختصر التقريب والإرشاد (٢٠)، التلخيص والإرشاد (٢٠)، شرح اللمع، شرح المحصول، التقريب (٩)، شرح البرهان (المازرى)، القواطع (ابن السمعانى)، الملخص، عدة المعالم (٦)، شرح المعتمد= =(٣)، المحصول، شرح المعتمد، التقريب، الرسالة، المعالم (٢)، الحاصل، الإرشاد، الأشباه والنظائر، الوجيز، الإفادة، المعتمد، أحكام القرآن، شرح الكفاية، الاصحاح، شرح المعتمد، التقريب، الرسالة (١).

ومسلم مع شرح مسلم للنووى[1]. فلم يعد البرهان فى حاجـة إلى شرح إلا بالحديث أى بالنقل دون العقل مـع غيـاب أى تحد آخر من الحنفية أو المعتزلة أو المالكية أو الحنبليـة أو الظاهرية أو الإمامية.

وفى "التقرير والتحبير" لابن كمال الحاج يتقدم أيضـاً "البرهان" و"الرسـالة" للشـافعى مؤسـس علـم الأصـول و"المواقف" للايجى آخر نص فـى علـم الكـلام الفلسـفى، و"المحصول" للرازى، و"شرح الكفاية". تتلوهـا عديـد مـن المتون مثل "التقريب"، "جامع الأسماء"، "كشـف الأسـرار"، "جمع الجوامع"، "المحصول"، "الاحكام" مع عديد من الشروح مثل "شرح المواقف"، "شرح الهداية"، "شرح المنهاج"، "شرح أصــول ابــن الحاجــب"، "شــرح البرهــان"، "شــرح الطحاوى"...الخ. ويبدو التحدى بين الحنفيـة فـى "كشـف الأسرار" للبزدوى، والمالكية فى "المنتهى" لابـن الحاجـب وشروحه[2].

---

(١) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات: البرهان (٣)، البخارى، مسلم، شرح مسلم (١).

(١) الرسالة، المواقف، البرهان، شرح الكفاية (٨)، شرح المواقف، المقاصد، المحصول، شرح المنهاج (٦)، المنتخب، شرح الهداية، التقريب، جـامع

وفى "نفائس الأصول" للقرافى المالكى يتقدم المستصفى" للغزالى الشافعى باعتباره أهم نـص تكـوينى فـى القـرن الخامس، ثم "شرح البرهان" للجوينى وهو صاحب البرهـان والإمام. وهما ثنائيا الأشاعرة، التلميذ والأستاذ ثم "الأوسـط" لابن برهان. ثم يظهر بعد ذلك النص الاعتزالى "المعتمد فى أصول الفقه" لأبى الحسين البصرى، ثم يعود الأشاعرة مـن جديد فى "اللمع" للشيرازى. ثم تظهر نصوص الحنابلة مثـل "العمدة" لأبى يعلى، و"أصول الفقه" لعبد الوهـاب المـالكى، و"التمهيد" لأبى الخطاب الحنبلى. ثم يعود الأشاعرة الشافعية من جديد كتيار دائم مثل "الأحكام" للآمدى و"شـفاء الغليـل" للغزالى. ويتبادل الشافعية والمالكية والحنابلـة الأدوار مثـل "المعالم" للرازى و"الملخص" للمالكى، و"شـرح المحصـول" للباجى و"الواضح" لابن عقيل[1]. وتستمر المدارس الأصولية

الأسرار، كشف الأسرار، المنتهى، فتح القدير، الجامع الكبير، المبسـوط، المستصفى، جمع الجوامع، شـرح المنهـاج، المحاصـيل، التحصـيل، المحصول، المنهاج، الإيضاح، الكفاية، طبقات، الفقهاء، الأحكام، شـرح أصول ابن الحاجب، شرح الطحاوى، شارحى أصول ابن الحاجب، جامع العلة، الحكمة، شرح البرهان (٣).

(١) المستصفى (٦٤)، شرح البرهـان (الجـوينى) (٢١)، الأوسـط (ابـن برهان)، المعتمد (البصرى) (١٩)، اللمع (الشيرازى) (١٧)، العمدة (أبو

على التناوب، بين الشافعية والمعتزلة والحنبلية والمالكية. بل والظاهرية. كما تتداخل النصوص اللغوية مثل "الجامع" لابن جنى، و"الأمالى" للزجاج بل والفلسفية أيضاً مثل "الشفاء" لابن سينا. ومن الكتب المقدسة التوراة والإنجيل[1].

وفى "التحقيقات لشرح الورقات" لابن واقان يتقدم أيضاً "المستصفى" و"المنتهى". ويحال إلى التوراة[2].

وبعد "المستصفى" يأتى "جمع الجوامـع". ففـى "فـتح الودود على مراقى السعود" للشنقيطى المالكى تقـل الإحالـة إلى المصادر باستثناء "جمع الجوامع" للسبكى، و"الرسـالة"، و"شرح التنقيح"، بالرغم من ورود ما يزيد على الألف ومائة

يعلى) (١٤)، شرح البرهان (المازنى) (١٣)، أصول الفقـه (المـالكى) (١١)، التمهيد (أبو الخطـاب) (٩)، الاحكـام (الآمـدى)، المحصـول (الرازى) (٧)، شفاء الغليل (٥)، الملخص (المـالكى)= =(٤)، المعـالم (الرازى) (٣)، شرح المحصول (البـاجى)، الواضـح (ابـن عقيـل)، الحاصل، شرح المعالم (ابن التلمسانى)، الأحكام السلطانية (المـاوردى) (٢)، الاختصار، الإرشاد (الجوينى)، شرح العمد، القيـاس (البصـرى)، الكشاف (الزمخشرى)، المحصل (الرازى)، المزنى، تـرجيح الأخبـار، الترجيحات، المحصول، القبس (ابن العربى)، المعتمد (أبو يعلى)، الاقرار (الخرقى)، الجامع (ابن جنى)، الأمالى (الزجاج)، الشفاء (ابـن سـينا)، شرح المحصل (قطب الدين المصرى)، النكت (ابن حزم) (١).

(٢) التوراة (٤)، الإنجيل (١).

(٢) المستصفى، المنتهى، التوراة (١).

اقتباس دون الإحالة إلى مصادرها بل يكفى علامة "أهـ"[1].

وفى "مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر" للـولاتى تقل الإحالة إلى مصادر خارجية باستثناء "الضياء اللامع فى روضة الناظر" للشارح الحنبلى مع حواشى البيضاوى[2].

جـ - المتون والشروح المعارضـة. وهـى المتـون والشروح الحنفية والاعتزالية والمالكية والحنبلية والظاهريـة والإمامية. ومعظمها حنبلية. ففى "جامع الأسرار فى شـرح المنار للنسفى" للكاكى تظهر أيضاً نصوص مثل "المبسـوط" وعدد آخر من الشروح والمتون الحنفية والأصولية واللغوية ومجموعات الأحاديث مثل شرح البـزدوى وتقـويم الأدلـة للدبوسى والمالكية مثل شرح أصول ابن الحاجب والاعتزالية مثل "المعتمد"[3].

ويحيل "تيسير التحرير" لابن بادرشاه إلى عديـد مـن

---

(٣) جمع الجوامع (٦)، الرسالة، شرح التنقيح (٢)، الاقتباسات (١١٠٠).

(٤) "الضياء اللامع فى روضة الناظر"، "حواشى البيضاوى" (١).

(١) المبسوط (٤)، المحيط (٢). الشروح مثل: شرح البزودى، شرح الهداية، شرح الجامع، شرح الآثار، شـرح التـأويلات، شـرح أصـول الـدين (الحاجب)، شرح المنار (للمصنف). والمتون مثـل: الصـحاح، تقـويم الأدلة، معرفة أنواع الحديث، صحيح مسلم، تنويـع السـماع وتجنـيس الإجازة، الاستحسان (محمد)، المعتمد، الكفاية، الجامع الحسابى.

المصادر. أولها "شرح الهداية" ثم "الشـرح العضـوى" ثـم شروح "التنقيح" ثم "شرح المختصر". وتأتى الشـروح قبـل المتون مثل "الكشاف"، و"المحصول"، و"البديع"، و"الهدايـة"، و"المستصفى"[(١)].

وفى "شرح الكوكب المنيـر" لابـن النجـار تتجـاوز المصادر المحال إليها ما يفوق أربعمائة مصدر مما يدل على أن الحنبلية أصبحت موسوعة ضخمة لعلم الأصول والذاكرة الحضارية للوعى الأصولى . فالفقهاء هم حـراس المدينـة الذين يدقون ناقوس الخطـر، والـذين يقومـون بعمليـات المراجعة والتصفية حفاظاً على الأصيل ضد الدخيل. يتقدمها جميعاً الكتاب المصدر الأول للتشريع، ثم "شـرح التحريـر" للمرداوى و"الإنصاف" له و"الفصول" و"الفنـون" و"الإرشـاد و"الواضح" لابن عقيل و"التمهيد" و"الانتصار" لابن الخطاب، و"الروضة" و"المغنى" و"الشرح الكبير" لابن قدامه. فالمصادر الحنبلية تأتى أولاً. و"المقنع" و"نهاية المبتدئين" لابن حمـدان، و"الأصول" لابن الحاجب، ومختصر، و"أعلام الموقعين" لابن

---

(٢) شرح الهداية (٢٧)، الشرح العضدى (١٢)، الكشاف، التنقيح مع شـرح التوضـيح والتلـويح، شـروح المختصـر (٦)، المحصـول، البـديع، المستصفى، الهداية (٣).

القيم، و"الرعاية" و"الرعاية الكبرى" و"الرعايتان" لابن حمدان و"شرح المختصر" و"شرح الروضة"، و"أصول وفروع" ابـن مفلح، و"المسودة" لآل تيمية و"المجرد" و"العدة" لأبـى يعلـى و"القواعد والفصول" لابن اللحام. ومـن مسـتوى الشـافعية "الرسالة" للإمام الشافعى، و"البرهان" للجوينى، و"الملخـص فى الجدل" للشيرازى، و"المحصول" للـرازى، و"التقريـب" للباقلانى. ومن المالكية "شرح التنقيح" للقرافى. ويحال إلـى الصحيحين وإلى كتب الحديث الخمسة. كما يحال إلى التوراة والإنجيل[1].

وفى "فواتح الرحموت" للأنصارى من المصادر يتقـدم

(١) المصادر (٣٤٦). أهمها: الكتاب (المصحف، القـرآن) (١٦٣)، شـرح التحرير للمرداوى، الواضح لابن عقيل، التمهيد لابـن الخطـاب (٤١)، الروضة لابن قدامة (٣٩)، جمع الجوامع للسـبكى (٣٨)، أصـول ابـن مفلح، الفروع لابن مفلح (٢٨)، شرح الطوفى لمختصره، المسـودة لآل تيمية، تحرير المنقول للمرداوى (١٥)، نهاية المبتـدئين لابـن حمـدان (١٤*، فتح البارى للعسقلانى (١٢)، القاموس المحـيط للفيروزبـادى، التذكرة للتميمى، المجرد للفراء، الفنون لابن عقيل (١٠)، العدة للفـراء، البرهان للجوينى، الحاوى للحنبلى، شرح مختصر الطـوفى للعسـقلانى، شرح التهذيب للنووى، الأصول لابن الحاجب، أعلام الموقعين لابن القيم، الملخص فى الجدل للشيرازى، صحيح البخارى، الانتصار لابن الخطاب (٨)، شرح مختصر الروضة للطوفى، التـوراة (٧)، شـرح المنظومـة للبرماوى (٦).

"شرح المختصر" ثم "الحاشية" ثـم "شـرح المختصـر" ثـم "التحرير" ثم "مطلع الأسرار الإلهيـة (الربانيـة)" و"شـرح الشروح" ثم "التلويح" وغيرها من أمهات المتـون الشـافعية بالإضافة إلى صحيح البخارى والتوراة. ويلاحظ غلبة المتون ثم الشروح ثم الحواشى[1].

وفى "نشر البنود على مراقى السعود" للشنقيطى تتقـدم المتون على الشروح والحواشى. وأهمها "التنقيح" بشـروحه وحواشيه ثم "المحصول" للرازى الذى جميع بين "البرهـان" و"المستصفى" وتظهر بعض المتون مثل "شرح المختصـر" لخليل المالكى[2].

---

(١) شرح المختصر (٣٨)، الحاشية (٣٠)، التحرير (٢٨)، مطلع الأسـرار الإلهية، شرح الشرح (١٢)، التلويح (٨)، شرح المنهاج (٦)، المختصر، فتح الغدير، شرح المنار (٤)، المجتبى، التقرير، الشفاء، الفوائد الغثاثية، الكشف، المواقف، الأسرار، شرح الهداية، الدرة المنثورة، الاسم، البدائع، البديع، التلميح والتحرير (٢).

(٢) التنقيح (٢٢)، المحصول (١٤)، شرح التنقيح (١٢)، الآيات البينات (٦)، المختصر (خليل المالكى)، شرح المحلـى علـى جمـع الجوامـع (٤)، الرسالة، المنهج، الدر الواقع، مختصر بن الحاجـب، جمـع الجوامـع، المنتهى، نقاش الدرر، الذخيرة، التلويح على التنقيح، حواشـى التلـويح، التلويح، شرخ المختصر، فيض الفتاح على نور الاقاح (للشارح نفسـه)، شرح المحصول، حياة الحيوان الكبرى (٢).

وفى "فتح الغفار فى شرح المنار" لابن نجيم يتقدم "التلويح" ثم "التحرير" ثم "التقرير" ثم "التنقيح". وتتراوح بين المتون والشروح والحواشى، والمتون أكثر من الشروح، والشروح أكثر من الحواشى[1].

٣- المذاهب والفرق

أ- التحدى الاعتزالى. فى "الكاشف" للأصفهانى من الفرق والمذاهب والطوائف يأتى المعتزلة تحديا بينهم وبين الأشاعرة مع توسط الفقهاء والمتكلمون والأصوليون متأخرون ومتقدمون وبالتفاعل مع المذاهب الفقهية الشافعية والحنفية، وبتآزر الفلاسفة والمناطقة والنحاة، وبقايا الديانات الشرقية القديمة البراهمية والثنوية. وتمثل المذاهب والفرق

---

(١) التلويح (١٧٦)، التحرير (١٧٠)، التقرير (٤٨)، فتح القدير، التنقيح (٤٢)، المغنى (٣٠)، التوضيح (٢٦)، الكشف (١٦)، الكشاف، البدائع، الهداية، حاشية العضد، المبسوط، تلخيص الجامع الكبير، شرح الكنز (٤)، فتح البارى، المحيط، العدة، الشارح، صاحب الكشاف، شرح المجمع، حاشية العضد، شرح الهداية، الفتاوى البزازية، الكشف الكبير، المحصول، شرح المغنى، الإيضاح، المفتاح، مختصر ابن الحاجب، ضياء، الحلوم، الحاشية، المصابيح، البحر الرازق، شرح كنز الدقائق، المنتهى، البدائع، شرح منهاج البيضاوى، الفتاوى الظهيرية، كتاب السير، العدة، المنار، تفسير الجلالية، شرح الجمع (٢).

ليس المركز بل الأطراف، وليس التيار الغالب، الشافعية الأشعرية، بل تيارات الأطراف التى مازالت تمثل تحدياً للمركز وعلى رأسها المعتزلة ثم الحنفية ثم الحنبلية ثم مجموع الأصوليين[1].

وفى "نهاية السول" للأسنوى يتقدم المعتزلة مما يدل على حضورهم فى هذه العصور المتأخرة حتى بعد محنتهم فى القرن الخامس. ثم يأتى الفقهاء خاصة "أصحابنا" أى الفرقة التى ينتمى إليها الشارح، ثم مجموع الأصوليين والمتكلمين والنحاة. ثم يظهر الأشاعرة مع الشافعية، والحنفية مع معتزلة البصرة والكوفة. ويظهر المرجئة والحشوية من الفرق السائدة عند أهل السنة. ومن كل فرقة متقدمون

(١) المعتزلة (١٩٣)، الفقهاء (٧٨)، الأشاعرة (٦١)، أصحابنا (٤٥)، المتكلمون (٤٢)، الشافعية (١٩)، الأصوليون (١٧)، المتأخرون (١٤)، العلماء، أهل الظاهر (١٢)، الحنفية، المحققون (١١)، الجمهور (٩)، الفلاسفة،= =الشيعة (٨)، الخوارج (٧)، المالكية، الحنابلة (٦)، الواقعية (٥)، المنطقيون، الكرامية، أصحابنا، الفضلاء، الأئمة، أهل السنة، علماء الأصول (٤)، الأصحاب، النحاة، أئمة العربية، الزيدية (٣)، المتقدمون، الأدباء، أئمة البصرة (البصريون)، أهل العربية، أهل الفقه، المحققون من الحكماء، أئمة الأصول، المرجئة، أهل الحق (٢). وعشرات ذكر كل منها مرة واحدة مثل البراهمة والثنوية والبغداديون والكوفيون واليونانيون وعلماء الإسلام والحشوية وأصحاب مالك وأهل اللسان والعرب والسمنية والعيسوية.

ومتأخرون[1]. يتقدم المعتزلة عامة ومعتزلة بغداد والبصـرة خاصة مما يدل على أنهم مازالوا الحاد الرئيسى فـى علـم أصول الفقه، ولم ينتهوا تماماً كما هو الحال فى علم أصـول الدين. ثم يأتى الحنفية وهم معتزلة الأصول ثم الشافعية التيار السائد، ثم الأشاعرة سندهم العقائدى، ثم المالكية التيار السائد فى المغرب العربى ثم الحنابلة. ويأتى المتكلمـون والعلمـاء والنحاة. ثم تعود الفرق الكلاميـة كـالخوارج (الرافضـة) والإمامية والكرامية والشيعة والمرجئة والحشوية والتعليمية. ثم تأتى فرق تنسب إلى منهجها مثل: الجدليون والقياسـيون. ومنهم المتقدمون والمتأخرون. ثم تأتى فـرق تنسـب إلـى أقطارها ومدنها كالعراقيين (أهل العراق) والبخـاريين. ثـم تأتى الفرق غير الإسلامية مثل البراهمة والثانوية والشمعونية والعنانية والعيسوية. ويظهر الفلاسفة كفرقة والتابعون وأهل

---

(١) المعتزلة (٦٧)، الفقهـاء (٢٥)، أصـحابنا (١٩)، الأصـوليون (١٤)، المتكلمون (١٢)، النحاة (النحويـون) (١١)، الشـافعية، الحنفيـة (١٠)، الأشاعرة (٩)، الكوفيون (٨)، البصريون (٥)، المرجئة (٤)، الأقدمون، المتأخرون، الأصحاب، المعتزلة، البصرية، المحققـون (٣)، وعشـرات أخرى من الفرق والمذاهب مثل: الخـوارج، نحـاة البصـرة، الكوفـة، الحشوية، الحنابلة، وغيرهم.

زماننا والحكماء والمشايخ والمحققون[1].

وفى "معراج المنهاج" للجزرى يتقدم جمهور المعتزلـة عامة وبعد ذلـك معتزلـة بغـداد والبصـرة، والجبائيـة، والخياطية، والنظامية، والهامشية خاصة. وبعدهم أبو حنيفـة المدرسة العقلانية فى الفقه ثم الشافعية مع الأشعرية والواقعية وأهل السنة والمرجئة. ثم يأتى باقى المتكلمين الشـيعة ثـم الإمامية ثم الزيدية والخوارج (الرافضة). ثم تأتى المـدارس الفقهية كالحنابلة[2].

---

(١) المعتزلة، الاعتزال، القدرية (٣٩)، الحنفية، الحنفـى (٢٩)، الشـافعية، الشـافعى (٢٠)، الأصـوليون (١٧)، الفقهـاء (١٦)، أصـحابنا (١٣)، الأشاعرة، الأشـعرية (٨)، المالكيـة، المـالكى (٧)، المتكلمـون (٦)، الصحابة، العلماء، الحنابلة، النحـاة (٤)، معتزلـة بغـداد، الخـوارج، المتقدمون، الجدليون (٣)، الإمامى، الإمامية، المتأخرون، الظاهرية (أهل الظاهر)، الشيعة، اليهود، النصيرى، القياسيون (٢)، الكرامية، البراهمة، الثنوية، النصارى، أهل العـرف، الفلاسـفة، البصـريون، الكوفيـون، التابعون، أهل زماننا، العلماء، العراقيون، البخاريون، السنى، الجمهـور، المشايخ، الحشوية، التعليمية، المحققون (١).

(٢) المعتزلة (٥٥)، الحنفية (٢٧)، الشافعية (١١)، المتكلمون (١٠)، الشسعة (٩)، الحنابلة (٧)، الإمامية (٥)، الأشعرية، الظاهرية (٤)، الواقفية (٣)، أهل السنة، البصرية، البغدادية، الزيدية، المرجئة (٢)، الجبائية، الحشوية، الخطابية، الخوارج، الخياطية، الدهرية، الرافضـة، السـنية، الكعبيـة، المجسمة، المريسية، النظامية، الهشامية(١). ومن العراق غير الإسلامية: أهل الكتاب، الذمية، المجوس (١).

وفى "شرح المنهاج" للأصفهانى يتقدم المعتزلة كالعادة ثم الصحابة، ثم الحنفية، أصحاب أبى حنيفة لاعتمادهم على العقل مثل المعتزلة، ثم مجموع الفقهاء، ثم الشيعة والمتكلمون، ثم أهل اللغة قبل أن يظهر الشافعية أصحاب الشافعى والأصوليون، والأدباء والإمامية والحنابلة والعترة وآل البيت والنحاة. ثم يظهر الأشاعرة والخوارج وأئمة اللغة والتابعون والخلفاء الأربعة والسلف والشيخان. ومن المتكلمين يذكر الزيديون والحشوية والأزارقة وأصحاب الصفات وأهل الظاهر وأهل القبلة والسمنية والمجسمة والمرجئة. ومن الأصوليين يظهر المالكية ومشايخ الحنفية. ومن النحاة نحاة البصرة والكوفة. ثم يعود أصحاب أبى حنيفة والمعتزلة البصرية والبغدادية وغيرهم[1].

---

(١) المعتزلة (٣٩)، الصحابة (٣٧)، الحنفية، أصحاب أبى حنيفة (٣٠)، الفقهاء (٢٥)، الشيعة، المتكلمون (١٣)، أهل اللغة، الشافعية، أصحاب الشافعى (٧)، الأصولويون (٦)، الأدباء، الإمامية، الحنابلة، المعتزلة (٥)، أهل البيت، النحاة (٤)، الأشاعرة، الخوارج، أئمة اللغة، التابعون، الخلفاء الأربعة، الزيدية، السلف، الشيخان، العراقيون من أصحاب أبى حنيفة المحدثون، المعتزلة البصرية، المعتزلة البغدادية (٣)، الأئمة الأربعة، أهل بدر، الكوفيون، أهل الردة، الحشوية (٢)، الأزارقة، أصحاب الصفات، أهل الظاهر، أهل القبلة، أهل العرف، أهل العربية، أهل المدينة، أهل المناظرة، البصريون، بنى قريظة، السمنية، الفضلية،

ومن الفرق والمذاهب فى "شرح المنار" لابن نجيم يتقدم المعتزلة مما يدل على استمرار وجودهم فى الوعى التاريخى حتى هذا العصر المتأخر، القرن التاسـع بعـد أن رعـاهم الأحقاف فى الدولة العثمانية. ويتقدم العراقيـون باعتبـارهم موطن العقل فى البصرة وبغداد. ثم يأتى مشايخ أهل السـنة والمتقدمون والشافعية والكوفيون والمتكلمون مثـل الشـيعة والروافض[1].

وفى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكيين الأب والابن يتقدم المعتزلة على الإطلاق باعتبارهم النقيض الذى مـازال حاضراً تاريخياً ولم ينته بعد عصر المتوكـل فـى القـرن الخامس قبل الأصحاب أو أصحابنا وهم الشافعية الأشـعرية وجمهور الفقهاء والمتكلمين والأصوليين. وبعد ذلـك يـاتى الحنابلة والشافعية وأهل السنة، متقـدمين ومتـأخرين قبـل الخوارج وأهل الظاهر والشيعة والمرجئة. ويظهر النحويون

المالكية، المجسمة، المرجئة، مشايخ الحنفية، نحاة البصرة والكوفة (١).

(١) المعتزلة (٧)، العراقيون، أصحابنا (٤)، الفقهاء، مشـايخ العـراق (٣)، مشايخنا، علماؤنا، الأصوليون (٢)، مشايخ أهـل السـنة، المتقـدمون، علماؤنا الثلاثة، الشافعية، الكوفيـون، العلمـاء، جمهـور أهـل العلـم، المتكلمون، الروافض، الخوارج، الشيعة (١).

وأهل اللغة واللسان، بصريين وكوفيين. كما تظهـر أخيـراً بعض الفرق غير الإسلامية مثـل أهـل الشـرك واليهـود والنصارى[1].

وفى "منهاج العقول" للبدخشى يتقدم الحنفية ثم المعتزلة أى التيار العقلانى الذى مازال "مهمـازاً" للفكـر الأشـعرى المستقر وتحدياً له. ومن المعتزلة يبرز الجبائيان ومعتزلـة بغداد والبصرة. ثم يأتى الشـافعية والأشـعرية مـع بـاقى المتكلمين والفقهاء دون ممثلين آخرين للتيار السـائد. كمـا يظهر الشيعة والحكماء أو الفلاسفة والمالكية والخوارج وأهل السنة. ومن كل متقدمون ومتأخرون[2].

---

(١) المعتزلة (٥٩)، أصحابنا (٥٨)، الفقهاء (٤٠)، المتكلمون (٣٤)، الحنفية (٢٩)، الجمهور (٢٨)، الأصوليون (٢٥)، الحنابلة، اللغويـون، النحـاة (النحويون) (٩)، الشافعية (٧)، الأشعرية (الأشاعرة) (٤)، المتـأخرون (٣)، أهل اللسان، المتقدمون، المالكية، الكوفيون، البصريون، الرافضـة (الخوارج)، أهل الظاهر (٢)، الشيعة، المفسرون، الحكماء، أهل الحـق، الجدليون المرجئة، نحاة البصـرة والكوفـة، أهـل الشـرك، اليهـود، النصارى (١).

(٢) الحنفية (٣٩)، المعتزلة (٢١)، الشافعية (١٩)، الأشاعرة (١٢)، الفقهـاء (١١)، المتكلمون (٦)، الشيعة، الحكمـاء (الفلاسـفة) (٥)، الجبائيـان، الشارحان (العبرى، البارجردى)، الصوفية، الحنابلة، أهل الاصـطلاح، الجمهور (٢)، الأصوليون، الفضيلية (الخـوارج)، مشـايخنا، الشـيخان مشايخ علماء ما وراء النهر، أهل العربية، البصرية، معتزلـة البصـرة،

وفى "تشنيف المسامع بجمع الجوامع" للزركشى يتقـدم المعتزلة على عكس ما هو شائع من نهايـة المعتزلـة بعـد محنتهم فى عصر المتوكل، ثم الجمهور، ثـم الحنفيـة، ثـم الظاهرية قبل الشافعية التى ينتسب إليها الشـارح وبعـض الفرق الكلامية مثل الحشوية والمرجئة والزيديـة، والفقهـاء عامة والحنابلة خاصة. فالمعتزلة والحنفية لم ينتهيا كمذاهب للجمهور، وظل العقل دعامة المذهب الكلامى والفقهى متحدياً الأشعرية والشافعية[1].

وفى "التلويح على التوضيح لمـتن التنقـيح" لصـدر الشريعة البخارى الحنفى يتقدم المعتزلة كالعادة ثم أصـحابنا أى الحنفية مما يدل على حضور المذهب الحنفى والعقلانيـة الاعتزالية حتى هذا العصر المتـأخر. ثـم يظهـر العلمـاء والفقهاء وأصحاب الظواهر والأشـعرية وعلمـاء البيـان،

الاشتقاقيون، الجبائية، الخلفاء الراشدون (١).

(١) المعتزلة (١٥)، الجمهور (١٢)، الحنفية (١٠)، الإمامية، الظاهرية (٤)، المجوس (٣)، أهل المدينة، علماؤنا، الشافعية، الشـيعة (٢)، أصـحابنا، المحققون، الحشوية، المرجئة، الحنابلة، الفقهاء، الزيدية، المتأخرون، أهل الحرمين، أهل النحو (الكوفة والبصرة)، الصحابة، الجدليون، الصـوفية، المحققون، العلماء، القدرية (١).

المتأخرون منهم والمتقدمون[1].

وفى شرح الشرح "شرح التاويح على التوضيح لمـتن التنقيح" لسعد الدين التفتازانى يتقدم المعتزلة على الإطـلاق، ثم الفرق وأهـل السـنة والفقهـاء وأصـحابنا والحكمـاء والعراقيون[2].

وفى "شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكى يتقـدم المعتزلة كالعادة فى الشروح المتأخرة مما يدل على حضور المعتزلة سلباً من خـلال نقـد الأشـاعرة والشـافعية لهـم وباعتبارهم مخزوناً نفسياً فى اللاوعى الحضارى بالرغم من التهميش والمحنة. ثم يتلوهم الحنفية مـع صـفة "الحنفـى"، المذهب الفقهى الذى يعتمد على نفس الأصل الذى يعتمد عليه المعتزلة، العقل. ثم يأتى مجموع الفقهاء والمتكلمـين قبـل الشافعية وصفة الشافعى، ثم مجموع الأصـوليين والحكمـاء والصوفية والأشاعرة. ثم تظهر المالكية والفلاسفة والمحققون

---

(١) المعتزلة (٩)، أصحابنا (٨)، الأشاعرة (٦)، الصـحابة، علماونـا (٣)، الفقهاء، المتأخرون، المعتزلـة، الحكمـاء (٢)، المحـدثون، الشـافعية، الشيخان، علماء البيـان، أصـحاب الظـواهر، مشـايخنا، الأشـعرية، البصريون، المتكلون، النحاة، اليهودية، النصرانية (١).

(٢) المعتزلة (٤)، الفقهـاء، أصـحابنا، الفـرق، أهـل السـنة، الحكمـاء، العراقيون (١).

والبيانيون والعقلاء والجمهور. ثم تظهر بعض الفرق الكلامية مثل أهل السنة والشيعة والحشوية والروافض والجبرية(١).

ب- البديل الحنفى. وبالإضافة إلى التحدى الاعتزالى للشافعية الأشعرية يأتى البديل الحنفى الاعتزالى ليزحزح المركز. ففى "التقرير والتحبير" لابن أمير الحاج يتقدم الحنفية على الإطلاق، مذهب الشارح، ثم الشافعية المذهب الذى استقر فى الوعى التاريخى ثم الحنابلة وأصحابنا عوداً إلى أنصار مذهب الشارح. ثم المعتزلة مما يدل على حضورهم كدافع تاريخى مستمر للحوار والمحاجاة مع الفقهاء ومجموع الأصوليين والمتكلمين. ثم يظهر اللغويون والنحاة والمناطقة نظراً لأولية مستوى اللفظ فى الشرح مع علماء العربية. ثم يظهر الأشاعرة والمفسرون والأصوليون. ومن المعتزلة يذكر الجبائيان والبصريان (أبو الحسن وأبو عبد ا)، ومن

---

(١) المعتزلة (٤٢)، الحنفية (٣٨)، الحنفى (١٣)، الفقهاء (١٢)، المتكلمون، الشيخان (١١)، الشافعية (٨)، الشافعى، الأصوليون (٦)، الحكماء، الصوفية، الأشاعرة، المالكية (٤)، الأكثرون، المحققون، الفلاسفة (٣)، المتأخرون، البيانيون (٢)، الكنعانيون، بنو إسرائيل، العقلاء، الجمهور، أهل قسطنطينية، الروافض، أهل السنة، السلف، الحشوية، الشيعة، الجبرية (١).

الفرق أهل السنة (أهل السلف) وأهل الخلف والشيعة وأخيراً المالكية، أقل المذاهب الأصولية ظهوراً. كما يظهر الأمصار مثل العراق، وفقه المدن مثل البصرة وسمرقند. ولدى كل فريق متقدمون ومتأخرون، والمتأخرون أكثر ذكراً[1].

وفى "تيسير التحرير" لابن بادرشاه يتقدم الحنفية فالشارح حنفى، ثم الشافعية وهو المذهب النمطى فى الوعى التاريخى، ثم أصحابنا إلى المذهب الحنفى من جديد، ثم مجموع الفقهاء والمتكلمين والمعتزلة والأصوليين والحنابلة والصحابة متقدمين ومتأخرين، ثم علماء العربية وأهل اللغة والخلفاء الراشدون، والسلف والخلف والأشاعرة، ومشايخ سمرقند والعراقيون والمفسرون[2].

---

(١) الحنفية (١٥٣)، الشافعية (١٢٣)، الحنابلة، أصحابنا (٢٤)، المعتزلة، الفقهاء (١٥)، أهل اللغة، المنطقيون، النحويون (١٢)، المتكلمون، علماء العربية، الأشاعرة، المفسرون، المتأخرون، المتقدمون (٩)، العلماء، العراقيون، البصريون، المتقدمون، الأصوليون (٦)، الإشراقيون، الجبائيان، مشايخنا، المشايخ، أهل السنة، أهل السلف، أهل الخلف، الشيعة، مشايخ العراق، الصحابة، البصريان (أبو الحسن، أبو عبد ا)، مشايخ سمرقند، الجمهور، أهل العلم، المالكية (٣)، ومن الفرق غير الإسلامية يذكر البراهمة واليهود والسمنية (٣).

(٢) الحنفية (٦٦)، الشافعية (٦٠)، أصحابنا، الفقهاء (١٢)، الجمهور، المتكلمون، المعتزلة، المتقدمون، المتأخرون، الأصوليون، الصحابة،

وفى "التحقيقات فى شرح الورقات" لابن واقان يتقدم الحنفية ثم الحنابلة ثم الشافعية ثم المعتزلة والجمهور ثم الصحابة دون المالكية والأشاعرة. ومن الفرق الكلامية يظهر الشيعة والسنة والظاهرية. ومن الفرق غير الإسلامية يظهر البراهمة واليهود والعيسوية[1].

وفى "فواتح الرحموت" للأنصارى تتقدم الحنفية لأن الشارح حنفى ثم المالكية ظهير الحنفية، فالعقل والواقع صنوان. وتُحاصر الشافعية، التيار المركزى بالمعتزلة والجمهور ومجموعه الأصوليين والمتكلمين. وتحاصر الأشعرية الحشوية والمرجئة بالصحابة والتابعين والسلف وأهل السنة والحنابلة وأهل النص، وبمشايخ العراق والعراقيين والبصريين أهل العقل، ويحاصر السبكية

الحنابلة (٩)، علماء (أهل) العربية، أهل اللغة، الخلفاء الراشدون، السلف، الخلف، البصريان، المشايخ، الأشاعرة، مشايخ سمرقند، العراقيون، المفسرون (٣).

(١) الحنفية (٩)، الحنابلة (٦)، الشافعية (أصحاب الشافعى) (٥)، المعتزلة، الجمهور (٤)، الصحابة (٣)، المنطقيون، الأقلون، الشيعة، البراهمة (٢)، الأصوليون، علماء البيان، المحققون، الأئمة الأربعة، أهل الشرائع، اليهود، العيسوية، الأكثرون، الفقهاء، الظاهرية، أهل المدينة، السمنية، أهل السنة، الفلاسفة، الخلفاء، الأنبياء (١).

والشافعية بالحنابلة والحنفية مع البيانيين والنحاة. وتحاصـر الشافعية بالأئمة الثلاثة الحنفية وبمجموع الأئمة الأربعة[1].

وفى "شرح الكوكب المنير" لابـن النجـار تظهـر المزاحمة الحنبلية، ويتقدم الحنابلة والمـذهب الحنبلـى ثـم مجموع العلماء مما يبين تقدير المذهب للعلـم فـى مقابـل الهوى. ثم يأتى المذهبان الرئيسيان الشـافعية القريبـة مـن النص والحنفية القريبة من العقل ثم المالكية. ويأتى الصحابة والتابعون والعشرون وأئمة الحديث والقراء السبعة والنحـاة والظاهرية والبيانيون والسلف وأئمة التفسير مما يبين أهميـة التقليد. ويتقدم المعتزلة الفرق الكلامية كلها بعد الشافعية ثـم الأشاعرة والروافض من أمهات الفرق الكلامية ثم البصريون والكوفيون وأهل العراق ممن اعتمدوا على العقل فى تأويـل النص ثم الروافض والشيعة والكرامية والجهمية والمشـوية

---

(١) الحنفية (٤٠)، المالكية (٣٨)، الشافعية (٣٠)، الجمهور (٢٤)، المعتزلة (١٨)، الأصوليون، أهل الأصـول (١٧)، المتكلمـون (٦)، الأشـعرية، الحشوية، المتأخرون، الصحابة، التابعون، أهل الظـاهر، الفقهـاء (٤)، العلماء، المحشيان، الفقهاء الثلاثة، المرجئة، الكوفيـون، أهـل السـنة، البيانيون، السلف، مشايخ العراق، الأئمة= =الأربعة، العراقيون، مشـايخ الحنابلة، حنفى، شافعى (٢).

والجبائية والمرجئة من أجل مراجعة مقالاتهم[1]. وتتضاءل الشافعية إلى الأشعرية وتحاصر بين الحنفية والحنبلية من ناحية ومجموع الأصوليين من ناحية أخرى.

وفى "جامع الأسرار فى شرح المنار" للكاكى يتقدم أصحاب الشافعى على الإطلاق على أصحاب أبى حنيفة كما يتقدم الشافعى على أبى حنيفة فى أسماء الأعلام. ثم يظهر المعتزلة باعتبارهم السند الفكرى للأحناف قبل الفقهاء و"أصحابنا" أى أصحاب الأحناف ومشايخنا أى مشايخ الأحناف. ومنهم المتأخرون والمتقدمون. ثم يظهر الأصوليون والمتكلمون والعلماء والمحققون باعتبارهم الفرق الجامعة للمذاهب. وأخيراً تظهر الأشعرية بعد الاعتزال مع

---

(١) الحنبلية (٤٠٢)، العلماء (٢٢٦)، الشافعية (١٨٩)، الحنفية (١٦٣)، الصحابة (١٣٦)، المعتزلة (٩٣)، المجتهدون (٦٥)، الأئمة الأربعة (٣٩)، الأصوليون، الأشاعرة (٥٨)، الأشعرية، أهل السنة والحديث (أصحاب)، المحدثون (٣٦)، النحاة (٣٤)، التابعون (٣٢)، القراء السبعة (٢٧)، المالكية (٢٤)، الأصوليون (٢٢)، أئمة الحديث (السنة)، المبتدعة (٢٠)، الظاهرية (١٩)، القدرية (١٧)، الجمهور (١٦)، الروافض (١١)، الشيعة (١٠)، البصريون، أهل اللغة، علماء البيان (البيانيون) (٨)، الخوارج، الكوفيون (٧)، الكرامية، أئمة التفسير (٦)، المشوية، أهل العراق، المتأخرون (٥)، الخلاف، الجبائية (٣)، الصوفية، المرجئة (٢)، وعشرات آخرين كل منهم مرة واحدة.

مشايخ سمرقند الأحناف والماتريدية. وتتم العودة إلـى أهـل الظاهر وأصحاب الحديث، والخلفاء الراشدين وأهل اللغة مع بعض الفرق غير الإسلامية كاليهود والنصارى والبراهمـة وعبدة الأوثان والسوفسطائية. ومن الفرق الكلاميـة تظهـر الإمامية والمرجئة والجهمية. ويظهر البعـد الإقليمـى فـى البصريين والكوفيين والعراقيين والبغداديين والحجازيين[1].

وفى "فتح الغفار لشرح المنـار" لابـن نجـيم مـن المذاهب والفرق يتقدم الشافعية بالرغم من أن الشارح حنفى إلا أن الشافعية هى التيار الغالـب فـى الـوعى التـاريخى الأصولى. ويأتى المعتزلة لمساندة الحنفية تتبعهم الأشـعرية.

---

(١) أصحاب الشافعى (٤٤)، المعتزلة (٣٠)، الفقهاء (٢٦)، أصحابنا (٢٢)، مشايخنا (٢٠)، المتأخرون (١٥)، الأصـوليون (١٤)، الأشـعرية (٩)، المتكلمون، العلماء (٨)، المقدمون (٧)، أهل الحـديث، المحققـون (٦)، مشايخ سمرقند، أهل الظاهر، أصحاب الظواهر (٤)، الخلفاء الراشـدون، النجدات، الصوفية، أهل اللغـة، العيسـوية، النصـارى، اليهـود (٢)، وعشرات أخرى من الطوائف والفرق كل منها مرة واحدة مثل: مشايخنا المتأخرون،= =المشايخ، الشيعة، الجمهور، الإمامية، المرجئة، الكلامية، الشارحون، السلف، المحققون، الشافعية، العامـة، العراقيـون، مشـايخ العراق، أهل العربية، الكوفيون، الحجازيون، أهل المشرق، أهل الطـب، الشارحون للمنتخب، جمهور المفسرين، الشيخان، عامة الحديث، القدرية، الجهمية، المحدثون، البصريون، السـمنية، عبـدة الأوثـان، البراهمـة، السوفسطائية...إلخ.

ثم يأتى الفلاسفة والمالكية من الهامش لمنازعة المركز مع الماتريدية أنصاف الأحناف وعلماء اللغة والعراقيين والحنابلة والصوفية والخوارج والبصريين والعقلاء والقدرية والشيعة والأئمة الثلاثة من الأحناف، الشيبانى وأبى يوسف وفمر[1].

جـ - تحدى الجمهور. ويعنى الجمهور مجموع الأصوليين والعلماء الذين يتقدمون مذهب المركز ومذاهب الأطراف. ففى "فتح الغفار لشرح المنار" لابن نجيم يتقدم الأصوليون (علماء الفصول) على الإطلاق ثم الشافعية باعتبارها التيار المركزى المهيمن على الوعى الأصولى التاريخى. ثم تظهر الحنفية كتحد أول مع المحققين والجمهور والفقهاء والمشايخ والشارحين لزحزحة المعتزلة مع الأحناف من مشايخ سمرقند والنجاريين والعراقيين. وينضم إليهم

(١) الشافعية (١٢٠)، الحنفية (٥٢)، المعتزلة (٤٦)، الأشعرية (٤٠)، الفلاسفة (٢٤)، المتكلمون (أهل الكلام) (٢٠)، بعض المشايخ (المتأخرين)، المالكية (١٦)، أهل العربية (١٤)، الروافض (الخوارج)، الفقهاء، الماتريدية (١٠)، مشايخنا (الكرام)، الأصوليون (٨)، العراقيون (مشايخ العراق)، الحنابلة (٦)، الصوفية، البصريون، الأئمة الثلاثة (٤)، العقلاء، القدرية، الشيعة، أهل الحق، النجاريون، المحدثون، الخلفاء الراشدون، علماء الكوفة، المحققون (٢).

الشيعة والنحاة وعلماء البيان[1].

وفى "فتح الودود على مراقى السعود" للشنقيطى يتقدم الأصوليون (أهل الأصول) على الإطلاق مما يدل على بداية اختفاء المذهبية وتواريها خارج الوعى التاريخى. ثم تظهـر المالكية كتيار رئيسى فى الوعى التـاريخى فـى المغـرب لتنافس الشافعية. كما تأتى المعتزلة مع مجمـوع المتكلمـين والفقهاء والجمهور كى تكون سنداً نظرياً للمالكيـة، فالعقـل والواقع صنوان. ثم تأتى الحنفية مع العلمـاء لتحـل محـل الأشاعرة، والمحققون والبصريون محل السلف[2].

وفى "مذكرة أصول الفقه علـى روضـة النـاظر" للولاتى يتقدم الأصوليون على الإطلاق. ثم تظهر المالكيـة فالشارح مالكى. ومن الجمهور يظهر الحنفية قبل الشـافعية

---

(١) الأصوليون (علماء الأصول) (٣٠)، الحنفيـة (٢٠)، المحققـون (١٢)، الجمهور، الأشـاعرة (١٠)، الفقهـاء، المشـايخ (٨)، الشـافعية (٦٩، الشارحون، المعتزلة، مشايخ سمرقند، النجاريون، العراقيون، الصـحابة، أهل (أرباب) العقول، علماء البيـان، النحـاة (٤)، الشـيعة، أصـحابنا، مشايخنا، المشركون، المتأخرون، المتقدمون، المتكلمون، ومن الفرق غير الإسلامية المجوس (٢).

(٢) الأصوليون (أهل الأصـول) (٤٠)، المالكيـة (٢٢)، الشـافعية (٢٠٩، المعتزلة (١٤)، المتكلمون، الجمهور (١٢)،= =الفقهاء (٨)، الحنفية (٦)، العلماء (٤)، الأشاعرة، المحققون، السلف، البصريون (٢).

مع مجموع المتكلمين ثم تظهر الحنبلية مع مجموع الفقهـاء والقراء السبعة ومتأخرى الأصوليين. وتظهر الفرق المهمشة كالقدرية والإمامية مع علماء الحديث والشـيخين والخلفـاء الراشدين. ومن الفرق غير الإسلامية يذكر النصارى[1].

وتقل أسماء الطوائف فى "النجوم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات" لابن نجيم ويتقدم العلمـاء علـى الإطـلاق والصحابة ثم جمهور العلماء والفقراء ثم الأصـوليون. ثـم يظهر الشافعية قبل الحنفية، والمعتزلة قبل الأشـعرية. كمـا تظهر بعض الفرق الإسلامية مثـل أهـل السـنة والسـلف والحنابلة والخوارج والشيعة والظاهرية والمالكية والمجسمة والنحويون. كما تظهر بعض الفرق غيـر الإسـلامية مثـل المجوس واليهود[2].

---

(١) الأصوليون (أهل الأصول) (١٤)، المالكية الجمهور (٨)، الحنفيـة (٦)، الشافعية، المتكلمون (٤)، الحنبلية، الفقهاء، القـراء السـبعة، متـأخرو الأصوليين، القدرية، الإمامية، النصارى، علمـاء الحـديث، الشـيخان، الخلفاء الراشدون (٢).

(٢) العلماء (١٣)، الصحابة (١١)، جمهور العلماء، الفقهاء (٨)، الأصوليون (٦)، الشافعية، الكفار، النصارى (٤)، الأكثرون، الحنفيـة، المجـوس، المعتزلة، معتزلة بغداد، اليهود (٢)، الأئمة الأربعـة، أصـحاب بـدر، التابعون، المتكلمون، بنو المطلب، المعاصرون، الأشعرية، الأمة، أهـل السنة، أهل القبلة، الحنابلة، الخوارج، السلف، الشيعة، الظاهرية، القدرية،

٤- الحضور والغياب. ويظهر البعد الجغرافى فـى الشرح. فالشراح من أقطار مختلفة فى المشرق والمغـرب. ولكل صقع ثقافته ومزاجه وبيئته. كما يتضح ذلك فى فهارس الأماكن والبلدان فى بعض الشروح. فلا يوجد مصر خـاص بالأصول وإن تميز العراق وخراسان[١] بالحنفية، والحجـاز بالحنبلية، والمغرب العربى بالمالكية. وقد تتمايز المدن مثـل البصرة والكوفة[٢]. وتذكر بعـض الشـروح تعبيـر "أهـل المغرب"[٣].

وتغيب أسماء الأعلام من الشرح ربما لغيابهـا مـن النص المركز مثل "الورقات" للجـوينى، ولكـن أيضـاً لأن

المالكية، المبتدعة، المجسمة، معتزلة البصرة، الملحدون، النحويون، بنـو هاشم (١).

(١) "لما وصل هذا الكلام إلى أفريقية من المغرب قالوا: "هذه عبارة متكررة لا فرق بينها ولا فائدة منها وأشكل ذلك عليهم.." القرافى: نسى الأصـول فى شرح المحصول جـ ١٩٢/١-١٩٣. "أهل العراق يطلقون القبيح على المحرم والمكروه وما لا بأس بفعله وهو ما فيه شـبهة قليلـة"، السـابق ص٢٩٠.

(٢) الأصفهانى: شرح المنهاج المدينة، الكعبة (٣)، بدر، عرفة، مكـة (٢٩، بئر بضاعة، بخارى، البصرة، سمرقند، طيبة، غار حراء، الكوفة، اليمن، الهند (١).

(٣) فتح الودود على مراقى الصعود، ص٥٨.

الشرح بالرغم من كونه إفاضة واسترسالا وإكمالا للمادة إلا أنه آثر الإبقاء على النص غير المشخص، النص المستقل عن أصحابه حتى تبقى الورقات ورقات بلا أصحاب. ونادراً ما يوجد متن وشرح أصولى يعتمد على العقل وحده.

والعجب أنه لا ذكر لابن رشد فقيها ألا نادراً، ولا إحالة إلى "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" أو تلخيص "المستصفى" فى "الضرورى فى أصول الفقه" وكأنه لا يمثل اتجاهاً ولا تياراً ولا حتى ضمن المالكية أو الظاهرية[1]. ومن ثم يكون حضور ابن رشد فى الوعى التاريخى فى المغرب تمنياً واقعاً، افتراض دون برهان. وهما، الرشدية والمالكية، يمثلان العقل والواقع، وجهان لعملة واحدة.

ونادراً ما تظهر الأسماء الوافدة. فعلم أصول الفقه هو أكثر العلوم الإسلامية العقلية النقلية أصالة، يعتمد على الموروث وليس الوافد على عكس علوم الحكمة التى يتبادل فيها الوافد والموروث الأولوية فى التأليف[2]. فيضرب المثل

---

(١) من النقل إلى الإبداع، مج١ الإبداع، ج٣ الشرح.

(٢) فى "نهاية السول" يذكر أفلاطون فى إثبات الكليات فى الخارج ج٢/٥٠. وفى "التقرير والتمييز" يذكر أرسطو ج١/٦٣ ومانن وسقراط ج١/٧٠ من الأسماء ومن الفرق المشاؤون والفلاسفة

بأفلاطون وقوله بالمثل فيما يعرف باسم "واقعية المثل". كمـا يذكر السوفسطائيون والواقعيون وأرسطو ومانن وسقراط فى معرض رفض الشك والمعرفة الحسية دفاعاً عن العقل.

ثامنا: المختصرات.

١- الشرح والمختصر وشرح المختصر. والأغلب هو الشرح وليس المختصر لأن الحضـارة تتمـدد أكثـر ممـا تنكمش، وتستطرد أكثر مما تختصر، وتجمـع أكثـر ممـا تستبعد. والرغبة فى التمدد مازالت تعبر عن بقايا حياة أكثر من الرغبة فى الانكماش. الشرح إضافة ولو شكلية نصية فى حين أن الملخص تركيز ورغبة فى الإمساك بشـئ قبـل أن يضيع كل شئ. الشرح تجميع وحشـو وجهـد، والتلخـيص تفريق واختصار. الشرح يجلب ويستدعى ويلم، والتلخـيص يفرق ويستبعد ويطرد. الشرح يغطـى ويسـتر ويحجـب، والتلخيص يعرى ويكشف ويبين. وفى كلتا الحالتين لا جديـد هناك إلا من حركتين فارغتين بين الذهاب والإياب، التقـدم والنكوص، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلـف. الشـرح

جـ ٦٣/١.

لإطالة المركز والتلخيص لتقصير المسهب. وهناك إحساس لدى الشارح بالزيادات التى أضافها أكثر من إحساس المختصر بالأجزاء التى حذفها[1].

ميزة الشرح أنه يعطى النصين معاً، المتن والشرح فيمكن رصد آليات الشرح فى حين أن المختصر لا يعطى إلا النص المختصر فقط دون وضع المتن الأصلى. يمكن رصد آليات الشرح من داخل الشرح وتخمين آليات الاختصار من داخل المختصر كنص وإن أمكن العود إلى المتن الأصلى من خارج النص.

وإذا كان الشرح يذكر النص بين قوسين أو فى الهامش ومن ثم يتضخم الكتاب فإن المختصر لا يذكر النص الطويل الذى يتم اختصاره. ومن ثم أتت المختصرات أصغر بكثير من الشروح، وأتت الشروح مجلدات أطول بكثير من المختصرات. وذلك مثل تلخيص الأنصارى "لب الأصول" لكتاب "جمع الجوامع" للسبكى[2]. وأيضاً "مختصر التحرير" لابن النجار الحنبلى (ت٩٧٢هـ) لكتاب "تحرير المنقول

(١) "وتلقيا للزيادات التى ألحقها بالكتاب"، التقرير والتمييز جـ ٤/١.
(٢) على هامش شرح "لب الأصول" للأنصارى أيضاً.

وتهذيب علم الأصول"[1].

وإذا كان الشرح كنوع أدبى أقرب إلى "التفسير" كنـوع أدبى فى علوم الحكمة مثل "تفسير ما بعد الطبيعة" لابن رشد فإن المختصرات أشبه بالجوامع التى تذهب إلى الموضـوع مباشرة متجاوزة القول[2]. فى حين أن شرح المختصر أقرب إلى التلخيصات التى تبدأ من النص وتنتهى إلى المعنى. وإذا كان الشرح أقرب للفظ والعبارة فإن المختصر أقـرب إلـى الشىء ذاته خارج العبارة. فى حين أن مختصر الشرح أقرب للجمع بين اللفظ والمعنى. فهو وسط بين الشرح والجوامع.

وقد يكون المختصر مختصراً لغيره يعيش علـى ذاتـه ويتعامل مع ما أبدعه غيره. وقد يكون مختصراً لنفسه يتمدد

---

(١) العلامة ابن النجار الحنبلى (تقى الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوحى المصرى الحنبلى المعروف بابن النجار): مختصر التحرير (الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير) ضبط نصه وصححه وعلـق عليه الدكتور محمد مصطفى محمد رمضان عضو هيئة التدريس بكليـة الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر والأسـتاذ المسـاعد بقسـم أصول الفقه بكلية الشـريعة بالريـاض، دار الأرقـم، الريـاض، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. "فهذا مختصر محتو على مسائل تحريـر المنقـول، وتهذيب علم الأصول فى أصول الفقه، جمع الشيخ العلامة عـلاء الـدين المرداوى الحنبلى..."، ص١١.

(٢) من النقل إلى الإبداع: المجلد الأول: النقل، الجزء الثالث: الشرح.

أو ينكمش على نفسه، يمتد حول نفسه طولاً أو يلتف حـول نفسه عرضاً فى دوائر متداخلة[1]. وإذا كان الشرح يكشـف عن تراكم تاريخى، فالمتن هو المشجب الذى يتم عليه تعليق الزيادات المتأخرة، فإن المختصر يقوم بالوظيفـة المعاكسـة وهى تخليص المتن من كل الشوائب العالقة به من الشرح بل وتطهير المتن نفسه من أسماء الأعلام والفـرق والطوائـف والمذاهب والمصادر والخلافيات للعودة إلى الأصل نفسه اى الموضوع العقلى أو بنية الأصول نفسها.

وقد يعنى المختصـر المـتن القصـير دون أن يكـون اختصار المتن كبير. وفى هذه الحالة يكون أقرب إلى كتـب العقائد المتأخرة فى علم الكلام عن "قواعد العقائد" من أجـل حفظها.

وتخلف المختصرات فيما بينها من حيث القصر فتكـون مختصراً أو الطول فتكون شرحاً للمختصر أو مجرد شرح. مثل المختصر الشارح "حصول المأمول من علم الأصـول" لصديق حسن خان وهو اختصار "إرشاد الفحول" للشوكانى.

---

(١) لا يتجاوز "مختصر المنار" لابن حبيب تسع صفحات، "زبدة الأسرار فى شرح مختصر المنار" ص٣١-٣٩.

إذ أنه يتضمن عدداً كبيراً من الشواهد النقلية وأسماء الأعلام والفرق والطوائف والمذاهب والمصادر. كما يدخل فى عديد من السجالات والمحاجات والخلافيات ما يجعله أقرب إلـى الشرح منه إلى المختصر كما هو الحال فى المتن الأصـلى "إرشاد الفحول" والمتون المشابهة مثـل "البحـر المحـيط" للزركشى.

وهناك وعى بالاختصار وعدم التطويـل. فالمختصـر يعطى المعارف المباشرة والحقائق المكتشـفة ذاتيـاً ولـيس المعلومات عن طريق التقليد والنقل والرواية[1].

وإذا كانت غالبية الشروح تنكر الدوافع عليها فإن غالبية المختصرات لا تفعل ذلك. بل تدخل إلى الموضوع مباشرة، وتتجه إلى الأشياء ذاتها دون المرور بالعبارة والألفاظ ودون

---

(١) فى "حصول المأمول" تظهر هذه التعبيرات: "والكلام فـى هـذا البحـث يطول" ص٣٥، "ولا نطول الكلام باستيفاء ما قيل فى تلك المسألة وأدلـة أجوبتها وما قيل عليها" ص١١٦، "وطول أهل الأصول الكلام فـى هـذا البحث" ص١٢٥، "فذلك يغنيك عن تكثير المباحـث فـى هـذا البـاب" ص١٣٢، "وذكروا له اصطلاحاً حدوداً على كل حد منهـا اعتراضـات يطول الكلام بذكرها" ص١٥٨، "وبالجملة فتطويل البحث فى مثل هذا لا يأتى بكثير فائدة فإن أمره أوضح من كل واضح" ص١٨٦، "ولأهل الأصول فـى هذه المباحث كلام طويل وليست بحاجة إلى التطويل" ص١٩٤.

توسط النص بين الوعى والعالم. فـلا يـذكر ابـن حبيـب (ت٨٠٨هـ) دوافع "مختصر المنار" ربما لأن ذكر الـدوافع أقرب إلى الشرح. فالمختصر يتجه إلى الموضوع مباشـرة مستقلاً عن الذات[١].

ولذلك مازال الاختصار مثل الشرح لا يعبر عن تجربة حية عند الشارح أو الملخص بل هى مجرد تمرينـات فـى التدوين عندما خبت روح الحضارة وبردت ولم تعد قـادرة على الإبداع من جديد باستثناء المقدمات والخواتيم الإيمانية. ومع ذلك يشرك المختصر القارئ معه كما يفعل الشروح فى تجربة مشتركة وخطاب مباشر لـه ودعـوة إلـى التأمـل والمراجعة[٢].

وهناك مؤلفون غلب عليهم الشرح مثـل السـنغاقى[٣].

---

(١) ابن حبيب: مختصر المنار فى "زبدة الأسرار فى شرح مختصر المنـار" تأليف احمد بن محمد بن عارف الزيلى السيواسى (١٠٠٦هـ)، تحقيـق عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، مكتبـة نـزار مصـطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، جـ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٣١-٣٩.

(٢) "وإذا تقرر لك هذا علمت ما هو الصواب"، السابق ص٧١.

(٣) له مثلاً: شرح تقويم الأدلة للدبوسى، بالإضافة إلى شرح البخارى، شرح الجامع الصغير والجامع الكبير للشيبانى وزيادة الزيادات وشـرح الفقـه الأكبر لأبى حنيفة... إلخ، الكافى جـ١/ ٢٩-٣٠.

وآخرون غلبهم الاختصار. والشـرح أكثـر شـيوعاً مـن الاختصار لأنه يبين علم العالم وقوة ذاكرته وتنوع مصادره، فى حين أن المختصر يكشف عن العقل الصـريح والقـدرة على التنظير. الشروح لعامة العلماء والمختصرات لخاصتهم.

والجديد فى بعض المختصرات المتأخرة هو صب علـم الأصول فى النهاية فى "علم أصول الدين" عوداً بأصول الفقه أى أصول العمل إلى أصول الدين أى أصول النظر(١).

وقد يصب علم أصول الفقه ليس فقط فى علـم أصـول الدين بل أيضاً فى التصوف بعد أن أصبحت الأشعرية هـى الأساس النظرى للتصوف منذ الغزالى(٢). وإذا كـان علـم الكلام هو الملجأ للفلسفة بعد أن كفرها ابن الصلاح فإن علم الأصول قد انضوى تحت الكلام والفقه واللغة بل والتصوف. فأصبح الكلام هو العلم الشرعى الوحيد الـذى مـن خلالـه تختبئ العلوم الأخرى المستبعدة فى العصور المتاخرة، وكأن علم الكلام أصبح زوجاً متعدد الزوجات، الفلسفة، الأصول.

٢- آليات الاختصار: من أجل وضـع آليـات دقيقـة

---

(١) لب الأصول، ص١٥٢-١٦٣.

(٢) السابق: خاتمة فى التصوف، ص١٦٣-١٦٦.

للاختصار تعادل آليات الشرح من الضرورى وضع النصين معاً المتن والاختصار لمعرفة كيفية الاختصار وماذا تم حذفه مثل معرفة كيفية الشرح وكيفية الإضافة وماذا تمت إضافته. وهى دراسات نصية أدخل فى "علم النص" منها فى علم أصول الفقه تستكملها أجيال قادمة.

والسؤال هو: هل تم الاختصار باللفظ أم بالمعنى؟ هل تم حذف فقرات والإبقاء على أخرى أم تمت إعادة صياغة المتن الأول بأسلوب جديد مع التركيز على المعانى دون الإسهاب فى شرحها وإيجاد الأدلة عليها ورواية الاختلافات فيها وذكر الآراء حولها؟ يوحى المختصر أحياناً بأنه اتبع الطريقة الأولى، طريقة الحذف الكمى وليس الاختصار الكيفى بدليل الاقتباسات المذكورة والتى تعلن عن نهاياتها بلفظ "انتهى"[1].

وكما يؤكد الشرح على وحدة النص الشارح داخل وحدة عمل الشارح أو وحدة المتن المشروح داخل عمل مؤلف المتن كذلك يؤكد المختصر على وحدة المتن داخل وحدة الحضارة[2]. وتكون إما بالإحالة إلى ما تقدم مسبقاً أو ما

---

(١) حصول المأمول: ص١١٧/١٢٨/١٢٩/١٥١/١٦٥.

(٢) "وإلى هنا انتهى الكلام فى المبادئ والتشريع الآن بعون الله سبحانه وتعالى فى المقاصد فنقول وبه أصول وأصول"، السابق ص٣٨. "وإلى

سيأتى لاحقاً[1]. وكثيراً ما يبدو ذلك أيضاً فى فترات الانتقال بين الفصول.

ويكون المختصر أيضاً على مستوى اللغة، فالنحو هـو منطق العرب كما أن المنطق هو نحو اليونـان. ولـم يـتم التضحية بباب "الحروف" كما كتب الفارابى كتاب "الحروف" عرضاً لما بعد الطبيعة لأرسطو. ليس المقصـود الحـرف الجزئى بل دلالته على السياق الكلى. والخلاف فى الأصول

هنا انتهى الكلام فى المبادئ والتشريع الآن بعون ا سبحانه وتعالى فـى المقاصد فنقول وبه أحول وأصول"، السابق ص٣٨. وحدة المتن الأصلى مثل "وقد بسط الشوكانى القول فى ذلك فى رسالة مستقلة وذكر فى نيـل الأوطار شرح منتقى الأخبار" ما إذا رجعت إليه لم تحـتج إلـى غيـره، السابق ص٤١. وقد بسط الشوكانى المبحث فى تفسيره فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراسية فى علم التفسير ولخصنا من ذلك فى تفسـيرنا فتح البيان فى مقاصد القرآن ما يثلج خاطر المطلـع عليـه إن شـاء ا تعالى" ص٤١-٤٢". وحدة عمل الشارح او المختصر" وقد أوضحت هذا الكلام فى رسالتى "قصد السبيل غلى ذك الكلام والتأويل فليراجع"، السابق ص٤١٤. "ومن أراد استيفاء هذا البحث على وجه الصواب فليرجع إلـى كتابى الجنة"، السابق ص٢٠١. "عبارات وحدة الحضارة" "والكلام علـى هذه المسألة مبسوط فى كتب الكلام"، السابق ص٤٥.

(١) فى "حصول المأمول" عبارات وحدة المختصر مثل "كمـا تقـدم" ص٥٠ و"كما تقدم فى البحث المتقدم" ص٥١. و"سيأتى بيان ما هو الحق فيها إن شاء ا تعالى" ص١٢٦ و"سيأتى الكلام على ذلك بعد هذا الباب إن شـاء ا تعالى" ص١٣٩، "بالمرجحات التى سيأتى ذكرها" ص١٨٩.

فرع للخلاف فى اللغة.

وفى "الحاصـل مـن المحصـول" يقتفـى الأرمـوى (٦٥٣هـ) أثر المحصول الرازى ويتبع نفس تقسيمه للعلـم إلى أربعة عشر قسماً يبدأ كل منها بلفظ "الكلام فى" وبزيادة قسم واحد على قسمة المحصول وهو "الكلام فى المقـدمات" فى البداية(١). وهو شافعى مثله. وينقسم كل "كلام فى" إلـى فصول أو أبواب أو أقسام أو مسائل أو أنواع أو أركـان أو أنظار. والغالب القسمة إلى أقسام(٢). ومن كثرة التقسيمات قد يختل البناء، ويظهر النوع الرابع فى "المجمل والمبين" بـدلاً من "الكلام فى"(٣).

---

(١) تاج الدين أبو عبد ا   بن الحسين الأرموى، الإمـام الأصـولى والفقيـه الشافعى (٦٥٣هـ): الحاصل من المحصول فى أصول الفقـه، دراسـة وتحقيق د.عبد السلام محمود أبو نـاجى (ثلاثـة أجـزاء)، دار المـدار الإسلامى، بيروت، ٢٠٠١.

(٢) ينقسم الكلام فى الأوامر والنواهى، وفى العموم والخصوص وفى المجمل والمبين وفى الناسخ والمنسوخ، وفى الإجماع، وفى الأخبار، وفى القياس، وفى التعادل والتراجيح، أى فى ثمانية موضوعات من الخمسة عشر. وقد قسم الكلام فى الأفعال، وفيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل التى ماثل (موضوعان). وينقسم الكلام فى المقدمات إلى فصول وفى اللغـات إلـى أبواب، وفى الاجتهاد إلى أركان، وفى الإفتاء إلى أنظار، وفى تـراجيح الأقيسة إلى أنواع، الحاصل من المحصول جـ٢/٣٨٦.

(٣) السابق جـ٢/٣٨٦-٤١٦.

وتظهر أحكام التكليف والوضع مع تعريف العلـم فـى المقدمات وهى الثمرة فى "المستصفى". ثـم تظهـر بعـض مباحث الألفاظ مثل الحقيقة والمجاز مع بعـض المقـدمات اللغوية فى الكلام عن اللغات ثم تستقر باقى المباحث فى كلام مستقل مثل الأوامر والنواهى بالجمع، والعموم والخصوص، والمجمل والمبين بدلاً من الأصل الأول وهو القرآن. ثم يأتى الكلام فى الأفعال والناسخ والمنسوخ والأخبـار بـدلاً مـن الأصل الثانى، السنة. ثم يأتى الكلام فى الإجمـاع، الأصـل الثالث. وأخيراً يأتى الكلام فى القيـاس وتـراجيح الأقيسـة والاجتهاد والافتاء وما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل فى القياس، الأصل الرابع. وتأتى مباحث الألفاظ أولاً من حيـث الكم (اللغات، الأوامر والنواهى، العموم والخصـوص) ثـم مباحث القياس (القياس، التعادل والتراجيح، تراجيح الأقيسة، الاجتهاد، الافتاء، فيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل)، ثم مباحث السنة (الأفعال، الأخبار) ثم الإجمـاع ثـم القـرآن (الناسخ والمنسوخ)[1].

---

(١) مباحث الألفاظ (٣٢٣)، مباحث القياس (٢٤٦)، مباحث السـنة (١٠٨)، الإجماع (٥٣)، القرآن (٣٨).

وقد ينقسم الفصل إلى تقسيمات (الفصل الثالث من الكلام فى المقدمات) أو الباب (الثانى من الكلام فى اللغات). وقـد ينقسم الباب إلى أنظار (الباب الأول من الكلام فى اللغـات)، أو إلى أقسام (الباب السادس من الكلام فى اللغات)، أو إلـى فصول (الباب الثالث من الطرف الأول من القسم الثالث من العموم والخصوص. وقد ينقسم القسم إلى مسائل (الأول مـن الكلام فى الأوامر والنواهى أو إلى أطراف (القسم الثالث من العموم والخصوص) أو إلى أبواب (القسم الأول من الأخبار. وقد ينقسم الباب إلى أقسام. والقسم إلى فصول (القسم الثـانى من القياس) الباب الثانى من القسم الثانى من الأخبار). وقـد ينقسم القسم إلى أبواب والأبواب إلى فصول. ومـن كثـرة التقسيمات يختل البناء ويظهر النوع الرابـع "فـى المجمـل والمبين" وهو أقرب إلى "الكلام فى". وقد ينقسم القسـم إلـى شطور (الأول من العموم والخصـوص) أو إلـى أطـراف (القسم الثالث من العموم والخصوص)، والطرف إلى أبواب (القسم الثانى من القياس).

وهو ليس شرحاً للمحصول للرازى، فقرة فقرة وعبـارة عبارة بل تلخيصا إجماليا له. يبدأ بتصنيف العلـوم. ويـذكر

منها الدينية. وهى إما نقلية حرفية كالتفسير والحديث والرواية أو نظرية مثل أصول الدين وأصول الفقه والفقه. وأصول الفقه فرع من علم الكلام. لذلك كثرت الإشارة إلى الفرق الكلامية[1].

والدافع على التلخيص هو كبر حجم "المحصول" بالرغم من حسن النظم. تتجافاه الطباع لكبر حجمه، لذلك تم اختصاره من جهة اللفظ وليس من جهة المعنى. "وإيجاز مع استثبات اللباب والمغزى"، وحذف المسائل المتكررة أو التى لم تعد إليها جاحة وهى فى مقدار العشر، والاقتصار من الدلائل على أوضحها، ومن الاعتراض والأجوبة على أقواها[2].

ومع ذلك هناك شرح داخلى عندما يذكر تعريف مثل تعريف الكلام الكلام لأبى الحسين البصرى "المؤلف من الحروف المسموعة المتميزة"، لفظ لفظاً بطريق الشرح الكبير[3]. واختصار حسن صديق خان لإرشاد الفحول للشوكانى مثل اختصار الأرموى للمحصول للرازى.

---

(١) الحاصل من المحصول، جـ٢/٢٤.

(٢) السابق جـ٢/١٥-١٧.

(٣) السابق جـ٢/٦٤-٦٥.

وكالعادة فى المؤلفات المتـأخرة، البدايـة بوجـدانيات صوفية يتلوها مدح السلطان[1]. وقد أتى التلخـيص بإشـارة منه. فالسلطان يعرف كل شئ، ولا يتم أى شئ إلا بتوجيـه منه. وتنتهى كثير من الأقسام أو الأبواب أو الفصل بلازمـة "وا أعلم" أو "إن شاء ا ".

وتظهر اللغربة فى تجنب الحشو والتطويل، أتى الـنص مرتباً وواضحاً، أقرب إلى الحدود المنطقيـة فـى عبـارات قصيرة وبأسلوب عقلى منطقى وبنية هندسية محكمة[2]. وهو أقرب إلى رؤوس الموضوعات والهيكل العام منه إلى الحشو الخليط. يخلو الأدب والصور الفنية. لا يكفر ولا يستبعد ولا يقصى أحداً. والرأى الصحيح هو المختار دون تخطئة الآراء الأخرى وبعد كل خلاف فـى الـرأى مـع الاعتراضـات والردود. وتظهر وحدة الرؤية فى إحالة السابق إلى اللاحـق واللاحق إلى السابق[3].

---

(١) السابق، جـ٢/١٣-١٦/١٤.

(٢) يتكرر لفـظ "المختـار" دائمـاً مـثلاً جـ ـ٢/٣٣١-٤٦٩/٣٣٣-٥٠٧ جـ٣/٣٠٥.

(٣) الحاصـ ـل مـ ـن المحصـ ـول جـ ـ ـ ١/١٣١/١٤٤/١٦٤/١٩٩ جـ٣/١١٥/١٢٢/١٦٠/١٩٥/٢٨٢.

ومثال المختصر لذاته "قواعد الأصول ومعاقد الفصول" لصفى الدين عبد المؤمن بن كمال الدين عبد الحق البغـدادى الحنبلى ٧٣٩هـ فهو مختصر تحقيق الأمـل فـى علمـى الأصول والجدل[١]. وعديد من أعماله الأخرى مختصـرات بعد أن قل الإبداع وكثر الالتفاف حول الذات[٢]. وقد وصـل حد الاختصار إلى أن أصبح المختصر أقرب إلى التعريفـات المنطقية، ووضع رؤوس موضوعات دون البرهنة عليهـا، مجرد هيكل عظمى دون لحم ودم، مجرد رسم هندسى دون مواد البناء.

وظلت البنية ثلاثية، الحكم، والأدلة، والاجتهاد والتقليد. وأكبرها الأدلة[٣]. والاجتهاد والتقليد جزء من القياس. ومـن ثم أصبح المختصر ثنائى البنية. الأدلة الثلاثة الأولى سمعية

---

(١) صفى الدين عبد المؤمن بن كمال الدين عبد الحق البغـدادى الحنبلـى: قواعد الأصول ومعاقد الفصول، مختصر تحقيق الأمل فى علمى الأصول والجدل، تصحيح ومراجعة أحمد محمد شاكر، على محمد شـاكر، دار= =المعارف، مصر، القاهرة (د.ت).

(٢) مثلاً: إدراك الغاية فى اختصار الهواية، تلخيص المنقح (فـى الجـدل)، مختصر تاريخ الطبرى، مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام بن تيميـة، مختصر معجم البلدان لياقوت. والشرح أقل مثل: العدة فى شرح العمـدة، شرح إدراك الغاية، السابق ص٧.

(٣) الأدلة (٢٩)، الحكم (٥)، الاجتهاد والتقليد (٣).

والرابع عقلى مع أن الدليل الثالث يقوم على الاجتهاد الجماعى، بين النقل والعقل. والرابع هو استصحاب الحال الدال على براءة الذمة وليس القياس. والأحكام تشمل أحكام التكليف وأحكام الوضع معاً.

ويمكن تقسيم المختصر إلى مسائل أى إلى رؤوس موضوعات وقد لا تتسق جميعها فى نسق عقلى. فينقل التكليف مع المبادئ اللغوية. ويتم تخصيص الأمر والنهى والعام والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والظاهر (دون المأول) والمنطوق والمفهوم أبواب لكل منهما وكلها تدخل فى مباحث الألفاظ كما يتم تخصيص أبواب للنسخ وهو أدخل فى الأصل الأول. وتفصل أبواب فى الاستدلال والاجتهاد والتقليد والإفتاء وترتيب أدلة التعارض والتراجيح. وكلها تعريفات للأصل الرابع. ولا يوجد باب أو فصل للأصل الثالث، الإجماع[1]. تخلو بعض الأبواب من الفصول بالرغم

(١) فى "لب الأصول" ٤٣ مسألة موزعة على الكتب السبعة. أكبرها الكتاب الأول (الكتاب) (١٨)، ثم المقدمات (١٠)، ثم الكتاب الثانى (السنة) (٩)، والكتاب الخامس (الاستدلال)، والكتاب السابع (الاجتهاد) (٨)، والكتاب الرابع (القياس) (٢)، والكتاب السادس (التعادل والتراجيح) (١١). والكتاب الثالث (الإجماع) بلا مسائل.

من الحاجة إلى التخصيص مثل باب الأصل الأول، الكتاب، وكثير من أبواب مباحث الألفاظ[1]. وهناك موضوعات بـلا أبواب ولا فصول مثل الأحكام ومسالك الصـلة بـل ويـتم اللجوء إلى العد والإحصاء كما هو الحال فى الشـروح مـن أجل الاستيعاب والاحتواء[2].

وقد يقتصر المختصر على بنية العلم، المصادر الأربعة كل منها باب ثم ينقسم كل باب إلى فصول باستثناء الإجماع لصغر حجم الكتاب (القياس كل منها أربعة فصول، والسـنة ثلاثة)[3].

وفى "حصول المأمول" من علم الأصول وهو اختصـار "إرشاد الفحول" للشوكانى[4] تم تقسيم المختصر إلى قسـمين:

---

(١) فى "مختصر التحرير" ستة عشر باباً على النحـو التـالى: ١-الأصـل الأول، الكتاب،٢-الأصل الثانى، السنة، ٣-الأمر، ٤-النهى، ٥-العـام، ٦-المطلق والمقيد، ٧-الجمل، ٨-المبين، ٩-الظـاهر، ١٠-المنطـوق والمفهوم، ١١-النسخ، ١٢-الأصل الرابع القياس، ١٣-باب الاسـتدلال، ١٤-الاجتهاد، ١٥-التقليد والافتـاء، ١٦-ترتيـب الأدلـة والتعـارض والتراجيح.

(٢) مختصر التحرير: العد والإحصاء، ص١٥٧-١٥٨.

(٣) هذه قسمة "مختصر المنار" لابن حبيب "زبدة الأسرار" ص٣١-٣٩.

(٤) المولى الأصيل ذو المجد الأثيل الأيسر الهمام العـالى المقـام الكـريم المفضال البليغ القوال، مولانا الملك المفخم النواب السيد محمـد صـديق

المبادئ وتشمل المبادئ اللغوية والأحكام والمقاصد وتشـمل المقاصد السبعة، الكتاب العزيز، والسنة، والإجماع، والأوامر والنواهى، والقياس، والاجتهاد والتقليد، والتعادل والتراجيح. وينقسم كل مقصد إلى عدة أبواب، الكتاب أربعة، والسنة أحد عشر، والإجماع عشرون. والأوامر والنواهى تسعة، والسابع منها الظاهر والمـؤول ثلاثـة فصـول، والقيـاس سـبعة، والاجتهاد والتقليد اثنان، والتعادل والتـراجيح بـلا قسـمة. والنسخ ليس من مباحث الألفاظ بل مـن مباحـث المقصـد الأول، الكتاب العزيز. والظاهر والمؤول من مباحث الألفاظ وليس من المبادئ اللغوية العامة مثـل الحقيقـة والمجـاز. أكبرها مباحث الألفاظ ثم القياس ثم السـنة ثـم الإجمـاع. وأصغرها الكتاب[1].

ويقوم المختصر على نظرية فى الوضوح واستبعاد كل غموض واشتباه ربما لأن غرضه تعليمى، فالتعليم يقوم على

حسن خارن بهادر، نواب بهويال المعظم: حصول المـأمول مـن علـم الأصول. طبع فى مطبعة الجوائب الكائنـة أمـام البـاب العـالى فـى القسطنطينية ١٢٩٦.

(١) مباحث الألفاظ (عدد الصـفحات) (٧٦)، القيـاس (٥٤)، السـنة (٢٢)، الإجماع (١٦)، الكتاب (١٠).

الوضوح والاختصار[١]. وقد يستعمل أسلوب التعريفات مـن أجل الوضوح. وهو مدخل أصولى أيضاً لمباحث الألفـاظ. ويكون التعريف أولاً لغة أى اشتقاقاً ثم فكراً أى اصـطلاحاً. ونادراً ما يظهر التعريف العرفى الذى يتطور مع الاستعمال فى التاريخ[٢].

ومع ذلك تضاف عدة ألفاظ وفقرات تكشف عن الرغبة فى مزيد من التنبيه وتقديم بعض الفوائد حتى ولو أدى ذلـك إلى اللجوء إلى بعض الفروع أو التنبيه على الخاتمة[٣].

كما يخلو من الحجج العقلية والسـجال والقيـل والقـال والرد على المعارض، واقعـا أم افتراضـا إيثـارا لوحـدة الموضوع، وتجاوز الخلاف إلى الوحدة، والتشعب إلى أصل الشئ[٤]. إذ يقوم الاختصار على نظرية فى الوحدة، وحـدة الموضوع والأصل بعيدا عن الخلافات والمذاهب. الاختصار دعوة إلى الأصول دون الفروع[٥]. ومـع ذلـك لا يسـتبعد

---

(١) "وأبدلت منه غير المعتمد والواضح بهما مع زيادات حسنة"، اب الأصول ص٤.

(٢) هذه هى طريقة "مختصر التحرير" لابن النجار.

(٣) مختصر التحرير: تنبيه (٣)، فوائد، فائدة (٢)، فرع، خاتمة (١).

(٤) وذلك مثل "مختصر التحرير" لابن النجار، "ومختصر المنار" لابن حبيب.

(٥) "دون الأقوال، خال من قول ثان إلا لفائدة تزيد على معرفـة الخـلاف،

الملخص المواقف المخالفة، ولا يقطع فـى حكـم. ويتبنـى المختصر موقفاً ليس وحده هو الصحيح. ويعبر عنـه بعـدة ألفاظ مثل "المختار"، "الأصح"[1]. وكمـا لا تسـتبعد بعـض الشروح أياً من المذاهب أو الآراء احتراماً للخلاف وتأكيـد على التعددية فالأولى ألا تسـتعمل المختصـرات أسـاليب الاقصاء والتكفير لأنها لا تتعرض للخلافيات من أجل إبراز وحدة الموضوع والعودة إلى الأصل. لا تصوب ولا تخطّـئ بل تجعل الآراء احتمالات مختلفة وزوايا متعددة للموضوع. وإذا كان هناك اختيار فإنه يكون مجرداً حتى من احتمـالات أخرى[2].

والمذاهب ليست كتلة صماء بل فيها أجنحـة وفـروع، وسط ويمين ويسار بلغة العصر. وهناك الجمهور أيضاً إلى جمهور الفقهاء، والعوام أى الفقه الشعبى. وكلاهما يقابل الفقه

ومن عزو مقال إلى من إياه قال. ومتى قلت فى وجه: فالمقدم غيره وفى أو على قول فإذا قوس الخلاف أو اختلاف الترجيح أو مع إطلاق القـولين أو الأقوال إذ لم اطّلع على مصرح بالتصحيح"، مختصر التحرير ص١١.

(١) لب الأصول: "المختار" (١٠)، "الأصح" (٢).

(٢) حصول المأمول: "والمختار الحق"، ص٢١٠. "وهو الصـحيح"، ص٧١. "ولا يخفاك أن كلام أهل العلم فى هذا الباب من قبل الإفراط أو التفريط"، ص١٨٣

العالم، فقه المذاهب. ومع ذلك فلرؤساء المـذاهب الاحتـرام والتعظيم مثل الشافعى سيد الشافعيين[١].

وتقل الشواهد النقليـة، مـن القـرآن والحـديث مـن المختصرات. فهى زائدة على الخطاب العقلى المركز الـذى لا يعتمد إلا على طبيعة العقل وحده. وقد تزيد الأحاديث على الآيات إذا كان المختصر حنبلياً من أهل السـنة والحـديث. لذلك يغيب أسماء الرواة والمحدثين، والصحابة والتـابعين، إيثاراً للمتن على السند، وعرضه عرضاً عقلياً خالصاً، فيقينه فى داخله وليس فى خارجه[٢]. وقد يخلو المختصر كلية من أى آية أو حديث أو شاهد شعرى[٣].

وقد تغيب الأشعار فالمختصر لا يقـوم علـى تجربـة شعرية بل على تجربة عقلية خالصـة بإزاحـة الحواشـى والإبقاء على اللب[٤].

٣- الوعى التاريخى: ويعتمد على كثير مـن الشـواهد

---

(١) "ذهبت طائفة جلة سيدهم الشافعى إلى أن.، السابق ص١٤٢.

(٢) لب الأصول: الآيات (٤)، الأحاديث (٣). مختصر التحرير: الآيات (٦)، الأحاديث (٢٠). حصول المـأمول: الآيـات (٢٢١)، الأحاديـث (٧١)، الأشعار (١١).

(٣) مثل "مختصر المنار" لابن حبيب، زبدة الأسرار ص٣١-٣٩.

(٤) لذلك يخلو من الشواهد الشعرية "مختصر التحرير" لابن النجار.

النقلية، والقرآن أكثر من الحديث، والحديث أكثر من الأثار المروية[1]. ومن الأعلام يأتى فى المقدمة الشافعى ثم المتكلمان أبو الحسين البصرى والباقلانى، المعتزل والأشعرى قبل أبى حنيفة. ثم يأتى الجبائى قبل الكرخى مما يدل على وحدة علم الأصول. ثم يتداخل المعتزلة مثل القاضى عبد الجبار والنظام مع الصحابة والأشاعرة مثل الغزالى. ثم يتداخل فقهاء الأصناف مثل عيسى بن أبان مع مالك بن أنس واللغويين مثل سيبويه. ثم يستمر التداخل بين الأصوليين، معتزلة وأشاعرة، وأصناف وشافعية وماكلية مما يدل على وحدة الحضارة وتكامل الرؤية[2].

---

(١) الآيات (٢١٩)، الأحاديث (٧٥)، الأثار (١٦)، الشعر (١١).

(٢) الشافعى (١)، أبو الحسينى البصرى (٣٣)، الباقلانى (٢٩)، أبو حنيفة (٢٦)، أبو هاشم الجبائى (٢٢)، الكرخى (١٩)، القاضى عبد الجبار، على بن أبى طالب، عمر بن الخطاب (١٣)، أبوبكر، الغزالى، أبو على الجبائى (١٢)، ابن عباس (١١)، عيسى بن أبان (١٠)، النظام، أبو عبد ا البصرى، مالك بن أنس (٨)، سيبويه (٧)، ابن سريج، على المرتضى، الصيرفى، موسى (٦)، عائشة، القفال (٥)، الاسفراينى، زيد بن ثابت، إمام الحرمين، ابن جنى، الأشعرى (٤)، إبراهيم الخليل، أبوبكر الرازى، ابن أبو هريرة، شريح، الصيمرى، عثمان، الجاحظ، الشيبانى، المبرد، أبو مسلم الأصفهانى، الدقاق، أبو يوسف (٣)، أبو ثور، المزنى، المريسى، الحسن بن على العباسى، أبو لهب، الكعبى، أبو موسى الأشعرى، الأصمعى، عيسى، ماعز، ابن فورك، العلاف، معاذ (٢)،

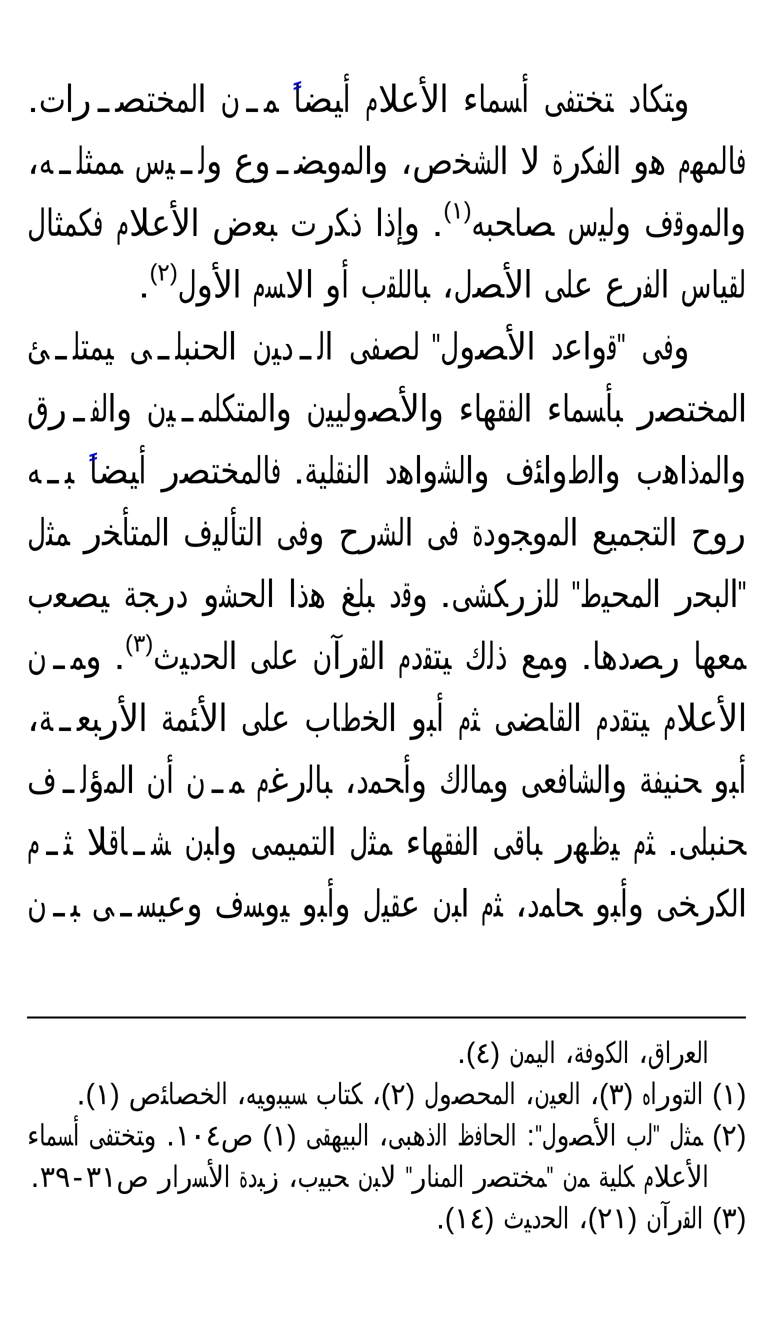
ومن الفرق والطوائف تتقدم المعتزلة باعتبارها المحاور الرئيسى، ثم الشيعة واليهود مما يدل على أهمية الفرق غير الإسلامية مثل النصارى والبراهمة، والسوفسطائية، والمجوس، والمانوية. ثم تتفرع فرق الشيعة إلى إمامية وزيدية وأهل العترة. ثم تأتى باقى الفرق الكلامية مثل الخوارج والظاهرية والحشوية والرافضة والسمنية والفضيلية والكرامية والمجسمة والمرجئة مما يدل على ارتباط علم اصول الفقه بعلم أصول الدين. ولا يوجد مذهب فقهى بل فقهاء[1].

ومن حيث الأماكن تتقدم مكة ثم المدينة على البصرة وبغداد ومما يدل على الارتباط بالسلف. ثم تتساوى بدر وبيت المقدس وخوارزم والعراق والكوفة واليمن[2].

المروزى، أبو اسحق الشيرازى، ابن الراوندى، الخليل، داود الظاهرى، سفيان الثورى، الأصم، عبد القاهر الجرجانى، الخياط، الزيعرى، الواحدى، الكسائى، الطبرى، ابن سيرين، الرازى، الفراء، ابن سينا وآخرون (٦٣).

(١) المعتزلة (٤٢)، الشيعة (٩)، اليهود (٨)، الخوارج، الظاهرية، العترة، الواقفة (٤)، الإمامية (٣)، الحشوية، الزيدية، الملحدة، النصارى (٢)، البراهمة، السوفسطائية، السمنية، الفضيلية، الكرامية، المجوس، المانوية، المجسمة، المرجئية (١).

(٢) مكة (٤) المدينة (٣)، البصرة، بغداد (٢)، بدر، بيت المقدس، خوارزم،



وتكاد تختفى أسماء الأعلام أيضاً مـن المختصـرات. فالمهم هو الفكرة لا الشخص، والموضـوع ولـيس ممثلـه، والموقف وليس صاحبه[1]. وإذا ذكرت بعض الأعلام فكمثال لقياس الفرع على الأصل، باللقب أو الاسم الأول[2].

وفى "قواعد الأصول" لصفى الـدين الحنبلـى يمتلـئ المختصر بأسماء الفقهاء والأصوليين والمتكلمـين والفـرق والمذاهب والطوائف والشواهد النقلية. فالمختصر أيضاً بـه روح التجميع الموجودة فى الشرح وفى التأليف المتأخر مثل "البحر المحيط" للزركشى. وقد بلغ هذا الحشو درجة يصعب معها رصدها. ومع ذلك يتقدم القرآن على الحديث[3]. ومـن الأعلام يتقدم القاضى ثم أبو الخطاب على الأئمة الأربعـة، أبو حنيفة والشافعى ومالك وأحمد، بالرغم مـن أن المؤلـف حنبلى. ثم يظهر باقى الفقهاء مثل التميمى وابن شـاقلا ثـم الكرخى وأبو حامد، ثم ابن عقيل وأبو يوسف وعيسـى بـن

العراق، الكوفة، اليمن (٤).

(١) التوراه (٣)، العين، المحصول (٢)، كتاب سيبويه، الخصائص (١).

(٢) مثل "لب الأصول": الحافظ الذهبى، البيهقى (١) ص١٠٤. وتختفى أسماء الأعلام كلية من "مختصر المنار" لابن حبيب، زبدة الأسرار ص٣١-٣٩.

(٣) القرآن (٢١)، الحديث (١٤).

أبان والبستى وغيرهم بصرف النظر عن اختلاف مـذاهبهم. ومن الصحابة يتقدم أبو بكر على عمر. ومن العتزلة يظهـر النظام الجاحظ فى مواقفهما الأصولية الخاصـة بالإجمـاع والقياس[1].

ومن المذاهب يتقدم الشـافعية علـى الحنفيـة بعـد أن أصبحت الشافعية المذهب الرسمى على الأشعرية بعد أبـى حامد[2]. ومن الفرق والطوائف يتقدم المتكلمون ثم الجمهور ثم أصحابنا. ثم الخلفاء الأربعة والصـحابة، ثـم أصـحاب الحديث والأئمة وأهل العربية والنحاة. وللبعض منهم متقدمين ومتأخرين أو بالتبعيض، الأغلب أو الأقل[3].

وفى "حصول المأمول" يتقدم الشافعى بطبيعـة الحـال. فالمختصر شافعى ثم الرازى ثم الجوينى ثـم الغزالـى ثـم

---

(١) القاضى (١٩، أبو الخطاب (١٧)، أبو حنيفة (١٦)، الشافعى (٨)، مالـك (٧)، أبو بكر (٤)، أحمد، التميمى، ابن شاقلا (٣)، الكرخى، أبو حامـد، النظام، الجاحظ، (٢)، ابن عقيل، أبو يوسف، أبو بكر عبد العزيز البستى، ابن داود، داود، عيسى بن أبان، الخرزى، ابن جرير، عمر (١).

(٢) الشافعية (٢٨)، الحنفية (٢١)، المعتزلة (الثورية) (٩)، الظاهريـة (٦)، المالكية (٢).

(٣) المتكلمون (١١)، الفقهاء (٧)، أصحابنا، الجمهور (٣)، الصحابة، الخلفاء الأربعة (٢)، متأخرو أصـحابنا، أصـحاب الحـديث، الأئمـة، بعـض المحدثين، أهل العربية، النحاة (١).

الآمدى ثم اسحق الشيرازى مما يبين مدى حضور الشافعية الأشعرية فى بؤرة الوعى التاريخى الأصولى. ثم تظهر المالكية مثل ابن الحاجب مع أبى حنيفة لتحدى المركز من الأطراف.

ويستمر الأشاعرة الشافعية فى الظهور مثل الأشعرى نفسه والقفال والبيضاوى وابن فورك والأصفهانى والاسفرايينى والشوكانى والمرجانى. ويستمر الحنفية فى التحدى مثل الكرخى والسرخسى وأبى يوسف الجصاص والدبوسى والأوزاعى والشيبانى والمزنى، ومع المالكية مثل مالك وابن الحاجب والباجى والقاضى عبد الوهاب وأبى الخطاب وابن خواز منداد، ومع الحنبلية مثل ابن قدامة، ومع المعتزلة مثل: النظام وأبو الحسين البصرى وأبو على الجبائى وأبو الحسن البصرى والقاضى عبد الجبار وأبو هاشم، ومع الظاهرية مثل ابن حزم، ومع النحاة مثل سيبويه والفراء والمبرد والزجاج والسيرافى وصاحب القاموس[1].

---

(١) الشافعى (٦٨)، الرازى (٥٨)، الجوينى (٥٣)، الغزالى (٤٩)، الآمدى (٣٨)، ابن الحاجب (٣٦)، أبو اسحق الشيرازى، أبو حنيفة (٣٣)، الزركشى (٢٥)، الباقلانى (٢٣)، الأشعرى، أحمد بن حنبل، الصيرفى، ابن السمعانى (٢١)، الصفى الهندى (٢٠)، مالك، ابن برهان (١٨)،

كما تندر الإحالة إلى المصادر. فالمختصر يـأتى مـن طبيعة العقل وليس من المصادر المدونة أو الشفاهية. لذلك لا يحتاج إلى إحالات أو تخريجات.

الماتريدى، القفال (١٦)، القاضى (١٥)، البيضاوى (١٣)، ابن حزم، أبو الحسن البصرى، ابن دقيق العيد (١٢)، الكرخى، سليم الرازى (١١)، ابن فورك الأصفهانى، الاسفرايينى، ابن مالك (١٠)، القرافى، سيبويه، الكيـا الهراسى، الماوردى، ابن القشيرى، ابن حزم، (٨)، أبو على الفارسـى، داود الظاهرى، الروبانى، القاضى عبد الوهـاب، القاضـى أبـو بكـر (الجصاص) (٧)، ابن شريح، القاضى عبد الجبار، السرخسى، المروزى، ابن القطان (٦)، أبو هاشم، أبو البقاء، القرطبى، ابن الصلاح، أبو عبد ا البصرى، الباجى، أبو يوسف، ابن الصباغ، الرافعى، الطبرى، الـدقاق، مسلم، ابن الصباغ (٥)، ابن حنبل، الزمخشرى، ابن عمـر، ابـن أبـى هريرة، أبو بكر الرازى، داود، ابن عباس، الشوكانى، أبو بكر العربـى، ابن عبد السلام (٤)، النظام، أبو الحسين البصرى، ثعلب، المبرد، الفراء، السيرافى، ابن عصفور، الكيا الطبرى، القاضى عياض، القاضـى أبـو الطيب، ابن خواز منداد، أبو داود، القاضى أبوزيد، ابن السـاعاتى (٣)، ابن الهمام، أبو على الجبائى، أبو عبيدة، الشوكانى، الأخفـش، النـووى، الدبوسى، الخطيب، شمس الأئمة، الأوزاعى، الشيبانى، الأستاذ، ابن عليه، ابن عائشة، المازنى، ابن القيم، البيقهى، أبو الحسن البصرى (٢)، ابـن سينا، ابن هشام، الأصمعى، صاحب القاموس، صاحب البديع، صـاحب المنهاج، التبريزى، اللخمى، ابن كيسان، النحاس، ثوبـان، ابـن كثيـر، الاصطخرى، الكعبى، البخارى، المزنى، الترمذى، ابن ماجـه، الأصـم، ابن قدامة، الطحاوى، ابن حيان، عيسى الوراق، الجرجانى، أبـو ثـور، الانبارى، أبو البركات الاسترابادى، السهروردى، ابن تيمية، عيسى بـن أبان، أبو الخطاب الحنبلى، الزجاج، وعشرات آخرون (١).

ويعتمد "حصول المأمول" على عديد من المصادر كما هو الحال فى الشرح مما يجعله أقرب إلى الشرح منه إلى المختصر. ويتقدمها جميعاً المحصول الجامع بين البرهان والمستصفى ثم البحر المحيط نموذج التجميع والذاكرة الجمعية ثم البرهان ثم المستصفى المصدران الرئيسيان للمحصول، ثم الإرشاد والأحكام واللمع، وكلها متون أشعرية شافعية باستثناء شرح البزدوى الحنفى، ومختصر المنتهى للمالكى مما يدل على حضور الأشعرية الشافعية فى بؤرة الوعى التاريخى الأصولى[1].

وقد لا يحال إلا إلى الصحابة والخلفاء الأربعة أو متقدمى الإسلام إذا كان المختصر حنبلياً من أهل السنة

---

(١) المحصول (١٥)، البحر المحيط (٦)، البرهان (٥)، المستصفى (٤)، الإرشاد، الأحكام، اللمع (٣)، شفاء الغليل، الملخص، شرح المحصول، الودائع، الشامل، المصباح، التحرير، إرشاد الفحول، المغتنم، نيل الأوطار، فتح القدير، فتح البيان، المنحول، زوائد الروضة، الملل والنحل، العالم، التقويم، التبصرة، الثقاة، التقريب، القواعد، المنهاج، الإعراب، الرسالة، التقويم، الوضعية، المسائل، الجام العوام، مسائل الخلاف، أدب الطلب ومنتهى الأدب، القول المفيد فى حكم التقليد، مدارج السالكين، الهداية، التمهيد، شرح الإلمام، شرح الكفاية، شرح العنوان، شرح البزدوى، شرح مختصر المنتهى، مختصر المنتهى، الملخص (١).

والاستقامة[1]. وإذا ذكر شافعى أو حنفى فلضرب المثل على اختلاف الرؤية وتعدد الرأى فى أقل القليل[2].

ومن الطوائف والفرق يظل المعتزلة هم "المهماز" الذى يبعث على الفكر، والتحـدى الـذى يسـتعدى الإجابـة[3]. والاستجابة هى الفرقة الناجية "عندنا".

وفى "حصول المأمول" يتقدم مجموع الفقهاء بوجه عـام مما يدل على هم العلم أكثر من العلماء، والأصول أكثر مـن الأصوليون، وكذلك الجمهور أى مجموع الأصوليين بصرف النظر عن المذاهب الفقهية. ثم تظهر الشـافعية باعتبارهـا المكون الرئيسى للوعى التاريخى. ثم يظهر التحدى الحنفـى والتحدى الاعتزالى والتحدى الفلسفى الممثل فى السـمنية أى فى البداية وربما الاقتصار على المعرفة الحسية. ثم يظهـر أيضاً مجموع أهل الأصول والصحابة والمتكلمون والحنابلـة والظاهرية والمالكية والمتأخرون كمحاولات لزحزحة المركز من الأطراف. ثم تظهر الأشعرية مع التابعين. ويتقدم النحاة

---

(١) مختصر التحرير: الصحابة، الخلفاء الأربعة، متقدموا الإسلام، ص٢٥٧.

(٢) السابق، ص٢٤٣-٢١٤.

(٣) لب الأصول: المعتزلة (٤) "ونبهت على خلاف المعتزلة بعندنا وغيرهم بالأصح غالباً" ص٩/٤.

للعودة إلى الأصل فى اللغة، مجموع النحاة ونحاة البصرة مع أصل الاجتهاد[1].

٤- شرح المختصرات:

أ- السمات العامة: ويقع شرح المختصرات بين الشرح والمختصر كما يقع الشرح الأوسط أى التلخيص فى علـوم الحكمة بين التفسير والجوامع. فقـد يكـون للمـتن شـرح ومختصر ثم شرح المختصر. ويتأرجح المتن بين التطويـل والتقصير، بين الإسهاب والتركيز[2].

---

(١) الأصوليون، الفقهاء (٧٣)، الجمهـور (٦٢)، الشـافعية (٤٢)، الحنفيـة (٣١)، المعتزلة، السمنية (٣٠)، أهل= =الأصول (٢٨)، الصحابة (٢٣)، المتكلمون (٢٢)، الحنابلة (٢١)، (الظاهرية) أهل الظاهر (١٦)، المالكية (١٥)، المتأخرون (١٢)، الأشعرية (١٠)، العلماء، أهـل العلـم (١٢)، المحققون (٨)، نحاة الكوفة، التـابعون (٧)، النحـاة، نحـاة البصـرة، المحدثون (٥)، الخلفاء الأربعة، أهل الاجتهـاد (٤)، الجـدليون، أهـل العراق، الأولون، السلف، الأكثـرون، الإماميـة (٢)، أهـل الأصـول والأحكام، جمهور النحاة، النحويون، أهل اللغة، أصحاب أبى حنيفة، أئمة الحديث، الأئمة، أهل العراق، أصحابنا، جمهور أصحابنا، أهل الحـديث، الخلفاء، الخلف، المهاجرون، الأنصار، الخوارج، أهـل السـنة، الأئمـة الأربعة، فقهاء الأمصار، أهل الحرمين، المجتهدون، الزيديـة، العتـرة. ومن الفرق غير الإسلامية البراهمة (١).

(٢) الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافى (٦٨٤): شـرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول، طبعة جديدة منقحـة مصححة باعتناء، مركز البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشـر

وإذا كان الشرح والمختصر سيرا فى المكـان وتمـددا طولياً فى الشرح ودائرياً فى المختصر فإنه يمكن الجمع بين الاثنين الاختصار أولاً ثم الشرح ثانياً. ولمـا كـان الشـعر مازال وجدان العرب بعد أن توقفت الحضارة والعلوم العقلية النقلية وعادت إلى الشعر مركز الحياة الثقافية العربية، قبـل أن يحل القرآن محله فيمكن نظم المختصر شعراً قبل أن يتم شرحه تلمساً لمظاهر الإبداع. وهذا ما حدث فى "نظم وشرح مختصر المنار للشيخ طه فندى" من علماء الأتراك "والمنـار لحافظ الدين عبد ا   النسفى" مع كل مظاهر التمجيد والتعظيم فى الألقاب[1].

والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

(١) نظم وشرح مختصر المنار للعالم المحقق والمحرر المدقق فريـد دهـره ووحيد عصره البغدادى الشيخ طه أفندى العريف بسنوى زاده ابن الجهبذ الذى علت به كلمة الأستاذ، وزخر به العلم الحديثى، وزاد وأمد باملائـه الصدور بالإرشاد والإمداد الشيخ أحمد أفندى ابن العلامة الـذى بتمهيـد المسائل برز على نظرائه فى مصر. فأفضت إليه الرياسة العلميـة فـى عصره ومصره، مصدر المقولات والمنقـولات، الشـيخ محمـد قسـيم السنندجى الكورانى أسكنهم ا   تعالى فراديس الجنان بحرمة من أنزلـت عليه سورة الفاتحة! سعيا فى جامعه ونشره برخصة من نظارة المعارف العمومية بعدد (٢٠٢)، وفى تاريخ ٦ مارس سنة ١٣١٤ ولـدا المؤلـف نائب لواء زدر سابقاً إسماعيل سيف الدين أفندى ونائب لواء ديوانيه سابقاً عبد المجيد أفندى. وطبعت فى دار الخلافة العلية فى مطبعة (محمود بك)

وقد يكون شرح المختصر تناقضاً. فـإذا كانـت غايـة الشرح الاختصار فإن غاية الاختصار الشرح، خطـوة إلـى الأمام وخطوة إلى الخلف، السير فى المكان، صورة الفكـر دون مضمونه، ألفاظ وعبارات دون تقدم، ثنـى ومـد فـى الألعاب الرياضية، شد وارتخـاء للمطـاط دون أن يتغيـر المطاط نفسه.

وبعد أن اختصر الأنصارى الشافعى "جمـع الجوامـع" للسبكى شرحه فى "غاية الوصول شرح لب الأصـول" فـى عمليتى الانكماش والامتداد، لخص غيره، وشرح نفسـه[1]. والهدف من شرح المختصر بيان حقائقه، وتوضيح دقائقـه، وتذليل صعاب اللفظ وكشف النقاب عن معانيه. والواقع فـى "زبدة الأسرار" لشرح المختصر المنار هو حل الألفاظ وإيجاد نوع أدبى متوسط بين الشرح الممل والاختصار المخل[2].

المرقمة (٧٢)، بالقرب من الباب العالى بشارع أبو السعود وذلك فى ١٩ محرم سنة ١٣١٦هـ.

(١) شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى من أعلام الشافعية فى القرن الثامن (السابع) الهجرى، عيسى البابى الحلبـى وشـركاه بمصـر (د.ت) ص٢.

(٢) "لما قرأ على بعض الإخوان مختصر النار... والجأنى أن أكتب عليه ما يحل ألفاظه ويزيل إيجازه فإنه قليل الحجم مقداراً، جليل السهم آثـاراً.."

وتغيب البنية، وتحضر الفصول المتتالية بلا عناوين أو ترقيم. ومع ذلك يمكن اكتشاف بنية ضمنية بتجميع الفصول فى موضوعات. إذ يتضمن الكتاب مقدمة حول تعريف العلم والمبادئ اللغوية كمدخل له وليس المنطق، بالإضافة إلى ثلاثة وثلاثين فصلاً[1]. ويمكن تجميعها حول ثلاثة موضوعات، الأحكام الشرعية، أحكام التكليف، أحكام الوضع، والأدلة الشرعية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ومباحث الألفاظ بين الإجماع والقياس. وفى هذه الحالة تكون مباحث الألفاظ أكبرها ثم الأدلة الثلاثة ثم القياس

زبدة الأسرار ص٤٢-٤٣.

(١) أكبرها الفصل ١١ عن خبر الواحد (٣٣)، وأصغرها ٢٨ عن الاستقراء، ٢٩ عن الاستحسان (١)، والترتيب الكمى للفصول كالآتى المقدمة (٦٠)، ١١-خبر الواحد (٣٣)، ٢٤-القياس (٣٠)، ١٦-العام والخاص (٢٤)، ١٣-النسخ (١٨)، ٤-الحكم الشرعى، ١٤-الأمر (١٧)، ١٢-الإجماع (١٦)، ٢٥-أسئلة القياس (١٥)، ١-الحروف، ٣٣-الترجيح (١٤)، ١٠-السنة، ١٨-الاستثناء، ٣١-الاجتهاد (١١)، ٢٣-المفهوم (١٠)، ٦-خطاب الوضع (٩)، ٣٢-التقليد (٨)، ٥-الندب والمكروه والمباح، ١٥-النهى، ٢١-المجمل (٦)، ٣-الأحكام، ٧-المحكوم فيه، ٨-المحكوم عليه، ٢٠-المطلق والمقيد، ٢٢-المبين (٤)، ١٧-التخصيص (٣)، ٢-اللفظ، ٢٦-الاستصحاب، ٢٧-شرع من قبلنا، ٣٠-الاستصلاح (٢)، ٢٨-الاستقراء، ٢٩-الاستحسان(١).

ثم المقدمة، وأصغرها الأحكام[1]. فاللغة رصيد العرب فـى حالة غيب الشعر. وفى نفس الوقت يعادل القياس وحده الأدلة الثلاثة الأولى فى حين أن النص حنبلى، وكأن النص والعقل قرينان. والأحكام على طول تاريخ النص أصغر الأجزاء.

وتكثر الشواهد النقلية. وتغلب الآيـات القرآنيـة علـى الأحاديث النبوية. ثم تأتى الشواهد الشـعرية والآثـار عـن الصحابة والتابعين وبعـض الأمثـال العربيـة[2]. ويعتمـد المختصر على عديد من المصادر فـى التفسـير والحـديث وأصول الدين وأصول الفقه يتقدمها "المحرر" لأبى البركـات ابن تيميه ثم "الروضة" لابن قدامة[3].

وبالرغم من ذكر شروح المختصـرات أيضـاً مسـألة

(١) مباحث الألفاظ (٩٤)، الأدلة الثلاثة الأولى (٨٧)، القياس (٨٦)، المقدمة (٦٦)، الأحكام (٤٤).

(٢) الآيات (١٤٠)، الأحاديث (٨٥)، الأشعار (١٣)، الآثار (٨).

(٣) من كتب الأصول: "المحرر" لأبى البركات ابن تيمية (١٧)، "الروضـة" لابن قدامه (١٤)، "التمهيد" للكالوذانى (١١)، "الواضح" لابن عقيـل (٧)، "شرح جمع الجوامع" للمحلى (٤)، "الكفاية" لأبى يعلى (٣)، "المغنى" لابن قدامه، "جمع الجوامع" للسبكى (٢)، "الإرشاد" لأبى موسـى، "المعتمـد" "العدة" "المجرد" لأبى يعلى، "المحصول" للرازى، "المسـودة" لآل تيميـة (١)، ومن كتب التفسير: تفسير الرازى (١)، ومن كتب الحديث: صحيح البخارى (٢)، شرح مسلم للنووى (١).

"الأرض المغصوبة" إلا أنه لم يتم تطويرها خاصة وأن شرح المختصر قد كتب أثناء سقوط الأندلس فى الغرب، والصراع بين المماليك الجراكسة والأتراك فى الشرق[1].

ب- **آليات الاختصار.** وآليات الشرح واحدة سواء فـى شرح المتن أو شرح الاختصار. وتكرارها بعد تحليلها يحول تحليل المضمون من وسيلة إلى غاية، وإلى كم دون كيـف، وإلى أرقام دون دلالة وأهمها: العد والإحصـاء مـن أجـل القسمة ووضع البنية[2]، التحليـل اللغـوى[3]، والإعـراب والتعريب وتحديد الألفاظ الأجنبية، السكنجبين، والحديث عن الألفاظ الهندية والحبشية والفارسية، وصف القصد ومسـار الفكر والبحث عن الاتساق والحكم بالخاف فى الاستدلال[4]، إصدار حكم بالخطأ أو الصـواب والاكتفـاء بالمختـار[5]، استعمال أسلوب السؤال والجواب من أجل حيويـة الفكـرة

(١) السويسى: شرح مختصر المنار، ص٩٥.
(٢) زبـدة الأسـرار، ص٦١/٧٤/٨٦/١٠٣/١١٠/١١٤/١٣٤/١٨٠/١٩٢/٢٤٩/٢٥٠.
(٣) السابق، مباحث الألفاظ ص٥٣، الإعراب ص٤٥، ٤٦، المعنى اللغـوى ١٠٤/١٣٥/١٤٢/١٤٥/١٨٠/٢٠٩/٢٤٨.
(٤) السابق، ص٩٣/٧٩.
(٥) السابق، ص٦٥/٩٦.

والدعوة إلى مشاركة القارئ[1]، وحدة العلم والإحالـة إلـى المطولات[2]، الإيمانيات والدعوة إلى السـلطان التركـى[3]، وفى شرح المختصر تكثر الشواهد النقلية. فالقرآن والحديث منبعان ينصبان لمادة الشرح. وعلى هذا النحو يعـود علـم أصول الفقه ويختفى فى علوم القرآن أو علوم التفسير ومنهما نشأ فى البداية كما هو الحال عند "أصول الجصاص" ونشأتها من "أحكام القرآن". والشعر هو الشـعر التعليمـى المتـأخر الخاوى من أى تجربة شعرية[4].

جـ - الوعى التاريخى. ومن الأسماء فى شرح "غايـة السول" يتقدم بطبيعة الحال أحمد بن حنبل ثم أبو يعلى الفراء الحنبلى وابن عقيل والكلوذانى وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ومعظم الفقهاء والأصوليين الحنابلة. ومن الشـافعية يتقـدم

---

(١) السابق، ص٦١/٨٣. ألفاظ مخاطبة القارئ مثل تأمل ص٨١.

(٢) السابق، ص٢١٩/٢٢٦.

(٣) الإيمانيات ص٤١-٤٣، ا أعلم ص٩٢، السلطان ص٢٥٦، السـلطان التركى ص٤٣.

(٤) غاية الوصول شرح لب الأصول: الآيـات (٣٣٥)، الأحاديـث (٧٣)، الشـعر (١٢). زبـدة الأسـرار: الآيـات (١١٢)، الأحاديـث (٣٨)، الشعر (٣).

الشافعى والآمـدى والبـاقلانى والاسـفراييني والشـيرازى والغزالى وغيرهم. ومن المالكية مالك ابن أنس والقرافـى. ومن الحنفية أبو حنيفة والكرخى والجصاص وأبـو يوسـف والشيبانى. ومن الظاهرية داود. ومـن المعتزلـة الجبـائى والكعبى، البلخى[1]. هذا بالإضافة إلى الصحابة والتـابعين.

---

(١) أبو يعلى الفراء (٦٢)، على ابن عقيل (٥٨)، أبو الخطـاب الكلـوذانى (٤٣)، ابن قدامة (٢٤)، الشافعى (٢٣)، الأموى، أحمد بن عبـد السـلام ابن تيمية (١٦)، أبو البركات، الحلوانى (١٥)، مالك بـن أنـس (١٠)، الباقلانى، أبو حنيفة (٨)، ابن حامد (٧)، داود الظاهرة، إمـام الحـرمين (٦)، الاسفراييني، أبو الحسن التميمى، أبـو الفـرج، الشـيرازى، (٥)، أبوبكر بن جعفر، ابن اللحام، ابن داود، الجبائى، أبو الحسـين البصـرى (٤)، ابن شقلا، القرافى، ثعلب الفخر البغدادى، ابن البنا، عائشـة، أبـو هريرة، ابن العباس، ابن الزعفرانى، المحلـى، البخـارى، ابـن مفلـح المقدس، أبو يوسف (٣)، ابن برهان، الجصاص، ابن سـريج، أبـوبكر الخلال، أبو الحسن الجزرى، سعيد الأسدى، الطوفى، سهيل السجان، عبد الجبار الهمزانى، البلخى، الكعبى، أبو بكر، عطاء بن أبى رباح، الخرقى، عمر بن الخطاب، الشيبانى، الصيرفى، الغزالـى، الجرجـانى، مسـيلمة الكذاب (٢). أبو اسحق المرزوى، النظـام، ابـن فـارس، أبـو حامـد الاسفراييني، أسماء، ابن علية، إسماعيل الجوهرى، الأشعث بـن قـيس، أنس بن مالك، البراء، جابر بن حرام، حسان بن ثابت، الفارسى، ابن أبى هريرة، البريهارى، الحسن البصرى، أبو عبـد ا البصـرى، القاضـى حسين، البغوى، ابن المغيرة، ذو اليدين، خزيمة الأنصـارى، السـمان، ربيعة، التميمى، أبو محمد التميمى، السرخسى، الأعمشى، الشافعى، عباد بن سليمان، أبو حازم الحنفى، السهيلى، الجبائى، ابن عبد السـلام، أبـو

ومن الأنبياء إبراهيم ثم نوح وعيسى وموسى وآدم. ومن الملائكة جبريل[1].

وفى شرح المختصر تزيد أسماء الأعلام لدرجة كبيرة. فالأعلام أصوليون وفقهاء ومتكلمون ونحاة وصحابة وتابعون بل وصوفية، منابع رئيسية لتجميع مادة الشرح التى يتم تعليقها على المختصر لدرجة الثقل الزائد لحبات الخرز على الخيط الرفيع. ويتقدمهم الشافعى مما يدل على حضوره التاريخى فى هذه العصور المتأخرة ثم أئمة الشافعية مثل الرازى والبرماوى وإمام الحرمين والسبكى مع أئمة الأشاعرة مثل الباقلانى والغزالى والآمدى. ثم يظهر أبو حنيفة مما يدل على تبادل الحضور فى التاريخ بين الشافعية والحنفية. ويكاد يختفى مالك وأحمد. ويظهر بعض النحاة مثل

البقاء، الجهنى، الكرخى، أبو الفضل التميمى، القاضى عبد الوهاب، ابن جنى، عثمان، ابن الحاجب، عكرمة، على، الأشعرى، المرتضى، عمار بن ياسر، العكبرى، أبوجهل، عمرة بنت مسعود، ابن أبان، غيلان، فرعون، كعب بن عجرة، مجاهد المكى، محمد الثقفى، ابن القيم، ابن خويز منداد، أبو مسلم الأصفهانى، الطبرى، ابن الأعرابى، محمد بن سيرين، ابن مالك، الأبهرى، القفال، أبوبكر الدقاق، أبو يعلى الصغير، أبو هذيل، الطرطوشى، ابن ماجه، مسلم، معاذ، أبو عبيدة، أبوبردة بن نيار، النووى، ابن عبد البر (١).

(١) إبراهيم (٣)، نوح، عيسى، موسى (٢)، آدم (١).

سيبويه والفراء ويكثر أعلام الصحابة والتـابعين. وتغيـب أعلام المعتزلة بالرغم من ظهور أبى حنيفة(١).

ويجمع شرح "غاية السول إلى علم الأصول" لابن المبرد (ت٩٩٠هـ) بين الشرح والتلخيص(٢). فقد كتب ابن المبـرد تلخيصين من عدة كتب أصولية حنبلية لابن مفلح وابن اللحام

---

(١) الشافعى (٢٨)، الرازى، ابن الحاجـب (١٦)، البرمـاوى (١٤)، إمـام الحرمين (١١)، الباقلانى، الترمذى، الزركشى (١٠)، الغزالى، الآمـدى (٩)، السبكى (٨)، النووى (٧)، أبو حنيفة، مسلم، البخارى (٥)، الجلال المحلى، السعد التفتازانى (٤)، الأشعرى، الكعبى، ابن عبد السلام، ابـن مالك، الصفى الهندى، الزهرى (٣)، سيبويه، الاسفراييني، الفراء، ابـن الجزرى، السكاكى، أبو هريرة، ابن الصباغ، أبو حيـان، غـيلان، أبـو عيسى الأصفهانى، ابن الصلاح، ميمونة، القاضى حسين، القاضى عبـد الوهاب (٢). وعشرات أخرى من أسماء الأعلام مثل ابن دقيق العيد، ابن ماجه، مالك، الأستاذ، المروزى، الماوردى، البيهقى، البغـوى، الشـهاب العماد، ابن السمعانى، ابن الدرداء، الكمال بن الهمام، داود الأصـفهانى، القرافى، العراقى، الحريرى، ابن هشام، ابن مسعود، أبو سعيد الخـدرى، السيرافى، الشمس الأصفهانى، الدارقطنى، ابن عبد السـلام، أبـو علـى الفارسى، الشيرازى، ابن الصلاح، الرافعى، الحليمى، ابن عيينة، الخطيب البغدادى، سعيد بن المسيب، ابن عبـاس، الطبرانـى، الأصـمعى، أبـو هريرة، أحمد، النسفى، أبو ثور، الزمخشرى، ابن جنى، الجنيد، والقـراء السبعة. ومن الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

(٢) الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى الحنبلى الدمشقى الشهير بابن المبرد (٨٤٠-٩٩٠هـ)، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقى العنـزى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

حتى يسهل استذكاره ثم شرحه بنفسه لمـن شـاء التطويـل والتفصيل. فهو اختصار وشرح، تجميع وتنظير، نقل وعقل، من المتقدمين والمتأخرين. والشرح لفظـاً بلفظـاً، وعبـارة بعبارة من أجل إدخال مادة جديدة. فاللفظ شـماعة لتجميـع المادة الأصولية عليها. ومع ذلك يمتاز بالوضوح والعـرض العقلى الذى يقوم على التعريفات مع كثرة الشواهد النقليـة، من القرآن والحديث والشعر.

وهو تجميع على مذهب الإمام أحمد بين حنبـل ولـيس لمذهبين. وأحكامه هادئة على المـذاهب والآراء المخالفـة. ومع ذلك يظل الجدل قائماً مع الشافعية ثم الحنفية ثم المالكية. ومن الفرق الكلامية يتقدم المعتزلة ثم الجبائية ثم الأشـعرية والقدرية ثم الظاهرية ثم الإمامية وأهـل السـنة والبهشـمية والجهمية والرافضة والسنية والارجاء. ومن الفـرق غيـر الإسلامية اليهود[1]. ثم تأتى المجموعات المهنية أو القوميـة

(١) الشافعية (٥٥)، الحنفية (٤٧)، المعتزلة (١٤)، النحـاة (١٢)، المالكيـة (٩)، المتكلمون، الصحابة (٨)، الفقهـاء (٧)، الجبائيـة (٥)، القدريـة، الأشعرية، الكوفيون (٤)، الأصوليون، البصريون، التابعون، الظاهريـة (٣)، أهل الأهواء، أهل المدينة، الشيعة، بنـو هاشـم، المحـدثون (٢)، الارجاء، الإمامية، أهل السنة، البهشمية، الجهميـة، الرافضـة، السـنية، اليهود (١).

أو الدينية أو القبلية[١]. ومن الأماكن تتقدم البصرة والكوفة، مدينتا العلم[٢].

وفى "شرح مختصر المنار" للسيواسى يتقدم الشافعى بالرغم من أن الشارح حنفى مما يدل على هيمنة الشافعية على مركز الوعى التاريخى. ثم يظهر المصنف أى الشارح نفسه ثم أعلام الحنفية مثل عيسى بن أبان والكرخى وأبو حنيفة نفسه وصاحباه أبو يوسف ومحمد ثم المزنى والدبوسى والسرخسى. ويظهر الأشعرية بعد ذلك، الاسفراييني والأشعرى والغزالى والباقلانى[٣].

ويظهر بعض الأعلام والمصادر من الوافد بالرغم من ندرته مثل أرسطو وأفلاطون وشرح إيساغوجى[٤].

---

(١) القومية مثل: أبناء العجم، بنو حنيفة، بنو بكر، بنو المطلب، ربيعة، قريش، وائل، والمهنية مثل الأطباء، والدينية مثل أصحاب بدر، أهل البيت، أهل بيعة الرضوان، أهل الحديث، المبتدعة (١).

(٢) البصرة، الكوفة (٦)، الجعرانة، عرفة، منى (١).

(٣) الشافعى (١٤)، المصنف (٥)، عيسى بن أبان، الكرخى (٤)، أبو حنيفة، أبو يوسف (٣٩، محمد بن الحسن الشيبانى، سراج الدين الهندى (٢)، الواسى، المزنى، الاسفراييني، العراقى، أبوزيد (الدبوسى)، شمس الأئمة وفخر الإسلام (السرخسى)، الخوارزمى، الأشعرى، الغزالى، الباقلانى، ابن الملك، المسيب، النخعى، سريج، علقمة (١).

(٤) شرح إيساغوجى (٢)، أفلاطون، أرسطو (١).

ومن المصادر تتقدم الحاشية ربما نفس حاشية الشرح أو حاشية أخرى ثم بعض الشـروح الأخـرى، ورسـالة فـى التصوف[1]. ويعترف الشارح بأنه اعتمد فى شـرحه علـى المحقق الفهامة الجلال المحلى لسلاسته وحسن تأليفـه. ولا ضير من إضافة سبب غيبى هو حصول البركة منها[2].

ومن الطوائف والفرق والمذاهب يتقدم المعتزلـة علـى الإطلاق مما يدل على استمرارهم فـى تحـدى الأشـعرية والشافعية، بل وفرقهم مثل معتزلة بغداد. ثم تـأتى الحنفيـة باعتبارها تجسيداً أصولياً للاعتزال[3].

ومن الفرق والمذاهب يتقدم مشايخ العراق ومعظمهم من الأحناف ثم مذهبنا وعلماؤنا أى الحنفية والأحناف ثم مشايخ ما وراء النهر "الماتريدية" وهم أيضـا أحنـاف. ولا يـأتى

---

(١) الحاشية (١٣)، شرح المختصر (١٣)، شرح المهمة، شرح آداب البحث، جمع الجوامع، شرح الروضة، الإرشاد، شرح رسالة الإمام العارف (٨).

(٢) السابق، ص٢.

(٣) المعتزلة (٣٤)، الحنفية (٢٣)، الحنفى (١٥)، الفقهاء (١٢)، الأصوليون (١١)، الشافعى (نسبة إلى المذهب) (٩)، المحققون (٦)، الأشاعرة (٥)، المتكلمون، الحكماء (٤)، المحدثون (٣)، الجمهور، الكوفيـون، الشـيعة (٢)، الصوفية، البصريون، المتأخرون، بنو هاشم، بنو عبـد المطلـب، الظاهرية، النصارى، اليهود، العيسوية، النحويون (١).

الأشاعرة إلا مؤخراً مع الجمهور مما يدل على نجاح الحنفية فى زحزحة الأشعرية داخل الوعى التاريخى الأصولى[1].

تاسعا: الحواشى والتقارير.

١ - الحواشى على الشروح. وتقل الحواشى بكثير عن الشروح والمختصرات. فهى إضافات وزيادات تجميعية. فإذا كان المتن إبداعا فإن الشرح والمختصر وسط بين النقل والإبداع، والحاشية نقل خالص لأنها مجرد تجميع نصوص من مصادر سابقة لتدعيم الشرح بنصوص كما يفعل الدارسون المعاصرون. وللنص المقتبس علامة انتهاء إما بلفظ "انتهى" أو بحرفى "أ هـ" دون علامة بداية. والدارس المعاصر يضعه بين معقوفتين "......"[2]. ويتأرجح المحشى بين الجوهرى أو محمد الجوهرى مع زيادة تدريجية فى

---

(١) مشايخ العراق (العراقيون)، علماؤنا، مذهبنا، المعتزلة، (٢)، البيانيون، مشايخ ما وراء النهر، الأشاعرة، الجمهور (١).

(٢) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول: أهـ (٢٥)، انتهى (٥)، أهـ جوهرى (٢)، أهـ محمد الجوهرى (٢)، أهـ (شيخنا) (١١)، انتهى شيخنا الجوهرى (٦)، أهـ شيخنا محمد الجوهرى (٦)، انتهى شيخنا العلامة محمد الجوهرى (٤)، أهـ شيخنا سيدى محمد الجوهرى (١١)، أهـ من حاشية الشارح على المحلى (١).

التعظيم بإضافة شيخنا أو العلامة أو كليهما. فالحواشى تجميع لا تأليف. وقد تسبق حروف الانتهاء مؤلفين آخرين بالاسم أو بلقب "كاتبه" أو باسم الكتاب[1]. وقد تسبق أول حرفين مـن اسمى المؤلف علامة الانتهاء[2]. وقد تبدو حـروف أخـرى غامضة اختصار لأسماء أو علامات[3].

والعلاقة بين المتن والشرح والحاشـية مثـل العلاقـة العنقودية أو علاقة مستويات الثريا أو طبقات الهرم المدرج. المتن فى القمة والشرح فى الطبقة المتوسطة والحاشية فـى القاعدة[4]. الحاشية على الشرح وليس على المـتن بعـد أن

---

(١) أهـ زكريا (١)، أهـ شارح العلامة شيخ الإسلام المحلى (١١)، انتهـى شارح المحلى (٢٥)، انتهى كاتبه (٤)، أهـ أنساب السيوطى (١).

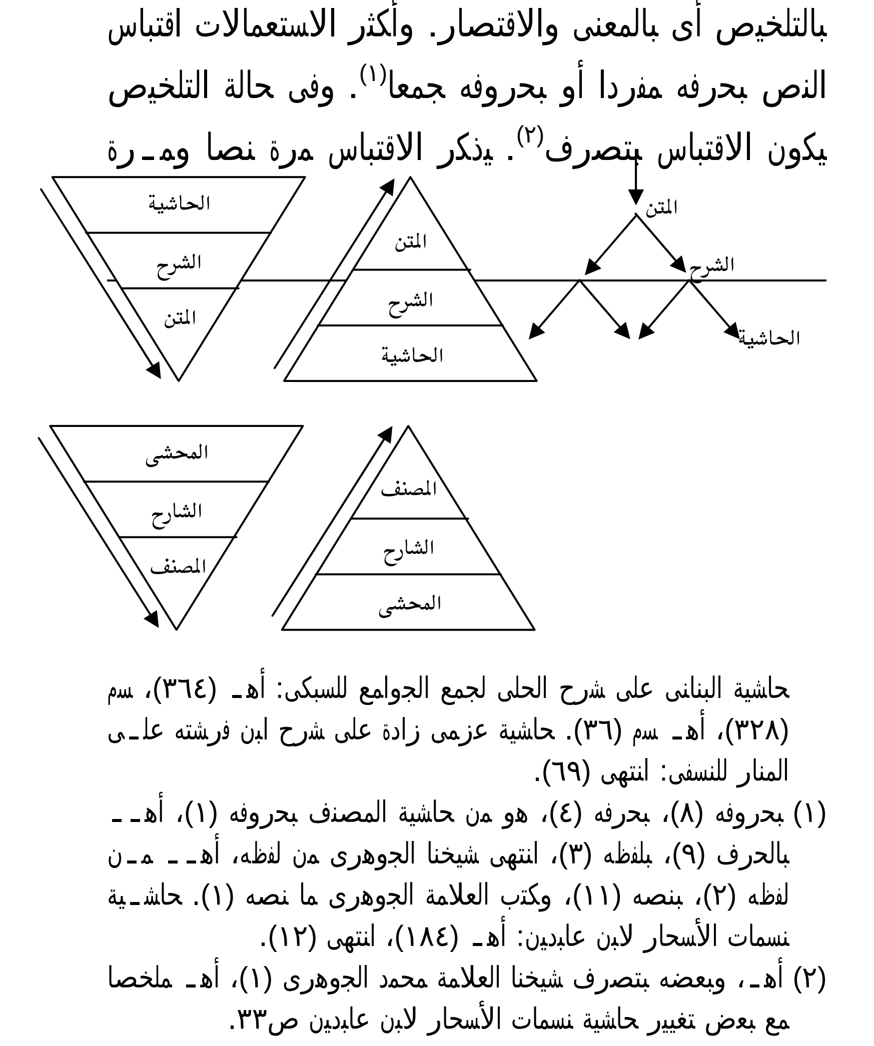
(٢) مثل م (محمد) ج (الجوهرى) هـ (انتهى) حواشى محمد الجوهرى على غاية الوصول شرح لب الأصول، ص١٠٢. حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: أهـ (٨٢)، انتهى (٦).

(٣) مثل أ م ر فى حاشية عزمى زادة ص١١٢. حاشية ابن الحلبـى علـى شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: انتهى (٨). حاشية المطيعى علـى نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: انتهى (٢٢٤).

(٤) العنقود:

بعدت المسافة بين الحاشية والمتن.

وقد يكون الاقتباس باللفظ والحرف والنص. وقد يكـون بالتلخيص أى بالمعنى والاقتصار. وأكثر الاستعمالات اقتباس النص بحرفه مفردا أو بحروفه جمعا[1]. وفى حالة التلخيص يكون الاقتباس بتصرف[2]. يذكر الاقتباس مرة نصا ومـرة



حاشية البنانى على شرح الحلى لجمع الجوامع للسبكى: أهـ (٣٦٤)، سم (٣٢٨)، أهـ سم (٣٦). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته علـى المنار للنسفى: انتهى (٦٩).

(١) بحروفه (٨)، بحرفه (٤)، هو من حاشية المصنف بحروفه (١)، أهـ ـ بالحرف (٩)، بلفظه (٣)، انتهى شيخنا الجوهرى من لفظه، أهـ ـ مـن لفظه (٢)، بنصه (١١)، وكتب العلامة الجوهرى ما نصه (١). حاشـية نسمات الأسحار لابن عابدين: أهـ (١٨٤)، انتهى (١٢).

(٢) أهـ، وبعضه بتصرف شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١)، أهـ ملخصا مع بعض تغيير حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٣٣.

ملخصا[1].

وقد يكون النص المقتبس تلخيصا وليس حرفيا[2]. وفى كلتا الحالتين الحاشية نقل من فلان عن فلان. وفى كلتا الحالتين يتم الفصل بين الشرح والحاشية كما هو الحال فى الشرح، الفصل بين الشرح والمتن. ولا تذكر العبارة كلها بل أولها فقط مسبوقة بلفظ "قوله"[3].

ومع ذلك ازدادت الحاشية كما، وتعددت الأجزاء، وأصبحت أكبر من الشرح كما أن الشرح أكبر من المتن طبقا لقانون التمدد الطبيعى، أضعافا وأضعافا. وضاع المتن القصير وسهولته وتركيزه وسط مجلدات الشرح والحواشى. وكلما زادت الحواشى قل الحجم[4].

---

(١) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ ٣١/١.

(٢) ملخصا (٨)، انتهى من شرح الزركشى ملخصا، أهـ من البحر ملخصا، أهـ ملخصا من حاشية الشارح على المحلى، أهـ من تلخيص شيخنا العلامة محمد الجوهرى، أهـ ملخصا من حاشية الشارح، أهـ ملخصا مما نقله الكمال عن القواعد للشيخ عز الدين.

(٣) وذلك مثل حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: انتهى (١٥).

(٤) الحاشية الأولى للرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى أكبر من الحاشية الثانية لعزمى زادة على نفس الشرح، وهذه أكبر من الحاشية الثالثة أنوار الملك على نفس الشرح والحاشيتين.

والحواشى تعليقات مجمعة من الشروح السابقة، كتبت أثناء المذاكرة والتدريس بناء على طلب أهل العلم والخير[1]. كلها منقول من المصادر السابقة مع إضافات قليلة من المحشى، قليلة فى تغيير بنية الموضوع وإن كانت تعطى كثرة من التفصيلات فى المقارنات بين المذاهب وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينها مع تصحيح لبعض المواقف وبيان فساد البعض الآخر. ويزيد المحشى فى التواضع والمسكنة والحاجة إلى العون من المولى الكريم. فالحاشية أداة وليست غاية، "سلم الأصول" وليست قراءة جديدة أو إعادة بناء للعلم. ويفصل بين الحاشية والشرح. يسبق الحاشية "قال المصنف"،

---

(١) "فهذه تعليقات جمعتها من هوامش شرح المنار لابن فرشته... وقد كتبتها أثناء المذاكرة وتضاعيف الدروس. وكان ذلك بإلحاح جمع ممن وفقه ا تعالى لاستدعاء الخير..."، حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٤. "وشرعت أن أكتب ما يسر ا لنا نقله من كلام المحققين من علماء هذا الفن المتقدمين والمتأخرين وما فتح ا به على عبده المسكين المتوسل إليه بسيد المرسلين. فجاءت وافية إن شاء ا بالمقصود. فهى وإن كانت قليلة المبانى لكنها كثيرة المعانى، تغنى عن كثير من المطولات ويستفيد منها المبتدئ ولا يستغنى عنها المنتهى. وأرجو من ا تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، عائدة على الطلاب بأكبر فائدة وأعظم نفع عميم إنه الجواد المحسن المنعام وسميتها "سلم الوصول لشرح نهاية السول"، حاشية المطيعى على نهاية السول للأسنوى على شرح منهاج الوصول للبيضاوى ص٤.

ويسبق الشرح "قال الأسنوى". وبعد النص المقتبس من الشرح أو المتن يعلن المحشى "وأقول"، "واعلم" أو حروف "أى" أو أسماء إشارة مثل "وذلك"، "وكذا". وقد يذكر المحشى والشارح فى نفس الفقرة[1].

وقد يكون النص إملاء أى بطريق شفاهى أو كتابة بالخط أو جمعا بين الإملاء والكتابة[2]. وقد يضاف الحرف إلى الإملاء للتأكيد على النص الحرفى وليس مجرد تلخيص الإملاء[3]. وقد يجمع الاختصار والخط، وقد يعتمد المحشى

---

(١) السابق ص٦٢. قال الأسنوى (٤٥٣)، "قال المصنف" (٧٥). "الاتفاق والاختلاف بين المذاهب"، جـ ١٢٧/١. "ولا خلاف لأحد من العلماء"، جـ ١٣٢/١. "فلا خلاف فى المعنى الحاضر"، جـ ١٣٢/١. "واتفق الفريقان على فساده"، جـ ١٤١/١. "قد اختلفوا فى أن هذا الخلاف لفظى"، جـ ١٣٧/١. "إنما قاله لاعتبار خاص لا ينافى ما هو الحق كما بيناه من قبل"، جـ ١٣١/١. "لما علمت أن أئمة المذاهب يتفقون على حقيقة الرفض"، جـ ١٢٧/١.

(٢) انتهى من خط شيخنا العلامة (٥)، أهـ من خط شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١)، انتهى وباختصار وبخط شيخنا العلامة الجوهرى (١). أهـ المراد منه وأملاه شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١)، انتهى فى وأملاه شيخنا محمد الجوهرى (٣)، أهـ من أملاه شيخنا محمد الجوهرى (٥)، أهـ من إملاء شيخنا السيد محمد الجوهرى (١).

(٣) أهـ بالحرف وأملاه شيخنا العلامة محمد الجوهرى (١).

على أكثر من نسخة[1].

وتبين الحاشية كما بين الشرح والمتن الـدوافع عليهـا بتقديم فوائد عظيمة وفرائد يتيمة على حاشية، تعظيما للفائدة وإيراد ما قد تكون قد نسيته الذاكرة الجمعية[2].فالبرغم مـن أهمية الشرح وعظمته وإبداعه وتفرده إلا انه اختصـر فـى بعض المواضع ما يحتاج إلى الإيضاح لخفائه عن الأذهـان أى تفصيل المجمل، وبيان المهمل[3]. وفى العصر الحـالى،

---

(١) حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسـفى: "فصـار ساقطا من نسخته" ص٣٠٢، "كذا فى جميع النسخ" ص٣١٤.

(٢) هذه فوائد عظيمة وفرائد يتيمة وضعتها على شـرح المنـار"، حاشـية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٢.

(٣) "فإنه شرح لم تسمع أذن بمثاله ولم تنسج قريحة على منواله. بيـد أنـه جرى فيه على عادته من الالتزام بالاختصار فلم يظهر المراد منه لامتثاله من الطلبة الصغار مع ما أهمله فى بعض المواضع من المتن عن البيـان مما يحتاج إلى الإيضاح لخفائه عن الأذهان فأوضحت فى هذه الحواشـى ما أجمله، وذكرت ما أهمله.."، السابق ص٢. "فهذه حاشية وضعتها على شرح المنار فى أصول الفقه للشيخ الإمام العالم العلامة عبد اللطيف بـن فرشته رحمه ا ، تفتح منه مقفله، وتبين مجمله، وتبرز ما أهمله، مع بيان ما يرد عليه الجواب منه إن أمكن. وقد أتعرض فيهـا لكـلام المصـنف رحمه ا لإيضاح أو غيره..."، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشـته على المنار للنسفى ص٢. "فقد وضعت هذه الحواشـى مرفوعـة عنهـا الغواشى مجاوة عليك ولك فى الديجور والملك... رفعت أعـن وجههـا نقاب الإشكال ليظهر الجمال وسلكت فيها طريقـى التفصـيل والإجمـال

عصر الكتب المدرسية والمقررات الجامعية تدون الحاشـية بهذا الدافع لتوضيح ما أشكل على الطلاب[1]. وتعبر أيضـا عن هموم قصص العمر[2].

ومع ذلك لا يتحقق الهدف المعلن فى البدايـة، وتظـل الحاشية تدور فى المكان "محلك سر" لغياب الهدف والقصد. فتدور الحاشية حول الشرح وتلف حوله مواد لغوية وفقهيـة

بحسب مقتضى الحال مشتملة على فوائد صحيحة نقلتها، وزوائـد مـتن سقيمة قد عقلتها، مكتملة بما فيها من نقول أشهى من النقـول، وواردات ووردت على المنقول"، حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشـته علـى المنار للنسفى ص٣.

(١) "لما قررت رياسة المعاهد الدينية تدريس منهـاج الصـول للبيضـاوى وشرحه الأسنوى بالمعاهد المذكورة طلب منى= =بعض أفاضل أهل العلم أن أكتب على شرح الأسنوى المسمى بنهاية السؤل على منهاج الأصـول للعلامة القاضى البيضاوى تغييرات لطيفة وتحقيقات شريفة توضـح مـا أشكل على الطلاب فى هذا العصر من معانيه، وتشتمل على الجواب عما استشكله على المنهاج ولم يجب عنه فيه مع بيان مـا كـان حقـا مـن الاعتراض بدون ميل عن الحق ولا إعراض وغير ذلك مما تدعوا إليـه حاجة الناظرين لإحقاق الحق وتمييز الصـواب مـن الخطـأ"، حاشـية المطيعى على نهاية السؤل للأسنوى على منهـاج الوصـول للبيضـاوى ص٤.

(٢) "ولولا كان من هجوم الهموم عن فرط همة وعموم وخصوص الغمـوم المظلمة المدلهمة لما آل جهدها فى تحريرها وتصحيحها ولم أطو كشـحا عن تهذيبها وتنقيحها"، السابق ص٣.

وكلامية حتى تكبر الشرنقة ويموت المتن بداخلها بعـد لـف عديد من العبارات حوله من الشرح والحاشية على حد سواء.

وإذا كان الشرح شرحا لكل عبارة ولفظ فـى المـتن أو شرح الشرح فإن الحواشى ليست تعليقات أو جمع مواد على كل شرح بل جمع ما تيسر من علم على ما تيسر من مـتن. فهناك صفحات بأكملها من الشرح بلا حواشى[١].

ونادرا ما تطول الحاشية وتخلو من الشرح. وفى هـذه الحالة تكون دراسة مستقلة، كما أن الشرح دراسة مستقلة إذا طال واستقل عن المتن[٢]. وتكون قطعا طويلة مستقلة بذاتها ودراسة للموضوع دون الاعتماد على "العكاز"، الشـرح أو المتن. ومع ذلك معظم الحواشى قصيرة، قطع صغيرة، نفسها محدود. تربطها جميعا حرف "أى"[٣]. ويفصل بين الحاشـية

---

(١) محمد الجوهرى: حواشى غاية الوصول شرح لب الأصول للأنصـارى ص٣٥/٢٤-٣٩/٣٦-٥٠/٤١-٦٤/٥٥-٧٣/٧١/٦٧-٨٥/٨٢-٩٢/٩٠-٩٨/٩٦-١٠٣/١٠٠-١٣٠/١٢٨-١٣٦/١٣٤-١٤٨/١٤٠-١٥٦/١٥٤/١٥١-١٦٢/١٥٨-١٦٧.

(٢) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين، ص٣٣. حاشية البنانى على شـرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ١/١٣٧/٣١٥. حاشية الرهاوى علـى شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٢٠/٣٣/٢٣٧. حاشية المطيعـى على نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى.

(٣) وذلك مثل حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين. نماذج الحواشى الطويلة

والشرح والمتن. تذكر أول العبارة فقط من الفقـرة ولـيس النص الكامل.

وبالرغم من أن الحاشية لا تعطى مادة علمية فى الغالب إلا أنها تشعر أيضا بالتطويل والإطناب، ويتم تنبيه المحشـى على ذلك[1]. والحاشية أيضا مثل المتن والشرح على وعـى بالطول والقصر وبالخروج عن الموضوع والإطنـاب فيـه والحذر من التطويل[2].

ونظرا لكثرة الاقتباسات يحيل اللاحق منها إلى السـابق تأكيدا على وحدة الحواشى بعبارات مثل "كما سلف"، "كمـا سيأتى" حتى يعم الربط بين الاقتباسات المتراصة، الواحد تلو الآخر. ومع ذلك يتوه القارئ بين الاقتباسات فالعقل لا يقـدر على فهم ما تستدعيه الذاكرة. وتردد نفس اللازمات فى عديد

جـ١/٢٩٨-٣٠٤/٣٤٨-٣٥٣/٣٧٠-٣٧٤/٣٧٦-٣٧٨، جـ٢/٢٣٤-٢٣٦/٢٩٦/٣٠٢/٦١١-٦١٦.

(١) "وإنما أطلنا بذكر هذا البحث"، حاشية نسمات الأسـحار لابـن عابـدين ص٤. "فذكرها معنا استطراد"، ص٣١. "مما يؤدى كتابته إلى التطويـل الممل وأما كلام المختصر فقابل للمذهبين بما سمعته من التقرير"، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٢٨٦.

(٢) حاشية البنانى على شرح الحلـى لجمـع الجوامـع للسـبكى، السـابق جـ١/١١.

من الحواشى[1]. كما يضع المحشى حاشيته وسط أعماله السابقة، متونا أو شروحا أو حواشى[2].

وإذا كان المحشى من نفس المذهب للشارح والشارح من نفس المذهب للمصنف فإن النصوص الثلاثة تكون من مذهب

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: كما سيأتى (١٢)، كما سيأتى بيانه ص١، سيأتى بيان ذلك ص٦٣، وستأتى هذه المسألة ص٥٤، كما يأتى بيانه ص٥١، وفيه كلام يأتى ص٦٤، سيأتى فيه بحث ص٨١، كما سيتبين فى موضعها ص١، كما مر ويأتى ص١. حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى: سيأتى (١٤)، على ما سيجئ (٤)، كما سيذكره (٤)، فسيأتى آخر المسألة (٤)، وسيأتى رد (٤)، على ما سيأتى (٢٠)، كما سيأتى بيانه (٤)، ما سيأتى تحقيقه (٨)، وسيأتى ذلك (٤)، كما تقد ذلك (٨)، كما فى المثال الآتى (٨). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: كما سيأتى ص٤٣٢/٤٢٤/٢٢٨، لما سيأتى ص١٤٩، وسيأتى ذكرها ص١٣٦، وسيأتى فى محله ص٧٧، على ما سيجئ ص٢٠٦، وسيجئ بيانه ص٣٢٧، وسنذكر، الكلام فيما مر ص٢٠٥. حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "فيما سبق" ص٢١٦/١١١، "مبنى على ما سبق" ص١٦٣، "كما سيجئ تفصيله" ص١٦٤، "كما سيأتى" ص١٢١، "فيما سيجئ" ص٦٦، "كما يأتى جوابه" ص٢٦٦. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "على ما يأتى" ص١٥٨، "فيما سيجئ" ص٩٧، "بما سيذكره" ص٦٨، "قال آنفا" ص٤٠٣.

(٢) يحيل المطيعى فى حاشيته على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى إلى متن "القول المفيد فى التوحيد" ص٥٧، وعلى شرحه "البدر الساطع على جمع الجوامع ص١٤١/١١٤/٨٦/٧٨، وحاشيته على شرح خريدة الدردير ص٩٠/٥٧.

واحد، توسيعا لرقعة المذهب ورصدا لتياراته وتفريعاته واختلافاته الداخلية.[1]. وإن كان المحشى من مذهب آخر غير مذهب الشارح وكان الشارح من مذهب غير مذهب المصنف تكون غاية الحاشية فى هذه الحالة جمع المذاهب كلها فى مذهب واحد، وهى سمة الحواشى والشروح المتاخرة أو بلغة العصر الحوار بين المذاهب للتقريب بينها من أجل العودة إلى الأصول الأولى قبل تفريعاتها[2]. وفى هذه الحالة يكثر المدح والإطناب للمصنف ويغيب النقد إلا فى أقل القليل. وفى الشروح المتأخرة يعلن عن مذهب المحشى الحنفى مثلا وطريقته الصوفية كالقادرية[3]. وتظهر بعض مصطلحات أصول الفقه الشيعى فى الحواشى المتأخرة بعد أن تقاربت المذاهب وتوحد علم الأصول ومعظمها مصادر

---

(١) نموذج النوع الأول حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين الحنفى على شرح إفاضة الأنوار على متن أصول المنار لمحمد علاء الدين الحصنى الحنفى على متن النسفى الحنفى، وكذلك حاشية الرهاوى المصرى الحنفى على شرح عبد اللطيف ابن فرشته على المنار للنسفى.

(٢) نموذج النوع الثانى حاشية البنانى المالكى على شرح الجلال المحلى الشافعى.

(٣) حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٣-٤.

وصفات مثل صلوحى"، "وتنجيزى"[١].

وإذا كان الشارح يضع عناوين للشرح تشابه أو تخـالف عناوين المتن وتختلف عنه مـن حيـث ترتيـب الأبـواب والفصول وعددها إلا أن الحاشية لا تغير من بنيـة المـتن شيئا. فقد بعد العهد بينها وبينه على عكـس الشـرح الـذى يتعامل مع المتن تعاملا مباشرا دون توسط نص ثـان. أمـا الحاشية فتتعامل مع المتن بتوسط الشرح ومن ثم لـم تعـد قادرة على تغيير بنية المتن بل تكاد لا تـذكر الحواشـى أى عنوان جانبى يوحى بنية الموضوع اعتمـادا علـى قسـمة الشارح، اعتمادا على قسمة المصنف[٢].

ومع ذلك قد لا تخلو الحواشى من علم دقيق ونظـرات جزئية فاحصة فى موضوع المتن والشرح مثل التمييز بـين العهد الذهنى للنحاة والخارجى العلمى للبيانيين[٣]. فالمحشـى

---

(١) حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصـول للبيضاوى ص٢٧٨/٥٤-٢٨٨/٢٧٩ /٣٠٤ ٣٢٦/٣٠٤.

(٢) حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسـفى: القسـمة ص٥٠.

(٣) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسـبكى جـ ١/٢٢٨. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهاج الوصـول للبيضاوى ص٨٦.

مؤلف أيضا إذا ما تخلى عن جسم الشرنقة وعاد إلى بؤرتها والتجربة الحية فيها. كما لا تخلو من مراجعة وتحقـق مـن الروايات.

كما يتوجه المحشى للقارئ بلفظ "اعلـم"[1]. ويسـتعمل الأسلوب الشخصى فى ضمير المتكلم المفرد عن الشخص أو الجمع عن أصحاب المذهب[2]. وتنتهى كثير من الحواشـى بألفاظ "فليتأمل"، "تدبر"، "فلتراجع" من أجل إشراك القارئ مع المحشى فى العمل. وأيضا "انظر" كما هو الحال فى الهوامش الحديثة[3].

وتظهر بعض العبارات الإيمانية بين الحين والآخر مثل

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: "اعلم" (٦).

(٢) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى (١٦). حاشـية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: اعلـم (١٢)، فتأمـل (٩). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته علـى المنـار للنسـفى: "فليتأمل"= =(١٥). حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنـار للنسفى: "فأنت تعلم" ص٢٧، "إعلم أن" ص٤٢٣/١٣٩، "فافهم" ص١٣٥، "فتأمل" ص٢٦٩/٢٨.

(٣) حواشى محمد الجوهرى على غايـة الوصـول شـرح لـب الأصـول للأنصارى ص٤٨. وأيضا حاشية البنانى على شـرح المحلـى لجمـع الجوامع للسبكى.

"وا أعلم"[1]. وتقرن الإيمانيات بالسـجعيات، والابتهـالات بعديد من المحسنات البديعية، وهى سمة الحواشى والشروح بل والمتون المتأخرة[2]. ويتم أيضا تعظيم العلمـاء وتبجيـل المشايخ ومدح الشارح وهى احدى درجات التأليه كما تظهر أيضا الدعوة إلى السلطان.

٢- مادة الحاشية. ولا تختلف مادة الحاشية عن مـادة الشرح عن مادة المتن، إذ تتكرر المادة بنفس الأمثلة. الزيادة فى الكم وليس فى الكيف.

وتغلـب علـى الحواشـى مـادة اللغـة العربيـة فهـى المـادة الثابتـة الصـماء والتواصـل التـاريخى فـى الـوعى الثقـافى العربـى[3]. وتتضـمن إعـراب

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين: "إن شاء ا تعـالى" (١٠)، "وا تعالى أعلم" (٤).

(٢) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٢. حاشية البنانى علـى شـرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى: "ا أعلم" (٨)، الـدعوة إلـى السـلطان جـ١٦٤/١. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسـفى: "وا أعلم" (١٥)، "إن شاء ا " (٩)، "اللهم" (٣). حاشـية عزمـى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "إن شاء ا تعالى"، "ا تعالى أعلم" (٦). حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: "ا أعلم" جـ٣٥/١.

(٣) وذلك مثل حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى.

اللفظ وضبطه[1].

كما تعتمد الحاشية على التمييز بين الظاهر والمؤول فى المتن[2]. وتعتمد على باقى مباحث الألفاظ أو المبادئ اللغوية العامة مثل تقسيم معانى الألفاظ إلى اشـتقاقية واصـطلاحية وعرفية، وبيان أهمية المعنـى العرفـى لربطـه بـالواقع، بالمجتمع والتاريخ[3].

وبالرغم من أن الحاشية مجرد تعليـق علـى الشـرح وتعتمد على مسار فكره إلا أنها بين الحين والآخـر تصـف

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابـن عابـدين ص٦/٨/١٢/٣٢/٣٧/٥٩/٦٩، التوكيد اللفظى ص٥٩.

(٢) السابق ص٤٣.

(٣) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٢. حاشية الرهاوى على شـرح ابن فرشته على المنار للنسفى: اللغة (١٨)، الإعراب (١٢)، الاشـتقاق، الاشتراك اللفظى، الحقيقة اللغوية (٦). حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "ولعله اصطلاح من عنده أراد بـه المعنـى اللغوى" ص١٦٥، المغايرة اللغوية والمغايرة= =الاصـطلاحية ص١٣٦، المعنـى اللغـوى المطلـق ص١٤١، اللغـة ص٢٤/٥٢، الإعـراب ص٨٧/٢٣٤/٣١٩. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الإعراب (١٢)، اللغة (٦)، الحقيقة الاصطلاحية (١٠)، المشترك اللفظى ص١٢٠، الألفاظ ص١٣٨. حاشية المطيعى على شـرح نهايـة السؤل للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: اللفظ جـ١/٥٠، عبـث لفظى جـ١/٨٩، الخلاف لفظى جـ١/١٤٠.

مسار فكر الشارح كما يصف الشارح مسار فكر المصنف، ويستخلص النتائج من المقدمات[1]. كما تستعمل الحاشية القسمة والاستقراء كما ترد على الاعتراضات أسوة بالشرح.

وقد تغلب على الحواشى المواد الكلامية إرجاعا لعلم أصول الدين إلى أصله فى علم أصول الفقه، ورد الشريعة إلى العقيدة، والعالم الإنسانى إلى العالم الإلهى، وتأسيس العمل إلى تأسيس النظر. ومن ثم غابت غابت المصالح العامة كما غاب واقع الأمة وانحسر الاجتهاد بالرغم من وجود الاجتهاد فى اللغة عند البغداديين[2]. ومع ذلك فإن الاعتقادات الشعبية العامة غير اعتقادات المتكلمين[3]. وتكثر المواد الكلامية نظرا لسيطرته مع الفقه على باقى العلوم[4].

---

(١) "وهذا مبنى على ماتقدم"، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٣٣. حاشية بن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: القسمة ص٥٠، الاستقراء ص١٢٩. "فتفسير معترض من قبل المعترض" ص١٥٣. حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: مسار الفكر جـ ٣٠٥/١.

(٢) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى ص٩-١٠، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٣٣.

(٣) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ ١٥١/١، حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الكلام (١٨).

(٤) وذلك مثل حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى:

وكان يمكن تطوير "الكلام النفسى" بحيث يـدرس الـوحى على مستوى التجربة الشعورية[1].

وقد تغلب على الحواشى المادة الفقهية، هـذا التـاريخ الممتد عبر العصور والذى يتضمن دائما النـوازل القديمـة والجديدة والأحكام الشرعية بعد أن توقـف علـم الأصـول باعتباره علما استدلاليا[2]. بل وتظهر بعض المسائل الفقهيـة الدالة مثل الصلاة فى الغصوب، ويمر عليها المحشـى مـر الكرام كما مر الشارح والمختصر وصاحب المـتن الأول[3]. وتسمى أيضا الوضوء بالماء المغصوب، والعـيش بالمـال المغصوب، وإطعام الشاة المغصوبة وهل يسـتمر الضـمان عليه؟ كما تعرض بعض المسائل التى تجاوزها العصر مثل

علم الكلام ص٢٤٠/٢٥، علم الأصول ص٢٣/١٢. حاشية ابن الحلبـى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الفقـه (١٦)، الأصـول (٦). حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصـول للبيضاوى جـ ٥٧/١.

(١) حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصـول للبيضاوى جـ ٢٩٨/١-٣١٥.

(٢) حاشية الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى ص١٥.

(٣) السابق ص٣٠، حاشية نسمات الأسحار لابن عابـدين ص٤٩. حاشـية البنـانى علـى شـرح المحلـى لجمـع الجوامـع للسـبكى جـ ١/١٧٠/٢٠٠/٢٠٢/٢٠٤/٣٩٥.

"من قتل قتيلا فله سلبه". فالحياة أهم من المتاع. وهناك موضوعات أخرى ولى عصرها مثل موضوع العبيد. وكذلك حق الفقراء فى أموال الأغنياء ولم يتم التوقف عليه فى مجتمع به أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء[1]. وكان يمكن تطوير بعض الموضوعات العصرية مثل حقوق الإنسان بناء على بعض المرويات مثل "الآدمى بنيان الرب، لعن الله من هدم بنيانه". كان يمكن تطوير بعض المسائل القديمة مثل الذاتيات فى مقابل العرضيات وتحويلها من مستوى الطبيعة إلى مستوى الذات الإنسانية نظرا لتفسير العصر باكتشاف الذاتية الترنسندنتالية عند إقبال وفى الفلسفة الغربية[2].

---

(١) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين جـ ٢٠٤/٢٠٢/١٧/١. حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: المال المسروق ص٩٤. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الملك المغصوب ص٢٨١، العبيد ص٤٨٥. حاشية المطيعى على شرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: الفقه جـ ١٢٢/١. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى ص٢٢٠/٢٦٠/٢٦٤/٢٦٦/٢٨٠-٢٨١.

(٢) حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع للسبكى جـ ٨٦/١. حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الفقه (٦)، العلوم كلها ص٢٣. حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الفقه ص٢٥/١٠١/٢٠١/٢٢٠/٢٨٣.

وتتحول الحواشى إلى علم نظرى خالص فى حين أن علم الأصول بين النظر والعمل، يمهد للعمل بإعطاء الأسس النظرية للسلوك. يتحول علم الأصول إلى بحوث نظرية خالصة لا شأن لها بالواقع العملى. ومادام الفقه لم يتجدد فأصول الفقه لم تتجدد. فأصول الفقه يقوم على استقراء الجزئيات للوصول إلى الكليات. غاب عن الحاشية التوجيه والهدف، تطوير القديم أو البحث عن الجديد. والغريب أن يأتى ذلك من كل المذاهب حتى من المالكية التى تقول بالمصالح العامة وأن ما رآه المسلمون حسن فهو حسن. وتظهر بعض الموضوعات الغيبية التى لا فائدة منها فى علم الأصول الذى يتعامل مع سلوك الناس ووجود الإنسان فى العالم.

وقد تبدأ الحاشية بسيرة ذاتية، والحديث عن أولاد الشارح محب الدين وجمال الدين. وقد مات الأول شهيدا بالغرق وكف بصر الوالد حزنا عليه كما حدث ليعقوب عندما علم بأكل الذئب ليوسف. ولم يعقب. والثانى هو الذى أعقب[1]. كما تضم الحواشى سيرة الأسر العلمية من الجد

---

(١) حواشى الجوهرى لغاية الأصول شرح لب الأصول للأنصارى ص٢.

إلى الابن إلى الحفيد إلى السبط[1].

ويقوم المحقق والناشر بتعليق على الشرح قد يتجاوز كما النص المشروح والنص الشارح على السواء. فعقلية الشرح مازالت سائدة عند المشايخ والأساتذة، وتعليق العلم على مشجب القدماء مازال هو أسلوب التأليف دون البحث عن نقطة بداية جذرية جديدة[2]. فإذا كان النص مبدعا، والشرح مبدعا فى إطار الإبداع الأول فإن تعليق الناشر الحديث مجرد مادة صماء أقرب إلى مواد شبكات المعلومات والكتب المنقولة. وهو تبرير لما قاله القدماء طبقا لعادة العصر وأساليبه فى التأليف، التعليقات الهامشية لمزيد من المعلومات وتخريجها من بطون النصوص القديمة. ولا يتضمن التعليق الهامشى الحديث أى موقف نقد أو تطوير أو تجاوز مما يدل على مستوى الدراسات الحديثة التى انتشرت فى الجامعات من أجل الكتب المقررة أو الرسائل الجامعية أو التعامل مع الناشرين من أجل إعادة نشر النصوص القديمة

(١) السابق ص٦، حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٦.

(٢) جـ ١ (٥٧)، جـ ٢ (١٠٣)، جـ ٥ (٨٢)، جـ ٦ (١١٥). نفائس الأصول فى شرح المحصول: جـ (٢٨)، جـ ٣ (٥٥)، جـ ٤ (٦)، جـ ٥ (٥٦)، جـ ٦ (٢٠).

غير المحققة تحقيقا علميا كما هـو الحـال فـى الطبعـات الأزهرية القديمة أو النافذة، والصمت حول حقوق الناشـرين الأوائل لصالح الناشرين المحدثين. ومـع ذلـك تفيـد هـذه الشروح فى التعريـف بـالأعلام والمـذاهب وبالمقارنـات وبإعطاء الخلفية التاريخية للموضوع كما تفعل الحاشية ممـا يعوض عن نقص الفهارس العامة للأسماء والفرق والمذاهب والأماكن والآيات والأحاديث والأقوال المأثورة[1].

وتفيد تعليقات الناشر الحديث حتى ولو كانت طويلة عن طريق التعريف بالأعلام وبتحديد معنى بعض الألفاظ القديمة وإضافة مادة زائدة ومصادر مساندة وربما وضـع عنـاوين جانبية للنص بالرغم من قصره وخطورة الخلط بينها وبـين عناوين المؤلف إن لم تكن موضوعة بين معقوفتين[2]. وهى نهاية الحواشى بعد إنزالها فى الهوامش التى تضم اخـتلاف

---

(١) وذلك مثل "نفائس الصول فى شرح المحصول للقرافى" (تسعة اجـزاء). جـ٦/٢١٠٧-٢٥١٢/٢٥٦٤-٢٥٦٧/ ٢٨١٥-٢٨٢١، جـ ـ٧/٣٢٠٩-٣٢١٢. وتخريج الأعلام جيد فى "الإبهاج فى شرح المنهاج" للسبكى.

(٢) العلامة الحسين بن أحمد بن محمد الكيلانى الشافعى المكـى المعـروف بابن قاوان (رحمه ا) المتوفى سنة ٨٨٩هـ، تحقيق ودراسة د. الشريف سعد بن عبد ا بن حسـين، دار النفـائس للنشـر والتوزيـع، الأردن ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

النسخ والإحالة إلى المصادر والمراجع والقواميس والتعريف بالأعلام مع زيادة الأدلة النقلية ورصد التشابه والاختلاف بين المذاهب وتعيينها وزيادة معلومات مع بعض المقارنات والمراجعة المحدودة[1].

وعادة ما تكون الحواشى بلا موقف أو حكم أو جدال، تصويبا أو تخطئة لأنها مجرد جمع وتعليق للمعلومات على الشرح. ومع ذلك قد يصحح الناسخ[2]. وإذا كان هناك حكم فلتبرير الشرح وتصويبه[3]. وأحيانا تصدر أحكام بالصحة أو بالإيهام أو أن "الشارح زاد فى الطنبور نطحة" أى تطرف فى الحكم. وتقوم الحاشية أحيانا بنقد على استحياء وتصحيح للمفاهيم والمواقف عن طريق الاقتباسات وضرب بعضها بالبعض الآخر "قص ولزق" ذكى وموجه[4]. والغالب هو

---

(١) وذلك مثل هوامش شرح غاية السول إلى علم الأصول لابن المبرد، دراسة وتحقيق أحمد بن طرقى العنزى.

(٢) "من غلط الناسخ"، حواشى غاية الوصول شرح لب الأصول للأنصارى ص٨٤.

(٣) السابق ص١٥.

(٤) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين "وأئمتنا صححوه" ص٤٣، "والصحيح" ص٣٧/٢٥/٢٢، "فليكن هذا هو المعتمد" ص٤٤، "والمختار عندنا" ص٥٤/٤٩، "والشارح زاد فى الطنبور نطحة" ص٣٤، الإيهام ص٣٥.

الاختيار دون التصويب فى صيغة "المختار أن"[1]. وأحيانـا يقوم المحشى بدور القاضى فى الحكم بـين المتخاصـمين. المصنف والشارح أو بين مصنفين أو بين شارحين أو بـين محشيين[2].

وتقل الأدلة النقلية. ففى الشرح ما فيه الكفاية[3]. والشعر أكثر من القرآن، والقرآن أكثر من الحديث. فالشعر والقرآن مخزون العرب الأول، ما قبل الإسلام وما بعده. وقد تكثـر

---

(١) حاشية البنانى على شرح المحلى للسـبكى جـ ١٠٤/١، والمختـار أن جـ ٢٠٥/١، النقد جـ ٣٢٥/١. "هذا كلام وارد ظاهر حسـن"، حاشـية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: المـذهب الصـحيح ص١٧، فيرتفع الخلاف وفيه نظر ص٧٢، والمختار ص٣٠٩. حاشـية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسـفى: "حالـة الخطـأ" ص١٨، "والأصوب أن يقال" ص١١١. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: "ما يندفع به الإيهام اندفاعا" ص٢٥٥، "بمعنى صيرورته منكسرا خطـأ" ص١٣١، "فالصـواب أن يقـال.." ص١٣٢، "التخيير هو الصواب" ص٤٦٣، "خطأ ذلك الظن فى كلام طويل له هناك" ص٢١٩. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على منهـاج الوصول للبيضاوى: "باطلة بلا طائل" جـ ١٠٩/١، "فالصواب ذكره فـى جميع المواضع" جـ ٨١/١، "فالصواب قدمناه"، جـ ٩٢/١.

(٢) حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين ص٤٣.

(٣) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصـارى: الآيـات (١٠)، الشعر (١٣). حاشية نسمات الأسـحار لابـن عابـدين: الآيـات (٧١)، الأحاديث (٢٠)، الأشعار (٦).

الأدلة النقلية فالقرآن مادة الأصول الأولى، وتتم العودة إلـى النص الخام. لذلك يكثـر الـرواة والمحـدثون والصـحابة والتابعون. ويقل التنظير والعرض العقلى. وتتعدد الروايـات للحديث الواحد وتذكر بالتفصيل أوجه الاختلاف فـى سـند الحديث[1]. وتقل الروايات وأسماء المحـدثين فالحاشـية لا تتحمل ذلك كما يتحمله الشرح[2].

وقد تغيب الأشعار لأن الحاشية ابتعدت عـن التجـارب الأصولية وأصبحت تتعامل معها من خلال الشـرح ولـيس المتن إلا فى أقل القليل. فهى تتعامل مع نصوص وليس مـع وقائع.

وتقل الأدلة العقلية لأنه لا يوجد استدلال أو منطـق أو

---

(١) السابق ص٢. حاشية البنانى على شرح المحلى علـى جمـع الجوامـع للسبكى: الآيات (٩٨)، الأحاديث (٤٠)، الأشعار (٣٨). حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الآيات (٦٣)، الحـديث (٤٨)، ولا توجد أشعار.

(٢) وذلك مثل حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الآيات (٧٢)، الأحاديث (١٢)، ولا توجد أشعار. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: الآيـات (٧٤)، الأحاديـث (٦)،= =ولا توجد أشعار. حاشية المطيعى على شرح نهاية السؤل للأسنوى على شرح منهاج الوصول للبيضاوى: الآيات (١١٢)، الأحاديـث (١٤)، ولا توجد أشعار.

مقدمات أو نتائج بل مجرد تجميع عشوائى لمـواد متـوفرة كنوع من التأليف الخالى من الهدف. دون التمييز بين العلـم وهو المتن، والمعلومات وهى الحواشى. ومع ذلك قد تكشف الحاشية وقوع الشارح أو المصنف فى الدور.

ويختفى أسلوب القيل والقال الذى يغلـب علـى المـتن والشرح. فالحاشية لا تستدل ولا تحـاجج ولا تعتـرض ولا تجيب بل تجمع مادة زائدة على مادة الشرح والمتن دون أن تغير الاتجاه أو تناصر مذهبا على مذهب آخر[1]. ولا توجد اعتراضات وردود، أسئلة وأجوبة إلا فـى أقـل الحـدود. فالحاشية لا تتعرض للموضوع أو للمعنى بل هى أقرب إلى تحليل الألفاظ. ولا يتم الانتقال إلى المعنى أو إلى الشىء إلا من خلال اللفظ[2].

---

(١) وذلك مثل حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى.

(٢) وذلك أيضا مثل حاشية البنانى على شرح المحلى على جمـع الجوامـع للسبكى جـ١٠٢/١٩/١٠/١، لزوم الدور جـ١٢٧/١. حاشية الرهـاوى على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: القيـل والقـال (٩). حاشـية عزمى زادة على شرح ابن فرشته على المنار للنسفى: السؤال والجـواب ص٢٧٠/١٤٣. حاشية ابن الحلبى على شرح ابن فرشته علـى المنـار للنسفى: السؤال والجواب ص١٥٨. حاشية المطيعى على شـرح نهايـة السول للأسنوى على منهـاج الوصـول للبيضـاوى: "وحاصـل هـذا الاعتراض" جـ١٩/١، الاعتـراض الثـانى جـ١/٦٥، "فـلا وجـه

ويظهر أحيانا فى الحاشية العد والإحصاء كما يظهر فى الشرح وإن كان بصورة أقل لأن الشرح لا يبنى بل يفكك[1].

٣- الوعى التاريخى فى الحواشـى: وتكثـر أسـماء الأعلام فى "الحواشى" لأنها أحد مصادر تجميع المادة. ففـى حاشية الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصارى يتقـدم البدر الزركشى صاحب "البحر المحيط" الذى قام هو نفسـه بالتجميع قبل ذلك. فهى مادة مجمعة جـاهزة. ثـم الشـارح صاحب الشرح، والمصنف صاحب المـتن، وهـو شـخص واحد، الأنصارى. ثم يأتى العلامة المحلى وصاحب الحاشية. ثم يتقدم أئمة الشافعية والأشعرية ابتداء من الشافعى، وإمـام الحـرمين، والسـعد التفتـازانى، والـرازى، والسـبكى، والماوردى، والايجى، وابن السبكى، والغزالى، والبيضاوى. ويظهر أبو حنيفة وحيدا مع صاحب المغنى. كما يندر ظهور

للاعتراض ولا للتصويب" جـ ٩٢/١، "اعتراضا وجوابـا" حـ ـ ١٠٧/١، "اعترض السيد" جـ ١٠٩/١، "أقول هو اعتراض وجيـه" جـ ـ ١١٨/١، "والجواب عن ذلك" جـ ٨٧/٢١/١.

(١) حاشية الرهاوى على شرح ابن فرشـته علـى المنـار للنسـفى: العـد والإحصاء ص١٣٦، الاستقراء ص٥٩/٣١. حاشية المطيعى على شـرح نهاية السول للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى: العد والإحصـاء جـ ٢٢/١، القسمة جـ ١٢٦/١.

المالكية والحنبلية[1].

وفى "حاشية نسمات الأسحار" لابن عابدين الحنفى يتقدم بطبيعة الحال ابن نجيم الحنفى، صاحب "الأشباه والنظـائر"، ثم الشارح محمد علاء الدين الحصينى، مفتى دمشق الحنفـى ثم المصنف وهو النسفى الحنفى صاحب "المنار". ثم يظهـر الشافعى باعتباره بؤرة الوعى التاريخى، ولكن سرعان ما يتم حصاره بأبى حنيفة والأحناف مثل: الشيبانى، شمس الأئمـة، السراج الهندى، أبو يوسف، السرخسى، الجصـاص، ابـن الهمام، الدبوسى، ابن أمير الحاج، صاحب المنار. ثم تتراءى الأشعرية الشافعية مثل: الـرازى، الأشـعرى، التفتـازانى، الجرجانى، الغزالى، الآمـدى، الجـوينى، ابـن السـبكى. ويصارع المعتزلة مع الأحناف مثل القاضى عبـد الجبـار.

(١) البدر الزركشى (١٥)، الشارح، المصنف (١٤)، العلامة المحلى محمـد الجوهرى، الشافعى (٨)، إمام الحرمين (٧)، السعد التفتـازانى، الإمـام (الرازى) (٥)، أبو حنيفة، السبكى (٤)، السيد، البرمـاوى، المـاوردى، العضد (الايجى)، ابـن السـبكى، الغزالـى (٣)، الكمـال، المنـوفى، الدنوشيرى، ابن الساعاتى، القرافى، البيضاوى، ابن جنى، المناوى، ابـن هشام (٢). الزمخشرى، السهيلى، الطبلاوى، الزنجانى، الباجى، القاضى، الأبهرى، الآمدى، الكمال، ابن مكى، المحقق الـدوانى، العراقـى، ابـن السمعانى، الدمامينى، القرطبى، البخارى، الشهاب، ابن الحاجـب، ابـن مالك، الشيخ تقى الدين،الزنجانى (١).

ويدخل المالكية أيضاً مثل: مالك، ابـن الحاجـب. ويسـاعد النحاة مثل: سيبويه، المبرد، الزجاج[1]. ويتم تعظيم الـبعض مثل: السيد الشريف وحواشـيه "قـدس ا سـره". وتكثـر عبارات المدح والتعظيم للمشايخ والأعلام والأئمة وفى نفس الوقت صفات التواضع للمحشى والشارح والمصـنف فـى وصفه بأنه "أصغر المبتدين"[2]. والنسفى صاحب المتن هـو

---

(١) ابن نجيم (١٥٨)، الشارح (٩٢)، المصنف (٨٢)، الشافعى (٦٢)، فخـر الإسلام (٤٤)، ابن ملـك (١٨)، الكرخـى (١٦)، أبـو حنيفـة (١٤)، الشيبانى، صدر الشريعة (١٨)، شـمس الأئمـة (١٢)، الغـزى (١٠)، السراج الهندى، أبو يوسف، السرخسى، الجصـاص، ابـن الهمـام (٨)، الرازى، أبو زيد، الإمام، صاحب الهداية، الأشعرى (٦)، الزمخشـرى، التفتازانى، الفنارى، الجرجانى، زفر، صاحب المنار، الشيخ النافى، جمال الدين بن هشام، ابن السبكى، زهير، الجوهرى، الباقلانى، ابن أمير الحاج (٤)، ابن عابدين، أحمد بن حنبل، الخطيب، ابن القيم، الكونى، الكسـائى، يونس، الجرجانى، سيبويه، ابن مالك، أحمد المنينى، الكاكى، أبو الليـث، الغزالى، مالك، المحلى، الكعبى، الوالـولجى، المبـرد، ابـن الحاجـب، الزجاج، ابن ماجه، الدمامينى، البهشى، الشيخ أكمـل الـدين، القاضـى عبدالجبار، أبو اليسر، الشهاب المنينى، الآمدى، إمام الحـرمين، الشـيخ قاسم، المرتضى، الماتريدى، الزيعرى، السهيلى، الزيلعى، شيخنا، شـيخ مشايخنا، صاحب البديع (٢). وعشرات آخرون ذكر كـل مـنهم مـرة واحدة.

(٢) "فيقول أصغر المبتدين محمد أمين ابن عم المدعو بابن عابدين غفـر ا ذنوبه، وملأ من زلالا العفو ذنوبه"، السابق ص٢/٣٣.

عمدة المتأخرين. وهو أيضاً الشارح لـه، والإمـام الأوحـد والهمام المفرد[1].

وفى "حاشية البنانى على شرح المحلـى علـى جمـع الجوامع" للسبكى يتقدم الشارح ثم المصنف. فالحاشية علـى صلة مباشر بالشرح، وعلى صلة متوسطة بالمتن، ثم العلامة ثم شيخ الإسلام ثم العلامة الناصر، مما يدل على تدرج فـى التعظيم والتبجيل للأعلام. ثم تظهر المالكية ممثلة فـى ابـن الحاجب قبل الإمام الرازى مـن أجـل زحزحـة الشـافعية الأشعرية من بؤرة الوعى التاريخى. ثم يتوالى الأشـاعرة، الغزالى والجوينى والشافعى والايجى والآمدى والتفتـازانى والأصفهانى والزركشى والشيرازى والرازى مقابل الأحناف بداية بأبى حنيفة والمالكية بداية بمالـك والمعتزلـة مثـل: الزمخشرى، والنحاة مثل: سيبويه[2].

---

(١) السابق، ص٢.

(٢) الشارح (٥٦٠)، المصـنف (٣٨٨)، العلامـة (٣٣٠)، شـيخ الإسـلام (١٩٤)، العلامة الناصر (١٠٨)، ابن الحاجب (٦٤)، الإمام (٥٦)، شيخنا (٤٤)، أهـ سم (٣٦)، الأخفش، الكمال (٢٨)، الشـيخ (٢٤)، القاضـى زكريا، الغزالى، السيد (رحمه ا) (٢٠)، سيبويه، الشـافعى، الايجـى، الآمدى، ابن مالك، التفتازانى، إمام الحـرمين (١٦)، مالـك، القاضـى، الأصفهانى، أبو حنيفة، الزركشى (١٢)، الزمخشرى، التفتازانى (ناصـر

وفى "حاشية الرهاوى على شرح المنار" يتقدم الشـارح على الشافعى بالرغم من أن المتن حنفى والشرح حنفى ممـا يدل على زحزحة الشافعية من بؤرة الوعى التـاريخى. ثـم يستمر الأحناف فى أخذ مكانهم والإحلال محلهم ابتداء مـن الشارح عبد اللطيف بن فرشته ثم فخر الإسلام ثم المصـنف نفسه، النسفى، ثم أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف والشيبانى ثم السرخسى ثم زفر وباقى الأحناف مثل الكرخـى والمزنـى وابن الهمام والجصاص والبزدوى والماتريدى والدبوسى. ثم يساعد الحنابلة مثل أحمد. ويعضد هذا الإحلال المالكية مثـل مالك وابن الحاجب والباجى. ويسانده المعتزلة مثل القاضـى عبد الجبار والجبائى والحسن البصرى. ومن اللغويين يظهر الفراء والسيرافى ثم يظهر الأشاعرة مثل الرازى والتفتازانى وأبو اسحق الشيرازى وعبد القـاهر البغـدادى والأشـعرى نفسه[1].

الدين)، العلامة الشهاب، البرماوى، العراقى، صاحب المواقف (٨)، سعد الدين، أرباب الحواشى، الجوهرى، ابن هشام، أبو اسحق الشيرازى، ابن القاسم الدلك،المزنى، الإمام الرضى، القاضى أبو بكر، النووى، صـاحب الألفية، البيضاوى، الأشعرى، الرازى، السهروردى، السـيد الصـفوى، الرافعى، النووى، الجوهرى.

(١) الشارح (١٢٣)، الشافعى (١٠٨)، فخر الإسلام (٥٤)، المصـنف (٥١)،

وفى "حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته" للمنار النسفى يتقدم الشارح بطبيعة الحالة فهو صاحب الشرح الذى تتم عليه الحاشية مباشرة، ثم المصنف صاحب المتن الذى يتم التعامل معه من خلال الشرح. ثـم يتـوالى أئمـة الحنفيـة لزحزحة الشافعية الأشعرية من بؤرة الوعى التاريخى مثـل فخر الإسلام وصاحب الكشف. ثم يظهـر الشـافعى يتلـوه بسرعة فقهاء الأحناف لحصاره مثل: القاآنى، وأبـو حنيفـة نفسه، وشمس الأئمة، وسراج الـدين الهنـدى، وصـاحب التوضيح، وأكمل الدين، وابن الهمام، وصاحب التحقيق، وأبو

أبو حنيفة، أبو يوسـف (٤٥)،= =السرخسـى (٣٩)، الشـيبانى (٣٣)، صاحب الكشاف (٢٤)، مالك، شيخ الإسـلام (ابـن حجـر)، الجبـائى، القاضى،زفر، الرازى (٢١)، ابن الحاجب، ابن حنبـل (١٨)، الكرخـى (١٢)، السمرقندى، أبو اليسر (٩)، الإمام، الشيخ، المزنى، ابن الهمـام، البزدوى، الجصاص، صاحب الكشف، صاحب الميزان، صاحب الهدايـة (٦)، التفتازانى، أبو اسحق، ابن عطية، الكاكى، ابن أبى يعلى، الرافعى، أبو الدرداء، الزيلعى، الحسن البصرى، الكعبى، النسـفى، عبـد القـاهر البغدادى، الفراء، السيرافى، الغزالى، الماتريدى، صدر الإسلام، القاضى عبد الجبار، الزجاجى، قاضيخان، الباجى، الدبوسى، الاتقانى، البـزدوى، النسفى، الأشعرى (٣). وآخرون كل منهم مرة ومرتين مثـل: صـاحب البدائع، صاحب الميزان، شيخنا، الشيخ الإمام، الماتريدى، صدر الإسلام، البزازى، القاآنى، شارح الهداية، أكمل الدين، صاحب التحقيق، صـاحب المحيط، صاحب التقويم، صاحب اللواء، شارح الفئة، ابن مالك.

اليسر، وصاحب التلويح. ثم يظهـر صـاحب أبـى حنيفـة الشيبانى وأبو يوسف. ثم يتلوهما صاحب الهداية وابن كمال باشا والاخسـيكى قبـل أن يظهـر البـاقلانى والتفتـازانى والأشعرى نفسه والبيضاوى. ثم يتوالى فقهاء الأحناف مـن جديد مثل الجصاص والكرخى وأبو زيد وصـاحب كشـف الأسرار، يؤيدهم بعض علماء الاعتزال مثـل: الزمخشـرى وأبو هاشم الجبائى، وبعض المالكية مثل: مالـك نفسـه. ولا يظهر الغزالى والرازى إلا متأخرين(١).

وفى حاشية "أنوار الملك" لابن الحلبى على شرح ابـن

---

(١) الشارح (٢١٠)، المصنف (١٣٥)، فخـر الإسـلام (البـزدوى) (٨٤)، صاحب الكشف (٧٥)، الشافعى (٦٩)، القاآنى (٤٥)، أبو حنيفـة (٣٦)، سراج الدين الهندى، شمس الأئمة (٢٤)، صاحب التوضيح (٢١)، أكمـل الدين (١٨)، ابن الهمام، صاحب التحقيق (١٥)، أبـو اليسـر، الإمـام، صاحب التلويح، الشيبانى، أبو يوسف (١٢)، القاضى، الباقلانى، صاحب الهداية، ابن كمال باشا، الاخسيكى (٩)، التفتازانى، الرضى، الأشـعرى، البيضاوى، صاحب المغنى، صاحب الكشاف (٦)، الرازى، الجـوهرى، الجصاص، الكرخى، أبو زيد (الدبوسى)، صدر الشريعة، مالك، الصـدر الشهيد، ابن شهاب، صاحب الترجيح، الفنارى، صاحب الميزان، صـدر الإسلام، القاضى، الإمام، الغزالى، الزمخشرى، أبو هاشم، أبـو حيـان، الشيخ، صاحب كشف الأسرار، صاحب جامع الأسرار، صاحب القواطع، السيوطى، أبو الفضل، الكرمانى، الشريف قدس ا سره (٣). وعشرات آخرون يذكر كل منهم مرتين أو مرة واحدة.

فرشته للنسفى يتقدم الشارح بطبيعة الحال نظراً لتعامل الحاشية مع الشرح مباشرة ثم المصنف أى المتن نظراً لتعامل الحاشية مع الشرح. ثم يتقدم أعلام الحنفية مثل القآنى، والهندى، وشمس الأئمة لزحزحة الشافعية عن بؤرة الشعور. ويستمر أعلام الأحناف فى الظهور مثل أبو يوسف وفخر الإسلام وأبو حنيفة نفسه، وصاحب التوضيح ابن فرشته الشارح والأكمل وصاحب التوفيق قبل الأشعرى ثم يستمر الأحناف من جديد مثل السيرافى والمزنى والشيبانى والمرزوى والمتاريدى قبل أن يتوالى الشافعية الأشعرية مثل السبكى والتفتازانى والمحلى والباقلانى والشيرازى والرازى. ويأتى المالكية لمساعدة الأحناف مثل ابن الحاجب. كما يأتى الحنابلة للمساعدة نظراً لوحدة العقل والمصلحة والنص[1].

---

(١) الشارح (٦٤)، المصنف (٥٨)، القآنى (٣٤)، صاحب التلويح (٣٠)، الشارح الهندى (١٨)، شمس الأئمة، الشافعى (١٦)، أبو يوسف (١٢)، ابن الهمام (١٠)، سيبويه، فخر الإسلام (٨)، أبو حنيفة، صاحب التوضيح (٦)، ابن فرشته الأكمل، صاحب التوفيق، الأشعرى، السيرافى، المزنى، الشيبانى (٤)، محمد بن الحنبلى، الحلبى، المرزوى، ابن أبى ليلى، ابن الحاجب، السيد الشريف قدس ا روحه، السكاكى، الجوهرى، السبكى، التفتازانى، المحلى، القاضى أبو الطيب، أبو اسحق الشيرازى، السمعانى، الإمام الرازى، الماتريدى، صاحب الكشاف، صاحب التحرير، صاحب البدائع، صاحب عمدة الحفاظ، صاحب فتح المنجى، شارح البديع، صاحب المغنى (٢). وآخرون كل منهم ذكره مرة واحدة.

وفى حاشية "المطيعى على نهاية السول فى الدستور على منهاج الأصول" للبيضاوى يتقدم الأسنوى الشارح مع المصنف وهو البيضاوى. فالحاشية تتعامل مع المتن من خلال الشرح. ثم يتبادل الشافعية والأحناف الصدارة فى الوعى التاريخى. الشافعية مثل الزركشى وصاحب جمع الجوامع (السبكى) والجوينى والرازى والشافعى نفسه والآمدى والجرجانى والغزالى والأشعرى والأصفهانى والألوسى والعضد، وصاحب الحاصل وصاحب المحصول (الرازى) والأرموى والشيرازى وابن السمعانى. والحنفية مثل الكمال وصاحب التحرير والصفى الهندى والبزدوى والكرخى. والمالكية مثل: القرافى ومالك نفسه. والحنبلية مثل أحمد والشيخ تقى الدين وابن الحاجب. وواضح أن ابن سينا هو الفيلسوف عند الأصوليين لعروضه النظرية للمسائل الفلسفية[1].

---

(١) الأسنوى، المصنف (٢٨٠)، البيضاوى (١٥٤)، الزركشى (١١٢)، صاحب جمع الجوامع (٨٥)، الجلال المحلى (٧٠)، السبكى، إمام الحرمين (٦٣)، أبو هاشم (٤٩)، ابن الحاجب (٤٢)، الشافعى، الإمام الرازى، القاضى حسين (٣٥)، الآمدى، الجرجانى، الكمال، الغزالى (٢٨)، الأشعرى، الصفى الهندى، صاحب التحرير، القرافى (٢١)، البدخشى، السعد التفتازانى، أبو حنيفة، مالك، أحمد، صاحب التحصيل،

ومن المصادر التى تُجمع منها الحاشية حواشى أخـرى مثل حاشية المحلى للشارح، وحواشى العضد، وحاشية شرح المختصر، وحاشية الجلال. ومنهـا الشـروح مثـل شـرح الزركشى، وشرح المختصـر، وشـرح الإمـام، وشـرح المواقف. ومنها التلخيص. ومنهـا المتـون الأولـى مثـل المحصول للرازى والبحر المحيط للزركشى، وجمع الجوامع للسبكى، والتقريب والبرهان والقواطع للجـوينى، والأشـباه والنظائر لابن نجيم، والمستصفى للغزالى. ومنهـا قـواميس اللغة مثل القاموس والمصباح... إلخ[1].

الولى العراقى، الشيخ تقى الدين، البزدوى، الكرخى (١٤)، ابـن مالـك، عبد الحكيم، الأصفهانى، الألوسى، العز بن جماعة، الجوهرى، العضـد، الصفوى، صاحب مسلم الثبوت، صاحب الحاصل، صاحب المحصـول، ابن الحاجب، عبد العزيز، الكيا الهراسى، الروبانى، المتـولى، الشـيخ، الشربينى، المولوى عبد الحق، الأرموى، الشيرازى، ابن القشيرى، ابـن السمعانى، سليم الرازى، ابن فورك (٧). وعشرات أخرى مـن الأعـلام يذكر كل منها أقل من سبع مرات مثل ابن سينا.

(١) الحاشية (٧)، حاشية المحلى للشارح (٦)، المحصـول (الـرازى) (٤)، البحر المحيط (الزركشى)، جمع الجوامع (٢)، حواشى العضد، حاشـية شرح المختصر، البرلسى على المحلى، شرح الزركشى، شرح المختصر، حاشية الجلال، شرح المغنى، شرح مسلم، شرح الإلمام، شرح المواقف، التقريب، البرهان، الحاوى، الأشباه والنظائر، التلخـيص، المستصـفى، نهاية الأصول، منع الموانع، الجامع، القـاموس، المصـباح، القواطـع،

وفى حاشية "نسمات الأسحار" لابن عابدين تكثر المصادر فى الحواشى فمنها تأتى الاقتباسات. ويتقدمها التاويح ثم التحرير ثم التنقيح ثم التوضيح وهى المتون المتأخرة. ثم تأتى شروحها، مثل شرح التحبير، شرح التحرير، ويتم الاعتماد على عدة متون وشروح وحواشى بالعشرات كمصادر لتجميع المعلومات[1]. ويعترف المحشى بمصادره التى اعتمد عليها دون ترتيبها حسب أهميتها التى يكشف عنها منهج تحليل المضمون لرصد تكرارها مثل "كشف الأسرار" وجامع الأسرار، والتوضيح والتلويح... إلخ. كما يعترف بالنقل الصريح منها دون زيادة عليها. ويحيل

المعتمد، محاسن الشريعة (٢)، جمع البحرين (١).

(١) التلويح (١٦٦)، التحرير (١٠٢)، التنقيح (٢٦)، التوضيح، جامع الأسرار (٢٢)، القاموس، العزمية (١٨)، شرح التحبير (١٢)، الشرح الملكى، فتح القدير (٨)،المبسوط، المرآة فى شرح المرقاه، الكشاف، الكشف (٦)، كشف الأسرار، التحبير، البدائع، المتن، شرح مختصر المنار، الشروح، التحقيق، التقرير، شرح المنار، إفاضة الأنوار على شرح المنار، شرح ابن فرشته، شرح ابن النجيم، شرح ابن مالكن شرح جمع الجوامع، تفسير التنقيح، تفسير البيضاوى، شرح التلخيص للسبكى، شرح التحرير، كشف الأسرار، التوضيح والتاويح، قسمات الأسحار، فصول البدائع، الصحاح، تغيير التنقيح، أصول ابن الحاجب، التهذيب، الكنز، البحر، حواشى العصام، حواشى الكشاف، حواشى التلويح، العرف القاسم على رسالة العلامة قاسم، حاشية الفنرى... (٢).

إليها لمن أراد مزيداً من التفصيل[1].

وفى "حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع" للسبكى تتعدد المصادر. ويتقدم بطبيعة الحال متن جمع الجوامع ثم شرحه. ثم تتوالى المتون والشروح والملخصات والحواشى. فالحاشية أقرب إلى التجميع أكثر من الشرح، والشرح أقرب إلى التفكير من الحاشية[2].

وفى "حاشية الرهاوى المصرى على شرح ابن فرشته على المنار" للنسفى يتقدم عديد من المتون الحنفية مثل: الكشف، التحرير، الجامع الصغير، الكشاف، المنار، التبيين، البداية، والشروح مثل شرح الهداية، شرح التقويم، شرح

---

(١) مراجعا لجلة كتب معتبرة فى هذا الفن تركن إليها القلوب وتطمئن لشرح المصنف المسمى بكشف الأسرار، وشرح الكاكى المسمى بجامع الأسرار، وشرح ابن فرشته، وشرح ابن نجيم، والتوضيح والتلويح، وتفسير التنقيح لابن كمال باشا، والتحرير لابن الهمام، وشرحه التحبير لابن أمير حاج والمرآة لمولانا خسرو وغيرها من الكتب المعتبرة المنقحة المحررة. ولم أخرج فى الغالب عما ذكرته هذا. فمن أشكل عليه شئ فليرجع إلى تلك الأصول"، السابق ص٢.

(٢) جمع الجوامع، الشرح (١٦)، الشهاب (١٢)، شرح المختصر، شرح المنهاج، شرح ابن الحاجب، المواقف، المنخول (٨)، منع الموانع، المحصل، كتاب الأصل، محاسن الشريعة، شرح المحصول، حواشى العضد، تلخيص البرهان.

المغنى، شرح المنار، شرح العقائد. التفاسـير مثـل تفسـير الهداية، والحواشى مثل حاشية المتوسط[1]. ومن المصـادر أيضاً التوراة والإنجيل نظراً لوحدة الـوحى بـالرغم مـن مستويات التدوين من حيث الصحة التاريخية.

وفى "حاشية عزمى زادة على شرح ابن فرشته علـى المنار" للنسفى تتقدم عديد من المتون مثل الكشف، والتلويح، والتحقيق، والتوضيح، وجامع الأسرار، والكشاف، والهداية، والتحرير، والتقرير والأنوار، والمغنى، وإشارات الأسـرار، وفصول البداية، والأنوار، ومعظمها من متون الأحناف التى يتم الاقتباس منها. كما تذكر عديد من شروح الأحناف مثـل الشرح نفسه لابن فرشته الذى تتم عليه الحاشـية مباشـرة، وشرح الأكملى، وشرح المغنى، وشـرح الهدايـة، وشـرح منتخب الاخسيكى، وشرح المشارق للمحشى نفسه، وشـرح المصنف، وشرح ابن الحاجب من المالكية، وشرح الكافيـة،

---

(١) الكشف، شرح الهداية (٩)، التحرير، الجامع الصـغير (٦)، الكشـاف، تقرير الكلام، الجمع المحلى، القاموس، المنار، التبيين، البداية، التحـرى، الصحاح، الاحياء، تفسير الهداية، شرح التقويم، شـرح المغنـى، شـرح المنار، شرح العقائد، حاشية المتوسط (٣). ومصادر أخرى يـذكر كـل منها مرة واحدة أو مرتين.

وشرح الوقاية، ومعها كتب التفسير الاعتزالى مثل الكشـاف للزمخشرى. كما تظهر عدة حواشى مثل حواشى التلـويح. ويساند ذلك بعض قواميس اللغة مثل القاموس والصحاح[1].

وفى "حاشية أنوار الحلك" لابن الحلبى على شرح ابـن فرشته على المنار للنسفى من المصادر يتقدم التلـويح، ثـم شرح البديع ثم تتوالى المتون مثل التحرير والكشف، وجامع الأسرار، والشفاء، والبرهان، والحقـائق، وفـتح المجنـى، والجنى الدانى، ومعظمها من المتون الحنفيـة. ثـم تتـوالى الشروح مثل شرح المغنى، الشرح الأكملى، شـرح العقائـد النسفية، شرح القاآنى، شرح المفتاح، شرح المنهـاج. كمـا يحال إلى المختصرات مثل مختصر المزنى. ويحال أيضـاً

---

(١) الكشف (٩٦)، التلويح (٧٥)، الشرح (٤٢)، شرح الأكملى (٣٣)، شرح المغنى (٣٠)، جامع الأسرار (١٨)، التحقيق، التوضيح (١٥)، الكشـاف، شرح الهداية، الصحاح (١٢)، الهداية (٩)، تفسير الكشاف، شرح منتخب الاخسيكى، حواشى التلويح، التحرير، شرح المشارق، شرح أصول الفقه لابن الحاجب، التقرير، الأنوار (٦)، شـرح الكافيـة، شـرح الوقايـة، المغرب، القاموس، أدب القاضى، المـتن وبعـض شـروحه، تحريـر الأصول، إشارات الأسرار، شرح المصنف، فصول البداية، الأنوار (٣). وعشرات أخرى من المتون والشروح والحواشى ذكر كل منها مرتين أو مرة واحدة.

إلى متون العلم على العموم مثل كتب البلاغة[1].

وفى "حاشية المطيعى على نهاية السول" للأسنوى على منهاج الوصول للبيضاوى يتقدم "مسلم الثبوت" لابـن عبـد الشكور وهو متن حنفى، ثم المحصول "للرازى"، ثم "جمـع الجوامع" للسبكى، ثم الشروح العديدة لجمـع الجوامـع، ثـم "حزامة الحواشى" للجرجانى، ثم فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت للأنصارى[2].

ومن الفرق والطوائف والمـذاهب يتقـدم الفقهـاء ثـم المتكلمون والأصوليون وهى الفـرق الرئيسـية فـى علـم

---

(١) التلويح، شرح البديع (٢٠)، شرح المغنى، التحرير (٦)، الكشف، الشرح الأكملى (٤)، شرح العقائد النسفية، جامع الأسرار، الشـفاء، البرهـان، شرح القآنى، شرح المفتاح، شرح المنهاج، كتب البلاغة، الحقائق، فـتح المجنى، الجنى الدانى، مختصر المزنى.

(٢) مسلم الثبوت (٤٢)، المحصول (٣٥)، جمـع الجوامـع (٢٨)، حزامـة الحواشى، فواتح الرحموت (٢١)، المنهاج، الكشف، شرح جمع الجوامع، التلويح (١٤)، التقرير، القواطع، نهاية الوصول، نهايـة السـول، سـلم الوصول لشرح نهاية السول، رسالة الأصول، التحرير، الـنجم اللامـع، البحر المحيط، البرهان، التحصيل، المختصـر، اللمـع، روح المعـانى، أحكام القرآن، شرح ابن مالك، شرح جمع الجوامع، شرح البزدوى، شرح المختصر، شرح المنهاج، حواشى القطب، حاشـية علـى العضـد (٧). وعشرات أخرى من المصادر ومتون وشروح وحواشى وتقارير يذكر كل منها مرة واحدة.

الأصول. ثم يتقدم الأشعرية ثم المعتزلة ثم الحنفية والمذاهب الأصولية والكلامية الرئيسية فى علم الأصـول والأشـعرية الأساس النظرى للشـافعية، والمعتزلـة الأسـاس النظـرى للحنفية. ثم يأتى المحققون أو أصحاب التحقيق أى أصـحاب النظر العقلى بعيداً عن أهل الأهواء مع النحويين. ثم يـأتى مشايخ الأصول والكلام المتأخرين منهم المتقدمين. وأخيـراً يظهر الحنابلة مع الشافعية[1]. وأحياناً يسبق الأشاعرة حرف النداء "أيها" فى تعبير "أيها الأشاعرة" قبولاً وليس رفضاً[2].

ومن الفرق يتقدم المعتزلة ثم الحنفية ثم مجموع الشراح مما يدل على إمكانية زحزحة الشافعية الأشعرية خارج بؤرة الشعور. ثم يظهر الشافعية والأشعرية. وسـرعان مـا يـتم حصارهم من جديد بمشايخ سـمرقند الأحنـاف وبمجمـوع الفقهاء والأصوليين والجمهور مـع الحنابلـة والبصـريين والماتريدية وأصحاب الظواهر والعراقيين والمتكلمين وأئمـة

---

(١) حواشى الجوهرى على شرح لب الأصول للأنصـارى، الفقهـاء (١٣)، المتكلمون، الأصوليون (٦)، الأشعرية (٥)، المعتزلة (٤)، الحنفيـة (٣)، المحققون، النحويـون (٢)، المتـأخرون، مشـايخ الأصـول، متـأخرو الأصوليين والكلاميين، أصحاب التحقيق، الأصحاب، أصحابنا، الجمهور، الحنابلة، الشافعية (١).

(٢) السابق، ص٢٠.

الفقه والنحويين والبيانيين والمحققين من "أصحابنا". فالمحشى يعتمد على شروح وحواشى وتقارير مذهبه[1].

وفى "حاشية البنانى على شرح المحلى لجمع الجوامع" للسبكى يتقدم المعتزلة على الإطلاق مما يبين حضور المعتزلة فى الوعى التاريخى كتحد مستمر فى موضوعى الحسن والقبح العقليين وشكر المنعم والواجبات العقلية. ثم يأتى مجموع الفقهاء والأصوليين. ثم تظهر الحنفية من أجل زحزحة الشافعية من المركز. ومع الشافعية تأتى الأشعرية والمتكلمون والجمهور والكوفية وأهل السنة. ثم يظهر البصريون والبغداديون. ثم تظهر المالكية عند شارحى ابن الحاجب. ويدخل المناطقة لتأييد الاتجاه العقلى مع أهل الجدل والمحققون والحكماء، المتقدمون منهم والمتأخرون[2].

---

(١) المعتزلة (الاعتزال) (٢٢)، الحنفية (١٤)، الشراح (الشارحون)، الشافعية، الأشاعرة (١٠)، مشايخ سمرقند، المشايخ، الحنابلة، الصحابة، المتأخرون (٤)، البصريون، أصحاب الظواهر، الماتريدية، العراقيون، أئمة التفسير، البخاريون، المتكلمون، أئمة الفقه، التابعون، أهل السنة، المحققون، أصحابنا، النحويون، البيانيون (٢).

(٢) المعتزلة (١٤٠)، الفقهاء (٨٤)، الأصوليون (٥٦)، الحنفية (٣٦)، بنو هاشم والمطلب (٢٠)، الشافعية، الاشاعرة (الأشعرية)، المتكلمون (١٦)، الجمهور، الكوفيون، المالكية (١٢)، البصريون، شارح الحاجب، المناطقة (٨)، أهل الجدل، البغداديون، أهل السنة، المحققون، الحكماء، المتقدمون،

وفى "حاشية الرهاوى" على شرح عبـد اللطيـف بـن فرشته على المنار للنسفى يتقدم المعتزلة وليس الأشعرية ثم مجموع المحققين والشراح والفقهاء والمتكلمين وأهل العراق و"مشايخنا" أى مشايخ الأحناف والحنفيـة قبـل أن يظهـر الشافعية وأهل السنة والعلماء والمشايخ والأشاعرة ثم يتلـو مشايخ الأحناف مثل: مشايخ سمرقند، والمالكية مثل شـراح أصول ابن الحاجـب، والحنابلـة مـن شـراح الأصـول، والبصريون والمنطقيون (المناطقة) والفلاسفة وأهـل اللغـة والصوفية، والمجوسية من الفرق المهمشة من أجل إحلالهـا محل فرقة المركز[1].

وفى "حاشية عزمى زادة" على شرح ابن فرشته للمنار للنسفى يتقدم من الطوائف مجموعات مثل: المحققون، أهـل

المتأخرون (٤). وفرق أخرى ذكرت كل منها مرة واحدة.

(١) المعتزلة (٥١)، المحققون، مشايخنا، الشراح، الشارحون (٣٣)، الفقهـاء (٢٤)، الأصوليون، العراقيون أهل العراق (١٨)، المتكلمون، الشـافعية، الحنفية (١٢)، أهل السنة، العلمـاء (٩)، المشـايخ، الحنابلـة، شـراح الأصول، مشايخ سمرقند، المفسرون، أصـحابنا، الشـاعرة، المناطقـة (المنطقيون) (٦)، الخلفاء الراشدون، العلمـاء المتقـدمون، المحـدثون، أصحاب الحديث، الفلاسفة، أهل اللغة، الظرفية، الصوفية، أهل الأصول، البصريون، شراح أصول الحاجب، المرجئة، الأمة المجوسية (٣). وفرق ومذاهب أخرى كل منها مرة واحدة أو مرتين.

العربية قبل الشافعية. يتلوهم أيضاً مجموعات أخرى مثـل: الشراح، المتقدمون، المشايخ، الفقهاء، المخالفون، أصـحابنا، الجمهور، مشايخنا. مما يدل على وجود أصوليين فقهاء مـن غير الشافعية الأشعرية. ثم يأتى المعتزلة لمساعدة الحنفية مع المناطقة والعراقيين والمجتهدين قبل أن يظهر أهـل السـنة وأصحاب الحديث. كما يظهر الحنابلة لحصار الأشعرية[1].

وفى "حاشية أنوار الحلك" لابن الحلبى على شرح ابـن فرشته على المنار للنسفى يتقدم من الطوائف الشافعية التـى مازالت محتلة بؤرة الوعى التاريخى ثم أصحاب الشـافعى، والمحققون، وفقهاؤنا علـى الإطـلاق لزحزحـة الشـافعى وأصحابه من الصدارة، ثم العلماء وأهل العربية وأهل اللغـة والبيانيون وأصحابنا وأهل مرو وأصحاب أبى حنيفـة مـع المعتزلة لحصار الشافعية[2].

---

(١) المحققون (٢٤)، أهل العربية (أئمة العربيـة)، أهـل اللغـة، أصـحاب الشافعى (الشـافعية) (١٨)، الفقهـاء، المعتزلـة، الواقفيـة، الشـراح، المتقدمون، المشايخ (٩)، المخالفون، أصحابنا، الجمهور (٦)، أهل السنة، مشايخنا، أهل التفسير، الخلفاء الراشدون، الحنفية، المنطقيون، الحنابلـة، أصحاب الحديث، العراقيون، المجتهدون، الأشاعرة (٣).

(٢) الشافعية (١٠)، المحققون، فقهاؤنا، أصـحاب الشـافعى (٤)، العلمـاء، المعتزلة، أهل العربية، أهل اللغة، أصـحابنا، البيـانيون، أهـل مـرو،

وفى "حاشية المطيعى على نهاية السول للأسنوى علـى منهاج الوصول للبيضاوى" يتقدم من الفـرق الحنفيـة مـع مجموع الأصوليين والمعتزلة قبل الشافعية مما يـدل علـى الرغبة فى التحرر من الشافعية الأشعرية كبؤرة تقليدية فـى الوعى التاريخى. ثم يأتى الأشاعرة وأهل السنة مع مجمـوع الفقهاء. ثم يظهر الحنفية من جديد وهم "أصحابنا" والمحققون والماتريدية وأهل العلم والمتقدمون باعتبار أن الأشاعرة هـم المتأخرون والمتكلمون والمصنفون[1].

٤- التقرير.

أ- الشكل الأدبى. التقرير من الدائرة الثالثـة المحيطـة بالمتن فى شرنقة تثبيت الـنص، بعـد الشـرح والحاشـية. يضع الحاشية بين قوسين التى تضع الـنص بـين قوسـين. فبـين التقريـر والـنص، نصـان متوسـطان، الشـرح

أصحاب أبى حنيفة.

(١) الحنفية، الأصوليون (١٠١)، المعتزلة (١٥٤)، الشافعية (١٤٠)، الفقهاء (٨٤)، متأخرو الأشاعرة (٤٩)، المتأخرون (٣٥)، أهل العلم، المتقدمون، أرباب التحقيق، المتكلمون، المصنفون (٧). وعشران أخرى من الفـرق والطوائف يذكر كل منها أقل من سبع مرات.

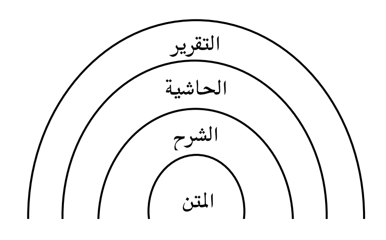
والحاشية[1]. فكما يحيل الشرح إلى المتن، وتحيل الحاشـية إلى الشرح يحيل التقرير إلى الحاشية. وبالتالى تبعد المسافة بين التقرير والمتن بعنصرين متوسطين: الشرح والحاشـية، وبالتالى البعد عن غاية علم الأصول وهـو وضـع قواعـد السلوك الإنسانى، ويختفى الموضوع لصـالح النصـوص، ويغيب الواقع لصالح النص.

وقد يبدو التقرير أحياناً وكأنه تجاوز للنصين المتوسطين الحاشية والشرح بل والمتن ويعود إلى الموضوع الأصـولى ذاته. وهو ما يندر حدوثه. وإذا حدث فإن التقرير فى هـذه الحالة يبدو وكأنه تخليص للموضوع الأصولى من الشـرنقة والخيوط الملتفة حوله التى تخنقه.

ومع ذلك تغيب الدلالات الجديدة فـى التقريـر علـى موضوع علم الأصول إلا من دلالات التقرير علـى نفسـه

---

(١)



كنوع أدبى. فقد بعد التقرير عن موضوع العلم بعد أن التفت الشروح والحواشى حوله فخنقته. ويظهـر لفـظ "الترجمـة" بمعنى "التعبير" كما ظهر فى بعض الشروح[1]. ومع ذلك، لا يخلو التقرير أحيانا من عرض بعـد الإشـكالات النظريـة ويتجاوز النص إلى المعنـى والحواشـى والشـروح إلـى القضايا[2].

ومع ذلك وعندما يقول المقرر "قوله" بين قوسين فإنهـا تعنى قول الشارح وليس المحشى أو المصنف. فالتقرير هنـا مثل الحاشية. يتعامل كلاهما مع الشرح مباشرة ولـيس مـع النص الأول[3]. التقرير نوع أدبى شامل يتضـمن الحاشـية والشرح والمتن فى منظومة كلية واحدة. الشـرح يفصـل، والحاشية توصل، والتقرير يجمع الكـل ويحـاول اللحـاق

(١) جملة مباحث الألفاظ المترجمة بها أول الكتاب، التقرير جـ ١٩٨/٢.
(٢) التقرير جـ ١٩٨/١ "فاندفع الإشكال الآتى" جـ ١٩٨/١.
(٣) إحالة إلى الحواشى، تقرير الشربينى على حاشية البنـانى علـى شـرح المحلى على متن السبكى جـ ٣/١. وهناك تقارير أخـرى ولكـن هـذا التقرير يعتبر نموذجاً. وبالرغم من النشر الأزهرى غير العلمى الذى كان يهدف إلى توفير النص وليس تحقيقه يرصد المصحح بعض الاختلافـات بين النسخ. ويلاحظ أن "الكلام غير مستقيم وهو هكذا فى النسـخ التـى اطلعنا عليها" التقرير جـ ٢٨٢/١، "هذه المقولة لم توجد فى النسخ البنانى التى بأيدينا" جـ ٢٨٧/١ "وهو خطأ من الناسخ" جـ ٢٤٨/١.

بالأصل، وهو الموضوع. فالنصوص متمايزة ومتداخلة فـى نفس الوقت[1].

وإذا كان للمتن فضل صياغة العنوان وللشـرح أيضـاً تعديل عليه فإن الحاشية والتقرير مجرد حواشى وتقارير بلا عناوين جديدة موحية بالمعنى والهدف[2]. كما لا توجد دوافع فى بداية الشرح تبرر تدوينه[3].

وأحياناً يقفز التقرير فوق الحاشـية والشـرح للحـاق بالموضوع ذاته، فالموضوع مازال يطـل برأسـه مخترقـاً شرنقتى الشرح والحاشية. فى هذه الحالة يتعامل التقرير مـع المتن مباشرة وكأنها إعادة صياغة له وليس مجـرد تعليـق على حاشية أو تطوير لشرح. ويحدث ذلك إذا مـا تطرقـت الحاشية أو ابتعد الشرح عـن المـتن أى الموضـوع. دور التقرير هنا التنبيه عليه، والتذكير به. وأحياناً يعجب التقرير بالمتن نفسه ويعطيه الأولوية على الشرح والحاشـية. وفـى هذه الحالة يكون التقرير عوداً إلى الأصول الأولـى ولـيس

---

(١) يتضح مقابل العناوين فى متون الأصول مثل التقابل بين "جمع الجوامـع ومنع الموانع".

(٢) التقرير جـ ٤٥/١.

(٣) التقرير جـ ٢/١.

نصاً رابعاً[1].

وقد يكون التقرير أحد مصادر الحاشية بل والشرح. فلا يعنى هذا البناء الرباعى، المتن والشرح والحاشية توالٍ فـى الزمان باستثناء المتن الذى يكتب أولاً بالضرورة فهو أساس البناء كما أن الشرح بالضرورة تال للمتن فهو تعليق عليـه. إنما قد يكتب التقرير قبل الحاشية ويصبح أحد مصادرها[2]. ففى هذه الحالة يكون التقرير مثل الحاشية فى علاقـة كـل منهما بالشرح. والغالب هو البنية الرباعية المتتالية من المتن إلى الشرح إلى الحاشية إلى التقرير. وقـد يسـمى التقريـر تخريجاً أى تأويل الحاشية وتعليقاً عليها. ولا توجـد درجـة خامسة حتى الآن. فالتحقيقات والدراسات والتعليقات الهامشية لدى النص حول اختلافات النسخ وتعريف الأعلام والمذاهب والطوائف والفرق وربما توضيح بعض الأمور الغامضة هى نهاية المطاف فى "تكوين النص" فى علم الأصول.

وإذا كانت المتون كثيرة، والشروح أقل منها فلا تشرح كل المتون بل المتون التكوينية فقط مثل "المحصول" للرازى

---

(١) التقرير جـ ١٦٣/١.

(٢) أ هـ تقرير ج (٢). أ هـ تقرير العلامة محمد الجوهرى (١).

الجامع بين "البرهان" للجوينى و"المستصفى" للغزالـى، فـإن الحواشى أقل من الشروح. فليس كل شرح له حاشية كما أن ليس لكل متن شرح. والتقارير أقل من الحواشى. فليس لكل حاشية تقرير كما أن ليس لكل شرح حاشية، وليس لكل متن شرح.

وكما لا توجد فى الشرح والحاشـية بنيـة للموضـوع مخالفة لبنية المتن كذلك لا يوجد فى التقرير أى إشارة إلـى بنية الموضوع لأن التقرير مثل الشرح والحاشية لا يتعامـل مع الموضوع بل مع النص، ولا ينظر للواقـع بـل يـؤول النصوص المدونة حوله، شروحاً أو حواشى. فلا توجد فـى التقرير بنية فى الذهن ولا فى الواقع ولا فى الشعور. ومـع ذلك تظهر القسمة الكلية، ويتم العد والإحصـاء للأجـزاء، والإشارة إلى أهمية الاسـتقراء ومقارنـة بـين المناطقـة والأصوليين[1].

وكما يصدر الشرح والحاشية الأحكام بالصواب والخطأ على موقفى المصنف والشارح والمحشـى كـذلك يصـدر

---

(١) العد والإحصاء، التقرير جـ١/٣٩، الاستقراء جـ١/٢٤٩ جـ٢/٣٤٥، ٣٤٦.

التقرير أحكاماً على المذاهب الأصولية ويحكم على مواقفها بالصحة أو البطلان[1]. كما تصدر أحكام على النقول وضرورة مراجعتها مثل بعض النقولات عن الأشعرى[2]. ويظهر أثر بعض مصطلحات الأصول الشيعية مثل "التنجيزى"[3].

وكما يقطع الشرح المتن إلى فقرات تطول أو تقصر وكما تقطع الحاشية الشرح بنفس الطريقة أيضاً إلى فقرات تطول أو تقصر فإن التقرير يقطع أيضاً الشرح أو الحاشية إلى فقرات معظمها قصيرة لأنها مجرد تعليقات على فقرات وليست دراسة لموضوعات. وبالرغم من أن التقرير تفريع على تفريع، تعليق على حاشية التى هى نفسها تعليق على شرح الذى هو نفسه تعليق على متن إلا أن هناك إحساساً بالإطناب والتطويل عند المقرر كما كان عند

---

(١) الحكم بالصواب مثل التقرير جـ ٥٤/١، "المذهب الصحيح" جـ ١٢٩/١، "هذا هو الصواب" جـ ٢٤٨/١، "والصواب حذف هذا الكلام" جـ ٢٥٤/١، "وهذا المذهب هو الصحيح" جـ ١٢٩/٢، والحكم بالفساد مثل: وهذا نظم فاسد جـ/٣٤٤. "وكل ذلك أوهام على أوهام" جـ ١٣١/٢.

(٢) "رأى الأشعرى المنقول عنه فى الكتب غير المشهورة أو قبله"، التقرير جـ ٧٢/١.

(٣) "التعلق التنجيزى"، السابق جـ ٧٧/٥٥/١-١٣٩/٧٨-١٤٠.

المحشى والشارح والمصنف، ينبه عليه ويذكر به[1].

وكما تعتمد الشروح على الاقتباسات ولو بدرجـة أقـل ومعظمها من الشروح المتأخرة وليست من المتون الأولـى لأن الصلة بين الشرح والمتن صلة مباشرة، وكمـا تعتمـد الحواشى على الاقتباسات لأنها مجرد تجميع على نص مـن نصوص فإن التقرير أيضا يعتمد على عديدة من الاقتباسات دون تأليف نص جديد، مجرد تجميع مادة زائدة. وإذا كـان الشرح تجميعاً أكثر وتأليفاً أقل، وكانت الحاشية تجميعا شـبه كامل فإن التقرير تجميع كامل لا تأليف فيه إلا فيما ندر مثل اللجوء إلى الطبع السليم فى الحكم على الأشياء[2].

وقد كانت هناك فرصة لدى المقرر لأن يقرأ الحاشـية التى تقرأ الشرح الذى يقرأ المتن، وأن ينفذ من خلال الشرنقة إلى الموضوع الحى بداخلها ويفك أسره ليعيـد إليـه نسـمة الحياة والقدرة على استنشاق الهواء من جديد. كانـت هنـاك

---

(١) التقرير جـ ١٠/١ "وقد طال المحشـى الكـلام فيـه فراجعـه تسـتفد" جـ ١٠/١، "ولا يفيد بيان وجوهها وإن كـان توجيـه شـيخه لا ينفـع" جـ ١١/١.

(٢) التقرير جـ ٣٤/١ وعدد الاقتباسات بناء على مؤشر حرفى أ هـ حوالى (١٥٠).

فرصة لأن يتم حوار بـين المقـرر والمحشـى والشـارح والمصنف، حوار بين أربعة أطراف فـى تنـاص متـداخل الحلقات كالحجارة فى الماء التـى تحـدث دوائـر متتاليـة ومتداخلة ولكن اقتصر التقرير على الـنص ولـيس علـى الموضوع الذى يصوره الـنص وتعبـر عنـه النصـوص المتداخلة[1].

ومع ذلك تظهر بعض الإبداعات السابقة دون الإحالـة إلى أصحابها مثل الأحكام الوضعية التى من إبداع الشـاطبى فى وصفه للشريعة بأنها وضعية وتمييزة بين أحكام الوضـع وأحكام التكليف كما يدرك التقرير ما تفرد به الشارح[2].

وكما يحيل المتن والشرح والحاشية إلى نفسه تعبيراً عن وحدة النص كذلك يحيل التقرير إلى السابق واللاحق تأكيـداً على وحدة الموضوع[3]. وكما توجد فى الشروح والحواشى

---

(١) التقرير، ص٣٧.

(٢) الحكم الوضعى: التقريـر جـ ـ ٥١/١-١٠٨/٦٨/٥٣، أحكـام الوضـع جـ ـ ٥٣/١، "وهذا تدقيق تفرد به الشارح" جـ ـ ٤٥/١.

(٣) فقد عرفت حقيقة الحال جـ ـ ٤٠/١، الإحالة إلى السابق مثل: كما قـدمناه، كما بيناه، كما تقدم ٠١٩، والإحالة إلى المستقبل مثل: فيما سيأتى (١٣)، كما سيأتى (٩)، وسيأتى بيانه (٣)، وسيأتى (٢)، وسيتضح فيما بعد، كما ستعرف (١). وسيأتى لهذا بقية إن شار ا تعالى جـ ـ ٢٤٠/١. وتـذكر

رموز أو علامات تدل على أسماء كذلك يوجد فى التقرير نفس الحروف مثل "سم" سواء كانت من المقرر أو من المحشى والشارح، يستعيدها المقرر فى تقريره. وقد ترمز إلى "السيد العلامة"[1].

وكما يدعو الشرح والحاشية القارئ للمشاركة كذلك يدعو التقرير القارئ للمشاركة بأفعال التأمل والتدبر والتعرف[2]. كما تظهر الإيمانيات والسجعيات فى البداية والوسط والنهاية بالرغم من أن الأصول عقلية استقرائية[3].

ب- مادة التقرير: هى مثل مادة الشرح والحاشية، اللغة، إعراباً، واشتقاقاً، واصطلاحاً ورد بعض الخلافات الأصولية إلى خلافات لفظية. فاللغة هى الرصيد الأول للثقافة العربية. تنقيتها ضرورية بالرغم من دخول بعض الألفاظ الأجنبية فيها[4]. وبطبيعة الحال يشتمل التقرير على

آخر الكتاب (١).

(١) التقرير، جـ١ ٤٥/٢٨.

(٢) التقرير جـ١ ٤١/١ فتأمل جـ١ ٣٤٤/١، فتأمل تعرف جـ١ ١٥/١. وتذكر آخر الكتاب جـ٢/٢، "فتدبر لتعرف كيفية استخراج دقائق هذا الكتاب" جـ٤٩/٢.

(٣) التقرير جـ١ ٤٧/١، "فسبحان من لا تحيط به العقول" جـ١ ٤٧/١.

(٤) مثل السكنجبين، السابق ص٢٤٢.

مادة من علم الكلام مع استعدادات وتعريفات كلامية تخـرج عن القصد مثل الاستطرادات حول اليقين، وموضوع الـذات والصفات بين المعتزلة والأشاعرة، وموضوع التأويل بـين أهل السلف، الفرقة الناجية التى تبتعد من التأويل لأنه أسـلم، ومذهب الخلف الذى يؤول لمزيد من العلم[1]. كما يعتمد على مادة فقهية دون تطوير موضوعاتها الدالة مثل الصلاة فـى مكان مغصوب والترس والحرب والجيش ودار الحرب[2].

كما تتضمن المادة علوم التفسير أى العلوم النقلية الأولى بعد أن ارتدت العلوم العقلية النقلية إلى علوم عقلية خالصـة واختفت العلوم العقلية تماماً فى المشرق بالرغم من ازدهارها فى بلاد ما وراء النهر، خراسان.

كما يتضمن التقرير بعـض الموضـوعات الصـوفية، والمصادر الصوفية، بل وبعض الألفاظ مثل "الانكشاف"[3].

والحجج النقلية قليلة نسبياً عـن الحواشـى والشـروح والآيات أكثر من الأحاديث. ويغيب الشعر نظراً لأن المقرر لا يتعامل مع التجارب الحية مباشرة حتى يستعدى مثيلاتهـا

---

(١) السابق جـ ٢٨٣/١٣٠/١ جـ ٤٠٨/٢.

(٢) السابق جـ ١١٧/١ جـ ٣٠٨/٢٨٥/٢-٣٠٩.

(٣) السابق جـ ٤٩/١ جـ ٢٨٣/٢.

من المخزون الشعرى العربى بل يعلق على نصوص مدونة سلفاً، حواشى وشروحاً، تغلـف الموضـوع وتعزلـه عـن المقرر. وتغيب الأشعار إلا شطرى بيـت. فـالتقرير لـيس تجربة حية تجد سندا لها فى التجربة الشعرية[1]. ويتضـمن التقرير بعض الحجج العقلية فى صيغة القيل والقال والردود مسبقاً على الاعتراضات[2].

ويمتلأ التقرير بأسـماء الأعـلام والفـرق والمـذاهب والطوائف فقد أصحبت الشروح والحواشى والتقارير حوامل للتاريخ، ووعاء للذاكرة الجماعية وبوتقة للـوعى التـاريخى الأصولى. يتقدم الشارح. وهنا يبدو التقرير مثـل الحاشـية. يتعامل مباشرة مع الشارح، ثم يتلو المصنف. يبدو التقريـر يتعامل مباشرة مع المتن قفزاً فوق الحاشـية والشـرح. ثـم يظهر التفتازانى (السعد) باعتباره المصدر الأول للتقرير ثـم عبد الحكيم ثم السيد (الشريف الجرجانى) ثم العضد الايجـى ثم المحشى ثم السيد الزاهد، وكلهم من الأشاعرة. ثم يظهـر

---

(١) الآيات (٣٠)، الأحاديث (٦)، الشعر (٢).

(٢) التقرير جـ ١١٤/٥/١، "فلا يستقيم الاعتراض" جـ ـ ٢١٦/٢، "فانـدفع اعتراض الناصر" جـ ٥٦/٢، "فالاعتراض عليه اعتراض على المصنف" جـ ١١٤/١.

الزمخشرى على استحياء ليفك الحصار الأشعرى الشـافعى عن بؤرة الوعى التاريخى. ثم يتوالى الأشاعرة من جديـد، الدوانى، والأشعرى نفسه والجوهرى، والآمـدى والشـافعى والباقلانى والأسنوى والرازى وابن فورك. ثم يأتى المالكيـة من الهامش إلى البؤرة مثل: ابن الحاجب، ومالك نفسه[1].

ثم يأتى الأحناف، أبو حنيفة، والكمال، والكرخى، وابن

---

(١) الشرح (٢٤٧٥)، المصنف (١٥٦٥)، التفتازانى (السعد) (٤٥٩)، عبـد الحكيم (٣٧٥)، السيد (الشريف، الجرجانى)، (٢٧٠)، العضد (الايجـى) (١٩٥)، المحشى (١٥٠)، الزمخشرى، الجوينى (٤٢)، الجوهرى، ابـن الحاجب، الناصر، السكاكى، الشيخ الرئيس، شيخ الإسـلام، العـز بـن الصفوى، الناصر، البيضاوى، صاحب التلويح، الآمدى، مالك، أبو حنيفة، ابن الحاجب، الزركشى (٣٠)، عبد الجبار (٢٣٩، السرخسى، الهـروى، ابن الجوزى، النووى، صاحب القاموس، البهقى، الخبيصـى، الشـهاب، صاحب كشف الحقائق، صاحب التوضيح، الرويانى، المتولى، الشـافعى، أبو حنيفة، القاضى، صاحب الجواهر، الأسنوى، الكمال، الـرازى (١٥)، الكرخى، ابن ابان (١٢)، أبو الحسين البصرى (٨)، السيوطى، أبو شامة، الكمال، ابن حزم، الغزالى (٤)، مالك، أحمد، الطوسى، الفـارابى، أبـو هاشم، الباقلانى، ابن السمعانى، ابن جنى، الدبوسى، الذهبى، المطـرزى، الأصفهانى، سيبويه، الأحمص، الزجاج، الجزومى، الصفى الهندى، عبـد القاهر، ابن حجر، ابن فورك، القلانسى، الماوردى، الهروى، القرافـى، الأستاذ، ابن الرقعة، البارزوى (٣)، الزجاج، أبو هاشم، الصفى الهندى، ابن تيمية، البرماوى (٢). وعشرات آخرون من الأعلام كل منهـا مـرة واحدة.

ابان، والصفى الهندى. ثم يظهر المعتزلة، القاضى عبد الجبار، وأبو هاشم، وأبو الحسين البصرى. ثم يظهر الفلاسفة وعلى رأسهم الشيخ الرئيس والفارابى لمساندة التيار العقلى ممثلاً فى الحنفية والاعتزال. ثم يظهر النحاة للعودة إلى مباحث اللغة لضبط الخلافات اللفظية، أصل الاختلافات، مثل ابن جنى وسيبويه والزجاج. ثم يظهر الحنابلة الذين استتب لهم الأمر فى العصور المتأخرة مثل ابن تيمية وابن القيم وأحمد نفسه. ويتكرر حرفا سم ربما اختصارا للقب السيد العلامة[1]. ولا يظهر من الوافد إلا المعلم الأول[2].

ويعتمد التقرير على عديد من المصادر الأخرى بالإضافة إلى المصادر التى تعتمد عليها الحاشية والشرح. وتتنوع بين المتون والشروح والحواشى. والحواشى أكثر من الشروح، والشروح أقل من المتون. وقد تنسب الحاشية إلى شرحها أو إلى متنها. ويتقدم الحواشى حواشى العضد والرازى والسيد الزاهد والقطب والعضد والدوانى وغيرها. وتتقدم المتون التوضيح ومنع الموانع ثم العقائد العضدية

---

(١) يتكرر الـ سم حوالى (٦٠).
(٢) السابق جـ ١٤١/١.

والكشاف والصحاح والمصباح والقواطع وطبعيـات الشـفاء مما يدل على حضور المتن الفلسفى لابن سينا دون غيره قبل ابن رشد. كما يظهر "المستصفى" النص المكـون الرئيسـى حتى القرن الخامس. ويتقدم الشروح شرح المواقف ثم شرح المقاصد[1].

ومن الفرق والطوائف والمذاهب يتقدم الأشاعرة علـى الإطلاق ثم المعتزلة مما يكشف عن الصـراع القـائم بـين الفرقتين الكلاميتين أو بين الأساسين النظريين لهمـا النقـل والعقل اللذين يستند إليها الشافعية والحنفية. ثم يأتى مجمـوع

(١) الحواشى حوالى (١٨) وهى: حواشى العضد (٦٠)، حواشى رسالة العلم (المنسوبة إلى الرازى)، حواشى السيد الزاهد، حواشـى القطـب (٤٥)، حواشى عقائد العضد. حواشى الدوانى، حاشية شرح المطـالع، حاشـية الشرح العضدى (٣٠)، حاشية المقدمات، حاشية الطول، حواشى شـرح الشمسية، حواشى الجامى، حاشية الكشاف، حاشية الزاهد لدوانى التهذيب. حاشيتى العضد والشمسية، حاشـية شـرح المختصـر (١٥)، حاشـية الشيرازى على شرح التحرير (٢)، حواشى الاشمونى، حواشى الجـامى (١). والمتون حوالى (١٢) وهى: العقائد العضدية، الكشاف، الصـحاح، المصباح، المختصر (١٥)، القواطع، طبيعيات الشفاء، المستصـفى (٢). والشروح حوالى (٧)، هى: شرح المواقف (٦٠)، شرح المقاصد (٣٥)، شرح الديباجة، شرح المفتاح ٠١٥)، شروح المنهاج (٥)، شروح المفتاح، شرح الكفاية (٢). وعشرات أخرى من المصادر ذكر كـل منهـا مـرة واحدة.

الأصوليين والمتكلمين والبيانيين والنحـاة دون تمـايز بـين المذاهب. ثم يظهر الصراع بين الشافعية والحنفية مع جمهور المنطقيين والبصريين والكوفيين والصـوفية وأسـانيد كـل منهما[1].

هذه هى ملحمة تكوين النص. وهى ملحمة لا تنتهى كماً ولكن يمكن وصفها كيفا عندما تتكـرر المـادة ولا تتغيـر الدلالات أو تزيد. ثم عرضه نصا نصا منذ كشف البنية ثـم حجبها ثم اجتزاؤها ثم تحريكها حتى تثبيتهـا. فالنصـوص كائنات حية تولد وتنمو وتتطور وتنتهى. وهى البديل الفعلى عن الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الذى يضـاف عادة دون أن تكون له صلة بالنص. وإن وجدت الصلة فهى صلة علة بمعلول مما يوقع فى "الـرد التـاريخى". ووقـائع التاريخ بين قوسين. والنصوص هى تدوين لهـا كتجـارب معاشة. فالنص هو المتوسط بين الذهن والواقع. هو الكاشف عن التجربة الحية التى يعيشها المصنف فى التاريخ. "تكوين

---

(١) الأشاعرة (١٠٥)، المعتزلة (٧٥)، المحققون، علماء (أهـل) العربيـة، الأصوليون (٣٠)، المتكلمون، البيـانيون (١٨)، النحـاة، أهـل السـنة، الفقهاء، الحنفيـة، الشـافعية، الأسـاتيذ، المتقـدمون، الجمهـور (١٥)، المنطقيون (٦)، المتأخرون (٤)، البصريون، الكوفيون، الصوفية (٣).

النص" هو تأسيس النص فى التاريخ قبل "بنية النص" أى التأسيس الثانى للنص فى الشعور. تكوين النص فى مراحل حجب بنيته ثم كشفها ثم اجتزائها ثم تحريكها تمت من خلال تحليل النصوص تباعا عبر الزمان. فالبنية تنكشف فى التاريخ، والتاريخ هو الحامل للبنية. فالنص هو وحدة التحليل. فى حين عرض "تثبيت البنية" كآليات للشرح والملخصات والحواشى والتقارير. فالآلية هى وحدة التحليل. زاد حجم الآليات بحيث قد تبدو وكأنها تعادل البنية كلها، حجبا وكشفا واجتزاء وتحريكا. ومع ذلك فالمنهجان صائبان: التحليل والتركيب. عيوب التحليل يمكن تفاديها فى التركيب. وعيوب التركيب يمكن تفاديها فى التحليل. ولا يوجد خطأ وصواب فى مناهج البحث العلمى. فكل منهج يكشف عن زاوية للموضوع. وتكامل المناهج يؤدى إلى رؤية الموضوع من جميع زواياه. "تكوين النص" فيه العلم الدقيق القادر على تجنب الأحكام العامة والشائعة دون تأسيس علمى. فى حين أن "بنية النص" فيه الفلسفة القادرة على الإيحاء. فإذا كان "تكوين النص" هو الأساس فإن "بنية النص" هو البناء.